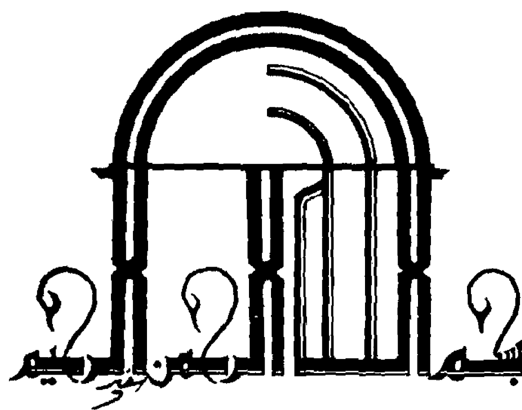


عبدالله ابن خميس ناثراً

د. هيا بنت عبد الرحمن السمهري

الرياض
١٤٣٥هـ/٢٠١٤م



عبدالله ابن خميس ناشراً

عبدالله ابن خميس ناثراً

هيا بنت عبدالرحمن السمهري

الطبعة الثانية

مكتبة الملك فهد الوطنية
الرياض ١٤٣٥هـ / ٢٠١٤م

ح مكتبة الملك فهد الوطنية، ١٤٣٥هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

السمهري، هيا بنت عبدالرحمن

عبدالله ابن خميس ناثرًا/ هيا بنت عبدالرحمن السمهري – ط٢ .- الرياض، ١٤٣٥هـ

٦١٧ ص ؛ ٢٤سم

ردمك: ١ - ١٣ - ٨١٢٧ - ٦٠٣ - ٩٧٨

١- النثر العربي – نقد – السعودية ٢- ابن خميس، عبدالله بن محمد بن راشد، ت ١٤٣٢هـ أ. العنوان

ديوي ٨١٩,٩٥٣١٠٠ ١٤٣٥/٤٩٥

رقم الإيداع: ١٤٣٥/٤٩٥

ردمك: ١ - ١٣ - ٨١٢٧ - ٦٠٣ - ٩٧٨

ص ب : ٧٥٧٢

الرياض : ١١٤٧٢ المملكة العربية السعودية

هاتف : ٤٦٢٤٨٨٨

فاكس : ٤٦٤٥٣٤١

الموقع الإلكتروني : www.KFNL.gov.sa

www.KFNL.gov.Sa

الإهداء..

إلى الشيخ عبد الله بن محمد بن خميس كلمة وفاء تعلمتُها من تاريخ مشرق بثراء العربية وشموخها.

بسطتْ دراستُنا مسيرةَ مبدعٍ
أجرى القريض بفكره أنهارا
فإذا بها تـزهو بأجمل نثـره
سبرتْ بفضل جهوده أغوارا
لا غَرْوَ أن حازتْ نجاحاً باهراً
فبطيِّـها عَـلَمٌ حكى أقمـــارا

ابنتكم/ هيا السمهري

المحتويات

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

المقدمة

الحمد لله الذي علم الإنسان ما لم يعلم، وفضله على غيره بعقله، والصلاة والسلام على هادي البشرية ومنقذ الإنسانية، نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم وبعد:

تناولت في هذه الدراسة الأدب النثري للأديب السعودي الكبير الشيخ عبدالله ابن محمد بن خميس، وهو أديب له وجوده البارز في المشهد الثقافي السعودي، فهو شاعر وباحث وأديب ومحقق وصحفي ورحالة.. وقد كانت إسهاماته الثقافية ذات تأثير قوي في مسارات الأدب المعاصر في المملكة العربية السعودية.

فحين نتحدث عنه، نتحدث عن علم أشم متنوع المواهب موسوعي المعرفة، هذه الموسوعية التي جعلت أهل الفنون يتنازعون للاستئثار بنسبته إليهم؛ فأهل الأدب هو فيهم الضليع المتمكن، وأهل الجغرافيا عدوه فيهم من الحاذقين، وأهل التاريخ رأوه فيهم عمود خيمة ثابتة الأطناب.

وهو دائم الاهتمام بالثوابت والمحافظة على اللغة والتراث؛ نذر نفسه لخدمة الأمة وأدبها.

وعلى الرغم من أن الأديب الشيخ عبد الله ابن خميس انخرط في العمل الرسمي وأصبح من رجال الدولة وتسلم مناصب تتطلب منه الكثير من الدبلوماسية أو لغة الممكن؛ إلا أنه لم يبخل بأدبه وفكره بجميع تفاصيله ومثاليته.

ومما دفعني إلى دراسة الفنون النثرية عند الشيخ عبد الله ابن خميس ما شدني أثناء قراءتي لجهاده القلمي في كتبه الثلاثة [فواتح الجزيرة، في النقد، محاضرات وبحوث] والتي رأيت من خلالها العلاقة المصيرية بين حرفة الأدب وعبد الله ابن خميس وجهاده؛ ولأنني وجدتُ فيها سجلاً حافلاً بعطاء أدبي للشيخ

عبد الله ابن خميس من نوع آخر هو النثر، وهذا الفن أقدر على كشف قضايا الحياة وسبر أغوارها، وانطلقتُ من كتب الشيخ الجهادية إلى لوحات إعلانية أخرى كشفت لي عن ثراء نثري في مجال الرحلات الأدبية، والقصة والرسالة الفنية الأدبية، ولعلّ سيرة الشيخ أو مذكراته كانت جانباً نثرياً جميلاً، أفخر بأنني حظيتُ بالاطلاع عليها مخطوطة، وأفدتُ منها جوانب مضيئة كانت إحدى جزئيات هذه الرسالة.

وهناك أسباب أخرى دفعتني إلى دراسة الأدب النثري عند الشيخ عبد الله ابن خميس منها:

١- أنه من خلال اطلاعي على أدب الشيخ تبين لي كثرة النتاج النثري عنده، وتعدده، وتنوعه، وثراؤه، ولكنه لم يأخذ حقه ــ فيما أعلم ــ بدراسة تكشف خصائصه ومكانته؛ إلا من إشارات عابرة، وتحليلات قليلة لبعض إنتاجه على صفحات بعض المجلات والصحف.

٢- أن النثر عند الشيخ عبد الله ابن خميس كالشعر؛ سجل حافل بالقضايا الإسلامية، والوطنية، والاجتماعية، والتربوية.. ورحلاته النثرية لوحات وصفية إبداعية، تسبق في ظني أكبر المؤسسات الإعلانية للمواقع الرحلية التي وطأتها قدما الشيخ، سواء داخل البلاد أو خارجها.

٣- أنني وجدتُ في نثر الشيخ نماذج تُحتذى.. رأيت أن الأجيال الحاضرة بحاجة ماسة للاقتداء بها؛ من تجارب وحكم تنم عن رجاحة عقل وبعد نظر وسداد رأي.

٤- أنني لمستُ في نتاج الشيخ ابن خميس النثري اتجاهاً تراثياً موسوعياً فهو لا يقتصر على علم واحد، إنما يتسع ليشمل علوماً مختلفة، ولكنه دائماً يحيل النص إلى حدائق أدبية ورؤى نقدية متفاعلاً مع واقعه، داعياً إلى القدوة والمثل الأعلى.

٥- أنّ إعجابي بشخصية الشيخ وما سطره يراعه من كلمات خالدة في ذهني ومن أساليب بيانية ترقى إلى مستويات عليا من الأداء الأدبي جعلني أعقد العزم على إجراء هذه الدراسة.

٦- بما أن الأدب السعودي بحاجة إلى باحثين يكشفون عن إبداعاته، خاصة في مجال النثر؛ فإني أحسبه ينتظر من المخلصين من أبنائه أن يجمعوا شتاته ويدرسوا إبداعاته.

الدراسات السابقة:

لم أطلع على دراسة بحثية أكاديمية سابقة حول نثر الشيخ عبد الله ابن خميس.. وإنما أُفرِدَتْ عنه بعض المؤلفات التي ترجمت له وحللت بعض إنتاجه الأدبي ومنها: كتاب [ابن خميس وآثاره الأدبية] لمحمود رداوي وكتاب [أدباؤنا الرواد] للأستاذ سعد بن خلف العفنان.

ولقد اطلعت على مقالة في جريدة الرياض بمناسبة تكريم الشيخ عبد الله ابن خميس في مهرجان التراث والثقافة السابع عشر، للكاتب الأستاذ عبد الله بن سعد ابن رويشد، كان فيما ذكره فيها أن هناك رسالة ماجستير أعدت عام ١٣٩١هـ في جامعة الأزهر المصرية من قبل الباحث السعودي حمد بن عبد الله المنصور وعنوانها [ابن خميس رائد الأدب الحديث في نجد] واتصلتُ بالباحث وفقه الله الذي أفادني أن ما أعده هو بحث جامعي من متطلبات الدراسة الجامعية وليس رسالة ماجستير.

ولقد اعتمدتُ في كتابة هذه الرسالة على مؤلفات الأديب الشيخ عبد الله ابن خميس النثرية والشعرية، التي أفردتُ لها مسرداً في الهامش.

ثم ما كُتبَ في ثنايا المراجع التي ترجمت للأديب، أو تحدثت عن جانب من جوانب إبداعاته، ولم أكتف بما توافر لي من مادة علمية من الكتب والصحف

والمجلات، فكانت بعض اللقاءات القصيرة مع الشيخ وكنت شغوفة بالكثير منها، إلا أن ظروف الشيخ الصحية حالت دون ذلك.

واستقيتُ بعض المعلومات الشفوية، والمكتوبة من أسرة الشيخ وزودني ـــ أمده الله بالصحة والعافية ـــ بالكثير من المقالات المخطوطة والرسائل والمؤلفات غير المنشورة، فكان لي ما أملتُ؛ لتنويع مصادر هذا البحث، وإثراء قنواته. وقد أشرتُ لذلك في هوامش البحث، وكانت لي اتصالات هاتفية ومخاطبات كتابية مع أشخاص وجهات كانت لها صلات بالشيخ ابن خميس وأدبه.

ولعلّي لا أكون مبالغة حين أقول: إنني وقفتُ حائرة أمام إنتاج الشيخ النثري، هل أقوم بدور الباحث الدارس أم بدور المحقق؟ وأعترف أنني عجزتُ عن الإلمام بتحقيق جميع ما ضمنه الشيخ من شواهد وآثار وأقوال وخاصة ما كان منها في جانب الاستشهادات الشعرية، فكنت أعود إلى شوارده، ومن القائل، لعلّي أحظى بقائل البيت؛ وإذا ما وجدته عدتُ إلى ديوان الشاعر إن كان من ذوي الدواوين لأحيلَ إليه ولكن الشق اتسع على الراقع، فراوحتُ بين هذا وذاك. وأحياناً يلتبس الأمر عليّ حين أجدُ بيتاً من إنشاء الشيخ ضمنه مقالة أو حديثاً رحلياً أو رسالة أو دراسة، ولكنه لم يشر إلى قائله إنما قدَّم له بقوله: [انشد معي] [فقلت في ذلك]، وغيرها من العبارات، فأعود لديواني الشيخ [على ربى اليمامة] و[والديوان الثاني] فإذا ما وجدته أحلته للشيخ، وإلاّ بدأت معي رحلة بحثية أخرى.

وكانت لي مراجعات كثيرة في كتب السنة والفقه والسير، فإن قيل إنّ هذا الأمر معتاد عند الباحثين، فإنه عند ابن خميس يحتاج إلى دراسات مفردة أخرى لتحقيق تلك الآثار الموجودة في ثنايا كتاباته النثرية.

هذا وقد سرتُ في هذا البحث على خطة تكونت من وتمهيد وثلاثة فصول؛ إضافة إلى المقدمة والخاتمة والفهارس.

أما التمهيد فكان حديثاً عن حياة الشيخ عبد الله ابن خميس من حيث:

أ- مولده ونشأته.

ب- صفاته وأخلاقه.

وتطرقتُ من خلال التمهيد إلى المباحث الأخرى التالية:

- عصر الشيخ ومكانته الاجتماعية والأدبية.
- مصادر ثقافته.
- سيرته العملية.
- آثاره ومؤلفاته.

فصول الرسالة:

الفصل الأول: وبدأته بتمهيد عن فن المقالة ثم تحدثت بالتفصيل عن مضامين كل نوع على حدة وأفردت لسماتها الفنية مبحثاً مستقلاً؛ فصلتُ فيه تلك السمات.

الفصل الثاني: خُصّص لدراسة أدب الرحلة عند الشيخ ابن خميس، وقد مهدتُ لذلك بحديث عن أدب الرحلة، والمؤثرات الجمالية التي استقاها عالم الأدب من الرحلات، وذكرتُ بعضاً ممن برز في كتابة هذا الفن النثري في الأدب العربي عامة، ثم السعودي خاصة، وبعد ذلك درستُ رحلاته، فيما صنفته من كتب وبحوث خاصة بأدب الرحلة، ومن ثم شرعتُ في دراسة هذا الفن النثري دراسة موضوعية ثم فنية؛ لعلي أحطتُ بجوانب أثيرة منها. وقد تحقق لديّ أثناء الدراسة أن الشيخ كتب رحلاته بأسلوب أدبي ساد عند أدباء جيله.

الفصل الثالث: ضم فنوناً نثرية أخرى، طرق أبوابها الشيخ ونقش عليها روائعه في المعاني والألفاظ والأساليب، ودرستُها دراسة موضوعية وفنية، وقد يلمس المطلع على هذا الفصل شيئاً من عدم التوازن بين مباحثه للتباين بين

الفنون النثرية ومضامينها في كتابات الشيخ، فكانت البداية بفن القصة وقد أخذ النصيب الأكبر. ثم فن السيرة بنوعيها الذاتية والغيرية. ثم الرسائل بنوعيها [الديوانية والإخوانية] وأخيراً الدراسات الأدبية الموجزة، وفي جميعها تتبعتُ بعض السمات الفنية للأنواع النثرية في هذا الفصل بعد المرور على مضامينها.

ثم ختمت البحث بخاتمة بينتُ فيها جملة من النتائج التي وصلتُ إليها من خلال الدراسة وأهم التوصيات، ثم أعقبتُ ذلك بثبت المصادر والمراجع.

أما المنهج الذي سرتُ عليه فهو المنهج الوصفي التحليلي، وأفدتُ من المناهج الأخرى مثل المنهج التاريخي. ولقد حاولت تحري الموضوعية في إطلاق الأحكام على أدب الشيخ عبد الله ابن خميس بغرض الحد من مغامرة العاطفة نحوه، وضبطتُ بالشكل كل ما رأيتُ أنه يُشْكل عند القراءة، وشرحت بعض الغريب من الألفاظ.

وإن كنتُ لا أدعي الكمال والتمام لهذه الدراسة؛ إلا أنني أرجو أن أكون قد قدمتُ صورة لنثر الأديب الشيخ عبد الله ابن خميس، وأبرز خصائصه من الناحية الموضوعية والفنية. كما آمل أن تكون هذه الدراسة بداية لدراسات أخرى لجوانب مهمة من أدب الشيخ عبد الله ابن خميس فما زال هناك الكثير، مما يحتاج إلى الدراسة والبحث والتحليل.

وألزم نفسي أن أذكر أن هذا الجهد جهد بشري قد يعتريه الخطأ ويكتنفه النقصان، فإن أصبتُ فمن الله وإن أخطأت فمن نفسي. والله الهادي إلى سواء السبيل.

هيا بنت عبد الرحمن السمهري

الرياض ١٤٢٥/٦/١٠هـ

التمهيد:

- حياته.
- عصره وريادته الاجتماعية والأدبية.
- مصادر ثقافته.
- سيرته العملية .
- آثاره ومؤلفاته.

التمهيد

أولاً : حياته:

١ ــ مولده ونشأته[1] :

(١) انظر ترجمة الأديب عبدالله ابن خميس على اختلاف أساليب عرضها في :
- حركات التجديد في الشعر السعودي المعاصر. عثمان الصوينع.ــ ط١، د.ن، ١٤٠٨هـ، ص ٣١١.
- معجم البابطين للشعراء العرب المعاصرين. جمع وترتيب وتنفيذ هيئة المعجم.ــ ط١، ١٩٩٥م، ص٣٧٦.
- الحركة الأدبية في المملكة العربية السعودية. بكري شيخ أمين.ــ ط ٢.ــ بيروت: دار صادر، ١٣٩٨هــ/١٩٧٨م، ص١٢٢.
- أدباء سعوديون: ترجمات شاملة. مصطفى حسين.ــ ط١.ــ الرياض: دار الرفاعي، ١٤١٤هـ، ص ١٤٣.
- ابن خميس وآثاره الأدبية. محمود رداوي.ــ ط١.ــ الرياض: مطابع الفرزدق التجارية، ١٤١٩هـ.
- أدباؤنا الرواد. سعد بن خلف العفنان.ــ ط.ــ الرياض: مطابع الفرزدق، ١٤٢١هـ، ص ٢٥.
- الأدب الحديث : تاريخ ودراسات. أ. د. محمد بن سعد بن حسين .ــ ط٦.ــ الرياض: دار عبدالعزيز آل حسين، ١٤١٨هــ/١٩٩٨م، ص٣٨١.
- تاريخ الشعر العربي الحديث. أحمد قبش .ــ ط١.ــ بيروت: دار الجيل، د.ت، ص ٧١٢. قال إن له ديوان شعر يسمى نفحات وأنه ولد في الرياض.
- نشأة وتطور الإذاعة في المجتمع السعودي. بدر أحمد كريم.ــ ط١.ــ جدة: دار تهامة، ١٤٠٦هـ، ص ٦٢٣.
- كتب وآراء. أ. د. محمد بن سعد بن حسين .ــ ط١.ــ الرياض: شركة مطابع اليمامة، ١٤٠١هــ، ص١٢.
- شؤون وشجون من واقع حياتي. عبدالله بن محمد بن خميس، كتاب سيرة ذاتية، غير منشور.
- معجم المطبوعات العربية. علي جواد الطاهر.ــ ط١.ــ بغداد: المكتبة العالمية، ١٩٨٣م ص٤٧.

ولد عبدالله بن محمد بن راشد بن خميس في قرية الملقى[١] من ضواحي الدرعية عام ١٣٣٩هـ - ١٩٢٠م، ويروي الشيخ: أن امرأة صالحة من

- دليل الكتاب والكاتبات؛ إعداد خالد أحمد اليوسف، مشاركة خزيمة العطاس.ــ ط٣.ــ الرياض: الجمعية العربية للثقافة والفنون، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م، ص١٠٣.
- الموجز في تاريخ الأدب السعودي. عمر الطيب الساسي.ــ ط ١.ــ جدة: دار تهامة للنشر والتوزيع، ١٤٠٦هـ، ص١٩٠.
- الشعر السعودي في البلاد السعودية في الغابر والحاضر. أبو عبدالرحمن ابن عقيل.ــ ط١.ــ الرياض: دار الأصالة والمعاصرة، ١٤٠٠هـ، ص٨٥.
- الطباعة في المملكة العربية السعودية. أ.د. عباس صالح طاشكندي، من مطبوعات مكتبة الملك فهد الوطنية، ١٤١٩هـ، ص٢٩٨.
- النهضة الأدبية في نجد؛ جمع وترتيب حسن بن محمد محمود الشنقيطي.ــ ط١.ــ مصر: شركة ومكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ١٣٧٠هـ/١٩٥١م، ج١، ص٦٢.
- معجم الأدباء والكتاب. الدائرة للإعلام.ــ ط١، ١٤١٠هـ، ص١٠٥-١٠٦.
- في الأدب العربي السعودي ــ فنونه واتجاهاته ونماذج منه. محمد صالح الشنطي.ــ ط١.ــ حائل: دار الأندلس للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م، ص١٢٢.
- موسوعة الأدباء والكتاب السعوديين خلال ستين عاماً. أحمد سعيد سلم.ــ ط١.ــ دار المنار للطباعة والنشر، ١٤١٢هـ، ص٣١٧.
- الموسوعة الأدبية ــ دائرة معارف لأبرز أدباء المملكة العربية السعودية. عبدالسلام الساسي، ج٣، نادي الطائف الأدبي، ١٤٠٠هـ، ص١٤٩.
- أعلام وإعلام أبحاث ودراسات في الإعلام السعودي. د. عبدالرحمن الشبيلي.ــ ط١.ــ الرياض: دار السفير، ١٤٢٠هـ، ص ٨٣
- تاريخ الإعلام في الجزيرة العربية. د.عبدالرحمن الشبيلي.ــ ط١.ــ الرياض: دار السفير، ١٤٢٣هـ، ص٣٣١.

(١) تبعد قرية الملقى عن الدرعية ١٤ كيلا، وهي إحدى قرى وادي حنيفة. انظر الدرعية. عبدالله ابن خميس.ــ الرياض: مطابع الفرزدق التجارية، ١٤٠٢هـ، ويذكر الشيخ أنها تسمى المغيدر أيضاً، ص٤٩.

جيرانهم رأت في منامها ليلة مولده، أن والده محمد ابن خميس يحمل سيفاً مشرعا يلوح به بيده، فذهبت وأخبرت والده وهو يدلف من صلاة الفجر، وكان ممن عُرف ـ رحمه الله ـ بتعبير الرؤيا، ففسر رؤيا المرأة أنه سيولد له ولد له شأن، فكان أديبنا الشيخ عبدالله ابن خميس(١)، واستوطن (الملقى) لمدة ثلاث سنوات، ولم يكن لها تأثير في حياته.

وشاء الله أن ينتقل والده محمد ابن خميس من قرية (الملقى) إلى (الدرعية)(٢) عاصمة الدولة السعودية الأولى، فتربى فيها بين أحضان أسرته.

ويرجع الشيخ عبدالله ابن خميس بأصله إلى طائفة (المجادعة) التي كانت تسكن (الأفلاج)، وبعض قراها (ووادي الدواسر)، وبعض نواحيه، ومن هذه الطائفة: آل خميس، وهم أسرة كبيرة متفرقة في (الوادي) و (الأفلاج)، ومنهم أسر تسكن (ضرما)، و(حريملاء)، و(الرياض). و(الدرعية)، و(الأحساء)(٣).

أما أسرته القريبة، فكانت تسكن (الدرعية) على عهد ازدهارها، ومنهم جده عبدالرحمن ابن خميس، إمام ومدِّرس مسجد الطريف بالدرعية.

انتقل والد الأديب ابن خميس من (ضرما) في أول عهد الملك عبدالعزيز، وكان يتولى بعض المهام، كجباية الزكاة، وتولي أمور الجهاد على أهل المنطقة، وحماية حمى إبل الجهاد وخيله، وفك الخصومات بين المتخاصمين، وسكن (الملقى) إحدى ضواحي (الدرعية)، حيث ولد الشيخ كما أسلفنا.

---

(١) مقابلة مع الأديب عبدالله بن محمد الخميس في ٣ /٢/١٤٢٣هـ [وذكرت تلك الرؤيا ابنته أميمة، في لقاء معها بمناسبة تكريم ابن خميس في اثنينية عثمان الصالح].
وقد أورد الشيخ تلك الرؤيا في لقاء معه في المجلة العربية ع ٢٦٣ ذو الحجة ١٤١٩هـ ص ٣٤.

(٢) الدرعية: إحدى المحافظات شمال الرياض، وهي عاصمة الدولة السعودية الأولى، ولها أفرد الشيخ عبدالله ابن خميس مؤلفاً كاملاً بعنوان [الدرعية].

(٣) كتاب شؤون وشجون من واقع حياتي، غير منشور، ص٩.

وهكذا يروي ابن خميس[١] أن أسرته أصاخت لتعاليم الله فطبقتها في مرافق حياتها كلها، فكانت راضية مرضية على حظ وافر من العلم والأدب.

أنجبت أسرة آل خميس علماء، قاموا بالتدريس في منازلهم، وفي أفنية المساجد، والكتاتيب، وأدوا في زمنهم رسالة لا يستهان بها في خدمة العلم والعلماء، وكان لهم مكانة مرموقة في عالم القضاء الشرعي، والحكم بتعاليمه النيرة.. ويدور حظهم منه حول العلوم الدينية والعربية، كالفقه، والتوحيد، والفرائض وتفسير القرآن؛ فجده عبدالرحمن ابن خميس كان إمام مسجد الطريف بالدرعية؛ قضى جلَّ وقته في قراءة القرآن وتفسيره، وبين صفحات الكتب الدينية والعربية، وقد اتخذ من منــــزله مناراً يهتدي به السالكون.. وقد ذكره ابن بشر في (تاريخه)[٢][٣]. وأشار إلى أمانته وعمله قاضياً في قصر عبدالعزيز بن محمد وابنه سعود الكبير، وأنه طلب العلم على يد الشيخ المجدد محمد بن عبدالوهاب، ومنهم الشيخ عبدالله بن خميس، الذي تولي القضاء في (الوشم) في عهد الإمام سعود بن عبدالعزيز. وقد حظيت ثرمداء بإقامته فيها في تلك الفترة، ولا زالت منازله عند أهلها تذكر إلى اليوم، وكان له نفوذ بارز في الإصلاح بين المتخاصمين[٤].

---

(١) المرجع السابق ص ١١ــ ١٢.

(٢) عنوان المجد في تاريخ نجد. عثمان بن بشر.ــ ط١.ــ الرياض: مكتبة الرياض الحديثة، د.ت، ١/١٣١.

(٣) ولد الشيخ عثمان بن عبدالله بن بشر عام ١٢١٠هـــ في بلدة جلاجل، إحدى بلدان مقاطعة سدير. تعلم القراءة والكتابة بها ثم انتقل إلى الدرعية عام ١٢٤٤هـــ وتعلم على علمائها، له مؤلفات. توفي عام ١٢٩٠هـــ. انظر: علماء نجد خلال ثمانية قرون لابن بسام.ــ ط١.ــ مكة المكرمة: مطابع النهضة الحديثة، ١٣٩٨هـــ، ٥/١١٥-١٢٠.

(٤) النهضة الأدبية بنجد. حسن محمد محمود الشنقيطي.ــ ط١.ــ مصر: مطبعة الحلبي، ١٣٧٠هـ، ١/٦٢.

ومن هذه الأسرة: الشيخ محمد ابن خميس، والد الأديب عبدالله بن خميس، وقد كان له حظ كبير من العلم والمعرفة.

وقد ورد عن الشيخ ابن خميس في كتاب: (أدباؤنا الرواد) للمؤلف سعد العفنان: أن والده الشيخ محمد بن راشد بن خميس، كان من رجال الإمام عبدالرحمن الفيصل آل سعود، وأن أخاه الأكبر راشداً كان من رجال الملك عبدالعزيز، وكان أميراً في بلدة رغبة، ثم أميراً في بلدة نعجان في (الخرج)[١].

وقد قرأ أديبنا الشيخ عبدالله ابن خميس على والده جلّ كتب ابن تيمية، وابن القيم، وتفسير ابن كثير، والسيرة لابن هشام، والكثير من المؤلفات الدينية والعربية، وكان أهل الدرعية يستفتونه فيما يعرض لهم من الفتاوى الشرعية، وله إلمام كبير بأنساب العرب وأيامهم، والسيرة النبوية، وتعبير الرؤيا[٢].

ومن الأسرة الشيخ عبدالعزيز ابن خميس من رجال الدولة في عهد الأمير سعود بن عبدالعزيز[٣].

أما والدة الشيخ الأديب عبدالله بن خميس فهي: موضي بنت موسى بن خليفة من أهالي بلدة (ضرما)[٤]، وهي أسرة معروفة هناك بنجابة أبنائها وصلاحهم[٥].

---

(١) أدباؤنا الرواد. سعد بن خلف العفنان.ـ ط١.ـ الرياض: مطابع الفرزدق، ١٤٢١هـ، ص٢٨.

(٢) المصدر السابق، ص٢٨.

(٣) من مذكرات الشيخ: شئون وشجون من واقع حياتي (غير منشور)، ص٩.

(٤) ضرما : إحدى المحافظات القريبة من الرياض. تبعد عنها ٨٠ كيلا. ذكرها ابن خميس في تاريخ اليمامة.ـ ط١.ـ الرياض: مطابع الفرزدق التجارية، ١٤٠٧هـ، ٣/٣٥٢.

(٥) من مذكرات الأديب في كتابه شؤون وشجون من واقع حياتي/ ص ١١. (غير منشور).

توفيت رحمها الله ولم يتجاوز عمر الشيخ الخامسة عشرة، وله من الإخوة راشد، وقد توفي ــ رحمه الله ــ وهو الأكبر، ثم صالح ــ أمد الله في عمره ــ وهو الأوسط، ثم الشيخ ابن خميس، وهو أصغرهم بين الأولاد والبنات، وأخواته ثلاث، جميعهن توفين ــ رحمهن الله ــ وهن: سارة، وطرفه، وهيا.

وللأديب ابن خميس من الأبناء سبعة: عبدالعزيز، ومحمد، وعصام، وطارق، وعدي، وزياد، وياسر، جميعهم على حظ وافر من العلم والثقافة[1].

أما البنات فهن موضي، وأسماء، وخولة، وأميمة، وميسون. ولهن الحظ نفسه من الثقافة والعلم.

٢ ــ صفاته وأخلاقه:

يتمتع الشيخ عبدالله بن محمد ابن خميس بحافظة قوية، يحفظ القرآن كاملاً تجويداً وتفسيراً وإعراباً[2]، ولديه محفوظ واسع من الشعر القديم.. إحيائي التوجه، تراثي الانتماء، عازف عما ابتدعه المبتدعون في الديباجة الشعرية: ومن ذلك [أن بعض المستمعين يتحدونه بأبيات وحشية، وغير متداولة في شكل من أشكال المنافسة الذاورية وعلى الرغم من ذلك كان يبزهم ويعرف قائلها، وثقة منه بنفسه يمد يده ليلقط الكتاب الذي يقع فيه هذا البيت].

وهو شديد المحافظة على أصالة اللفظ ومتانة القصيدة، شاعر وكاتب ودارس ومحقق وأديب.

ولقد كان لتلك العلوم الجمة والمعارف الغزيرة أثر واضح على شخصيته وأخلاقه، ومعاملته؛ لمن تربطه بهم صلة في مناصبه الكثيرة، التي يدير شؤونها،

---

(١) المرجع السابق، ص ١٧.

(٢) مشاركة مكتوبة من ابنته أميمة في اثنينية عثمان الصالح؛ إضافة إلى مقابلة مع الشيخ لتوثيق المعلومات بتاريخ ١٦/٢/١٤٢٣هـ.

فأخلاقه فاضلة؛ حيث جمع بين اللين في غير ضعف، والقوة في غير شدة، وهو مع تواضعه، عالي النفس، كبير الهمة. تأدب بالآداب الإسلامية، كالكرم، والوفاء، والصدق، والعلم، والمروءة، والنصح، وسلامة النية، وحسن الطوية، ونبل النفس، واحترام الآراء. يقول عنه الدكتور عبدالله بن ناصر الوهيبي: (تميز ابن خميس بسلامة الذوق، وحضور البديهة، ورجاحة العقل، وأخلاق أرق من النسيم، في حديثه تواضع في احتشام، فهو يخجلك بتواضعه، ولكنه في الوقت ذاته عزيز النفس، وفيّ إلى أبعد الحدود، يأسرك أسلوبه حين تتحدث إليه، وتشعر أنك في بداية الحديث أمام إنسان يساويك، فتنساق وراء خيالك تريد التغلب عليه، ولكن لا تلبث أن تجد نفسك أمام الأمر الواقع، وقد حلق هو في الأجواء البعيدة، وتظل ترى آمالك تنقضي وتتراكم أمام عينيك، لا يحبّ إعلامك أنه خير منك تفكيراً، وأصوب رأياً؛ إلاّ أنه يشكرك على الرأي الجميل، وإن كان في الحقيقة هو مبديه) [١].

ومما عُرف عن الشيخ الأديب ابن خميس تقديره للصداقة يقول عن أصدقائه[٢]: (رجال عُرفوا بجودة الشعر، وتحلوا بنفسه. صحبتهم زمناً طويلاً، وأنست بصداقتهم وجميل عشرتهم، وجبت مع أكثرهم أنحاء الجزيرة العربية، نتنقل في مرابعها ومراتعها، ونأنس بخلواتها وفلواتها، فما من عطلة عيد من الأعياد أو إجازة من الإجازات؛ إلا وترانا نذرع الفيافي من غرب الجزيرة وشمالها وجنوبها وشرقها، وننتقل في رياضها وشعابها، ونحيي الليل بالسمر ونقطع النهار، ونشبع الحديث بأحلاه وأعلاه، فما أحلى تلك الليالي والأيام، نمضيها في حديث الأدب وحلو الشعر، ونفيس المناجاة، وذلك ما حرك شاعرية

---

(١) النهضة الأدبية في نجد. حسن محمد محمود الشنقيطي، ص٦٢.

(٢) شؤون وشجون من واقع حياتي. كتاب غير منشور للأديب عبدالله ابن خميس، ص ١١٩.

هذه الصفوة، وجعلهم يتذكرون تلك الأوقات الجميلة، قضيناها وأنسنا بها، فجاءت ذكريات من أجمل الذكريات وأحلاها وأعلاها، تذكرني بقول معاوية ـ رضي الله عنه ـ : "تناولت من الطعام اللين والخشن، ولبست من الثياب ما هو كذلك، ونكحت من النساء الثيب والبكر، وكل شيء شبعت منه، ما عدا محادثة الرجال ذوي العقول"، وقول الشاعر :

وإذا الأديبُ مع الأديبِ تَلاقيَا كَانَا من الآدابِ في بستان"[١]

يقول الأستاذ خالد بن حمد المالك[٢]: "يمتاز الشيخ عبدالله ابن خميس بأخلاق فاضلة نبيلة؛ ينم عنها وجهه البشوش، وضحكته الصافية، ورفقه في الحديث، ونبله في تعاملاته وتواضعه الجم، وعزة نفسه ووفائه، فهو إنسان بكل ما تحمل هذه الكلمة من معان نبيلة، هذا ما يشعر به أي إنسان عند مقابلته له"[٣].

ومن الصفات التي عُرف بها الشيخ ابن خميس : ولعه الشديد بركوب الإبل والخيل، وتسلق الجبال، والرماية، والسباحة، والركض، والمشاركة في رياضة السباق في شبابه[٤].

---

(١) المرجع السابق ص ١١٩.
(٢) رئيس تحرير جريدة الجزيرة، وأحد أعلام الصحافة البارزين. يمتاز بقلمه اللامع، وحضوره الاجتماعي والثقافي البارز.
(٣) الندوة التكريمية التي أقيمت في قاعة الملك فيصل للمؤتمرات في ١٤٢٢/١١/١١هـ، بمناسبة تكريم الشيخ عبدالله ابن خميس في مهرجان الجنادرية السابع عشر، وأدار الندوة الأستاذ خالد المالك، رئيس تحرير جريدة الجزيرة، واشترك بها : د. عبدالرحمن الشبيلي، ود. أحمد الضبيب، ود. فهد السماري. [وتم لي بتوفيق من الله حضور الندوة].
(٤) مجلة العرب، ج٩، س١٨، ١٤٠٤هـ، مقابلة : طلعت عبدالملاك، ص٨١٦.

تقول ابنـــته أميمة الخميس، ذاكرةً ولعه بالصيد : " وفي زاوية من مكتبته كانت هناك بنادق الصيد ؛ فقد كان مولعاً بالصيد، بنادق مازالت أسماؤها تتردد في ذاكرتي (أم خمس) (شوزن) (رشاش)، كانت تقف متجاورة في منظر مهيب، وبجوارها شعار منظمة التحرير الفلسطينية "[١].

ولأن علاقة ابن خميس بالصحراء، هي أحدُ القواسم المشتركةِ المتممةِ لتفاصيل الصورة في حياته، حيث الكتب، والتاريخ، وإرثُ الصحراء. فقد كان ابن خميس ولوعاً، بالصيد مع دقة متناهية في الرمي، وقد ذكر مواقف عدة تبارى الشيخ فيها مع آخرين ممن حذقوا ذلك، فتفوق عليهم[٢].

ومما عرفه المقربون من ابن خميس شجاعته التي لا تقف عند حدّ؛ ففي صباه كان جيرانه من أهالي مزارع الدرعية يستعينون به في درء الخطر المحدق بهم من الذئاب التي تفترس مواشيهم، وقد أورد الشيخ في مذكراته غير المنشورة مواقف عدة، نذكر منها قوله: " وللذئاب لدينا في تلك المزرعة مسرح ومراح، فإذا أحست بانبلاج الصبح، أخذتْ تتابع العواء على أنوف الجبال بأصوات منكرة، ولي بمتابعتها ولع، فلقد خرجتُ يوماً مبكراً في فصل الشتاء قاصداً جحر ضبع في شعب (غبيراء) لأباكرها، على شروق الشمس حين تخرج عند فم الجحر عسى أن أصيبها هنالك، وحينما أقبلتُ على الجحر، وجعلت أقارب خطاي، واستترتُ بالحجر والشجر. فإذا أنا بالذئب يسبرني من عرض الجبل، فاعتدلت لأرميه، ولكنه انطلق كالسهم فاراً، وإذا بآخر يعانقه وآخر، فلحقت بها على سطح الجبل، فأخذتْ تطل عليّ من عرض الجبل في غار هنالك، فكننتْ تنتظر مروري، ولما تجاوزتُها، خَرَجَتْ مخالفة سيري، وكنت لا

(١) مشاركة مكتوبة من الكاتبة: أميمة الخميس في اثنينية الشيخ عثمان الصالح التي تمَّ تكريم الشيخ ابن خميس فيها، بمناسبة تكريمه في مهرجان الجنادرية السابع عشر، في ١٥/ ١١/ ١٤٢٢هـ.

(٢) من كتاب شؤون وشجون من واقع حياتي / كتاب غير منشور / ص ٢٠ ــ ٢٢.

أرى منها سوى ظهورها تتماوج، فاعتدلتُ لها وأولمتُ البندقية.. وحينما علتْ الجبل بادرتها بطلقة استقرتْ في إبطها، فاستدارتْ ثلاث مرات، وهي تعوي عواء منكراً، وانطرحتْ على الأرض، وفرَّ باقي الذئاب، وقمتُ بسحبها، ووضعتها أمام جيراننا في المزرعة "[١]. والشيخ عاشق لعلم الفلك، فلديه معرفة فلكية، وعلم بالنجوم؛ مواقيتها، ومواقعها، وبالرياح وأسمائها، وبالأنواء وتقلباتها. وتضم مكتبته الكثير من المصنفات في علم الفلك[٢].

وهكذا كانت معالم حياة ابن خميس، وعلى هذا النمط تثقف، ومن هذه الأخلاق الفاضلة تحلَّى...

ثانياً : عصره وريادته الاجتماعية والأدبية:

منذ الحركة الإصلاحية في نجد، أصبح الأدب ينمو ويزدهر في هذه البلاد، وهناك أسباب هُيِّئَت له في موطنه، أو بما وفد إليه من البلاد العربية الأخرى.

فآتى أكله كل حين بإذن ربه، ووقف في مصاف الآداب الأخرى؛ فالحركة الأدبية قد بلغت أوج عزها، فنشطت دور النشر والمطابع، وشجعت الدولة الصحافة، وابن خميس لـــه رأي في ذلك، يقول في لقاء معه أجرته رسالة الجامعة في ١٤١٤/١/٢٧هـ : " الأدب هو الصحافة، والصحافة هي الأدب ".

كما شجعت الدولة جميع وسائل الإعلام، وألوان الثقافة الأخرى، وشجعت الأدباء والمثقفين بالابتعاث تارة، وفتحت الصحافة بابها للناشئة، فكانت ميدان تسابق للشعراء والكتاب، ومجالاً واسعاً لنشر أفكارهم، وتجديد ما يفد إليها من المعاني الأدبية، التي تتصل بالأديب وأمته.

---

(١) من مذكرات الشيخ. شؤون وشجون من واقع حياتي، كتاب غير منشور، ص ١٧.
(٢) انظر مقال [ليس الحياة] للكاتبة أميمة ابنة الشيخ عبدالله ابن خميس، جريدة الجزيرة، العدد ١٠٦٥٣٢، ذو الحجة ١٤١٧هـ، ص١٩.

وكما كان عصر الشيخ الأديب ابن خميس، هو ذلك العصر الذي نشأت فيه المدارس الشعرية الجديدة، والتي وقف منها الأدباء بين المحافظة على القديم، والاستجابة لداعي الجديد، فقد كان محافظاً على تراثه القديم، معتزاً به.

ولا يخفى على دارس الأدب في المملكة العربية السعودية، ما أحدثته الدعوة السلفية، دعوة الإمام محمد بن عبدالوهاب[١] رحمه الله في منتصف القرن الثاني عشر من أثر في النهضة الأدبية في شبه الجزيرة العربية، وما من شك أن الدعوة هدفت منذ قيامها، إلى تصحيح العقيدة في تلك النفوس، التي اتبعت سبل الغواية والضلال، وكان لها ذلك بفضل من الله، ثم بتأكيد من الإمام محمد بن سعود رحمه الله، وأصبح لهذه الدعوة أثر كبير على الحياة في نجد، وعلى الحياة الأدبية والعلمية بوجه خاص.. هذا بالإضافة إلى عوامل أخرى، منها ما هو مباشر، وما هو غير مباشر، كالاستقرار السياسي، والاجتماعي، الذي نعم به الشعب السعودي في حياة الملك عبدالعزيز.

ومن العوامل المباشرة: التعليم وانتشاره[٢]، والصحف، والمجلات[٣]، والمطابع[٤]، وتدرج إنشاء الصحف من الصحافة الفردية إلى صحافة المؤسسات المنظمة، وكان للمكتبات دور بارز.. مع إيمان المجتمع السعودي أن الثقافة

---

(١) الشيخ الإمام محمد بن عبدالوهاب. ولد في بلدة العيينة عام ١١١٥هـ. زعيم النهضة الإصلاحية الحديثة في جزيرة العرب، وكانت وفاته في الدرعية ١٢٠٦هـ، وله مقام رفيع عند آل سعود. له مصنفات منها كتاب: [التوحيد] و[رسالة كشف الشبهات] و[تفسير الفاتحة]، انظر عنوان المجد، ابن بشر ٦/١.

(٢) التعليم في المملكة العربية السعودية : حاضره واستشراف مستقبله. عبدالوهاب أحمد عبدالواسع.ـ ط٢.ـ جدة: تهامة، ١٤٠٣هـ، ص ٢٦.

(٣) نشأة الصحافة في المملكة العربية السعودية. محمد عبدالرحمن الشامخ.ـ ط١.ـ الرياض: دار العلوم، ١٤٠٣هـ، ص٢٤.

(٤) انظر: الحركة الأدبية في المملكة العربية السعودية. بكري شيخ أمين، ص١٢٥.

مطلب أساس، وضرورة ملحة في حياة أي أمة من الأمم[١]، كما كان لإنشاء الأندية الأدبية في المملكة أثر بارز في إثراء الحركة الأدبية والثقافية[٢].

إضافة إلى إنشاء الإذاعة عام ١٣٦٨هـ، وتبعها بعده بمدة إنشاء التلفاز.

وقد قدر لأسرة آل خميس التي فيها الشيخ أن تؤدي دوراً مركزياً في عملية الإحياء، والتجديد، والريادة على مدى القرون الثلاثة الأخيرة بالنسبة لجزيرة العرب بوجه خاص، وللعرب بوجه عام، وقد عاصر أفراد هذه الأسرة عهود آل سعود المجيدة، منذ ظهور دعوة الشيخ المجدد محمد بن عبدالوهاب، وقيام الدولة السعودية حتى اليوم[٣].

وقد نشأ ابن خميس، فانبثقت شخصيته التي تعددت مناهجها بين البحث الأدبي والبحث الجغرافي والتاريخي، وعشق الصحافة منذ أن تخرج في كلية الشريعة واللغة العربية بمكة المكرمة؛ فألم بتراث الماضي العتيد، ونتاج الحاضر الجديد.

ويتجه مِن ثمّ في آرائه وأبحاثه إلى ما يراه الأدب الأسلم، والأصوب، والأجود، سواء أوغلت جذوره في محابر الأقدمين، أو فاضت أوراقه، وزهوره بمداد المحدثين.

أدرك ابن خميس بدايات الحركة الفكرية في نجد، وساهم مساهمة فعالة في بناء معالم الثقافة، ونشر العلم. ويعدُّ أحد رواد الأدب والفكر، وأساطين الصحافة. عاصر النهضة الأدبية منذ قيامها. لـــه اطلاع واسع في اللغة وآدابها، وراصد ممتاز للشعر ومصادره؛ فهو صاحب البحوث اللغوية والتاريخية،

---

(١) الأدب الحديث : تاريخ ودراسات. أ. د. محمد بن سعد بن حسين، ص٣٤.

(٢) الأدب والأندية الأدبية في المملكة العربية السعودية. جهاد الفاضل.ـ ط١.ـ بيروت؛ لبنان: دار الجديد، ١٩٩٨م، ص٥١.

(٣) أدباؤنا الرواد. سعد بن خلف العفنان، ص٢٦.

والاجتماعية الكثيرة، ينحى بشعره منحى الشعراء في عصور الازدهار، وينظم شعره على المألوف المأثور، ومن رواد مدرسة الأصالة والمحافظة في الشعر السعودي الحديث. لـــه منـــزلة أدبية عالية، ومكانة اجتماعية رفيعة، كما أن له مذهباً أدبياً مختاراً، فهو يمثل الكلاسيكية الجديدة تمثيلاً واضحاً(١).

وقد عرف بآرائه المخلصة الصادقة، التي تنبع عن غيرة على اللغة العربية الفصحى، فقد دعا إلى إنشاء مجمع لغوي في المملكة العربية السعودية، على غرار ما هو موجود في القاهرة، ودمشق، وبغداد، كما دعا إلى إنشاء وزارة للثقافة، وإلى إحياء سوق عكاظ(٢)، وهذه الدعوات كررها في مناسبات عدة، وما زال متحمساً لها ــ أمد الله في عمره ــ وقد أكد في مقابلة لـــه في مجلة الأدب الإسلامي إيمانه بما يدعو له، وينادي به، ويرى أنه من واجبه أن يتبناها، وأن يدعو لها بكل جهده، وبكل ما يتمناه لبلاده، ولأهل بلاده ومجتمعه(٣).

وفي تفعيل لتلك الدعوات لإنشاء وزارة للثقافة، فقد اهتم ولاة الأمر بالثقافة ودورها، وتم ضمها لوزارة الإعلام بموجب مرسوم ملكي كريم، صدر في ١٤٢٤/٢/٣٠هـ، ضمن التعديل الوزاري تحت اسم (وزارة الثقافة والإعلام).

أما فيما يخص إنشاء مجمع للغة العربية في المملكة، فيذكر الشيخ ابن خميس أن المجمع اللغوي في طريقه للإنشاء؛ حيث إن نظامه يدرس الآن، وقد سبق أن دعاه مجلس الشورى للاشتراك في الاجتماع الذي عقد لهذا الموضوع،

(١) انظر: حركات التجديد في الشعر السعودي المعاصر. د. عثمان الصالح العلي الصوينع، ص٣١٢.

(٢) مجلة الأدب الإسلامي ،حوار : عبدالله الحيدري، ج٨، العدد٣١، ١٤٢٢هـ، ص٤٢، وانظر: المجاز بين اليمامة والحجاز. عبدالله ابن خميس.ــ ط٤.ــ الرياض: مطابع الفرزدق التجارية، ١٤١٠هــ، ص٢٤٨.

(٣) المرجع السابق، ص٤٣، [حوار مع الشيخ].

والنظر في تخطيط نظام هذا المجمع المزمع إنشاؤه، وماذا يكون عليه، وماذا سيكون نظامه، وماذا ستكون أهليته وواقعه في مجتمعنا"[١].

ويرى ابن خميس أن مجمع اللغة العربية كان من المفترض أن ينشأ في بلادنا قبل أكثر من خمسين عاما[٢]. وابن خميس صاحب علاقة وثيقة برجال الدولة، يعرف كيف ينبغي أن تعالج الأمور المتصلة بهم بأسلوب دبلوماسي شيق، يؤدي إلى الغرض ولا يجرح مشاعر الآخرين، على مختلف مستوياتهم، وهو الأديب المدرك والشاعر العملاق، والمسئول المخلص، وصاحب الاتجاه القويم في خلقه وأدبه. وكان نشاطه الأدبي يسري في الأوساط الثقافية، ويؤدي دوراً كبيراً في مجال الصحافة؛ فقد أصدر من مقره في الأحساء، عندما كان مديراً لمعهد الأحساء العلمي مجلة (هجر) في شهر المحرم ١٣٧٦هـ/ ١٩٥٥م، مطبوعة في مطابع المصري ببيروت، وكان ابن خميس رئيساً لتحريرها، وسكرتيره عبدالله شباط، وهذه التجربة صغيرة في حجمها، كبيرة في قيمتها، فأبى إلا أن ترفع رأسها شاهداً على بداية التاريخ الصحفي للأحساء، وعلى السجل الإعلامي لابن خميس، وقد صدرت قبل صدور مجلة الجزيرة بثلاثة أعوام[٣]، وافتتحها شيخنا ابن خميس بمقال عنوانه: (أول الغيث)[٤].

وعندما انتقل موقع ابن خميس الوظيفي من الأحساء إلى الرياض، داعب خياله تحقيق حلمه القديم، بإصدار مجلة شهرية أخرى، تعنى بخدمة الأدب والثقافة في الجزيرة العربية.

---

(١) المرجع السابق، ص ٤٤.

(٢) مقابلة مع الشيخ في منـــزله بالمعذر ٢٦/٤/١٤٢٣هـ.

(٣) البدايات الصحفية في المنطقة الشرقية. محمد عبدالرزاق القشعمي.ــ ط١.ــ الرياض: مطابع التقنية، ١٤٢٣هـ، ص٢٣٦.

(٤) انظر: فواتح الجزيرة. عبدالله ابن خميس، ص٣١٢.

ومن داره في شارع الخزان، أشرقت الفكرة بتشجيع من محبيه، وزملائه ومنهم: عثمان الصالح، وعبدالعزيز المسند، والشاعر محمد المسيطير.

كما عمل في التحرير كل من علي العمير، وعبدالرحمن المعمر، ومحمد ابن عباس، وكان ذلك في عام تسع وسبعين وثلاثمائة وألف للهجرة [١].

واستمرت مجلة الجزيرة في الصدور لمدة أربع سنوات، ثم توقفت إلى أن جاء عهد المؤسسات الصحفية، فتحولت إلى صحيفة يومية، وقد أصدرت صحيفة الجزيرة كتاباً تحت مسمى (قصة الجزيرة)، بمناسبة الاحتفال بافتتاح المقر الجديد للمؤسسة[٢] في ١٩/١١/١٤١٧هـ، وكان للشيخ ابن خميس نشاط أدبي في الجرائد والمجلات الأخرى، مثل مجلة اليمامة، ومجلة العرب، والحرس الوطني، والقافلة، وجريدة البلاد، وجريدة عكاظ، والمنهل، والمدينة والقصيم، ومجلة مجمع اللغة العربية، ومجلة الأدب الإسلامي.. والشيخ ابن خميس عضو في تحرير المجلة العربية ومجلة الدارة[٣].

لقد اتخذ الشيخ عبدالله ابن خميس الصحافة هواية، ومهنة ينشر بواسطتها أبحاثه وإسهاماته الفكرية، والاجتماعية؛ لأنه رائد من رواد الصحافة والطباعة والأدب، وهو في الحقيقة علاّمة عملاق تفخر به الجزيرة العربية باحثاً ومحققاً وجغرافياً وشاعراً وراوية وقد اعترف ابن خميس في مقابلة أجرتها معه المجلة العربية أنه ربما كتب أحياناً تحت اسم رمزي مستعار. ذكر عمران بن محمد العمران أن الشيخ كان يكتب تحت توقيع **فتى اليمامة** عندما كان طالباً في دار التوحيد[٤].

---

(١) صفحات وثائقية من تاريخ الإعلام في الجزيرة العربية. د. عبدالرحمن الشبيلي.ــ ط١.ــ دار السفير، ١٤٢٣هـ، ص٣٣٦.

(٢) انظر: كتاب قصة الجزيرة: كتاب وثائقي يروي تاريخ قيام صحيفة الجزيرة، ١٤١٧هـ / ١٩٧٩م، ص١٠٦ - ١١٧.

(٣) مجلة الفيصل، العدد ٣٥، ذو القعدة ١٤٢٢هـ.

(٤) صحيفة الجزيرة، العدد ١٠٧١١، الجمعة ١١ من ذي القعدة ١٤٢٢، ص١٣.

وقد روى الشيخ ابن خميس بإسهاب ما بذله من جهود سبقت تأسيس صحيفة الجزيرة في مذكراته غير المنشورة[١].

كما تشرف الشيخ ابن خميس بعضوية مجلس إدارة دارة الملك عبدالعزيز؛ وكلفه صاحب السمو الملكي الأمير سلمان بنيابته في اللجنة الشعبية لرعاية أسر ومجاهدي فلسطين.

وقد وجدتُ في محفوظات الشيخ ابن خميس الكثير من المخاطبات المتبادلة بينه وبين صاحب السمو الملكي الأمير سلمان بخصوص جمع التبرعات، والكثير من التنظيمات الإدارية لتلك اللجنة[٢].

وبمناسبة الحديث عن عضويته، فإنه مازال عضواً في جمعية البر بالرياض.

وفيما يخص عضوية ابن خميس في المجامع اللغوية في كل من دمشق[٣]، والقاهرة[٤]، فإن له مشاركات مقالية، وبحوثاً في المجلتين اللتين تصدران عنهما، وله إسهامات بارزة فيهما، أما المجمع العلمي العراقي[٥]، فإن له قصب

---

(١) شؤون وشجون من واقع حياتي. عبدالله ابن خميس، (غير منشور).

(٢) من محفوظات ابن خميس، مبحث الرسائل (الفصل الثالث)، ص ٤٦٤.

(٣) مجمع اللغة العربية في دمشق: أنشئ عام ١٣٣٤هـ لخدمة اللغة العربية والتراث العربي في الشام، وعني أول ما عني بجمع المخطوطات كلها من المساجد والأربطة والمدارس، وجعل لها مكاناً خاصاً هو دار الكتب الظاهرية، كما عني بجمع المؤلفات التي ألفها علماء الشام في الأدب والتاريخ ونشر ما هو جدير بالنشر وكذلك الدراسات اللغوية.. ويقوم المجمع بأعمال واسعة ويبذل جهوداً كبيرة في نواحٍ متعددة.

(٤) مجمع اللغة العربية في القاهرة: مهمته السعي لتكون اللغة العربية لغة حية مسايرة للعصر وافية بالأغراض، ويقوم بنشر كثير من الكتب مثل معاجم اللغة.

(٥) المجمع العلمي العراقي: ويقوم بجمع التراث ونشره وجمع المؤلفات المتعلقة بالقطر العراقي وما ألفه العراقيون والإسهام في نشر المؤلفات والمخطوطات القديمة في أي قطر كان.

السبق في إثرائه بفكره، وأدبه وخاصة ما لأدباء العراق كالجواهري والرصافي، من علاقة متينة بالأديب ابن خميس.

ومن إسهاماته الثقافية والاجتماعية، إنشاؤه مطابع الفرزدق عام ١٣٩٧هـ، وهي لا تزال إحدى دور النشر والطباعة المتميزة في مدينة الرياض وأسهمت منذ تأسيسها في طبع المئات من الإنتاج الفكري المحلي؛ إضافة إلى طباعة مؤلفات مؤسسها التي بلغت أكثر من عشرين مؤلفا، بعضها متعدد الأجزاء حتى أنها تربو على أربعين جزءاً في أكثر من عشرين ألف صفحة[١].

نتحدث عن عضوية ابن خميس للمجلس الأعلى للإعلام، فقد ورد في كتاب نشأة وتطور الإذاعة في المجتمع السعودي، أنه في عام ١٤٠١هـ، وفي الثاني عشر من رمضان صدر أمر ملكي بتشكيل المجلس الأعلى للإعلام على النحو التالي:

١-صاحب السمو الملكي الأمير نايف بن عبدالعزيز وزير الداخلية رئيساً.
٢-معالي وزير الإعلام الدكتور محمد عبد ه يماني نائباً للرئيس.
٣-معالي الدكتور عبدالله التركي، مدير جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية عضواً.
٤-معالي الشيخ محمد بن حبير رئيس ديوان المظالم عضواً.
٥-معالي الأستاذ عبدالعزيز الرفاعي من كبار الأدباء عضواً.
٦-سعادة الشيخ عبدالله ابن خميس من كبار الأدباء عضواً[٢].

وقد مثل ابن خميس[٣] المملكة العربية السعودية في كثير من المنتديات والملتقيات الأدبية خارج المملكة، ومنها أنه كان ضمن الوفد المشارك في

---

(١) صفحات وثائقية من تاريخ الإعلام في الجزيرة العربية. عبدالرحمن الشبيلي، ص٣٣١.
(٢) نشأة وتطور الإذاعة في المجتمع السعودي، ص١٢٢.
(٣) وقد استمر ابن خميس عضواً في المجلس الأعلى للإعلام من عام ١٤٠١هـ إلى ١٤٠٣/١/٣هـ، عندما اعتذر عن عدم الاستمرار في العضوية، بسبب عارض صحي ألم به في ذلك العام، وقد اختير الدكتور راشد المبارك محله في ذلك المجلس.

مؤتمر الأدباء العرب الخامس الذي عُقد في بغداد في الفترة من ١٥-٢١ شباط ١٩٦٥م/١٣٨٦هـ. وقد وجدت في أرشيف ابن خميس جملة من المسودات التي تخص ذلك المؤتمر، ومما لفتَ انتباهي الحضور القوي لأديبنا ابن خميس، فقد كان مقرراً لبعض لجان المؤتمر.

وكذا في المؤتمر الأول للأدباء السعوديين الذي نظمته جامعة الملك عبدالعزيز وعقد بمكة المكرمة سنة ١٣٩٤هـ كان الأديب ابن خميس المتحدث باسم الأدباء في المؤتمر كما شارك في معظم لجانه منذ بداية التفكير في عقده، واستنارت الجامعة بآرائه الصائبة في ذلك المؤتمر(١).

وبالمناسبة فإن لـــه رأياً واضحاً صريحاً في ذلك المؤتمر، عندما سئل في جريدة البلاد عن رأيه في المؤتمر المذكور فقال " إن المؤتمر المذكور صوته عالٍ وبطنه خالٍ !! " وهكذا شأن كثير من مؤتمراتنا التي تحشد لها الطاقات، وتنفق فيها الأموال، ويثار حولها ما يثار من صدى، ثم لا تلبث حتى تموت، فلم تعد تحس لها من أحد، أو تسمع لها ركزا، فأتذكر أن قرارات هذا المؤتمر بلغت الثلاثين ولم تنفذ واحدة منها(٢).

كما كان ابن خميس ضمن الوفد الأدبي الذي سافر إلى الكويت؛ لبحث بعض القضايا المهمة في مجال الأدب(٣).

ومن إسهامات ابن خميس الاجتماعية والأدبية رئاسته للنادي الأدبي في الرياض، وهو أول رئيس للنادي(٤). وقد وجدتُ في محفوظات الأديب عبدالله

---

(١) الموجز في تاريخ الأدب العربي السعودي، ص١٩٠.

(٢) من محفوظات الأديب، إجابة لجريدة البلاد في ١٣٩٨/١٠/٨هـ.

(٣) ورقة مقدمة في الندوة التكريمية للشيخ ابن خميس، الخميس ١٤٢٢/١١/١٠هـ بمناسبة تكريمه في مهرجان الجنادرية السابع عشر.

(٤) جريدة الجزيرة، العدد ١٠٦٢٦، الخميس ١٦ من شعبان ١٤٢٢هـ، مقال [شخصيات في الذاكرة].

ابن خميس عدة مخاطبات بينه وبين آخرين عندما كان رئيساً للنادي الأدبي بالرياض ومنها: خطاب شكر من سمو الرئيس العام لرعاية الشباب، الأمير فيصل بن فهد رحمه الله للشيخ عبدالله ابن خميس على تكوين مجلس إدارة النادي الأدبي بالرياض[١].

ومن إسهاماته عضويته في لجنة إحياء تاريخ الدرعية وغيرها من اللجان[٢] وابن خميس رائد من رواد البحث والتنقيب يشهد له بذلك كتابه الرحلي الجغرافي (معجم اليمامة).

حاز الأديب ابن خميس جائزة الدولة التقديرية للأدب عام ١٤٠٣هـ، وهي عبارة عن مسكوكة ذهبية وزنها ٣٥٠ غراماً، ومئة ألف ريال تمنح سنوياً مدى الحياة، وتم إقامة حفل منح الجائزة في ٢٦ المحرم عام ١٤٠٤هـ [٣]، وقد أكد ابن خميس قيمة الجائزة في حوار معه لجريدة الرياض بمناسبة تكريمه في مهرجان الجنادرية السابع عشر[٤].

وبمناسبة فوز الشيخ ابن خميس بتلك الجائزة، أجرت معه عدة مجلات وصحف لقاءات ثرية بآرائه الأدبية القيمة، وأفكاره العميقة ضمن أسلوب رصين جميل مميز، وقد رصدتها مجلة العرب في العدد الذي أصدرته، بمناسبة منح جائزة الدولة التقديرية للأدب ومن تلك اللقاءات[٥].

---

(١) من محفوظات الشيخ ابن خميس، خطاب من سمو الرئيس العام لرعاية الشباب، بتاريخ ١٤٠٩/٨/٢٠هـ، مرفق صورة في آخر البحث، ص ٥٤٢.

(٢) مجلة الثقافة، العدد ٥٧، السنة الخامسة يونيو ١٩٧٨م، ص٦٢.

(٣) مجلة العرب، ج٩، ١٠، السنة ١٨، الربيعان ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م [عدد خاص بجائزة الدولة التقديرية للأدب]، ص٨٣٧.

(٤) جريدة الرياض، العدد ١٢٢٦٧، السنة ٣٨، ١٠ ذو القعدة ١٤٢٢هـ، ص٣٩.

(٥) مجلة العرب، ج٩، ١٠، السنة ١٨، الربيعان ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م، [عدد خاص بجائزة الدولة التقديرية للأدب]، ص٨٣٧.

١- مجلة الجيل في ١٤٠٤/١/٢٨هـ أجرى اللقاء طلعت عبدالملاك.
٢- جريدة الندوة ١٤٠٣/١١/١٦هـ محمد علي القدادي.
٣- مجلة الأربعاء ١٤٠٣/١١/١٩هـ علي الفقيه.
٤- رسالة الجامعة ١٤٠٤/١/٢٦هـ.
٥- جريدة الجزيرة ١٤٠٤/١/٢٧هـ.
٦- مجلة العرب ١٤٠٤/١١/٢٧هـ عبدالله الشدوخي.

وقد رُشح الشيخ عبدالله ابن خميس ليكون الشخصية الثقافية المكرمة في مهرجان الجنادرية السابع عشر وذلك في العام الهجري ١٤٢٢هـ.

فقد أعلن صاحب السمو الملكي الأمير متعب بن عبدالله بن عبدالعزيز، نائب رئيس اللجنة العليا لمهرجان الجنادرية، أن الأديب عبدالله ابن خميس هو الشخصية الثقافية التي يتم تكريمها في المهرجان السابع عشر[١]، و قد تبع هذا الاختيار، حضور الشيخ يوم افتتاح المهرجان وتشرفُه بالسلام على ولي العهد حفظه الله، وتم تقليده ـ أمد الله في عمره ـ وشاح الملك عبدالعزيز من الدرجة الأولى، وهو وشاح يمنح للشخصيات المتميزة المبدعة من أدباء، ومفكرين، ورجال سياسة، بما فيهم ملوك ورؤساء بعض الدول الإسلامية، والصديقة[٢].

ثم أقيمت في اليوم التالي للتكريم ندوة موسعة في قاعة الملك فيصل للمؤتمرات، ضمن نشاطات المهرجان بتاريخ ١٤٢٢/١١/١١هـ، واحتوت هذه الندوة على الحديث عن الجوانب الأدبية من حياة ابن خميس، والإعلامية والتاريخية؛ أدار الندوة الأستاذ خالد المالك؛ رئيس تحرير جريدة الجزيرة، وتحدث الدكتور أحمد الضبيب، عن الجانب الأدبي والدكتور عبدالرحمن الشبيلي، عن الجانب الإعلامي، والدكتور فهد السماري عن الجانب التاريخي.

---

(١) مجلة الفيصل، العدد ٣٥، ذو القعدة١٤٢٢هـ، ص٢٣.
(٢) المعلومات عن الوشاح، تحدث عنها الشيخ في مقابلة معه، بعد تكريمه، وذلك يوم الجمعة ١٤٢٢/١١/١٢هـ.

وقد تزامن مع ذلك التكريم لقاءات عدة، أجرتها معه بعض المجلات؛ وبعض الصحف مثل: ما برز في الملحق الثري الذي أصدرته صحيفة الجزيرة بهذه المناسبة[١].

كما حصل الشيخ عبدالله ابن خميس على وسام تكريم وميدالية فضية من مجلس التعاون لدول الخليج العربية عام ١٤١٠هـ؛ وقد تحدث عن اعتزازه بذلك التكريم حديثاً واسعاً في جريدة عكاظ[٢].

ومُنحَ الشيخ وشاح فتح مع ميداليته من منظمة التحرير الفلسطينية، ومما حازه الشيخ عبدالله ابن خميس من الأوسمة في البلاد الأجنبية الصديقة، وسام الشرف الفرنسي من درجة فارس، قلده إياه الرئيس الفرنسي (فرانسوا ميتران)؛ ومن الدول العربية وسام الثقافة من تونس، قلده إياه الرئيس الحبيب بورقيبه، وشهادة تكريم تسلمها من أمير دولة البحرين صاحب السمو الشيخ / عيسى بن سلمان آل خليفة رحمه الله بمناسبة الاحتفاء برواد العمل الاجتماعي من دول الخليج عام ١٤٠٧هـ.

ومما يقتنيه الشيخ؛ ميدالية ذهبية من جامعة الملك سعود، وميدالية ذهبية وأخرى فضية من جامعة الملك عبدالعزيز، وقلادة مركز الأمير سلمان الاجتماعي[٣][٤]، وخنجر ذهبي من جمعية الثقافة والفنون[٥].

---

(١) الجزيرة ١١ من ذي القعدة، الجمعة ١٤٢٢هـ، ملحق خاص بالمناسبة من سبعة عشر صفحة.

(٢) جريدة عكاظ ع٨٥٥٩ الثلاثاء ٢١ جماد الأولى ١٤١٠هـ، ص١٦.

(٣) زيارة لمنـزل الشيخ، والاطلاع على تلك الأوسمة والميداليات بتاريخ ١٦/١٢/١٤٢٢هـ.

(٤) ورد ذكر الأوسمة في لقاءات عدة حوارية مع الشيخ في الصحف والمجلات ومنها بالتفصيل في ملحق الجزيرة ١١ ذي القعدة ١٤٢٢هـ.

(٥) إفادة خطية من ابنته أسماء أثناء تكريمه في مهرجان الجنادرية السابع عشر ١٤٢٢هـ.

ومع ما للشيخ عبدالله ابن خميس من مكانة أدبية، وحضور اجتماعي بارز، فإنّ إسهاماته، ودوره الرائد الذي دائماً ما يسعى لتفعيله بالمبادرات السخية، الثرية التي لا تقل بأية حال عن بروزه ونبوغه في المجال الأدبي، والثقافي، ومن ذلك مبادراته الرائدة، بإهداء مكتبته الخاصة الثرية الزاخرة بمؤلفاته الموسوعية القيمة، والمؤلفات والمصنفات الأخرى للآخرين، والتي وصلت للشيخ إهداءً أو اقتناء؛ إلى مكتبة الملك فهد الوطنية؛ ذلك المعلم الحضاري الثقافي في مدينة الرياض. وقد تسلمت مكتبة الملك فهد الوطنية المكتبة كاملة من الشيخ يوم الإثنين ١١/٢/١٤١٨هـ، وكان عددها سبعة آلاف وسبعمئة وواحداً وأربعين مصنفاً على اختلاف في عدد أجزائها ومجلداتها، وقد تم تخصيص مكان بارز لها[١]، وصنفت ضمن المجموعات الخاصة، وتم لي زيارة مكتبة الشيخ في موقعها في مكتبة الملك فهد الوطنية بإذن من أمينها العام[٢]، بموجب خطاب أرفقت به صلتي بالبحث عن الأديب عبدالله ابن خميس، فوجدت من خلالها تجسيداً لما هو عليه أديبنا مؤرخاً ومحققاً وكاتباً موسوعياً، ومفكراً وباحثاً، وجغرافياً، من أعلام الأدب الحديث في الجزيرة العربية.

ويعبر الشيخ عن هذا الإهداء بأن مكتبته جزء من حياته وأنه أراد لها مكاناً أميناً لحفظها في حياته، وبعد مماته[٣] ويذكر الكاتب محمد القشعمي المسئول في مكتبة الملك فهد الوطنية أنه التقى بالشيخ ابن خميس في حفل تكريم الأدباء المسنين الذي أقامه مركز الأمير سلمان الاجتماعي عام ١٤١٩هـ، وهمس في أذن الشيخ (لقد أطلت الغياب عن أبنائك، ألا تحب أن تطمئن عليهم؟) فتبسم الشيخ وقال: [لقد تقاربت الخطى كما ترى، واطمأننت أنهم في مكان أمين]، وكان الشيخ يقصد وجود كتبه في مكتبة الملك فهد الوطنية[٤].

(١) نشرة أخبار مكتبة الملك فهد الوطنية، العدد ١٤، جمادى الآخرة ١٤١٨هـ، ص١

(٢) الأمين العام الأستاذ علي الصوينع.

(٣) جريدة عكاظ، العدد ٩٦٦١، السبت ١٩ رجب ١٤١٣هـ، ص١٨.

(٤) جريدة الجزيرة، العدد ١٠٧٣٧، الأربعاء ٨ ذي الحجة ١٤٢٢هـ، ص١٢.

وبالمناسبة، فإن صاحب السمو الملكي الأمير سلمان بن عبدالعزيز ثمن إهداء ابن خميس مكتبته الخاصة لمكتبة الملك فهد الوطنية، فقد أوردت في نشرة أخبار المكتبة خبراً مشفوعاً بصورة وثائقية، لخطاب شكر وشهادة تقدير، منحها صاحب السمو الملكي الأمير سلمان للشيخ الأديب عبدالله ابن خميس، بصفة سموه مشرفاً عاماً على مكتبة الملك فهد الوطنية(١).

وللشيخ عبدالله بن خميس معارك أدبية، دارت رحاها بينه وبين الكثير من الأدباء، وهي دليل واضح على سعة ثقافته ومطالعاته، وداع أكيد للبحث في مصادر المواضيع الأدبية والتاريخية والجغرافية واللغوية.

ولدى ابن خميس دعوة مبكرة لحرية الصحافة؛ فأثار بعض الموضوعات مثل: الزراعة والزيت، ومشكلة المياه.

وابن خميس خير من كتب وسجل أشعار الحربيات والعرضة وأهازيجها، ولـه إسهامات شتى في الإذاعة والتلفزيون؛ اشتهر ببرنامجه الشهير **(من القائل)** الذي استمر لمدة أربع سنوات وتضمن هذا البرنامج مواد نادرة لم يتطرق إليها أحد قبله(٢).

وفي التلفاز ساهم مساهمة فاعله في البرنامج الشهير (مجالس الإيمان) الذي كان يعرض في الثمانينات الهجرية وقد ذكر لي الشيخ ابن خميس أنه تعرض لبعض المواقف المحرجة من جراء صراحته وجرأته في الرأي عندما كان يرد على بعض الاستفسارات ضمن برنامج مجالس الإيمان التلفزيوني(٣).

---

(١) نشرة أخبار مكتبة الملك فهد الوطنية ع١٤،جمادى الآخرة ١٤١٨هـ، ص٢.

(٢) نقلا عن رأي سعادة الأمين العام المساعد لرابطة العالم الإسلامي الشيخ محمد بن ناصر العبودي، في مخاطبة خطية أتحفني بها تحت اسم [الريادة عند ابن خميس]، وصلتني بخطاب موثق من مكتب الرابطة بمكة برقم ٤١٣/٢٨، ١ المحرم في ١٤٢٣/١٢/١٨هـ. مرفق صورة آخر البحث، ص رقم ٥١٨-٥٢٠.

(٣) مقابلة مع الشيخ ابن خميس في ١٤٢٣/٥/١٦هـ.

وابن خميس أكثر من كتب **عن المياه ومصادرها في الجزيرة العربية**. وخدم الكثير من القضايا القومية بقلمه وفكره وجهوده.

ومن المهم أن نذكر شيئاً عن ريادة ابن خميس **لتفصيح الأدب العامي** الذي يسمى بالأدب الشعبي وذلك بتفسيره بالفصحى وتقريبه للباحثين فيها، فهو الذي ألف أول كتاب يبحث في هذا الموضوع بحثاً علمياً مبوباً وهو كتاب (الأدب الشعبي في جزيرة العرب).

ولابن خميس الريادة أيضاً في أنه من أوائل من دعوا إلى تعليم المرأة في المملكة العربية السعودية ومن ذلك القصيدة الشعرية التي ألقاها بعنوان **[الأم مدرسة]**، عندما كان طالباً في كلية الشريعة واللغة العربية بمكة، وقد ألقاها أمام خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز عندما تولى وزارة المعارف عام ١٣٧٢هـ، وتضمنت القصيدة دعوة صريحة إلى جانب تنموي اجتماعي يحتاجه المجتمع؛ وهو تعليم المرأة أُوردُ منها ما يلي(١):

رتل الأنغام لحناً مطرباً ... وأملأ الكون بياناً مسهبا
فارقبوهَا نهضةً علميةً ... يشهد العالم منها عجبا
يانصير العلمِ هلْ منْ شرعةٍ ... تمنعُ التعليمَ عن ذاتِ الخبا
كيف يرضى عالمٌ جاهله ... تقلبُ البيتَ جحيما مُلْهبا
أنا لا أدعو لأنْ نخرْجِهَا ... لتحُاذِي بالرجالِ المنكبَا

وفي هذه القصيدة تبرز لنا روح ابن خميس الطموحة الوثابة للإصلاح، والنهوض وحب العلم.

---

(١) ديوان على ربى اليمامة، عبدالله بن خميس.ـ ط٢.ـ الرياض: مطابع الفرزدق التجارية، ١٤٠٢هـ، ص٥٢٧. والقصيدة تربو على خمسة وعشرين بيتاً.

وقام ابن خميس بنشاط وطني مميز عبر مجلة الجزيرة ؛ **فقد عالج موقفنا من الزيت**، واستكتب قرابة عشرين أديباً حول هذا الموضوع، فكان علاجاً ناجحاً، أصدره في كتاب، أسماه (**بلادنا والزيت**)[1].

كما عالج بعض القضايا الوطنية والاجتماعية، والاقتصادية، عبر مجلة الجزيرة، وكانت كتاباته مقروءة، وناجحة؛ فيها شيء من الحرارة والجهاد الصحفي.

وصور الحضور الاجتماعي والأدبي لأديبنا عبدالله بن خميس كثيرة جداً من الصعب إحصاؤها، وقد أطلعني على مخاطبات عديدة بينه وبين الجهات الرسمية، تطلب منه المشاركة أو إبداء الرأي في الأمور الاجتماعية المختلفة، والأنشطة الأدبية، والمحافل العامة والخاصة أذكر منها:

١- نظراً لما للشيخ ابن خميس من إلمام تاريخي بسيرة الأسرة الحاكمة السعودية، فإنه دائماً ما يوكلُ لــــه من قبل الديوان الملكي إبداء الرأي فيما يصدره بعض المؤرخين والكتاب من الدول المجاورة عن تاريخ ملوك آل سعود.. ومن ذلك ما وجدته في أرشيف ابن خميس، من صورة لخطاب رد موجه إلى رئيس الديوان الملكي في عهد الملك خالد رحمه الله حول ما كتبه قدري قلعجي في مجلة [الجمهور]، عن حياة الملك فيصل، وما عرضه على جلالة الملك خالد من طباعة وإصدار ذلك في كتاب على نفقة جلالته[2].

٢- كانت وزارة الإعلام تطلب رأي الشيخ عبدالله ابن خميس فيما يعرض عليها من اقتراحات؛ وهي كثيرة؛ ومثالها مخاطبة بين الشيخ، وبين معالي وزير الإعلام آنذاك محمد عبده يماني حول إنشاء مجلة ودار للترجمة، تعنيان برصد ما يصدر في العالم عن لغة العرب[3].

---

(١) من مذكرات الشيخ ص٥٩. كتاب غير منشور.

(٢) من محفوظات ابن خميس، نموذج مرفق في مبحث الرسائل (الفصل الثالث)، ص ٤٥٤.

(٣) من محفوظات ابن خميس، نموذج موجه من وزير الإعلام في ١٣٩٨/٥/١٥هــ، نموذج مرفق في مبحث الرسائل (الفصل الثالث)، ص٤٧٥ ٤٥٣.

٣- ومن صور اهتمام ابن خميس بتاريخ الدولة السعودية، هناك مخاطبة بينه وبين معالي الشيخ حسن بن عبدالله آل الشيخ وزير التعليم العالي، يؤكد فيها ابن خميس وجود كتاب مترجم إلى اللغة العربية عن حملة إبراهيم باشا، وسقوط الدرعية وأنه من تأليف ضابط تركي، والشيخ ابن خميس يحث معالي الوزير رحمه الله على البحث عن هذا الكتاب، وأشار في الرسالة إلى مكان وجوده في بلاد العراق(١).

٤- يهتم ابن خميس بالإسهام بالرأي الثاقب في كل منشأة أدبية أو ثقافية في بلادنا، ففي رسالة وجهها الشيخ لرئيس مجلس جمعية الثقافة والفنون حين إنشائها، وطرح من خلالها فكرتين جديرتين بالاهتمام، وتتمثلان في جمع نتاج البحث الأكاديمي للسعوديين، من رسائل الماجستير والدكتوراه، ونشره ليطلع عليه أبناء المجتمع، والثانية نشر ما يصدر من كتب التراث التي يصدرها المثقفون(٢).

٥- للشيخ عبدالله ابن خميس مكانه في الشأن الاجتماعي والرسمي، فهناك رسالة من وكيل وزارة الداخلية للأحوال المدنية، يفيده فيها بإحصائية لأعداد الحجاج في عام ١٣٩٧هـ(٣).

٦- للشيخ عبدالله ابن خميس مشاركات وصلات وعلاقات بالجامعات في داخل المملكة، وخارجها؛ وهي عديدة وكثيرة يصعب حصرها، فهذا خطاب من عميد شؤون الطلاب بجامعة الملك سعود آنذاك عام ١٣٩٥هـ يأمل فيه من الأديب الشيخ ابن خميس لقاء يجمع بينه وبين أعضاء النادي الأدبي في

---

(١) من محفوظات ابن خميس، خطاب موجه من الشيخ ابن خميس إلى وزير التعليم العالي، والرد على الرسالة ١٣٩٨/٥/٢٤هـ.

(٢) من أرشيف ابن خميس، موجهة إلى رئيس جمعية الثقافة والفنون، تاريخ الرسالة ١٣٩٨/٨/١٠هـ، مرفق صورة منها، في مبحث الرسائل (الفصل الثالث)، ص ٤٤٨.

(٣) من أرشيف ابن خميس، خطاب من وكيل وزارة الداخلية ١٣٩٧/١٢/١٢هـ.

الجامعة؛ ليسهم به من عميق حديثه، وناضح فكره، ورأيه مما يكون زاداً للطلاب، في حياتهم العلمية والعملية(١).

أما ما يخص الجامعات خارج حدود البلاد، فكان التواصل بينهم وبين ابن خميس، يتم عن طريق إرسال إنتاجهم البحثي والصحفي؛ إهداء إلى الشيخ وطلب إبداء الرأي فيها(٢). وهناك أقوال تشير إلى أنّ للشيخ ابن خميس دوراً بارزاً في تعبيد الطرق في بلادنا، حيث إن الشركات التي قامت بتنفيذها كانت دراساتها قائمة على آراء الشيخ. وقد ورد الحديث عن ريادة ابن خميس في هذا المجال الخدمي المهم، في مقالة للكاتب عبدالله نور يقول: (ابن خميس ذاكرة أسطورية، وقد يكون غريباً على أبناء هذا الجيل، إذا نحن قلنا إنّ خطوط المواصلات المعبدة في منطقة نجد حين وضعت؛ كانت دراساتها قائمة على آراء الشيخ ابن خميس؛ لأنه هو الذي رجعت إليه شركاتُ تعبيدِ الطرقِ في معرفة الأودية، والمسالك والممالك، وغير ذلك)(٣).

ثالثاً : مصادر ثقافة الشيخ عبدالله ابن خميس:

١- انتقل الأديب الشيخ عبدالله بن محمد بن خميس من قرية الملقى إلى الدرعية؛ وعمره ثلاث سنوات، وكان والدهُ رحمه الله معروفاً بالعلم والفضل، وله من الآثار والأخبار الشيء الكثير؛ حيث كان قدوة ونبراساً يُقتدَى به في عصره؛ يرجع إليه الناس في كثير من أحوالهم، ويسألونه عن القصصِ والتاريخ(٤)، يقول الشيخ عن والده وأثره في ثقافته: (لقد كان ما اكتسبته من

---

(١) من أرشيف ابن خميس، خطاب من عميد شؤون الطلاب مؤرخ ١٣٩٥/٥/٢٨هـ.

(٢) من أرشيف ابن خميس، خطاب من جامعة الإمارات، عمادة كلية الآداب، بتاريخ ١٤٠٦/١٠/٢٩هـ.

(٣) الجزيرة، الخميس ١٠ ذو القعدة ١٤٢٢هـ، ص٣.

(٤) المجلة العربية، العدد ٢٦٣، ذو الحجة ١٤١٩هـ، ص٣٤ [حوار مع الشيخ الأديب عبدالله ابن خميس].

تحصيل في مجال العلمِ آنذاك، لا يعدو أن يكون مبادئ علوم القراءة، والكتابة، والحساب، وهو ما أخذته عن والدي، من قراءة في الكتب، وحفظ للأشعار، وبعض القصص والروايات، فلقد قرأت عليه رحمه الله بعض كتب ابن تيمية، وابن القيم، وصحيح البخاري، ومجموعة الحديث، وكان رحمه الله يأخذني معه إلى مجالس الجيران في المزرعة من آل عواد وآل ناصر، ونقرأ في تلك الكتب بعد مغرب كل يومِ)[١].

- ومن مصادر ثقافة الشيخ عبدالله ابن خميس، أنه عندما بلغ السابعة من عمره ألحقه والدهُ بكتاب الدرعية فتلقى مبادئ القراءةِ والكتابةِ والقرآنِ والتفسيرِ، على يد الشيخ عبدالرحمن بن محمد الحصان[٢]، وكان رجلاً حافظاً للقرآن، وإماما لمسجد ظهرة سمحان بالدرعية، ويذكر الشيخ ابن خميس أنه ختم القرآن نظراً[٣]، هو وأخوه صالح على يد هذا الشيخ[٤]، وكان لنشأة ابن خميس في الدرعية، أثر واضح في توجهه التراثي المحافظ.
- وأحاط الشيخ الأديب عبدالله ابن خميس بدراساته الثقافية، والتي لا تقف عند حد ولا تتوانى عن البحث عن مصادر الكتب، وأمهات الأدب العربي، فانتقل إلى مدينة الرياض، واتصل ببعض أعيانها، حيث تهيأت له أسباب القراءة، فأقبل على التراث العربي، يدرس شعره ونثره، ويستنبط معانيه من معجمات اللغة وقواميسها، حتى حفظ الكثير من النصوص الأدبية، وفهم الكثير من الألفاظ اللغوية.

---

(١) من مذكرات الشيخ عبدالله ابن خميس غير المنشورة : كتاب شؤون وشجون من واقع حياتي ص٢٠.

(٢) من أهالي الدرعية، ويطلق عليه (المطوع).

(٣) نظراً : تلاوة لا حفظاً.

(٤) من كتاب شؤون وشجون من واقع حياتي ص ٢٠ [غير منشور].

- كما اختار الشيخ الأديب عبدالله ابن خميس الأصدقاء في الرياض من ذوي العلم والمعرفة، وكانوا مصدراً ثراً لثقافته، ويذكر أن منهم فهداً المارك[١] الذي جمعته بالأديب صحبة، وكان يدرس آنذاك لدى الشيخ محمد بن إبراهيم، فكانت صلته به وشيجة، كما أن لها أثراً في تنمية مواهبهِ واستغلال ذكائه، وكان له فضل بعد الله في التحاق الشيخ ابن خميس فيما بعد بالدراسة النظامية، في دار التوحيد بالطائف.
- ومن مصادر ثقافته، ومما كان سبباً في براعته في وصف الأماكن، ذهابه إلى حائل لمدة عام كامل ودراسته على يد الشيخ سليمان السكيت وذلك قبل التحاقه بالدراسة النظامية في دار التوحيد بالطائف، ويروي الشيخ قصة ذهابه إلى حائل، وأنها كانت سبباً في تطوير معلوماته الحسابية، والكتابية بقوله: [جرت العادة أن يكتب من حملة سلاح الدولة سنوياً من الدرعية، ومن الخرج، وضرما، والرياض، ومنفوحة، عشرة أشخاص من كل بلدة وذلك في عهد المغفور له الملك عبدالعزيز رحمه الله هؤلاء يذهبون مرابطين في حائل باسم الرتب، وقد كتب من حملة السلاح من أهل الدرعية عشرة أشخاص، كان من بينهم "ناصر بن عبدالله بن نصار" الذي حالت ظروفه دون الذهاب إلى حائل، ولابد أن يستأجر من يذهب بدلاً عنه، بأجر معين ويسلمه بندقيته، فاتفقتُ معه على أن أنوب عنه، ولما جاءت السيارات التي تحمل المجموعات إلى حائل، لفت نظر هذه الحملة صغر سني، فما كان من بعض الحاضرين

---

(١) فهد المارك: ولد عام ١٣٢٨هـ في مدينة حائل. درس وتخرج في دار التوحيد بالطائف. تولى عام ١٣٦٨هـ قيادة عدد من المتطوعين السعوديين للجهاد في فلسطين. انخرط في سلك الخدمة الدبلوماسية عام ١٣٧٠هـ في كل من دمشق، وليبيا، وصنعاء، وأنقرة. له من المؤلفات (فهد بن سعد ومعرفة ثلاثين عاماً)، وكتاب (من شيم الملك عبدالعزيز)، وكتاب (سجل الشرف). توفي بمدينة الرياض ١٣٩٨هـ. انظر: تتمة الأعلام. محمد خير رمضان يوسف.ــ ط٢.ــ بيروت: دار ابن حزم، ١٤٢٢هـ، ٩٣/١.

إلا أن شفعوا لي أن أبقى فوافق، وذهبت إلى حائل، وكان ذهابي سبباً في تزويدي من التعليم، في القراءة والكتابة والحساب، حيث التحقت بمدرسة سليمان السكيت، طيلة مقامي بحائل، ولعلّ صاحب هذه المدرسة وفقه الله ورحمه آمين رأى مني شيئاً من النجابة، فعطف عليّ ولا حظني، وكانت هذه الخطوة في التعليم سبباً في طمعي بما هو أعلى وأغلى، وكانت أيامي التي قضيتها في حائل أعطتني دروساً وتجارب مع الرفقة الذين عشت معهم][1].

- ومن مصادر ثقافة الشيخ ابن خميس؛ اختياره من قبل المسئولين في الدولة للالتحاق بجهاز تحصيل الزكوات، فكان ما حصل عليه من معلومات حسابية وكتابية، أثناء دراسته في كتّاب الدرعية، وفي مدرسة سليمان السكيت بحائل، مشجعاً للمسئولين عن ذلك الجهاز، لإلحاق الشيخ ابن خميس ضمن كتبة ذلك الجهاز؛ هذه المهنة التي التحق بها مبكراً جعلته يتجول في الصحراء، ويواجه الكثير من المصاعب، ويتعرف إلى الأماكن، من جبال وهضاب وأودية، مما أثرى المعلومات الجغرافية لديه، وساعده في تأليف ما كتب من معلومات في مؤلفاته عنها، مثل معجم جبال الجزيرة ومعجم اليمامة ومعجم رمال الجزيرة، ومعجم أودية الجزيرة، وكتابهُ الشهير **[المجازبين اليمامة والحجاز]**"[2].

وبالمناسبة فإن ابن خميس عندما سئل عن أسباب براعته في وصف الأماكن، ذكر أن عمله في جهاز الزكاة، كان عاملاً مهماً في إثراء معلوماته، وفي مقام آخر سئل الشيخ أن الجزيرة العربية شاسعة ممتدة، فهل هناك موضع لم تطأه قدم ابن خميس، فأجاب بكل ثقة: ما أعتقد[3].

---

(١) كتاب شؤون وشجون من واقع حياتي ص ٢٢ [غير منشور].

(٢) مقابلة مع الشيخ في منـــزله في ١٤٢٣/٥/٦هـ.

(٣) صحيفة الجزيرة، العدد ١٠١١٧، ١٤٢٢/١١/١١هـ، ص١٣.

يقول الشيخ عبدالله ابن خميس في هذا الشأن " ولقد جرى لي في هذه الفترة التي أقضيها مع جباة الزكوات، شؤون وشجون وذكريات وانطباعات، ساعدتني على ما كتبته عن جغرافية الجزيرة العربية، وما لاقيته من تعب ونصب ومشقة، على ظهور الإبل أقضي الليالي تلو الليالي في الانتقال من ماء إلى ماء آخر، يذهب أمامنا رجال الباديةِ ليتجمعوا على الماء بمواشيهم، ولها رغاءُ وثغاءُ، وكانوا قبل يوم الزكاة يتبادلون الوِرد لمدة أربعةِ أيام، أما يوم الزكاة فيجتمعون على صعيد واحد"(١).

وينتقل الشيخ الأديب عبدالله ابن خميس من شمال البلاد إلى جنوبها، ومن شرقها إلى غربها، لجباية الزكاة، وهو ذلك النجيب الذكي الذي يلتقط بنظره وعقله، ويذكر من رفقته في جهاز الزكاة إبراهيم السالم، وعبدالعزيز الشقري وعبدالله بن سرحان، وعبدالعزيز بن مبارك، وسعود السياري(٢).

ونستكمل ما بدأناه عن الحديث عن مصادر ثقافة الأديب ابن خميس، ومنها: أنه ذكر في لقاء معه، أنه قضى شطراً من حياته قبل التحاقه بالدراسة النظامية في صحبة الأمراء فيصل بن سعد، وفهد بن سعد، وكان يقوم بكتابة الرسائل، والكشوفات، ومن خلال ذلك اكتسب الأديب شيئاً من الثقافة، وتعلم حسن الإدارة(٣)، كما ذكر الشيخ أنه رافق الملك عبدالعزيز في رحلاته في [التنهاة] و[خريم] و[الخفس] و[البجادية] وكان له فيها فوائد، وثقافة وذكريات(٤).

---

(١) شؤون وشجون من واقع حياتي ص ٢٥، [كتاب غير منشور].

(٢) المرجع السابق، ص٢٨.

(٣) مقابلة مع الشيخ عبدالله في منزله بتاريخ ١٠/٢/١٤٢٣هـ.

(٤) جريدة الرياض، ٢٨ ذو الحجة ١٤١٧هـ، من محاضرة [الأماكن الجغرافية في حياة الملك عبدالعزيز] التي ألقاها الشيخ عبدالله ابن خميس مساء يوم الأحد ١٤١٧/١٢/٢٧هـ بقاعة المحاضرات في مكتبة الملك فهد الوطنية.

- التحق الأديب عبدالله ابن خميس بالدراسة النظامية في دار التوحيد بالطائف، وقد أجمعت كتب الأدب السعودي على التحاقه بالدراسة المنهجية في دار التوحيد عام ١٣٦٤هـ[١]، وقد أكد الأديب لي ذلك في مقابلة معه، كما يذكر الشيخ قصة التحاقه بالدراسة النظامية في دار التوحيد بالطائف فيقول: (كنت على صلة بالأخ الصديق فهد المارك الذي تجمعني به الصحبة لدى الأمير فهد ابن سعد رحمه الله، وكان فهد المارك آنذاك يدرس لدى الشيخ محمد بن إبراهيم وكان يستعين بي أحياناً في مقابلة دروسه وحفظه، وفي يوم من الأيام أخبرني بأن مدرسة علمية فتحت بالطائف اسمها (دار التوحيد)، وقد أشار عليّ بالالتحاق بها كما وأنه قرر أن يكون ضمن طلابها، فقبلت مشورة الأخ فهد المارك، وذهبت لاستشارة والدي رحمه الله، ولكنه لم يشر عليّ، نظراً لدراستي بعيداً عن أهلي، وبلدتي الدرعية، ولكني أقنعته فاقتنع، وتوكلت على الله، فسافرت إلى الطائف للالتحاق بها ولكني وجدتها مغلقة، ووجدت رئيسها وبعض أساتذتها في مكة المكرمة، بمناسبة موسم الحج، فقصدت مكة والتقيت برئيسها الشيخ العالم الدمشقي بهجت البيطار، فسألني عن تحصيلي فأخبرته به، فقال إن الدار لا تقبل إلا حملة الشهادة الابتدائية، فحاولت معه وقلت إنني جئت راغباً ومقبلاً على الدراسة، بخلاف هؤلاء الذين تأخذونهم من القصيم وشقراء والمجمعة بالقوة فلم أفلح في إقناعه، وبعد تفكير ذهبتُ إلى الشيخ عبدالله الخليفي، وعرضتُ عليه الموضوع، وطلبت منه التوسط لدى الرئيس، فقال: سوف أفعل، فذهبت معه إليه وأشار أن لا يردني أنا وأمثالي فسوف يجد منا ما تقر به عينه، وسوف نكون واجهة طيبة لطلاب هذه الدار.

ولم يزل به حتى قبل على مضض، فأعطاني ورقة لنائبه في الطائف، الشيخ نسيب المجذوب تأمره بقبولي.

---

(١) الأدب الحديث تاريخ ودراسات. أ.د. محمد بن سعد بن حسين، ص٣٨١.

ومن ثم التحقت بالدار، واضطروا لفتح قسم أسموه (القسم التمهيدي) يهيئ لأخذ الشهادة الابتدائية فالتحقت بهذا القسم وعينتُ بالسنة السادسة، واختبرتُ أمام لجنة الشهادة الابتدائية، وحصلتُ على الترتيب الأول على المملكة، ولم أزل أترقى في الدار، حتى حظيت بثقة الجميع[١]".

وبمناسبة حديثنا عن التحاق الأديب عبدالله ابن خميس بدار التوحيد، وأنها مصدر كبير من مصادر ثقافته، فقد ذكر الأديب في لقاء معه[٢] " أنه لما جاء الملك عبدالعزيز رحمه إلى الطائف، ونزل الحوية، تهيأ رئيسها وأساتذتها ونخبة من طلابها للذهاب للسلام عليه ولابد من خطيب وشاعر يقف بين يديه، ويرحب به، ويهنئه بسلامة الوصول، وقد وقع الاختيار على الشيخ ابن خميس، فأعد قصيدة هي أول إنتاجه الشعري – ويستطرد الأديب ابن خميس قائلاً : لقد كان والدي رحمه الله يحفظ الأشعار، ويرويها، ويتغنى بها، فحصل لديه الانطباع في ذلك، ومحبة الأدب والشعر، فكان يحفظ ويروي، وربما عبث بقرض الشعر، لأنه لم يكن لديه من قواعد اللغة ما يحميه من قول الخطأ، فكانت القصيدة التي أعدها الأديب ابن خميس بمناسبة زيارة الملك عبدالعزيز إلى الطائف، هي أول قصيدة منقحة موزونة، تخلو من الخطأ واللحن ومنها :

تهللَّ فيك الشعبُ وافترَّ ثغرهُ ... وأقبلَ في ثوب الفخار يجرُّه
ونادى المنادي عندَ رؤياك قائلاً ... تبدّى لنا من ظلمة الليل فَجرُهُ
تدلُّ على عبدالعزيزِ فعالُه ... وقدْ طبّقَ الآفاق بالمجد ذكرُهُ

والقصيدة تربو على العشرين بيتاً [٣].

---

(١) من مذكرات الشيخ، شؤون وشجون من واقع حياتي،كتاب غير منشور، ص٣١.
(٢) مقابلة مع الشيخ في ١٦/١/١٤٢٣هـ.
(٣) مقابلة مع الشيخ عبدالله في ١٦/١/١٤٢٣هـ، كما ذكر ذلك في مذكراته غير المنشورة، ص٣٢.

دخل ابن خميس دار التوحيد تلميذاً، فصار مثالاً للأخلاق الفاضلة، وكان مثالاً للتلميذ النشيط، والزميل الحريص على مصلحة زملائه، وجلب السرور إليهم. ويذكر الشيخ أنّ صاحب السمو الملكي الأمير عبدالله الفيصل قد زار دار التوحيد، فمثل ابن خميس أمامه، يلقي أشعاره وكان بجانب ذلك متحدثاً بليغاً، فأعجب سمو الأمير به أيما إعجاب وانتزع أيضاً إعجاب الحاضرين[(١)].

وقد أورد ابن خميس في مذكراته أن طلاب دار التوحيد أنشأوا نادياً أدبياً، يقام كل يوم خميس ويحضره جملة من الأدباء والشعراء وخصوصاً أعيان نجد المقيمون في الطائف، وقد أُسْنِدَتْ إدارة النادي إليه، فظل يديره مدة إقامته في دار التوحيد، وهي أربع سنوات، وكانت تُلقى فيه قصائد ومحاضرات وندوات على مستوى من الجودة، والإتقان[(٢)]، ويذكر ابن خميس أنه أخذ يزاول قرض الشعر، وإلقاءه في هذا النادي، وبدأ ينشر إنتاجه، منه ويبعث به إلى جريدة المدينة، وجريدة البلاد السعودية، ومجلة المنهل، ويعتبر ابن خميس السنوات الأربع التي قضاها في دار التوحيد من أحلى أيام حياته، ويتحدث عن غزارة المعلومات، التي كان الطلبة يحفظونها **مثل ألفية ابن مالك، ومتن كتاب الزاد، وبلوغ المرام، ومتون أخرى**[(٣)].

ومن مصادر ثقافة الشيخ عبدالله ابن خميس دراسته، **بعد حصوله على شهادة دار التوحيد في كلية الشريعة واللغة العربية بمكة المكرمة**. ويذكر ابن خميس أنهم يقضون شطراً من أوقاتهم بالحرم المكي الشريف، في المذاكرة

(١) المرجع السابق ص٥٠.
(٢) انظر: كلمة الشيخ عبدالله ابن خميس في افتتاح نادي دار التوحيد، كتاب النهضة الأدبية بنجد. حسن الشنقيطي، ص٧٧.
(٣) شئون وشجون من واقع حياتي [غيرمنشورة]، ص ٣٧.

والحفظ ومسامرة المحابر والدفاتر، وقد كلفه العلامة حمد الجاسر رحمه الله أثناء دراسته في كلية الشريعة واللغة بمكة، بالإشراف على طباعة مجلة اليمامة حيث كانت تطبع هناك لدى مطبعة أنوار السعودية، بعد نقل مكان طباعتها من بيروت[١]، وقد نال ابن خميس شهادة كلية الشريعة واللغة بمكة المكرمة.

ولذا فابن خميس لديه إلمام بعلوم الشريعة، مما جعل ولاة الأمر يوكلون إليه وظيفة المدير العام لرئاسة القضاء، التي هي نواة وزارة العدل اليوم، في فترة من فترات حياته، وبالمناسبة فإن الشيخ يحتفظ بأوراق إجابته عندما كان طالباً في كلية الشريعة واللغة العربية، ولقد منحني الشيخ نماذج منها، فوجدته ذلك الطالب النجيب النبيه القوي في طرح إجاباته، يجيد الاستدلال، ولديه حافظة قوية، تمكنه من التعامل مع الأسئلة.

وحريٌّ بنا ونحن نتحدث عن مصادر ثقافة الشيخ عبدالله بن محمد بن خميس أن نتحدث عن شيوخه الذين درس على أيديهم، قبل الدراسة النظامية أو بعدها ونذكرهم كما أوردهم الشيخ في مذكراته.

١- والده الشيخ محمد بن خميس رحمه الله كان يحضر معه حلقات الذكر، التي كانت تضم الكثير من أهل الدرعية، وقد ذكر الشيخ عن والده الكثير من المآثر، في مقابلات عدة في الصحف والمجلات، منها ما ورد في المجلة العربية: يقول: "والدي لــــه من الآثار والأخبار، ومن العلم والفضل الشيء الكثير، كان قدوة ونبراساً مضيئاً، كان يُقتدى به في عصره، عالم يرجع إليه الناس في كثير من أحوالهم[٢].

(١) المرجع السابق ٣٧.

(٢) المجلة العربية، العدد ٢٦٣، ذو الحجة ١٤١٩هـ، ص٣٤-٣٦.

٢- الشيخ عبدالرحمن بن محمد الحصان، وكان ممن يسميه الناس آنذاك المطوع، يدرس في كتاب الدرعية، وهو إمام مسجد ظهرة سمحان، حيث سكنت عائلة الشيخ ابن خميس، كان حافظاً للقرآن[١].

٣- ومن شيوخ الأديب عبدالله بن خميس، حمد بن سلطان من أهالي ملهم[٢] وكان على حظ وافر من العلم، والمعرفة بالقرآن الكريم وتفسيره، وبعض العلوم الدينية كالفقه والفرائض.

٤- ومنهم الشيخ عبدالرحمن بن مبارك، من أهالي حريملاء، استزاد الشيخ على يديه من العلوم التي كان يقوم بتدريسها في حلقات المساجد، والشيخ على بن داوود من أهالي حريملاء[٣]، ولأسرة آل داوود مكانة علمية في نجد، وكانوا دعاة لتلقي العلم.

أما العلوم المنهجية، فقد تلقاها عندما كان في دار التوحيد بالطائف، والتي حصل منها على الشهادة الابتدائية والثانوية، ومن ثم في كلية الشريعة، واللغة العربية بمكة المكرمة وهم:

١- الشيخ بهجت البيطار الدمشقي[٤] كان رئيساً لمدرسة دار التوحيد بالطائف، ويعتز ابن خميس دائماً بترشيح الشيخ البيطار له لإلقاء

---

(١) شؤون وشجون من واقع حياتي، ص١١.

(٢) من ضواحي الرياض، تبعد ٨٠ كيلا إلى الشمال، وهي بلدة تقع في إقليم الشعيب فوق حريملاء، انظر تاريخ اليمامة، ٣٠٥/٣.

(٣) من ضواحي الرياض، تبعد ٩٠ كيلا إلى الشمال، وهي قاعدة (الشعيب)، من أقاليم بلاد اليمامة، وقد ذكرها الشيخ ابن خميس في تاريخ اليمامة، ١٧/٣.

(٤) بهجت البيطار الدمشقي: ولد بدمشق عام ١٣١١هـ درس في المدرسة الكاملية من المدارس الأهلية ودرس اللغة الفرنسية، اعتنى بدراسة العلوم العربية والدينية والعقلية، عضو في المجمع العلمي بدمشق، والمجمع العلمي العراقي. رحل إلى المملكة العربية السعودية ثلاث رحلات وتولى خلالها عدة إدارات لمنشآت علمية آخرها دار التوحيد بالطائف عام ١٣٦٤هـ ومن مؤلفاته (حياة شيخ الإسلام ابن تيمية)، وكتاب (الرحلة النجدية الحجازية). توفي عام ١٣٩٦هـ، انظر: المجلة العربية، العدد ٨٧، السنة الثامنة، ربيع الآخر ١٤٠٥هـ، ص٢٦.

قصيدة أمام الملك عبدالعزيز[١].

٢- الشيخ عبدالله بن صالح الخليفي[٢] رحمه الله وقد رأى في الشيخ ابن خميس النباهة، والتفوق مما جعله يسانده في دراسته ويشجعه.

٣- ودرس الشيخ عبدالله بن خميس على يد بعض المشايخ من آل سرحان، هم ثلاثة إخوة محمد وعبدالسلام وعبداللطيف، وكانوا متخصصين في اللغة والأدب ومن أساتذة كلية اللغة العربية بجامعة الأزهر، وندبوا للعمل في المملكة، وهؤلاء كانوا ممن يتفانون في سبيل تدريس أبنائهم، وتزويدهم بالعلم والمعرفة، ولا يزال ابن خميس يلهج بذكرهم، ويثني عليهم وعلى إخوانهم، الذين جاد بهم وادي النيل[٣].

٤- وممن احتشدت بهم مخيلة الشيخ الأديب عبدالله ابن خميس الشيخ محمد متولي الشعراوي[٤] رحمه الله فقد كان أحد مدرسيه في كلية الشريعة واللغة العربية بمكة المكرمة، وكان مما يدرسه للطلاب مادة الإنشاء،

---

(١) مقابلة تلفزيونية في برنامج (بين أيديهم)؛ إعداد وتقديم محمد رضا نصر الله في ١٤٢٣/٥/٢٧هـ.

(٢) عبدالله بن صالح الخليفي: ولد في البكيرية على رأس هذا القرن، أخذ مبادئ القراءة والكتابة على خاله الشيخ محمد الخليفي. نزح إلى حائل ودرس على علمائها. عمل قاضياً في كل من المدينة المنورة والجوف والطائف، ومدرساً في دار التوحيد، ومن مؤلفاته (تمرين الرائض لمعرفة علم الفرائض). توفي عام ١٣٨١هـ، انظر (علماء نجد خلال ستة قرون)، الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن البسام.ـ ط١.ـ مكة المكرمة: مطابع النهضة الحديثة، ١٣٩٨هـ، ٥٥٣/٢.

(٣) من مذكرات الأديب ابن خميس، شؤون وشجون من واقع حياتي، غير منشورة، ص٢٧.

(٤) الشيخ محمد متولي الشعراوي: ولد عام ١٩١١م بقرية دقادوس، بمحافظة الدقهلية بمصر. حفظ القرآن في الكتاب، وحصل على الشهادة الأزهرية، ومن مؤلفاته (شرح معجزات الأنبياء والمرسلين)، (الإسراء والمعراج). توفي عام ١٩٩٨م. انظر: الشيخ محمد متولي الشعراوي، إمام العصر، للمؤلف أحمد المرسي حسين جوهر.ـ ط١.ـ القاهرة: نهضة مصر للطباعة والنشر، د.ت.

وكان يتخير الموضوعات الإنشائية الحية، ومما أورده الشيخ ابن خميس في مذكراته حول الشيخ الشعراوي ومادة الإنشاء، أن الموضوع الذي طرحه الشعراوي في إحدى المرات يدور حول بيت من الشعر لأمير الشعراء أحمد شوقي هو:

ولا خيرَ في الدنيا ولا في حقوقِها   إذا قيلَ طلابُ الحقوقِ بغاةُ[١]

وكان هذا البيت من الشعر بمناسبة اشتداد وطأة الإنجليز على مصر أيام الاحتلال ، ويذكر الشيخ ابن خميس أنه كتب موضوعه شعراً على زنة البيت وقافيته، في قصيدة تربو على تسعة عشر بيتاً، موجودة كاملة في مذكرات الشيخ غير المنشورة[٢] منها :

أمالك يا ركب الحياة هداة   وقد ظل في الليل البهيم سراة
يقودونه نحو النجاة خديعة   وليس مع البغي الصراح نجاة
سوى ما يرجِّيه المهيض بمهمه   له النسر إلف والذئاب أساة
فيالك من ركب يغذ مسيره   وغاية ادلاج المسير شتات!

يقول الشيخ ابن خميس أن الشيخ الشعراوي عندما اطلع على القصيدة في جملة أوراق الإنشاء نفحها بعبارات إطراء وتقدير، نذكر منها:

---

(١) المرجع السابق ص٣٩. وانظر: ديوان على ربى اليمامة. عبدالله ابن خميس، من ص١٩٩-٢٠٤.

(٢) من مذكرات الأديب ابن خميس، شؤون وشجون من واقع حياتي ص٤٠ ـ ٤١.

وما قولهم هذا بضائر فتية — توقد في أرواحهم جمرات
لهم أن يقولوا ما أرادوا وردنا — إذا ما حدقناه لهم حسرات
وما كان أولى أن يقول أميرنا — عفا الله عنه - كم لـــه حسنات
(ولا خير في الدنيا ولا في حقوقها — إذا لم يكن إلا الشكاة أداة)
أرجيك عبدالله يا ذر غيرة — لها من قوافيك الحسان بنات
ومثلك يرجى أن ذلك أول — وفيه لمرجو النبوغ نواة[١]

ولابد ونحن نتحدث عن مصادر ثقافة ابن خميس، أن نذكر أنه أثناء وجوده في الحجاز احتك بأدبائها ومثقفيها أمثال: عبدالله عريف[٢]، وأحمد محمد جمال[٣]، ومحمد حسن عواد[٤]، ومحمد حسن فقي[٥]، وعبدالقدوس

---

(١) المرجع السابق ص٤٠ ــ ٤١. وانظر ديوان على ربى اليمامة، عبدالله بن خميس، ص١٩٩-٢٠٤.

(٢) عبدالله عريف: ولد بمكة المكرمة عام ١٣٣٥هـ، رأس تحرير صحيفة البلاد السعودية منذ صدورها. أديب وكاتب من مؤلفاته (مكة منارة الإشعاع الإسلامي). توفي عام ١٣٩٧هـ. انظر: معجم الأدباء والكتاب، ص٢٣٣.

(٣) أحمد محمد جمال: ولد بمكة المكرمة عام ١٣٤٣هـ. التحق بالمعهد العلمي السعودي. شغل عدة وظائف في المحكمة الكبرى بمكة ورئاسة القضاء، ووزارة الداخلية في عام ١٣٨٧هـ. عين بمجلس الشورى. من مؤلفاته (على مائدة القرآن)، (مكانك تحمدي)، (من أجل الشباب) وغيرها. توفي عام ١٤١٣هـ بالقاهرة، ونقل إلى المملكة ودفن بمقابر المعلاة بمكة. انظر: أدباء سعوديون ترجمات شاملة، مصطفى حسين، ص٧١.

(٤) محمد حسن عواد: أحد زعماء الأدب الحديث في المملكة العربية السعودية. ولد بجدة عام ١٣٢٠هـ، وتلقى تعليمه في مدارس الفلاح. تولى رئاسة النادي الأدبي بجدة، جمعت مؤلفاته في مجلدين الأول (أعمال العواد الكاملة) والثاني (مسائل اليوم). توفي عام ١٤٠٠هـ. انظر: الموجز في تاريخ الأدب العربي السعودي، ص٦٦.

(٥) محمد حسن فقي: ولد بمكة المكرمة عام ١٣٣١هـ، وتعلم بمدارس الفلاح بجدة، عمل سفيرا للمملكة في أندونيسيا عام ١٣٧٤هـ. شاعر وكاتب من أعماله: (المجموعة الشعرية الكاملة)، (مذكرات يومية)، و(قدر ورجل). انظر: معجم الأدباء والكتاب، ص٢٧٨.

الأنصاري[١] ومحمد حسين زيدان[٢]، وأحمد إبراهيم الغزاوي[٣] وعزيز ضياء[٤]، ومحمد سعيد العامودي[٥][٦] ولقد تفاعل هذا الشاب النجدي الذي وفد على البيئة الحجازية مع أولئك فأكسبه قوة وانطباعاً جيداً عن الحجاز، وقد ذكر ابن خميس في مقابلة تلفزيونية، أنه يعترف بفضلهم عند ما قال عن أدباء

---

(١) عبدالقدوس الأنصاري: ولد بالمدينة المنورة عام ١٣٢٤هـ، ودرس بالحرم النبوي الشريف على أيدي طائفة من علماء المدينة، ثم التحق بمدرسة العلوم الشرعية بالمدينة المنورة، بعد أن نال الشهادة العالية من تلك المدرسة، انتقل إلى مكة المكرمة وعمل رئيساً لجريدة (أم القرى). أنشأ مجلة (المنهل) عام ١٣٥٥هـ، وتوفي رحمه الله تعالى عام ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م. انظر: أدباء سعوديون، ترجمات شاملة، مصطفى حسين، ص ٢٧١-٢٧٥.

(٢) محمد حسين زيدان: من مواليد ١٣٢٧هـ. ولد في المدينة المنورة، وتعلم فيها. التحق بالتدريس ثم الوظائف العامة. تقاعد عام ١٣٧٤هـ. رأس تحرير مجلة الدارة منذ عام ١٣٩٥هـ، من مؤلفاته: (سيرة بطل) (خواطر مجنحة). توفي عام ١٤١٢هـ في مدينة جدة. انظر: الموجز في تاريخ الأدب السعودي، ص١٣٠.

(٣) أحمد بن إبراهيم الغزاوي. ولد عام ١٣١٨هـ بمكة المكرمة، اهتم شخصياً بتكوينه العلمي. التحق بالمدرسة الصولتية ثم مدرسة الفلاح، وهو أديب وشاعر. توفي عام ١٤٠١هـ في مكة المكرمة، انظر: موسوعة الأدباء والكتاب السعوديين خلال ستين عاماً، ١٤/٣.

(٤) عزيز ضياء: ولد في المدينة المنورة عام ١٣٣٢هـ. تلقى تعليمه في مدارس المدينة. التحق بالكلية الأمريكية ببيروت. عمل في وزارة الدفاع، ثم مديراً عاماً للخطوط السعودية، من مؤلفاته (ماما زبيدة)، (الحصاد)، وغيرها. انظر: أدباء سعوديون، ترجمات شاملة، ص٣٣٩.

(٥) محمد سعيد العامودي: ولد بمكة المكرمة عام ١٣٢٣هـ. قرشي النسب. تخرج من دار الفلاح بجدة عمل في وزارة البرق والبريد والهاتف، ثم وزارة المعارف، واختير عضواً بمجلس الشورى لعدة سنوات، من مؤلفاته قصة (رامز)، و(من أوراقي). انظر: أدباء سعوديون، ترجمات شاملة، مصطفى حسين، ص٤٣٣.

(٦) الإثنينية، عبدالمقصود محمد سعيد خوجه. جدة ١٤١٠هـ، الجزء الثامن، حفل تكريم عبدالله ابن خميس، ص٩٦-١١٢.

الحجاز" أولئك يعتبرون أساتذتي ومن الناس الذين أعوِّل على حياتهم النفيسة واعتبرهم قدوة لي وأنا مدين لهم"(١).

ومن مصادر ثقافة ابن خميس، لقاؤه بأدباء الأحساء عندما كان مديراً لمعهد الأحساء العلمي عام ١٣٦٩هـ، وأثناء ذلك أصدر مجلة [هجر] التي يقول عنها "إنها بداية لأعمال تطورت، وتنورت ووصلت إلى ما وصلت إليه " ويستطرد الشيخ متحدثاً عن مجتمع أدباء الأحساء فيقول: "إنه مجتمع طيب أعتز به وأفخر، فهم من الطراز المثالي الأول"(٢).

وقد تأثر الشيخ عبدالله ابن خميس بعمالقة الأدب في عصره في البلدان العربية ومنهم مصطفى صادق الرافعي وزكي مبارك وأحمد حسن الزيات ونهج على المنهج الذي نهجوه وهو مبدأ اعتنى به يقول: "قرأت مجلة الرسالة وقرأت عن الزيات الكثير وأخذت عنه الكثير وأنا مدين للزيات في كتبه وفكره وانطباعه، وأشكره وأذكره وأدعو له بالرحمة وأن يجعله من الصالحين(٣).

وقد رثى الشيخ الأديب ابن خميس الزيات بعد وفاته، ولعلّ إصداره لمجلة الجزيرة امتداد لمجلة الرسالة.

كما تأثر ابن خميس بالمتنبي الشاعر العباسي(٤) في أشعاره، فصاغ قصائده بديباجة عباسية. حضاري في معالجة القضايا، كما تأثر بالشعراء العراقيين في العصر الحديث وعلى رأسهم الجواهري والرصافي وقد التقى بهم وتحدث معهم، عندما مثل المملكة في مؤتمر الأدباء العرب في بغداد(٥).

---

(١) مقابلة تلفزيونية في برنامج (بين أيديهم) في ١٤٢٣/٥/٢٧هـ.

(٢) المرجع السابق.

(٣) المرجع السابق.

(٤) المتنبي: ولد أحمد بن الحسين المتنبي في الكوفة، عام ٣٠٣هـ/٩١٥م. قدم الشام في صباه. مدح سيف الدولة الحمداني ولازمه. قتل في رمضان عام ٣٥٤هـ/٩٦٥م في بغداد. انظر: الأعلام، خير الدين الزركلي، ١١٥/١.

(٥) مقابلة تلفزيونية في ١٤٢٣/٥/٢٧هـ.

ويقتني الشيخ ابن خميس أشرطة صوتية تسجيلية لأولئك الشعراء العراقيين، مهداة منهم له(١).

ومن مصادر ثقافة الشيخ الأديب عبدالله ابن خميس رحلاته للخارج وقد تركت أثراً في نفسه، وجعلته ينتج مؤلفات زاخرة بالمعلومات بأسلوب أدبي رفيع مثل: [شهر في دمشق] [وجولة في غرب أمريكا].

ونخلص مما سلف إلى أن ابن خميس صاحب خلفية ثقافية متمكنة، وكان منهجياً هادئاً رصيناً، ظهرت في كتاباته ثقافته الغنية بمادتها العلمية والأدبية، والتاريخية، واللغوية، وأضاف من خلالها إلى الأدب الشيء الكثير، إذ كان يلجأ إلى مخزونه الفكري، وثقافته الواسعة في تقرير أحكامه، لا إلى الذوق والملكة فقط.

يقول ابن خميس عندما سئل عن مصدر ثقافته في جريدة البلاد " تسألوني عن ثقافتي وكيف كونتها ؟ فرغم أني أحمل شهادة عالية في الشريعة واللغة العربية؛ إلا أنها ليست إلا مفتاحاً وحافزاً لتكوين ثقافتي، فلقد جعلت من القلم زميلاً، ولم أزل. فحصلت من هذه الطرق ما قدر الله لي أن أحصل عليه بدون أن يكون لي من الشهادة العالية إدلال أو اعتداد، فما المرء إلا حيث يجعل نفسه، ووصيتي لجيلنا الناشئ ألا تكون الشهادة قصارى جهده، وأن تكون له همة عالية، ومطلب أسمى، يدرك ما أدركه الرجال الكمل، ذوو الطموح والعبقرية"(٢).

وفي لقاء آخر أجرته معه المجلة العربية يقول(٣) " أقرأ الكتب التي بين يدي، والتي يسمح بها الزمن وتسمح بها الظروف، وأقرأ المجلات والصحف، والتهمها التهاماً، وأقوِّم ما أقوِّم به نحوها من النقد، والمقارنة والنزول معها وعليها ما استطعت إلى ذلك سبيلاً".

---

(١) زيارة لمكتبة الشيخ الصوتية في منــزله.

(٢) جريدة البلاد في ١٤٢٣/١٠/٨هـ، ووجدت نص اللقاء في محفوظات الأديب ابن خميس في رد خطي موجه من رئيس تحرير مجلة البلاد.

(٣) المجلة العربية ع٢٦٣ ذو الحجة ١٤١٩هـ، ص٤٠.

ونختم الحديث عن مصادر ثقافة الشيخ الأديب عبدالله ابن خميس، بكلام خطي لابنته الكاتبة المعروفة أميمة الخميس في مخاطبة وجهتها إلى إثنينية الشيخ عثمان الصالح، التي أقيمت بمناسبة تكريم ابن خميس، واختياره الشخصية الثقافية في مهرجان الجنادرية السابع عشر.

تقول " إن مرآة الذاكرة تجلب لي رائحة شجيرة الياسمين، التي كانت تتسلق الواجهة الشمالية لبيتنا في حي الملز، كان والدي هناك بداخل المشهد من النادر أن أراه دون كتاب بين يديه، مما جعل خيال طفولتي يصور الكتاب كأحد أعضاء جسده وأذكر في مكتبته التي كانت عبارة عن جدران مرصوفة بالكتب من الأرض إلى السقف، تلك الكتب التي قضى جلّ عمره في جمعها وتنظيمها "(١).

وللعلم فإن لدى الشيخ ابن خميس ثقافة زراعية جيدة، نظراً لاشتغال والده رحمه الله بالفلاحة مما أكسبه ثقافة علمية في هذا الميدان، فأُشربت فيه روحُ الزراعة، وحبَّ عادتها وتقاليد أهلها، كذلك تراه لا يني عن إشعال هذه الجذوة وامدادها بالوقود حيناً بعد حين(٢).

رابعاً : سيرة ابن خميس العملية(٣):

ونستكمل الحديث عن مسيرة الشيخ عبدالله ابن خميس العملية، فنجد أنه عندما أوشكت الدفعة التي من ضمنها الشيخ على التخرج في كلية الشريعة واللغة العربية بمكة، عين مديراً لمعهد الأحساء العلمي عام ١٣٧٥هـ ويروي الشيخ قصة تعيينه مديراً لمعهد الأحساء في مذكراته غير المنشورة فيقول: [كان الشيخ

(١) ورقة مشاركة في احتفالية الشيخ عثمان الصالح التي احتفى فيها بالشيخ ابن خميس بعد تكريمه في مهرجان الجنادرية السابع عشر، وذلك في ١٤٢٣/١١/١٥هـ.

(٢) في الأدب السعودي : فنونه واتجاهاته. د. محمد صالح الشنطي، ص١٣٢.

(٣) السيرة العملية للأديب الشيخ عبدالله بن خميس، موجودة في جميع المؤلفات التي ترجمت له.

محمد بن إبراهيم[١] الرئيس العام للمعاهد العلمية والكليات قد كتب إلى جلالة الملك سعود، يطلب عشرة من هذه الدفعة ليعينوا في المعاهد العلمية، وكنت أحد هؤلاء العشرة، وفي هذه الأثناء كان مندوب من الشيخ محمد بن إبراهيم الذي كان بمقره بمكة بموسم الحج يدعوني لزيارة الشيخ بمقره بمكة، وتناول الغداء معه، فجئت إليه رحمه الله وكان عنده كتاب تاريخ لم أتذكر اسمه، فناولني الكتاب وقال: اقرأ علينا في هذا الكتاب حتى يأتي الغداء، فقرأت عليه ما يقرب من نصف ساعة، ثم قال لي: إننا قد اخترناك مع بعض زملائك، لخدمة بلادك وأمتك في المعاهد العلمية فكونوا على أهبة الاستعداد حتى يصلكم التوجيه، وهكذا حتى وصلني خطاب منه، بالتوجه مديراً لمعهد الأحساء العلمي وأن عليّ المرور بالشيخ عبداللطيف بن إبراهيم في الرياض، لأخذ التعليمات، ففعلت وتوجهت بعد المرور على الرياض، إلى الأحساء ونزلت ضيفاً على الوجيه سليمان بن محمد بالغنيم، وسعيت في استئجار دار للمعهد، وتأثيثه، وشراء السيارات اللازمة وبدأت في تسجيل الطلاب، وكان الإقبال عليه في أول الأمر محدوداً، ولكن المكافأة التي قررت الدولة صرفها لطلاب المعاهد كانت سبباً في كثرة الإقبال عليه[٢]].

ثم في عام ١٣٧٧هـ عين الشيخ ابن خميس مديراً لكلية الشريعة واللغة العربية بالرياض، وهما الكليتان القائمتان الآن ضمن كليات جامعة الإمام محمد ابن سعود الإسلامية.

---

(١) هو العلامة المحدث الفقيه الشيخ محمد بن إبراهيم بن عبداللطيف بن عبدالرحمن بن حسن ابن شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب. ولد بمدينة الرياض عام ١٣١١هـ. مفتي الديار السعودية ورئيس القضاة. حفظ القرآن حفظاً تاماً وهو في السادسة من عمره. قرأ على يد كثير من المشائخ وتخرج على يده أفواج من العلماء له الكثير من المؤلفات والرسائل والفتاوى. توفي رحمه الله عام ١٣٨٩هـ. انظر: مشاهير علماء نجد وغيرهم للمؤلف عبدالرحمن بن عبداللطيف آل الشيخ ـ ط٢ ـ دار اليمامة، ١٣٩٤هـ، ص١٦٩-١٨٤.

(٢) مذكرات الشيخ : كتاب شؤون وشجون من واقع حياتي / ص٥٤ ـ ٥٦ / غير منشور.

وفي عام ١٣٧٧هـ عين ابن خميس مديراً عاماً لرئاسة القضاء، والتي هي نواة لوزارة العدل الحالية وواصل عمله بها مدة خمس سنوات.

وخلال تلك المدة أصدر الشيخ مجلة الجزيرة، ثم أوقفت لمدة أربع سنوات واستؤنف صدورها بوصفها صحيفة يومية، بعد ظهور نظام المؤسسات الصحفية، وكذلك ظهرت بعض مؤلفاته إلى النور، ومنها كتاب (بلادنا والزيت)[١] و(شهر في دمشق)[٢].

وفي عام ١٣٨٢هـ صدر أمر ملكي، بتعيين الشيخ عبدالله ابن خميس وكيلاً لوزارة المواصلات.

وفي عام ١٣٨٥هـ تم تعيينه رئيساً في ديوان المظالم، ولكنه اعتذر عن قبول هذا العمل[٣].

وعين عضواً في مجلس إدارة شركة كهرباء الرياض، وفي تلك الأثناء كلّفه صاحب السمو الملكي الأمير سلمان بن عبدالعزيز أن ينوب عنه في إمارة الرياض حينما يكون خارج البلاد.

ويذكر ابن خميس في مذكراته أن سموه عرض عليه وكالته كمنصب وظيفي ولكنه اعتذر[٤]. في عام ١٣٨٦هـ أصبح الشيخ عبدالله بن خميس رئيساً لمصلحة مياه الرياض.

---

(١) تمَّ إصدار كتاب (بلادنا والزيت) عام ١٣٧٩هـ.

(٢) تم إصدار كتاب (شهر في دمشق) عام ١٣٧٤هـ.

(٣) مذكرات الشيخ : كتاب شؤون وشجون من واقع حياتي / ص ٦٤ [غير منشور].

(٤) ورد ذلك في مذكرات الشيخ غير المنشورة (شئون وشجون من واقع حياتي)، ص٦٥-٦٦. وورد ذلك في مقالة بعنوان (الجنادرية وتكريم الرواد)، جريدة الرياض، بقلم يحيى الأمير، الأربعاء ٢٣/١٠/١٤٢٤هـ، العدد ١٢٩٥٩، السنة الأربعون، شوال ١٤٢٤هـ، وكذلك في مقال بعنوان (الشيخ عبدالله ابن خميس ٨٣ عاما من العطاء) بقلم عماد العباد، جريدة الرياض، العدد ١٢٢٦٧، السنة ٣٨، الخميس١٠ ذو القعدة ١٤٢٢هـ، ص٣٩.

ويذكر الشيخ أنه لا قى بها في أول الأمر العنت، فالرياض تتطور باليوم والمياه شحيحة والشبكة الموجودة منها تالفة مهترئة وسيارات نقل الماء (الوايتات) قليلة والمصلحة مع ذلك مطالبة باستحصال قيمة الماء من المواطنين... الخ[١].

وفي عام ١٣٩٢هـ قدم الشيخ عبدالله ابن خميس طلباً للإحالة للتقاعد بكامل راتبه والتفرغ للبحث والتأليف، فقبل الملك فيصل الطلب، وأمر بإحالته للتقاعد، ونص في الأمر أن التفرغ للعمل الثقافي، والتأليف النافع[٢].

بقيت مع الشيخ ابن خميس بعض الأعمال الجانبية مثل نيابة الأمير سلمان في لجنة جمع التبرعات لمجاهدي فلسطين، وعضوية المجامع العربية اللغوية، وعضوية دارة الملك عبدالعزيز، وعضويته في جمعية البر بالرياض، وعضويته في لجنة الإعلام العليا، ورئاسة الجمعية التعاونية بالدرعية، ونائباً لرئيس مجلس إدارة مؤسسة الجزيرة الصحفية، ورئاسة مجلس إدارة مطابع الفرزدق[٣].

وهذه المعلومات عن الأعمال الجانبية دونها ابن خميس في مذكراته التي أتمها عام ١٤١٣هـ.

وفي مقابلة مع الشيخ أفاد أنه قد تخفف من المسؤوليات العامة، ما عدا عضوية مجمع اللغة العربية في القاهرة، والإشراف على أعماله الخاصة، في مطابع الفرزدق التجارية[٤].

خامساً : آثاره ومؤلفاته:

أديبنا عبدالله ابن خميس نموذج فريد، لم تلهه الكراسي والمناصب الحكومية عن الكتاب، فقد كان الكتاب يلازمه في كل مجلس، مما جعله يظل أميناً للكتاب،

---

(١) مذكرات الشيخ، كتاب شئون وشجون من واقع حياتي، ص٦٧ [غير منشور].

(٢) المرجع السابق ٦٨.

(٣) المرجع السابق ٦٨.

(٤) مقابلة مع الشيخ في مزرعته عمورية بتاريخ ١٤٢٣/٣/١٠هـ.

وفيا للقلم، واتخذ قراراً في عام ١٣٩٢هـ بالتفرغ للتأليف والقراءة، فقد ألف في مجال الرحلات، وراح ينافح عن الأدب الشعبي، وله رأي مفاده أن القصيدة الشعبية هي الابن الشرعي للقصيدة العربية، وألف في المجال القصصي، فطن قلمه لجميع الفنون والتيارات، ولم يقتصر على نهر معين، بل ارتوى من جميع الأنهر، وجمع أزهاره من كل البساتين، ونذكر آثاره ومؤلفاته فيما يلي :

١- **شهر في دمشق** وهو كتاب رحلات ضمنه ابن خميس خواطر وذكريات، وهو باكورة إنتاجه التأليفي، صدر عام ١٣٧٥هـ. عن مطابع الرياض، ويقع في ١٤٦ صفحة.

٢- **الأدب الشعبي في جزيرة العرب** صدر عام ١٣٧٨ هـ، عن مطابع الفرزدق التجارية، وهذا الكتاب دراسة أدبية، وقد شرح ابن خميس في مقدمة كتابه الدوافع التي حدتْ به للقيام بهذه الدراسة، وفي مقدمتها إيمانه أن الأمم العظيمة تعتز بذاتها، وبصفة خاصة ما اتصل منه بذاتيتها في لغتها وأساليب تعبيرها الأدبي. ويرى ابن خميس أنه إذا كان الدارسون غير العرب، من المستشرقين قد درسوا تراث العرب القديم، فإن العرب أنفسهم أولى بالقيام بهذا الواجب، ويرى أن الشعر الشعبي ما هو إلا امتداد للشعر الفصيح، في أوزانه ومضامينه، وأساليب أدائه.

وابن خميس بتأليفه ذلك الكتاب فتح باباً واسعاً لدراسة ذلك الأدب في بلادنا، ولم يكن في ذلك جامعاً فقط، كما كان قد فعل بعض الباحثين الذين جمعوا بعض الأشعار العامية جمعاً عشوائياً، وقد أكد الباحثون ريادة ابن خميس في هذا المجال[١]. وقد ورد في صحيفة الجزيرة، أن أديباً عراقياً قد حصل على

---

(١) مخاطبة من الشيخ محمد بن ناصر العبودي : الأمين العام المساعد لرابطة العالم الإسلامي، رداً على استفسار من الباحثة حول الريادة عند ابن خميس.

شهادة الدكتوراه عن رسالة تحدثت عن الأدب الشعبي، ومعظم فصول الرسالة مسروقة من كتاب ابن خميس الأدب الشعبي[١].

٣- المجاز بين اليمامة والحجاز: صدر عن دار تهامة، في الحلقة رقم ٤٦ من سلسلة الكتاب العربي السعودي ١٤٠٢هـ، وهو كتاب أدبي جغرافي، اعتمد على الرحلة في معلوماته، ويقع في أربعمائة واثنتين وخمسين صفحة ٤٥٢، في هذا الكتاب يبين ابن خميس الطرق التاريخية، والآثار الجغرافية، والأدبية؛ إذ نهج ابن خميس نهجاً طريفاً في تحقيق المواقع والآثار والمنازل، ومواطن القبائل في الجزيرة العربية من خلال الشعر العربي القديم والحديث، ومن خلال الشعر الشعبي، فجاء تحفة جامعة لمعلومات مثيرة ومفيدة وشاملة[٢]، ويذكر علي جواد الطاهر أن الكتاب وصف لطريق الحج من الرياض إلى مكة المكرمة، وبه عشر خرائط[٣]. وعدّه أكثر الباحثين من كتب الرحلات الأدبية.

٤- **الشوارد:** وقد صدر عن دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، عام ١٣٩٤هـ، في ثلاثة أجزاء، وهو كتاب مختارات شعرية، من الأبيات التي يُستشهد بها في المناسبات، ويتمثل بها، وتجري على الألسن، مما كان يحفظه المؤلف، أو يقصده، ثم زاد عليه مما اختاره، ورتبها حسب قوافيها على حروف الهجاء، وذيّل ما عرف ابن خميس منها باسم

---

(١) صحيفة الجزيرة العدد ١٥٣، بتاريخ ١٣٨٥/٣/١٥هـ، ص٢٩.

(٢) موسوعة الأدباء والكتاب السعوديين خلال ستين عاما. أحمد سعيد سلم.ـ ط١.ـ دار المنار للطباعة والنشر، ١٤١٢هـ، ص٣٠٨

(٣) معجم المطبوعات العربية. علي جواد الطاهر.ـ ط١.ـ بغداد: المكتبة العالمية، (د.ت)، ص٤٨.

الشاعر، وإلا وضع ثلاث نقاط للقارئ علامة على أن المؤلف يجهل القائل، وقد افتتح ابن خميس كتابهُ ببيتين طريفين يقول فيهما:

جميع الكتب يدرك من يراها ملال أو فتور أو سآمة
سوى هذا الكتاب فإن فيه بدائع ما تُمَل إلى القيامة [(١)]

٥- **الدرعية العاصمة الأولى:** كتاب أدبي تاريخي، صدر عن مطابع الفرزدق التجارية، عام ١٤٠٢هـ، في أربعمائة واثنتين وتسعين صفحة، والنهج الذي سار عليه ابن خميس، هو إلقاء نظره على اليمامة قبل العهد السعودي، ومن ثمّ أوضح بروز الدرعية خلال القرن التاسع الهجري، والثالث تكلم عن اليمامة في العهد السعودي، وقيام نفوذ آل سعود، وفيه سرد لأخبار الدرعية العلمية، قبل الدعوة السلفية، وأخيراً تحدث عما يخص العقيدة السلفية[(٢)].

٦- **من جهاد قلم في النقد:** صدر عن مطابع الفرزدق التجارية عام ١٤٠٢هـ، ويقع في أربعمائة وسبع عشرة صفحة، هذا الكتاب جمع فيه الشيخ ابن خميس حصيلة ما كتبه في النقد، سواء ما كتبه ناقداً، أو معقباً به على نقد موجه إليه، ومعظم مادة الكتاب تخصُّ ما كُتِبَ عن تاريخ المملكة، أو جغرافيتها أو أدبها أو لغتها، وبعضها يرجع إلى أكثر من ربع قرن[(٣)].

٧- **بلادنا والزيت:** صدر عن النادي الأدبي بالرياض، ١٣٧٩هـ، ويقع في مائة وست وخمسين صفحة، والكتاب مشروع وطني، كما ذكر ابن

---

(١) الشوارد. عبدالله ابن خميس.ــ ط١.ــ الرياض: دار اليمامة بالرياض، ١٣٩٤هـ، ص٢.
(٢) انظر: الدرعية.ــ ط١.ــ مطابع الفرزدق التجارية، ١٤٠٢هـ.
(٣) انظر: من جهاد قلم في النقد.ــ ط١.ــ مطابع الفرزدق التجارية، ١٤٠٢هـ.

خميس في مذكراته جاء بأقلام نخبة من رجال الفكر، جمعها ابن خميس. عالجوا موقفهم من الزيت وهي قضية وطنية واجتماعية[١].

٨- **معجم جبال الجزيرة** وهو مؤلف ضخم من خمسة أجزاء، وهو كتاب أدبي جغرافي، صدر عن مطابع الفرزدق التجارية، عام ١٤١٠هـ، ويقع الجزء الواحد في ستمائة وتسع وخمسين صفحة ٦٥٩، معجم رائد في جبال الجزيرة العربية، أشبه بالموسوعة الجغرافية التي يندر وجودها في المكتبة العربية، وقد استعان المؤلف بمصادر عديدة لرصد مادته بالمعلومات الكاملة، من علمه الجبلي الجغرافي وصفاً وتحديداً وتاريخاً غنياً بالأحداث القديمة والمعاصرة، فضلاً عن المادة الأدبية الشعرية، التي اعتاد ابن خميس توظيفها في تأكيد حقائقه الجغرافية والتاريخية، والأحداث القصصية وذلك في كثير من مؤلفاته[٢]، وقد أهدى المؤلف الكتاب لخادم الحرمين الشريفين، حين صاغ المقدمة هدية شعرية في فاتحة كتابه ومنها قوله :

يا خادم الحرمين كم أوليتها   من منة ما لم تكن إلا لها[٣]

٩- **من القائل:** كتاب من أربعة أجزاء في الشعر والحكم الأمثال وهو عبارة عن موضوعات أدبية، وأبيات شعرية، تقدم في صورة أسئلة إلى الشيخ، وكان قد أجاب عنها خلال برنامجه الإذاعي الشهير (من القائل)، والذي استمر لمدة أربع سنوات، واستقطب الكثير من المستمعين داخل البلاد

---

(١) من مذكرات الشيخ ابن خميس، شئون وشجون من واقع حياتي، غير منشور، ص٦٠.

(٢) المجلة العربية ع١٥٢ / ١٤١٠هـ / ص١٧٧.

(٣) معجم جبال الجزيرة. عبدالله بن خميس.ــ ط١.ــ الرياض: مطابع الفرزدق التجارية، ١٤١٠هـ، ص٣.

وخارجها، ثم جمعها في هذا الكتاب؛ لتكون لها الديمومة والحفظ لما لها من فائدة أدبية وتاريخية[١].

يقول الشيخ محمد بن ناصر العبودي " إن برنامج من القائل تضمن مواد نادرة لم يتطرق لها أحد، ولذلك فابن خميس رائد في هذا المجال[٢].

وللمؤلف إبراهيم سعد الحقيل كتاب سماه (وقفات نقدية مع من القائل لابن خميس)[٣]، صدر الكتاب عن مطابع الفرزدق التجارية عام ١٤١٧هـ.

١٠- **على ربى اليمامة**: ديوانان اثنان في مجلد واحد، "أصداء من الجزيرة العربية" وقد صدر عن مطابع الفرزدق التجارية، عام ١٣٩٧هـ، ويقع في ٦١٤ صفحة، وقد أهداه الشيخ إلى والده في ثراه رحمه الله ، يقول: (إلى أبي في ثراه رحمه الله، فلقد ألهمني الشعر رواية، وأسمعنيه صدىً، وشدني إليه تشجيعاً، وعلمني من نهجه دروساً من الأخلاق والحياة، فكل ما في هذا الديوان ثمرة نواة غرسها بيده، وتعهدها برعايته، وغذاها بحنانه، وتربيته، فإليه أهدي ثمرة غرسه)[٤].

١١- **معجم اليمامة** [وهو كتاب جغرافي أدبي من جزأين] وقد صدر عن دار اليمامة ويقع في ١٢٦٢ صفحة صدر عام ١٣٩٨ هـ، يقول الشيخ عن هذا الكتاب في لقاء معه في مجلة العرب [هو نتيجة عمل خمس عشرة سنة قمتُ بالتجول خلالها في ربوع الجزيرة العربية وقابلتُ وبحثتُ وسألتُ ومشيتُ وقمتُ بأشياء كثيرة في سبيل إخراج هذا المؤلف حتى خرج[٥]]. ولذا رأيتُ إدراجه في كتب الرحلات.

---

(١) انظر: من القائل. عبدالله ابن خميس.ـ ط١.ـ الرياض: مطابع الفرزدق التجارية، ١٤٠٦هـ.

(٢) مخاطبة من الشيخ العبودي للباحثة، بتاريخ ١٨/١٢/١٤٢٣هـ.

(٣) وقفات نقدية مع من القائل لابن خميس. إبراهيم الحقيل.ـ ط١، (د.ن)، ١٤١٧هـ.

(٤) على ربى اليمامة. عبدالله بن محمد بن خميس.ـ ط٢.ـ الرياض: مطابع الفرزدق، ١٤٠٣هـ، ص٥.

(٥) مجلة العرب، العدد ١٠، المجلد ٩، ١٤٠٤هـ، ص١٢١.

١٢- **من أحاديث السمر** "هو كتاب قصصي، يحتوي قصصاً واقعيةً من قلب الجزيرة العربية. ويقع في ١٤٩ صفحة، وقد صدر عن مطابع حنيفة عام ١٣٩٨، وقصص هذا الكتاب ترقى إلى مستوى القصة، لها مدخل وفيها حبكة ونهاية، وتتخللها فضاءات تخصب الخيال ولا تخلو جميعها من شاهد شعري، أو مثل بليغ أو شاهد ومثل.

١٣- **من أهازيج الحرب وشعر العرضة** صدر عن مطابع الفرزدق التجارية عام ١٤٠٢هـ، ويقع في ٣٦٨ صفحة، جمع فيه ابن خميس شعر العرضة، وهي أول نذر الحرب والتجمع لها، والعرضة التي تحتفظ بها الأمة في السلم للسلوى والذكرى، وفي الحرب للنذر والاستعداد(١).

١٤- **تاريخ اليمامة** [سبعة أجزاء وهو كتاب أدبي تاريخي] وللعنوان تفسير ورد بجانب العنوان [مغاني الديار ومالها من أخبار وآثار]، صدر عام ١٤٠٧هـ عن مطابع الفرزدق التجارية، ويقع الجزء في ٤٥٠ صفحة، وقد طبع على نفقة الأمير سلمان بن عبدالعزيز أمير منطقة الرياض.

١٥- **جولة في غرب أمريكا:** كتاب رحلات، صدر عن مطابع الفرزدق التجارية، عام ١٤١٤هـ. والكتاب يقع في مئة صفحة، مدعم بالصور، ذو أسلوب أدبي رفيع، ويوضح ابن خميس، أن رئاسة تحرير صحيفة الجزيرة طلبت منه أن يكتب عن تلك الرحلة، وتم ذلك حيث نشر ابن خميس حديث تلك الرحلة إلى أمريكا في ثلاث حلقات، في جريدة الجزيرة ومن ثم قام الشيخ ابن خميس بطبعها في

---

(١) انظر: أهازيج الحرب أو شعر العرضة. عبدالله بن محمد بن خميس.ـ ط١.ـ الرياض: مطابع الفرزدق التجارية، ١٤٠٢هـ.

هذا الكتاب، وعلى صفحة الغلاف يورد ابن خميس الأبيات التي شجعته على تأليف كتاب عن تلك الرحلة يقول:

تهانينا برحلتك السعيدة ... لأمريكا وأوروبا البعيده
فزدنا من حديثك عن بلادٍ ... لدى قرائنا الدنيا الجديده
وعبدالله كاتبنا قدير ... بوصف شائق يبني الجريده
يسر القارئين بكل مغنى ... يصاغ بفكرة منكم سديده[(١)]

١٦- **الديوان الثاني** وقد صدر عن مطابع الفرزدق التجارية عام ١٤١٣هـ وهو ديوان شعر، وقد ذكر الشيخ في مقدمته أنه المولود الثاني في عالم الشعر، وما جاءت مادته كلها بعد وصيفه الأول، وإنما توفرت بملتقطات من المجلات والصحف والمنشورات التي ضممتها على يدي فترة طويلة، فاجتمعت لدي مادتها، ولكي لا تُفْقَد هذه المادة، فقد أحببت أن يحتفظ بها هذا الجزء، وقد زين ابن خميس غلاف هذا الديوان بأبيات من شعر الحكمة يقول:

صبرت لها على ما تبتغيه ... ورضت العقل عما تمتريه
وقلت لها ثقي بالعهد مني ... بأن الدون لست أشتريه
فما للمرء خير في سبيل ... إذا كان العلا لا تشتهيه
سأحملها على كسب المعالي ... وأركبها على السنن الوجيه
وأن جرّعتُ سمّاً من أذاها ... وذقتُ مرارة الألم الكريه[(٢)]

(١) جولة في غرب أمريكا، عبدالله بن خميس، ط١ مطابع الفرزدق، الرياض ١٤١٤هـ، ص [غلاف الكتاب].

(٢) الديوان الثاني. عبدالله ابن خميس.ــ ط١.ــ الرياض: مطابع الفرزدق التجارية،١٤١٣هـ، ص٢٢.

١٧- **راشد الخلاوي حياته وشعره** كتاب سيرة أدبية. تحكي عن ذلك الشاعر، وحكمته وفلسفته، ونوادره، وحسابه الفلكي. صدر عن دار اليمامة بالرياض عام ١٣٩٢هـ[١].

١٨- **من جهاد قلم ٢** [فواتح الجزيرة]. صدر عن مطابع الفرزدق التجارية، عام ١٤٠٤هـ، ويروي الشيخ ابن خميس في مقدمة كتابه، أن مادة هذا الكتاب مضى عليها ما يزيد على عشرين عاماً، وأنها كتبت على شكل فواتح لمجلة الجزيرة، وصحيفة الجزيرة، وقد أعطت، وبلغت مبلغها، فإن بعض هذه المواد كتب في زمن حصل بعده التغيير والتبديل، فلم يعدلها في هذا الزمن فعالية سوى أنها ذكرى، وأثر مضى دوره، والذكرى هي صدى السنين الحاكي، ومن حقنا أن نرعى لهذا القلم جهاده، ونبقي له أثره"، وهو كتاب يقع في ٥٧٢ صفحة[٢].

١٩- **من جهاد قلم ٣** [محاضرات وبحوث]. صدر عن مطابع الفرزدق التجارية، ١٤٠٥هـ، وقد جمع فيه الأديب الشيخ ابن خميس المحاضرات، والبحوث، التي تم لـه المشاركة بها في كثير من المنتديات الأدبية داخل البلاد وخارجها، ومنها ما كان قد سبق نشره في الصحف، مثل المحاضرة التي ألقاها في جمعية الثقافة والفنون عن "الشاعر عبدالمحسن الهزاني" وفي دارة الملك عبدالعزيز، محاضرة بعنوان "الأماكن الجغرافية في حياة الملك عبدالعزيز"، ومحاضرة بعنوان "نتائج حرب حزيران" ويقع الكتاب في ٣٠٦ صفحات.

٢٠- **رمال الجزيرة** – كتاب أدبي جغرافي، وقد صدر عن مطابع الفرزدق التجارية، عام ١٤١٩هـ، ويقع في ٥٠٤ صفحات.

---

(١) راشد الخلاوي. عبدالله ابن خميس.ـ ط١.ـ الرياض: دار اليمامة،١٣٩٢هـ.

(٢) فواتح الجزيرة. عبدالله ابن خميس.ـ ط١.ـ الرياض: مطابع الفرزدق، ١٤٠٤هـ، ص٢.

٢١- **أودية الجزيرة** [جزءان وهو كتاب أدبي جغرافي]. صدر عن مطابع الفرزدق التجارية، عام ١٤١٩هـ، ويقع الجزء في ٣١٤ صفحة.

٢٢- **رموز من الشعر الشعبي تنبع من أصلها الفصيح** وهو كتاب: (دراسة شعرية)، وقد طبعته مطابع الفرزدق التجارية، عام ١٤١٢هـ.

ويقول ابن خميس في مقدمة كتاب رموز من الشعر الشعبي تنبع من أصلها الفصيح: "منذ أكثر من أربعين سنة مضت، وأنا أخوض غمرات المعارك الكلامية على صفحات الجرائد، وفي الإذاعة والتلفاز، وأيضاً في الندوات والجلسات المنزلية، مدافعاً عن أدبنا الشعبي بعامة وتراثنا الشعري منه بخاصة، وكم حدث اختلاف في وجهات النظر بيني وبين زملاء لهم مكانتهم، أجلهم وأحترمهم"(١).

٢٣- وقد واكب احتفال المملكة العربية السعودية بالذكرى المئوية لدخول الملك عبدالعزيز للرياض، أن أخرج الأديب عبدالله بن خميس كتابه **لمحات من تاريخ الملك عبدالعزيز** عام ١٤١٩هـ، ولم ينشر الكتاب بعد؛ وهو مؤلف أدبي تاريخي موثق يقع في ستمائة وثمان وعشرين صفحة، وقد تحدث الأديب ابن خميس عن هذا الإصدار في المجلة العربية فقال " ولما جاءت مناسبة الاحتفال المئوي التي تقام عن مآثر الملك عبدالعزيز، أفردت لـه كتاباً ضمنته أخبار هذا المؤسس، وأحواله، وآثاره، وتحدثت عن جهاده، ومكانته في مجتمعه الذي كان في وضع لا يحسد عليه، من جهل وفرقة وشتات، ثم أصبح مثلاً أعلى لهذه الأمة، عندما عمل عبدالعزيز رحمه الله على تطويره وتنويره، حيث رفع شأنه وأعلى مكانته، وجعله مضربا للمثل، من كل زمان ومكان، وأخرج لنا أمة تحدثت بها الأمم(٢)(٣).

---

(١) رموز من الشعر الشعبي تنبع من أصلها الفصيح. عبدالله ابن خميس.ـ ط١.ـ الرياض: مطابع الفرزدق، ١٤١٢هـ، ص٥.

(٢) المجلة العربية، ع٢٦٣، ذو الحجة ١٤١٩هـ، ص٣٧.

(٣) تحتفظ الباحثة بنسخة من الكتاب غير المنشور.

٢٤- **شئون وشجون من واقع حياتي** كتاب مذكرات وسيرة ذاتية، أتم الشيخ تأليفه عام ١٤١٣هـ، ولكنه لم ينشر بعد، فهو على ذلك يعتبر كتاباً مخطوطاً، وهو فريد شمل في معظمه مذكراته الشخصية، ونماذج من مقدمات كتبه، وصوراً للأوسمة والميداليات التي حصل عليها، ومذكراته زاخرة بمواقف عديدة في حياته العلمية، والعملية يقول في مقدمته "هو سجل حافل لسبعين عاماً، فيها مرارة الحياة وحلاوتها، ومنها شظف العيش ولينه وفيها تقلب الدهر خشونة وليونة، ولو كنا نعنى بتسجيل اليوميات، ونحافظ على الذكريات، لكنا اخترنا أسفاراً تستحق التسجيل، ودونا معلومات فيها من العظات والعبر الشيء الكثير[1].

ويقول "لقد سجلتُ في هذا الكتاب قطراً من بحر، ومجة من لجة، بعضها ما واتاني به الاستذكار، وبعضها ما سمحتْ الظروف بتسجيله، وبعضها ما أراه يتفق مع هذه المذكرات، وهذا الكتاب ليس خاصاً بالمذكرات الشخصية، فبعضها قد تناول شيئاً من مذكراتي، وبعضه تناول بعض المطارحات الأدبية، والمساجلات الشعرية، ومنه مواقف لبعض الأصدقاء والمحبين والأدباء والشعراء، أكرموني بها وخصوني ببعض الثناء، وطيب المعشر، وحلو المفاكهة، والمنادمه"[2].

ويواصل الشيخ الحديث عن كتابه قائلاً " يعلم الله أنني ما أردت إشاعتها، ونشرها من أجل حب الثناء ورغبة في الظهور، وإنما من أجل تخليد هذه الذكريات، وبقاء هذه الصداقات.

وإنما المرء حديث بعده فكن حديثاً حسناً لمن وعى[3]

---

(١) مذكرات الشيخ، شئون وشجون، غبر منشور، ص٥.

(٢) المرجع السابق، ص٧.

(٣) البيت موجود في مقصورة ابن دريد.

ويختم ابن خميس مقدمته لكتابه شئون وشجون من واقع حياتي قائلاً: "هذا ما قدمته لأمتي، وما أفنيت فيه عمري، وهذا ضرب من جهادي، ورمز من حصادي، أقدمه لا مدلاً ولا متبجحاً، ولكن عسى أن يكون فيه أسوة وقدوة، وأقول إن عسى ما أحرزته من شهرة، وذكر حسن، هو ما أقدمه أبغي به ذكراً في الصالحين، وأجراً في المحسنين ولسان صدق في الآخرين"(١).

وقد تحدث ابن خميس عن هذا الكتاب الذي ضمنه بعض مذكراته في لقاء أجراه معه الدكتور عبدالله الحيدري في مجلة الأدب الإسلامي، حيث قال رداً على سؤال المحرر، حينما سأله عن الوقت الذي يمكن فيه قراءة سيرة ابن خميس الذاتية مطبوعة؛ في كتاب فرد الشيخ قائلاً :

"ألفت كتاباً في هذا الموضوع، وحينما عرضته على الجهة المختصة لكي تفسحه، طلبت اللجنة حذف أجزاء كثيرة منه، ولهذا أبقيته على ما كان ليبقى لمن خلفي(٢). كما تحدث الشيخ عن مذكراته في لقاء حواري معه، في جريدة الرياض بمناسبة تكريمه في مهرجان الجنادرية، وفي ذلك الحوار، دافع الشيخ عن كتابه شئون وشجون من واقع حياتي، وبيّن أنه حرص على أن تكون مذكراته جامعة مانعة، وأنّ ما جاء فيها حق وصدق وأمانة(٣).

وقد ورد عنوان هذا الكتاب ضمن القائمة البيليوجرافية بآثار ابن خميس، التي أعدها أحمد المقحم في مجلة مكتبة الملك فهد الوطنية، وقد أشار أحمد المقحم في سرده للقائمة إلى عنوان الكتاب ضمن مؤلفات ابن خميس التي في المكتبة، وتاريخ تأليف الكتاب ١٤١٣هـ وأنه طبع في مطابع الفرزدق ويقع في ٢٦٤ صفحة(٤).

---

(١) مذكرات الشيخ، شئون وشجون، ص٨.

(٢) مجلة الأدب الإسلامي، المجلد الثاني، ع٣١، ١٤٢٢هـ، ص٤٢.

(٣) جريدة الرياض، العدد ١٢٢٦٧، السنة ٣٨، الخميس ١٠ ذو القعدة ١٤٢٢هـ، ص٣٩.

(٤) مجلة مكتبة الملك فهد الوطنية، ع١١، ١٤٢١هـ، ص٤٢٩.

وقد أورد الأستاذ علي بن سليمان الصوينع، أمين عام مكتبة الملك فهد الوطنية حالياً عنوان هذا الكتاب ضمن القائمة الببليوجرافية المشروحة لمصادر التراجم السعودية[1]. وشرح محتواه فقال: [شئون وشجون من واقع حياتي] يتناول الكتاب سيرة عبدالله ابن خميس، ومذكراته خلال سبعين عاماً من حياته، بما يشمل نسبه، وأسرته، ومولده، وأولاده، وقد روى المؤلف سيرته بأسلوب قصصي سلس، تخلله الكثير من المفارقات الأدبية، والمساجلات الشعرية، وأوضح عن الكثير من جوانب حياته، وعلاقته بالآخرين في مختلف مجالات الحياة، كما يضم أحد فصول الكتاب ترجمة ودراسة، كتبها عبدالله ابن ناصر الوهيبي عن ابن خميس؛ نشرت في كتاب النهضة الأدبية في نجد عام ١٣٦٨هـ، ثم استعرض المؤلف بعض أعماله ومؤلفاته في بقية الفصول، وفي نهاية الكتاب ملحق لصور الأوسمة والأوشحة التي تقلدها ابن خميس تقديراً لأعماله).

٢٥- وقد كان للأديب عبدالله بن خميس جهودٌ أخرى، في إعداد بعض الكتب، وكتابة مقدمات لبعض المؤلفات بطلب من مؤلفيها، نظراً لمكانته نذكر منها[2].

(١) إملاء ما من به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات في جميع القرآن/ تأليف الإمام محب الدين أبي البقاء عبدالله العُكْبَري يرحمه الله ؛ إعداد عبدالله ابن خميس. صدر عن مطابع الفرزدق التجارية، عام ١٤١٥هـ.

(٢) (أسئلة وأجوبه من غرائب التنزيل)؛ إعداد عبدالله بن خميس والكتاب من تأليف محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر الرازي، صدرت الطبعة الأولى عام ١٤١٥هـ عن مطابع الفرزدق التجارية.

---

(١) مجلة مكتبة الملك فهد الوطنية، المجلد السابع، العدد الأول ١٤٢٢هـ، ص٢٠٢.

(٢) إفادة من الشيخ عبدالله ابن خميس، وذكر أن ما زودني به بعض مما قدّم له وأعده وهي كثيرة لم يتم حصرها، ١١/٤/١٤٢٤هـ.

(٣) كتاب التحقيق والتعليق على تاريخ ابن بشر للشيخ عبدالرحمن بن عبداللطيف آل الشيخ؛ مراجعة عبدالله ابن خميس، صدر عن دارة الملك عبدالعزيز، الرياض عام ١٤٠٣هـ

(٤) رغبة/ خالد بن عبدالرحمن الجريسي؛ قدم له عبدالله بن محمد بن خميس، صدر عن دار الجريسي للنشر والتوزيع عام ١٤٢١هـ.

(٥) آل الجريسي/ نبذة تاريخية د.خالد الجريسي؛ قدم لـه عبدالله بن محمد بن خميس (لم يصدر الكتاب وفق إفادة هاتفية من المؤلف).

(٦) ملحمة شعرية بعنوان (سعوديتي) تأليف محمد بن ناصر بن إبراهيم الخليف.ـ ط٢.ـ الرياض: دار الشبل، ١٤١٩هـ؛ قدم لها عبدالله ابن خميس بمناسبة الاحتفال المئوي.

(٧) الصحافة في المنطقة الوسطى: كتاب وثائقي تأليف محمد القشعمي، مكتبة الملك فهد الوطنية؛ قدم له عبدالله ابن خميس. أفاد المؤلف أن الكتاب سيصدر قريباً؛ من خلال مركز حمد الجاسر الثقافي [اتصال هاتفي بتاريخ ١٦/٦/١٤٢٥هـ].

(٨) مقدمة كتاب "إجابة السائل عن أهم المسائل" للشيخ عيسى العكاس. صدر عن مطابع الرياض، عام ١٣٧٤هـ.

(٩) ديوان الشاعر ناصر بن عبدالله الفايز. صدر عن مطابع الفرزدق التجارية، ١٤٠٦هـ، كتب المقدمة وترجم للشاعر باختصار عبدالله بن محمد بن خميس.

ديوان شعر للباحثة بعنوان: (يا شامخاً)؛ قدم له الشيخ عبدالله ابن خميس عام ١٤٢١هـ (لم يصدر).

الفصل الأول:

فن المقالة عند عبدالله ابن خميس

- أنواع المقالة.
- مضامين المقالة.
- الدراسة الفنية.

توطئة:

المقالـــة مـــن فنون النثر التي تميزت في العصر الحديث عن بقية الفنون بسرعة انتشارها عبر الصحف والمجلات، ووصولها إلى أكبر قدر من القراء، لمعالجـــتها أحداث الساعة المتلاحقة المتسارعة، واهتم بها كبار الكتاب في أدبنا العربي الحديث، وقد عاش هذا الفن النثري مع كافة العلوم؛ مع الآداب والفنون، والعلوم والفلسفة والسياسة والاجتماع والتاريخ.

وحيـــن ننظر إلى أصلها اللغوي، نجد أن المقالة مأخوذة من القول، إذ جاء في لسان العرب قال يقول قولاً وقيلاً ومقالاً ومقالة(١). وجاء استعمال كلمة مقالة فـــي النصوص الدينية والأشعار العربية القديمة، بمعنى الكلام الذي يحمل خبراً أو يعـــرض رأياً، ومن ذلك ما جاء في الحديث (نضّر الله عبداً سمع مقالتي ثم بلغها عني)(٢). وأنشد ابن بري للحطيئة يخاطب عمر رضي الله عنه:

تحنن عليَّ هداك المليك   فإن لكل مقام مقالاً(٣)

ومـــن خلال النظر في كتب اللغة، نجد أن المقالة ليست غريبة على الأدب العربي القديم، وإن تغيرت صيغها وشروطها، فعبدالحميد الكاتب حين تكلم عن الشطرنج، أو الصيد أو الكتابة، كان يكتب شيئاً قريباً من المقالات، التي اختلف النقاد في تحديد مفهومها الأدبي، ولم يجتمعوا على صورة واحدة، ولعلّ الخطب والرســـائل الإخوانـــية والعلمـــية إذ تتفق هذه الأنواع الأدبية القديمة في بعض

---

(١) لســـان العـــرب. ابن منظور؛ تحقيق عبدالله علي الكبير، ومحمد أحمد حسب الله، وهاشم الشاذلي.ـــ ط٢.ـــ القاهرة: دار المعارف، د.ت، مادة قول ٥٧٣/١١.

(٢) أخـــرجه الترمذي: وهذا الحديث ورد في عدة روايات، استوفى دراستها وطرق أسانيدها الشـــيخ عبدالمحســـن العباد في كتابه (دراسة حديث نضّر الله امرأ سمع مقالتي) رواية ودراية.ـــ ط١.ـــ المدينة المنورة: مطابع الرشيد، ١٤٠١هـــ.

(٣) لسان العرب، ابن منظور، ٥٧٣/١١.

خصائصـــها مع المقالة بمفهومها الحديث، وتمثل الخطب مرحلة شفوية للمقالة، فهي تحمل بعض خصائصها وتعتبر بمثابة الصورة الأولى لها، إذ أن كثيراً من الخطب سواء أُلف أو ارتُجل، يمتاز باللفظ المختار المنتقى، ويهدف إلى التأثير الشـــديد في النفس، ويعبر عن مشاعر المتكلم في أمر يهمه، وهذه الأمور تجعل تلك الخطب لا تكاد تختلف عن المقالة(١).

وبعـــد الخطابة ظهرت الرسائل الفنية في القرن الثاني، حيث تمثل صورة ثانـــية للمقالـــة الغربية.. ولو تتبعنا التراث العربي؛ لوجدنا أمثلة مستفيضة من رسائل، وفصول تقترب كثيراً من المقالة.

وقد ارتبط ظهور المقالة في الأدب العربي الحديث بوجود الصحافة؛ لأنها تمـــثل أداتهـــا الأساسية، واختُلف في تعريفها حديثاً فمنهم من يرى بأن المقالة (تطلـــق فـــي الحديث على الموضوع المكتوب الذي يوضح رأياً خاصاً وفكرة عامـــة أو مســـألة علمـــية أو اقتصـــادية، أواجتماعية يشرحها الكاتب ويؤيدها بالبراهين)(٢).

ومنهم من يرى أن المقالة : "قد تكون إخبارية تقص حادثة ما أو مجموعة من الحـــوادث، وقـــد تكون وصفاً لحادثة أو شخص وصفاً تفصيلياً، وقد تكون معرضاً لفكرة توضحها وتناقشها وتبين ما بها من خطأ وصواب، وصدق وكذب(٣)".

ومـــن النقاد من يرى بأن المقالة (قطعة نثرية محدودة الطول والموضوع تكتب بطريقة عفوية، سريعة خالية من الكلفة والرهق)(٤). ومنهم من يرى بأنها

---

(١) محاضـــرات عـــن فـــن المقالـــة الأدبية. محمد عوض محمد.ــ ط١.ــ القاهرة: معهد الدراسات العربية العالمية، ١٩٥٩م، ص٩-١٢.

(٢) الأسلوب. أحمد الشايب.ــ ط٩.ــ القاهرة: مكتبة النهضة، ١٤١٥هـــ، ١٩٩٥م، ص٩٤.

(٣) الأدب الحديث. عمر الدسوقي.ــ ط٨.ــ القاهرة: دار الفكر العربي، ١٣٩٣هــ/١٩٧٣م، ص٤١١.

(٤) فن المقالة. محمد يوسف نجم.ــ ط٤.ــ بيروت: دار الثقافة، ١٩٩٦م ، ص٩٥.

(قالب قصير قلما تجاوز نهراً أو نهرين في الصحيفة)[١]. وآخر يرى بأنها (كتاب صغير يحتوي على فكرة مختصرة[٢] ومنهم من جعلها: تتناول الموضوعات التي يمتزج فيها الفكر بالعاطفة، في عبارة واضحة منتقاة مع ملاءمة بين اللفظ والمعنى وما يتبعه من إيحاءات[٣].

ومنهم من جردها من العاطفة والانفعال الوجداني بقوله: (المقالة فكرة قبل كل شيء وموضوع وليس الانفعال الوجداني هو غايتها ولكنه الاقتناع الفكري)[٤].

ومن النقاد من ذهب إلى مفهوم واسع وأشمل للمقالة من التعريفات السابقة، حيث فتحوا للمقالة الأبواب وحلقوا بها في سماوات عالية من الإتقان، والخيال والابتكار، ويبعدونها عن الجفاف والخشونة العلمية، ويرققونها، ويهذبون أسلوبها، ويدعون كاتبيها إلى التفنن في انتقاء العبارة الموحية المنسجمة، في سبك أخاذ بحيث تكون قطعة فنية تقرب من روح الشعر، فكأنها في بعض مناحيها قصيدة؛ إلا أن الكاتب نثرها في لفظ وإيقاع جذاب[٥].

وقد قسم النقاد والدارسون المقالة إلى نوعين: ذاتية وموضوعية.

فالمقالة الذاتية تتميز بطابعها الوجداني الذي تظهر فيه روح الشعر، وتغلب عليها العاطفة.. مع الإيجاز والدقة في الملاحظة وخفة الروح، والمقالة

---

(١) الأدب العربي المعاصر في مصر. شوقي ضيف.ـ ط٣.ـ القاهرة: دار المعارف، (د.ت)، ص٢٠٥.

(٢) أدب المقالة. عبدالعزيز شرف.ـ ط١.ـ لبنان: دار الشروق، ١٩٩٧م، ص٩.

(٣) المقالة في أدب العقاد. عبدالقادر الطويل.ـ ط١.ـ القاهرة، د.ن، ١٤٠٧هـ، ص١٧٠.

(٤) النقد الأدبي؛ أصوله ومناهجه. سيد قطب.ـ ط٣.ـ القاهرة: دار الشروق، ١٤٠٠هـ، ص١٠٩.

(٥) المقالة في الأدب السعودي الحديث. د. محمد العوين.ـ ط١.ـ الرياض: مطابع الشرق، ١٤١٢هـ، ج١، ص٢٥.

الموضـــوعية: وتتمـــيز برصانة الرؤية النقدية لمسائل الحياة، فهي لا تقل عن المقالـــة الذاتية في التجويد سبكاً وروحاً، واختيار عبارة وتبين روح الكاتب في موضوعه، ولا تخلو من العاطفة والأحاسيس المتزنة[١]. وتتنوع المقالة بالنسبة لعلاقـــتها بالمنشـــىء، وتتـــنوع ثانـــياً بالنســـبة للأسلوب، وتتنوع ثالثاً بالنسبة للمضمون، وفيما يلي عرض موجز لهذه التقسيمات:

١- بالنسبة للمنشئ تنقسم إلى ذاتية وموضوعية.

٢- بالنسبة للأسلوب تنقسم إلى أدبية وعلمية.

٣- وبالنســـبة للمضمون تنقسم إلى أدبية ووصفية، وتأملية، ومقالة السيرة الذاتية، والمقالة الاجتماعية والمقالة السياسية، والمقالة النقدية، والمقالة الفلسفية والمقالة العلمية، والمقالة التاريخية والمقالة الدينية[٢].

المقالة في الأدب العربي السعودي:

ظهرت المقالة في الأدب السعودي عام ١٣٤٣هـــ، عندما صدرت صحيفة أم القرى، وهي بمثابة المدرسة الأولى التي تعلم من خلالها أبناء الحجاز كتابة فـــن المقالـــة، ومـــن خلال ما ينشر بها من مقالات ظهرت بعض الكتب التي تضمنت أنواعاً من المقالة ومنها كتاب (أدب الحجاز) لمحمد سرور الصبان[٣]. وكـــتاب (وحـــي الصـــحراء) الـــذي جمعـــه محمد سعيد عبدالمقصود وعبدالله

---

(١) المرجع السابق، ص٢٦.

(٢) فن المقال في الأدب المصري الحديث. أحمد محمد علي حنطور.ـــ ط١.ـــ القاهرة: د.ن، ١٤١٦هـــ، ص٦٣-٩٩.

(٣) ولد بالقنفذة عام ١٣١٦هـــ وتعلم في جدة، وانتقل إلى مكة واشتغل مع والده في التجارة. توفي عام ١٣٩١هـــ. انظر: مجلة المنهل، عدد خاص بتراجم الأدباء، مجلد ٢٧، الجزء السابع، ١٣٨٦هـــ.

بالخير[١]. وكتاب (نفثات من أقلام الشباب الحجازي) الذي جمعه هاشم الزواوي[٢]. وكتاب (خواطر مصرحة) لمحمد حسن عواد.

وتنوعت المقالات، فكتبوا في الدعوة إلى الإصلاح الاجتماعي، والسياسي والاقتصادي والثقافي، متأثرين بأسلوب القرآن الكريم، والحديث النبوي الشريف، ثم بالأدب المصري؛ من خلال قراءة الصحف المصرية، وخلال اللقاءات، والصداقات الأدبية التي تنشأ بين الأدباء في بلادنا والبلاد العربية الأخرى.

وقد تأثر كتاب المقالة السعوديون برواد الصناعة اللفظية، مثل محمد المويلحي[٣]، وحفني ناصف[٤]. كما تأثروا بالمنفلوطي[٥]، والرافعي[٦]،

---

(١) ولد محمد سعيد عبدالمقصود في مكة المكرمة عام ١٣٢٣هـ. تخرج من مدرسة الفلاح. تقلد مناصب عدة وأشرف على تحرير جريدة صوت الحجاز. توفي عام ١٣٦٠هـ. انظر: مجلة المنهل، عدد خاص بتراجم الأدباء، مجلد ٢٧، الجزء السابع، ١٣٨٦هـ.

(٢) ولد بمكة عام ١٣٣٥هـ. تلقى تعليمه في مدارس الفلاح. تقلد مناصب عدة حكومية، حتى وصل إلى مدير عام الحج. أول مدير للإذاعة السعودية. انظر: الموجز في تاريخ الأدب العربي السعودي، د. عمر الطيب الساسي، ص١٩٤.

(٣) محمد المويلحي: ولد في القاهرة عام ١٢٧٥هـ. تعلم في الأزهر. أديب مبدع اشتهر بكتابه (عيسى بن هشام). أنشأ مع والده جريدة [مصباح الشرق]. توفي عام ١٣٤٨هـ. انظر: الأعلام، قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء، خير الدين الزركلي.ـ ط١٤.ـ بيروت: دار العلم للملايين، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م ٣٥/٥.

(٤) حفني ناصف: قاضٍ أديب. ولد بمصر عام ١٢٧٢هـ. تعلم في الأزهر. له مؤلفات عدة منها (مميزات لغة العرب). توفي بالقاهرة ١٣٣٨هـ. انظر: الأعلام، الزركلي، ٢٦٥/٢.

(٥) المنفلوطي: ولد في منفلوط بمصر عام ١٢٨٩هـ تعلم في الأزهر. نابغة في الإنشاء والأدب. له مؤلفات عدة منها (العبرات)، و(النظرات). توفي عام ١٣٤٣هـ. انظر: الأعلام، الزركلي، ٢٢٠/٧.

(٦) الرافعي: ولد مصطفى صادق الرافعي بمصر عام ١٢٩٨هـ، عالم أديب. أصله من طرابلس الشام. توفي في طنطا عام ١٣٥٦هـ. انظر: الأعلام، الزركلي، ٢٣٥/٧.

والـــزيات[١]، وطه حسين[٢]، ومحمد حسين هيكل[٣]. وتأثروا بأصحاب مدرسة الديـــوان، العقاد[٤]، والمازني[٥]، وعبدالرحمن شكري[٦]. ومن بلاد الشام تأثروا بجورجي زيدان[٧].

(١) الزيات: أديب من كبار الكتاب. صاحب مجلة الرسالة. ولد عام ١٣٠٢هـ، كان من أرق الناس طبعاً ومن أنصع كتاب العربية توفي عام ١٣٨٨هـ. انظر: الأعلام، الزركلي، ١/١١٣.

(٢) طـــه حســـين: ولد بمحافظة المنيا عام ١٣٠٧هـ. أحدث ضجة في عالم الأدب العربي. درس فـــي الأزهر، ثم الجامعة المصرية، ثم تخرج من جامعة السربون بفرنسا وحصل علـــى الدكـــتوراه. من مؤلفاته: الأدب الجاهلي. توفي عام ١٣٩٣هـ. انظر: الأعلام، الزركلي، ٣/٢٣١.

(٣) محمـــد حسين هيكل: ولد في قرية بمحافظة الدقهلية عام ١٣٠٥هـ. تخرج من مدرسة الحقوق بالقاهرة، وحصل على الدكتوراه في الحقوق من جامعة السربون في فرنسا. من رجال السياسة بمصر. كاتب صحفي. له مؤلفات عدة منها (حياة محمد). توفي عام ١٣٧٦هـ. انظر: الأعلام، الزركلي، ٦/١٠٧.

(٤) عباس محمود العقاد: ولد في أسوان بمصر عام ١٣٠٦هـ، إمام في الأدب، تقلد وظائف عـــدة له مؤلفات عدة منها ما عرف بالعبقريات. توفي بالقاهرة عام ١٣٨٣هـ. انظر: الأعلام، الزركلي، ٣/٣٣٣.

(٥) إبراهـــيم عـــبدالقادر المازني: ولد بالقاهرة عام ١٣٠٨هـ. أديب مجدد من كبار الكتاب، من أبـــرع من ترجم عن الإنجليزية. له عدة مؤلفات أشهرها (حصاد الهشيم). توفي ١٣٦٨هـ. انظر: الأعلام، الزركلي، ١/٧٢.

(٦) عبدالرحمن شكري: ولد في بورسعيد عام ١٣٠٤هـ، من دعاة التجديد في الأدب. له مؤلفات عدة منها الاعترافات. توفي عام ١٣٧٨هـ. انظر: الأعلام، الزركلي، ٣/٣٣٥.

(٧) جورجـــي زيدان: ولد في بيروت عام ١٢٧٨هـ، ثم رحل إلى مصر، وأصدر مجلة الهلال، له مؤلفات عدة أشهرها (تاريخ آداب اللغة العربية). توفي في القاهرة عام ١٣٣٢هـ. انظر: الأعلام، الزركلي، ٢/١١٧.

فن المقالة وأنواعها عند عبدالله ابن خميس:

نبدأ بالحديث عن فن المقالة عند عبدالله ابن خميس، وقدمناها على الفنون النثرية الأخرى؛ لأنها أكثر كتابات ابن خميس، ولأن المقالة أبرزتها الصحافة، وهي من أهم الفنون الأدبية في حياتنا الحديثة، وعبدالله ابن خميس ممن غرسوا بذرة هذا الفن، وسقوها حتى نمت وازدهرت.

وكانت كتابة المقالة تمثل جانباً عظيماً عند الشيخ عبدالله ابن خميس، لا تقل أهمية وشأناً عن الجانب الشعري، وكانت له مع هذا الفن صولات وجولات حيث كان على رأس أدباء بلاده، وله اليد الطولى في مجال المقالة الصحفية، ولقد كتب ابن خميس مقالاته في جرائد ومجلات أخرى غير صحيفة الجزيرة التي أسسها، وكتب جل مقالاته في الجزيرة، وكتب أيضاً في البلاد والمدينة والفيصل والمنهل ومجلة العرب ومجلة الدارة وقافلة الزيت ومجلة اليمامة ومجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، والمجمع العلمي في بغداد وفي مجلة الحرس الوطني وغيرها، وبدأ ابن خميس كتابة المقال منذ أن كان طالباً في دار التوحيد، حيث كان ينشر إنتاجه عبر صحيفة أم القرى، والبلاد السعودية.

ومضامين المقالة عند ابن خميس، تدور حول أساسيات ثابتة في فكره القومي والديني والوطني والاقتصادي والاجتماعي والثقافي.

والمضمون الفكري هو هاجس ابن خميس في العملية التعبيرية التي يحاول أن يوصلها إلى أعماق قارئيه؛ لأنه مستودع غني بكنوز المعرفة والثقافة، ويُعتبر ابن خميس من المؤسسين المجددين لفن المقالة، في الأدب السعودي، فهو ممن رأى أن خيول اللغة لم تعد هماً لكتاب المقالة لكن المهم هو ما يريد الكاتب أن يوصله للقارئ، حتى يستفيد منه المجتمع كله بغض النظر عن اللغة التي يكتب بها، لقد أصبح الهدف في مرحلة التجديد هو البحث عن غرض المقالة قبل لغتها، عن رسالة الكاتب قبل عرضه، عن نتيجة الكتابة والعائد منها على المتلقي، ولم يعد الإمتاع بالأساليب الجميلة حاجة قائمة في نظر الناس كما هو

الحـــال سابقاً[١]، ودائماً ما يجد ابن خميس في أعماقه طاقة من الدوافع والنوازع للإفاضـــة بـــتلك الكـــنوز، على أن ما ناقشه الشيخ عبدالله ابن خميس من أفكار وقضـــايا لـــم ينســـه أهمية الأسلوب التعبيري، وقيمة اللغة، فقد كانت من صلب مضـــمون دعوتـــه؛ فأفرد لها مساحات من كتاباته، ونمثل على ذلك عند ما رثى الأديـــب المصري أحمد حسن الزيات؛ صاحب مجلة (وحي الرسالة) ، وصاحب القلم الرائع في نثرنا العربي الحديث، وقد أسلفنا أن ابن خميس قد كان معجباً أيّما إعجاب بهذا الكاتب المبدع، وتأثر به في مناحي كتابته النثرية، فيشير ابن خميس إلـــى التدنـــي الـــذي لحق باللغة العربية والأسلوب الذي انحدر إليه كتابها، وابن خمـــيس وهـــو يرثي الزيات يدعو إلى الاقتداء به وبأمثاله من رواد النثر الحديث يقول: (لأن لغة العرب تعاني ما تعاني من تقهقر وانحدار، وتعكّر معينها الصافي بلغـــة سوقية ارتضتها الجرائد، وجرت على أقلام المتأدبين، وتبناها الأقزام، ولم يعد لمثل هذا أسلوب الرافعي والزيات وشكيب أرسلان والطنطاوي)[٢].

ومـــن خـــلال اطلاعـــي ودراســـتي لمقالات الشيخ ابن خميس على اختلاف أنواعهـــا، فـــإن غزارة المادة التي يتناولها ابن خميس، والتي يستمدها من مستودع أفكاره التراثية، والمبتكرة المتجددة هي بدايتنا لاكتشاف سر الإبداع النثري عنده.

وبعـــد هـــذا العـــرض الموجز لمفهوم المقالة، وأنواعها، وبدايتها في الأدب السعودي عامة وعند عبدالله بن خميس خاصة، نعرض الأنواع المقالية التي كتبها ابـــن خميس، والمضامين التي تطرق لها، والمضمون عند ابن خميس ليس لـــه حد، إنما مصادره متنوعة، فهو يأخذ مضامينه من التاريخ، ومن المجتمع البشري، ومن المصادر العلمية، ومن الطبيعة، ومن تجاربه ومشاهداته الشخصية.

---

(١) انظـــر موســـوعة الأدب العربـــي السعودي الحديث، نصوص مختارة ودراسات؛ إعداد الدكتور مرزوق ابن صنيتان.ـــ ط١ـــ الرياض: دار المفردات، ١٤٢٢، ج٣، ص٤٦.

(٢) فواتـــح الجزيـــرة. عـــبدالله بن محمد بن خميس.ـــ ط١.ـــ الرياض: مطابع الفرزدق، ١٤٠٤هـــ، ص٣٥٤.

والمضمون لغة هو محتوى أو معنى يؤديه الشكل المعبر عنه أدبياً بألفاظ وعبارات[١].

ومما سبق نرى أن ابن خميس كتب المقالة الدينية، والاجتماعية، والأدبية، والنقدية، والعلمية، ومقالة السيرة، والمقالة الانطباعية، ونعرض لتلك الأنواع ضمن السياق التالي:

أولاً: المقالة الدينية:

وهي المقالة التي تتصل بالدين الإسلامي اتصالاً وثيقاً، تجدده في النفوس وتبصر المسلمين به، وتتخذ منه علاجاً ناجحاً لكثير من الأدواء الاجتماعية، والسياسية والاقتصادية والثقافية[٢].

ويهتم كاتب المقالة الدينية، بإبراز شعوره الديني تجاه ما يتناوله من الموضوعات، وعادة ما يبرز في أسلوب الكاتب الإخلاص، لما يعرضه من القيم الدينية[٣].

وأهم ما يجب توافره في المقال الديني هو الصدق في العاطفة، والدقة في التصوير، وإقامة الدليل على الفكرة، والسلاسة في التعبير، حتى يمكن لأي قارئ التأثر به، وإدراك بعده. وقد شغلت المقالة الدينية حيزاً واسعاً عند عبدالله ابن خميس، ولا غرو فهو من يحمل العلم الشرعي، ومن أبناء هذه الأرض التي نبع فيها الإسلام، وانتشرت تعاليمه ومثله وقيمه، ودائماً ما يؤكد ابن خميس في مقالاته الدينية ضرورة تمثل مبادئ الدين وقيمه للخروج من حالة الضعف التي تسيطر على العرب المسلمين[٤].

وللمقالة الدينية أثرها البالغ في العصر الحديث، وهي الأداة الأولى لحمل أعباء الدعوة الإسلامية[٥].

---

(١) المعجم الأدبي. جبور عبدالنور.ـ ط٢.ـ بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٨٤م، ص٢٥٢.

(٢) فن المقال في ضوء النقد الأدبي. د. عبداللطيف محمد السيد الحديدي.ـ ط١.ـ الرياض: دار السعادة، ١٤١٧هـ، ص٤٠.

(٣) المقالة في الأدب السعودي الحديث. د. محمد بن عبدالله العوين، ج١، ص٢٠٦.

(٤) انظر مقالة (يعرفون ما هو الإسلام)، فواتح الجزيرة ، ص ٥٣٩.

(٥) الأدب في خدمة الحياة والعقيدة. عبدالله العويشق.ـ ط١.ـ بيروت: دار العربية، ١٣٩٠هـ، ص٨٥.

ثانياً: المقالة الاجتماعية:

وهـــي مقـــالات الإصلاح والمصلحين، فقد اهتم الكثير من الكتاب بقضايا المجتمع ومشاكله السياسية والاقتصادية والثقافية والدينية والبيئية، فكل زمن له مشاكله وقضاياه التي يقف أمامها كاتب المقالة الاجتماعية موقف المصلح، وقد تكـــون موضـــوعاتها تحمـــل طابع الفكاهة والدعابة التي كثيراً ما تكشف عن العيوب والمثالب بطريقة ذكية من الكاتب[١].

ولقـــد عـــرف الباحثون المقالة الاجتماعية بأنها التي تتناول حركة المجتمع، وتوجهها وجهة رشيدة ترتقي بالمجتمع من وجهة نظر كاتبها في مجالات مختلفة، ويفيض فيها الكاتب بأسلوب يجمع بين انتقاء العبارة، ووضوح الفكرة[٢].

ويمـــارس كاتـــب المقالـــة الاجتماعـــية ألواناً من طرائق التعبير المقالي، كالاعـــتماد علـــى عـــرض القضية الاجتماعية التي يريد معالجتها عن طريق المقارنـــة والمثل، وعن طريق السرد القصصي في بعض جوانب المقال، وعن طـــريق الـــتهويل والتخويف والترغيب من العواقب السيئة أو مرض اجتماعي مســـتحكم، وعن طريق السخرية والأسلوب الخطابي الثائر العنيف[٣]، وبما أن المجتمع السعودي يبحث دائماً عن التقدم والرقي في جميع المجالات، فقد وقف الأدبـــاء الســـعوديون إلـــى جانب مجتمعهم موقف المرشد؛ الذي يحمل رسالة الإصلاح والتوجيه.. والشيخ ابن خميس خير من يمثل ذلك.

---

(١) المقالـــة الأدبـــية ووظيفتها في العصر الحديث. د. عطا كفافي.ـ ط١.ـ هجر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٠٥هـ، ص٤٧.

(٢) النـــثر الفني المصري في العصر الحديث. د. عبدالباسط أحمد حمودة.ـ ط١.ـ القاهرة: دار الرسالة، ١٤٠١هـ، ص١٥.

(٣) المقالة في الأدب السعودي الحديث. د. محمد العوين، ج٢، ص٥٦٩.

ثالثاً: المقالة الأدبية:

تناول ابن خميس قضايا الأدب وطرق فيه ضروباً وأنواعاً، فتحدث عن شئونه ودوره في بناء الدولة، وقضية الفصحى والعامية، ومقومات الأديب، وكيف نقوم أدبنا.. ومقالات ابن خميس هي إشباع لحاسته الأدبية، واستجابة لمشاعره المرهفة، ومن ذلك ما كتبه عن القصيدة المحظوظة يا ليل الصبُّ وأنه لم تحظ قصيدة في الشعر العربي مثلما حظيت به هذه القصيدة، وأنه قد عارضها ثلاثة وتسعون شاعراً ... الخ ما كتبه ابن خميس في مقالته مدللاً ومستشهداً بنماذج القصيدة[١].

رابعاً: المقالة النقدية:

وتناول ابن خميس في مقالاته النقدية عدداً من آثار بعض الأدباء والكتّاب، وأبدى رأيه فيها من مدح أو قدح، وقد يكون ذلك إما بدراسة كاملة مستفيضة، وإما بإعطاء حكم عام حول الأثر وصاحبه، وله آراء واضحة حول الكثير من المباحث النقدية التي طرحت على الساحة الأدبية آنذاك، ولابن خميس رأي في النقد عندما قال في إجابة على سؤال لجريدة البلاد يقول : (لو قيل لي أي جانب تفضله في سبيل السمو بأدبنا وفكرنا وثقافتنا لقلت النقد؛ ولو قيل ما محل النقد البناء من الإعراب، لقلت سلام عليه في الهالكين)[٢].

وينهج ابن خميس في مقالاته النقدية لبعض المؤلفات منهجاً صريحاً، يتسم باحترام مؤلفي تلك الكتب التي يقوم بنقدها، واستخدام الأسلوب الهادئ ونجد أنه بالرغم مما يلاحظه على تلك المؤلفات؛ إلا أنه يرى أنها مهمة، ولا تحط ملحوظاته من قيمتها، كما وتتسم مقالاته النقدية بالتركيز وعدم الحشو، ومعظم مقالاته النقدية ليست عبارة عن مقالات أسلوبية إنما هي تقارير علمية؛ تتميز بنقد المحتوى وإبراز المأمول[٣].

---

(١) المجلة العربية، العدد ٨١، شوال ١٤٠٤هـ، ص٢٨.

(٢) من محفوظات الأديب إجابة لجريدة البلاد في ١٣٩٨/١/٨هـ.

(٣) صحيفة الرياض، العدد ١٢٣٢٢، الأربعاء ١ المحرم ١٤٢٣هـ، ع ١٢٣٢٢، ص٢٣.

ومن ذلك ما كتبه في مجلة الدارة[1] تحت عنوان : نظرة في كتاب المتوكل علـــى الودود عبدالعزيز آل سعود يقول : "الأستاذ محمد منير البديوي في كتابه ســلك مســلك مـــن تقدمه من المؤلفين عن الملك عبدالعزيز وعبقريته؛ إلا أنه اســتطاع بحسن عرضه ووضوح أسلوبه واستنتاجاته وخروجه على مبدأ كثير مـــن المؤلفيـــن في التاريخ عن سرد الأحداث الجافة، والنقل المبصوم والتبعية المقلـــدة. استطاع أن يضع القارئ أمام منهج علمي، وطريقة سليمة في عرض التاريخ، تشد القارئ إليها وتحملهُ على المتابعة والاستمرار ...الخ".

ومـــن جرأة وصراحة ابن خميس في مقالاته النقدية ما كتبه تحت عنوان: (قالوا عنّا) في كتابه من جهاد قلم في النقد[2] يقول: (من بين كتب كثيرة تفضل مؤلفوهـــا أو ناشروها بإهدائها إليّ حينما كنت ببغداد عضواً للوفد السعودي في مؤتمر الأدباء العرب.. من بين هذه الكتب كتاب اسمه المملكة العربية السعودية كما عرفتها، لمؤلفه الأستاذ أمين المميز وزير العراق المفوض لدى هذه المملكة عامـــي ١٣٧٣هـــ و١٣٧٤هـــ ويقع الكتاب في ٦٣٧ صفحة ونشر في بيروت بمطـــابع دار الكتب الفنية وهو على شكل مذكرات يومية، ذهب فيه المؤلف كل مذهـــب، ففـــيها السياسة والاجتماع والنقد والأدب والتاريخ والاقتصاد، وأذكر شـــيئين للمؤلـــف من الإنصاف أن نذكرهما هي نصاعة الأسلوب، والجلد على ملاحقة الحوادث، ولو لم تكن سمينة ولا ثمينة، وكما قلنا أن الكتاب قد جمع من كل فن طرفاً، فكذلك هو قد جمع من كل عطن بعرة) ففيه كذب على الله وعلى التاريخ، وفيه متناقضات، وفيه اسفاف وانحدار، وفيه تحريف لنصوص القرآن، وفيه مجافاة للذوق والخلق، بدأ المؤلف بتسجيل مذكراته حينما تبلغ أمر حكومته بتعييـــنه وزيـــراً مفوضاً لها في جدة، حينما بدأت المخاوف والأوهام والأشباح

---

(١) انظر: مجلة الدارة، العدد ٤، السنة الثالثة، صفر ١٣٩٨هـــ، ص٢٢٦.

(٢) مـــن جهاد قلم في النقد. عبدالله بن خميس.ـــ ط١.ـــ الرياض: مطابع الفرزدق التجارية، ١٤٠٢هـــ، ص٢٨٧.

المخـيفة والهمـوم المـتراكمة تروح وتغدو على صاحبنا؛ لأنه الرجل المنكود الحظ، المنحوس الفأل، المبعد من قبل وزارة خارجيته، حينما اختارت لـه هذه البلاد الموغلة في الانحطاط والتأخر، البعيدة عن الحضارة والمدنية، ذات الجو المحرق الخانق والغلاء الفاحش، وبالجملة فهي في نظره سجن من سجون الدنيا أراد لـه الله أن يدخلـه، ولهـذا فـإن الاتصالات والاستشارات والصلوات والدعوات طيلة الأيام التي سبقت سفره إلى جدة كلها في شأن هذا السجن، وما هي الوسائل والأسباب التي تنقذه وإذا لم يتيسر فما هي أسباب الصبر والتضحية والفداء التي سوف يتذرع بها، لكي يواجه المصاب ويتحمل العذاب .. الخ.

خامساً: المقالة التاريخية:

وهي المقالة التي تعتمد على جمع الروايات والأخبار والحقائق وتمحيصها وتنسيقها وتفسيرها وعرضها[١].

وإذا كانت الأنواع المقالية الأخرى مما سبق عرضه تعتمد بشكل واضح علـى إثـارة المشـاعر، وإذكـاء العواطف وتنمية الاتجاهات تجاه القضايا الاجتماعـية أو الدينـية أو الأدبـية، فإن المقالة التاريخية تعتمد على تجلية الحقـيقة، وإبـراز الصورة بشكل مدعم بالرواية والخبر ومستند على الوثائق والمعلومات، والحديث عن عبدالله ابن خميس والمقالة التاريخية يطول، ويحتاج إلى حيز كبير.

وقـد نشـأ إبـداع ابن خميس التاريخي بناء على سعة اطلاعه وتفكيره، وتكـريس جهـوده الثقافـية في التعرف إلى الجديد وملاحقة التاريخ، ومن أهم الموضوعات التي تناولها في مقالاته التاريخية الأدبية، الروابط العربية بجزيرة العرب، ويتجه في كتابتها اتجاهاً موضوعياً صرفاً تتوارى فيه شخصيته أحياناً، ودائماً ما يوشِّيها بالقصص والأشعار والأمثال والحكم.

---

(١) فن المقالة. محمد يوسف نجم، ص١٢٣.

سادساً: المقالة العلمية:

وهــي المقالة التي تتخذ طابع الموضوعية تماماً من حيث التزامها بالتقسيم المتبع في الكتابة المقالية عن أي موضوع علمي؛ لتكون قضاياه متواصلة بحيث تكــون كل قضية نتيجة لما قبلها مقدمة لما بعدها، حتى تنتهي جميعاً إلى الغاية المقصودة وهذه الخطة تقوم على المقدمة والعرض والختام، وبها معارف مسلم بهــا لــدى القــراء. وفي العرض يطرح الكاتب صلب الموضوع، أو القضية الرئيســة ســواء انتهت إلى نتيجة واحدة أم نتائج عدة ، وهي في الواقع متصلة ومنســقة. أمــا الخاتمة فهي ثمرة المقالة، وفيها يكون السكون، فلابد أن تكون نتيجة طبيعية للمقدمة والعرض(١).

ولما كانت المقالة العلمية أبعد المقالات عن روح الأدب، وأبعدها عن آفاق الفن، ونزعات الخيال، فإن نصيبها عند ابن خميس قليل وإن كنّا نقرأ له مقالات علمــية قليلة فيها سمات المقالة الأدبية، وشيء من ذات كاتبها. كتب ابن خميس عــن الزيــت وعن الزراعة والمياه والنخلة والشجرة، ومنها كذلك ما كتبه من وصف جغرافي دقيق للطريق من اليمامة إلى مكة(٢).

سابعاً: مقالة السيرة:

وهي المقالات التي يكتبها الكاتب فيصور موقفاً إنسانياً خاصاً عن شخصية إنسانية، ويعكس لنا بذلك تأثره بها وانطباعاته الخاصة عنها ويحاول أن يخطط معالمها الإنسانية تخطيطاً فنياً واضحاً(٣).

---

(١) المرجع السابق، ص١٣١.

(٢) انظر: مجلة العرب، الجزء ١٢ السنة ٣، جمادى الآخرة ١٣٨٩هـ، ص١٦٥.

(٣) فن المقالة. محمد يوسف نجم، ص١١٧.

وتعــرّف بأنها صورة حية لإنسان، يكتبها صاحب المقالة في إطار علاقة مباشرة معه، وهي تقل عن السيرة، حيث تكتفي بتصوير جانب واحد أو جوانب قليلة في موقف من مواقف المتحدث عنه؛ بكلمات سريعة وموحية[١].

ومقالــة الســيرة بالقياس إلى السيرة الكبيرة، كالأقصوصة بالقياس إلى القصــة الأولى تصور شريحة من الحياة، أو قطاعاً من الشخصيات، بلمسات ســريعة وموحــية والثانــية تعــرض حياة متكاملة بريشة متأنية بطيئة تعنى بجزيــئات الخطــوط[٢]، ولعــل إطلاق مسمى مقال الشخصية على مثل تلك المقالات، ربما كان أدق من مقالة السيرة؛ لأن للسيرة مدلولاً أوسع من مجرد مقالة تترجم لشخصية.

ولقد كان حظ أديبنا عبدالله ابن خميس وافراً في هذا النوع من المقالة، فلقد هيأت لــه علاقاته الوطيدة بجميع فئات المجتمع، من الأمراء والأصدقاء علماء وأدباء، كما ويسر لــه إلمامه الواسع بتراثنا العربي والسعودي، أن يتحدث في بعض مقالاته عن ســيرة بعــض أولــئك الذيــن رأى لهم من السيرة الرائعة ما حتم عليه الوفاء لهم، والتحدث عنهم، ومن ذلك ما كتبه في المجلة العربية عن صاحب السمو الملكي الأمير سلمان بن عبدالعزيز[٣]، وما كتبه في مجلة الحرس الوطني عن الأميرة غالــية الوهابــية[٤] وعــن ليلى الألمانية[٥]، وفي رثائه لمعالي الشيخ حسن بن عــبدالله آل الشيخ وزير التعليم العالي رحمه الله[٦]، ورثائه للشيخ محمد متولي

---

(١) فــن المقالة الأدبية والموضوعية والصحفية. د. محمود شريف.ــ ط١.ــ الكويت: مكتبة دار العروبة، ١٩٨٥، ص١٣٠.

(٢) فن المقالة. محمد يوسف نجم، ص٩٣.

(٣) المجلة العربية، ع ٢٦٣، ذو الحجة ١٤١٩هــ، ص٣٧.

(٤) مجلة الحرس الوطني، ع٣، السنة الأولى المحرم ١٤٠١هــ، ص١٦.

(٥) من جهاد قلم فواتح الجزيرة. عبدالله ابن خميس، ص٤١٤.

(٦) المجلة العربية ، العدد ١١٣، السنة ١١ جمادى الآخر ١٤٠٧هــ، ص١٥.

الشـــعراوي رحمـــه الله[١]، ورثائه للكاتب العربي الكبير أحمد حسن الزيات[٢]، والكاتـــب الســـعودي الكبـــير عـــبدالقدوس الانصاري[٣]. ومن التراث العربي الإســـلامي، ما كتبه عن عبدالله بن جعفر وكرمه[٤] وغيرها، ولا يعدو مضمون تلـــك المقـــالات عن الحديث الشخصي الأليف الرقيق الذي لا ينقصه الاعتراف بفضل أولئك وتفوقهم في أسلوب مقنع.

ثامناً: المقالة الانطباعية:

وهي التي تصور انطباعات الكاتب عن أناس عاش معهم، أو حيوانات وقع نظـــره علـــيها أو مشاهد اكتشفها، أو تأثر بعالم جديد لم يُؤلف وهذا اللون من الكـــتابة يحتاج إلى عقل مرن سريع التأثر والتكيف والاستجابة بما يعن له حتى يـــدرك المعاني التي تكمن وراء ما تقع عينه عليه، وأمثلة ذلك في أدبنا العربي المعاصر كثيرة مثل (رحلة) لأحمد أمين و(في الزورق) للعقاد و(رغيف وأبريق ماء) و(غداً تنتهي الحرب) مخائيل نعيمة[٥].

وقـــد أدى الأســـلوب الانطباعـــي في الكتابة المقالية، إلى ما عرف بأدب الاعـــترافات والخطابة الأدبية التي يعبر فيها الأديب عن مكنونات صدره وعن موقفه من الحياة[٦].

---

(١) جريدة الجزيرة، العدد ٦١٤، صفر ١٤١٩/٢/٢٤هـ، ص٨.

(٢) من جهاد قلم فواتح الجزيرة، ص٣٥٤.

(٣) انظـــر: مجلـــة المـــنهل، العدد ٣٤٢، السنة ٥١، مجلد ٤٦، المحرم وصفر ١٤٠٥هـ، ص٢٠١.

(٤) انظر: مجلة الحرس الوطني، العدد ٤٩، السنة ٧ ربيع الأول ١٤٠٧هـ، ص١١٣.

(٥) المقـــال؛ تطـــوره في الأدب المعاصر. د. سيد مرسي أبو ذكرى.ـ ط١.ـ مصر: دار المعارف، ١٩٨٢م، ص٧٤.

(٦) مجلة الفيصل، العدد ٥٥، السنة الخامسة، المحرم ١٤٠٢هـ، ص١٩.

ويبتعد كاتب المقال الانطباعي عن التفكير والتأمل في الأشياء، والاكتفاء بالأثر أو الانطباع الفوري الذي تخلقه في الأديب، كما ويعمل الكاتب على امتصاص موضوع الكتابة في إطاره الكلي، لا في تفصيل من تفصيلاته، ويستطيع كاتب المقال الانطباعي فرض الانطباع على حواس القارئ بطريقة تجعله يشارك في تجربة الكاتب[١].

ولابن خميس حظ طيب في كتابة هذا النوع من المقالات نذكر منها مقال (فلسفة الحب)[٢] و(رواسب وطفيليات)[٣] ومقال (حول ليالي جمادى)[٤]. وغيرها، ولعل موسوعية شيخنا جعلت هذا النوع من المقالة يتطور عنده إلى مؤلفات ضخمة عن أناس عاش معهم، أو مشاهد رآها، فسجل انطباعاته بشيء من التفصيل في مؤلفات يزيد بعضها عن الجزء والجزءين.

مضامين المقالة عند عبدالله ابن خميس:

ومن ضرورات القول قبل أن نشرع في دراسة مضامين المقالة عند عبدالله ابن خميس، أن نوضح أن بعض مقالات ابن خميس تناولت عدداً من الموضوعات المتصلة أو المتداخلة بحيث يمكن أن تنسب المقالة الواحدة إلى أكثر من نوع، مما يجعل مهمة تمييز نوعها أمراً صعباً[٥].

---

(١) مجلة الفيصل، العدد ١٠٢، ربيع الآخر، ١٤٠٦هـ، ص١١٥.

(٢) انظر: فواتح الجزيرة. عبدالله ابن خميس، ص٥٦٣.

(٣) المرجع السابق، ص٤١٨.

(٤) من جهاد قلم في النقد. عبدالله ابن خميس، ط١، ص٣٤١.

(٥) انظر: مقالة موحد المملكة العربية السعودية، بقلم عبدالله ابن خميس، مجلة القافلة، عدد شوال ١٤١٩هـ، ص٤، (هذه المقالة يمكن أن تنسب للمقالة التاريخية ومقالة السيرة).
وانظر: مقال (مرحباً برمضان)، بقلم عبدالله ابن خميس، كتاب فواتح الجزيرة، ص٤٣٥ [ويمكن أن تنسب المقالة للمضمون الديني والاجتماعي؛ لأن فيها دعوة للعمل في رمضان].

ويرجع ذلك إلى غزارة ثقافة ابن خميس، وموسوعيته المعرفية؛ إضافة إلى عدم تخصصه في كتابة نوع واحد من المقالة.

كمـــا أن عبدالله ابن خميس قد عمد خلال العشرين سنة الأخيرة إلى جمع مـــادة مقالاتـــه في مؤلفات أطلق عليها (من جهاد قلم)، واشتملت على ما نسبته حوالـــي ٧٠٪ مـــن مقالاته وجهاده الفكري، وبقي عدد من مقالاته متناثراً بين أوراق بعض الصحف والمجلات وبلغ ما جمعه الشيخ في كتابه الأول من جهاد قلـــم والـــذي أطلـــق علـــيه فواتح الجزيرة مئة وعشر مقالات [١١٠] متنوعة المضامين، والأساليب(١).

وفـــي كـــتابه الثاني الذي جمع فيه ما كتبه في مجال المقالة النقدية، والذي أسماه من جهاد قلم في النقد، بلغ عدد المقالات التي تضمنها خمسين مقالة(٢). أما كتابه الثالث فتضمن ثلاثين مقالة وبحثاً(٣).

وقـــد أحصيتُ للأديب الشيخ عبدالله ابن خميس ما يقرب من ثمانين مقالة أخـــرى متفرقة في ثنايا الصحف والمجلات، لم تدون في تلك المؤلفات النثرية الجهادية لابن خميس، واخترت ما يربو على مئتي مقالة للدراسة في هذا البحث، وســـأتحدث لاحقـــاً عـــن المضامين المقالية عند عبدالله ابن خميس بشيء من التفصيل، والمضمون في تلك المقالات ليس لـــه حيز ومصادره متنوعة، فالشيخ أخذ من التاريخ، ومن المجتمع ومن الطبيعة، ومن تجاربه ومشاهداته الشخصية، لـــيعكس فـــي النهاية كل ذلك في مقالاته، مصبوغاً بصبغته الشخصية، وهذا ما أجمع عليه النقاد في مجال المقالة، ومصادر الموضوعات بها(٤).

---

(١) انظر كتاب: من جهاد قلم فواتح الجزيرة.
(٢) انظر: من جهاد قلم في النقد. عبدالله ابن خميس.
(٣) انظر: من جهاد قلم محاضرات وبحوث. عبدالله ابن خميس.
(٤) الفـــنون الأدبية وأعلامها في النهضة العربية الحديثة. أنيس المقدسي.ــ ط٨.ــ بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٧٨م، ص٢٣٢.

أولا: المضامين في المقالة الدينية:

تناول ابن خميس ما يخص أمور الشرع والدين، والفكرة التي تتصل بالدين الإسلامي اتصالا وثيقا، كتب بحفاوة وإطراء عن أعياد المسلمين، وعن مواسمهم الدينية. تحدث عن حجة الوداع وعن رمضان، وعن بناء المساجد ولا غرو فهو صاحب العلم الشرعي المتخصص الذي يحمل مؤهلاً جامعيا من كلية الشريعة، وهو من عمل مديرا لرئاسة القضاء، ودائما ما يؤكد في جميع كتاباته على ضرورة تمثل مبادئ وتعاليم الدين الإسلامي وقيمه للخروج من حالة الضعف، التي تسيطر على العرب والمسلمين(١).

وحديث ابن خميس عن الإسلام، حديث الفقيه العالم السمح الذي يعرف تماما مناحي الشريعة الإسلامية وجوهرها المشرق.

وإذا كان الأسلوب الأدبي وبما يفيض عليه من سمات الجمال ليس من السمات اللازمة في المقالة الدينية، وإنما التركيز يكون على الفكرة من الدرجة الأولى؛ إلا أن مقالات ابن خميس تتسم بالرصانة والإشراق اللغوي، وفخامة اللفظ، وقوة المعاني، ويتسم أسلوبه بالذب عن القيم الدينية، ومبادئ الإسلام، ودائماً ما يستند إلى ذلك المنبع العظيم، ينهل منه موضوعاته وأفكاره.

وتحمل المقالة الدينية عند ابن خميس كثيراً من الصدق والإقناع، ونقل مشاعر القارئ المسلم، ولقد خاض ابن خميس الكتابة في هذا النوع باعتبار أن هذا البلد المصدر الأول للدين الإسلامي، وبه قبلة المسلمين ومسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولكونه أديباً مطبوعاً، فلا غرو أن نلحظ في مقالاته الدينية النمط الأدبي أفكاراً ومعاني ومن أمثلة ذلك مقالة (كنتم خير أمة أخرجت للناس) يقول: "هذا هو الحكم الصادر ممن لا معقب لحكمه والقول الفصل المدحض للحجج، هذا هو النعت الذي خوطبت به الأمة الإسلامية من لدن حكيم حميد،

---

(١) انظر مقالة: [يعرفون ما هو الإسلام] كتاب فواتح الجزيرة، ص٥٣٩.

فحـــق لهـــا أن تجـــر ذيول الفخر، وتخطر في حلل التيه على لداتها من سائر الأمم.." ويواصل ابن خميس مقالته قائلاً: "حيث كان كل فرد من أفراد المسلمين فـــي مشارق الأرض ومغاربها واقفاً على ثغر؛ يخشى أن يؤتى الإسلام من قبله ومجنداً نفسه للدعوة لدينه .. الخ"(١).

ويدلـــل ابن خميس في مقالته السالفة على وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ويورد نصوصاً قرآنية، وأحاديث شريفة، وأبياتاً من الشعر العربي.

ويتحدث ابن خميس عن واقع المسلمين، وأنهم قد اكتفوا بقراءة نص الآية الكريمة (كنتم خير أمة أخرجت للناس) ، وسمعوها بقدر ما تكون حجة عليهم.

ثم يتحدث ابن خميس عن نتائج التفريط فيما أمر به الله سبحانه وتعالى، من الأمـــر بالمعـــروف، والنهي عن المنكر، فيذكر أن الخراب والدمار ينخران في جسم الأمة الإسلامية حتى تمزقت، وذهبت شذر مذر، وتداعت عليها الأمم؛ كما تداعى الأكلة على قصعتها وأن المهابة نزعت من قلوب أعدائها.

ودائمـــاً مـــا يـــربط ابن خميس ضعف الأمة الإسلامية اليوم، بقيام دويلة إســـرائيل.. ففـــي المقال يورد ابن خميس حقيقة واقعية ظاهرة للعيان؛ وهي أن ســـبع دول كاملـــة العـــدد والعدة عنصرها واحد، ودينها واحد، ولغتها واحدة، وقيادتها واحدة متجاورة على أرض خصبة كريمة، مشهورة بمواردها وغلالها ومناطقها الإستراتيجية الكبيرة، تقوم بينها عصابة مشردة من شذاذ الآفاق، ومن أمـــة ضُـــربت عليهم الذلة والمسكنة، وباءوا بغضب من الله، وكلما أوقدوا ناراً للحـــرب أطفأها الله، تقوم هذه العصابة وتتوسط هذه الأمم وتلقي بكللها وتفرض نفسها عليهم فرضاً، ويأخذ سرطانها البغيض يتمدد في جسم هذه الأمة.

ويـــتحدث ابـــن خميس في مقالته عن الإيمان، وهو من صفات هذه الأمة ويســـهب في التدليل على ما كان عليه السلف من قوة الإيمان، ويقارن بين حال

(١) فواتح الجزيرة. عبدالله ابن خميس، ص٣٠٦.

السلف، وحال الأمة الإسلامية اليوم[١]. وأنه أصبح فرضاً على كل المسلمين، ويبدي أسباب ذلك أن المسلمين هوجموا في عقر دارهم، واستبيحت مقدساتهم، وانتهكت حرمات الله، و أن الصهاينة المجرمين أفسدوا في الأرض، وقتلوا المسلمين وأجلوهم من بلادهم، وأنه لم تبق وسيلة من وسائل الإجرام، والإمعان في الظلم، والتعذيب في المعتقلات والسجون، بما لم تعرفه البربرية والهولاكية إلاّ فعلوه[٢].

ونلحظ في المقال السابق أن ابن خميس حينما يطرح أفكاره في المقال الديني، يبحث عن الاستدلال، والحجج من الواقع، ويلتقط من الماضي المجيد للأمة الإسلامية ما يؤيد به أفكاره، من حوادث ووقائع، ويقتبس من القرآن والسنة، ما يؤكد به معانيه ويشرق به أسلوبه، ويضمِّن من محفوظه الشعري ما يقع في القلب، ويستقر في الذهن.

ويتحدث ابن خميس في مقاله (دروس من الهجرة النبوية) حديث المفتخر بذلك الحدث الإسلامي؛ الذي غير مجرى التاريخ، ومنح من الدروس والعظات والعبر الشيء الكثير ما يمكن أن يجعله المسلم زاده الوحيد في جميع مناحي حياته، يقول: "في هجرة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، دروس وعظات وعبر، وفيها قدوة وأسوة، ومجال عمل، تعلم الصبر والحكمة، وتبعث على الإصرار والعزم، وقوة الإرادة. لقد صبر عليه السلام، وتحمل وذاق من الأذى والعنف والقسوة والشدة وسطوة الباطل، ما أعطى لأمته من دروس ووهبها ما وهبها من عبر وعظات، وعلمها كيف تواجه الحياة بجد ومثابرة وجهاد.. أدبها فأحسن تأديبها وعلمها فأحسن تعليمها، وزكّاها فأصبحت أمة هي مضرب المثل، ومناط الأمل، ومنتهى الاستعداد والقوة، ومنتهى الخلق الفاضل والسماحة والنبل،

---

(١) المرجع السابق، ص٣٠١.

(٢) المرجع السابق، ص ٢٩٥.

فما أطيب ما أعطى وما أفضل ما ربى، وما أجمل ما أفاض على هذه الأمة من نعم، وما نالها من إحسان وخير، فما أحرى مسلمي اليوم أن يتخذوا من الهجرة دروساً، فلن يُصلح آخر هذه الأمة إلا ما صلح به أولها"(١).

وهكـــذا نـــرى ابن خميس يطرق موضوعه باسترسال جميل، وذلك؛ لأنه يتحدث عن حدث إسلامي ثابت، إلى أن تقوم الساعة.

وتحدث ابن خميس عن الإسلام والقومية العربية، ووضح موقف المسلمين العرب من عروبتهم، قبل الإسلام وبعده(٢).

وكتـــب عـــن تخلي المسلمين عن جوهر دينهم، في مقالة (أزهد الناس في الإســـلام أهله)(٣). وتحدث عن حجة الوداع، واستعرض المبادئ العظيمة التي طرحها رسول الله صلى الله عليه وسلم في خطبته الجامعة الشافية(٤).

وتطـــرق ابـــن خميس لأهمية المسجد، وأهمية شعيرة الصلاة، ووجوب العـــناية بهـــا وأكد ابن خميس أن المسجد ملتقى المسلمين الأوائل، ومنتداهم وموضـــع عـــبادتهم، وأن المتعلم يدخله وهو صبي لا يكاد يبين، ويندرج بين حلقاته المتعددة صعوداً، حتى يعقد العمامة على رأسه، وتنداح حلقةُ المتعلمين حوله، ويجاز ويجيز في السنة، ويتصدى للفتيا والتفسير والتأليف والمناظرة، ويخـــتم ابـــن خميس حديثه عن دور المسجد كحقيقة أثبتها التاريخ، وهي أن أقطـــاب الإســـلام وأعلامه أنجبتهم المساجد، وأنضجتهم حلق الدرس، فملأوا مسامع الدنيا علماً ونوراً وفضلاً(٥).

---

(١) مجلة المنهل، العدد ٤٣١، السنة ٥١، المجلد ٤٦، ربيع الأول ١٤٠٥هـ، ص٥٤.

(٢) مجلة الحرس الوطني، ع ١٨٥، السنة ١٩، شعبان ١٤١٨هـ، ص١٥.

(٣) فواتح الجزيرة، ص٥٠٠.

(٤) انظر: مقالة دروس من حجة الوداع، المرجع السابق، ص٥١٨.

(٥) انظر: مقالة بيوت أذن الله أن ترفع، المرجع السابق، ص٤٨٢.

ويتحدث ابن خميس في مقالة دينية أخرى بعنوان (مرحباً برمضان)[١]. عن مشاعر الصائمين، وأبرز صفات الصائم الأخلاقية، وعن أثر الصوم في تهذيب النفوس، ويوضح ابن خميس الحكمة من الصيام، وأنه فرض من قبل الله سبحانه وتعالى، لإيقاظ النفوس من غفلاتها وحفز الهمم من كلالها، والرجوع بالمسلمين إلى خالقهم، بعد فترات رتيبة قضوها مع دنياهم؛ ليس لأخراهم منها إلا لماماً.

هذه أمثلة ونماذج اخترتها للتدليل على تفوق أديبنا في مجال المقالة الدينية؛ وأنه من أبرع فرسانها، وأجودهم فكراً وأسلوباً.

ثانياً: المضامين في المقالة الأدبية:

شغلت المقالة الأدبية حيزاً واسعاً عند الأديب عبدالله ابن خميس، ولا غرو فهي إشباع لحاسته وموهبته الأدبية، واستجابة لمشاعره المرهفة تجاه الأدب وقضاياه. ينطلق دائماً من تاريخه الأدبي المشرق، يحلل النصوص الأدبية، ويكشف معمياتها ويبرز ابن خميس في مقالاته الأدبية محفوظه الشعري الضخم، وثقافته الدينية الوافرة؛ تشرق بها عباراته ومقالاته، ولابن خميس رأي في الأدب، وأنه كائن حي منذ امرئ القيس، حتى زمننا هذا، وأنه واقع ولابد أن يستمد من القرآن والسنة، وكلام الأدباء[٢]. واتجه ابن خميس كغيره من الأدباء المطبوعين إلى عرض مشكلات الأدب، وبرزت في ذلك وجهة نظره الشخصية، وهو صاحب الفكر التراثي العريق، والذي يستمد جذوة فكره وأسلوبه من صحاف القدماء من الأدباء، ومن تبعهم من المحدثين الذين ترسموا خطاهم، وقد اعتمد ابن خميس في تذوقه للأعمال الأدبية، وطرحها وعرضها، على إلمامه الكبير الواسع بفنون الأدب، و استيعابه لها، وعلى إدراكه الدقيق لأسرار اللغة، فهو في مقالاته إحيائي التوجه، والذي يتمعن في مقالات ابن خميس

---

(١) المرجع السابق، ص٤٣٥.

(٢) في الأدب العربي السعودي؛ فنونه واتجاهات ونماذج منه. د. محمد صالح الشنطي، ص١٣٣.

الأدبية، يرى فيها روحاً من أبي عثمان الجاحظ في مضمونه، ومن ابن المقفع وأبي حيان في أساليبهما في القديم. أما في عصرنا فلا يبعد كثيراً في مقالاته الأدبية عن أستاذه أحمد حسن الزيات صاحب الرسالة ووحيها، بل إنه يزيد عليه في كثرة انصرافه إلى القديم وامتياحه من تراثه اللفظي وقاموسه المفرداتي، ما يميل بكفته إلى الماضي أكثر من ميلها إلى الحاضر[١]. وقد أعجب ابن خميس بالزيات وجودة أفكاره، ولأنه كما يقول صاحب أعظم ديباجة في هذا العصر، وأقوى أسلوب كتب به كاتب[٢]، وبما أن الصحف السعودية قد حظيت بمشاركة ابن خميس إشرافاً كمجلة العرب، وتأسيساً وتحريراً وإدارة كمجلة الجزيرة التي تحولت إلى صحيفة يومية، وهو ممن أسهموا في الكتابة، وأسهموا برفع مستوى المشاركة الصحفية من كونها مهمة أو ما أشبهها، إلى جعلها رسالة فكرية، وأدبية تحمل مضامين راقية، تستمد وجهتها من اهتمام الأديب بالرفيع من القضايا الأدبية ومن تلك الصحف التي حوت مقالات ابن خميس الأدبية؛ أم القرى، وصوت الحجاز، والبلاد السعودية، والمدينة، ومجلة اليمامة، وجريدة الخليج، وقافلة الزيت، والحرس الوطني.

ولقد كان لجريدة الجزيرة نصيب وافر مما كتبه ابن خميس في مجال المقالة الأدبية، لما عُرف في التاريخ الإعلامي الصحفي من تأسيسه لها، وتوليه رئاسة تحريرها، والإشراف التام عليها والتي تحولت إلى الصحيفة اليومية التي تصدر إلى يومنا هذا.

ولأن كاتب المقالة الأدبية، ليس واعظاً ولا خطيباً ولا معلماً، وإنما هو أديب يتأمل الحياة، ويصور انعكاساتها في نفسه، وأثر وقوعها على وجدانه[٣]، كما وأن المقالة الأدبية تعتمد على سعة المعرفة، والقدرة على تذوق الأعمال

---

(١) الرأي مقتبس من كتاب المقالة في الأدب السعودي الحديث. د. محمد العوين، ص٥٩٤.

(٢) من مقالة (مات الزيات) فواتح الجزيرة، ص٣٥٤.

(٣) فن المقالة. محمد يوسف نجم، ص١٦.

الأدبية، والبراعة في التحليل والتوضيح[١]، فإنه قد أخذ منها ابن خميس نصيب الأسد، وكتب في شتى مناحيها وموضوعاتها، وقد حاولتُ تَصنيف المقالات الأدبية التي كتبها ابن خميس إلى أربعة موضوعات وهي:

أولاً: ما كتبه في سبيل اللغة العربية:

ومنها على سبيل المثال لا الحصر:

أ- غزو الفصحى في معاقلها[٢].

ب- مهد العرب ما دوره تجاه لغته[٣].

ج- حفظوا اللغة في عصر الأمية وأضاعوها في عصر العلم[٤].

د- وسائل الإعلام والفصحى المعاصرة[٥].

هـ- لغة البادية[٦].

و- أبخس وأبخص[٧].

ز- الفصحى أمانة في عنق هذه الأمة[٨].

ح- مجمع اللغة العربية بدمشق[٩].

---

(١) الأدب العربي/ فواز الشعار.ـ ط١.ـ بيروت: دار الجيل، ١٤٢٠هـ، ص١٧٤.

(٢) جريدة الجزيرة، ع١٢٤، ١٣٨٦/٨/٢٣هـ، ص٩.

(٣) من جهاد قلم، فواتح الجزيرة، ص٣٤٩.

(٤) مجلة مجمع اللغة العربية، الجزء السادس والستون، ذو القعدة ١٤١٠هـ، ص٥٤.

(٥) من محفوظات الأديب في رسالة موجهة إلى الأستاذ الدكتور شوقي ضيف رئيس مجمع اللغة العربية آنذاك، مساهمة من ابن خميس في مؤتمر المجمع في الدورة ٦٧.

(٦) من جهاد قلم، فواتح الجزيرة، ص٤٣.

(٧) من جهاد قلم، في النقد، ص٣٢٧، وانظر: مجلة المنهل، الجزء الثاني، المجلد ٢٦، صفر ١٣٨٥هـ/١٩٦٥م، ص٧٤٢.

(٨) المجلة العربية، ع ١٦٤، رمضان ١٤١١هـ، ص٣٠. انظر مجلة مجمع اللغة العربية، ج٧٠، ذو القعدة ١٤١٢هـ، ص١٢٩.

(٩) من محفوظات الشيخ عبدالله ابن خميس، مقال موجه إلى الأستاذ عبدالله المفلح لنشره في مجلة اليمامة بتاريخ ١٤١٨/٥/١هـ.

ثانياً: العناية بالتراث السعودي وما يخص الأدب الشعبي:

وللشيخ الأديب عبدالله بن خميس الريادة في تفصيح الأدب العامي، وفتح أبواب الدراسة لأنواع الأدب الشعبي، وكما أسلفنا فابن خميس أفرد مؤلفاً كاملاً لذلك هو (الأدب الشعبي في جزيرة العرب)، ولقد خصص ابن خميس من جهاده الأدبي المقالي عدة موضوعات تخوض في ذلك الشأن، ومنها على سبيل المثال لا الحصر:

أ- الأدب الشعبي السعودي[١].

ب- افهموا أدبنا الشعبي قبل[٢].

ج- نظرات في شعرنا الشعبي[٣].

د- حكمك جائر يا هذه[٤]. [المقالة متداخلة في مضمونها مع المقالة النقدية]

هـ- الأنباط والشعر النبطي[٥].

و- رفقاً بالتراث[٦].

ز- موقف الشعر من الموروث الشعبي[٧].

ح- إنه شعر شعبي لا بدوي ولا نبطي[٨].

ط- الشعر النبطي امتداد للشعر الفصيح[٩].

(١) مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية، العدد٢٣، السنة السادسة ، شعبان ١٤٠٠هـ، ص٦٣.

(٢) من جهاد قلم، في النقد، ص٧٣.

(٣) المرجع السابق، ص٢٧٩.

(٤) المرجع السابق، ص١٠١.

(٥) المرجع السابق، ص٧٩.

(٦) المرجع السابق، ص٢٨٣.

(٧) مجلة المنهل، ع٨١، شوال ١٤٠١هـ، ص٥٩.

(٨) من جهاد قلم في النقد. عبدالله ابن خميس، ص٨٩.

(٩) المرجع السابق، ص١٩٥.

ي- لقــد طلبــت مني شططاً فأنا لا أدعو إلا إلى الشعر الأصيل الفصيح(١). [متداخلة مع المقالة النقدية].

ثالثاً: الشعر العربي:

برزت عراقة ابن خميس في الشعر العربي رواية وحفظاً ونظماً في جميع مقالاتـــه، فعادة ما تشرق بها عباراته، ويدسها في ثنايا نثره، فهو شاعر أصيل مطبوع، يلبس الديباجة العباسية، فترصع بوهجها وضوئها بحوره وأوزانه.

وعشق ابن خميس للشعر أصيل متأصل؛ وضح في غرس والده منذ نعومة أظفـــاره، وتطوّر ونما حتى غدا ينبوعاً ثراً بالعطاء والقوة، وجعل ذلك العشق الأزلـــي من أديبنا منافحاً عن الشعر الفصيح، داعياً إلى المحافظة على أصالته وعراقته، فكان له مقالات أدبية صقيلة في ذلك الشأن ومنها:

أ- حول رواية بيت(٢).

ب- دولة الشعر تحتضر من المسئول عنها(٣).

ج- الشعر وأثره(٤).

د- الشعر يواكب الدعوة(٥).

هـ- أبو حمراء وابن عثيمين(٦). [متداخلة مع المقالة النقدية].

و- القصيدة المحظوطة يا ليل الصب(٧).

ز- أموت وأنا على رأيي في شعر الحداثة(٨).

---

(١) المجلة العربية، ع٢٧، شوال ١٤٠٦هـ، ص١١٣.

(٢) من جهاد قلم، فواتح الجزيرة، ص٣٣٦.

(٣) المرجع السابق، ص٣٣٩.

(٤) المرجع السابق، ص٢٧٣.

(٥) المرجع السابق، ص٢٤١.

(٦) من جهاد قلم، في النقد، ص٢٩٥.

(٧) المجلة العربية، العدد ٨١، شوال ١٤٠٤هـ، ص٢٨.

(٨) المجلة العربية، ع١١٠، ربيع الأول ١٤٠٧هـ، ص٢٦.

رابعاً: مقالات أدبية متنوعة:

كتب ابن خميس في شتى مناحي الأدب، وطرح قضايا مهمة، وتأمل موضوعاته بعينه الثاقبة، وسبر أغوار الأدب، واستخرج نفائسه، فكتب عن سوق عكاظ أكثر من مقال منها:

١- سوق عكاظ والنادي الأدبي بالرياض(١).

٢- سوق عكاظ في الجاهلية والإسلام(٢).

ومقالاً آخر عن [أدب الشيوخ وأدب الشباب](٣). كما عرف عن ابن خميس معايشته لأحداث العصر، وللمناسبات المحلية حيث كتب عدة مقالات منها: [ندوة الفيصل الأدبية](٤) وقد ظهر المقال بعد وفاة الملك فيصل رحمه الله، وآخر بعنوان [بإمكاننا أن نقوم أدبنا](٥).

وكان لموضوع السرقات الأدبية فيض من حماس ابن خميس الأدبي فأخرج عدة مقالات حول هذه الظاهرة الأدبية السلبية ومنها:

١- فضيحة أدبية لدينا تكشفها ندوة العقاد(٦).

٢- رئيس تحرير على إنتاج الآخرين يغير(٧).

٣- أخذه من هنا ووضعه هنا وقال مؤلفه أنا(٨). [متداخلة مع المقالة النقدية].

٤- هي عنز وليست عنزة(٩).

---

(١) من جهاد قلم، فواتح الجزيرة. عبدالله ابن خميس، ص٣٢٠.

(٢) من جهاد قلم في النقد. عبدالله ابن خميس، ص٢٣٣.

(٣) من جهاد قلم، فواتح الجزيرة. عبدالله ابن خميس، ص٣٢٣.

(٤) مجلة اليمامة، العدد ٣٤٥، ٢٣ ربيع الأول ١٣٩٥هـ، ص٦.

(٥) مجلة المنهل، ع٢٩ ذو الحجة ١٣٩٨هـ، ص٥١٢.

(٦) من جهاد قلم في النقد. عبدالله ابن خميس.ـ ط١.ـ ص١٩٩.

(٧) المرجع السابق، ص٣٢٧.

(٨) المرجع السابق، ص١٢٣.

(٩) المرجع السابق، ص٣٤٣.

والـــتقط ابن خميس بقلمه البارع بعض مظاهر الطبيعة، وتحدث عنها من خلال الأدب العربي، كما في مقالته التي بعنوان [النخلة في الأدب العربي][١].

كمـــا حفر ابن خميس في الأمثال العربية القديمة، وأوضح للقراء معانيها، والقصص المستندة عليها؛ كما في مقالته الأدبية [ما هي قصة عرقوب][٢].

وسأتناول بالتحليل بعض موضوعات المقالة الأدبية عند ابن خميس، ومن خـــلال ذلـــك نتعرف إلى ما رواه من أفكار وتوجهات أدبية تجاه قضايا الأدب واللغة، فهذا مقال أدبي بعنوان : (أبخس وأبخص)[٣]. (يقول الأستاذ الكبير أحمد ابن إبراهيم الغزاوي: أتحفنا على صفحات المنهل العذب بشاردة من شوارد لغة نجـــد؛ (أنت أبخص) ورجّح أنها فصيحة لما يعطيه اشتقاق هذا اللفظ من مدلول يقـــربـــها مـــن الفصحى وهو (تبخّص) بتشديد الخاء أي حدّق بنظره، فالتحديق يصاحبه التبصّر والتدبر، ونفى أن تكون بالسين (أبخس) ومن قبيل المشاركة في البحـــث وتوسيع دائرته أضيف ما يلي أن (أبخص) بمعنى أعْلم وأعْرف وأدْرى فصـــيحة، وليس دليل فصاحتها جاء من لفظ يبخِّص بمعنى حدّق حينما أرجعها الأســـتاذ إلـــيه، بل ورد أيضاً بخّص بمعنى تدّبر واستظهر وتمعَّن ومنه حديث القرضـــي فـــي قوله تعالى (**قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ**) لو سكت عنها لتبخّص لها رجال فقـــالوا ما صمد. وقد فسره بالذي يصمد إليه في الحاجات. فعلى هذا يكون لفظ بخّـــص سماعاً أوسع من حدّق في المشاهدات الحية إلى التأملات المعنوية ومنه تتأكد فصاحة أبخص بما لا يحتمل الشك ..).

وممـــا سبق عرضه من أجزاء تلك المقالة نتبين ثقافة ابن خميس الواسعة، وقـــوة حجـــته، واستدلاله بأقوال العلماء، والمعاجم اللغوية، وتضمين الدليل من الأبيات الشعرية، فيما تبقى من مقالته.

---

(١) المرجع السابق، ص٢٣.

(٢) ملحق الجزيرة الأدبي، العدد ٢٩٥٥، الثلاثاء ١٤٠٠/١٢/٢٢هـــ، ص٢

(٣) من جهاد قلم في النقد. عبدالله ابن خميس، ص٣٣٧.

ونستعرض المقالة الأدبية التي عنوانها (وسائل الإعلام والفصحى المعاصرة) وقد وجهها الشيخ مساهمة منه في دورة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ورئيسه آنذاك الدكتور شوقي ضيف يقول ابن خميس: (لا زلنا ننظر إلى المطالعة على أنها مادة ليست من الأهمية بمكان، مع أنها في الواقع مادة أساسية تطبيقية هامة جداً، يمر عبرها فقه اللغة والنحو والصرف، والبلاغة والعروض، وضبط الأعْلام والرَسم[١] وغير ذلك، ولكننا نكتفي منها بالقليل الهزيل، ونترك الطالب يأخذ هذه العلوم، ويكاد يخرج من المدرسة أجنبياً منها وهي علوم آلية إذا لم نروض المتعلم عليها، ونحمله على تطبيقها، ونناقشه في زواياها وحناياها، خرج منها جاهلاً بها .. الخ)[٢].

ومما اقتطفناه من المقالة الأدبية السابقة نستخلص أن الشيخ الأديب عبدالله ابن خميس أديب وعالم تربوي ضليع في علوم العربية، يشحذ الهمم لتطبيق الدراسة الشاملة الجامعة لكافة علوم العربية على النشء حتى لا يكونوا أجانب من لغتهم، أميين من علومها وأسرارها.

ويورد ابن خميس مقترحات العالم الأديب الحاذق، فيقول استكمالاً لما عرضناه من مقالته السابقة (أقترح أن تأخذ المطالعة في مناهج الدراسة حصصاً وافية وأن يدرسها أزهري[٣]، أو درعمي[٤] أو من على شاكلتهما من المتخصصين في هذه الفنون، وأن توضع لها كتب الجاحظ أو الزمخشري والقرطبي في التفسير، وأن يناقش فيها المدرس على الحبة والخردلة، وأن تكون درجاتها في الاختبارات درجات كبيرة، ويجب أن نهيئ الفرص لخريجي اللغة والآداب والشريعة، وأن

---

(١) الرسم: رَسَمَ إليه رسماً: كتب، انظر: لسان العرب، فصل الميم، مادة رسم ١٢/٢٤٢.

(٢) من محفوظات الأديب عبدالله ابن خميس، رسالة موجهة إلى الدكتور شوقي ضيف رئيس المجمع اللغوي بالقاهرة.

(٣) أزهري: من خريجي جامعة الأزهر المصرية.

(٤) درعمي: من خريجي دار العلوم المصرية.

نضع لهم المميزات المغرية، وأن نصرفهم إلى هذه العلوم بما استطعنا من دوافع ومحببات، فذلكم منهج أمة تريد المحافظة على لغتها وتراثها وفخرها ومكانتها بين الأمم، ولو بواسطة الإغراء والنصيحة).

ومن المقالات الأدبية التي أثرى بها ابن خميس الساحة ما خص به الشعر العربي الفصيح.

ويمثل ما استعرضناه عند الحديث عن ذلك الجزء مجة من لجة، وجزءاً من كل؛ وسأقوم باستعراض مقالتين أدبيتين لابن خميس فيما يخص الشعر أولاهما: [مقالة الشعر يواكب الدعوة][1]. يقول في بداية مقالته (برّ الشعر وأبرّ عصمة اللسان العربي، مأزراً للبيان، مستودعاً للغة، أعطى للمفسر مبتغاه، ووجد فيه النحوي شاهده، والمؤرخ ضالته، روى مآثر العرب ومفاخرها، وقدّر لهجاتها وأثبت الأصيل، ونفى الدخيل وحكى خِلال المجد، وخلائق السؤدد.

ولا كالعلى ما لم يُرَ الشعرُ بينها ... فكا لأرضُ غفلاً ليسَ فيها معالُم[2]

ولولا خِلالٌ سنّها الشعرُ ما درى ... بُغـاة العلىَ من أينَ تُؤتى المكارمُ

نصره الإسلام واستنصره، فأدى فيه وله قول الحق، ورفع منار الصدق، وحرك العواطف، واستثار المهج، ومدح فأعلى، وفخر بالإسلام فأنشده أهله في المعارك، وثبتوا به في ميادين اللقاء، وخذّل عن الإسلام وثلّب أعداءه، ولا تزال مواكب الشعراء، ونفحات الشعر تواكب الإسلام، وتذب عنه، وتمد أهله بفيض غزير من الحماسة، ودعم الحق ونصرة أهله ..." الخ.

---

(١) من جهاد قلم في النقد. عبدالله ابن خميس ، ص٢٤١.

(٢) البيتان للشاعر: أبي تمام. انظر: شرح ديوان أبي تمام. الخطيب التبريزي؛ تقديم: داجي الأسمر.ـ ط.ـ بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤١٣هـ، ص٨٧.

وباستعراضنا لما اقتطفناه من المقالة السابقة، نلمح إخلاص ابن خميس للشعر، وتبيان مآثره، وما هو عليه من مآثر قيمة، أفاد منها المؤرخون واللغويون، وحفظ لغة العرب، وكان لها مستودعاً أميناً ساهم في الفتوحات الإسلامية، دافع عن الإسلام وأهله، وذب عنهم بكل صدق وبلاغة.

وعندما استعرضنا قراءة وتمعناً ما بقي من المقالة السابقة، رأينا ابن خميس يسترسل في ذكر مآثر الشعر، ومواقف الشعراء من الدعوة الإسلامية إلى عصرنا هذا؛ يدلل بالشعر القوي الرصين، ويستعرض المواقع الإسلامية الخالدة التي كان فيها الشعر مناصراً ومؤازراً.

وفي مقالة أدبية أخرى يوضح ابن خميس موقفه من شعر الحداثة، ويقول: (الشعر الحديث طفيلي، والذي يقوله إنما عجز عن قول الشعر، وأموت وأنا على رأيي في ذلك النوع من الشعر؛ وأنا عازف عما ابتدعه المبتدعون في الديباجة الشعرية)[١].

ومما اقتطفناه من المقالة السابقة نستمد تمسك الأديب ابن خميس بالتراث الشعري العربي الأصيل عبر عصوره الأدبية، فتكون كل قصيدة نمطاً لروح الشعراء العرب الأفذاذ، وإطاراً بارزاً لأشكالهم الفنية.

ومما التقطته عين الأديب الشيخ عبدالله ابن خميس من مظاهر الطبيعة (النخلة) فتحدث عنها في مقالة أدبية ثرة بالوصف، والتصوير الوجداني، تحت عنوان (النخلة في الأدب العربي)[٢]. حيث بدأ مقالته الأدبية بإبراز الصلة بين العربي والنخلة، وأن العرب أشبعوها وصفاً ومنحوها عاطفة، وتباروا في سبيلها حباً وأوسعوها إعجاباً، وهي باقية مع الزمن، وخالدة مع الحياة، عِلْق لا يُباع ولا يُعار، حافظة على صداقتها بالرغم من تحول الزمن، وأبت على وسائل العيش

---

(١) المجلة العربية، ع١١٠، ربيع الأول ١٤٠٧هـ، ص٦٩.

(٢) من جهاد قلم، في النقد. عبدالله ابن خميس، ص٢٣.

أن تغمر مكانتها، أو تقلل من قيمتها، وإذا قدرت الغربة للنخلة وشطت في غير بلاطهـــا، وعاشت الوحدة والفرقة، فهي حينئذ لكنة الشعراء ومناجاة عواطفهم، ويـــورد ابـــن خميس جملة من الأبيات للاستدلال على مكانة النخلة في الأدب العربي فيذكر مثلاً قول الشاعر العراقي الصافي النجفي من قصيدة يخاطب فيها نخلة بأرض الشام؛ حيث لا نخل:

يا نخلة غُرستْ بأرض الشامِ لا أنـــتِ نامـــية ولا أنا نامي

ولا ينســـى ابن خميس أن يزين مقالته عن النخلة في الأدب العربي بما هـــو أبهى وأغلى؛ ذلكم هو آيات الذكر الحكيم، التي ذكر الله سبحانه فيها النخلة في مواقف مختلفة.

ويـــتطرق ابـــن خميس في مقالة أدبية أخرى إلى فكرة إحياء سوق عكاظ، ذلـــك المنتدى الأدبي العريق، الذي بلغ أوجه في العصر الجاهلي، ويتحدث ابن خمـــيس عـــن تلـــك الفكـــرة ضمن مقال بعنوان [سوق عكاظ والنادي الأدبي بالـــرياض][1]، يقول (بدأ الفأل نحو بناء مجد فكري وثقافي، نصل به الحاضر بالماضي، ونقف حيث ينبغي أن نقف من قمم المجد الفكري، بدأت فكرة عكاظ بمؤتمـــر أدبـــي لرواد الأدب في هذه البلاد، وبدأ نادي الرياض الأدبي باجتماع مبكر لأدباء المنطقة..، ويختم مقاله بقوله: فإنه ليس عيباً أن لا تحتضن الفكرة الجميلة، حتى يحين وقتها، وإنما العيب أن تحتضن ثم تموت بين يدي الطبيب).

ونخـــتم الحديث عن المقالة الأدبية عند عبدالله ابن خميس، بإيراد تحليل لموضـــوع إحدى المقالات الأدبية التي عالج بها ظاهرة السرقات الأدبية وهو بعنوان: [رئيس تحرير على إنتاج الآخرين يغير][2]. يقول: (نام النقد في بلادنا

---

(١) من جهاد قلم فواتح الجزيرة. عبدالله ابن خميس ، ص٣٢٠.

(٢) من جهاد قلم في النقد. عبدالله ابن خميس، ص٣٢٧.

ملئ عينيه، وتلاشت الرقابة الأدبية، وغفل حراس البيان عن واجبهم، ولم نعد نعـيش مـع الغـيارى علـى حمى اللغة والأدب والصحافة، تلك الصولات والجـولات التي يقوّمون بها ما أعوج ويصلون بها ما انقطع، ويرجعون بها الضـال إلـى جادة الصواب، وإذا سولت لأحد نفسه بالندل[1] من بنات أفكار غـيره أو الاعـتداء على حرمة القلم، أعطوه درساً يفارق الحياة وهو يحس بمـرارته وحـرارته، لـم نعد نعيش مع هؤلاء، فتسلل الواغلون والمتطفلون والأقزام على مائدة الأدب والصحافة، واندسوا في الصفوف، وامتطوا مراكب ليست لهم بمراكب، وحملوا أسماء وألقاباً ما كانت لهم، ولا أمثالهم، ولن تكون لـولا السـبات العمـيق، الذي يغط فيه أمناء لغة القرآن، ومن هذا القبيل ما طالعتنا به جريدة أسبوعية بالمنطقة الوسطى بتوقيع رئيس تحريرها، تسلل هذا الرئيس المفضال، وسلب كامل مقال مجلة (الجديد) افتتاحية لعددها (١٨٤) في ١٤/٤/١٣٩٠هـ وكأنهـا لـم تنشـره علـى صفحاتها، ولم يكن من أبرز موضوعاتها، بل وضعه حضرة الرئيس بحيث أراد من صحيفته، وذيله بالاسم الكـريم، وقـال يا عباد الله انظروا كيف يكتب رؤساء التحرير من الأساليب الرصـينة، والأفكـار الناجحة والموضوعات الحية، وانظروا كيف أن طول المعانـاة وإدمـان مـنادمة القلم، والإخلاص للمهنة تخرج لكم كتّاباً بارزين، يشرفون الصحافة، وتدفع بهم البلاد ليرفعوا رأسها في زمرة الكتاب العباقرة، ليعمل هذا ولسان حاله يقول:

إذا هبـت ريـاحك فاغتنمها فـإن لكـل خافقـة سكونا[2]

---

(١) الـندل: السـرقة الفكرية من ندل الشيء ، نقله بسرعة واختلسه، انظر: المعجم الوسيط، مادة ندل، ص٢١٣.

(٢) البيت للشاعر أبي العلاء المعري، ذكره ابن خميس في الشوارد، ج٢، ص٧٩٥.

فمـــا دام النقد في إجازة وما دام أمناء القلم نياماً، فليعمل حسبما يمليه عليه ذوقه، وما تسول به لـــه نفسه، وما علم أن عيناً أخرى ساهرة، وأن رقيباً يقظاً واقفاً لـــه بالمرصاد، ولسرعان ما اكتشفت وزارة الإعلام هذه المهزلة، فكتبتْ إلـــيه بما كتبتْ برقم ٨٥٥/و/أ في ٢٠/٤/١٣٩٠هـــ، وأعطت لعموم الصحافة صوراً بما كتبتْ، وإنها لظاهرة مؤسفة، وفكرة غير كريمة عن بلادنا، أن يفهم الآخرون أن رئيس تحرير يسطو على إنتاج الآخرين من الشادين والناشئين، أن هـــذا ما سوف يقوله الآخرون عنا.. بينما الخير كل الخير بحمد الله في بلادنا، ولديـــنا من المكانة الأدبية ما يجعل هذا وأمثاله في عداد سقط المتاع، فعسى أن نكون من أمثال هؤلاء على حذر، وأن ننـــزه صحافتنا وأدبنا عن كل واغل أو نـــادل، فلقد كان أسلافنا رحمهم الله غيرى على حمى الأدب، حراساً على أبوابه قـــال الحريـــري: (وغـــيرتهم على بنات الأفكار أشد من غيرتهم على البنات الأبكـــار)، إن هذه تذكرة لمن يريد أن يتسنم منابر الأدب والصحافة على أكتاف الآخريـــن وهمـــا براء إلا ممن رزق مع الموهبة طول الصبر، وكثرة المعاناة، ومسامرة المحابر، والدفاتر.

ومـــن خلال المقالة الأدبية السابقة نلاحظ قوة الطرح، وحسن المعالجة لتلك الظاهرة الأدبية السلبية، التي برزت في المجتمع، وهي السرقة الأدبية، ومن خلال طرح ابن خميس للموضوع، فإنه حمّل النقاد مسئولية ذلك، حيث أن عيونهم نائمة عـــن مـــتابعة مـــا يكتب وما ينشر، ويمتدح ابن خميس بعبارات قوية، ما اتخذته وزارة الإعلام من إجراءات تجاه ذلك الدعي الذي أغار على أفكار غيره ونشرها على صفحات الجرائد، ولا ينسى ابن خميس وهو ذلك العربي الأصيل، المتمسك بأصالته وتراثه أن يعيدنا معه للماضي العريق، ويقارن بين ما تواجه به السرقات الأدبية قديماً عند العرب القدماء في عصور ازدهار الأدب، ـــ وإن لم تكن شائعة كيومـــنا هـــذا ـــ وبيـــن ما تواجه به هذه الظاهرة في العصر الحديث، فيذكر أن أسلافنا الأدباء كانوا على حمى الأدب غيرى كغيرتهم على محارمهم.

ثالثاً: مضامين المقالة النقدية:

تناول ابن خميس عدداً من الآثار الأدبية لبعض الأدباء، والكتاب سواء كانت شعراً أو نثراً؛ وأوضح رأيه فيها، دارساً إياها دراسة كلية مستفيضة، وعادة ما يخرج حكماً عاماً على الأثر الأدبي وعلى صاحبه.

ويتميز ابن خميس ببعض الآراء النقدية الخاصة التي يتمسك بها ولا يحيد عنها مثل رأيه في الشعر الحر.

ولقد أثرت الحركة الأدبية التي قام بها الأدباء الناشئون في مطلع العهد السعودي، والتي كانت حركة إصلاحية في حقيقتها، "ولذلك فإن من الطبيعي أن ينتمي معظم إنتاجها إلى ميدان النقد الأدبي"[١]. ولأن اهتمام ابن خميس الأدبي قد أخذ جانباً من فكره ووجدانه، فقد تمرس في مجال النقد الأدبي تحليلاً وشرحاً وتفسيراً وتقويماً.

ولأن ابن خميس يحمل ثقافة واسعة، وحساً أدبياً، وإدراكاً للأسرار اللغوية، فإن ما طرقه من موضوعات نقدية جاءت دقيقة في أحكامها، جلية في مقاييسها النقدية.

وكما نعلم أن إسهامات ابن خميس النقدية المتصلة بالقضايا الاجتماعية زاخرة ووافرة؛ إلا أنه يلزمنا استبعادها عن نطاق المقالة النقدية المتصلة بالأدب، والتي تهدف إلى إصلاح وتقويم العمل الأدبي فنياً وموضوعياً، والتي عادة ما تخضع لذوق الناقد، وانطباعه عن النص، فهي ثرية بالآراء الجميلة والنقاش الرائع[٢]. ويمكن تصنيف المقالات النقدية التي كتبها ابن خميس إلى ما يلي:

١- المقالة النقدية الخاصة بالمعارك الأدبية وأدب الردود عند ابن خميس.

٢- مقدمات الكتب الأدبية [الشعر والنثر].

---

(١) النثر الأدبي في المملكة العربية السعودية. محمد عبدالرحمن الشامخ.ـ ط٣.ـ دار العلوم للطباعة والنشر، ١٤١٨هـ، ص١٠٠.

(٢) المقالة في الأدب السعودي. محمد العوين، ج٢، ص٤٤١.

٣- نقد المؤلفات الأدبية.

٤- آراء نقدية خاصة.

وسأتناول الأنواع السابقة بشيء من التفصيل.

أولاً: المعارك الأدبية وأدب الردود:

من الجميل أن أبدأ عرض هذا النوع من المقالات النقدية بحديث للشيخ ابن خميس عن المعارك الأدبية يقول: "المعارك التي خضتها كثيرة وكبيرة، ومنها ما أتذكره؛ وهو باق في الذاكرة، ومنها ما قد مرّ ونسيته، وإن كان مثلها لا ينسى. هنالك معارك أدبية كبيرة خضتها مع الأدباء والشعراء والعارفين ومنها ما انتصرت فيها، ومنها ما كان بين بين.

تحدثتُ مع أقطاب، وتعرفتُ على رجال وعلى علماء وعلى أدباء وعلى شعراء وعلى أناس عرفتهم، وتحدثتُ معهم ونازلتهم ونازلوني، وهاجمتهم وهاجموني، ولقيت معهم ما يلقى مثلي وأمثالهم، ولكن أقول سامحهم الله وعفا عنهم ووفقهم إلى كل خير"[١].

ومما سبق يتبين لنا أن الشيخ ابن خميس قد عانى الكثير، وتألم ممن نشبت بينه وبينهم معارك أدبية نقدية، مما اطلعت عليه من مقالاته المشتملة على ذلك، وهي كثيرة، وكان أشد ألماً ممن كان نقدهم غير موضوعي، ويهمهم الهدم لا البناء، والذم أكثر من التقويم، ونشدان الحق، فهم يسيئون لشخصية المؤلف أكثر مما يسيئون لآثاره، ومن هنا جاءت كتابات ابن خميس النقدية في كثير من ملامحها تتسم بالحدة وسرعة الهجوم، وكان لا يقارعهم بالحجة فحسب، وإنما باستلهام النصوص والشواهد التراثية، وردود ابن خميس تكتسب أصالة وعراقة باكتسابها البعد الحضاري، والتاريخي للأمة الإسلامية، كما وتكتسب شمولاً بتحريرها من إطار الجزئية، إلى الاندماج الكلي، وهذا الخروج في رأي الدكتور

---

(١) المجلة العربية، ع٢٦٣، ذو الحجة ١٤١٩هـ، ص٣٧.

علـــي عشري زايد يجعل الأديب يخرج من نطاق الذاتية في تجربته، إلى نطاق التجربة الإنسانية العامة(١).

ولـــذا وجدنا أن معارك ابن خميس النقدية تنطوي على مواد علمية وأدبية وتاريخية، ولغوية، ونحوية، حافلة بالإثارة.

ويظل نقد ابن خميس في تلك المعارك الأدبية النقدية يكشف حقيقة الحركة الأدبـــية الـــنقدية و الثقافية في المملكة العربية السعودية، ويصور واقع الأدباء، وأعلام الفكر واهتمامهم.

وتوضح تلك المعارك النقدية دور ابن خميس في الحركة الفكرية والثقافية، وإثـــراء الإنتاج الأدبي المحلي، وتجسيده واصطفائه، بالشكل اللائق القائم على الموضوعية، وجودة التوثيق. ويدخل في المعارك الأدبية ما رأيتُ أن أطلق عليه أدب الـــردود عـــند عـــبدالله ابن خميس، وهي ردود مفعمة بالإثارة، والحكمة، وزاخـــرة بكنوز من لغة العرب وآدابها، ومن ذلك المقالة النقدية التي كتبها ابن خمـــيس رداً علـــى الدكتور حسن الهويمل وجعلها تحت عنوان [أنت ممن يأخذ القول على عواهنه .. فتعقل](٢).

يقول "الدكتور حسن الهويمل قدم محاضرة بعنوان" [الإبداع العامي المحظور والمـــباح] يـــرى فـــيها أن الشعر العامي لا يجب أن يتخطى مجال الشفاهية إلى التدويـــن، ولا يجب أن نستخدم أدوات النقد الأدبية لتقويم الشعر العامي، الذي لا يخـــدم الأدب ولا الوطـــن ولا الأحـــلام، فاعـــتقد إنه إذا كان القول حقاً وقد قاله بصـــراحة، ولا حرية، فيه، فهذا لا مجال لي معه، ولا مجال لي أن أنقده، أو آخذ علـــيه، وهذا من الذين يقولون القول على عواهنه، ويطلقونه بمجرد أنني سمعت الناس يقولون شيئاً فقلته كما يقول فلان، وكما يقول فلان وفلان ... الخ".

---

(١) اســـتدعاء الشخصيات التراثية. الدكتور علي عشري زايد.ــ ط١ــ القاهرة: دار الفكر العربي، ١٩٩٧م، ص١٧.

(٢) جريدة عكاظ، ع١٠٨٤٢، الجمعة ٢ ذو الحجة ١٤١٦هـــ ، ص١٦.

وهنا نلاحظ أن ابن خميس اتهم خصمه بعدم التعقل، والسير وراء آراء الآخرين، وتقليدهم فيما يطلقونه من أحكام، وكما في المقالة النقدية التي رد بها على أحدهم بعنوان [أعد التأمل يا ناقد][١]، وفي هذا المقال النقدي نلمح خاصية تميز بها ابن خميس وهي تحاشي ذكر الأسماء الصريحة لمن يوجه لهم النقد، وعبر المقال السابق أخفى ابن خميس على القارئ اسم من كان يساجله، وكنا نظن أنه مجهول له.. بينما ورد نص له خلال سياق تلك المساجلة يقول ابن خميس "فيا أيها الناقد؟ ألم تكن المرة الأولى أعطتك درساً حينما لم أرفع لك رأساً لأني أعرفك؟ فلجأت هذه المرة إلى أن تخفي اسمك، وبعد هذا تقول هذا القول، فجوابي هذه المرة أخاطب به الفاعل لا نائب الفاعل أفهمت؟!".

وابن خميس هنا لا تأخذه حجج وأقاويل، ولا يقر اعتذار خصومه، يقول في المقالة ذاتها "فاعتذارك هذا لا يستند على أساس يركن إليه، ولا تقره أمانة النقد، ولا نرضاه من مثلك، قضايا الفكر يجب أن تكون بعيدة عن المجاملة، بعيدة عن التقول بعيدة عن التدليس... الخ".

وهكذا يبدو لنا ابن خميس في منظوره النقدي متحمساً جاداً لصيقاً بموضوعه ومادته، عنيفاً شاهراً كل أسلحة الإقناع للآخرين والاستسلام لآرائه والخضوع لمذاهبه.

وفي مقام آخر مقالة نقدية نستوضح من خلالها أدب الردود النقدي عند عبدالله بن خميس وهي بعنوان [أطرق كسراً يا ابن إدريس][٢]. يقول هذا مثل ذكره الميداني في مجمعه وهو مرخّم وأصله أطرق يا كروان يقال للذي ليس عنده غناء ويتكلم ليقال له اسكت، فأنت أولى بالسكوت ... الخ. ومن خلال اطلاعي على كامل المقال وجدت ابن خميس صاحبَ حجة قوية في الرد على ناقديه يلجأ إلى الاستدلال بالواقع ويوثق بالأحداث المؤرخة، والتي يعلمها خصمه، ونستطيع

---

(١) جريدة الجزيرة، ع ٢٦٨٣، ١٤٠٠/١/١٥هـ، ص١١.

(٢) المجلة العربية، ع٩٣، السنة ٩، المجلد ٢٤، ١٤٠٥هـ، ص٢٢.

أن نستوضح براعته في الردود النقدية ابتداء من عنوان المقال، والذي لجأ فيه إلى أسلوب الخطاب ليشد انتباه القارئ إلى ما سيعقبه من عرض.

وفـــي مقـــالٍ نقدي آخر نستوضح من ظاهرة الرد النقدي عند ابن خميس نســـتعرض مقالة بعنوان [أبو حمراء وابن عثيمين][١]. يقول: "قضية في نظري ليســـت مجـــالاً للجدل، وتصور ما كان له أن يشغل بال مثقف، أو يستبد بتفكير مفكر، لأنه تفكير فردي يعوزه العمق، وتنقصه معطيات قضايا الجدل...

إن ابن عثيمين ليس شاعراً؛ هذا هو موضوع أبي حمراء تَصَوَّره، وجعل من تصوِّره قضية شائكة، ثم طرحه للقراء.

ويواصل ابن خميس قوله: "إن حرية الرأي في التفكير، والنقد والدراسة الفاحصة العصـــرية المتمكنة أمر لا مشاحة فيه، ولا مجال لإنكاره. أما أن يأتي أحد مثل أبي حمـــراء، ويقتحم الحدود والقيود، يتخيل قضية، ويصدر حكمه عليها، بالرغم مما فيها مـــن مساس بتاريخنا وفكرنا من ناحية وما فيها من نزوة ذهن وحَيْدة عقل من ناحية أخرى، فهذا يجب أن يقف له النقد بالمرصاد، وما يجب أن يوقف عند حده، ويبين له طـــريقه، لأن حرية الرأي إذا بلغت هذا المستوى أصبحت فوضى، وحرية التفكير إذا طغت عن الحدود والقيود أصبحت نكسة، فلو أن أبا حمراء حينما اعتاصت عليه هذه القضـــية ــ ومـــا بها من عوص ــ طرحها للاستفتاء، واستنبط آراء الآخرين لكانت خطوته موفقة..."

ويواصل ابن خميس نقده لحكم أبي حمراء على شعر ابن عثيمين قائلاً: "ثم يا أخي أبي حمراء من أوحى إليك أن نجداً كانت جاهلة أمية إلى درجة لا تفهم معهـــا الشعر الفصيح، وأنه أشبه بالرطانة.. هذه دعوى تحتاج إلى بيِّنات، أين

---

(١) محمد بن عبدالله بن عثيمين. شاعر نجدي، من أهالي حوطة بني تميم. اشتهر بشاعر نجد، ومولـــده في بلدة السلمية من أعمال الخرج عام ١٢٧٠هـــ وتوفي عام ١٣٦٣هـــ. انظر: الشـــاعر الكبير محمد بن عبدالله ابن عثيمين شعره ونثره، تأليف الأستاذ الدكتور محمد بن سعد بن حسين.ـــ ط١.ـــ الرياض: دار عبدالعزيز آل حسين للنشر والتوزيع، ١٤١٢هـــ.

أنت من حلَق العلماء، ومطارحات الأدباء، ورواية الرواة، والردود على منابذي الدعوى السلفية وأعدائها.

ألـم تعلـم يـا أبا حمراء أن العربي شاعر بطبعه، غنائي بسليقته، ذواقة بملكـته، وأن الشعر الذي وصل إليك عن الجاهلية، وصدر الإسلام أصحابه لم يلجـوا مدرسـة، ولم تنعقد بهم حلقة تدريس، وما عرفوا قواعد النحو والبلاغة والصـرف والرسـم والعروض، ولكنها الملكة، وسلامة الطبع، وصفاء الذوق، والذهـن والإحسـاس، فلماذا تجرد عربي اليوم من كل ذلك، وتقول إنه لا يفقه الشعر الفصيح، ولا يعرفه....".

وكمـا تبين لنا من الطرح السابق، فإن ابن خميس بسط القضية، ورد على صـاحب الفكـرة بالأدلة والحجج، من التراث العربي والإسلامي القديم، ومن الـتراث والـتاريخ الحديـث، ووجهه الوجهة الصحيحة؛ لبسط مثل تلك الآراء النقدية الجريئة الخطيرة، التي إن لم يتصد لها من أمثال ابن خميس، فإنها ستعود على الفكر والأدب في بلادنا بالنكسة، والتشكيك. وما يلبث ابن خميس أن يعنف في رده على أبي حمراء، ويقارعه وجهاً لوجه، قائلاً في المقالة نفسها: [حنانيك يا أبا حمراء ورفقاً بأمتك وبتراثك وبسلفك، وإذا كنت لا تفقه هذا الذي تقول لما داخلـك من عجمة، أو لما خالطك من ريب، أو لما يهزك من بريق تحسبه ماء حـتى إذا جئـته لـم تجده شيئاً.. وإذا كنت مأخوذاً بهذا الذي تقوله، أو ببعضه فأطلـب لنفسـك العافـية، وعاود عقلك وتفكيرك، واعرف عن أمتك وتاريخك وفكـرك ما يجب أن تعرف، ولا تورد إبلك وأنت مشتمل، وإذا لم تستطع شيئاً فدعه، وما دمتَ نكرة تعرَّف، فلا تحاول أن تعرف نفسك عن طريق مدلول هذا المـثل "خـالف تعرف" فمن هو أبو حمراء وما هي هذه الحمراء؟! هل هي حمراء الأسد، أو حمراء الجمل، أو حمراء؛ لأن أباها أحمر، والأحمر ـ بطبيعة الحال ـ يتـنكر لكـل شيء، ويهدم ولا يبني، أو أحمر؛ لأنك تفقد سمرة العرب وسحنتهم،

وتنتسب إلى الهنود الحمر، كل ما في الأمر أنك نكرة ما عُرِفت إلا بمنكر وبئس من لم يعرفه الناس إلا عن هذا الطريق][1].

وكما هو واضح في ختام هذا المقال النقدي الذي رد به ابن خميس على أبي حمراء، فإن الحدة والتجريح اللذين سلكهما يأتيان تأديباً لهذا الخصم، الذي أغار على أمور ثابتة في التراث الأدبي السعودي.

ومن الردود النقدية التي كتبها ابن خميس ما عرضتهُ تجاه من نقدوا مؤلفاته الخاصة ومنها:

١- للأستاذ السرحان[2] ونقده لكتاب الأدب الشعبي[3]. وقد قام منهج ابن خميس في رده على السرحان على مبدأ مقارعة الحجة بالحجة؛ لذا نراه يضع أمامنا النص الذي يستمد منه السرحان قوة مادته، ومن ثم يقابله بما عنده، ولا ينسى ابن خميس أن يطمئن السرحان أنّ الفصحى ما زالت بخير، وهو لا يخفي حماسته والتصاقه بلغة القرآن، فهو من المتعصبين للفصحى، المغالين في التعصب.. ويقول في ذلك [وإذا صح أن يوصف محافظ على لغة القرآن بالرجعية، وجدتُ في الرعيل الأول من الرجعيين][4].

---

(١) من جهاد قلم في النقد. عبدالله ابن خميس، ص٢٩٥ [نشرت القضية والرد عليها على صفحات مجلة اليمامة].

(٢) هو حسين بن علي بن صويلح بن سرحان الرويس العتيبي. ينتمي إلى المراوحة. أديب وكاتب وشاعر من قبيلة الروسان. ولد عام ١٣٣٢هـ في حي المعابدة بمكة المكرمة تلقى تعليمه في دار الفلاح، من مؤلفاته (الطائر الغريب)، (أجنحة بلا ريش). توفي عام ١٤١٣هـ. انظر: الموجز في تاريخ الأدب السعودي. د. عمر الطيب الساسي، ص١٠٩.

(٣) من جهاد قلم في النقد. عبدالله ابن خميس، ١١٩.

(٤) من مقال [افهموا أدبنا الشعبي قبل]، المرجع السابق، ص٧٣.

٢- نقد كتاب من أحاديث السمر من كل من الدكتور عبدالستار الحلوجي، ومحمد سليمان السديس، في مجلة الدارة وقد دون رده عليهما في كتابه من جهاد قلم في النقد[١].

٣- نقد الأستاذ علوي الصافي[٢] لكتاب الشوارد لعبدالله ابن خميس[٣]. وقد رد عليه رداً طعّمه بشيء من الدعابة الضاحكة؛ لأن ابن خميس يعلم أن علوياً مـــرن مـــازح، وإن كان أحياناً يجيش قلمه، فيقتحم الحدود والقيود ويطبق مبدأ العرب الأول

وأحـــياناً علـــى بكر أخينا إذا مـــا نجـــد إلا أخانا[٤][٥]

٤- إلا أن ابن خميس لا يطبق مبدأ العين بالعين، والسن، بالسن، والبادئ أظلـــم تجـــاه من ينتقد مؤلفاته؛ إلا إذا كان في نقدهم تجاوزاً للمعهود من وجود الدقـــة والموضـــوعية والصـــدق، وأن يَنْصب النقد على الأثر الأدبي، لا على صـــاحب الأثـــر ومـــن ذلك ما رد به على من سمى نفسه (قارئ) وانتقد كتابه الشـــوارد[٦]. يقول: "ولقد استعملت هذا اللون من الأسلوب؛ لأن مقتضى الحال

---

(١) المرجع السابق، ص١١٧.

(٢) علـــوي طـــه الصـــافي. ولد في عام ١٣٦٣هـــ، في منطقة جيزان. درس الحقوق في الجامعة الأمريكية ببيروت. له مقالات أدبية وقصص قصيرة. عمل في وزارة الإعلام مدة من الزمن، ومحـــرراً فـــي جريدة البلاد ورأس تحرير جريدة المدينة وعمل في مجلة الفيصل، وكان يوقع برمـــز (مســـمار). انظـــر: دلـــيل الكتاب والكاتبات. خالد أحمد اليوسف، وخزيمة العطاس، ص١٥٨.

(٣) ابن خميس وآثاره الأدبية. محمود رداوي، ص١٢٢.

(٤) المرجع السابق، ص١٢٥.

(٥) البيت للشاعر: القطامي، ذكره ابن خميس في الشوارد، ج٢، ص٥٤٨.

(٦) من جهاد قلم في النقد. عبدالله ابن خميس، وانظر: ابن خميس وآثاره الأدبية، ص١٢٣.

يســتدعي ذلك، وهو مخاطبة كل إنسان بما يليق به... الخ"، ويذكر ابن خميس بعــض صــفات هذا القارئ والتي منها : أنه دخيل على الأدب، وليس أصيلاً ويجهل النقد وقواعده ودروبه، ويختم ابن خميس رده بأبيات من الشعر العربي متمثلاً بها في مثل تلك الحال يقول:

وكنت كعنــز السوء قامت لحتفها إلى مدية تحت الثرى تستثيرها[١]

ورد ابن خميس على عبدالقدوس الأنصاري في نقده لكتابه [المجاز بين اليمامة والحجــاز] وقــد بلغ ما أخذه الأنصاري على ابن خميس في كتابه المجاز خمس عشــرة ملاحظة، وسنورد الملاحظة الأولى ورد ابن خميس عليها يقول: "في مجلة القافلــة الغراء العدد الثاني من المجلد العشرين كتب الأستاذ عبدالقدوس الأنصاري. بحثاً تحليلاً عن كتابنا [المجاز بين اليمامة والحجاز][٢]، ولقد أضفى على الكتاب ثناءً كثــيراً، وقــرظه تقريظاً منصفاً يليق به، بحكم أنه من أرباب البحث والنقد في هذه البلاد، ومن الذين أبلوا بلاء حسناً في خدمة العلم والأدب ... وإنني إذا أشكره شكراً جــزيلاً علــى ثــنائه، وعلى ملاحظاته وأحمد له جهاده المتواصل في سبيل العلم، أجدنــي ملزماً بتنبيهه إلى بعض ما نسيه، أو إلى ما غاب عنه، أو إلى ما لم يصل إلــيه علمــه حــول ملاحظاته ووقفاته، والقضية لا تخرج عن حيز البحث العلمي الهــادف، الذي يدعو إليه هو. فقد لاحظ الأنصاري ما جاء في هذه العبارة (ونشير إلــى مــا وقع فيه أو حوله من أحداث أو قصص أو آيات قرآنية أو أحاديث نبوية) وقــال أرى فــيه شــيئاً، ذلك أن القرآن والأحاديث النبوية لا تقع إنما الآيات تنزل والأحاديــث تُروى] ويرد ابن خميس على هذه الملاحظة للأنصاري، بقوله "وأظن

---

(١) البيــت للشــاعر: الفرزدق، انظر: ديوان الفرزدق؛ تقديم وشرح مجيد طراد.ـ بيروت: دار الكتاب العربي، ج١، ١٤١٢هـ، ص٢٢٠ .

(٢) من جهاد قلم في النقد. عبدالله ابن خميس، ص٢٠٧.

أن مثل هذا الأسلوب المطرد في لغة البيان العربي لا يغرب عن ذهن الأستاذ الأنصاري ولا يستطيع أن يرد شواهد، أو يماحك فيها إلا من ذهب يبحث عن بنيات الطريق من أجل تبرير موقفه وعدم التظاهر بخطأ ما ذهب إليه، وليس بعد القرآن الكريم مذهب لمبتغي بلاغة القول، وسمو تعبيره فها هو يقول: **﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا﴾** ـ سورة المائدة الآية ٦ـ هاهو يقول [وامسحوا برؤوسكم وأرجلكم إلى الكعبين] فالرؤوس مجرورة بالباء، والأرجل منصوبة، فبماذا نصبت؟ لو طردنا قولك يا أستاذ عبدالقدوس لاقتضى الأمر أن تكون الأرجل مجرورة عطفاً على الرؤوس، ثم تنفيذ الحكم الشرعي حسب هذا المفهوم، كما تهيأ لإحدى الفرق الإسلامية الشاذة، التي تمسح أرجلها في الوضوء بدلاً من غسلها[1]. بناء على هذا المفهوم مخالفةً لجمهور المسلمين، فالقضية يا أستاذ عبدالقدوس قضية حذف وتقدير، وأنت تعرف أقوال النحاة حول ذلك، وأقوال البلاغيين في الفصل والوصل، فلماذا تعد ذلك من سقطات صاحب المجاز، أتظنه يخفى عليه أن القرآن ينزل، وأن الأحاديث تقال وتُروى، حينما التمست أن تكون هذه غلطة من غلطاته؟ ألا تدرك أن التكوين في الأساليب ولو بالحذف والتقدير مطلب من مطالب البلاغة، ومقصد من مقاصد الفصحاء؟ ألا تدرك أن الآية القرآنية تفسيرها هكذا: وامسحوا برؤوسكم واغسلوا أرجلكم إلى الكعبين؟ فلماذا حذف الفعل (اغسلوا)؟! لا شك أنه مقصد بلاغي سام، والشواهد على هذا من القرآن وغيره كثيرة فلا ملاحظة يا أستاذ".

---

(١) فرقة الرافضة، هي عقيدة من عقائد إحدى فرق الشيعة الإمامية الإثني عشرية. انظر الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة.ـ ط٢.ـ الرياض: مطابع السفير، ١٤٠٩هـ، ص٢٩٩، (صدر عن قسم الدراسات والبحوث في الندوة العالمية للشباب الإسلامي).

ومما سبق عرضه من رد ابن خميس على أديب مثله هو عبدالقدوس الأنصاري؛ نلاحظ أن الحقيقة كانت هي ما ينشده ابن خميس في نقده، فهو يسعى إلى إيضاحها بأسلوب أدبي مهذب، فنراه يذيل عبارات ردوده بقوله "يا أستاذ" ولم يلجأ للتجريح ولا العنف، إنما تأنى ابن خميس في استحضاره الثقافة الدينية، واللغوية والنحوية لرفد حجته، والتدليل عليها، حتى لمسنا في رده علامات تفوق، وإجادة وإقناع.

ونختم الحديث عن هذا الجانب من المقالة النقدية عند ابن خميس بأن أدب الردود عنده زاخر بالأفكار والمعلومات اللغوية والأدبية والتراثية والدينية والتاريخية، وأنه من خلالها أضاف أصولاً للنقد الأدبي، والمساجلات الأدبية.

وفي معاركه الأدبية يذكرنا بالرعيل الأول من أدباء وشعراء أمتنا الإسلامية؛ في مناهجهم في فن المساجلة والهجاء.

ثانياً: ومن المقالة النقدية ما دونه ابن خميس في مقدمات الكتب التي ألفها بنفسه، أو ألفها غيره من الأدباء والشعراء، وتعد مقدمات الكتب من المجالات المطروقة لفن المقالة النقدية[(١)].

وفيها يقوم الناقد بإرشاد القارئ ومعاونته على اختيار أفضل الأعمال ذات المستوى الجيد[(٢)].

وتسمى المقالة النقدية التي يضعها الكاتب مقدمة لمؤلفات الآخرين تقريظاً[(٣)]. ومن المقدمات النقدية لابن خميس ما يلي:

١- مقدمة ديوانه الشعري على ربى اليمامة.
٢- مقدمة ديوانه الشعري الديوان الثاني.
٣- مقدمة كتابه من (جهاد قلم في النقد).

---

(١) فن المقالة الأدبية والموضوعية والصحفية. محمود شريف، ص١٣٩. وانظر النثر الفني الحديث. عبدالباسط حمودة.ـ ط١.ـ القاهرة: دار الرسالة،١٤٠١هـ/١٩٩٢م، ص٦٠.
(٢) فن المقال الصحفي. إسماعيل إبراهيم.ـ ط١.ـ القاهرة: دار الفجر، ٢٠٠١م، ص٢٣٢.
(٣) تقريظ الكتاب: وصف محاسنه ومزاياه. المعجم الوسيط مادة قرظ، ص١٠٤.

٤- مقدمة كتابه (فواتح الجزيرة).
٥- مقدمة كتابه غير المنشور (شئون وشجون من واقع حياتي).
٦- مقدمة كتابه من جهاد قلم (بحوث ومحاضرات).
٧- مقدمة كتابه شهر في دمشق (كتاب رحلات).
٨- مقدمة كتابه الشوارد.
٩- تقديم لكتاب البدايات الصحفية، المنطقة الوسطى للمؤلف محمد القشعمي[١] [تقريظ].
١٠- مقدمة كتاب (إملاء ما منّ به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات في جميع القرآن) [تقريظ] للمؤلف محب الدين أبي البقاء بن عبدالله العكبري[٢].
١١- مقدمة كتاب الصحافة للمؤلف محمد ناصر بن عباس[٣] [تقريظ].
١٢- مقدمة كتاب إجابة السائل على أهم المسائل، تأليف عيسى العكاس رحمه الله[٤][٥].

---

(١) مدير الشئون الثقافية بمكتبة الملك فهد الوطنية الآن.
(٢) العكبري بضم العين محب الدين أبو البقاء. ولد سنة ٥٣٨هـ، وبرع في الفقه والأصول وحاز قصب السبق في العربية. توفي سنة ٦١٦هـ. انظر: الأعلام، خير الدين الزركلي، ٤/٨٠.
(٣) صحفي مرموق وكاتب معروف. عمل رئيس تحرير لجريدة الجزيرة منذ ١٤٠٤/٩/٢٤هـ إلى ١٤١٦/٨/٢هـ [انظر كتاب قصة الجزيرة، ص١٤٢].
(٤) إجابة السائل على أهم المسائل. الشيخ عيسى العكاس، مطابع الرياض، ١٣٧٤هـ
(٥) هو العلامة الورع الشيخ السلفي عيسى بن عبدالله بن عيسى بن عكاس. كان أجداده يسكنون عنيزة، ثم رحلوا إلى الأحساء فطاب لهم المقام. ولد بالأحساء عام ١٢٦٨هـ، كان كفيف البصر. له نور ضئيل يشع من عينيه فحفظ القرآن عن ظهر قلب، وقرأ الفقه المالكي، وعقائد السلف. ولاه الملك عبدالعزيز القضاء في الأحساء عام ١٣٣٤هـ، واستمر مدة حياته ولم يأخذ أجرا أبداً. توفي عام ١٣٣٨هـ. انظر: ترجمة وافية للشيخ عيسى العكاس، في كتاب مشاهير علماء نجد للشيخ عبدالرحمن بن عبداللطيف آل الشيخ.ـ ط٢.ـ دار اليمامة، ١٣٩٤هـ، ص٢٧٥.

وسـأعرض بالتحليل والتمثيل لبعض المقدمات النقدية في تلك المؤلفات من خلال (مقدمة ابن خميس لديوانه الشعري على ربى اليمامة) يقول : "وإذا كان لابد لي أن ألتمس لنفسي عذراً تجاه الشعر، وما عسى أن أكون قد قصرت فيه فهو أنه لم يعطني إلا بمقدار ما أعطيته، وما يواتيني إلا بمقدار ما واتيته، فالشعر صعب الانقـياد شـموس المواتاة، له طقوس يؤثرها وأجواء يحلق فيها، ودوافع ودواع يـأنس بهـا ولها، فإلى جانب الملكة والاستعداد الفطري، فلا بد أيضاً أن يكون الجـو مهيئاً لمنادمته، والمجال صالحاً لمناغاته. وسوف تجد ـ قارئي الكريم ـ فـي هـذا الديـوان مفارقـات تستوقفك، ووقفات تستجلب استفهامك، حينما تجد قصـيدتين متقاربتيـن في مكانهما من الديوان، يضمهما غرض واحد، ومع ذلك يتفاوتان في الديباجة، ويتباينان في العرض، ويختلفان في الصورة فما سبب ذلك؟ إننـي لم أميز في ترتيب هذا الديوان بين شعر التلمذة، وشعر ما بعدها، ولا بين شعر قديم وجديد، وكذلكم فإنني لم أشأ أن أكون غامضاً في شعري ألقي غرضي بطـرائق قددا، وأسلك به مسارب وسراديب، قد لا يخرج القارئ منها إلا بالألفاظ المروقة، والتعابير المرقرقة، والألوان الصارخة، ولكني حاولت أن أكون واضح الأسـلوب كوضـوح الفكرة؛ ولعلك ترى أن بعض الأغراض في هذا الديوان قد طغـت على ما سواها فتراني أكثرتُ من الوطنيات، وربما غيرها وجاء نصيب الجوانب الأخرى قليلاً أو نزراً! وما بي أن أكيف نفسي على غير الظروف التي عشتها، والبواعث التي أحسستها، فإن الحياة هي التي تكيف الأغراض، والدواعي هي التي تحدد الدرب، ليكن الشاعر صادقاً مع نفسه، متفاعلاً مع فنه، يعطي حيث تتوافر دواعي العطاء ويخصب حيث تقوم دواعي الخصب"[١].

يـتحدث ابـن خمـيس من خلال مقدمته السابقة عن قضية نقدية طالما تحـدث فـيها الـنقاد، وأشبعوها بحثاً، وهي قضية الوضوح والغموض في

---

(١) ديوان على ربى اليمامة. عبدالله ابن خميس، ص٥.

الشـــعر، وقضية الشكل والمضمون، ووجوب الارتباط بينهما والتآلف وعدم التـــنافر. وتحـــدث عن بواعث الشعر ودواعيه، وأن تلك البواعث هي التي تسير الشاعر في أغراضه الشعرية، وصدق التجربة الشعورية، التي يجب أن يتميز بها الشاعر المطبوع(١).

وللتأكيد على النهج الذي سلكه ابن خميس في مقدمات الكتب، والتي تعتبر عـــند النقاد باباً من أبواب المقالة النقدية؛ نعرض ما كتبه ابن خميس في مقدمة كـــتابه من جهاد قلم في النقد فيقول : [مادة هذا الكتاب هو ما حصلت عليه مما كتبته في النقد، سواء ما كتبته ابتداء ناقداً، أو ما عقبتُ به على نقد موجه إليّ منقوداً، ومعظم مادة هذا الكتاب تخص ما كتب عن تاريخ بلادنا، أو جغرافيتها، أو أدبهـــا أو لغتها، وبعضه يرجع إلى أكثر من خمس وعشرين سنة فما دون، ممـــا قـــد تسنى لمؤلفيه أن يعيدوا طبعه، ويصححوا ما عسى أن يكون فيه من مـــآخذ، ومـــا أردت من نشره غير حفظه من الضياع ولم شمله في كتاب ربما تكـــون فائدتـــه لي خصوصاً، ولا ضير أن تكون هناك مجالات للنقد في بلادنا تذكر وتصوب وتصحح وتوجه، فإنتاج بلا نقد في أي مجال من المجالات يعتبر فجاً خِداجاً تنقصه الدقة والتحقيق والتمحيص، فيجب أن يتسع صدرنا للنقد وأن نتلقاه بروح رياضية مرنة وأن لا نعده عيباً في المنقود، ولا في صاحبه والتزامٍ قواعد النقد وتمسك بأسلوبه، ولعلي فيما أقدمه في هذا الكتاب أكون ملتزماً عفَّ القلم، غير مجاهر ولا مفاخر ولا متعال، وإنما أقصد إظهار الحقيقة، وإبراز ما عسى أن تعود فائدته على المنقود، وهناك حقيقة يجب أن تكون معلومة للجميع، وهـــي أنـــه ليس دائماً يكون الناقد أعلم من المنقود، ولا أمكن منه في فنه، أو غيره، بل العكس، ولكن هذا لا يعني سكوت الناقد عما يعلم أنه حق فلا يبرزه،

---

(١) انظـــر: النقد الأدبي الحديث، د. محمد غنيمي هلال.ـــ ط١.ـــ القاهرة: دار نهضة مصر للطباعة والنشر، ١٩٩٧م.

ولا يعني تأثر المنقود من لفت نظره وتذكيره، فالذي لا يتأتى عليه النقد، لم يوجد بعد ولن يوجد، وما دام هذه حقيقة لا غبار عليها، فيجب أن لا يضيق صدر المنقود بها من أي وعاء خرجت، ومن أي إنسان وجهت، بل يجب أن يكون المنقود على مستوى من الفضل والعقل، يسمو به عن أن يتأثر من النقد حتى ولو كان من عدو ألم تر إلى الحكيم كيف يقول:

هم بحثوا عن زلتي فاجتنبتها وهم نافسوني فاكتسبت المعاليا(١)

ويوم يكون النقد عندنا فناً معترفاً به، وأثراً معولاً عليه، ومواجهة لابد منها، وتقوم سوقه بين الناقد والمنقود فيما يُشْكِلُ، أو يلتبس آخذاً كلاً منها مأخذ الحق، ملتزماً الطريق السوي، موجهاً نقده أو رده إلى حقيقة الأثر المنقود(٢)].

أشار ابن خميس أن النقد الأدبي ينحصر في مجالات يجب أن تصوَّب وتصحح في بلادنا؛ لأنه يرى أن النقد في بلادنا ينقصه التدقيق والتمحيص، ويقرر ابن خميس أن الإنتاج الأدبي بلا نقد ينقصه الدقة والتمحيص، وأنه من المسلم به أنه ليس دائماً يكون الناقد أعلم من المنقود، ولا أمكن منه في فنه.

ويشترط ابن خميس في النقد الأدبي الصدق الفني، فلا يجب أن يسكت الناقد عما يعلم أنه حق فلا يبرزه، ويختم ابن خميس مقالته برأي يصدر من خبير في مجال النصوص الأدبية، عالم بارع في اللغة والبلاغة، وهي أن الذي لا يتأتى عليه النقد لم يوجد بعد ولن يوجد.

ومن التقريظ نستعرض المقدمة التي كتبها عبدالله ابن خميس (لكتاب الصحافة)؛ لمحمد بن ناصر بن عباس يقول: [ولقد ساعد الأستاذ ابن عباس في مؤلفه هذا أنه عشق الصحافة طفلاً، وأدمن قراءتها يافعاً، وعلا منبرها شاباً،

---

(١) البيت للشاعر المأموني: ذكره ابن خميس في الشوارد، ج٢، ص٦٢١.

(٢) من جهاد قلم في النقد ـ ط١ ـ الرياض: مطابع الفرزدق، ١٤٠٢هـ ، ص٥-٦.

ولعــل من المستحسن أن الجزيرة (المجلة) قد أدركت فيه آنذاك مخائل النجاح الصحفي؛ فأفسحت لــه المجال شادياً، واستضافته كاتباً، عميق الأسلوب، كثير معطيات الخواطر، هادئ المحاجة، فلسفي المنحى ... الخ].

بــدأ الأســتاذ مؤلفــه بتوطــئة تشف عن دوافع إبراز هذا المؤلف، وعن الصعوبات التي اعترضته في ذلك، وعن الكيفية التي تم بها جمع مادة الكتاب، وأشــار فــيها إلــى اختمار الفكرة لديه، ووجود دوافعها عنده، ثم إلى المداخل التاريخــية للمملكــة، وأول صحيفة صدرت بها، وأشار إلى نهجه في الكتاب، وطــريقة عرضه، وفي الكتاب جوانب مشرقة، وفيه جدة وطرافة، وفيه تنويع ممــتع، وتقسيم مشوق، وهو حديث عن الصحافة، وبالأحرى حديث عن تاريخ هــذه الــبلاد، فــيما يقرب من نصف قرن، من جوانب يعيشها القارئ منسجماً متلذذاً، هو عرض لتفكيرنا عبر هذه المراحل، وعرض متنقل لأساليبنا، ونماذج طــريفة مــن أخــبار الصــحافة، وما تنشره من أخبار، وهو رسم بياني يريك صحافتنا كماً وكيفاً عبر هذه السنين[١].

وممــا سبق تحدث ابن خميس عن محاسن كتاب الصحافة للمؤلف محمد بن ناصــر بــن عباس، وأشار إلى فكرة الدوافع والبواعث، التي اختمرت في ذهن المؤلف، وهذا ما أطلق عليه النقاد التجربة الشعورية، التي تعتلج في ذهن الكاتب، ثــم يــبلورها من خلال المعاني في قوالب شكلية مختلفة، كما هو كتاب الصحافة عــند ابــن عباس، وأثنى ابن خميس على معاني الكاتب، وأن فيها جدة وطرافة وتــنويعاً وتقســيماً، وهــذا الأسلوب الذي اتبعه الكاتب يجعل من عباراته موحية واضحة.. وقبل هذا كله أوضح ابن خميس النهج الذي سار عليه المؤلف.

ونخــتم بإيــراد جــزء من المقدمة التي كتبها ابن خميس تقريظاً لكتاب إجابة السائل على أهم المسائل من تأليف الشيخ عيسى بن عكاس رحمه الله، وفيها يوضح

---

(١) من جهاد قلم في النقد. عبدالله ابن خميس، ص٣١٥.

الشـــيخ أن الدعـــوة الإصلاحية التي قامت على يد الشيخ محمد بن عبدالوهاب، لا تخـــتلف عـــن مذهـــب الإمام أحمد بن حنبل، وأنها دعوة عادت بالنفع العظيم على الحجاز ونجد، إذ ماتتْ كثير من البدع وقضتْ على ألوان من الضلالات.

ومـــن المقدمـــة النقدية يقول الشيخ: (وليس للوهابيين مذهب خاص يُدعى باسمهم، بخلاف ما يقول بعض الحاملين عليهم، وإنما مذهبهم مذهب الإمام أحمد ابن حنبل، وليس فيما يطلبونه ويدعون إليه ما ينافي السنة، ولا يتفق مع القرآن الكـــريم، وهم ينكرون هذا التضليل، الذي يحاوله بعض الشيوخ، وغير الشيوخ، وهـــذا الإغراق في إقامة القباب حول الأضرحة، والقبور والصلاة فيها، وإقامة المـــباخر، وطلب الشفاعة، من أصحابها، والإسلام ينكر هذا وينهى عنه، وليس في الإسلام وسيط بين العبد وبين ربه.

وقـــد عـــالج المؤلف هذه المسائل علاجاً كافياً شافياً، وجاءت أدلته صريحة؛ مدعمة بالنصوص القاطعة، والحجج والبراهين التي تدفع الخصم، وتلقمه حجراً)[١].

رابعاً: مضامين المقالة النقدية في نقد المؤلفات الأدبية: ومنها :

١- مقالة في نقد كتاب (لمع الشهاب) للمؤلف حسن الربكي[٢].

٢- مقالـــة فـــي نقد (رحلة الرياض) للمؤلف عبدالقدوس الأنصاري تحت عنوان نظرات إلى نظرات[٣].

٣- مقالة في نقد كتاب (ديوان ابن المقرب) للمؤلف ضياء الدين رجب[٤].

٤- مقالة في نقد كتاب (تراجم إسلامية شرقية وأندلسية) للمؤلف محمد بن عبدالله عنان[٥].

---

(١) إجابة السائل على أهم المسائل. عيسى بن عكاس، ص١٦.

(٢) من جهاد قلم في النقد. عبدالله ابن خميس، ص٣٥.

(٣) المرجع السابق، ص٢٥٥.

(٤) المرجع السابق، ص٢٥٥.

(٥) المرجع السابق، ص٣٠٧.

٥- مقالة في نقد كتاب (حول ليالي جمادى) للمؤلف الشيخ أحمد بن إبراهيم الغزاوي[١].

وسأتناول بالعرض والتحليل نموذجين من تلك المقالات النقدية التي نقد بها الكتب السالف ذكرها وهما:

أ- المقالة النقدية في نقد كتاب [رحلة الرياض] لعبدالقدوس الأنصاري[٢]. والتي عنوانها [نظرات إلى نظرات][٣].

استطاع عبدالله ابن خميس أن يوظف أسلوبه النثري الأدبي في إبراز ما في كتاب الأنصاري من دلالات أدبية غنية؛ وأول ما يسترعي انتباهنا ونحن نقرأ تلك المقالة؛ أنها جاءت نقداً لنقد ورداً على ردّ و تعقيباً، على تعقيب ومن خلال المقال الذي سأورد مقتطفات منه، نرى أن ابن خميس وضع قواعد لأصول النقد، والمساجلات الأدبية، منها الاعتراف بأخلاق الخصم، والتزامه الموضوعية، والنأي عن التجريح الشخصي، يقول: "أسلوب الأستاذ الأنصاري في تعقيبه على نقدي لمؤلفه (رحلة الرياض) وادع كخلقه، لطيف كشمائله التزم فيه الموضوعية، ونأى عن الانفعال، واستهداف النقد دون الناقد، مبتعداً عما يفعله بعض الناقدين والمنقودين من مهاترات، وتجريح وثلب وسلب، وما سلكه الأنصاري هو لعمري خليق به وبأمثاله من الرواد الأوائل، ليكونوا لغيرهم قدوة ولسالكي طريق النقد أسوة.

وإذا حمدتُ للأستاذ الأنصاري هذا الجانب من نقده، فهذا لا يعني أنني أعفيه من عتبي الرقيق، فالحق يجب أن يقال، والكمال لمن تفرد بالكمال، لا أبتغي من الأستاذ الأنصاري أن يتخذ من بينات الطريق سبيلاً للخروج من نبوته، ولا أن يركب المركب الخشن للتخلص من كبوته، فكل يؤخذ من قوله

---

(١) المرجع السابق، ص٣٤١.

(٢) سبق التعريف بالكاتب عبدالقدوس الأنصاري.

(٣) من جهاد قلم. عبدالله ابن خميس، ص٢٢٥.

ويرد ولكل صارم نبوة، ولكل جواد كبوة، والذي لم يخطئ قط لم يولد بعد، ولن يولـد، والمـثل الأعلى نبي هذه الأمة قال لأمته : "أنتم أعلم بأمور دنياكم"[١] لم يـدّع علم كل شيء، وعمر استوقفته امرأة، وهو يخطب على المنبر وصارحته بـالحق، فانصـاع لـه، ومـا أكرم وأسمع من قال: رحم الله من أهدى إلينا عيوبـنا[٢] هكـذا نريد من أستاذنا الأنصاري أن يكون، ونرغب إليه أن يعطي المثل الأقوم للنقد في بلادنا، وإلا فلا لوم إذا خفر الآخرون ذمام النقد، ولجوا في اللدد، وأمعنوا في مغالطة الحقائق، ما داموا يرون الرواد لا ينصفون ويماحكون ويتمحلون، إننا نملي لهم فيما هم فيه إذا وجدونا.

ومـن خـلال المقالـة السابقة، وإضافة لما طرحناه حولها سابقاً، فإن ابن خميس وضع قواعد ومقاييس للنقد البناء.

ونـتقل إلـى عرض المقالة النقدية التي كتبها حول (ضياء الدين رجب[٣] وديوان ابن المقرب)[٤]. ونقتطف من المقالة السابقة بعض أجزائها يقول: (كان أولـى بالأسـتاذ رجـب، وقـد أقدم على التصحيح والدراسة عن هذه النسخة المغلوطة من ديوان ابن المقرب، أن يحذر من عقاربها، وأن لا يضع رجله إلا وقـد تأكد من موطئها، ولكنه وعلى الرغم من قلة ما تناوله من دراسة في هذه

---

(١) جـزء مـن حديث رواه الإمام مسلم في صحيحه، حديث رقم ٢٣٦٢ ترتيب محمد فؤاد عبدالباقي.

(٢) قول مأثور عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه. انظر: (مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب) لابن الجوزي؛ تحقيق الدكتورة/زينب القاروط.ـ ط١.ـ بيروت: دار الهلال، ١٤٠٠هـ، ص١٥٢.

(٣) ضـياء الدين رجب. ولد في المدينة المنورة عام ١٣٣٥هـ تعلم في مدارس الأميري وفي المسجد النبوي. افتتح مكتباً للمحاماة والاستشارات القضائية. عرف شاعراً وناثراً. له باب في جريدة المدينة. توفي عام ١٣٩٦هـ. انظر: الموجز في تاريخ الأدب السعودي، عمر الساسي، ص١١٩.

(٤) من جهاد قلم في النقد. عبدالله ابن خميس، ص٢٥٥.

الحلقـــة، وقع في غلطين فاحشين؛ نربأ بمثل الأستاذ أن يقع فيهما أو أن يصدرا عن مثله أولاً في البيت:

ما ضرَّ أبشاتَ الرجالِ لو أنهم فعَلـــوا كفعل أولئكَ النجباء

قال ضياء الدين رجب في تعليقه على هذا البيت: أبشات جمع بشت معناها نفس المعنى العامي للفظ، وعجيب كيف ساغ للأستاذ تخريج هذا اللفظ على هذا المعنى، وهو بعيد كل البعد وناشز عن الملكة والطبع، ولقد تبادر إلى ذهني أولاً وقـبل الـرجوع إلى النسخة الهندية غلط اللفظ والمعنى معاً، ولما رجعتُ إلى النسخة وجدته كذلك، فصحة البيت:

ما ضر أوباشَ الرجال لو أنّهم فعلوا كفعلِ أولئكَ النجباءِ

والمعنى على هذا ظاهر ومفهوم.

ثانياً: قال ضياء الدين رجب في تعليقه على البيت التالي:

أوهَاجَروا في الأرضِ فهي عريضةٌ فللبــــنةٌ خـــيرٌ مِـــنَ الأحشـــاءِ

قال في تعليقه : (ويعجبني تصويره لحياة المذلة بين أحضان النعيم الزائف، علـــى حســـاب الوطـــن ومقدراته، وتفضيل الشاعر اللبنة والطوبة على منازل الأحشاء المرفهة الملونة بدهان الخيانة والذل)[١].

يقول ابن خميس: الغلط الذي وقع فيه ضياء الدين رجب هنا أفحش وأكبر، ومـــاذا يقـــال عن شاعر الأحساء الأول، وفحل الشعر الشهير، لو تدنى إلى هذا المعـــنى القلـــق النافر، وهو ابن المعاني السامية، واللفظ المنتقى الرصين، وأن الأســـتاذ رجب لو وقف عند هذا البيت هنيهة، وتعمق في تفهم المعنى، لأبى أن يدونه حتماً ولكنه لم يفعل.

---

(١) من جهاد قلم في النقد. عبدالله ابن خميس، ، ص٢٥٨.

ولقد تبادر إلى ذهني أيضاً منذ قرأت هذا البيت أنه ممسوخ وأن معناه هو ما وجدته في النسخة الهندية هكذا:

أو هاجروا في الأرض فهي عريضة فلليـــنة خـــير مـــن الأحســـاء

ولينة هذه هي المنهل المعروف في شمال المملكة، والمشهورة بعمق مائها، ونضـــارة عشـــبها فابـــن المقرب يقول إن الإقامة في منهل لينة على خشونته وشظفه؛ أطيب من الإقامة في الأحساء وبساتينها ومياهها وخضرتها ونضرتها؛ والمعنى على ذلك سلس واضح مستبين.

ويخـــتم ابـــن خمـــيس مقالـــته بقوله : (وأرجو أن يواصل الأستاذ رجب مشـــروعه، وأن يخـــرج أجمل ما يكون، وعلى ما يليق بمقام رجب، من القدرة والكفاءة، وما يليق بمقام ابن المقرب من الحفاظ والاحترام؛ والله الموفق)[١].

ومـــن خـــلال اطلاعنا على المقالة النقدية السابقة نلمس بما لا يدع مجالاً للشك قدرة ابن خميس على التحقيق والنقد، ومعرفته اللغوية البارعة في تخريج المعانـــي والشروح اللفظية، ثم معرفته بالشعراء، ومكانتهم الأدبية، ومستوياتهم الفكرية، ثم نلمح صفة من صفات الناقد الحصيف عند عبدالله ابن خميس، وهي الاستقصاء، وتحري الدقة، وعدم رمي الأحكام جزافاً، دونما أدلة وعدم الاعتماد علـــى الـــذوق والملكة فقط، فإنه عندما رفض ذوقه النقدي الفني الشروح التي توصـــل إليها ضياء الدين رجب لتلك الأبيات ورأى أنها لا تليق بشاعر متأصل كابـــن المقـــرب، أخذ يبحث في تصحيحها، ويستقصي الأصوب من النسخ التي ضمت ديوان الشاعر ابن المقرب، ليدلل على وجهة نظره النقدية، حتى توصل إلـــى نسخة صحيحة تحمل في طياتها تلك الأبيات مفهومة معانيها على السياق الطبيعي الذي رآه عبدالله بن خميس عندما كتب مقالته.

---

(١) من جهاد قلم في النقد. عبدالله ابن خميس، ، ص٢٦٠.

مضامين نقدية خاصة:

إن المقالات النقدية التي تحوي آراء تفرد بها ابن خميس كثيرة ومنها:

١- مقالة بعنوان (استدراك وعتب)[١]. يتحدث ناقداً من يدعون مهنة الكتابة الصحفية وهي منهم براء، ومن يفتقدون للصدق الفني في الكتابة، والدقة في طرح الفكرة وتوثيقها بعيدة عنهم، ويدلل على رأيه في أولئك بالتمثيل ببعض الأبيات يقول:

دعـيٌّ في الكتابةِ يَدَّعيها   كدعوى آل حربٍ في زيادِ[٢]

٢- مقالة نقدية بعنوان: (أي مسمار أنت)[٣]. ويطرح ابن خميس في تلك المقالة وجهة نظره النقدية الفاحصة لمن يصدرون أحكاماً على الإنتاج الشعري للآخرين دون أن تكون لديهم الأدوات اللازمة، والتي تجب أن يعيها الناقد قبل طرح أحكامه على إنتاج الآخرين.

٣- مقالة نقدية في نقد الشعر المنثور، أو ما يسمى بالشعر الحر، والشعر الرمزي، وذلك في مقالة بعنوان: دولة الشعر تحتضر من المسئول عنها[٤]. يقول: إيا للأسف انخذل الشعر في هذا العصر، وتخلف وانكمش، ولم يبق منه إلا قطرات تمر في فترات متباعدة على ما ينتابها من ضعف، ويتخللها من فتور، وما يقدمه أدعياء الشعر المنثور، أو الشعر الرمزي، فذلك ما ليس من الشعر في شيء، وما لا يجوز لنا أن نسميه شعراً؛ ولو على سبيل التجوز، وأن حَفُلت به الدواوين، ومُلئت به أعمدة الصحف، واحتضنه من يقال عنهم أدباء كبار، فهم إنِ استطاعوا أن يتجاسروا بتبنيه، فإنهم لا يستطيعون أن يدللوا على تأثيره على مشاعر العربي وأحاسيسه، كما يؤثر عليها ردئ الشعر الصحيح.

---

(١) فواتح الجزيرة، عبدالله بن خميس، ص٣٧٨.

(٢) المقصود زياد بن أبيه، والبيت أورده ابن خميس في الشوارد ولم ينسبه لأحد. انظر: الشوارد. عبدالله ابن خميس، ج١ـ ط١ـ دار اليمامة للبحث والنشر، ١٣٩٤هـ، ص١٨٧.

(٣) فواتح الجزيرة، ص٣٢٩.

(٤) المرجع السابق، ص٣٣٩.

ومــن هــنا جاءت بدعة الشعر المنثور التي وجد فيها بعض المتشاعرين مــتكأً؛ لــيقول عن نفسه أنه شاعر، فلقد وجد في ذلك السهولة كل السهولة، أن يجمع بين ألفاظ مبعثرة، ويسلكها في سمط، ويقول عنها إنها مفيدة، وإن كانت لا رابطة تجمع بينها، ولا مناسبة تؤلف بين أجزائها ولا معنى يبرز من خلالها[١]".

ومــن خــلال المقالة السابقة نتبين رأي الأديب عبدالله ابن خميس في قصيدة النــثر، والشعر الرمزي، أو ما يسمى بالشعر الحر، وهي عنده مجرد ألفاظ مبعثرة جمعها صاحبها، وادعى أنها شعر، ونصَّب نفسه شاعراً. ويدلل على ذلك أنها تخلو مــن التأثــير فــي سامعيها، كما يؤثر في النفوس الشعر الفصيح الموزون المقفى، وينتقد ابن خميس في الشعر المنثور التفكك وقلة الروابط بين أجزائه، وبالتالي، فإنه يكــاد يخلو من المعاني المؤثرة الواضحة؛ ومن طريف القول أن الشيخ أورد رأيه الــنقدي هــذا من خلال معلومة جغرافية يقول: [إذا استقر بصرك بعد أن تجيله في هــذه المــناظر، فدعه يقف عند هضبة جرداء شماء، فارعة لونها أحمر يميل إلى الكــتمة؛ هذه تسمى [الشظيا] قف متأملاً، وقل شعراً، وإن لم تستطع فقله هاذياً على طريقة خوارج الشعر في شعرهم؛ الذي يسمونه حراً وما هو بحر][٢].

ويتمــثل رأي الأديب عبدالله ابن خميس حول الشعر الحرفي كلمة يرددها فــي المقابلات العديدة، والأسئلة الكثيرة التي وُجِهَتْ له حول هذه القضية، فهو يحكــم عليه بأنه (عجز وخواء وغثاثة تقليد ومبدأ هدم) كما أنه لا يسميه شعراً، بــل يرى أن أصحابه ترفعوا به عن النثر، ولم يصلوا به مرتبة الشعر؛ ففاتتهم المنزلتان، وضاع عليهم هذا وذاك، ولقد أوفى الأستاذ محمد وليد فستق؛ المحرر فــي مجلــة قافلــة الزيت هذا الموضوع حقه من جميع جوانبه، في أسئلة عدة وجهها للأديب ابن خميس نورد بعضاً منها[٣].

---

(١) المرجع السابق، ص٣٤٦.

(٢) انظر: معجم اليمامة ١/١٧٧.

(٣) مجلة قافلة الزيت، العدد ١٠، المجلد الثامن عشر، ص٣٢.

السؤال لماذا لم تنظموا في الشعر الحديث ذي الوزن الحر؟

وكانت إجابة الشيخ: من المعروف أن الشعر العربي فن من الفنون العربية الأصيلة التي توارثتها الأمة العربية خلفاً عن سلف، وفرضت نفسها على الوجود العربي منذ الأزل، وليس ثمة فن من الفنون العربية لازم العروبة منذ فجر التاريخ، وسايرها عبر مئات القرون كالشعر؛ فالشعر فن الأمة العربية، وموسيقاها، فالشعر نغمة يبدأ بها العربي منذ نعومة أظفاره، ولم تزل تتدرج معه حتى اليوم. الشعر رفيق يعبر فيه الناشئ عن طفولته ومصالحه، ويعبر فيه الفتى عن حبه ووجده ومدارج صباه ومرابع أنسه، ويعبر فيه الرجل عن شجاعته ومروءته ووطنيته وآماله وآلامه، ويعبر فيه الشيخ عن تجاربه وحكمته. إذاً فهذا الشعر الذي لازم هذه الأمة طيلة هذه القرون، وجعلته مجيدها ومنطلقها وهذا الفن الموزون المقفى، ذو الموسيقى المؤثرة، والجرس الرتيب، هو الذي يهز المشاعر والعواطف، ويحرك أوتار القلوب. لقد تأبت صخرته على المتحذلقين، وأبت صورته أن تلين للمغامزين، فأتوه بالموشحات، والموال، وغيرها من الفنون المستجدة، وظنوا أنها سوف تزاحمه، ولكنه تركها رهينة الخوى والطوى ومن ثم الموت وأبى تقليدها هذا القرن إلا أن يأتي ببدعة جديدة (سموها الشعر الحر)، أو الشعر المنثور، أو ما لا أدري وذهبوا فيه كل مذهب، وحاولوا جاهدين أن يرضخوها للذوق العربي، فبعضهم جعله كلمات متناثرة على شكل مقاطع يُوهِم أنه شعر، وبعضهم التزم التفعيلة ولكنه جعلها كالقميص المرقع؛ ينقلها من هنا إلى هناك، وبعضهم قاله موزوناً مقفى ونثره، لكي يجاري البدعة الجديدة التي جعلت من ليس بشاعر شاعراً، وجعلته يلحق بركب الشعراء الموهوبين المزعومين، وربما حاول بعض عشاق هذا الشعر أن يروضوا أنفسهم عليه، ويصطنعوا تأثيره وينطبق عليهم قول المتنبي:

ألحّ على السقْم حتى ألفتُه ومَلّ طبيبي جانبي والعوائدُ

ومن جميل القول أن نورد القصيدة الشعرية التي نشرت للشاعر ابن خميس في ملف اليمامة الصادر في ذي الحجة ١٣٩١هـ، وكانت مهداة للشاعر عبدالرحيم نصار رجعاً لقصيدته (سنوات حزن فلسطينية)، وكانت من الشعر الحر، فكتب ابن خميس قصيدته (يا دار) وقد وردت في ديوان الشاعر[1] يقول:

ما أنصفتكِ قوافي الشعر يا دارُ ... وفيك للملهَمِ المنطيق أسرارُ
ضنّوا عليك بأوزان وتقفية ... يشتارها مثل أرْى النحل مشتارُ
وأركبوا الشعر إما قصروا شططاً ... وبعضهم عن ثمين الشعر قُصّارُ
بكاك نصّار لكن دمعه شَبِمٌ ... لم يسقه بدم الفرصاد (نصارُ)
وكانٍ لو شاء ألقاها مُدَمدمة ... كأنها في دم الأحرار إعصارُ
عجبتُ يكدي وتحت الشرْح سابحةٌ ... تشأى الجيادَ وفي يمناه بتارُ
يزاوج اللفظ أحياناً ويفرده ... ويصطفى تارة منه ويمتارُ
عون عجاف وأمشاج سوائمه ... وأمهات وآظار وأبكارُ
ما بينها وأصيل الشعر من نسب ... هي الحروف وألفاظ وأسطارُ
جوفاء ما ألهبتها نار عاطفة ... أوسار فيها من الأفكار تيارُ
دعوه حراً ويا للناس من زمن ... قال المخِفون وزناً نحن أحرارُ
حرية ظلموها واسمها لغة ... فوضى وسَيان ساعوا الحق أم جاروا
لأنها بدعة التقليد نافقة ... قالوا فقلنا وسرنا حيثما ساروا
رُميتَ يا شعرُ بالداء الذي رُميتْ ... به العروبةُ والأيامُ أطوارُ
قالوا لهم إنه التجديد فانطلقوا ... مجددون فقلنا إنه العار
إذا سَرَتْ في لسان القوم بادرةٌ ... عجماءُ فاستمرأوها بئسما اختاروا
نصار لم تنصف الهندي تشحذه ... وإنما أنصف الهنديَّ بشّارُ[2]

---

(١) على ربى اليمامة. عبدالله ابن خميس.ـ ط٢.ـ الرياض: مطابع الفرزدق التجارية، ١٤٠٣هـ، ص١١٥.

(٢) أشار ابن خميس إلى قول بشار بن برد الشاعر العباسي:

كأن مثار النقع فوق رؤوسنا وأسيافنا ليل تهاوى كواكبه

انظر: ديوان بشار بن برد؛ شرح وتقديم محمد الطاهر بن عاشور؛ تعليق محمد رفعت فتح الله، ومحمد شوقي أمين.ـ ط القاهرة: لجنة التأليف والتوجيه والنشر، ١٣٦٩هـ/١٩٥٠م، ٣١٨/١.

وقد نشرت جريدة الرياض في عددها (٢١٤٢) سنة ١٣٩٢هـ ندوة حول الشعر الحر اشترك فيها ابن خميس، وكثير من الأدباء المؤيدين والمعارضين لذلك النوع من الشعر، ومنهم الدكتور محمد مندور(١) وعباس محمود العقاد(٢) ونزار قباني(٣) وغيرهم:

٤- رأي ابن خميس في النظرية النقدية [الفن للفن أم الفن للحياة].

نظرية الفن للفن مذهب نقدي شاع في القرن التاسع عشر، وانتشر انتشاراً واسعاً في أوربا، وكان بمثابة رد فعل واحتجاج على تيار آخر، كان قد ساد الأوساط الأدبية قبل ظهور هذا المذهب، وهو تيار [الفن للأخلاق] ، وقد أخذ هذا المذهب مسمى آخر هو [المدرسة التعبيرية](٤).

ومن خلال هذا المذهب فقد انعزل الكثير من الشعراء عن أمتهم، وعاشوا في أبراج عاجية، زعموا فيها أن الفن للفن، وتحاشوا أن ينزلوا بأشعارهم إلى مشكلات أمتهم، وللشيخ عبدالله ابن خميس رأي في تلك النظرية أو المذهب، ويعتبرها تطرفاً في أفكار ووظيفة الأدب وخدمة الحياة والعقيدة؛ إلاّ أن الكثير من الناشئين الذين يتعشقون الشعر والأدب يميلون إلى هذه النظرية والمذهب، فأي مصلحة ترجوها الأمة من فرد من أفرادها لا يحس بمسؤوليتها، ولا يقدر

---

(١) محمد مندور: ولد عام ١٣٢٥هـ في كفر مندور بمديرية الشرقية بمصر. صحفي أديب. له عدة مؤلفات تربو على العشرين أشهرها (النقد المنهجي عند العرب). توفي عام ١٣٨٤هـ. انظر: الأعلام، الزركلي، ١١١/٧.

(٢) عباس محمود العقاد: سبق التعريف بالكاتب، ص٦١.

(٣) نزار قباني: ولد في دمشق في ١٩٢٣/٣/٢١م. نال شهادة الحقوق من الجامعة السورية، ولكنه لم يمارس المحاماة درس الفرنسية والإنجليزية. عمل في السلك الدبلوماسي السوري لمدة ٢١ عاماً. توفي عام ١٩٩٨م. انظر: شعراء سورية، أحمد الجندي.ـ ط١.ـ بيروت: دار الكتاب الجديد، ١٩٦٥م، ص١٤٦.

(٤) دراسات في النقد الأدبي المعاصر. د. محمد زكي العشماوي.ـ ط١.ـ بيروت: دار النهضة العربية، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م، ص١٧٠.

ظـــروفها، ودلل ابن خميس على رأيه في ذلك المذهب ببرهان من شعره حيث يقول:

إنــه الشــعر للحــياة ومنها ضــاحكاً وطــوراً فصــاخب
والــذي يحــب الفــن للفــن غــروراً فمدعــي الشعر كاذب
أيقظــوا نائمــاً وربــوا حياة أنقــذوا جــاهلاً وغذوا مواهب
لــيس أولــى من شعبنا بهداة من مجيدي سير الدروب اللواجب
شاعر يبعث النداء ملء شدقيه بــياناً يهــز الأخاشــب
فــاره يلهــب النفوس حماساً وخطيــب قد أحكمته التجارب[١]

خامساً: مضامين المقالة الاجتماعية:

عــادة مــا يكون عمر المقالة الاجتماعية قصيراً؛ لأنها مرتبطة بظروف وقــيم اجتماعية غير ثابتة، ولذلك يزول أثرها بزوال المؤثر؛ ما لم ترق إلى الإحســاس الإنســاني العام الذي يخاطب الأجيال في أي زمان وأي مكان[٢]، وهذا ما أشار إليه أديبنا الشيخ عبدالله ابن خميس في مقدمة مؤلفاته الثلاثة التي أطلــق علــيها [مــن جهاد قلم]، حيث أوضح أن بعض مقالات تلك المؤلفات أعطــت مــا أعطــت وبلغت مبلغها، فإن بعض هذه المواد قد كُتبت في زمن حصل بعده التغيير والتبديل وتقلبات الأحوال، بما لم يعد لها في هذا الزمن من فعالية أو أثر سوى أنها ذكرى وأثر مضى دوره وفعاليته، ولم يبق إلا ذكراه؛ والذكرى هي صدى السنين الحاكي[٣].

---

(١) ديوان على ربى اليمامة. عبدالله ابن خميس، ص٥٥٣.
(٢) المقالــة الأدبــية ووظيفتها في العصر الحديث. د. عطاء كفافي.ــ ط١.ــ هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م، ص٤٧.
(٣) من جهاد قلم، فواتح الجزيرة. عبدالله ابن خميس، ص٦.

وبعض كتاب المقالة الاجتماعية يعدون من المصلحين الاجتماعيين؛ لوقوفهم أمام قضايا مهمة في مجتمعاتهم بالدرس والتناول، وعبدالله ابن خميس أحد أولئك الذين أعدوا أنفسهم لمهمة الإصلاح؛ فقد سئل في مقابلة تلفزيونية هل تعتبر نفسك مصلحاً اجتماعياً فأجاب: نعم آمنت بذلك(١).

وقد طرق ابن خميس قوالب مختلفة في طرح مقالاته الاجتماعية، تلميحاً وتصريحاً ودائماً ما يسعى إلى تعرية هذه المثالب، وتنفير المجتمع منها.

وحرص ابن خميس على العناية التامة بكتابة هذا النوع من المقالة، فهي تمثل ما قيمته ٥٠٪ من إنتاجه المقالي. ولقد أحصيتُ له ما يزيد على مئة مقالة اجتماعية جمعها في كتبه التي أطلق عليها من جهاد قلم، وهي جمع واستقصاء لما تناثر في الصحف والمجلات، وهناك ما لم أجده ضمن طياتها إنما وجدته متناثراً بين أوراق الصحف والمجلات، وإن كان ما تم جمعه في كتبه النثرية هو الأغلب. وينبع حرص ابن خميس على كتابة هذا النوع من المقالة لارتباطه بمجتمعه ارتباطاً قوياً، كما أنها تدل على عمق مشاركته في قضايا مجتمعه، ومساهمته في حل مشكلاته، ونقد العادات السيئة والتقاليد الضارة، والخُرافات الشائعة، والخزعبلات.

تناول الشيخ عبدالله ابن خميس أمور التربية والتعليم، وهو من أوائل من دعوا إلى تعليم المرأة، وتحدث عن الصحة والزراعة والتجارة، ودور المواطن في النهوض بشأنه الوطني، ومن نماذج معالجاته الاجتماعية مقالة في كتاب بلادنا والزيت، الذي يمثل نموذجاً لوصف المجتمع السعودي قبل النفط وبعده(٢).

---

(١) مقابلة تلفزيونية في برنامج (بين أيديهم) بتاريخ ٢٧/٥/١٤٢٣هـ.

(٢) انظر: بلادنا والزيت. عبدالله ابن خميس.ـ ط٢.ـ الرياض: مطابع الفرزدق، ١٤١٢هـ، ص٤٣.

ومـــن معالجاتـــه أيضاً ما أورده في مقاله الاجتماعي (حاجتنا إلى الأندية الثقافـــية)، وفيها وضع ابن خميس المسئولية على كافة الوزارات في الدولة في أمـــر تثقيف المجتمع، فهو لا يقصد الثقافة التعليمية، إنما يرى شموليتها للتثقيف الصحي والزراعي والاجتماعي وغير ذلك[١].

ويعـــبر ابـــن خمـــيس مـــن خلال مقالاته عن آماله وتطلعاته، وينقل هموم مجـــتمعه، ومطالـــبهم إلـــى القيادات في الحكومة، ولذا فإن مقالاته لم تكن أقوالاً مجـــردة، أو فلسفة مترابطة، وإنما كانت تعكس بدقة وأمانة ما كان يدور في خلد الناس، حتى أصبحت كلماته ليست أقوالاً لـــه، وإنما نقل لما يريد أن يقوله الناس.

ومن خلال اطلاعي وقراءاتي لمحتوى المقالات الاجتماعية التي كتبها ابن خميس؛ رأيت ــ اجتهاداً ــ أنه يمكن تصنيفها تحت المحاور التالية:

١- محور معالجة التأخر العلمي والثقافي في المجتمع: ومن مقالات هذا المحور:

- أريد جيلاً مثقفاً[٢].
- من واقع أي شعب تستطيع أن تعرفه[٣].
- هل أدركنا نقصنا[٤].
- ازدهار الأمة ورقيها من وعي شعبها[٥].
- لا نريدها ثقافة مَخْدع[٦].

---

(١) موسوعة الأدب العربي السعودي الحديث، نصوص مختارة، المجلد الثالث، المقالة؛ إعداد أ.د. مرزوق بن صنيتان بن تنباك، ص٢٩٩.

(٢) مجلة قافلة الزيت، العدد الثامن شعبان ١٣٧٩هـ، ص٣٤.

(٣) من محفوظات الأديب، مقالة بخط يده موجهة إلى جريدة الجزيرة.

(٤) من جهاد قلم، فواتح الجزيرة.ــ ط١.ــ ص٨٤.

(٥) المرجع السابق، ص٢٥٩.

(٦) المرجع السابق، ص٢٦٧.

- في مسيرة الرفض[١].
- الشعب الذي يتناسى وجوده[٢].

٢- محور الشباب ونصحهم وإصلاحهم ومن مقالات هذا المحور:

- كارثة مستقبلية[٣].
- أيها الشباب[٤].
- شبابنا والتجنيد[٥].
- إلى ميادين الشرف يا شباب[٦].
- دور الفرد في تكوين الأمم[٧].
- هل الشباب في حيرة[٨].
- أين خشونة ابن الجزيرة وصبره[٩].
- أول الغيث[١٠].

٣- محور نقد الخدمات العامة: مثل الكهرباء والماء والغاز والتسويق الزراعي والطرق وغيرها ومن مقالات هذا المحور:

- أبا المغاوير يا وزير التجارة[١١].

---

(١) المرجع السابق، ص٢٧٣.

(٢) المرجع السابق، ص٤٩١.

(٣) جريدة عكاظ، العدد ١٤٦١٣، ٢ المحرم ١٤١٢هـ، ص١٦.

(٤) من جهاد قلم، فواتح الجزيرة، ص٣٩٢.

(٥) المرجع السابق، ص٤٣٨.

(٦) المرجع السابق، ص٤٤٢.

(٧) المرجع السابق، ص٣٨٥.

(٨) من جهاد قلم، فواتح الجزيرة، ص٣٨٥.

(٩) المرجع السابق، ص٢٦٣.

(١٠) المرجع السابق، ص٣١٢.

(١١) من جهاد قلم، فواتح الجزيرة. عبدالله ابن خميس، ص١٨٧.

- كيف ننهض بزراعتنا[١].
- بلادنا والزيت[٢].
- طريق الموت[٣].
- من أمن العقاب أساء الأدب[٤].
- في موكب الحياة هل من مجيب[٥].
- كهرباء الرياض[٦].
- شركة الغاز الأهلية[٧].
- أنف الظبي وعينه[٨].

٤- محور الدعوة إلى العمل: ومن مقالات هذا المحور:

- العمل العمل[٩].
- الحياة والعمل صنوان متلازمان[١٠].
- لموظف الدولة: ما عليه لبناء كيان هذه الأمة[١١].
- على من تقع المسؤولية[١٢].

---

(١) المرجع السابق، ص١٨٣.
(٢) المرجع السابق، ص١٤٨.
(٣) المرجع السابق، ص٢٠٧.
(٤) المرجع السابق، ص٢٤١.
(٥) من محفوظات الأديب مقال بخط يده، ولم أقف على نشره في كتاب أو صحيفة.
(٦) من محفوظات الأديب مقال بخط يده، ولم أقف على نشره في كتاب أو صحيفة.
(٧) من محفوظات الأديب، مقال بخط يده، ولم أقف على نشره في كتاب أو صحيفة.
(٨) من جهاد قلم، فواتح الجزيرة، ص١٩٨.
(٩) مجلة الدعوة، العدد ٥١، جماد الآخرة ١٤٠١هـ، ص٨.
(١٠) من جهاد قلم فواتح الجزيرة. عبدالله ابن خميس، ص٤٠٧.
(١١) المرجع السابق، ص٤٣١.
(١٢) المرجع السابق، ص٤٧٩.

- إصدار الأنظمة يجسد تجربتنا الرائدة(١).

٥- محـور نقـد العادات والطبائع السيئة في المجتمع ومن مقالات هذا المحور:

- في مجال نقد الإسراف والبذخ كتب مقالة اجتماعية بعنوان [في موكب الإصلاح](٢). ومقالة [قبل هذا حاربوا الإسراف](٣). ومقالة [ثروتنا في مهب الريح](٤).
- وفي مجال نقد عادة التسول والاحتيال لأجل ذلك كتب مقالة [أبو زيد في الرياض](٥).
- وفي نقد النميمة والغيبة كتب مقالة [رواسب وطفيليات](٦).
- وفي التحذير من الشعوذة كتب مقالة [شعوذة ورؤوس فارغة](٧).
- وفي التحذير من أضرار المخدرات كتب [دعوني وعقلي معي](٨).
- وفي التطفل وتقصي أخبار الآخرين كتب [سرٌّ في حياتي](٩).

٦- محور الاهتمام بالبيئة وما يحيط بها من ثروات طبيعية، ومن مقالات هذا المحور:

- لماذا لا يدرس العلماء قضية الذبح في الحج(١٠).

---

(١) المرجع السابق، ص٤٥٦.
(٢) جريدة عكاظ، ع١٣٦١٣، ٢٩ شعبان ١٤١٢هـ.
(٣) من جهاد قلم، فواتح الجزيرة، ص٢١٦.
(٤) المرجع السابق، ص٢٤٥.
(٥) المرجع السابق، ص٢٤٨.
(٦) المرجع السابق، ص٤٢٢.
(٧) المرجع السابق، ص٤١٨.
(٨) المرجع السابق، ص٤٢٧.
(٩) جريدة عكاظ، العدد ٨٧٨٢، المحرم ١٤١١هـ، ص٢٤.
(١٠) من جهاد قلم فواتح الجزيرة. عبدالله ابن خميس، ص٣٠٢.

- وزارة الداخلية إيجابية وبعد نظر(١).
- حتى لا نفقد هذه الثروة(٢).
- ختام نهضمها حقها(٣).
- الشجرة مصدر جمال وقوة(٤).
- النخلة شجرة الجزيرة(٥).

وسأتناول بالتحليل نموذجاً للمقالة الاجتماعية عند عبدالله ابن خميس من كل محور، فمن المحور الأول نعرض مقالة [لا نريدها ثقافة مَخْدَع] يقول : (من المسلَّم به أن أول عنصر تكويني في بناء الأمة هو علمها، وثقافتها العامة وتفكيرها، وإنك لتستطيع أن تحكم على أمة بالنضج، وسلامة التكوين، وحسن المصير، حينما ترى اتجاهها الثقافي يأخذ شكله الجذري، ونرى من شبابها رواداً يبحثون عن الحقائق، يعنون بدراسة تاريخ أمتهم، وأمجادها وآدابها، ومفاخرها وسبر أبطالها واتخذوا من لغة قومهم قوة يتمكنون بها من استكناه خبايا علومهم، وآدابهم وعقائدهم، ثم امتدت أعينهم إلى تاريخ الأمم الأخرى، وعلومها وآدابها ولغاتها، فنهلوا منها وعلوا، فكنتَ إذا تحدثت مع أحدهم تحدثتَ مع دائرة معارف، يفيض عليك من علم جم، وينقلك في بستان قطوفه دانية)(٦).

نلمس مما اقتطفناه من المقالة السابقة، أن ابن خميس يؤكد على ثقافة الأمة، التي تسهم في رقيها ونضجها بين الأمم، ويشير إلى حقيقة يجب أن تعيها الأمة، وهي أن ثقافة أي أمة يجب أن تنبع من جذورها الدينية واللغوية، وأن تعتمد

(١) من جهاد قلم فواتح الجزيرة. عبدالله ابن خميس، ص٢٢٣.
(٢) المرجع السابق، ص٢٢٠.
(٣) المرجع السابق، ص٢١٢.
(٤) المرجع السابق، ص١٩٠.
(٥) المرجع السابق، ص١٩٤.
(٦) المرجع السابق، ص ٢٦٧.

الأمة على شبابها في رقيها وتقدمها، ولا ينسى أن يقرر أنه من الأجدر الاستفادة مـــن ثقافات الأمم الأخرى. وعند اطلاعنا على ما طرحه ابن خميس من أفكار حـــول موضوع الثقافة، نراه يبحث في الجانب الآخر من الموضوع بحثاً وافراً، فيتحدث عن الأمم المتخلفة ثقافياً، والمنحدرة فكرياً، ويوضح المدى الثقافي الذي تمـــيل إلـــيه، وتتمثله في حياتها وهو الهزل، ورخيص القول، وغثاثة الاختيار، ويـــتحدث الشـــيخ ابن خميس عن اتجاه الشباب في الأمم المتخلفة ثقافياً فيقول: (وترى شبابها يقيم سوقاً للصحافة الماجنة، والتآليف الداعرة، والقصص المثيرة ووسائل الحب والغرام، مما يربي في نفوس الشباب الميوعة والارتخاء، ويقتل فيها الإرادة ومغالبة النفس والطموح والعزة والفتوة والشمم).

ثـــم يـــتحدث ابـــن خميس في مقاله عن دور الصحافة في الرقي بالمستوى الثقافـــي للأمـــة وأنها ذات رسالة عظيمة، تعالج مشكلات الأمة، وتأخذ بيدها إلى السبيل الأقوم، وتغرس في ناشئتها الفضيلة، والخلق والوطنية، وتنور الرأي العام في السياسة والأدب والاجتماع؛ ويحذر الكاتب في مقاله من الصحافة الماجنة التي تهـــبط بـــأخلاق الأمـــم، فكأنمـــا سلطت لتقويض الحياء والخلق من نفوس أفراد المجتمع، وخاصة الشباب منهم، وأوجدت لتتملق الغرائز، وتشيع في الناشئة الفساد والإفساد، ويلجأ ابن خميس إلى أسلوب السخرية والتهكم في صحافة اليوم فيقول: (مـــاذا بقـــي من صحافة اليوم؟ بقي فيها أين تذهب هذا المساء؟ ومرض المغني فلان، والممثل فلان وتزوج الممثل أو المغني فلان بالممثلة فلانة وسافرا ومن ثم قدما، أو فازت فلانه في مسابقة ملكات الجمال ... الخ).

ويســـرد ابن خميس في ختام مقاله المؤلفات التي يعشقها ويقتنيها الناشئة، وتمتلـــئ بها أرفف المكتبات ساخراً مما فيها من فكر رخيص، وأهداف هابطة، ويعددهـــا ممـــا يجعلـــنا نؤكد على إحاطة ابن خميس إحاطة تامة بما يدور في مجـــتمعه الثقافـــي، وأنه يعايش شباب أمته فيما يقرأون ويشاهدون، يقول [أما المؤلفـــات فكتبـــنا المفضلة هي: (لا أنام)، (في بيتنا رجل)، (المخدة الناعمة)،

(أزهـــار إرجوانـــية)، (مدرسة الحب)، (السكرتيرة الساحرة)، (عند المنعطف)، (السابحة في النار)، (ذات الشعر الأحمر)، (امرأة ورجلان)، (صوت الأعزب) وعشـــرات الكتـــب المملوءة بالحب والغرام، والوجد والهيام، والتأوهات الحارة والزفرات الملتهبة والنظرات الساحرة والمواعيد الغادرة].

ويخـــتم ابن خميس مقاله بنتيجة توصل إليها وأراد من القارئ أن يشاركه فـــي تقريرها؛ وهي أن أي أمة هذه مصادر ثقافتها، وهواية شبابها ماذا ستكون مقـــبلة علـــيه؟ ومـــا هـــو مصـــيرها، مصير مجهول لا يمكن الاعتماد عليه، والاستشراف بمستقبله.

ومـــن المحـــور الثانـــي وهي المقالات الاجتماعية التي وجهها الشيخ ابن خمـــيس إلـــى الشباب ناصحاً وموجهاً نعرض مقالة (أين خشونة ابن الجزيرة وصبره)[١]. وفيها يقول (لقد كان ابن هذه الجزيرة مدرباً بطبعه، جندياً بفطرته عـــداء بعادتـــه، رامياً بسليقته، يكفي أن يبلغ سن الرشد في هذه البيئة ليبلغ معه مبلغ الفارس المغوار، والشجاع الفاتك، هذبته جزيرته هذا التهذيب، ودربته هذا التدريـــب، وكانت قسوتها سبباً في خشونته، وغلظتها سبباً لصبره، فكان يمشي مئات الأميال على قدميه، وكان يلاقي حمارة القيظ وزمهرير الشتاء بكل صبر وجلـــد، وكان يصبر عن الماء صبر الجمال، وكان قوته كفافاً وأقل من الكفاف، وكانت رياضته ركوب الخيل والإبل والرماية والسباحة والسباق وتسلق الجبال، تراه شَخْتَ الجسم، مَعْروقَ الأشاجِع، بارز الوجنات، مستدق الأطراف؛ فتحسبه أنهكـــه الهـــزل وطـــواه الطـــوى، وإذا جد الجد رأيت منه ذا مرة وقوة وبسالة وصـــرامة، ولـــم تكن قوته الجسمية، ودربته الطبيعية بأحسن حالاً من تفكيره ومنطقه، فلقد هيأت له بيئته أن يفكر ويبتكر ويفتق الحيلة، ويعرف من أين تؤكل الكـــتف، وهيأ له احتكاكه بالرجال، كيف يحدث فيجيد، ويقول فيعرب، ويصف فيبدع ويتحاشى نطق العوراء، ورخيص الهراء).

---

(١) من جهاد قلم، فواتح الجزيرة. عبدالله ابن خميس، ص٢٦٣.

ونســتطيع وبوضوح تام، أن نلمح فيما عرضناه من المقالة السابقة اعتداد ابــن خميس بعروبته وأصالته، وبالأوائل من جيل هذه الأمة الذين طبق ذكرهم الآفــاق، ويعــدد مناقبهم وهواياتهم، التي منحتهم قوة في أجسامهم، وسلامة في عقولهم وتفكيرهم؛ فكانوا شوامخ من شوامخ هذه الجزيرة، كانت لهم الصولات والجــولات فــي كافة الميادين، وكان لهم القدح المعلى في أي ميدان يطرقونه، بفضل صبرهم وخشونتهم وأجسامهم الرياضية، وعقولهم ذات الحكمة والدراية، ويصــفهم بالصرامة والبسالة، وحسن التصرف والذكاء وحسن التدبر، وبما أن الشيخ عبدالله ابن خميس تساءل في عنوان مقالته عن تلك الخشونة والصبر التي تمــيز بها ابن الجزيرة العربية، فإن وراء السؤال ما وراءه، مما رآه الشيخ في عصــره مــن تغــير تلك الخشونة، وفقدان ذلك الصبر في أبناء هذه الجزيرة ويوضح ذلك فيقول: (أما اليوم فقد طُويت تلك الصفحة أو كادت بالنسبة لشباب الحاضرة، وفقدت معظم تلك الخصائص بالنسبة لشباب البادية، وليس للشباب يد فــي تقويض هذا المجد ولا لوم عليه فهكذا فرضت عليه ظروف زمنه، وألجأته إلــى مجاراتها، فلم يعد له مجال ليخشوشن، ولم يعد لرياضته التي كان يزاولها مــن أثر، فركوب الخيل والإبل استبدلت بركوب الطائرات والسيارات، وتسلق الجــبال استبدل بكرة القدم، ومجالس السمر ومحادثة الرجال واستعراض أمجاد الماضــي استبدلت (بالكدشينة) ، و(الكيرم) ، وسماع المذياع، فلا لوم عليه إذا رقّ ونعِــمَ، وكاد فضيض الماء يخدش جلده، وقطرات النسيم تجرح خده، وبقي شباباً رخواً ناعماً.

لا لــوم عليه ما دام من في أيديهم مقاليد أمره، ومن وكِّل إليه أمر تربيته وتهذيبه، رضوا له أن يكون ذلك، واكتفوا بتعليمه بهذا المنهج النظري الصامت، وفي ترويضه بالكرة أولاً وآخراً).

وما لمحناه في سرد ابن خميس آنفاً لا يعدو إلا أن نعده فكراً تربوياً نيراً، ورســالة موجهة إلى القائمين على قطاع التربية والتعليم، لأولئك الشباب الذين

ساعدت ظروف حياتهم التي يعيشونها، والمناهج التي يدرسونها على تخلفهم عن الركب، وفقدانهم لمميزات أبناء هذه الجزيرة في سالف عصرهم من الصبر والقوة والشجاعة ورجاحة العقل.

وننتقل إلى المحور الثالث الذي كتب فيه الشيخ عبدالله ابن خميس عدداً من مقالاته الاجتماعية التي ينتقد فيها بعض الخدمات العامة، ويطرح وجهة نظره تجاهها، ومن ذلك مقالة تحدث فيها عن خدمة الكهرباء، يقول في مقال بعنوان [كهرباء الرياض](١): (سكتتْ كهرباء الرياض وسُكِتَ عنها، فهل أصبحت من ذلك النوع من الحيوان الذي لا يعلم هل هو حلال أم حرام فيقال مسكوت عنه، أم أنها قد أكلت الألسن، واتبعت الأقلام، وجاءت باليأس ثم السكوت؟!.

والذي يعنينا هنا هو أنها أخذت امتياز الرياض وضواحيها، فقامت في مدينة الرياض منذ سنين طويلة، ولكن ما شأن الضواحي مهملة متروكة، ألأنها سوف لا تربح الشركة من التيار إليها، فلماذا أدخلتها في امتيازها، أم لأن أهلها لا يتكلمون والشركة رفيقة القوي، فاللهم قو أهالي ضواحي الرياض لكي تقدرهم الشركة وتنصفهم، أم لأنها لم تفرغ بعد من داخل المدينة فسلام عليها في الهالكين). ومن خلال المقال السابق نلمس وضوح فكرة وسلاسة العبارة وقربها من أفهام العامة؛ لكون الموضوع يختص بفئة من فئات الشعب، وهم أهل الضواحي، وحاجتهم إلى خدمة الكهرباء أو تأخر الشركة في تنفيذ ذلك.

ونتطرق لتحليل مقالة اجتماعية أخرى في مجال الثروة المائية؛ عنونها ابن خميس تحت مسمى [أنف الظبي وعينه](٢)؛

---

(١) من محفوظات الأديب عبدالله ابن خميس، مقال بخط يده دوّنه عندما كان وكيلاً لوزارة المواصلات في الثمانينات الهجرية، والموضوع من الأفكار التي انتهى تأثيرها في وقتنا الحاضر مع وجود خدمة الكهرباء المتطورة.

(٢) من جهاد قلم، فواتح الجزيرة. عبدالله بن خميس، ص١٩٨.

ويـتحدث ابن خميس في هذا المقال عن حفظ الثروة المائية في بلادنا من خـلال إقامـة السـدود، وينتقد ما يسبق إقامة تلك السدود من دراسات طويلة وعقيمة، قد لا تخرج بنتائج واضحة.

يقـول فـي مقدمة المقالة (قد يكون من دواعي الغرابة أن يُكْتب مقال عن السدود في المملكة، ويعنون بهذا العنوان (أنف الظبي وعينه) ، لأن العلاقة بين هذا وهذا بعيدة بعد ما بين ثريا ابن أبي ربيعة وسهيل حينما قال:

أيهـا المنكح الثريا سهيلاً عمـرك الله كيف يلتقيان
هـي شامية إذا ما استقلت وسـهيل إذا استقل يماني

ولكنـي أريد من القارئ الكريم أن يمهلني، فوجه الشبه على حد البلاغيين يأتي؛ ومما هو مدرك للجميع أن بلادنا أو الجزء الأكبر منها شحيح الأمطار، لذا عدمت فيها الأنهار، وقلت الينابيع، واختصت المياه الجوفية، بأمكنة دون أخرى، فلجأ أهلها منذ القدم وخاصة في الأماكن الجبلية إلى اتخاذ السدود يختزنون الماء فيها فيستغلونه ما دام على سطح الأرض في سقيا حروثهم وأشجارهم، وينتفعون بمـا تختزنه الأرض في جوفها منه بواسطة الحفر والاستنباط، والتاريخ يحدثنا عن ذلك، فلقد ذكر في بلدة الطائف وحدها ثمانون سداً، والقرآن يحدثنا عن سبأ وجنتـيها، وأنهمـا آية من آيات الله إثر ما أقيم هناك من سد صنع هذه الجنان، وجعـل من بلاد سبأ أعجوبة خالدة في الرخاء والنعيم.. وإذا كنا نرى أن أولئك أمـة قد خلت لها ما كسبت، ولنا ما نكسب؛ لأننا في عصر العلم عصر الذرة، وغزو الفضاء، فلنستعمل العلم ولا شيء غيره، فمرحباً بالعلم يتخذ من التجربة سـلماً إلى الحقيقة، ومن الوقائع والقرائن سبيلاً إلى النجاح.. لقد جاء العلم منذ سـنين إلـى شرق المملكة؛ لينقب عن الزيت هنالك فنقب ونقب، ثم جر عصاه وقرر أنه لا زيت؛ ليأتي العلم الصحيح مرة أخرى، فيجد أن المنطقة تسبح فوق

بحيرة من الزيت، وجاء العلم ليرى هل يوجد تحت الأرض مياه جوفية غزيرة، واكتشف المياه الغزيرة تحت الأرض، وجاء العلم مرة أخرى ليعطي المشورة، هل تصلح السدود في منطقة الرياض، فأعطى تقريره أنها لا تصلح؛ لأنها تقع في منطقة حارة، سرعان ما تُبخِّر الشمس والهواء المخزون من الماء.. بينما تمنع الرواسب الطينية تسربه إلى جوف الأرض، ولكنها عملت تجارب بالرغم من قرار العلم، فأعطت نتائج مئة بالمئة، وأحيت نخيلاً وبساتين وزروعاً وثماراً، بعد أن استبد اليأس بأهلها، وأمدت الرياض بالماء، وأصبح نجاحها لا ينتطح فيه عنزان، بل عنز هي عنز وزارة الزراعة؛ تنطح الحقيقة كأنها وعل الأعشى حيث يقول:

كناطح صخرة يوماً ليوهنها فلم يضرها وأوهى قرنه الوعل

فوزارة الزراعة لا تزال تصر على أنه يجب أن تَدْرس؛ هل تصلح السدود أو لا تصلح؟!!!

وهل أتاك حديث الظبي وعينه وأنفه: يقال: إن حاسة الشم عند الظبي قوية جداً، وأنه يعتمد على هذه الحاسة حتى ليفرط في الاعتماد، فيرى القانص بعينه، ولا يصدقها، بل يذهب يستفتي أنفه هل هذا قانص حقاً؟ فيهرب منه أوْ لاَ، ولعله هنا ظهر وجه الشبه وكم في الزوايا من خبايا.

ومن خلال المقالة السابقة نلمس اهتمام ابن خميس بتوجيه نقده إلى وزارة الزراعة التي تخضع إقامة السدود في منطقة الرياض للتجربة والدراسة، مع وجود دلائل حية وملموسة على نجاح إقامة السدود. وعلى عادة شيخنا عبدالله ابن خميس دائماً ما يعوج إلى التراث الديني والحضاري للأمة الإسلامية، فيذكر جنتي سبأ اللتين أوردهما عزوجل في كتابه العزيز، ويذكر من التاريخ السدود الكثيرة التي أُقيمت في بلدة الطائف، مدللاً ومستشهداً على نجاح مشروعات

السدود، لحفظ المياه من الضياع للانتفاع بها ولا ينسى ابن خميس أن يشيد بدور العلم ومرتاديه في دراساتهم وتجاربهم، إذا كان ما يقرره خيراً للبلاد والعباد، وتُشرقُ روح الشعر والاستدلال به في ثنايا مقالة ابن خميس، فيتمثل ثريا ابن أبي ربيعة في عقد شبه بين عنوان مقالته وموضوعها، ويتمثل مرة أخرى بوعل الأعشى وصخرته، عندما وجه نقده لوزارة الزراعة التي لا تستند على تجارب حية في سبيل تحقيق مشروع إقامة السدود في الرياض.

ثم يورد قصة عنوان تلك المقالة وهو (أنف الظبي وعينه)، ويوضح وجه الشبه بينهما وبين ما أراده ابن خميس من نقد لاذع لوزارة الزراعة والمياه، وهو تشبيه تمثيلي فريد يقرب الفكرة إلى ذهن القارئ، ويوضح الصلة بين من ينشد الحقيقة بعينه مباشرة، وبين من يتخذ وسائط للوصول إليها. وقد لجأ ابن خميس إلى التراث الشعري والقصصي ووجد في تنوعه وهو ذلك المعتز بتراثه منهلاً عذباً يمتاح من ينابيعه السخية، أدوات يثري بها مقالاته، ويكسوها بذلك شمولاً وأصالة، وفي الوقت نفسه يوفر لها أغنى الوسائل الفنية بالطاقات الإيحائية، وأكثرها قدرة على تجسيد أفكاره وترجمتها ونقلها إلى المتلقي[١].

ومن المحور الرابع [الدعوة إلى العمل] نستعرض المقالة التالية [الحياة والعمل صنوان متلازمان][٢].

يقول: (الحياة والعمل لا ينفك أحدهما عن الآخر في مسيرة كل حي، يتساوى فيها الأفراد والجماعات والأمم، وبقدر ما ينشط العمل بقدر ما تكون الحياة متحركة متحفزة نشطة وضده بضده، والأمة التي لا تعمل أو يكون جانب العمل لديها ضعيفاً، وإن كثرت مواردها، وهانت أسباب العيش فيها، أمة نشاز عاقة لسنن الكون، ونواميس الحياة، منقادة للخمول والدعة، مستسلمة لواقع؛ هو

---

(١) انظر استدعاء الشخصيات التراثية. د. علي عشري زايد، ص٧٣.

(٢) من جهاد قلم، فواتح الجزيرة. عبدالله ابن خميس، ص٤٠٧.

المنطلق الأول نحو انحدارها وضمورها. كنا في قلب جزيرتنا نصارع الحياة صراعاً مريراً، ونقسوا على أنفسنا في سبيل الحصول على العيش أشد قسوة وطبيعة بلادنا قاسية متمردة، ومع ذلك استطعنا أن ننتصر، وأن نقهر تلك الصعاب، ونقتحم تلك الحواجز عبر القرون، وما حالت تلك القسوة بيننا وبين مشارف المجد، ومصاعد العلى، وفَلَّت من عزومنا أو ثلمتْ من إرادتنا، بل على العكس كنا مساعير حرب، ونماذج فتوة، وإخلاص عمل، وكانت أرضنا تتفيأ ظلال هيبتنا، ويتركها أعداؤنا رهبة لا رغبة، وكنا نقول عن أنفسنا:

يُبْكَى علينا ولا نبكي على أحد   لنحن أغلظ أكباداً من الإبلِ[١]

ويقول أحدنا:

إذا الأمعز الصوان لاقى منّا سمى   تطاير منه قادح ومقلل[٢]

فأين ما كان وما هو التغير الجذري الذي نعيش واقعه الآن؟ إنه التبلد والارتخاء والاستسلام للدعة والراحة، وبالتالي تقويض الجانب الأقوى من مقومات حياتنا، وهو العمل. إننا نعيش عالة على المد العلمي الذي تمدنا به جاراتنا في ميدان العمل؛ فالزراعة والعمران والخدمة، وشتى الحرف والمهن؛ تقوم بها أيد وافدة، بل وتتحكم فيها، والصناعات البدائية التي كانت تُغطي الحاجة الكبرى في بلادنا اختفت، وتربية المواشي واستغلال منتجاتها والمضاربة بها داخل البلاد وخارجها، أصبحت أثراً بعد عين.

(١) البيت أورده ابن خميس في الشوارد، ولم ينسبه، انظر: الشوارد، ج٢، ص٤٦٦.
(٢) البيت لامرئ القيس. انظر: ديوان امرئ القيس؛ شرح محمد الحضرمي.ــ ط١.ــ عمان: دار عمار، ١٤١٢هــ، ص٦٩.

ما ألذ العمل وأحلاه، يشارك المرء في بناء مجتمعه، ويحافظ على كيان أمته، ويحفظ لنفسه خط الرجعة إذا ألجأته الحياة إليه، ويحافظ على صحته، ويشد به بنيته؛ ما أحلاه ولو كان في حديقة البيت، وتشذيب أشجار المزرعة. إننا أمة عمل، فقد كان نبينا عليه السلام يخصف نعله، ويخيط ثوبه، ويحمل طفله، ويقضي حاجة أهله، وكتابنا يقول **﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الأَرْضَ ذَلُولاً فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾** "سورة الملك- الآية ١٥-". ويقول **﴿وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾** "سورة المزمل، الآية ٢٠" إذن العمل شرف ووطنية وصحة ومواكبة لواقع الحياة، فلنعود أنفسنا على العمل، ولنطالبها بالإنتاج، ولنكن أعضاء عاملة في جسم هذا العالم، الذي يضج بالعمل ويسابق الزمن ولا تهدأ له حركة في قافلة تسير، وسرعة صاخبة)[١].

ومن خلال المقال السابق الذي دعا فيه ابن خميس إلى العمل، وجعله ملازماً لحياة الفرد والجماعة، واستمد من التراث العربي والإسلامي ما يؤيد أفكاره في هذا المجال، واستدل من القرآن والسنة ومن الشعر العربي في عصور ازدهاره.

ودائماً ما يقارن ابن خميس في فكره النقدي الاجتماعي، عبر ما دونه من مقالات بين ماضي هذه الأمة وحاضرها؛ بين ما كانوا عليه في عهد التقشف، وما أصبح عليه شباب اليوم عندما عاشوا عهد الرخاء، وهو كذلك في هذه المقالة الاجتماعية تحدث عن مصارعتهم للحياة في بلادهم، وأن ظروف حياتهم كانت قاسية، ولكنها ولدت فيهم عزيمة وانتصاراً على المصاعب، حتى وصلوا إلى المجد والعلا.

ويتحدث ابن خميس في معرض مقالته عن ظاهرة خيمت على البلاد؛ وهي اتكالنا في معيشتنا على مصانع الآخرين ومنتوجاتهم من خارج هذا الوطن،

---

(١) من جهاد قلم، فواتح الجزيرة، ص٤٠٧.

واعتمادنا اليوم على الأيدي الوافدة التي سيطرت على جل مقدرات البلاد، ومن هـنا تضمَّن فكر ابن خميس الاجتماعي في هذه المقالة وغيرها محتوىً ثقافياً، يتضـمن الوعي الثقافي، أو التوعية الثقافية التي تشمل الثقافة التربوية والأدبية واللغوية والعلمية.

ودائماً ما نراه في جميع مقالاته الاجتماعية عامة، وهذه المقالة خاصة ينهل فكـره من تعاليم الإسلام، ودائماً ما يشير في مقالاته الاجتماعية إلى ما أصاب المجتمع من تأخر، وما اعتراه من عيوب، مما يشوه صورة المجتمع، ويسئ إلى أصـالته، وتقالـيده وثوابـته الدينية، فكأنه طبيب يضع مبضعه الجراحي على موضـع الداء؛ ليقوم بعلاجه؛ ولا يفصل ابن خميس بين إصلاح الفرد وإصلاح الجماعة، إنما هما عنده هدف واحد. ويقرر أن اللبنة الأولى للإصلاح تقوم على إصلاح الفرد حتى تصلح الجماعة.

ويختم ابن خميس مقالته بالدعوة إلى العمل بالإرادة القوية، والنفس الصلبة، والعزم الثابت، وفي مجملها تعتبر المقالة السابقة شحنات كبيرة لترويض النفس على بناء الأمجاد.

وننـتقل إلى المحور الخامس من محاور المقالة الاجتماعية عند عبدالله ابن خميس وهو نقد العادات والطبائع السيئة في المجتمع، وأتناول بالعرض والتحليل نقد ابن خميس لعادة التسول التي انتشرت بين بعض أفراد المجتمع كما في مقال [أبـو زيد في الرياض](١). ولقد سلك الشيخ عبدالله بن خميس في مقالته لوناً من التعبير القصصي؛ لتوصيل فكرته للقارئ وإن كانت الحكاية حقيقية؛ إلا أن أديبنا أضـفى عليها صبغة تراثية، واستدعى فيها الماضي عندما أطلق على شخصية المتسول أبا زيد، الذي اتخذ من الحيلة والكدية وسيلة للاستجداء والتسول.. وأبو زيد هذا شخصية تراثية كان بطلاً في مقامات الحريري الذي عاش ما بين عام

---

(١) من جهاد قلم، فواتح الجزيرة. عبدالله ابن خميس، ص٤٢٢.

(٢٦٨-٥١٦هـ) وقد لا يعلم العلامة اللغوي القاسم بن علي ابن محمد بن عثمان المعروف بالحريري[١] أن سيرته ستعود في القرن العشرين، وبطل تلك المقامات هو أبو زيد السروجي الذي شرّق وغرّب، وأنجد وأتهم، وصال وجال، وتلون وتمون، ومن حكاياته في موضوع الكدية والتسول هو أن قوماً كانوا في سمر، فوغل عليهم في سمرهم، وبادرهم بعد السلام بمقطوعة من الشعر المتين، فحواها أن أخاً له كان ذا قوة وأيد، فعصف به الزمان، ولوى عوده وما زال به ينخر في قواه حتى هذه الساعة التي هو فيها، قد أسلم روحه إلى باريها، وهاهو مسجى ينتظر التجهيز وأنى له التجهيز ومما أورده من الشعر قوله:

عندي يا قوم حديث عجيب فيه اعتبار للبيب الأريب[٢]

ويدخلنا الشيخ عبدالله ابن خميس في عقر داره، لنفهم أفكاره حول متسول الرياض الذي أطلق عليه اسم تلك الشخصية التراثية، التي حركها الحريري في مقاماته.

فيقول في بث حيّ وتواصل ثري مع القارئ (وقد لا يعلم الحريري رحمه الله في هذه القصة المتخيلة التي قيل عنها وعن أحداثها في سائر المقامات، أنه تخيلها ليقتنص كل شاردة من مفردات اللغة، ويودعها القصص الظريفة؛ لتجمع لقارئها بين متعة القصة وفقه اللغة، قد لا يعلم أنه سوف يأتي زمن يسمى القرن العشرين عند من يختار هذا التعبير، أو القرن الرابع عشر عند من يختار هذا، وهو القرن الذي تفتقت فيه مدارك البشر من عجائب وغرائب، ما كانت تتوارد

---

(١) انظر: سير أعلام النبلاء للإمام الذهبي- ط١- بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٤م، ص٤٦٠.

(٢) انظر: فواتح الجزيرة. عبدالله ابن خميس، ص٤٢٢.

فـــي الخلـــد أو تقع في الحسبان، يجيء من يجعل الخيال حقيقة، والوهم واقعاً؛ فيمثل دور أبي زيد وينجح في ذلك وينال مآربه)[1].

وهكذا يضعنا ابن خميس في قمة الاشتياق لمعرفة قصة أبي زيد في الرياض، وما هو مقدار ما بين بطل المقامات أبي زيد، وبين صاحبنا في الرياض من تشابه، فيواصـــل ابـــن خميس مقالته قائلاً (لقد وقف صاحبنا بعد صلاة الجمعة في مسجد "الباطـــن"[2] مســـتقبلاً المصلين، كما لو كان خطيبهم، وقبل أن يتكلم كفكف دموعه بإرادته واصطنع اختناق صوته، وسلع واستعبر، وأنّ وزحر، ثم قال بصوت متهدج حزيـــن: (مـــن لمســـلم أصـــيب بمصيبتين لقد كان شيخاً كبيراً أكلت عليه السنون وشربت، ثم أقعده المرض العضال منذ أمد بعيد، ولم يكن حوله من يمرضه غيره، فكان هيكلاً من العظام والعصب أقلبه من جنب إلى جنب، وأنتظر في كل لحظة أن يـــنفذ فيه قضاء ربه، هذا وحوله صبية صغار تتقطع أكبادهم من الجوع والحرمان، وليس في كوخنا ما يُطْعَم أو يُشْرَب، والأخرى لقد مات والده قبل بضع دقائق، ولم يجـــد ما يحفر به قبره أو يغسله أو يكفنه وكان أقرب طريق أسلكه لإنقاذ موقفي هو أن ألجـــأ إليكم، وأنتم أهل هذا المسجد أقرب المساجد إلى كوخي، فهل من معين لي على مصيبتي، ومواس لي في كربتي بما أواري به هذا الميت المسجى، وأطعم به هؤلاء الصبية الجياع). ويواصل ابن خميس في سياق مقالته الاجتماعية تلك إيضاح طبائع النفوس، وأن الإنسان العربي المسلم هو، ما كان في عهد الحريري ومقاماته وبطلـــه أبـــي زيـــد، وهـــو كذلك اليوم في القرن العشرين، من تصديق المتسولين والمحتاليـــن، ولعلهـــم وجـــدوا في قصته براعة القول، وقوة الاستدلال، ما جعلهم ينساقون وراءه، كما إنساق أهل بغداد في تصديق مقامات الحريري.

---

(١) المرجع السابق، ص٤٢٤.

(٢) الباطـــن: ورد فـــي معجم اليمامة أن الباطن يقع غرب الرياض بين أم قصر والسويدي، انظـــر معجم اليمامة. عبدالله ابن خميس.ـــ ط١.ـــ الرياض: مطابع الفرزدق التجارية، ١٣٩٨هـــ، ج٢، ص٢١٧.

يقول ابن خميس (وما كاد ينتهي من خطابه، حتى خف إليه الناس، وأخذوا يـنفحونه بالأعطيات السخية، حتى انفرجت أصابعه عن قبضته من الورق الأخضر، والأزرق والأحمر، وحتى انفرجت أسارير وجهه بعد ذلك التقطيب المفتعل، فانسل من بين صفوف المصلين يخفي عنهم شخصيته، فانسل خلفه من انسل ليقف على جلية أمره، فيجهز ميته إن كان صادقاً، أو ليعلم كيف حبك أمره إن كان كاذباً أي أنه بمنزله الحارث بن همام مع أبي زيد السروجي، فأخذ بيده وأركبه إلى جانبه في سيارته بعد تلكؤ حصل منه، ومحاولة الانفلات، ولكنه أصر على أن يذهب معه ولم يزل به حتى أوى به إلى كوخ في حي الوشام([1])؛ وجذبه امرأة تغني فعرف صاحبنا الأمر، وانصرف.. والذي لعب دور الحارث بن همام هو الصديق عبدالعزيز بن جاسر؛ مدير مشروع الماء في أمانة مدينة الرياض، وكنت أنظر إليه حين أخذ صاحبه، وحمله معه، فاتصلت بالأخ عبدالعزيز لأستجلي الأمر، فأخبرني بالواقع وكنت عازماً آنذاك على أن أكتب هذه القصة.

وفي يوم الجمعة التالية رأيت صاحبنا أبا زيد في جامع الدرعية؛ حيث كنت مصلياً هناك، وإذا به يمثل دوراً آخر من أدواره التي أثق أنه كل جمعة يمثلها في جامع حتى انتهى من الرياض وبدأ بالقرى. وقف أبو زيد في جامع الدرعية حزيناً باكياً لماذا؟! لأنه يعمل من خمس سنوات في جدة يعول والدين وأطفالاً في تهامة وكل ما جمعه مدة الخمس السنوات في مكان ما، أخذه اللصوص، وتركوه صفر اليدين، ولا يزال يتبع هؤلاء اللصوص من بلاد إلى بلاد، حتى ورد الرياض وها هو يتصيده، ولما يظفر به، وأنه لقي كربة من أمره عَمَلُ

---

(١) الوشام: حي من أحياء مدينة الرياض اليوم. انظر: معجم اليمامة. عبدالله ابن خميس ٢/ ٢٥٩، وقد أشار ابن خميس إلى شهرة ذلك الحي وما به من آثار وقصور.

خمس سنوات يسرق في لحظة ويُبْقي من خلفه الوالدين والأطفال في جوع وعرى، إنه يشكو أمره إلى الله، ثم إلى إخوانه المسلمين بالعطف عليه والحنان وجبر مصيبته، وتنفيس كربته. الخ فكان من أهل الدرعية ما كان على نحو أقل مما وقع في الباطن؛ لأنه يظهر تعجل الأمر قبل حبكه)(١).

نلاحظ أن القالب القصصي الذي أورده ابن خميس وإن كان واقعياً فيه شيء من السخرية وتتابع الأحداث، ونلمس دقة ابن خميس في عرض المقالة، وتفصيلات الواقعة؛ التي شاهدها بنفسه، وكيف تصور أديبنا أن هذا المتسول المستجدي بالحيلة شبيه لأخيه أبي زيد بطل مقامات الحريري.

وأجزم أن أديبنا ابن خميس لم يكن يعجزه التعرف إلى اسم هذا المتسول في كلا المكانين، والإفصاح عنه كما أفصح عن شخصية من شبهه بالحارث بن همام؛ إلا أنه أراد أن يوشّي مقالته بالتراث، حتى يضفي على مقالته شيئاً من الطرافة، بالرغم من واقعيتها. وهدف ابن خميس من عرض مقالته هو نقد عادة التسول والاستجداء عن طريق الحيلة، والتي لم يبعدها تطور العصر، وكثرة خيراته، فهذا الشبيه بأبي زيد السروجي، كما وصفه الشيخ ابن خميس في مقالته؛ شاب جلد قوي السواعد، مفتول العضلات في استطاعته أن ينتج ويعول نفسه وأسرته).

ولكن هذا الشاب وجد مجتمعه ممن تنطلي عليه أحاييل أبي زيد، ومن قصد البحر استقل السواقيا (٢).

---

(١) فواتح الجزيرة، ص ٤٢٦.

(٢) من جهاد قلم، فواتح الجزيرة. عبد الله ابن خميس، ص٤٢٦. والحكمة: عجز بيت للشاعر المتنبي وصدره "قواصد كافور توارك غيره". انظر: شرح ديوان المتنبي، مراجعة نخبة من الأدباء.ـ بيروت؛ لبنان: دار مكتبة الحياة للطباعة والنشر، ١٩٩٢م، ص١٣٣.

وأنتقلُ إلى المحور السادس من المحاور التي دارت حولها المقالة الاجتماعية عند ابن خميس، وهو الاهتمام بالبيئة، وما بها من ثروات طبيعية، وسأتناول بالعرض والتحليل مقالة [وزارة الداخلية إيجابية وبعد نظر][١]. ومقالة [لماذا لا يدرس العلماء قضية الذبح في الحج][٢].

ونستعرض أولاً المقالة الاجتماعية [وزارة الداخلية إيجابية وبعد نظر]. يقول: (قررت وزارة الداخلية منع صيد الظباء والأرانب ليلاً، كما قررت قبل منع استيراد واستعمال بنادق الشوزل، وما ذلك إلا إبقاءً على ثروة من ثروات هذه البلاد، هددها العدم ومظهر من مظاهر عبثت فيه أيدي أهله، وكأنما بينها وبينه ثارات تريد أن تتشفى منه وتبرد غليلها في إبادته، وهو أيضاً مظهر من مظاهر العنف، وعدم الرحمة بهذه الحيوانات الضعيفة المحببة، تخرج ليلاً تطلب رزقها، بعدما حيل بينها وبينه نهاراً فتلقى أسوأ مما تلقاه نهاراً).

نتبين من المقدمة السابقة لهذه المقالة الواقع الذي جعل ابن خميس ينسج مقالته، وهو صدور أمر من وزارة الداخلية بمنع صيد الظباء والأرانب ليلاً، ومن ثم تم منع استيراد أو بيع بنادق الشوزل، وهي ما تستخدم للصيد ثم يبين الهدف من ذلك الأمر، وهو المحافظة على الحياة الفطرية الحيوانية من الانقراض.

ثم يبين ابن خميس وجهة النظر الشرعية في ذلك وأنّ الدين الإسلامي يحث على الرحمة، ويورد أدلة على ذلك فيقول: (إن ديننا أوصى بالبهائم خيراً وحث على الرفق بها ورحمتها وعدم التعرض لإيذائها؛ فقال صلى الله عليه وسلم (دخلت النار امرأة في هرة حبستها لا هي أطعمتها ولا هي أرسلتها تأكل من خشاش الأرض حتى ماتت جوعاً[٣]. ودخلت الجنة امرأة في كلب، والمرأة بغي

---

(١) من جهاد قلم، فواتح الجزيزة. عبد الله ابن خميس، ص٢٢٣.

(٢) من جهاد قلم، فواتح الجزيزة. عبد الله ابن خميس، ص٣٠٢.

(٣) صحيح البخاري مع شرحه فتح الباري، كتاب بدء الخلق، حديث رقم ٣٢١٨، ٣٥٦/٦.

من بني إسرائيل، وجدت كلباً حول البئر أخرج لسانه من شدة العطش، فنزعت موقها وأخرجت له ماءً من هذا البئر فسقته فدخلت به الجنة)[١]. وأمر أن لا تعذب الذبيحة، وأن لا تُرى السكين وأن تحد حداً قوياً لئلا تعذبها)[٢].

ويتوصل ابن خميس إلى ما ذكره سالفاً عن حماية هذه الحيوانات من التخويف والترويع، ومن ثم الإبادة إلى حقيقة أن الدين والعقل والذوق جميعها، تخالف ما كان عليه قوم فتنوا بإبادة هذه الحيوانات في الليل وفي النهار [يتتبعونها بالسيارات ويحصدونها حصداً منكراً، ولطالما وجدت فراخها أو أولادها تتحسر من الجوع، وتتلوى من فقد أمهاتها، فما أظلم الإنسان وأشد جراءته على الله].

صور ابن خميس إبادة الحيوانات والطيور بمن يحصدون الزرع حصداً بسياراتهم، وفي الحصد تجسيد لمعنى الإبادة النهائية التي تتلقاها تلك الحيوانات، ومن ثم يصور ما تخلفه تلك الحيوانات من فراخ وغيرها، وما تلقاه من تحسر من الجوع، وفقد أمهاتها. مما يضاعف حجم الكارثة. ونلمس الأسلوب الحاد فيما طرحه ابن خميس، وذلك لأن الموضوع لا يتطلب التواءً للوصول إليه، ولا أخيلة لتجسيده وتوضيحه، إنما هو الحس الاجتماعي الراقي عند أديبنا، جعله يسهم في طرح هذا الموضوع، والثناء على القرار الذي اتخذته وزارة الداخلية تجاه حماية البيئة الطبيعية الحيوانية، فلا تكرار ولا تأكيدات ولا استدلالات تراثية أو أدبية إنما اقتصر على الدليل الشرعي فحسب.

وننتقل إلى المقالة الاجتماعية التي بعنوان [لماذا لا يدرس العلماء قضية الذبح في الحج][٣].

---

(١) المرجع السابق، كتاب أحاديث الأنبياء، حديث رقم ٣٤٦٧، ٥١١/٦.

(٢) صحيح مسلم، كتاب الصيد، باب الأمر بإحسان الذبح والقتل، حديث رقم ١٩٥٥، ١٥٤٨/٣.

(٣) فواتح الجزيرة. عبد الله ابن خميس، ص٣٠٢.

ويبدأ ابن خميس مقالته بمقدمة، يوضح فيها موقف الإسلام من المصالح البشرية، و أن أصوله وتشريعاته لا تتعارض مطلقاً مع المصالح العامة. يقول في مقدمة مقاله: (نصوص الإسلام، وقواعده وأصوله وتشريعاته وأهدافه، لا تتعارض ومصالح البشر، ولا تصطدم وقواعد الإجماع الصحيحة، وليس هناك أي تشريع يقف في سبيل تقدم البشرية وسعادتها، وما يتراءى للبعض من غموض موقف الإسلام منه في بعض الأحايين، ليس هو كما يبدو، ولكن ذلك يقع إما لعدم تبادر حكمة التشريع فيه إلى الأذهان نتيجة عدم التعمل والتدبر، وإما لضيق أفق من يعنيه شأن القول فيه وعدم إحاطته بعموميات الإسلام وقواعده، وحكمه وتشريعه ومرونته، واستجابته لضرورات البشر وتمشيه مع مصالحه، فيلجأون إلى قواعد ونصوص، تغلب جانب الخطر، وتؤثر جانب الحيطة، فيقعون دائماً في وجه ما يجدُّ به العصر من أحداث وقضايا وصور، موقف المتشدد، أمثال من يلجأون إليه ـ فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام كالراعي يرعى حول الحمى يوشك أن يقع فيه. ومثل: دع ما يريبك إلى ما لا يريبك ـ ومثل قاعدة سد الذرائع، ومثل تغليب جانب الخطر، وغير ذلك من النصوص والقواعد في هذا المجال، تقابلها نصوص وقواعد أخرى تدعو إلى التيسير والتبسيط والمرونة، أمثال: يسروا ولا تعسروا، لن يشاد الدين أحد إلا غلبه، سددوا وقاربوا، ما جعل عليكم في الدين من حرج، الأصل في الأشياء الإباحة إلى غير ذلك من النصوص والقواعد، ولا تعارض بينها ولا اختلاف، فكل منها محدود وله مجالات يقف عندها، اجتهد العلماء في تخريجها، والجمع بينها، وطرد كل منها إلى حدوده، ومن ذلك استنباط أحكام وقضايا يجذبها الزمن، تُلحق بأمثالها مما يقع تحت جوانب النصوص)[١].

---

(١) انظر: المرجع السابق، ص٣٠٣.

نلاحظ من المقدمة السابقة التي عرض فيها ابن خميس محاسن الشرع الإسلامي وأنه لا يتعارض مطلقاً مع مصالح البشر.. وعلل ابن خميس وجود بعض القضايا التي يرى الناس أن الشرع يقف حيالها، بأن ذلك مرده عدم فهم القائمين لمقاصد الشرع وتحميلها ما لا ترمي إليه من تيسير أمور البشر، كما نلمس أن ابن خميس وهو العالم الفقيه بنصوص الشرع، ومقاصده، قد أورد من الأدلة في سياق مقالته الشيء الكثير؛ ليؤكد فكرته. وقد لجأ ابن خميس إلى الإطالة في التمهيد لموضوعه، وهو الذبائح في الحج وما نشأ عن تلك الإطالة من إسهاب في مقدمة المقالة؛ لأنه يرى أن القضية شرعية، ويلزم من عرضها بيان رأي الشرع الإسلامي فيما ينتج عنه منفعة للبشرية، ودفع الضرر عنهم وهذا الأمر يتطلب من ابن خميس وهو الضليع في علوم الشريعة؛ أن يقف أمام نظرائه من دارسي الفقه الشرعي وقفة العالم البارع؛ الذي لابد أن يجد لكل مسألة مخرجاً شرعياً لا يتعارض مع الثوابت الشرعية.

وهو بتلك المقدمة الطويلة لا يخاطب فئة اجتماعية معينة، أو شريحة خاصة من المجتمع، إنما هو يطرح موضوعاً يهم المسلمين كافة؛ لأنه يخص شعيرة من شعائر الحج، لذا نراه أكثر من الاستدلال بالنصوص الشرعية.

ولأننا أوردنا هذه المقالة للاستدلال على اهتمام ابن خميس بالبيئة، فإننا لابد أن نواصل قراءة مقتطفات من المقالة تبين ذلك الاهتمام بنظافة البيئة، وسلامتها من الأوبئة، يقول الشيخ عبد الله بن خميس: (إن حوالي مليون ذبيحة، يراق دمها في يوم واحد في مكان واحد، يضيق كل فيه منتهى الضيق، يترتب عليه آثار ونتائج جاءت قواعد الدين بما يردها ويأباها، إنها تجعل هذا المكان المقدس (سلخانة) منتنة، تضيق بالجثث، وتفعم بالأوساخ وإنه ليعرّض ضيوف بيت الله الحرام إلى الأذى والقلق، وربما إلى أمراض خبيثة، يعز معها العلاج في مثل هذا الظرف، وفي هذا المكان، وإن حكمة الشرع التي نصت على أن يغني بهذه الذبائح مساكين الحرم تنتفي تماماً، فمساكين الحرم يكفيهم من هذا العدد جزء من

مئة جزء. أما الباقي فتشق له الأخاديد، وتحفر له الحفر، ويمتلئ به باطن الأرض، ويدفن وما يبقى على ظاهر الأرض يبث الروائح الكريهة، ويوزع الأذى أعم وأطم، ثم إن هذه الثروة من الحيوانات ترهق أرواحها في صعيد واحد، في يوم واحد وتدفن في الأرض، لو تترك لآذى المسلمين نتنها وروائحها وما كان هذا ولا شك من مقاصد الشرع ولن يكون مادمنا نثق أن الشرع، يأمر بالنظافة، والنقاء وينهى عن تعريض المسلمين لما يضرهم أو يسبب الأذى، لاسيما في موسم كهذا الموسم).

لقد لاحظنا في طرح ابن خميس لصلب موضوع مقالته، تسمية الغرض منها، وهو عرض القضية وأنه ربط اهتمامه بإيجاد علاج لقضية الذبح في موسم الحج وما ينتج عن كثرة الذبائح من روائح وتلوث، يتسبب في انتشار الأمراض في موسم اجتماعي عظيم، وهو موسم الحج ربط ذلك بما يدعو له الإسلام من النظافة في البقعة، والمكان وأن الشريعة السمحاء تنهى المسلمين عن تعريض أنفسهم للتهلكة، ومن ذلك الأمراض التي تنتج عن تلوث البيئة. وسلك ابن خميس في موضوعه لوناً من التعبير الفني، يقوم على تضخيم الألفاظ والعبارات؛ لتجسيد القضية وتقريبها، من ذهن القارئ (تزهق أرواح ملايين من الحيوانات في يوم واحد) وانظر في قوله (تحفر لها الأخاديد) وقوله (يمتلئ بها باطن الأرض) وقوله (إنها تجعل هذا المكان المقدس "سلخانة" منتنة) ولفظ السلخانة مأخوذ من اللغة التركية بمعنى سلخ خانة أي مكان السلخ.

سادساً: مضامين المقالة التاريخية:

ونعني بالمقالة التاريخية ذات المضمون التاريخي التي تتناول أحداث التاريخ بالعرض أو تعرض لشخصية تاريخية بالوصف[١]. وتتطرق لقضايا إقليمية ودولية، كقضية فلسطين، كل ذلك بلغة الأدب، وأسلوب الناثرين، لا بلغة

(١) فن المقال في ضوء النقد الأدبي. عبد اللطيف الحديدي، ص٨٥.

التاريخ وأسلوب المؤرخين[١]. وتعتبر المقالة التاريخية جزءاً من المقالة الموضوعية[٢].

وفي هذا الجزء من البحث سأشير إلى ما كتبه الأديب الشيخ عبد الله ابن خميس عن التاريخ وما أشار إليه من أحداث تاريخية قديمة، وما سجله من أحداث معاصرة، وقد كان حظ المقالة التاريخية من كتابة ابن خميس وافراً، والحديث عن عبد الله ابن خميس والتاريخ يطول، والذي يميز مقالات ابن خميس التاريخية، هو التنوع في المعارف والتعمق في الآداب والعلوم المختلفة، وفي جميعها نجد جوانب ورؤى تاريخية، يمكن التركيز عليها في مقالاته، والإفادة من قواسمها المشتركة لخدمة بعضها البعض، ومن هنا نشأ إبداعه في كتابة تلك المقالات، وكان إبداعاً مبنياً على سعة الاطلاع والتفكير، وتكريس الجهد والتفاني، للحصول على خلاصة الأفكار التاريخية بكل دقة واستقصاء. كما وأنه في كتاباته ليس مؤرخاً فحسب، إنما هو أديب يبسط التاريخ صفحة ناطقة أمام القارئ. ومن ثم فهو يميل إلى الوضوح في العبارة، ويتحرى الدقة في الوصف، وينشد الصحة في التصوير، وتقديم حركة التاريخ في لوحات تسجيلية حية؛ تكشف عن حقيقة الأيام وعبر التاريخ، وابن خميس أحد الذين عرفوا ذلك التاريخ معايشة ودراية، واطلاعاً وتأليفاً، فاختمرت في ذهنه ووجدانه معلومات وحقائق عن التاريخ العربي والسعودي، مما أهلّه بحق وجدارة أن يمنح قارئه الرأي والفكرة والحقيقة فيما ألفه، وقرأه عن ذلك التاريخ، وما كتبه في مقالاته التاريخية الأدبية؛ إضافة إلى أن الشيخ عبد الله ابن خميس يفهم التاريخ ويقدمه ويعرضه بأسلوب أدبي، فقد استطاع أن يوظف أسلوبه النثري في تتويج معالم التاريخ وأحداثه وحقائقه، ونعرض لأهم موضوعات أدب المقال التاريخي عند عبد الله بن خميس التي وإن اتصفت بطابع المحلية؛ إلا أنه يبرز فيها اهتماماً بالصلات العربية والروابط التاريخية ومنها:

---

(١) المقال وتطوره في الأدب المعاصر. السيد مرسي أبو ذكرى، ص٧٨.

(٢) الوظيفة الإعلامية لفن المقالة في الأدب العربي الحديث. محمد علي الأصفر ـ ط١ـ إدارة المطبوعات والنشر، جامعة الفاتح ١٩٩٨م.

١- مقالات حول الكتب التاريخية التي ألفت في تاريخ الدولة السعودية وحكامها مثل:

- كتاب: خمسون عاماً في جزيرة العرب للمؤلف حافظ وهبة[١].
- تاريخ ملوك آل سعود للمؤلف الأمير سعود بن هذلول[٢].
- تاريخ البلاد العربية السعودية للدكتور منير العجلاني[٣].
- المتوكل على الودود عبد العزيز آل سعود للمؤلف محمد منير البديوي[٤].
- لمع الشهاب عن سيرة محمد بن عبد الوهاب الحسن الربكي[٥].
- تاريخ ابن بشر؛ تعليق عبد الرحمن بن عبد اللطيف آل الشيخ[٦].
- تاريخ شبه الجزيرة العربية في عهد الملك عبد العزيز للمؤلف خيرالدين الزركلي[٧].
- نظرات في الأطلس التاريخي تأليف الدكتور إبراهيم جمعة[٨].
- نبذة تاريخية عن نجد تأليف ضاري الرشيد[٩]، تحقيق الشيخ حمد الجاسر.
- بلاد العرب تأليف لغدة الأصبهاني[١٠]، تحقيق الشيخ حمد الجاسر.

---

(١) انظر من جهاد قلم، في النقد. عبد الله ابن خميس، ص٧.
(٢) المرجع السابق، ص١٢.
(٣) المرجع السابق، ص١٧.
(٤) المرجع السابق، ص٢٧.
(٥) المرجع السابق، ص٣٥.
(٦) المرجع السابق، ص٤٥.
(٧) المرجع السابق، ص٥٥.
(٨) مجلة الدارة، ع٢، السنة الخامسة المحرم ١٤٠٠هـ ص١٧٥.
(٩) من جهاد قلم في النقد. عبد الله ابن خميس، ص٢٦٧.
(١٠) المرجع السابق، ص٢٦١.

- مدينة الرياض عبر أطوار التاريخ تأليف حمد الجاسر[١].

٢- مقالات حول تاريخ بعض المعالم في المملكة العربية السعودية، ومن ذلك:

- مقالة بعنوان بلاد اليمامة[٢].
- الدرعية معالم وأطلال[٣].
- سجن اليمامة دوّار[٤].
- حقل مزاليج[٥].
- ما لم يذكره التاريخ عن حرب الدرعية[٦].
- الدهناء[٧].
- الطائف وإرهاصات الحج[٨].
- ما هو عكاظ[٩].
- ومقالة سوق عكاظ في الجاهلية والإسلام[١٠].
- قبيلتا طسم وجديس[١١].

---

(١) المرجع السابق، ص٢٧٥.

(٢) مجلة العرب، ج١١، السنة ٩ الجماديان ١٣٩٥هـ، ص٢٢١.

(٣) مجلة الدارة، العدد ١، السنة الأولى، ربيع الأول ١٣٩٥هـ ، ص١٧.

(٤) من محفوظات الأديب عبد الله ابن خميس، مقال مخطوط بدون تاريخ، ولم أقف على نشره في صحيفة أو كتاب.

(٥) من جهاد قلم، فواتح الجزيرة. عبد الله ابن خميس، ص٣٢٩ .

(٦) مجلة الدارة، ع١، السنة ١٠ شوال ١٤٠٤هـ، ص٤٣.

(٧) مجلة الفيصل، العدد الرابع، السنة الأولى، شوال ١٣٩٧هـ، ص١٤.

(٨) جريدة عكاظ، العدد ٨٠٤٤، الأحد ٣ ذو الحجة ١٤٠٨هـ، ص١٠.

(٩) مجلة العرب، ج٧، السنة الخامسة، المحرم ١٣٩١هـ، ص٦٠٩.

(١٠) المجلة العربية، العدد ٥، السنة الرابعة ١٤٠٠هـ، ص٨١.

(١١) من جهاد قلم، فواتح الجزيرة. عبد الله ابن خميس، ص١١٧.

٣- مقالات تدور حول شخصيات تاريخية مشهورة ، ومن ذلك:

- موحد المملكة العربية السعودية(١).
- بيعة طعيس(٢).

ومن خلال تلك المضامين التاريخية في مقالات ابن خميس، نلمس الإشارة إلى الأحداث الإسلامية الكبرى، واستعراضها في ثنايا مقالاته تذكيراً، بأمجاد المسلمين الأوائل والتي فيها من الدروس والعبر الشيء الكثير، ومن نافلة القول أن نوضح أن أديبنا الشيخ عبد الله بن خميس تحدث عن بعض المظاهر الأدبية حديثاً يتخذ الشكل التاريخي، مثل مقالته عن سوق عكاظ ودوره في الحركة الأدبية قديماً، كما ونلمس عند الشيخ ابن خميس استلهام الشخصيات التاريخية؛ من الشعراء والأدباء والخلفاء في شكل يعكس أطروحات اجتماعية أو فكرية، ومما صنفناه في مقالات ابن خميس التاريخية نلاحظ استعراضه للكثير من المؤلفات التاريخية؛ على شكل مقالات أدبية تاريخية ومثال ذلك: [كتاب لمع الشهاب عن سيرة محمد بن عبد الوهاب للمؤلف حسن الربكي](٣). وفيه يوضح ابن خميس أن هذا المؤلّف التاريخي لا يُعدُّ كتاباً إلا تجوزاً، ويؤكد ابن خميس بأسلوب تقريري أن الكتاب مجموعة تخيلات، وأن مؤلفه يفترض افتراضات، ويحاول أن يلبسها لباس الحقيقة والواقع، ويحكم ابن خميس على ذلك المؤلف بالفشل؛ لأنه لا يتكلم عن مجهول، ولا يكشف عن مخبأ، إنما هو يتحدث عن تاريخ الشيخ الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب، ويبحث في حقائق نقلها عن الباحثين والدارسين تأليفاً وتحقيقاً على اختلاف مشاربهم.

---

(١) مجلة القافلة، عدد خاص بمناسبة اليوم الوطني للمملكة العربية السعودية، شوال ١٤١٩هـ، ص٤.

(٢) من جهاد قلم، فواتح الجزيرة، ص٤٤٥.

(٣) من جهاد قلم، في النقد، ص٣٥.

وبعد هذه المقدمة المقالية التي عرّف بها ابن خميس ذلك الكتاب، وقيمته التاريخية الرديئة التي لا تعدو خيالات اخترعها المؤلف، يبدأ ابن خميس في التدليل على رأيه في الكتاب من واقع الأمة الإسلامية وسلفها، وما لاقوه من خصوم العقيدة السلفية فيقول: (لنا في عقيدتنا السلفية خصوم، ينهجون نهج أسلافهم مع أسلافنا البررة سلف هذه الأمة، ولكن هؤلاء الخصوم يحاولون استنباط حججهم ومناهجهم في الخصومة من مصادر إسلامية، ويحاولون أن يخضعوها لمشاربهم واتجاهاتهم، على أساس قرع الحجة بالحجة، ومقابلة الدليل بالدليل. أما صاحب لمع الشهاب، فليس من هذا في قبيل ولا دبير، يضرب في بيداء لا يسير فيها إلا هو وحده، وإذا أضفنا إلى هذا جهله بقواعد اللغة العربية جهلاً مركباً، وغثاثة أسلوبه ورتابته، وبعده عن جو التأليف، باضطراب أفكاره وخبطه وخلطه، ووضعه فصول كتابه كيفما اتفق؛ أدركنا تماماً من هو صاحب لمع الشهاب، وما هو لمع الشهاب).

ومما سبق في هذا الجزء من المقالة نرى الشيخ ابن خميس ينتقد الأسلوب واللغة عند مؤلف الكتاب بعد اطلاعنا على نقده لأفكار المؤلف في بداية المقال.

ويعاتب الشيخ ابن خميس دارة الملك عبد العزيز، عندما رأت نشر الكتاب والتعليق عليه، وعهدت بذلك إلى الشيخ عبد الرحمن بن عبد اللطيف آل الشيخ فنراه يقول: (وهو أمر لو كان لي منه شيء، لما أقدمنا على نشر هذا الكتاب، ولا التعليق عليه فأولى به الترك والنسيان).

ويذكر ابن خميس الأسباب التي دفعته لذلك الحكم الذي أصدره على الكتاب، وهو أن الباحث الذي لا يجد معولاً يُرجع إليه سوى كتاب لمع الشهاب، حجته داحضة، وبضاعته مزجاة، و أن دارة الملك عبد العزيز عندما نشرت الكتاب على علاته لم تغير من الأمر شيئاً، وأن التعليقات التي وضعت على محتوى الكتاب ضحلة، ويود ابن خميس أنها لم توضع.

كما وأن الأبيات الشعرية كانت مكسورة الوزن، و بعضها يهب للشطر الأول ما هو حق للشطر الثاني.

ويختم ابن خميس مقالته التاريخية بعد إيراد الدليل تلو الدليل، والتصحيح تلو التصحيح لما وقع فيه المؤلف، ومن ثم المعلق من أخطاء في ذلك الكتاب بطرح الحلول والمعالجة والفروض التي كان يجب أن تتبع في التعليق والتحقيق لذلك الكتاب التاريخي قبل نشره يقول: (كان من المفروض حينما أقدمنا على نشر هذا الكتاب، والتعليق عليه أن نسلك مسلكاً علمياً لا دخل للعاطفة فيه وأن نقرع الحجة بالحجة والدليل بالدليل، وأن نفند اختلاقات مؤلفه، وافتراضاته بالأدلة القاطعة، والبراهين الساطعة، وما أهون فضحه وتفنيده وإسقاط حججه، في أسلوب عف مؤدب، برئ من الشتيمة والسباب والانفعالات والتشنجات، فنحن أمام دفاع عن عقيدة، وذب عن مبدأ، وإثبات أن لنا من عقيدتنا وسلوكنا ما يسمو بنا، إلى المكان اللائق بنا وأن لنا من أصول ديننا الثابتة ما يجعل قذائف الخصوم تتفتت قبل أن تنقر من صخرتنا، أو تنال منا وأننا نملك من الحق والمنطق والبراهين، ما يجعلنا في مأمن من كيد الكائدين وشكوك المنحرفين)[١].

ومن خلال ما اقتطفناه من المقال السابق نرى عبد الله ابن خميس وضع منهجية واضحة للنقد التاريخي العادل، والرد على خصوم العقيدة، والطاعنين في تاريخنا الإسلامي العريق، فهو يحث على قرع الحجة بالحجة، والدليل بالدليل، وأن يكون أسلوب الرد عفاً بريئاً خالياً من السباب والشتيمة. ويتحدث ابن خميس عن المؤمن؛ وأن عقيدته وسلوكه الإسلامي يعطيانه دائماً المكان اللائق، وأنه يملك من الحق والمنطق والبراهين ما يجعله في مأمن من كيد الكائدين.

ويبدي ابن خميس أسفه لما يلجأ إليه بعض المسلمين، عندما يتولون الرد على خصوم التاريخ الإسلامي، وعقيدته الصافية، ومنهم من قام بالتعليق على كتاب لمع الشهاب، وما يلجأون إليه من عبارات غير لائقة يقول (إنني أبدي أسفي لبعض العبارات التي وردت في التعليق مما يجعل المطلع عليها يقول هذه هي بضاعتهم، ومن أمثال ذلك: النكرة، مجموعة إلحاد وكفر وتضليل،

---

(١) من جهاد قلم في النقد. عبد الله ابن خميس، ص٤٢.

والمنحرف، والضال، الوقح، من غلاة الوثنيين الذين خلعوا ربقه الحياء، على نهج سلفه من القبوريين والوثنيين الذين إذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوبهم؛ فهل هذا هو قصارنا ووكدنا؟ إننا بهذا نعطي الخصوم حجة قاطعة، وثغرة واسعة، نحن منها براء، وأن القصد الذي أرادته الدارة من نشر هذا الكتاب انتفى كلياً وخرجنا بعكس ما أردنا، وأن هذه التعليقات إلى جانب ما ذكرناه عبارة (عن إكليشيه)، تذكر غالباً في كل موضع، تبدأ بالثناء على الشيخ محمد رحمه الله، ثم بشتيمة مؤلف لمع الشهاب، ثم بالدعاء لإمام المسلمين وهكذا).

ويقرر ابن خميس أن من يقرأ هذا الكتاب من الخصوم، أو من يجهل واقع العقيدة الإسلامية؛ لا يعنيهم ثناؤنا على إمامنا الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله، ولا من شتيمتنا لصاحب لمع الشهاب، ولا من دعائنا للإمام فيصل رحمه الله لا يعنيهم هذا كله، بقدر ما يعنيهم أن تظهر لهم الحجة، وأن يدركوا حقيقة ما عندنا، وأن يتحققوا عن مدى الأسلوب الذي نخاطب به الناس، والنهج السليم الذي نسلكه ويختم ابن خميس المقالة بالبيت التالي:

لا يأتيك من واد إلا سيله وكل إ ناء بما فيه ينضح[1]

وننتقل إلى المقالة التاريخية التي كتبها ابن خميس حول كتاب [مدينة الرياض عبر أطوار التاريخ] تأليف الشيخ حمد الجاسر رحمه الله[2]. حيث يبدأ

---

(١) ذكره ابن خميس في الشوارد ونسبه إلى حيص بيص. انظر: الشوارد الجزء الأول.ـ ط١.ـ دار اليمامة للترجمة والنشر ١٣٩٤هـ، ص١٣٩ .

(٢) ولد في البرود من إقليم سدير، في نجد عام ١٣٢٩هـ. حفظ القرآن صغيراً ثم انتقل إلى مكة المكرمة فالتحق بالمعهد العلمي السعودي، وتخرج منه وابتعث إلى مصر وواصل دراسته في كلية الآداب جامعة القاهرة، وعمل في القضاء وفي التعليم ثم عين مديراً لكليتي الشريعة واللغة العربية بالرياض. أنشأ مجلة اليمامة واهتم بالبحوث الجغرافية. نال جائزة الدولة التقديرية في الأدب عام ١٤٠٣هـ. توفي عام ١٤٢١هـ، انظر: من روادنا التربويين المعاصرين. د. عبد الله الزيد.ـ ط١ (د.ن)، ١٤٠٤هـ، ص٧٥-٧٧.

ابن خميس مقالته بمقدمة شيقة للتعريف بالكتاب فيقول: (مدينة الرياض عبر أطوار التاريخ اسم الكتاب الذي وضعه أستاذنا الشيخ حمد الجاسر في تاريخ مدينة الرياض، هذا الكتاب يعتبر الأول من نوعه في تاريخ هذه المدينة، من حيث الإيغال في أطوار التاريخ، واستنباط العلوم من مظانها، وتكوين سلسلة تكاد تكون مترابطة الحلقات عن أطوار تاريخ هذه المدينة، وأدوارها حسب الطاقة، ويعتبر هذا الكتاب محاولة موفقة لوضع تاريخ شامل لهذه البلاد، ونواة صالحة لاعتماده أصلاً يعول عليه الباحث في تاريخها، وكفى بأستاذنا الجاسر خبيراً في دروب التاريخ، ومجاهله وخبيراً بكل شيء عن هذه البلاد؛ يستطيع الحكم عليه وهو مطمئن متثبت)(١).

ثم يواصل عبد الله ابن خميس عرض مقالته فيوضح لنا ما هو المفهوم التاريخي لأي أمة فيقول: (الوجود التاريخي لأمة من الأمم كالبناء، يشترك فيه مجموعة كبيرة من أهل الصنائع والحرف حتى يتكامل ويتحقق المراد منه، وإن المؤرخ يقتضيه أسلوب التاريخ أن يلم بأطراف كل بحث، ويستقصي جوانبه، ويجمع شمل ما قيل فيه، ويغربله ويخرج بخلاصة يرى أنها الصواب، يدعمها بالحجة ويؤديها بالمنطق).

ثم يعرض ابن خميس لتاريخ قبيلتي طسم وجديس، كما تحدث عنهما كتاب الشيخ حمد الجاسر، ويقف ابن خميس مع المؤلف بعض الوقفات حول تاريخ هاتين القبيلتين في بلاد نجد وكذلك يتحدث ابن خميس عن (حِجر) وتاريخها، كما أورده المؤلف ويورد قصة تسميتها بذلك، ويتوقف عند بعض آراء المؤلف حولها وحول موقعها ويورد دلائل من أقوال المؤرخين على صحة تعقيبه.

ومن ثم يتوصل إلى أن حجر؛ وهي الرياض الحالية روضة محجورة، أي تجمعت بها المياه، ومن ثم أورد ابن خميس تعليقه على حديث المؤلف عن حرب خالد بن الوليد لمسيلمة الكذاب ولم ينس ابن خميس أن يعرِّج على ما أورده

---

(١) من جهاد قلم. عبد الله ابن خميس، ص٢٧٥.

الجاسر من أبيات شعرية استدل بها على تاريخ مدينة الرياض، ويصحح ما ورد في بعضها من ميل عن الشروح الصحيحة، وهو ذلك العالم اللغوي البارع.

ونستطلع مع أديبنا عبد الله ابن خميس تاريخ بعض المعالم، من واقع ما كتبه من مقالات تاريخية تزخر بالأسلوب الأدبي، والعبارات الموحية. ومن ذلك ما كتبه عن [سجن اليمامة (دوّار)][١].

حيث استأنف مقالته بإيضاح لطبيعة اليمامة الجغرافية، والتي مهدت لوجود قطاع الطرق واللصوص يقول: (عُرفتْ اليمامة منذ العهود الموغلة في القدم بظاهرة اضطراب الأمن، وكثرة قطاع الطرق، وسطوات اللصوص، ولعل طبيعة أرضها وتكوينها الجبلي وشعابها وأدغالها، هيأت مناخاً مناسباً تعيش فيه اللصوصية، ويركن إليه الإجرام يتوسط جبلها الأشم العملاق فوق أديم هذه المنطقة، بما يقدر طوله بألف ميل من الشمال إلى الجنوب، وفي عرض قد يبلغ في منبسطاته خمسين ميلاً من الغرب إلى الشرق، تشمخ منه هضاب وأنوف[٢] وصفحات باسقة سامقة، يرجع الطرف دون ذرواتها خاسئاً وهو حسير، تضم الكهوف والمغارات والأدغال الموحشة وساقط الماء وأثماره وفلاته وغدره، هذا كله مأوى لذئاب البشر من عامر ونشير، وجعدة وجرم وحران وكعب وحنيفة وتميم). وصف دقيق لبلاد اليمامة، وما يحيط بها من مظاهر طبيعية، ولقد جعل ابن خميس من هذه الجمادات مظاهر حية مليئة بالحركة، حينما وصفها وجسّدها، وأضفى عليها من العراقة والشموخ، ما جعلها في نظره مأوى لذئاب البشر، وتراه يعدد وهو العالم النسابة الذي يحذق تاريخ القبائل العربية القديمة ومواقع سكنها، تراه يعدد أسماء تلك القبائل التي انطلق منها قطاع الطرق، واللصوص العابثون بأمن بلاد اليمامة، لقد وظف ابن خميس لغته الرصينة ومحفوظه الديني والتراثي للتمهيد لموضوع مقالته وهو الحديث عن [سجن اليمامة (دوّار)].

---

(١) من محفوظات الأديب عبد الله ابن خميس، مقال مخطوط، ولم أقف عليه منشوراً.

(٢) أنوف: قمم الجبال، انظر: لسان العرب ١٣/١٨٢.

ويعرض لنا ابن خميس من خلال المقالة الوضع الأمني في بلاد اليمامة مفصلاً، وكأنها أحداث من الحاضر، نلمسها ونعيشها، ويوضح خلال ذلك أن القوة والسطوة التي لجأ إليها حكام اليمامة آنذاك للقضاء على اللصوصية فشلت حتى لجأوا إلى الحيلة. ويورد ابن خميس قصة قائد القرصنة (جحدر) مع حاكم اليمامة الحجاج بن يوسف الثقفي(١). يقول عبد الله ابن خميس: (حينما ارتد العرب بعد الإسلام وجدت الفتنة لها متنفساً، وشخصت رؤوس الشر وكلحت أنيابه، ووجدت ذئاب اليمامة مجالاً رحباً، وموطناً خصباً ثم جاءت ولاية الحجاج في العراق، وأنيطت به ولاية اليمامة، فوجد من لصوص اليمامة ما أقلقه، وأقض مضجعه، وعجزت سطوة الحجاج وجبروته عن أن تستأصل الفتنة أو تقضي على الإجرام في اليمامة، حتى بردت جذوته، وانطفأت شعلته فلجأ إلى الحيلة، واتخذها وسيلة، فلقد كان جحدر اللص قائد القرصنة، وزعيم اللصوصية تخافه اليمامة بأسرها، أعجز ولاة الحجاج وتركهم مستسلمين لبطشه، فأمر الحجاج باستعمال الحيلة معه، وأمر واليه في اليمامة أن يتخذ من اللصوص الذين تتألبهم يد (جحدر) وسيلة للقبض عليه، وأغراهم بالمال، وأشبعهم بالوعود، فكان للحجاج ما أراد، فقبض عليه زملاؤه وسلموه إلى عامل الحجاج؛ ليبعث به مقيداً إلى جبار العراق، الذي رأى أن قتل جحدر بالسيف أو بآلة أخرى لا يبرد غليله ولا يشفي مرض نفسه، ولكن ليجوّع أسداً سبعة أيام في حفرة، ثم يحضر جحدراً ويعطيه سيفاً بتاراً، فإذا كان كما يزعم شجاعاً فاتكاً فلينقذ نفسه من هذا الضرغام الضاري وإلا فلينظره يمزقه كما كان يمزق عباد الله، ويمزق الأمن في ربوع البلاد، فلما رآه الأسد زأر

---

(١) الحجاج بن يوسف الثقفي: هو أبو محمد. قائد، داهية، سفاك، خطيب. ولد ونشأ في الطائف، وانتقل إلى بلاد الشام. قلده عبد الملك بن مروان أمر عسكره وأمره بقتال عبدالله بن الزبير، وأخبار الحجاج كثيرة. مات بواسط في العراق سنة ٧١٤م، انظر الأعلام، خير الدين الزركلي، ١٦٨/٢.

زأرة كادت تتصدع لها جوانب البشر، واستبق يبادر وصوله قاعة الحفرة ولكن هِزَبْراً ساغباً لاقى هِزَبْراً، لقد بادره جحدر مخترطاً سيفه وهو ينشد:

لَيْثٌ ولَيْثٌ في مجالٍ ضَنْك كلاهُما ذو قوة وَسفْك
وصولةٍ وجولةٍ وفتكِ أنْ يكشفَ الله قِناعَ الشكِ

فأنت لي في قبضتي وملكي

فتصاولا، ولم يلبث الأسد قليلاً حتى عفرت الأرض خدّه بعد أن أمعن سيف جحدر في متونه وقوائمه، والحجاج يتابع المشهد، فأخرجه الحجاج وقال له: هل لك في ولاية اليمامة، وشرف المنصب والغنى؛ على أن تستعمل شجاعتك، ودهاءك في توطيد الأمن في اليمامة، واستئصال اللصوصية بها، فتعاهدا على ذلك، ورجع (جحدر) والياً على اليمامة فقرت به عيناً وطابت عيشاً).

ويروي ابن خميس بعد ذلك قصة إنشاء سجن اليمامة (دوّار) ، وإن الذي أنشأه هو إبراهيم بن عربي أحد ولاة بني أمية، وأنه جعل لذلك الإقليم هيبة وقوة معنوية.. ويعدد ابن خميس مناقب ذلك الوالي؛ فيقول: إنه حكيم حكم فأعطى الحكم حقه، وأقسط فهابه البغي والإرهاب، واتخذ من سجن (دوار) وسيلة من وسائل التأديب.

وندخل مع ابن خميس في صلب موضوعه، فنراه يصف سجن دوار وموقعه وشكله فيقول: (دوار غاية في التنكيل، وآية في التعذيب، نأى به ابن عربي عن قلب حجر اليمامة، واتخذ من رحبه (المغيدر)[1] مكاناً له فطفق

---

(١) تم توجيه سؤال للشيخ عبد الله ابن خميس حول موقع السجن من بلاد اليمامة الآن، فقال: إنــه من المواقع المشهورة في العمارية شمال الرياض وقد رجح الشيخ حمد الجاسر أن يكــون الموقع كما ذكر ابن خميس وذلك لاتساع المكان وصلاحيته للسكنى والشيخ حمد الجاســر ذكــر ذلــك في كتابه (الرياض عبر أطوار التاريخ)ــ الرياض: طبعة دار اليمامة، ١٣٨٦م، ص١٠٤.

يستقبل كل حين ضيفاً جديداً أو ضيوفاً حتى غص بذئاب البشر، ولكن دواراً كان يرهبهم، وذكره يفزعهم، لقد أفرغوا رهبته وهيبته شعراً، يقول عبادة بن البراء أحد بني جعدة وكان سجيناً في سجن اليمامة (دوار):

لقد ضم سجن الهاشمي عصابة   نراها جميعاً وهي شتى شعوبها
إذا حرك البواب أقفال سجنه   رأيت رجالاً وهي تنزو قلوبها
متى يدع منهم باسمه وهو مجرم   تكن روعة لابد وهو مجيبها
ذكرتك والحداد يقفل قيده   على الساق من عرجاء عار كعوبها

لقد أورد ابن خميس القصيدة كاملة في مقالته التاريخية، واقتطفتُ منها تلك الأبيات، وفيها تصوير لواقع ذلك السجن، وصوّر ابن خميس سكانه، وهم أمشاج من قبائل شتى وكيف حالهم إذا حرّك السجان باب سجنه نزت قلوبهم، لا يدرون ماذا جاءهم به، وعلى ما بهم من قوة قلوب، فلابد أنهم مستجيبون لما يأمر به هذا السجان، وما ينهى عنه، ويورد ابن خميس أبياتاً أخرى لشعراء آخرين في وصف سجن اليمامة دوار ومن ذلك قول أحدهم:

كانت منازلنا التي كنا بها   شتى وألّفَ بيننا دوّار
سجن يلاقي أهله من خوفه   عنتاً ويمنع منهم الزوار

ويقول آخر:

يارب دوار أنقذ أهله عجلاً   وأنقض حرائره من بعد إبرام

ويختم ابن خميس مقالته بقوله: (هذا ما أعده ولاة اليمامة قديماً لمجرميها ولصوصها وشياطينها، حينما انطوى ظل الخلافة عن اليمامة، وتمزق أهلها أحزاباً وشيعاً، وأصبح في كل دار أمير وإمارة، ولما رقص الشر وعشش البغي وأفرخ وأصبح الأمن حديث خرافة)[1].

---

(١) المرجع السابق، ص٥.

وتشرق بين ثنايا المقالة التاريخية السابقة عن سجن اليمامة للشيخ ابن خميس أهداف ومآرب من بيان تاريخ اليمامة، وأنماط الناس ومآربهم، وطرائق الحكم، وسبل الإصلاح التي اتبعوها في تلك الحقبة من الزمن.

ومن المقال التاريخي [ما لم يذكره التاريخ عن حرب الدرعية][1]. يقدم ابن خميس لموضوع مقالته مبيناً السبب الذي من أجله أنشأ مقالته، وهو أن مؤرخي حرب الدرعية قد فاتهم الكثير من أخبارها وصورها وملابساتها، وما حصل لأهلها مع عدوهم من كر وفر، وحرب وسجال، وتضحية وفداء.

وكعادة ابن خميس في توثيق أخباره، وأقواله يبين أن أقدم من سجل أخبار تلك الحرب هو ابن بشر، وقد جاء تسجيله لتلك الأحداث متأخراً؛ حيث فرغ منها عام ١٢٧٠هـ.. بينما سقوط الدرعية كان عام ١٢٣٣هـ فهناك سبع وثلاثون سنة تفصل بين الحدث وتسجيله.

ويذكر ابن خميس أن منهج ابن بشر في تاريخه، كان يقوم على سرد الأحداث والوقائع والأخبار دون أن يتعرض للتحليل والبسط والنقد.. ويورد ابن خميس بعد هذه المقدمة الموجزة عن دوافعه في إيراد ما سيورده من أخبار عن حرب الدرعية فيقول: (حدثني والدي عن جدي الذي أدرك حرب الدرعية قال: لما استسلم عبد الله بن سعود للأمر الواقع، وخرج إلى إبراهيم باشا في مخيمه بعد أن أعذر وبذل كل محاولة لصد هجمات الأعداء المتوالية، ولم يكن لديه حيلة ولا وسيلة، وخشي أن يدهم جند العدو البلاد، ويستبيحون بيضتها، ويعبثون بالمحارم، ولا يرحمون صغيراً، ولا يوقرون كبيراً، قدم نفسه فداء دون حوزة البلاد، وحرمة أهلها، فسلم نفسه لقائد الحملة إبراهيم باشا).

ومن هنا يوضح ابن خميس أن الأمير عبد الله بن سعود قد سلم نفسه إلى قائد الحملة إبراهيم باشا؛ خوفاً من اجتياح البلاد، واستباحة المحارم، وأنه قدم نفسه فداء دون حوزة البلاد.

---

(١) مجلة الدارة، السنة العاشرة، العدد الأول ، شوال ١٤٠٤هـ، ص٤٣.

ونرى أن عبد الله بن خميس في طرحه للأخبار التي رواها والده عن جده يتوخى النقل المنطقي، والأسلوب المرسل في الطرح والمتابعة؛ لأنها أخبار لم يدونها التاريخ، ويذكر أنها ثلاثة أمور سأل عنها إبراهيم باشا الأمير عبد الله بن سعود، عندما استقر به القرار عنده. يقول موجهاً خطابه للأمير: إني سألتك عن أشياء ثلاثة لماذا لم تستعملها، أو لم تستعمل واحداً منها ضدنا، وإذاً لكان بالإمكان صدنا، أو إطالة الحرب بيننا وبينكم، وربما كانت النتيجة فشلنا، فقال لـــه الأمير: وما هي هذه الأمور الثلاثة: قال الباشا:

أولاً: من المعلوم أن بلادك جبلية، وأنه لا يمكن الوصول إليها إلا عن طريق أودية ومنافذ محدودة. وقومك باديتهم كر وفر، وقوم لهم ولع بالمطامع والغارات، والكسب والنهب، فلماذا لم تجعل قسماً منهم كبيراً يحتلون هذه الجبال، وهذه المراصد والمخابئ في بطون وأحضان الجبال، وجعلتهم يغيرون على حملات التموين المتصلة، يسلبون، منها ما يسلبون ويقتلون من يقتلون، ثم لماذا لم تأذن للبادية بمهاجمة حملات التموين منذ دخولها بلادك من ميناء ينبع، إلى أن تصل الدرعية، وأن هذا الأمر هو من بين العوائق الكبرى التي نعمل لها ألف حساب في حربنا معكم؛ فلماذا لم تستغلوها؟!).

ويورد ابن خميس الخبر الثاني الذي لم يورده التاريخ عن حرب الدرعية وهو أن جميع الذخيرة والبارود والأسلحة والمتفجرات قد وضعها جنود إبراهيم باشا في مكان واحد ضيق بين جبلين وأنها انفجرت كلها وأن دوي انفجارها سمع من مسيرة أيام وأن إبراهيم باشا قد سأل الأمير عبد الله بن سعود لماذا لما رأيتمونا على هذه الحال لم تجهزوا علينا دفعة واحدة وتقنصونا كنقص الجراد. إنها فرصة لا تعوض.

ويذكر ابن خميس الحدث التاريخي الثالث وهو أن وادي حنيفة سال سيلاً عظيماً، فشطر معسكر إبراهيم باشا إلى شطرين، وانقطعت الصلة بينهما، وكان بالإمكان خروج الأمير عبد الله بن سعود وجنوده على أحد الشطرين وإبادته إبادة كاملة، ولكن ذلك لم يحدث.

ويختم ابن خميس مقالته بإيراد الإجابة التي رد بها الأمير على إبراهيم باشا فيقول (والله ما من واحد من هذه الأمور التي وقعت، إلا وقد أشار عليّ به أهل الدرعية، وألحوا ولكن إذا جاء القدر عمى البصر، وذهب الحذر).

ويعلق ابن خميس على ما ساقه في مقالته من أخبار، فيقول وإن كان هذا الخبر الذي سقناه آحاداً، إلا أن الدلائل والقرائن تفيد بصحته وواقعيته، كما أنه يعطينا دليلاً على أن الأمر قد انتهى إلى وضع لا تفيد معه الملامة، ولا تنقذه الإجراءات المقترحة.. ويتوصل ابن خميس إلى خلاصة استنتاجه من تلك الأخبار، وهي أن الاحتجاج بالقضاء والقدر في مثل هذا الموقف فيه نظر، فلو أن الأسباب فعلت في كل أمر لكان للنتائج وضع آخر.

وللشخصيات التاريخية حظ من فكر الشيخ عبد الله بن خميس بما كتبه عن بعضها من مقالات تاريخية تبين إسهامات أولئك في صنع التاريخ عامة، وتاريخ الدولة السعودية خاصة، ومن ذلك مقالة [موحد المملكة العربية السعودية](١).

يقدم ابن خميس لمقالته بديباجة رائعة، يؤكد فيها أن كيان هذه الدولة قام على أساس دعوة دينية ساندها أهل نجد بادية وحاضرة، وأنهم لم يكونوا في بادئ الأمر من المرونة وسلاسة الفهم، بحيث يستوعبون سماحة الدين ومقاصده، وقد فاجأهم عصر الصناعة والعلم بمخترعات وابتكارات وأنظمة وفنون ما كانت تدور لهم بخلد، فظنوها مما يتنافى مع الدين، ويتعارض مع مقاصده.

ومن ثم يبين ابن خميس مكانة هذه الدولة؛ التي قامت على تعاليم سلفية ناصعة، فيقول: (وتربعت على أرض الجزيرة دولة سلفية عادت بها إلى عصورها الكريمة، السليمة وانبسط ظلها من عمان واليمن إلى العراق والشام).

ويواصل ابن خميس التعمق في طرحه لذلك الموضوع التاريخي، فيسرد الأحداث بأسلوب قصصي آخاذ.. ومن ذلك قصة رسول ابن رشيد الذي ذهب

---

(١) مجلة القافلة، شوال ١٤١٩هـ، ص٤.

إلى مجلس الإمام عبد الرحمن في الكويت يقول ابن خميس: (إن رسول ابن رشيد الذي بعثه إلى الكويت في حاجة له، فمر بمجلس الإمام عبد الرحمن متنكراً، فدخل الرسول المجلس، ووجده غاصاً بالزوار، فوقف لا يدري ماذا يفعل، أيرجع أم لعل بعض الجالسين يفسح لـــه ليجلس إلى جانبه، ولكن ذلك لم يكن فأنقذ الموقف عبد العزيز الذي كان جالساً بجانب والده، فقام وأجلس الرجل مكانه، وحرص رسول ابن رشيد على أن يتحدث مع عبد العزيز، فكان ذلك فامتلأت نفس الرسول إعجاباً، لقي شاباً حسن الطلعة، متوقد الذكاء، سريع الخاطر، لماحاً، صادق اللهجة، حلو الحديث، فنقل انطباعه إلى ابن رشيد وقال "إذا كان ثمة من ينازعك حكم نجد فهو هذا الغلام").

وبما أن ابن خميس قصد من مقالته التاريخية الحديث حول هذه الشخصية التاريخية الفذة، وهي شخصية الملك عبد العزيز، فقد قرنه بعظماء المسلمين والذين خلد ذكرهم الشعراء يقول ابن خميس: (إن أبا الطيب المتنبي حينما أطلق حكمته السائرة، كأنما أراد الملك عبد العزيز بعينه، وكأنما كان عبد العزيز يحمل فلسفة أبي الطيب ويصرّ على تطبيقها أنه يقول:

على قدر أهل العزم تأتي العزائم   وتأتي على قدر الكرام المكارم
وتعظم في عين الصغير صغارها   وتصغر في عين العظيم العظائم

ويرى ابن خميس في مقالته أن تاريخ الملك عبد العزيز معروف، وأن مقالته العابرة لن تلم بذلك التاريخ العريق الواسع، ولكنه يشير في مقالته إلى جانب من جوانب تاريخ الملك عبد العزيز، وهو جانب الأزمات التي واجهت الملك عبد العزيز في مسيرته البنائية التاريخية، ثم يعرض ابن خميس لفتح الرياض، والذي اعتبره ابن خميس تجسيداً للأزمة، وبطولة المواجهة في مقدمة ما لقيه البطل عبد العزيز على نحو لم يسبق له نظير في تاريخ العظماء.

ومن ثم يعرض للانتصارات التي أحرزها الملك عبد العزيز بعد فتح الرياض، ولقد جاءت متلاحقة، ولم تهزم لــه راية ولم يبرد لــه حد، ولم يعد عبد العزيز ذلك الغلام الحدث، الذي جاء في مغامرة عجيبة لاستعادة الرياض.

مواقف في غاية التأزم والحرج، تقتضي أعصاباً فولاذية، وعزيمة مستحضرة وإرادة فاعلة، فكان عبد العزيز لها بجنانه الثابت، وعزيمته الماضية، ورأيه الثاقب، هادن جيرانه برسائل لطيفة؛ تسيل رقة وسلاسة لتخفف من السخيمة، وتبعد شبح التحامل، وانفجار الحقد، متمثلاً قول أبي الطيب:

ووضع الندى في موضع السيف بالعلا مضر كوضع السيف في موضع الندى

وهكذا ترى في مقالة ابن خميس تتبعاً دقيقاً لتلك الشخصية التاريخية البارزة، شخصية الملك عبد العزيز، مبدياً رأيه فيها معتزاً ومفتخراً ببلاده، وحكامها وهو الأديب الحاذق يوظف محفوظه الشعري، ومخزونه التراثي؛ في إبراز مناقب تلك الشخصية.

سابعاً: مضامين المقالة العلمية:

وهي نوع من المقالة الموضوعية من حيث التزامها بالتقسيم المتبع في الكتابة المقالية عن أي موضوع علمي؛ لتكون قضاياه متواصلة، بحيث تكون كل قضية نتيجة لما قبلها، مقدمة لما بعدها، حتى تنتهي جميعاً إلى الغاية المقصودة.

ويجب أن تكون النتيجة التي يتوصل إليها كاتب المقالة العلمية مقنعة، وصريحة وواضحة[١].

ولقد كان لعبد الله بن خميس طروحات مقالية علمية عن الطبيعة، وما تحويه من خيرات يجب استغلالها، والاهتمام بها، ولقد عد الدارسون لفن المقالة موضوعات الطبيعة من مضامين المقالة العلمية[٢].

---

(١) فن المقالة. محمد يوسف نجم، ص١٣١.

(٢) البلاغة والتحليل الأدبي. أحمد أبو حاقة ــ ط١ ــ بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٨٨م، ص٢٩٩.

وليس من طبيعة المقالة العلمية أن تتحلى بالزخرف والتنميق، ولذا كانت أبعد أنواع المقالة عن روح الأدب، وأبعدها عن آفاق الفن، ونزعات الجمال[١].

وليس من صلة بين المقالة العلمية والأدب إلا بمقدار ما يطبع الكاتب الأديب ما ينثره من إمتاعه الذوقي؛ وتمثل المقالة العلمية ما لا تزيد نسبته على ٥٪ من إنتاج الشيخ المقالي، وهي نسبة قليلة مقارنة بما كتبه من مقالات أدبية واجتماعية وتاريخية وغيرها، و ابن خميس ممن لجأ من الأدباء إلى استخدام الأسلوب الأدبي في موضوع علمي، والهدف من ذلك تهيئة العقل لتقبل الحقيقة العلمية، بالإضافة إلى خلق جمهور مثقف، يثق بالعلم وبحقائقه[٢].

وقد كتب الشيخ عبد الله ابن خميس مقالات علمية تختص بالطبيعيات، والمشاهدات العلمية المألوفة، ومن ذلك أنه كتب عن الغابات حول المدن وفوائدها[٣]. واقترح ابن خميس في مقالة علمية أخرى إنشاء بحيرة مائية في مدينة الرياض[٤]. وأسهم برؤية علمية هندسية حول إنشاء الطرق عندما تحدث عن طريق الموت[٥]. وكان لأديبنا الشيخ عبد الله ابن خميس ولع بالزراعة كما أسلفنا في التمهيد لهذا البحث، ولديه إلمام بالزراعة والثقافة الزراعية فانعكس ذلك في بعض مقالاته مثل: [المناطق الزراعية في المملكة العربية السعودية][٦]. ومقالة [كيف ننهض بزراعتنا][٧]. ومقالة [ماذا نريد من

---

(١) المقالة في الأدب السعودي الحديث، ص٢١٩.

(٢) الأدب العربي. فواز الشعار، ص١٧٥.

(٣) انظر: [مقالة الغابات حول المدن]، من جهاد قلم، فواتح الجزيرة، ص١٩٦.

(٤) انظر: مقال [فكرة لها فوائد ومزايا]، المرجع السابق، ص٢٠٢.

(٥) انظر: مقالة [طريق الموت]، المرجع السابق، ص٢٠٧.

(٦) انظر: مقالة [المناطق الزراعية في المملكة العربية السعودية] بقلم عبد الله بن خميس، مجلة الدارة، العدد٣ ، السنة الخامسة، ربيع الآخر ١٤٠٠هـ، ص١٧.

(٧) انظر: مقالة [كيف ننهض بزراعتنا] من جهاد قلم، فواتح الجزيرة. عبد الله ابن خميس، ص١٨٢.

لجنة التنمية الاقتصادية][١]. وخصص ابن خميس بعض مظاهر الثروة الزراعية بمقالات علمية منها [الشجرة مصدر جمال وقوة][٢]. ومقالة [النخلة شجرة الجزيرة][٣]. وكان لابن خميس ثقافة فلكية؛ يعرف بها الأنواء ومواسم المطر وأنواع النجوم وأماكن ظهورها، وقد كتب مقالة علمية بعنوان [ملاحظات على موضوع الفلك عند العرب في العصر الجاهلي][٤].

ولعلم الجغرافيا حظ من آراء ابن خميس، فقد كتب عن [الأطلس الجغرافي للمملكة العربية السعودية][٥].

ومقالة أخرى بعنوان [نظرات في الأطلس التاريخي للمملكة العربية السعودية][٦]. ومقالة [ليس كهفاً وإنما هي عين حجر الخضراء][٧].

ونطرح بعض مقالات الأديب ابن خميس العلمية للتحليل والدراسة؛ لنستطلع منهجيته في طرق مثل تلك الموضوعات، ففي مقالته [فكرة لها فوائد ومزايا][٨]. يسلك ابن خميس أسلوب المشابهة والمماثلة للاستدلال على جودة فكرته، وتأكيد طرحه لموضوعه، وهي ما يراه من إنشاء بحيرة ماء قرب الرياض، فيمثل بأن إحدى الولايات الأمريكية يضخ لها الماء من مسافة ألفي ميل، وأن ولاية أريزونا الأمريكية اتخذت بحيرة صناعية؛ يضخ لها ماء البحر من مسافة طويلة، وجُعِلَتْ هذه البحيرة منطقة سياحية، أُقيمتْ على جوانبها الفنادق، والمتنزهات، وظلت

---

(١) انظر: مقالة [كيف ننهض بزراعتنا] من جهاد قلم، فواتح الجزيرة. عبد الله ابن خميس، ص١٧٣.
(٢) المرجع السابق، ص١٩٠.
(٣) المرجع السابق، ص١٩٤.
(٤) المجلة العربية، السنة العاشرة، العدد ١٠٧، السنة العاشرة، ذو الحجة ١٤٠٦هـ، ص٨٥.
(٥) من جهاد قلم في النقد. عبد الله ابن خميس، ص٣٢١.
(٦) مجلة الدارة، ، العدد ٢، السنة الخامسة، المحرم ١٤٠٠هـ، ص١٧٥.
(٧) من جهاد قلم في النقد. عبد الله ابن خميس، ص٣٢٥.
(٨) من جهاد قلم، فواتح الجزيرة، ص٢٠٢.

الزوارق تذرعها طولا وعرضاً، واتُخذ من شواطئها مستراداً ومستجما لأهل البلاد، وللسياح معاً.

بعدما أورد ابن خميس في مقدمة مقاله الأفكار المماثلة لفكرته التي يقترحها، ويرغب في تنفيذها وسلك في مقدمته أسلوب التعبير الحي، نراه يصور لنا تلك البحيرات وما قام حولها من سياحة، وحركة وزوارق تروح وتغدو تصويراً أخاذاً، يجعلنا نتخيل ذلك المنظر الجميل.. يبدأ ابن خميس في طرح فكرته، وهدفه من المقالة فيقول: (قلتُ: وقد أصبح من المؤكد أن مياه الرياض سوف تعزز بمياه البحر المقطرة، ربما من ميناء العقير بالمنطقة الشرقية مما يلي الأحساء، وعلى مسافة حوالي ثلاثمائة كيلٍ، أو ميناء الجبيل و على مسافة قد تزيد على خمسمائة كيلٍ، حيث المنشآت الجديدة، وحيث التركيز على هذه المنطقة، أفلا يكون من الأصلح والأنجح أن تضخ المياه غير المقطرة إلى الرياض، وتصب في منطقة سوف أعينها وأصفها بعدئذ، فيتكون من هذه المياه بحيرة مالحة تقام عليها محطة التقطير).

هذه هي الفكرة العلمية التي تتحدث عن بحيرة الماء وتقطيره وتحليته ومده عبر الأنابيب إلى الرياض، وتجميعه في بحيرة.

وابن خميس وهو ذلك البليغ البارع، لابد أن يورد مبررات لفكرته ليثبتها في أذهان قارئيه، وحتى تجد الصدى المطلوب منها.

ولكننا نعجب كل العجب، مما لدى أديبنا عبد الله ابن خميس من ثقافة علمية عميقة، وكأنه ذلك العالم المتمرس البحّاثة الذي يرتاد المعامل الفيزيائية والكيميائية، ويخرج بنتائج أكيدة لأبحاثه.

يتحدث ابن خميس عن فوائد تلك البحيرة لو أقيمت في الرياض فيقول: (ينتج من هذه البحيرة التي تقام عليها محطة التحلية طاقة كهربائية ضخمة، تغطي حاجة الرياض من الكهرباء، أو أكثر من حاجتها).

ومن الفوائد الكثيرة التي أوردها ابن خميس يقول: (المنطقة التي سوف تقوم على ظهرها هذه البحيرة منطقة رسوبية؛ في إمكانها أن تسمح لكميات من المياه وعلى مر الزمن بإمداد المياه الجوفية برافد جديد؛ ينفذ من مسام الأرض، فتنقيه وتعزل ملوحته، كما هو مشاهد ومعروف على سواحل البحار، وهذه البحيرة تعطي للمنطقة تلطيفاً يهبُ من قبلها على مدينة الرياض، وما بها من حرارة، تعززها المحركات الهادرة، وانعكاسات الشمس على شوارعها، ومنشآتها، وضغطها السكاني، تهبُّ من قِبَلها نسائم ملطفة مرطبة؛ ذات أثر كبير في التخفيف من حرارة جوها في الصيف، وتكون منطلقاً من منطلقات النزهة، يفد إليها المواطنون، ومن يلم بالبلاد سائحاً أو ساكناً أو غيرهما، تزود بالمقاهي والفنادق، ووسائل الراحة والنزهة).

وبعدما عدد ابن خميس الفوائد العلمية لهذه البحيرة، من توليد الكهرباء، وإثراء المياه الجوفية في مدينة الرياض، وتلطيف حرارة الجو، وإمتاع المواطنين والسياح.. لا يفوته وهو الأديب الموسوعي البارع الذي لابد أن يطرح أفكاره كاملة دونما نقصان، حتى تؤتي أكلها؛ فنراه يحدد موقع تلك البحيرة المقترحة في شمال الرياض، في منخفض الثمامة الغربي، يحده جنوباً جشة البقار، ويمتد الحد الجنوبي إلى روضة الرضيمة مدفع سيل بويب، والبويبيات حتى جبل أبي رخيم ... الخ. ويسترسل ابن خميس في وصف منظر تلك البحيرة المقترحة في الرياض فيقول: (وسوف يكون منظر هذه البحيرة خلاباً مغرياً، بين كثيب أشقر أخّاذ على امتدادها الغربي كله، وبين جبل فارع ذي رعان وصخور، وردائف ومناظر طبيعية مغرية جداً، والمشرف على هذه البحيرة فوق الكثيب السامق غربها، أو الجبل الأشم شرقها، سوف يرى منظراً من أبدع وأمتع المناظر الشاعرية الأخاذة).

ويختم ابن خميس موضوعه بعنصر تشويقي آخر لفكرته، فيتحدث عن انحدار الماء من مسافات عالية إلى البحيرة المقترحة على شكل شلالات بديعة المنظر، يندر أن يوجد مثلها في العالم، ولابد للشعر أن يأخذ حظه عند عبد الله ابن خميس فيتمثل مدللاً على فكرته التي ربما أخذت طريقها للتنفيذ أو العكس، وأنه لابد من الصبر حتى يتخذ المسؤولون فيها قرارهم، يتمثل ابن خميس بقول الشاعر:

أخلق بذي الصبر أن يحظى بحاجته ومدمنِ القرعِ للأبوابِ أن يَلِجا(١)

وننتقل إلى عرض علمي آخر تحدث عنه ابن خميس في مقالته [ملاحظات على موضوع الفلك عند العرب في العصر الجاهلي](٢). يتحدث ابن خميس عن الدوافع التي جعلته ينشئ مقالته، وهي أنه قرأ مقالاً بعنوان: "الفلك عند العرب" في المجلة العربية وأنه وجده قاصراً ومشوشاً، فأراد أن يعقب عليه بمقالته العلمية التي تزخر بالمعلومات العلمية، الفلكية وكأنه راصد وفلكي بارع، متتبع للأبراج وخصائصها فيقول: [لقد قسم العرب السنة إلى اثني عشر برجاً هي: الحمل، الثور، الجوزاء، السرطان، الأسد، السنبلة، الميزان، العقرب، القوس، الجدي، الدلو، الحوت. لكل فصل من الفصول الأربعة من السنة ثلاثة بروج، ففصل الربيع له الحمل والثور والجوزاء، وفصل الصيف له السرطان والأسد والسنبلة، وفصل الخريف له الميزان والعقرب والقوس، وفصل الشتاء له الجدي والدلو والحوت.

هكذا يجمل ابن خميس الحديث عن الفصول الأربعة، وما يتبعها من بروج في بيان مركز وواضح، ينتقل بعده إلى التفصيلات العلمية الفلكية؛ لما أجمله في مقدمة مقاله، فيوضح أن الحساب بالبروج كالحساب بالأشهر الرومية، فإن الشمس على حركتها السنوية تحل في كل برج من بروجها، وهذه البروج فيها ما هو ثلاثون يوماً، ومنها ما هو واحد وثلاثون يوماً، ومنها ما هو تسعة وعشرون يوماً].

---

(١) البيت للشاعر محمد بن بشير الخارجي، أورده ابن خميس في الشوارد، ج١، ص١٣٠.
(٢) المجلة العربية، السنة العاشرة، ع ١٠٧، ذو الحجة ١٤٠٦هـ، ص٨٥.

يبين ابن خميس في مقالته ما تعارف عليه العرب لحساب عدة كل شهر فيقول: [إنها محصورة في جملة (فزت ينفع لك كله) فما كان معجماً فهو واحد وثلاثون يوماً، وما كان مهملاً فهو ثلاثون يوماً، والكافات تسع وعشرون يوماً، وأن العرب القدماء، اصطلحوا على أن يسموا بعض تلك البروج منقلبة، وبعضها ثابتة، وبعضها ذوات الجنسين، ثم يفصل ابن خميس في ذلك فيذكر أن البروج فيها ما هو يماني، ومنها ما هو شامي، وأن لكل من هذه البروج سبعة أنجم، ويأبى أديبنا عبد الله ابن خميس إلا أن يستشهد بالشعر، في تثبيت أفكار موضوعه، فيورد بيتين من الشعر جمع فيهما البروج الاثني عشر:

حمل الثورُ جَوْزَةَ السرطانِ ورعى الليثُ سنبلَ الميزانِ
وَرَمتْ عقربٌ بِقوسٍ لجدي فملى الدلو بركْة الحيتانِ[١]

ويختم ابن خميس مقالته بالحديث عن جانب آخر من الجوانب الفلكية، وهو الرياح فيقول: (أما الرياح فهي ثمان: أربع منها أصلية، وأربع فرعية؛ فريح الشمال والجنوب والشرق والغرب رياح أصلية، وما بين الجنوب والغرب فرعية وتسمى "النعاما"، وما بين الغرب والشمال فرعية وتسمى "الدبور" وما بين الشمال والشرق فرعية وتسمى "نسريّة"، وما بين الشرقية والجنوبية فرعية وتسمى "الصبا").

وفي بعض تلك الرياح يورد ابن خميس قول الشاعر :

كأن المدام وصوب الغمام وريحَ الخزامى وذوبَ العسلْ
يعلّ به برد أنيابها إذا النجمُ وسطَ السماءِ استقل[٢]

---

(١) لم أتبين القائل بعد البحث والاستقصاء.

(٢) الأبيات للشاعر امرئ القيس: شاعر جاهلي ذكره ابن خميس في الشوارد، ج٢، ص٤٦٢.

ولعلّ الفلكيين والباحثين في الأنواء والنجوم، يجدون في أديبنا ابن خميس معينا لهم لما لديه من علم في مجال الفلك، وثقافة واسعة في ذلك المجال، برزت لنا من خلال مقالته العلمية السابقة.

وكما أسلفنا فإن للشيخ عبد الله ابن خميس ولعاً بالزراعة، ولديه ثقافة زراعية واسعة، مكنته من كتابة المقالة العلمية عن ذلك النوع من النشاط، والمناطق الصالحة للزراعة في بلادنا؛ ففي مقالته [المناطق الزراعية في المملكة العربية السعودية][١]. يبدأ ابن خميس موضوعه بتوضيح لطبيعة الجزيرة العربية وميلها وانحدارها من الغرب إلى الشرق، فيما عدا منحدرات جبال السروات الغربية، وأن مجاري سيولها تشكل أودية كبيرة، تتجمع فيها هذه السيول حتى تصب في البحر الأحمر.

ثم يدخل الشيخ في موضوعه لبيان أهم المناطق الزراعية في المملكة العربية السعودية فيقول: (تشكل المنطقة المستطيلة من الشمال إلى الجنوب أي من الحدود الأردنية إلى الحدود اليمنية الشقيقة، من رقعة المملكة العربية السعودية، ويزيد طول تلك المنطقة عن ألف ميل، وهي من أخصب المناطق الزراعية، وأوسعها رقعة، وأكثرها ماء وأصلحها زراعة).

ويواصل ابن خميس حديثه عن المناطق الزراعية، حديث العالم الجيولوجي البارع، فمما ذكره عما تحت منطقة الدهناء شرقاً إلى الخليج العربي، أي ما يشمل (الصمان) و(الصلب) و(الحتائف) و(الفوار) ، و(الجوف) ، جوف الخط وجل أرض المنطقة الشرقية، فتختلف طبيعة أرضها عما فوقها، فما بها من مرتفعات ومنخفضات كلها تتلقف ما يسيل حولها من سيول ولا تقوم فيها أودية ذات بال، مهما كثر الغيث، وسخت السماء بمائها ــ بإذن الله ــ فهو يبقى مخزوناً على سطحها، فترة ثم يتلقفه جوفها أبد الدهر.

---

(١) مجلة الدارة، العدد الثالث، السنة الخامسة، ربيع الآخر ١٤٠٠هـ، ص١٧.

ويذكر ابن خميس أن الدراسات الحديثة أثبتت أن المنطقة الشرقية تضم مخزوناً من المياه الجوفية عظيمة، ولذا فأديبنا للأسباب التي أوردها، يرشح تلك المنطقة لمستقبل زراعي كبير.

ويواصل ابن خميس التفصيل لكل المناطق الزراعية في بلادنا، وقد بلغت في مقالته أكثر من تسع مناطق، أخذت حيزاً لا بأس به من صفحات مجلة الدارة، وهو حديث العالم الجغرافي الفلكي، الذي يورد حقائق توصل إليها العلماء بعده نتيجة دراسات، وبحوث ونتائج مؤكدة.

ويختم ابن خميس مقالته بقوله: (هذه هي مناطق المملكة الزراعية أعطينا عنها إلمامات موجزة، وهي تحتاج إلى دراسة جغرافية طبيعية شاملة مستوعبة، تطلعنا على حقيقة بلادنا، وتوقف وزارة الزراعة على هذه الحقيقة التي لا تزال مجهولة، أو مجهول أكثرها بالنسبة لها، وكذلك تحتاج إلى دراسة فنية عميقة بالنسبة للتربة، والمناخ والمياه، ونوع الزروع التي تصلح في كل منطقة، وبالنسبة للطرق الزراعية، وصلتها بمناطق التصريف والتسويق).

وما طرحه ابن خميس من أمور يرى بحثها من قبل وزارة الزراعة، يدل على نظرة علمية فاحصة لذلك المورد الحيوي وهو الزراعة، ولم يعمد ابن خميس للاستشهاد والأدلة؛ لأن الموضوع في نظره مرسل، واضح استقى معلوماته من مخزونه الثقافي عن طبيعة بلادنا، وعلمه بجغرافيتها ومياهها.

ثامناً: مضامين مقالة السيرة:

السيرة مأخوذة من الأصل سار أي مشى، وسلك أو ذهب في الأرض، وهي السنة والطريقة والهيئة[١]. والسيرة في الاصطلاح الحديث تدل على: "تاريخ الحياة للأفراد"[٢].

وقد ورد لفظ السيرة بالمعنى المعروف في القرآن الكريم في قوله تعالى **﴿قَالَ خُذْهَا وَلاَ تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الأُولَى﴾** "سورة طه -الآية ٢١-".

---

(١) القاموس المحيط. مجد الدين الفيروزبادي؛ تحقيق محمد نعيم العرقسوسي.ـ ط٦.ـ بيروت: مؤسسة الرسالة، بيروت: ١٤١٩/١٩٩٨م، ص٥٢٨.

(٢) دراسات في كتب التراجم والسيرة. هاني العمر.ـ ط١.ـ عمان، ١٩٨١م، ص٧٣.

ومقالة السيرة في ضوء التعريفات السابقة؛ تتناول جانباً من جوانب حياة الأشخاص البارزين لجلاء شخصيته، والكشف عن جوانب العظمة فيها، سواء كان هذا الشخص حياً أو ميتاً يوضح فيها الكاتب مدى التأثر والتأثير عنده عن ذلك الشخص، وعادة ما تُشرق في ذلك النوع من المقالة جوانب التفوق لذلك الشخص، ورأي النقاد فيه وصورته في عصره، حتى تبدو الشخصية الموصوفة كأنها تحدثنا(١).

ولابد من وجود علاقة مباشرة ما، تجمع المقال بشخصية بطل المقالة، وهي أقل من السيرة وكالأقصوصة بالنسبة للقصة، حيث تكتفي بتصوير جانب واحد، أو جوانب قليلة في موقف من مواقف المتُحدَّث عنه، ويدخل في إطار هذا النوع المقالات الدينية، التي تعرض شخصيات الصحابة والتابعين(٢).

وقد كان للشيخ ابن خميس إسهامات مقالية في مجال السيرة، تحدث في هذا النوع عن عدد من الشخصيات العربية المؤثرة، في المسار الفكري العربي والوطني والإنساني، والأدبي والسياسي، وتحدث عن بعض الشخصيات التي عاشها وخالطها، وكثيراً ما كتب عن بعض الشخصيات بعد وفاتها، مما يدخل في باب التأبين والرثاء.

كتب مقالة عن صاحب السمو الملكي الأمير سلمان بن عبد العزيز أمير منطقة الرياض بعنوان [الرجل الشهم سلمان بن عبد العزيز](٣). وتحدث عن أحد كرماء العرب وسيرته في الجود وهو عبد الله بن جعفر بن أبي طالب(٤)، في مقالة بعنوان [سخاء العرب](٥). ومن الشخصيات النسائية التي كتب عنها ابن

---

(١) التحرير الأدبي. حسين علي محمد.ـ ط١.ـ الرياض: مكتبة العبيكان، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م ، ص١٩٦.

(٢) فن المقالة الأدبية والموضوعية والصحفية. محمود شريف، ص١٣٠.

(٣) المجلة العربية، العدد ٢٦٣، ذو الحجة ١٤١٩هـ، ص٣٧.

(٤) عبد الله بن جعفر بن أبي طالب (عبدمناف) السيد العالم الحبشي المولد الجواد بن الجواد ذي الجناحين. أمه أسماء بنت عميس. توفي سنة ٨٤هـ. انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي، ٣/٤٥٦.

(٥) مجلة الحرس الوطني، ع ٤٩، ربيع الأول ١٤٠٧هـ، ص١١٣.

خميس [الأميرة غالية أو غالية الوهابية][١]. و[ليلى الألمانية][٢]. ومما كتبه ابن خميس عن بعض رموز الجزيرة العربية مقالة بعنوان: [ابن عثيمين نابغة الجزيرة][٣]. ومقالة أخرى بعنوان [شيخ من اليمامة][٤].

ولابن خميس مقالات تُعدُّ من السيرة للتأبين والرثاء لبعض الشخصيات ومنها:

- في تأبين المرحوم محمد متولي الشعراوي مقالة بعنوان [نجم أفل][٥].
- وتأبين معالي الشيخ حسن بن عبد الله آل الشيخ[٦]. وزير التعليم العالي والأديب المعروف في مقالة بعنوان [الموعد الجنائز][٧].
- وتأبين الكاتب والأديب الأستاذ أمين عبد الله مدني[٨]. في مقالة بعنوان [أمين مدني في الخالدين][٩].

---

(١) مجلة الحرس الوطني، العدد الثالث، السنة الأولى المحرم ١٤٠١هـ، ص١٦.

(٢) من جهاد قلم، فواتح الجزيرة. عبد الله ابن خميس، ص٤١٤.

(٣) المرجع السابق، ص٥٥.

(٤) المرجع السابق، ص٢٤٩.

(٥) من محفوظات الأديب مقالة مطبوعة تحت عنوان: نجم أفل بتاريخ ١٤١٩/٢/٢٤هـ.

(٦) حسن بن عبد الله آل الشيخ. ولد بالمدينة المنورة عام ١٣٥٢هـ تلقى دراسته الابتدائية بمكة المكرمة ثم التحق بكلية الشريعة وتخرج منها عام ١٣٧٣هـ. عمل نائباً لرئيس مجلس القضاء الأعلى، ورأس الندوة العالمية للشباب الإسلامي ١٣٩٤هـ، وتولى وزارة المعارف، ومن ثم عمل وزيراً للتعليم العالي منذ عام ١٣٩٥هـ إلى عام ١٤٠٧هـ، له من المؤلفات (دورنا في الكفاح)، و(خواطر جريئة). توفي في ١٤٠٧/٥/١٧هـ. انظر: علماء نجد خلال ثمانية قرون، عبدالله بن عبد الرحمن البسام، ٢/٤٠-٤١.

(٧) المجلة العربية، العدد ١١٣، السنة ١١ جمادى الثاني ١٤٠٧هـ، ص١٥.

(٨) أمين عبد الله مدني. ولد في المدينة المنورة عام ١٣٢٩هـ. أديب ومؤرخ وشاعر وصحفي وكاتب قصة له من المؤلفات (نهاية عبقري)، وكتاب (الثقافة الإسلامية وحواضرها) وكتاب (التاريخ العربي ومصادره). توفي في شعبان عام ١٤٠٤هـ رحمه الله، انظر: أدباء سعوديون. ترجمات شاملة. مصطفى حسين، ص٩٣.

(٩) جريدة عكاظ، العدد ٦٥٥٤، الخميس ١٦ شعبان ١٤٠٤هـ، ص٤.

- وفي تأبين الأديب الأستاذ عبد القدوس الأنصاري[١]. الأديب السعودي ومؤسس مجلة المنهل كتب ابن خميس مقالاً بعنوان [المرحوم عبد القدوس الأنصاري كما عرفته][٢].

وكان لابن خميس مشاركة مقالية في تأبين ورثاء الكاتب العربي المعروف أحمد حسن الزيات[٣]. صاحب مجلة الرسالة في مقالة بعنوان: [مات الزيات][٤].

وسأعرض لبعض تلك المقالات بالتحليل لنتبين النهج الذي سلكه الشيخ الأديب عبد الله ابن خميس في كتابة مقالة السيرة.

ونبدأ بما كتبه في مقالة [ليلى الألمانية][٥] يبدأ ابن خميس مقالته واصفاً المكان الذي تقيم به ليلى الألمانية، قبل أن يبين لنا من هي هذه الليلى، ولعلّ وصف المكان وصفاً من قبل علامة الأماكن والمواقع في الجزيرة فيه إبراز لعظمة الشخصية التي تعيش فيه، يقول ابن خميس (بين هضاب جيلة من أواسط نجد، وفي حوض وادي الرشا هنالك حيث البادية، كما خلق الله البادية، وعلى ما فطرها من طباع، وجبلها من أخلاق، هناك حيث الضبان واليرابيع، وحيث الحر في الصيف، والقر في الشتاء، تقيم "ليلى" المستعربة، أو "سنفا" الألمانية.

ويسترسل ابن خميس واصفاً تلك الفتاة وصفاً جميلاً، نلحظ فيه لمسة شاعر يعشق الجمال، ويلحظه).

ومن خلال عرض المقالة يخبرنا ابن خميس أنه تحدث إلى تلك الفتاة تلميحاً لا تصريحاً فحديثها عربي فيه لكنة البادية، فأكسبت عربيتها جمالاً، وألفاظها جاذبية. وينقلنا ابن خميس إلى جانب آخر في سيرة ليلى الألمانية، وهو كيفية

(١) سبق التعريف بالكاتب عبد القدوس الأنصاري.
(٢) مجلة المنهل، العدد ٤٣٠، السنة ٥١ المجلد ٤٦، المحرم وصفر ١٤٠٥هـ، ص٢٠١.
(٣) سبق التعريف بالكاتب أحمد حسن الزيات.
(٤) من جهاد قلم، فواتح الجزيرة. عبد الله ابن خميس، ص٣٥٤.
(٥) المرجع السابق، ص٤١٤.

معيشتها وحياتها في أوساط البادية، فيتحدث أولاً عن تعاملها مع الأعراب، وأنها تتمتع بحسن التصرف، وكانت تقابل صلافة وعجرفة الأعراب باللباقة وجميل المعاملة يقول: (مضى لها شهور وشهور بين الهضاب والأودية والسهول والجبال، تواجه الركبان، فتستظهر أخبارهم، وتستكنه كنههم، ويقابلها الأعرابي في صلف وعجرفة، سائلاً أو فضولياً فتصرفه في لباقة، وحسن تصرف).

ويذكر ابن خميس "أنها كانت تعيش عيش الأعراب، وتشاركهم في أكل الضبان واليرابيع".

وبعد هذه المقدمة الطويلة التي وصف بها ابن خميس مكان وهيئة معيشة هذه الفتاة الألمانية في البادية، يبدأ في طرق موضوعه، والإجابة على تساؤلنا من هي هذه الفتاة، ولماذا جاءت إلى بادية نجد؟! فيذكر أنها باحثة جيولوجية، أنهت دراستها العليا في جامعة (سلدورن) بألمانيا وأرادت أن تطبق دراستها عملياً في أواسط نجد بالذات، والغرض من الدراسة هو البحث عن المياه العذبة، وأنها ظلت تنقب وتدرس وتبحث وتحفر وتأخذ من كل طبقة من الأرض عينة، ومن كل جبل نموذجاً.

ويخبرنا ابن خميس أنه زار بنفسه تلك المنطقة، وشاهد الفتاة وأعمالها البحثية، ومن ذلك بأنها حفرت بئراً بلغ عمقها عشرة أمتار، ويذكر ابن خميس أنه تذوق ذلك الماء، فوجده ماء زلالاً، وهذه الفتاة تعمل مع مجموعة من العمال، تختارهم من أهل البادية.

ولا يلبث الشيخ الأديب ابن خميس؛ إلا أن يبين هدفه ومغزاه، في عرض جانب من سيرة تلك الباحثة الألمانية، التي جاءت إلى بادية نجد لتطبيق دراستها، واستخلاص نتائج تلك الدراسة يقول: (وما أخالني أطنب في الحديث عن ليلى؛ لأن الحديث عنها كان جديداً، أو لأنني أريد من هذا القلم، أن يتغزل بمحاسن ليلى، فذلك ما لم أقصده، ولكني أرى ابن الجزيرة العربية، وربيب الصحراء، وابن رعاتها وحُفَاتها، ومن أقلته أرضها، وأظلته سماؤها، من تطلب

منه الجزيرة ما تطلبه الأم من ولدها، وتعده للملمات، وتريد منه ما أرادته بلاد من بنيها، فبروا وأبروا، والحقوها بركب الأمم بسواعدهم المفتولة، ونفوسهم الكبيرة، وصبرهم وجلدهم وتضحياتهم، أرى ابن الجزيرة إذا دفعت به الجامعة أو المدرسة إلى ميدان الحياة، أراد من هذا الميدان أن يكون هيناً ليناً، وأن يكون في بلاد تتوفر بها الكهرباء والمستشفيات، وسائر وسائل أسباب الراحة، وأن يكون المكتب مؤثثاً تأثيثاً فخماً، والمرتبة محترمة، وإذا سألته عن الأوضاع نقدها بكل حرارة ومرارة وهل الأوضاع إلا من صنعه هو وأمثاله، أما العمل في الأعمال الشاقة، فنتركها لليلى وأبناء العم سام في الربع الخالي وغيره).

إذن هي المقارنة والموازنة بين تلك الفتاة التي أطلعنا ابن خميس على جانب من سيرتها، وبين خريجي جامعاتنا من الشباب الذين ينشدون الراحة والدعة في ميادين أعمالهم، وأنه لابد من توفر جميع وسائل الترفيه، والاستقرار بها، أما العمل في الصحارى والبوادي، فيقابل بالرفض والاستياء.

ونعرض مقالة أخرى ضمنها ابن خميس جانباً من جوانب سيرة شاعر الجزيرة محمد بن عبد الله بن عثيمين(١) في مقالة بعنوان [ابن عثيمين نابغة الجزيرة](٢).

فيبدأ ابن خميس مقالته بوصف خُلُقي وخَلْقي للشاعر ابن عثيمين رحمه الله يقول: (تصوره في سمرته العربية، وأنفه الأشم، ووجهه المستدير، ولحيته المرسلة، ربعة سمح الملامح، هادئ الطبع، قليل الكلام، متسق النبرات يرتدي عباءة بيضاء؛ خالية من القصب تحتها ثوب مطلق الأردان .. الخ) واسترسل ابن خميس في ذكر أوصاف ابن عثيمين ومن ثم يدخلنا ابن خميس معه في موضوعه وهدفه وهو الحديث عن شاعرية ابن عثيمين فيقول: (كان حظ ابن عثيمين من الشعر وفيراً، يتمثل في لغة صافية سليمة، وأسلوب متأنق، وقدرة على مخاطبة

---

(١) سبق التعريف بالشاعر، ص٩٦.

(٢) من جهاد قلم في النقد، ص٥٥.

الأحاسيس، وتحريك العواطف، وتمكن من دالة الشعر على القلوب)، ثم يدلل ابن خميس على شاعرية ابن عثيمين، وأنه تتلمذ على فحول الشعراء وترسم خطاهم، يقول ابن خميس: (فإنك لتجد في شعره نَفَس أبي تمام، ونكهة البحتري، وملامح المتنبي، بل إنه أحياناً ليطرق أبوابهم، ويقتبس منهم، ويضمن لهم، وتلك خطة ترسمها مَنْ قبله، ومَنْ بعده، وما العيب أن يقلِّد الشاعر في أسلوبه ومنحاه، ولكن العيب أن يسطو على أفكار الغير).

ثم يبين ابن خميس الأغراض الشعرية التي خاضها ابن عثيمين فيقول: (ولقد طرق شاعرنا من أغراض الشعر أكثرها؛ فقال في المديح وفي الرثاء وفي الغزل والوصف والتهاني والفخر، والحكمة والعظة، وفي كلها له تجليات وإبداع وروعة، تدلنا على أنه أحياناً يتعمل في شعره، فيتأنق في ديباجته، ويسمو في معناه، ويبدع في تصويره).

نلاحظ أن الشيخ ابن خميس قد أطلق أحكاماً كثيرة على شعر ابن عثيمين، وهي تصدر عن أديب حاذق بفن الشعر ومداخله وإبداعاته، فلا ريب أنها تعكس ما وصلت إليه شاعرية ابن عثيمين من قوة، وحسن تصوير.

ولا ننسى ابن خميس، وهو ولع بالشعر حينما يطرق موضوعاً عن سيرة شاعر نابه، أن يورد من أبياته ما يدلل به على ما طرحه من أفكار، فمن ذلك ما مدح به آل سعود حيث طاف ابن عثيمين في شرق البلاد وغربها وشمالها وجنوبها فلم يجد مثلهم فهم جحاجحة غرٌّ سموا مجداً تقاصر دونه زُحل، يقول ابن عثيمين:

طفتُ المعالم من شام إلى يمنٍ ... ومن حجاز ولبتني خراسان
فما لقيتُ ولن ألقى ولو بلغتْ ... بي منتهى السد همات ووجدان
مثل الجحاجحة الغر الذين سموا ... مجداً تقاصر عن علياه كيوان[1]
عبد العزيز الذي نالت به شرفاً ... بنو نزار وعزت منه قحطان

---

(١) كيوان: كوكب زحل، انظر: الموسوعة العلمية الفلكية. عبد الوهاب سليمان الشراد ـ الكويت، ١٩٨٩م، ص٣٦٠.

ويختم ابن خميس مقالته عن ابن عثيمين الشاعر بالتعريف بديوانه الشعري، وأنه ذخيرة من الذخائر الثمينة، وقلادة شرف تطوق قلب جزيرة العرب.

وكما أسلفنا أن التأبين والرثاء لبعض الشخصيات البارزة يعد من مقالات السيرة، فإن لابن خميس مشاركات مقالية في تأبين بعض الشخصيات الفكرية في المجتمع ومن ذلك ما دونه في مقالته في رثاء الكاتب أحمد حسن الزيات، والتي بعنوان [مات الزيات](١).

يفتتح ابن خميس مقالته عن سيرة الزيات، والتي أنشأها لرثائه بعد موته فيقول: (بالأمس القريب هوى ركن من أركان الأدب، وهوت دعامة من دعاماته، وأصيب في سويداء قلبه، بالأمس حملت لنا الأنباء موت الأستاذ الكبير بحق أحمد حسن الزيات...).

وبعد تلك المقدمة عن الرزء والفقد الذي أصاب الأدب والأدباء، وما أصاب بنيان الأدب من انهيار، وانقضاض بسبب موت الكاتب، والأستاذ بحق في مجاله الأدبي الكتابي أحمد حسن الزيات.

ثم يبدأ ابن خميس في ذكر مميزات أسلوب الزيات، وسمات الكتابة عنده، فيقول: (مات الزيات؛ صاحب أعظم ديباجة عرفها هذا العصر. مات الزيات، وفقد الإسلام فارساً مغواراً في ميادينه، وداعياً مخلصاً في دعوته، وفطناً يعرف كيف يجتلب القلوب، ويغلغل الدعوة الإسلامية في سويدائها بأسلوبه الآسر، وبيانه الساحر، وضخامة ثروته اللغوية. مات الزيات الأديب النزيه، الذي جعل من أدبه سلاحاً، يناضل به في سبيل عقيدته ولغته وعروبته وتحرير بلاده حينما كان الأدب لدى البعض عكازاً؛ يصل به إلى الشهرة وطعماً يصل به إلى الصيد.

---

(١) من جهاد قلم، فواتح الجزيرة. عبد الله ابن خميس، ص٣٥٤.

مات الزيات صاحب أقوى أسلوب كتب به كاتب، وأحكم سبك سار به قلم منشئ وأسلم بناء وصنعة أديب، ولا أظن أن يأتي الزمن بكاتب كالزيات.

هيهات أن يأتي الزمان بمثله   إن الـزمان بمثله لبخـيل[١]

ويستطرد ابن خميس مبيناً مكانة الزيات الأدبية، وأنه من رواد الأدب الإسلامي، جعل من سلاحه مناضلاً في سبيل عقيدته ولغته وعروبته وتحرير بلاده.

ويقارن ابن خميس بين أصالة الزيات، وإخلاصه لقلمه، وبين غيره من الأدباء الذين جعلوا من أقلامهم عكازاً يصلون به إلى الشهرة، وطعماً يصلون به إلى الصيد.

وبما أن مقالة السيرة لابد أن تنطوي على علاقة بين كاتبها، وبين من يكتب عنه، فإن ابن خميس يوضح لنا الصلة بينه وبين الزيات، وأنها صلة قديمة، تنيف على خمسة عشر عاماً وأنها صلة قراءة، لا صلة لقاء، وصداقة أدب لا صداقة أرب، كما يبين ابن خميس أن مجلة الرسالة التي كان يصدرها الزيات، كانت هواية ابن خميس، وصديقته من بين سائر الصحف، ويعدها ابن خميس أستاذاً له في تكوين قلمه وأدبه.

ويسهب ابن خميس إسهاباً أخاذاً في وصف وبيان المقدرة البلاغية، والأسلوبية عند الزيات، فيتحدث عن شواهده وفواصله وسجعه وجناسه وبيانه وأفكاره الهادفة، وتنوع طروحاته، فهو لا يعجز عن التعبير الاقتصادي، أو العلمي أو الجغرافي، حتى لكأنه متخصص في كل مجال يكتب عنه.

---

(١) البيت للشاعر أبي تمام .

ويختم ابن خميس مقالته في رثاء الزيات، وتعداد مآثره بذكر مؤلفات الزيات النافعة، والتي منها "وحي الرسالة"، "ودفاع عن البلاغة" وتاريخ الأدب العربي"، وأخيراً "عبقري الإسلام".

ومن تأبين الأديب العربي أحمد حسن الزيات، إلى رثاء وتأبين الكاتب السعودي عبد القدوس الأنصاري في مقالته بعد وفاته؛ تحت عنوان [المرحوم عبد القدوس الأنصاري كما عرفته][(١)].

بين ابن خميس في مقدمة مقاله، المكانة الأدبية لعبد القدوس الأنصاري فيقول: (عرفت الرجل أديباً متمكناً وعرفته أثيراً ناجحاً، وعرفت فيه جوانب خفية متعددة، كلها سمحة، وكلها مثالية، وكلها ترمز إلى الحق).

ويمضي ابن خميس في عرضه لموضوعه مبيناً الصلة بينه، وبين الكاتب عبد القدوس الأنصاري فيقول: (جمعتنا به عدة اجتماعات أدبية، وجرت بيني وبينه مناقشات أدبية، في مجال النقد، واستمرت عدة شهور، وعرفته صحفياً ناجحاً عاشت مجلته خمسين عاماً، وما علمت أن مجلة يصدرها، ويحوطها شخص واحد قد عاشت مثل هذا الوقت).

ويضمن ابن خميس مقالته تعداداً لمنجزات الأنصاري وآثاره فيذكر أنه حقق ودقق، وبحث واستنبط، وأعطى هذا المجال ما يمكنه أن يعطيه باحث فكان وجهاً من وجوه هذه البلاد، وعلماً من أعلامها له من البحوث، والمحاضرات المفيد والطيب).

ويبرز ابن خميس في مقالته الجانب الشعري عند عبد القدوس الأنصاري، فيقول: (عرفته شاعراً أخلص للشعر، وأعطاه من وقته جل اهتمامه، وترك فيه أثراً كبيراً، ومستوى أثيراً).

---

(١) مجلة المنهل، العدد ٣٤، السنة ٥١، المجلد ٤٦ المحرم وصفر ١٤٠٥هـ، ص٢٠١.

ويختم ابن خميس مقالته بعبارة موجزة جامعة، تبين علم عبدالقدوس وفضله وأخلاقه فيقول: (هكذا عرفت عبد القدوس الأنصاري، وعرفت فيه خصالاً جمة من العلم والفضل والاستقامة).

ثامناً: مضامين المقالة الانطباعية:

وهي التي تصور انطباعات الكاتب عن أناس عاش معهم، أو مشاهد رآها، أو حيوانات وقع نظره عليها(١)؛ ويدخل في انطباعات الكاتب عن الناس الذين عاش معهم ما قد يكون الكاتب سمعه أو قرأه عن أولئك الناس. ومن المقالة الانطباعة أيضاً ما قد يثير النفس، ويشد انتباه الكاتب، ويريد التعليق عليه(٢).

ويلجأ الكاتب للمقالة الانطباعية عندما يتأثر بعالم جديد لم يؤلف. ولو نظرنا نظرة شمولية لمقالات الأديب عبد الله ابن خميس، لوجدناها عبارة عن انطباعات صريحة، تمثل آراءه الأدبية والنقدية والاجتماعية، ويدخل في ذلك رؤيته الانطباعية الخاصة تجاه ما كُتب عن تاريخ بلاده، وجغرافيتها وأدبائها وشعرائها، وما كتب عن عادتها وتقاليدها وشموخ أهلها وأصالتهم.

وفي مقالات السيرة نلحظ انطباعات ابن خميس عن أناس عرفهم أو التقى بهم أو سمع عنهم، والذين يمثلون لديه إشراقات إنسانية في مجال الأدب والعلم والفضل.

واستناداً لما ذكرته أعلاه من وجود التداخل في الأنواع المقالية عند ابن خميس من حيث المضامين والأهداف، فإن ما رأيت إدراجه تحت هذا النوع من المقالة يُعدُّ قليلاً بالنسبة للأنواع الأخرى من المقالة.

ومن المقالات التي رأيت تصنيفها تحت هذا النوع؛ ما تحدث فيه ابن خميس عما أثاره مما يكتب في صحافة اليوم في مقالة بعنوان [صحافة اليوم وصحافة

---

(١) المقال وتطوره في الأدب المعاصر. السيد مرسي أبو ذكرى، ص٧٥.

(٢) التحرير الأدبي. حسين علي محمد، ص١٨٩.

الأمس][١]، وفيها يبدي ابن خميس انطباعاته حول الأقلام الرديئة، التي لفت انتباهه أنها بدأت تبسط نفوذها على صفحات الجرائد دون رقيب أو عتيد.

ويبدي ابن خميس انطباعاته عن أناس سمع عنهم، وقرأ، وهم الكتيبة الأولى التي فتحت الرياض مع الملك عبد العزيز ــ رحمهم الله ــ جميعاً في مقالة بعنوان [رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه][٢].

حيث تحدث ابن خميس عن الفيلق الأول، حينما انطلق من الكويت فقال: (لم يكن الفيلق الأول حينما انطلق من الكويت، وواكبه من واكبه في طريقه، انطلق مجاهداً تدفعه عقيدة الجهاد، وإنما هو ربيب وطن، وحلس أرض، ومهجة دار بها أُنيطتْ، تمائمه وترابها أول تراب مس جلده، وقضى بها مآربه، إذا فارقه حن إليه، وإذا عاش في غيره اشتاقه، كيف وأهل هذه الدار عُرِفوا أصلاً بأصالة الفداء، وشدة البأس وإباء الضيم، ومناوأة الغاصب، منذ أن قال الله عنهم ﴿سَتُدْعَوْنَ إِلَى قَوْمٍ أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ﴾ "سورة الفتح، الآية ١٦". ومنذ أن قال شاعرهم:

وجدنا أبانا كان حَلَّ ببلدة ... سوى بين قوم قيس عيلان والفزر
فلما نأت عنا العشيرة كلها ... أقمنا وحالفنا السيوف على الدهر[٣]

وكذلك قول الفرزدق[٤]:

لعمري لقد سلت حنيفة سلة ... سيوفاً أبت يوم الوغى أن تعيرا
سيوفاً بها كانت حنيفةُ تبتني ... مكارمَ أيامَ تشيب الحزورا
ولولا سيوف من حنيفةَ جردت ... ببرقان أمسى كاهل الدين أزورا

---

(١) المجلة العربية، ع ١٠١، السنة العاشرة، جمادى الآخرة ١٤٠٦هـ، ص١٩.

(٢) مجلة الدارة، العدد الثاني، السنة الثانية ١٤٠٥هـ، ص١٠٥.

(٣) البيت لأزيرق اليمامة موسى بن جابر الحنفي، أورده ابن خميس في الشوارد ، ج١، ص٢١٥.

(٤) شاعر من العصر الأموي اشتهر بفن النقائض. امتاز شعره بالقوة والمعاني المبتكرة القوية. والفرزدق لقبه واسمه همام بن غالب. له أثر عظيم في اللغة. توفي في بادية البصرة، وقد قارب المئة عام ١١٠هـ، انظر: الأعلام. الزركلي ٨/٩٣.

ويختم ابن خميس مقالته الانطباعية بقوله: [أولئك هم طلائع جند الملك عبد العزيز وحملة رايته، وأسد عرينه]. وتحدث ابن خميس عن انطباعاته عن لقاء حصل بينه وبين عائد من الغرب في مقالة بعنوان [حدثني عائد من الغرب][١]. ومضمون تلك المقالة، انطباعاته عما سمعه من ذلك العائد من الغرب بعد نكسة حزيران وفيها يقرن ابن خميس واقع اليهود اليوم، وواقعهم في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكيف كانت شوكتهم مكسورة بقوة المسلمين وهيبتهم. أما اليوم فيقول ابن خميس: (سمعت قوادهم عندما استتب لهم النصر، واجتمعوا عند قبة الصخرة بالقدس يقولون: يالشعارات خيبر والمدينة وقريظة أسمعنا يا كعب[٢] بن الأشرف وحُيِّي بن أخطب[٣]!! شاهدت المناظر الساخرة والصور المعبرة تهزأ بما يقال عن شجاعة العرب، وتصفهم بالجبن والخور، شاهدت فيما شاهدت صورة عشرة أرانب في قبضة ثعلب، ومكتوب تحت الأرنب جنود العرب الشجعان، وتحت الثعلب الجندي الإسرائيلي) ويعبر ابن خميس عن انطباعاته الحزينة الغاضبة تجاه تلك المناظر؛ التي تسيء للعرب والمسلمين فيقول: (حسبنا!! ففي ذلك ما يلهب ويغضب!! وكم مرَّ على أمتنا من الآيات والنذر ولعل الله يحدث بعد ذلك أمراً).

---

(١) فواتح الجزيرة. عبد الله ابن خميس، ص٦٩.

(٢) رجل من طيئ وأمه من بني النضير وهو من حرضّ قريش على قتال الرسول صلى الله عليه وسلم، وقد آذاه بالهجاء وله قصة معروفة مع أبي سفيان وقد أنزل الله فيه قرآناً، انظر: البداية والنهاية للإمام الحافظ بن كثير؛ تحقيق محمد النجار، مطبعة الفجالة، القاهرة د.ت ٤/٧.

(٣) حيَي بن أخطب: من يهود بني النضير، من الأشداء العتاة. كان ينعت سيد الحاضر والبادي. أدرك الإسلام وآذى المسلمين فأسروه يوم قريظة ثم قتلوه، انظر: الأعلام. خير الدين الزركلي، ٦/٦٤.

وكتب ابن خميس مقالة انطباعية حول شيء أثار انتباهه، وأراد التعليق عليه. وهو السطو على السيارات، وأدواتها وأجهزتها من جوار منازل ملاكها.

وذلك في مقالة بعنوان [من أمن العقوبة أساء الأدب][١]. وفيها يفتتح ابن خميس مقالته موضحاً الواقع الأمني لبلادنا؛ بعد توحيدها وحكمها بمقتضى الشريعة الإسلامية، يقول: (أصبحت بلادنا مضرب المثل في الأمن، حتى أن الظعينة لتسير من نجران إلى الجوف ومن البحر الأحمر إلى الخليج العربي، وبالعكس لا تخشى إلا الله، وهذا من معجزات هذه الشريعة، ومن أكبر النعم على البشر. يقول نبينا صلى الله عليه وسلم (من بات منكم آمناً في سربه، معافى في بدنه، عنده قوت يومه وليلته فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها)[٢].

ثم يبدأ في عرض موضوع مقالته، وهو "أن النفوس الشريرة لا تدعها نوازع الشر تستسلم للأمر الواقع، وتنفطم عن زيغها وتسفلها، فهي دائماً كالمرض الكامن في جسم الإنسان ما دام يجد مقاومة جسمية، فهو متوار، وإذا ضعفت المقاومة في أي موضع من الجسم، انقض عليه الداء انقضاض الشره النهم".

ومن ثم بين ابن خميس الأمور التي أثارت انتباهه، ودفعته للتعليق كتابياً عليها يقول: (كانت الساعة الرابعة والنصف ليلاً، وكنت منهمكاً في قراءة بعض الكتب من جانب البيت، فابتدرتُ النافذة لأرى حقيقة الأمر، وإذا بها تمر كالسهم تاركة خلفها سحابة كثيفة من الغبار ... الخ، إنها سيارة مسروقة، فما أخال من تجرأ الآن على سرقة السيارات، وأدواتها وأجهزتها من الأسواق، وعلى هذه الكيفية إلا مقدّمة لما هو أكبر منه!!

---

(١) من جهاد قلم، فواتح الجزيرة، ص٢٤١.

(٢) رواه الترمذي، وقال حديث حسن. انظر: رياض الصالحين للإمام أبي بكر الدمشقي النووي.ـ دمشق: دار المأمون للتراث، ١٣٩٦هـ، ص٢٤٣.

أقول هذا لأنني رأيت هذا الصنف من الناس قد تجاسر على سلوك بنيات الطريق، وإذا ترددوا في سلوكها فستفضي بهم ولا شك إلى أمهات الطرق).

وهكذا نرى ما سجله ابن خميس من انطباعات سيئة عما رآه تجعله يحذر من عواقب ذلك، وأن أولئك الذين تجاسروا على سرقة السيارات وأدواتها وأجهزتها؛ وهي وادعة أمام أبواب ملاكها، يرى أن ذلك سيدفع بهم إلى أمور أخطر وأكبر.

ولابد أن يدلل ابن خميس، وأن يجعل الشعر رفيقاً لأي انطباع يراه، فيورد في ختام المقالة قول الشاعر:

والشر إن تَلْقَهُ بالخيرِ ضقْتَ به ذرعاً وإن تَلْقَهُ بالشر يَنْحَسِمِ[١]

ولابن خميس إسهامات عديدة حول ما يقرأ من طروحات، وآراء لآخرين، ومن ذلك انطباعاته التي سجلها في مقالة بعنوان [ما هكذا يا سعد تورد الإبل][٢].

حيث نلمس في هذه المقالة انطباعات ابن خميس الغاضبة حول ما كتبه كاتب في مجلة الحوادث، وهذه الانطباعات أقرب ما تكون إلى المقالة السياسية، حيث بدأ مقالته ببيان السبب من إنشائها بعبارة موجزة موحية؛ خلت من الأسماء؛ لأنه أراد أن يجنب قراءة التفكير فيمن هو هذا الكاتب، إلا في آخر المقالة، وهذا الأسلوب في بناء المقالة، عادة ما يلجأ إليه ابن خميس يقول مبتدئاً مقالته: (كتب كاتب في مجلة الحوادث، وعاد وألح على ما كتب، وكتابته قبل وبعد تدور حول قصد واحد) ويمضي ابن خميس في مقالته التي تبين لنا من مضمونها، أنه يدافع وبالأدلة والبراهين التاريخية والجغرافية عن حق بلادنا في بعض المناطق التي رأى ذلك الكاتب عدم ذلك.

---

(١) البيت للشاعر: المتنبي. انظر: شرح ديوان المتنبي، ص٦٦.

(٢) من جهاد قلم، فواتح الجزيرة. عبد الله ابن خميس، ص٤٥٠.

ويصهر ابن خميس انطباعاته في بوتقة الوطن، والدفاع عن حماه، وحدوده ما استطاع إلى ذلك سبيلاً.

ويختم بالاستشهاد الشعري منتقداً ذلك الكاتب الذي طرح رؤيته دون دليل أو برهان، ويمثله بمن أورد إبله وهو مشتمل، يقول:

أوردها سَعْدٌ وسَعْدُ مشْتَمِلْ ما هكذا يا سعدُ توردُ ا لإبل[١]

ونتواصل مع ابن خميس وانطباعاته التي عكسها عبر بعض المقالات عن بعض الرؤى ومنها ما دونه تجاه ما سمعه، وشد انتباهه من حملات إعلامية ضد بلادنا في مقالة بعنوان: [بيننا وبينهم][٢].

وفيها يبدأ ابن خميس مقالته بطرح القضية مباشرة؛ لأنها في نظره واضحة لا تحتاج إلى تمهيد، ومقدمات فيقول: (ترتفع ضدنا أصوات وتشايعها أقلام، ويسير وراءها أتباع، وما نحن منها في حرج، ولا من حملتها في تأثر) ومن ثم يطرح ابن خميس تقييمه لتلك الحملات، وتأثيرها، فيذكر أنها لم تؤثر في هذا الكيان الشامخ القائم على هدى من شرع الله".

ويستطرد ابن خميس مبيناً أن الإسلام دين ودولة؛ حينما آمنّا به، وآمن به أسلافنا أباً عن جد في هذه الجزيرة؛ منذ أن أشرق نوره إلى يومنا هذا، لسنا في شك من أن النعيق والنقيق ودعوة الهدم؛ سوف تبلغ مبلغها منا، وسوف لا تجد من رواد الحق، وطلاب الهدى في عالمنا العربي، وأمتنا الإسلامية مسلكاً، ولا وليجة.

---

(١) البيت للشاعر مالك بن زيد مناة، وسعد الوارد اسمه في البيت شقيق الشاعر. ومعنى مشتمل: مسرع، ذكره ابن خميس في الشوارد، ج٢، ص٤١٠.

(٢) انظر: فواتح الجزيرة. عبد الله ابن خميس، ص٥٣٧.

ويختم ابن خميس مقالته بتوجيه خطابه إلى أولئك قائلاً: (هونوا عليكم، واربحوا بقية الطريق، فالأمر بالغ مبلغه، والحق منتصر لا محالة، وإن أبيتم فشعارنا معكم قل كل يعمل على شاكلته فربكم أعلم بمن هو أهدى سبيلاً) وفي تلك الخاتمة البليغة من مقالة ابن خميس يقتبس من القرآن الكريم ما يؤيد رأيه، وانطباعه عن أولئك المعارضين للإسلام.

وقد شارك ابن خميس مجتمعه مواسمه الكروية، وكان لديه انطباعات خاصة بعد كل حدث محلي، أو خارجي فقد كتب مقالة انطباعية بعد تأثر بحدث كروي اهتزت له فئات الشباب من مجتمعنا السعودي، وهو هزيمة المنتخب القاسية في إحدى دورات الخليج العربية لكرة القدم فكتب مقالته [أعطني مدرباً أعطك نتيجة](١)، ونختم بإيراد مقالة انطباعية حول البيان الوزاري الذي صدر بتحرير الرقيق تحت عنوان: [البيان الوزاري وتحرير الرقيق](٢). يفتتح ابن خميس مقالته بتوجيه تحية لمن صنعوا البيان الوزاري القاضي بإلغاء الرق، وتحرير الأرقاء(٣).

ثم يدخل ابن خميس في موضوعه فيقول: (إننا إذ نبارك هذه الخطوة ننظر إلى المسألة من الناحية التي يقولون عنها إنسانية، وأنه مضى الزمن الذي يتخذ فيه الإنسان أخاه عبداً مملوكاً لــه، وزمن السادة والعبيد إلى آخر الأسطوانة؛ التي تديرها صحافة العلم، وتلوكها ألسنة من يقولون عنهم أنهم محررو الشعوب، ومنقذو الإنسانية فلسنا ننظر للمسألة من هذا الجانب، فديننا القويم أقر هذا المبدأ بالشروط المعروفة في صلب نصوصه، إننا نتعرض للرق من حيث حقيقة الرق في هذا الزمان، ومصدره وصفته وهل تنطبق عليه حقيقة الرق الذي جاء به الإسلام، أو لا تنطبق، وهل الإسلام يقر رق اليوم، أو لا يقره؟ لنرى ...).

---

(١) من جهاد قلم فواتح الجزيرة. عبد الله ابن خميس، ص٤٧٦.

(٢) المرجع السابق، ص٤٦٧.

(٣) صـــدر هـــذا البـــيان بتاريخ ١٣٨١هـــ. انظر مذكرة المرحلة الثانوية بالمعاهد العلمية، صدرت عام ١٣٩٠هـــ، من إعداد الدكتور عبد الله الشبل، ص١٠٢.

ثم يعرف ابن خميس الرق اصطلاحاً فيقول: إنه عجز حكمي يقوم بالإنسان سببه الكفر.. ومعنى هذا أن للرق مصدراً واحداً يغذيه، ويسترق الإنسان عن طريقه ذلكم الكفر. أما كيف يسترق الكافر؟ فذلك حينما تغزو جيوش المسلمين بلاد الكفر، فيقاتلونهم بعد أن يعذروا عن إسلامهم من ثم يسترقون مَنْ يسترقون منهم، وهذا هو مصدر الرق، ولنا هنا أن نتساءل عن آخر جيش للمسلمين غزا الكفر، واسترق من استرق منهم، هل يمكن أن يوجد ذلك قبل خمسمائة عام على الأقل.

ومن خلال العرض السابق للمقالة يبين ابن خميس مصدر الرق الوحيد وهو الكفر الذي نتج عن غزو جيوش المسلمين منذ أكثر من خمسمائة عام، إلى بلاد الكفر.

ولا يمكن أن يكون هناك مملوك تسلسل رقه في بلادنا منذ خمسة أجداد؛ فضلاً عما هو فوق ذلك.

ويصل ابن خميس إلى حقيقة مصدر الرق الذي ظهر في العصر الحديث، وأنه اللصوصية، وقرصنة أصحاب المطامع، واستغلال جهل بعض الناس، وفقرهم وانعدام الأمن في بلادهم.

ويختم ابن خميس مقالته مبدياً انطباعه حول قرار تحريم الرق فيقول: (المسألة لا تخرج عن كونها شبهة قوية يجب اجتنابها؟!) وأين نذهب عن قول النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم: [(الحلال بين والحرام بين، و بينهما أمور مشتبهات، لا يعلمهن كثير من الناس، ومن اتقى الشبهات، فقد استبرأ لدينه وعرضه، ومن وقع في الشبهات، وقع في الحرام كالراعي يرعى حول الحمى، يوشك أن يرتع فيه..][(١)].

---

(١) رواه البخاري في صحيحه. انظر صحيح البخاري مع شرحه فتح الباري، كتاب البيوع، باب الحلال بين والحرام بين، ج٤، ص٢٩٠.

الدراسة الفنية:

قبل أن نشرع في تفصيلات الدراسة الفنية لكتابات الأديب ابن خميس المقالية، لابد أن يعرف المطلع على تلك الدراسة، أنّ ابن خميس بالرغم من انتهاجه الشكل القديم، واحتذائه أسلوب أربابه المبدعين، فإنه لم يقع في شَرَك التقليد، بل استطاع أن يحقق له شخصية تميز بها نثره، ولا ريب فإن محصوله الوافر من تراثنا اللغوي والشعري لم يطغ على طابعه الخاص، فكان عامل ثراء له.

ويتسم أسلوب الشيخ بصفة عامة بالبساطة في التشكيل، ونعني بذلك التراكيب اللغوية، والوسائل التي يلجأ إليها لتعميق رؤيته، كما يتسم بالوضوح في مقاصده ومعانيه؛ فقلما يلجأ إلى الرمز أو الحوار الداخلي، أو استيحاء الأسطورة، كما أن أفكاره عامة دائماً ما ينبع تأثيرها من امتزاجها بنفسه، وربما كانت تجربته في الكتابة الصحفية من الأسباب التي تُعزى إليها هذه العمومية، وذلك الوضوح، كما أنه من هذه الأسباب ربط بين رسالة الأديب، ورسالة المعلم الناصح، وليس من المستغرب أن تشوب أسلوبه النزعة الخطابية، والنزعة التقريرية.. ومن العوامل التي تقف خلف هاتين الصفتين، طبيعة الموضوعات التي كتب فيها، ومنها الدفاع عن العروبة والإسلام، والمشاركة الإيجابية في الأحداث الاجتماعية، إضافة إلى أنه مؤرخ له مكانته، فلم يكن ثمة بد من أن يترك المؤرخ بصماته على أسلوب الشيخ، فنراه يرصد الأحداث، ويبين العبرة منها بمنطق يرقى إلى الإقناع عن طريق تقرير الحقائق.

أولاً: الأفكار:

ونتطرق هنا للأفكار في مقالات الشيخ ابن خميس ورأيت أن أتناولها من جوانب هي:

أن الشيخ في أفكاره كان صوتاً متميزاً لكل عربي مسلم؛ يأبى الضيم، ويستنكر الظلم، ويتوق إلى حصول هذه الأمة المنكوبة على حقوقها في قضاياها

المصيرية التي طال فيها انتظار العرب، وكثر فيها إخفاقهم، وأنه قد تسلطت قوى الشر والظلم عليهم، ومقالات في هذا النوع تفيض بالعاطفة المشبوبة التي تنبع من حرقة وألم يشعر بها الجميع، وللقضية الفلسطينية من قلمه نصيب كبير، ويرى دائماً تشجيع المقاومة وجمع الأموال لها وتسليحها، ويتعجب من هذا البلاء الذي حلّ بالأمة، فلم تعد تشعر ولا تحس، ولم تعد قادرة على الحركة للأخذ بالثأر واسترداد المسلوب من كرامتها ومن ذلك:

- مقال [العرب وقضية فلسطين](١).
- ومقال [هل مات الثأر](٢).
- ومقال [يا مسلمون يا عرب لنا قضية](٣).
- ومقال [إليكم يا عرب](٤).
- ومقال [هذه الحرب خطوة على طريق طويل مع الصهيونية](٥).
- ومقال [حدثني عائد من الغرب](٦).
- ومقال [يوم الجزائر](٧).
- ومقال [سر انتصار الجزائر](٨).
- ومقال [نعم قتلوا المعاهدة](٩).

---

(١) من جهاد قلم، فواتح الجزيرة. عبد الله ابن خميس، ص٢٩-٣٥.
(٢) المرجع السابق، ص٣٦-٣٩.
(٣) المرجع السابق، ص٤٠-٤٧.
(٤) المرجع السابق، ص٤٨-٥٥.
(٥) المرجع السابق، ص٥٦-٦٨.
(٦) المرجع السابق، ص٦٩-٧٣.
(٧) المرجع السابق، ص٧٤-٧٩.
(٨) المرجع السابق، ص٨٠-٨٣.
(٩) المرجع السابق، ص٩١-٩٤.

أما مقالات الأديب ابن خميس في حقل الاقتصاد، فهو يعرض فيها أفكاراً عملية، القصد منها النهوض بالحياة الاقتصادية، وحسن الاستفادة من ثروات البلاد، ووجوب استصلاح هذه الثروات، واستثمارها داخلياً بدلاً من تسربها إلى الخارج، وتكوين اقتصاد قوي تركن إليه بعد الله.. ومن أفكاره التنويرية وجوب الاهتمام بالعلم الذي يطور اقتصاد البلاد، ويجعلها في مأمن من الاعتماد على الآخرين، ففي مقالة [بلادنا والزيت][١]. يرى أنه لابد أن يعمل جذرياً لتقوية الاقتصاد، وضمان الصناعة المحلية.

وفي مقال آخر بعنوان [وجهوا ثروتنا القومية][٢]؛ يستعرض ما تقوم به الدول الناهضة من جهود لحماية اقتصادها القومي.

ويستعرض الشيخ في مقالة أخرى وجهاً من الأنشطة التجارية وذلك تحت عنوان: [ماذا نريد من لجنة التنمية الاقتصادية][٣].

ومن أفكاره المتميزة في هذا المجال دعوته إلى تدخل الدولة في توجيه الاقتصاد وفيها هاجم الشيخ سياسة السوق المفتوحة في مقالة بعنوان [المكاسب التي يجب أن نحافظ عليها][٤].

وللشيخ عبد الله بن خميس أفكار جلية في مجال الاهتمام بالنهضة الزراعية التي يعتبرها مصدر الأمن الغذائي لهذه البلاد، وله رأي مفاده أن الاستيراد قد طغى حتى قضى على الزراعة في بلادنا[٥].

وأفكار الأديب عبد الله ابن خميس في مقالاته وطنية تنويرية تناول فيها جوانب مهمة من حياتنا من اقتصاد واجتماع وتربية وأدب وسلوك وبيئة خلال

---

(١) من جهاد قلم، فواتح الجزيرة. عبد الله ابن خميس، ص١٤٨-١٥٣.

(٢) المرجع السابق، ص١٥٤-١٥٩.

(٣) المرجع السابق، ص١٧٣-١٧٧.

(٤) المرجع السابق، ص١٦٠-١٦٧.

(٥) انظر : مقال [كيف ننهض بزراعتنا] من جهاد قلم، محاضرات وبحوث، ص١٨٢-١٨٦.

فترة كانت بلادنا فيها تمر بمرحلة البناء، وتكوين البنية التحتية، وما رافق ذلك من طفرة مالية، اقترنت بها سلبيات عالجها بروح وطنية خالصة مخلصة، كان في أفكاره واضحاً صريحاً غير مجامل، ولا موارب، وبما أنه قد تناول أدق ما يحفل به مجتمعه الصغير المحيط به والمجتمع العربي الكبير، فقد كان يتمثل ما يدور في الأذهان من أسئلة، حول إشكال الواقع وطموح المستقبل، وسبل النجاح، في تخطي العقبات وتجاوز الصعوبات، في الوحدة والتضامن والقضاء على عوامل الفرقة، والاختلاف ولذا فقد كانت مقالة الشيخ بحثاً عن مكامن القوة في الفرد، والمجتمع والتنبيه على أسباب ضعفه وهوانه؛ ومن نماذج ذلك مقالة بعنوان [أين تذهب ثروة العالم العربي](١).

يقول: (إن العالم العربي اليوم قد فتح عينيه على استعمار يجثم على صدره، ويسيطر على جميع قدراته، ويشيع في جسمه أفتك الأدواء، وأنكى الجراح التي تحاول القضاء على المميزات الروحية، والأخلاق الوطنية، فتح عينيه على أعداء الإنسانية الثلاثة، تعشعش وتفرخ بين ظهرانينا، وتفتك في جسمه بلا وازع، ولا رادع، إن هذا الوضع ليقتضي كل فرد من أفراد الأمة العربية تضحية، وجهاداً وبذلاً، إنه لفي حاجة إلى استغلال كل طاقة من قلب العالم العربي ...).

ومن الأفكار التي طرحها ابن خميس في مقالاته حفظ ثروة العالم العربي من الضياع، وعدم تصريفها في وجوه لا فائدة فيها؛ من ترف غير مجد، ومباهاة في المظاهر لا طائل من ورائها.

وكان للأديب أفكار ثرية حول ثروة الزيت وما كتبه يمثل قمّة الإثارة في مناقشاته حول موضوع الزيت.

---

(١) مجلة الجزيرة، العدد ٦، السنة الرابعة، جماد الأولى ١٣٨٣هـ، ص٣.

ومما طرحه من أفكار ما يفيد عن العوامل التي تؤدي إلى نضج الشعب، وتطور حياته، فعليه المعول في تقبل الأفكار الإصلاحية، ومعاونة الجهاز الحكومي في تنفيذ المشروعات. ويرى ابن خميس أنه إذا سعى الكتاب والمصلحون والقادة إلى تحقيق غاياتهم البنائية دون الالتفات إلى هذا النضج المنشود، فإنهم مسرفون في تفاؤلهم، ومنساقون وراء عاطفتهم الوطنية.

ويدعو ابن خميس إلى الإحساس بالكرامة، وتقدير العزة؛ فيأمر الإنسان أن لا يهين نفسه بالاستذلال، وفرق في أفكاره بين المجاملة، والتقدير، والنفاق والاحترام(١).

وعبر الشيخ في أفكاره المقالية عن أحلام وأماني الإنسان في قلب الجزيرة العربية، والإنسان في الوطن العربي، وصاغ تلك القضايا ضمن معان قوية جزلة، وأفكار راقية.

وهو من الأدباء الذين أحسنوا في طرح أفكارهم، وعرض مقالاتهم؛ ومن أسباب ذلك ثقافته الواسعة، واطلاعاته الكبيرة، وأنه دائماً ما يهتم بأدلة الإقناع، والبراهين العقلية.

وعُرِفَ عنه إبرازه الدائم للتصورات المنطقية، والأفكار الواقعية، وتبعاً للمناصب الحكومية التي تقلدها الشيخ عبد الله ابن خميس، فإن احتكاكه بالمجتمع خلق عنده قدرة على عرض القضايا بروح المناظرين والمجادلين؛ الذين يدعمون أفكارهم بالأدلة.

ونفس ابن خميس قويّ، وهو إنسان جلد في تناول القضايا الاجتماعية؛ وفي أفكاره ما يؤكد للقارئ قدرته على الوصف والتحليل، فدائماً ما يصف حال الدولة سالفاً، ويقارنها بالزمن الحالي، وما تعيشه من نهضة، وما تحويه من خيرات ونعم، ويطرح ماذا يجب أن يقدم المواطن للقيام بمسئوليات أمته وبلاده(٢).

---

(١) انظر: مقالة [الكرامة قبل] فواتح الجزيرة، ص٥٠٥-٥٠٨.

(٢) انظر: مقال [الموظف الدولة ما عليه لبناء كيان هذه الأمة] ، ومقال [الحياة والعمل صنوان متلازمان]، ص٤٧٩-٤٠٧ فواتح الجزيرة.

ومن خلال مقالاته، فإن الشيخ استطاع أن يبرز الرؤية الإنسانية الشاملة التي استخلصها من أرض ثائرة صعبة، هي رؤية من قلب فرد يخفق في صدر الإنسان المطلق، فأحاسيسه بمن حوله هي التي منحت أفكاره وهجها وقوتها، نقرأ له هذه الأحاسيس على سبيل المثال في قوله: (كثيراً ما قلنا أن نظرية ترك الأمة وشأنها تتفاعل، ويوجهها الزمن وتنضجها الأحداث، نظرية فاشلة عفا عليها الدهر، وانقرضت ذيولها منذ زمن في الأمم المتحضرة المتنورة، فما بالك بالأمم المتحيرة المتأخرة .. إنها الأولى بأخذ زمام القيادة وأحرى بالإفادة والريادة..)[١].

ويسترسل الشيخ في مقاله يسوق الأدلة على أحاسيسه، وأحاسيس الأمة قائلاً: (فمثلاً كثير من مناطق بلادنا أشبه ما تكون بالغابات، ملتفة مورقة وارفة؛ تجد فيها السائمة مرتعاً خصيباً ويجد بها المسافر ظلاً ظليلاً، ويجد بها الصيد كناساً، والطير وكنا.. الخ).

ويختم ابن خميس مقاله بعرض الفكرة؛ ممزوجة بإحساسه الوطني الجماعي (فماذا كان منا، كنا عوناً للدهر على أشجار بلادنا، كان ينقصها من أطرافها تتابع الجذب، ويميت ما كان بعيداً عن مجاري السيول، ومستقر المياه، وكنا نبيدها بالفؤوس وبالنار، ولو كانت غضة ناعمة، ونسلط أرتال السيارات لتنقلها إلى حيث تحرق..)[٢].

ولربما كان وصف الأفكار بالتطويرية هو الأنسب لما طرحه ابن خميس من موضوعات هذه الأفكار، التي رأت النور في حاضر البلاد ولله الحمد، وهي صادرة من شخص مغدق في إحساسه الوطني، وليست من مخاض دراسات، أو بحوث جماعية مرت عبر دوائرها قبل أن ترى النور.

---

(١) من جهاد قلم، فواتح الجزيرة، مقال (ونريد أيضاً يا مجلس الوزراء)، ص١٣٦.

(٢) المرجع السابق، ص١٣٩.

ومنها عندما انتقد الشيخ النيران التي توقد في شرقي البلاد منذ ما يزيد على ثلاثين عاماً، وإحراق آلاف الأطنان من الغاز في الهواء، واقترح إنشاء شركة أو شركات للغاز تساهم الحكومة في تمويلها، وتقوم بضغط الغاز، وتوزيعه على أنحاء المملكة كافة، وجعلته ميسور الثمن[١][٢].

ومن الأفكار التطويرية التي طرحها في مقالاته فكرة حماية الحياة الفطرية وإنمائه، حيث قال في مقالة له: (كانت بلادنا تضم عشرات الفصائل من الظباء والوعول والأرانب وشتى أنواع الوحش، ومن الطيور أسراب الحبارى والقطا والحمام، وغير ذلك مما تفيض به جزيرتنا، ومما كان فيه طعماً لابن الجزيرة المحتاج، وسلوة له، ومظهراً من مظاهر الجزيرة يجب الحفاظ عليه والعناية به فماذا كان؟ لقد سلَّطنا عليها بأدواتنا الجهنمية، فكان ذلك المظهر أثراً بعد عين وحديثاً يُروى..)[٣].

ويواصل التمهيد لفكرته قائلاً: (فأي فخر لمترف يتربع في وسط سيارة فاخرة، ويَتَناولُ البندقية مشحونة بالرصاص، ثم يتبع أسراب الظباء، ويأخذ في إرهاقها بسيارته، وإحراقها ببندقيته حتى يسقط منها الكثير ..).

ثم يصل إلى طرح فكرته التطويرية قائلاً: (أفلا يكون من الأصلح أن نحرم قتل هذه الحيوانات كلياً، ونفرض العقاب على من يتجاوز ذلك، لعل شيئاً من هذه الفصائل الباقي ينمو، وتستعيد بواسطته البلاد بعض ما فقدت)[٤][٥].

---

(١) انظر مقال [ونريد أيضاً]، من جهاد قلم، فواتح الجزيرة، ص١٣٨.

(٢) تبلورت هذه الفكرة في مشروعات إنمائية في قطاع الغاز في الوقت الحاضر مثل [شركة الغاز والتصنيع الأهلية].

(٣) من جهاد قلم، فواتح الجزيرة، مقال [ونريد أيضاً]، ص١٣٨.

(٤) المرجع السابق، ص١٤٠.

(٥) أنشأت الدولة رعاها الله [الهيئة العليا لحماية الحياة الفطرية وإنمائها] ووضعت من خلالها تنظيمات لمنع الصيد الجائر. وقد بدأت الهيئة عملها عام ١٤٠٦هـ

ويتكرر مضمون بعض الأفكار في كثير من مقالاته مثل: [وزارة الداخلية إيجابية وبعد نظر][1]، [وفي موكب الإصلاح][2].

ومن أفكاره التنويرية ما ورد من اقتراح إنشاء بحيرة سياحية تستمد مياهها من المنطقة الشرقية إلى الرياض، بحيث تصبح متنزهاً وسداً للمياه[3].

وفكرة أخرى في مقال وجهه إلى أبي المغاوير وزير التجارة ومضمونها القضاء على الواسطة الطفيلية، حماية للمزارع والمستهلك[4].

ومنها أيضاً فكرة الإفادة من لحوم الهدي والأضاحي، والتي طرحها طرحاً موضوعياً تلازمه النظرة الثاقبة لما أمر به الشرع في المناسك، ووجه فكرته إلى علماء الشرع لدراستها وإصدار فتوى فيها[5][6].

وجملة، فإن الأديب عبد الله ابن خميس في أفكاره من الذين اهتموا بقضايا التطوير والرقي والتجديد وتخطي التخلف والتقليد، والدعوة إلى التقدم في نواحي الحياة، وسمو الأخلاق التي ناقشها في كثير من مقالاته، وخاصة الاجتماعية منها.

ومع ما لكل نوع من أنواع المقالة عند ابنِ خميس من خصائص فنية تأتي تبعاً لما يتميز به كل نوع عن الآخر، وقد حاولتُ حصرها فيما يلي:

أ- التنوع في المضامين والأفكار؛ فالشيخ لا يحصر قلمه في اتجاه واحد، بل يكتب في الأدب والنقد والمجتمع والسياسة وحياته الشخصية وجوانب العلم المختلفة، وهذا التنوع في المضامين يكشف عن ثقافته الواسعة.

---

(١) من جهاد قلم، فواتح الجزيرة، ص١٢٣.

(٢) المرجع السابق، ص١١٦.

(٣) انظر مقال: (فكرة لها فوائد ومزايا) من جهاد قلم، فواتح الجزيرة، ص٢٠٢.

(٤) انظر: من جهاد قلم، فواتح الجزيرة، مقال (أبا المغاوير يا وزير التجارة)، ص١٨٧.

(٥) انظر: المرجع السابق، مقال: (لماذا لا يدرس العلماء قضية الذبح في الحج)، ص٣٠٢.

(٦) تبلورت فكرة ابن خميس في مشروع الإفادة من لحوم الهدي والأضاحي والذي يشرف عليه البنك الإسلامي للتنمية. (وبدأ المشروع عام ١٤٠٣هـ، بموجب الموافقة السامية والمعلومات زودني بها الأستاذ أحمد عارف مدير مكتب مشروع المملكة للإفادة من الهدي والأضاحي) هاتفيا.

ب- تكشف الأفكار عند الأديب عبد الله ابن خميس عن جوانب من صفاته الشخصية؛ مثل الصراحة والجرأة في العرض يدعمها بقوة الاستدلال وخاصة في مجال إيراد الدليل الشرعي.

ج- تتسم أفكاره بالواقعية في الطرح، فكما لاحظنا من خلال استعراض بعض مقالاته أن لها ارتباطاً بالواقع الاجتماعي والثقافي والسياسي، إضافة إلى ارتباطها بحياة القارئ.

د- التداخل بين المضامين، فنجده يجمع في بعض مقالاته بين المضمون الاجتماعي والسياسي، بل نراه أحياناً يوظف المضمون العلمي في معالجة قضية اجتماعية.

هـ- وتقوم مضامين ابن خميس على خدمة قضايا الأمة الإسلامية الخاصة، مثل قضية فلسطين.

و- العمق في تناول الأفكار والمضامين، والشمولية في النظرة للموضوعات، والتجرد من الأهواء الشخصية.

ز- للشيخ عبد الله ابن خميس حس لاقط، يرصد الأحداث الاجتماعية والتاريخية والسياسية، ويحللها ويسجلها في حينها.

ح- تتسم مضامين مقالاته باستدعاء التراث شعراً ونثراً، وهذه كما نعلم ثقافة أدبية عالية؛ حيث طبع مقالاته بطابع نفسه المثقفة، ومعلوماتها الواسعة، ولم يكن ذلك وليد الصدفة، بل صقلها بالتجارب، والقراءة والاطلاع.

ثانياً: بناء المقالة:

ينبغي لكاتب المقالة أن يبني خطة يسير عليها، وهذه الخطة تقوم على المقدمة والعرض والخاتمة يسبق هذه الأجزاء العنوان[١]. وما أكثر من ينجح في كتابة القصة أو القصيدة وما أقل من يجيد في كتابة المقالة[٢]. ولو نظرنا إلى

---

(١) الأسلوب، أحمد الشايب، ص٩٤.

(٢) جنة العبيط. د. زكي نجيب محمود ـ ط٣ ـ القاهرة: دار الشروق، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م، ص١٥.

طريقة بناء المقالة عند الشيخ عبد الله بن خميس لوجدناها تصدر عن موهبة فذة، وقدرة أدبية واضحة، ويجيد الشيخ اختيار الفكرة التي سيتحدث عنها، ومن ثمّ يبدأ في بناء المقالة.

١- العنوان:

تتجلى في عنوان أي عمل أدبي جوانب أساسية، أو مجموعة مهمة من دلالات النص، وإشاراته، فالعنوان في المقالة غالباً ما يُوحي بالفكرة التي تبنى حولها المقالة، كما أن له تأثيره في إثارة اهتمام القارئ، ولفت انتباهه، فكاتب المقالة يحرص على أن يكون اختياره لعنوان مقالته جذاباً يحرك جانب التطلع عند القارئ، ويشحذ التوقع الممتع لديه، ويترك انطباعاً قوياً في نفسه، فيدفعه إلى أن يكشف ما وراء العنوان، إذ أن العنوان الجيد يتميز بالجدة والابتكار، والاختصار والوضوح والجرس اللفظي والغرابة والطرافة[١].

وألوان العناوين في المقالة كثيرة، إذ قد يأتي على كلمة واحدة أو كلمتين، وقد يكون جزءاً من بيت شعري، أو مثلاً سائراً، أو حكمة مشهورة، بل قد يكون سؤالاً[٢].

وإذا نظرنا إلى عناوين مقالات الشيخ ابن خميس وجدنا أنها تتراوح بين القصر والطول، ويعتمد فيها على اللفظ العربي الفصيح، وقد يتضمن العنوان رأياً مختصراً، أو انطباعاً سريعاً أو اتجاهاً موجزاً، وغالباً ما يكون ذلك في المضامين الاقتصادية.

ويحافظ الشيخ على عنصر الصدق في عناوينه، والتي دائماً ما تدل على ذكاء استطاع من خلالها أن يثير في القارئ الرغبة في قراءة المقال[٣].

---

(١) مناهج النقد المعاصر. صلاح فضل.ـــ القاهرة: دار الآفاق العربية، ١٤١٧هـــ، ص١٦٠.
(٢) المقالة الأدبية ووظيفتها في العصر الحديث. عطاء كفافي، ص٥٩.
(٣) المقالة الأدبية ووظيفتها في العصر الحديث. كفافي، ص٥٩.

وتغلب على عناوين مقالات ابن خميس الدلالات الزمنية، أو الدلالات الموسمية والمكانية، فهي مرتبطة بالمناسبات.. ونخلص مما سبق إلى أن عناوين مقالات الشيخ ابن خميس تتراوح بين الأشكال التالية:

أ- العنوان المباشر:

الذي يوضح موضوع المقالة مثل [مدينة الرياض عبر أطوار التاريخ](١)، وهي مقالة نقدية، يستعرض فيها محتوى وجوانب هذا الكتاب الذي ألفه الشيخ حمد الجاسر.

واعتبر ابن خميس محاولة الجاسر محاولة موفقة لوضع تاريخ شامل لهذه البلاد، ونواة صالحة لاعتماده أصلاً يُعوّل عليه الباحث في تاريخها.

ومقال [دروس من حجة الوداع](٢). وفيها يتحدث عن حجة النبي صلى الله عليه وسلم الفريدة في الإسلام، وبين لماذا سميت حجة الوداع، ومن ثمّ يوضح الدروس والعبر والحكم الشرعية منها.

ب- العنوان المشوق المثير:

عنصر الإثارة والتشويق ناتج من دلالة العنوان القصصية مثل: [أبو زيد في الرياض](٣) وهي مقالة اجتماعية تحدث فيها ابن خميس عن ظاهرة التسول عن طريق الحيلة واستدرار عطف الآخرين من خلال إيراد القصص المختلقة من قبل بطل القصة والتي استدعاها ابن خميس من الموروث الثقافي القديم في مقامات الحريري.

أو من غرابة العنوان مثل [أنف الظبي وعينه](٤) وهو مقال يدور حول السدود ومياه الأمطار وفوائدها البيئية.

---

(١) من جهاد قلم، في النقد، ص٢٧٥.
(٢) من جهاد قلم، فواتح الجزيرة، ص٥١٨.
(٣) من جهاد قلم، فواتح الجزيرة، ص٤٢٢.
(٤) المرجع السابق، ص١٩٨.

وأثار الشيخ فضول القارئ إلى استخلاص وجه الشبه بين إقامة السدود وبين أنف الظبي وعينه ولكن الشيخ يشبع ذلك الفضول بإيراده في آخر المقال.

وقد يأتي التشويق من إدخال عنصر الخيال على العنوان مثل [أي مسمار أنت][١]. وهي مقالة وجهها الشيخ إلى الكاتب علوي الصافي؛ ناقداً إياه نقداً لاذعاً، مليئاً بالتهكم والسخرية منتقصاً من آرائه التي طرحها ضد كتابه الشوارد.

ج- العنوان الساخر ومنه [رواسب وطفيليات][٢]:

وفيها يسلط ابن خميس الضوء على بعض الزوايا المظلمة في المجتمع، ومنها مجالس السوء التي تلوك فيها الألسن أعراض الناس. ومنها مقالة [شعوذة ورؤوس فارغة][٣]. وفيها يتحدث الشيخ عن المعتقدات الخاطئة في علاج بعض الأمراض، بالضرب والخنق ورش الماء والحمية، اعتقاداً من الناس أن جنياً شيطانياً هوائياً ريحانياً قد حل بمريضهم، فصدقوا الكاهن، وابتز الأخير المال دفعات، وأعطى التعليمات بأن لا يأكل المريض فاكهة، ولا لحماً، وأن لا يشرب عصيراً، وكل ما من شأنه تقوية الجن إلى أن يخرجوا من جسد ذلك المريض؟!!. ومنها مقالة [رئيس تحرير على إنتاج الآخرين يغير][٤][٥].

د-العنوان المبني على التساؤل:

مثل مقالة: [أين هو الحق][٦]. وفيه كتب الشيخ حول حضارة الإسلام وأصالتها، وأنها تستمد دعائمها من الإسلام وشرائعه السمحة ومقالة: [لماذا هذا

---

(١) من جهاد قلم، في النقد، ص٣٢٩.
(٢) فواتح الجزيرة، ص٤١٨.
(٣) المرجع السابق، ص٤٢٧.
(٤) من جهاد قلم في النقد، ص٣٢٧.
(٥) سبق عرض المقالة في هذا البحث، ص٨٥، عند الحديث عن المقالة الأدبية.
(٦) مجلة المنهل، ع ٤٢٢، ص١٣١.

الإسراف في المجاملة؟][١]. ومقالة: [ماذا ينقم منا هؤلاء؟][٢]. ومقالة: [لماذا لا يدرس العلماء؟][٣]. ومقالة: [على من تقع المسئولية؟][٤].

هـ- العنوان المقتبس:

من القرآن مثل: [كنتم خير أمة أخرجت للناس][٥]. ومثل: [بيوت أذن الله أن ترفع][٦]. ومثل: [لقد كان في قصصهم عبرةَ][٧]. والعنوان المقتبس من الشعر مثل [أريد حياته ويريد قتلي][٨]. ومثل: [ما هكذا يا سعد تورد الإبل][٩]. ومثل: [وطني لو شُغلت بالخلد عنه][١٠]. أو مْن مَثَلِ سائر كما في مقالة بعنوان: [أول الغيث قطر][١١]. ومقال بعنوان: [أطرق كَرَا ياً ابن إدريس][١٢].

و- العنوان الغامض:

ولابد من إعمال الذهن وقراءة كامل المقالة لتفسيره ومنه: [دعوني وعقلي معي][١٣]. ومقال [ونريد أيضاً][١٤]. ومقال [بيننا وبينهم][١٥]. ومقال [لقد طلبت مني شططاً][١٦].

---

(١) من جهاد قلم، فواتح الجزيرة، ص٥١٢.

(٢) المرجع السابق، ص٣٠٢.

(٣) المرجع السابق، ص٥٢٦.

(٤) المرجع السابق، ص٤٥٦.

(٥) المرجع السابق، ص٣٠٦.

(٦) المرجع السابق، ص٤٨٢.

(٧) المرجع السابق، ص٥٤٢.

(٨) المرجع السابق، ص٤٠٢.

(٩) المرجع السابق، ص٤٥.

(١٠) مجلة الحرس الوطني، العدد ١٩، السنة الخامسة، رمضان ١٤٠٤هـ، ص٢٠.

(١١) المرجع السابق، ص٣١٢.

(١٢) المجلة العربية، ع٩٣، السنة ٩، المجلد ٢٤، ١٤٠٥هـ، ص٢٢.

(١٣) من جهاد قلم، فواتح الجزيرة، ص٢٩٥.

(١٤) المرجع السابق، ص١٣٦.

(١٥) المرجع السابق، ص٥٣٧.

(١٦) المجلة العربية، المجلد ٢٧، السنة العاشرة، شوال ١٤٠٦هـ، ص١٠٥.

ز- العنوان المعتمد على جرس الألفاظ:

مثل: [أبخص وأبخس][(١)]. ومقال: [أخذه من هنا ووضعه هنا وقال مؤلفه أنا][(٢)].

٢- المقدمة:

ترتبط المقدمة ارتباطاً قوياً بعنوان المقالة وتعد أحد الأجزاء الرئيسة في هيكلها، فينبغي أن تكون جاذبة للقارئ حاملة إياه على متابعة المقالة إلى نهايتها[(٣)]؛ وتتكون المقدمة من معارف مسلم بها لدى القراء، أو فكرة عامة أو خاطرة، وربما اشتملت المقدمة أيضاً على خبر أو حدث من الأحداث المهمة الجارية، أو مشكلة أو حكمة مأثورة أو مثل معروف أو قول لمفكر أو كاتب أو قصة قصيرة[(٤)].

والمقدمات في مقالات الشيخ عبد الله ابن خميس تتنوع، ولا يلتزم فيها طريقة واحدة، إنما يجمعها عنصر الجاذبية والتحفيز والتشويق، مما يعين على تهيئة القارئ، وشحذ عاطفته، وهي تمهيد للمقالة ينشئها فتكون صدراً لها. ومن أشكال المقدمات المقالية عند ابن خميس:

أ- المقدمات الدالة على مضمون المقالة وهي الغالبة نظراً؛ لأن أسلوب الشيخ واضح ومنهجه سهل.

ومن ذلك مقالة [دور الفرد في تكوين الأمم][(٥)]. وفيها يقول: (قد تختلف الوسائل والسبل، وتتغاير الأساليب والاتجاهات في حياة كل أمة تنشد المجد وتطلب السعادة ولكن شيئاً واحداً لا يختلف، ودعامة ثابتة لا تتغير؛ ذلكم هو الفرد.. تتكون منه مجموعة الأمة فبقدر صلاحه كلياً أو نسبياً، تصلح الأمة).

---

(١) من جهاد قلم، في النقد، ص٣٣٧.

(٢) المرجع السابق، ص١٢٣.

(٣) المقالة الأدبية ووظيفتها في العصر الحديث. عطاء كفافي، ص٥٥.

(٤) فن المقالة. محمد يوسف نجم، ص١٢٥.

(٥) من جهاد قلم، فواتح الجزيرة، ص٢٩١.

ويمضي الشيخ من خلال هذه المقدمة إلى موضوعه، وهو دور الفرد في رقي أمته، والمجالات التي يجب أن يساهم فيها. ومنها مقالة [سوق عكاظ في الجاهلية والإسلام تاريخه، نشاطه، وموقعه](١).

والمقالة استعراض لمؤلف للدكتور ناصر الرشيد حول سوق عكاظ، فنرى الشيخ يبدأ بمقدمة دالة دلالة واضحة وصريحة على موضوعه، حيث يقول (هذا هو أحدث مؤلف عن سوق عكاظ للأستاذ ناصر بن سعد الرشيد، صدر عن دار الأنصار بالقاهرة وتبلغ صفحاته "١٧٦" عدا الفهارس).

وبعد هذه المقدمة يدلف إلى موضوعه؛ مبيناً مصادر المؤلف التي استقى منها مادة الكتاب طارحاً آراءه حول جميع جوانبه، مصوراً بعض ما وقع عليه المؤلف من حقائق تاريخية وأدبية صحيحة.

وكأن هذا النوع من المقدمات تلخيص لمضمون المقالة، ويطغى هذا النوع على مقالات الشيخ.

ب- المقدمة القصصية: وهي التي يبدأها بإيراد قصة يدلف منها إلى جوهر موضوعه ومنها:

[حكمك جائر يا هذه؟!](٢) وفيها يقول: (أصدرت جوهرة المزيد حكماً بالإعدام على الشعر الشعبي في جزيرة العرب، وكان هذا الحكم بمثابة قنبلة من النوع الشديد الانفجار.. لا أدري هل هي كذلك أو أنها خبطت خبطتها نتيجة لفورة ذهنية، ونزوة فكرية ومماحكة تقليدية، وقالت رقع يا مرقع.. وعهدي بهن يصدرن في أحكامهن عن روية، وتكون أحكامهن عادلة، وما قصة أختها تلك التي رأت من زوجها القاضي جنفاً في حكمه، وشططاً في قضائه فقومت عوجه، وأصلحت شططه، فمدحها الشاعر وغمز القاضي فقال:

---

(١) من جهاد قلم، في النقد، ص٢٣٣.

(٢) المرجع السابق، ص١٠١.

وقاض تُعَطَّل أحكامه وأحكام زوجته ماضيه
فياليته لم يكن قاضياً ويا ليتها كانت القاضية

ويدلف ابن خميس من خلال المقدمة القصصية إلى موضوعه، وهو الدفاع عن الأدب الشعبي. ومن المقدمات القصصية ما ورد في مقال [أريد حياته ويريد قتلي][١]. وفيها يبدأ بإيراد قصة عاشها الشيخ يقول: (إنه في يوم من الأيام قد ضمني مجلس استبد به الحديث عن السياسة العالمية، وطفق المتحدثون يتابعون خواطرهم ذات الشجون من هنا ومن هناك، حتى انقبضت دائرة الحديث في محيط العرب، والسياسة العربية لتعلو الأصوات، ويحتدم النزاع ويكثر التأفف والتحسر).

ويدلف ابن خميس من هذه المقدمة القصصية إلى موضوعه، وهو بيان حال العرب اليوم، وما يجب عليهم أن يفعلوه ليستردوا كرامتهم وأمجادهم، ويعدد الشيخ مآثر المسلمين الأوائل.

ج- المقدمة الاستفهامية:

وغالباً ما يقدم الشيخ سؤالاً من أجل إثارة الانتباه، وشد القارئ إلى ما سوف يقوله، ومن ذلك مقالة [أبو زيد في الرياض][٢]. بدأ ابن خميس المقال متسائلاً (هل نسيت أبا زيد هذا)؟ ألم تصحب يوماً ذلك العلامة اللغوي؛ القاسم ابن علي بن محمد بن عثمان المعروف بالحريري في مقاماته، وتتصور بطل هذه المقامات الذي شرّق وغرّب، وأنجد وأتهم وصال وجال، وتلون وتمون؛ ذلك هو أبو زيد السروجي، وتلك هي مغامراته وحكاياته) ومن ثم يدلف ابن خميس إلى إيضاح الشبه بين أبي زيد هذا، والمحتال ابن الوطن الذي حصل على شفقة، ودعم الآخرين بحيل شتى؛ نقلها من مكان إلى آخر، وتأتي الحقيقة في نهاية المقال، وهي أنه ليس من ذاك العوز في شيء.

(١) من جهاد قلم، فواتح الجزيرة، ص٤٠٢.
(٢) المرجع السابق، ص٤٢٢.

ومقال [ونريد أيضاً][١]. وفيه يبادرنا بمقدمة على صورة استفهام قائلاً: (ما هو الإصلاح الذي يريد هؤلاء؟ سمعت غير واحد يردد هذه الجملة، وما شككتُ في أن من سمعتُ يردد ذلك أحد رجلين: إما رجل مغالط في الحقائق نفسها، وإما قصير إدراك)

ثم يدلف إلى موضوعه وهو مباركة الخِطط التي تنتهجها البلاد للنهوض بكافة قطاعات الدولة الخدمية.

د-المقدمة القائمة على الخبر:

كأن يكون خبراً سياسياً، أو خبراً اجتماعياً كوفاة مفكر أو أديب أو شخصية مرموقة أو من الأخبار العلمية وذلك واضح في مقالة [الذي نريد من العهد الجديد][٢].

حيث قدم بقوله (في ١٣٨٠/٧/٣هـ ودعت البلاد وزارة، واستقبلت أخرى، وطوت مع ذلك صفحة حياتها، ونشرت أخرى).

ومقالة [البيان الوزاري وتحرير الرقيق][٣]. حيث بدأ المقال بقوله: (لا شك أن بيان الوزارة الجديد لم يسبق أن عرفتْ مثله البلاد، فهو جريء وصارم ودال على فهم مستوعب لنفسية الشعب، وتطورات الزمن، وهو مع ذلك يتسم بطابع الجدية والإصرار).

ومقالة [مات الزيات][٤]. يقدم لمقالته بقوله: (بالأمس القريب هوى ركن من أركان الأدب، وهوت دعامة من دعاماته، وأصيب في سويداء قلبه، بالأمس حملت لنا الأنباء موت الأستاذ الكبير بحق أحمد حسن الزيات).

---

(١) من جهاد قلم، فواتح الجزيرة، ص١٣١.

(٢) المرجع السابق، ص٤٧٢.

(٣) المرجع السابق، ص٤٦٧.

(٤) المرجع السابق، ص٣٥٤.

ومقالة [فكرة لها فوائد ومزايا، بحيرة ماء قرب الرياض][١]. يقدم للمقال بخبر علمي حدثه به أحدهم فيقول: (قال لي محدثي: إن إحدى الولايات الأمريكية يضخ لها الماء من مسافة ألفي ميل، وقال: إن ولاية أريزونا قد اتخذت بحيرة صناعية؛ يضخ لها ماء البحر من مسافة طويلة).

هـ- المقدمة المقتبسة من النصوص الشرعية والشعر والمثل والحكمة:

مثل مقالة [ربنا عليك توكلنا][٢] يقدم ابن خميس للمقال بقوله: (باسمك اللهم نستلهم الرشد، ومنك نستمد العون، وعليك نعقد الأمل)، ومقال [استدراك وعتب][٣] قدم للمقالة بقوله: (لقد طبقت المفصل، وأصابت المحز، الحكمة القائلة من صنَّف فقد اُستهدف).

و- المقدمة التي يبحث فيها الشيخ أصول اشتقاق كلمة عهد بها لموضوعه:

مثل: [البداءة لا يغالط بها][٤]. يبدأ الشيخ قائلاً: (تقول كتب اللغة ألفتُ بينهم تأليفاً إذا جمعت بينهم، وألفت الشيء تأليفاً، إذا وصلت بعضه ببعض، ومنه تأليف الكتب..).

ز- وقد تأتي مقدمات الشيخ تعريفاً لخلق أو فضيلة أو صفة يريد الحديث عنها:

ومنه مقالة [فلسفة الحب][٥]، حيث يقول: (يفلسف الشاب الظريف هواه، ويعلن فحواه، فيصطنع السلوان، ويتأبى على الحب، فيجرد من نفسه شوقاً فيناغيه ويناجيه، ويحمله على إعلان حبه، وإظهار وجده) ثم يدلف إلى نقد أولئك الشباب، وما يتصورونه مما يهدم ولا يبني).

---

(١) من جهاد قلم، فواتح الجزيرة، ص٢٠٢.

(٢) المرجع السابق، ص١٥.

(٣) المرجع السابق، ص٣٧٧.

(٤) من جهاد قلم، في النقد، ص٢٠٣.

(٥) من جهاد قلم، فواتح الجزيرة، ص٥٦٣.

ح- المقدمة الحوارية:

فقد يسوق الشيخ مقالته مبتدئاً بمقدمة حوارية ومن ذلك مقالة [حدثني عائد من الغرب][١]، حيث بدأ الشيخ بقوله: (قال محدثي: هي أخبار مؤلمة تعصر القلوب وتؤذي النفوس، وتأتي بالصداع والغثيان، مالك ومالها.

قلت لمحدثي: دعني أرويها لعلها تجد آذاناً صاغية وقلوباً واعية قال محدثي: وهل غيرت أمتك من واقعها شيئاً، أو أدبتها النكبة أو حنكتها .. إنها كالقطيع يغاديه الذئب، أو يراوحه فيضج عندما يقتاد فريسته منه وسرعان ما يعاود المرتع، وكأن شيئاً لم يكن).

وفي القليل النادر يدخل الشيخ في الموضوع مباشرة، إما لاندفاعه في التعبير عن مشاعره تجاه موضوع معين، أو لأنه يحس أن لا ضرورة للمقدمة في بعض الأحيان، ومن ذلك مقال [يا مسلمون ويا عرب لنا قضية][٢]. حيث باشر الشيخ موضوعه مباشرة قائلاً: (قلت للأخ ياسر عرفات رئيس منظمة التحرير الفلسطينية، وقائد حركة فتح، إن مواقفكم المشرفة تجاه أعداء الله، وأعداء المسلمين والعرب، وما يمثلونه من غرور وصلف بعد أن سلبوا الحقوق، وأراقوا الدماء، واستحلوا الأرض، وشردوا أهلها ... الخ).

ومنه مقال [مرحباً برمضان][٣]، حيث مباشرة يبدأ الشيخ الحديث عن هذه الشعيرة الإسلامية والروحانية يقول: (واليوم نستقبل شهر رمضان تتجلى فيه روحانية الإسلام، وتسمو فيه النفوس المسلمة إلى ملكوت الله، وتنزع عن شهواتها وملذاتها إلى خالقها وبارئها، فمرحباً به شهر المساواة، وشهر الفضل والرحمة، وشهر التهجد، وتلاوة القرآن).

---

(١) من جهاد قلم، فواتح الجزيرة، ص٦٩.

(٢) المرجع السابق، ص٤٠.

(٣) المرجع السابق، ص٤٣٥.

ومما يلاحظ على مقدمات الأديب ابن خميس أنها مطولة وغير موجزة.

كما ونلمح في المقدمات اتكاءً ذكياً على عاطفة القارئ، وعادة يلجأ إلى ما يثير مكامن نفس القارئ مع القضية المطروحة، وما يزرع في نفسه استعداداً نفسياً لتقبل مضمون المقالة.

٣- العرض:

العرض يلي المقدمة، ويشتمل على عناصر الموضوع الرئيسة التي يسعى الكاتب إلى شرحها لقرائه إذ إنّ نجاح المقالة يتوقف على نجاح الموضوع المتناول، والموضوع يتوقف على قيمته أولاً، وصدق كاتبه ثانياً، وإيمانه بما يكتب ثالثاً، والموضوع يعتمد أيضاً في نجاحه على طريقة أداء الكاتب، وعلى صحة عرضه لعناصره، وعلى حسن ترتيبه لها؛ وبناء على ذلك فإن عرض المقالة عرضاً صحيحاً هو الذي يؤدي بها إلى التفوق، ولعل من أبرز طرق العرض السليم:

أ- تناول فكرة الموضوع بالشرح والتحليل.

ب- المنطقية والتأييد بالبراهين والأدلة.

ج- الإثارة والتشويق.

د-وحدة الموضوع؛ لأن تعدده يشتت جهد الكاتب والمتلقي(١).

ونتناول مقالاً نقدياً لابن خميس نموذجاً للعرض هو مقال [نقد كتاب الشوارد](٢).

وهي مقالة نقدية رد بها على من أسمى نفسه قارئاً الذي أبدى ملاحظاته على كتاب الشوارد.

---

(١) المقال وتطوره في الأدب المعاصر. السيد مرسي أبو ذكرى، ص٧١.

(٢) من جهاد قلم، في النقد، ص١٧٥.

حيث تناول الشيخ في عرض مقالته فكرة موضوعه بالشرح والتوضيح، فبين أنه يرحب بالنقد الهادف الحصيف، وأن له جولات أخرى في النقد يعرفها من تتبعها، وأنه ذو صدر رحب يتقبل ما عسى أن يكون من صلَف بعض النقاد حينما يجدون في آثاره مهمزاً أو مغمزاً، وكذلك يرى الشيخ أن النقد له فائدة، بل فوائد، ويعددها، ومنها أن النقد حي وأنه من مقومات الأدب والثقافة في أي أمة.

ويؤكد أنه ممن يُعنى بجانب النقد، ويعمل له ويحرص على نموه وازدهاره، ويطرح حقيقة وهي أن الأثر مهما بلغت قيمته سمواً وعلواً ومهما بلغ صاحبه تمكناً، وإدراكاً لابد أن يتأتى عليه النقص، ويجد فيه الناقد ما يجد، وهذا منذ عصر التدوين إلى يومنا هذا، وأن المتفرد بالكمال هو الله جل وعلا.

ومن ثم يشرح ابن خميس فكرته التي بنى موضوعه عليها، وهي أن الأثر المنقود يمر بمدرجة دَحْضٍ مُزِلّة زَلِجَة تَسِمُهُ بما تَسِمه به، قلة وكثرة، فتترك به ندوباً وآثاراً سيئة؛ ربما أحياناً تخفي المعالم وتطمس الآثار، وأحياناً تترك به ما يترك الجدري في وجه الحسناء ألا وهي المطبعة وتطبيعاتها، فلا يمكن أن يخلو منها أثر، ولا يسلم منها مطبوع، فإذا كان الناقد حصيفاً ومدركاً لهذه العلة، ورفيقاً بالمنقود عرف التطبيع من الخطأ في صلب الأثر وميز بين هذا وهذا فنبه على هذا، ونقد ذلك، وإن كان ممن يقفز فرحاً بالغلطة إذا وجدها مصنوعة كانت، أو مطبوعة، كال للمنقود بالأكبر وجهلّه وتنقصه.

ويؤيد ما ذهب إليه بالبراهين والأدلة؛ ومنها: أن مجلة اليمامة عندما قرظت الكتاب تحية له، واستقبله أحد كتابها بتحية ووجهة نظر، ولا يحق للناقد أن يُعارض الناس في أفكارهم، فيوجه ابن خميس الناقد إلى أن يقول ما عنده، وأن يترك كلاً ورأيه.

والدليل الآخر: أن مجلة العرب لا يجب أن يفهم من اختصارها أثناء تعريفها بالكتاب؛ أن المجلة قابلته بما يستحقه كما رأى الناقد، ولكن تلك المجلة لها باب اسمه مكتبة العرب، تُعرِّف فيه بمجموعة من الكتب عادة وكان كتاب الشوارد من بينها.

ويورد برهاناً على عدم موضوعية الناقد حينما قال لا أجدني في حاجة إلى وصف هذا الكتاب ولا التنويه بقيمته، والذي انتقده الشيخ قائلاً: (أتترك هذا الكتاب مجهولاً للقارئ كلياً، وتحاول أن تفرغ الشحنة التي تختبئ خلف النقد مباشرة، ولو كنت لبقاً يا ناقد، وحصيفاً لأديت رسالة النقد كاملة، ولم تترك ثغرات يولج عليك منها ولا بأس حينئذ أن تدس السم في الدسم، وتفرغ ما لديك)[١].

والبرهان الأخير الذي أورده الشيخ هو أن هذا الناقد لم تكن لديه الشجاعة الكافية لإظهار اسمه، وأنه اختبأ خلف وصف مستعار، وما هكذا صفة الناقد الحر، أو من يغار على تراث العرب، ولسان الأمة.

أما عنصر التشويق والإثارة: فيمكن في استعراض مواطن النقد من خلال الأبيات، وتفنيدها من قبل الشيخ تفنيد الأديب العالم البارع العلامة، مدخلاً عنصر السخرية والتقليل من شأن ذلك الناقد.

ومنه قوله: (يقول الناقد حيث لم ألبث أن قرأت أول بيتين في الكتاب وهما فاتحة تمثل منه بيت القصيد:

جميع الكتب يدرك من قراها ملال أو فتور أو سآمه
سوى هذا الكتاب فإنّ فيه بدائع ما تُملُّ إلى القيامه

ويعني الناقد الذواقة أن هذين البيتين هما أحسن ما في الكتاب سخرية؛ حيث وصفهما ببيت القصيد، وهو بين أمرين في حكمه؛ إما أن يكون ذلك [مبلغهم من العلم] و إما أن يغالط في الحقائق التي سوف يكشفها قارئ الكتاب)[٢].

ومن الإثارة أيضاً ما رد به على الناقد من كونه اختار شعر ابن سكرة، وهجاء الجاحظ، وأنّ ذلك فيه نقل للقارئ من باب الجد إلى باب الشعر المازح،

---

(١) من جهاد قلم، في النقد، ص١٧٦.

(٢) المرجع السابق، ص١٧٧.

غير المسف، ومن قبيل الترويح والمفاكهة، وللشعراء مفارقات ولهم مبالغات هي حلية لجيد الشعر ومنتقاة، وصفة بارزة في كيانه ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ﴾ "سورة الشعراء، الآية ٢٢٦". ولذا كان للأكياس الكمل من خيرة هذه الأمة نظرة خاصة للشعر، يغضون الطرف عن مبالغاته، ويضفون غلالة التسامح عن هفواته، ويجيزون فيه ما لا يجيزون في غيره، فإذا وجدتَ في هذا الكتاب ضرباً من هذا الضرب، فكن به رفيقاً، ولتكن بسلفك أسوة، ولكن يبدو يا هذا أن وضعك مع هؤلاء غير وارد[١].

ومن التشويق في هذا المقال ما أورده ابن خميس من قصة مرحة تضمنت رداً على نقد القارئ لبيت من إنشاء الشيخ وهو:

إن الحياة هي الصراع فكن بها   أسداً يصارع أذؤباً وأسودا

حيث قال الناقد: إنّ الأسد لا ينحط لمصارعة الذئب، وما رأينا أسداً انحط إلى مصارعة ذئب؛ يقول ابن خميس متهكماً ساخراً: (ويبدو أن أخانا الناقد متشنفر عاش مع السباع، فعرف عنها كل شيء حينما قال ما رأينا ولم يقل ما قرأنا أو نُقل إلينا، وما أراد هنا أن تكون الرؤية علمية، فهو بعيد عن هذا الجو؟! وما دامت المسألة يا هذا مجازية، وما دام المرء عند الاقتضاء ينازل من هو دونه بمراحل؛ فلماذا تنكر هذا؟ وهلاّ قرأت القصة المشهورة التي جاء فيها (من علمك هذا القَسْمَ المنسمحَ قال: هذا الذئب المنسدح ومن الذي ضرب الذئب حتى سدحه ألم يكن الأسد يا شنفرى هذا البلد؟!!)[٢].

ونختم بعنصر تشويقي أضافه الشيخ عندما رد على الناقد حول البيت الذي أنشأه الشيخ ابن خميس وهو:

---

(١) من جهاد قلم، في النقد، ص١٨١.

(٢) المرجع السابق، ص١٨١.

علِّمْ سقيَم العقلِ ثم اصطد به   وكذا للصيد المُعلّمُ يُدْفعُ

حينما قال الناقد أن البيت به خطأ؛ لأن سقيم العقل لا يصلح معه التعليم، ويرد الشيخ (أن هذا خطأ لأن التعليم يُصلّح مع من لا عقل له أصلاً كالحيوان، فكيف بمن لديه عقل، ولكنه معلول؟! هو يا هذا يتعلم ولكنه يصبح آلة يصرفه من يصرفه، وما أقربه ممن يستخدم بعض الناس ليكتب له في النقد) ولقد ضربت له مثلاً بكلب الصيد؛ وما قاله الله عنه ﴿**مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ**﴾ "سورة المائدة، الآية: ٤". أو ما تعلم يا ذكي أن بهلولاً المجنون له أخبار ونوادر وأشعار، يأخذ عنه الخلفاء ويستطيبون كلامه، فهل هو ولد متعلماً وأنه تعلم وهو مجنون، ومنقودك يا هذا يتكلم عن ناقص العقل لا عن المجنون، فكيف تنكر عليه؟!)[١].

أما وحدة الموضوع فقد توفر هذا العنصر المهم بشكل جلي في هذا المقال حيث يدور حول نقد (الناقد) لكتاب الشوارد جزءاً جزءاً وبيتاً بيتاً، وإن كان الشيخ يستطرد أحياناً لتأكيد آرائه النقدية ويستمد معلوماته من التراث العربي الأصيل، ومما تقدم يتضح لنا أن المقالة النقدية السابقة لابن خميس تمثل عرضاً جيداً سليماً، ومن عوامل نجاحها ثقافة الشيخ الواسعة، وتمكنه من اللغة الأدبية العالية.

٤- الخاتمة:

الخاتمة غالباً هي ثمرة المقال، ونتيجة طبيعية للمقدمة والعرض، ويهدف الكاتب من إيرادها إلى تجميع عناصر المقالة في صورة تتميز بالتركيز، والتثبت في نبرة حية تبرز روح المقالة كلها، ومع هذا فإن لكل كاتب طريقة

---

(١) من جهاد قلم، في النقد، ص١٨٣.

وخطة يتبعها في كتابة مقالاته وبما في ذلك الخاتمة، وهذه الطريقة مبنية على تجارب الكاتب ودوافعه[١].

ومن خلال دراسة المقالات التي كتبها الشيخ، نلمس ظاهرة عامة في غالب المقالات، وهي اختتامها بآيات من القرآن الكريم بنصها كاملاً، أو اقتباس عبارات وألفاظ من القرآن الكريم، فهي خواتيم صبغها بصبغة دينية، تكشف عن شخصيته المؤمنة التي تستمد فكرها، ومنهجها من تعاليم الله عز وجل، وخواتيم مقالات الشيخ أخذت الأشكال التالية:

أ- الخاتمة المقتبسة من القرآن الكريم والسنة المطهرة:

وتكون بمثابة الاستدلال والاستشهاد على ما جاء في المقالة، ومن ذلك خاتمة مقال [الإسلام والقومية العربية][٢].

يقول: (وسنرى أن التاريخ يعيد نفسه، وأن هذا النداء سينفذ إلى أعماق القلوب، ومن ثم يحدث في الأمة الإسلامية انقلاباً له ما بعده **﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾** سورة الرعد، الآية: ٣٨.

ومقال **[لقد كان في قصصهم عبرة]**[٣]، حيث ختم المقال بقوله: (فليس منا من دعا إلى غير ديننا، ولا من سعى إلى تقويض كياننا، **﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ﴾**"سورة الممتحنة الآية: ١".

ومقال [لماذا قلنا كلمتنا][٤]. ختم مقاله بقوله: (ولأجل هذا وحده نزلت الجزيرة إلى الميدان لتنافح عن مبدأ وتذب عن عقيدة، راجين أن نكون ممن جاء فيهم **﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾** "سورة العنكبوت الآية: ٦٩").

---

(١) الأسـلوب. أحمد الشايب، ص٩٥. وانظر: المقالة الأدبية ووظيفتها في العصر الحديث. عطاء كفافي، ص٥٦.

(٢) من جهاد قلم، فواتح الجزيرة، ص٥٥٢.

(٣) المرجع السابق، ص٥٤٢.

(٤) المرجع السابق، ص٥٣٦.

ومن تلك الخواتيم المقتبسة من القرآن، مقال [دروس من حجة الوداع][١]، ومقال [الذي نريد من العهد الجديد][٢]، ومقال [البيان الوزاري وتحرير الرقيق][٣]، ومقال [الحياة والعمل صنوان][٤]، ومقال [أدب الشيوخ وأدب الشباب][٥]، ومقال [يوم الجزائر][٦]، ومقال [أعد التأمل يا ناقد][٧]، ومقال [نقد كتاب الشوارد][٨]، ومقال [وهم من جريدة الشرق][٩].

وغير ذلك، حيث خواتيم الشيخ المقتبسة من القرآن والسنة كثيرة جداً يصعب طرحها جميعاً في هذا الجزء من البحث.

ب- الخاتمة المشتملة على رجاء أو دعاء:

من مثل مقاله [فجر جديد في عالم الصحافة][١٠]، حيث ختم بقوله: (نأمل أن تكون صخرة لا تزحزحها نكباء عاد)، ومقالة [مات الزيات][١١]، حيث ختم الشيخ مقالته قائلاً: (رحمك الله يا زيات، وأفاض على قبرك سحائب الرضوان، وشآبيب العفو، لقاء ما قدمته لأمتك من مآثر، طبت وطاب ذكرك، وأعلى الله في الصالحين ذكرك).

(١) من جهاد قلم، فواتح الجزيرة، ص٥١٨.
(٢) المرجع السابق، ص٤٧٢.
(٣) المرجع السابق، ص٤٦٧.
(٤) المرجع السابق، ص٤٠٧.
(٥) المرجع السابق، ص٣٢٨.
(٦) المرجع السابق، ص٧٩.
(٧) من جهاد قلم، في النقد، ص١١٧.
(٨) المرجع السابق، ص١٧٥.
(٩) المرجع السابق، ص٣٣٣.
(١٠) من جهاد قلم، فواتح الجزيرة، ص٣٦٣.
(١١) المرجع السابق، ص٣٥٤.

ومقالة [لماذا هذا الإسراف في المجاملة][١]، حيث ختم مقالته بقوله: (فاللهم اجعلهم يثوبون إلى رشدهم، واجعلنا طيبين دائماً في حدود لا تُطْمِع فينا الغير، واجعل المسئولين في دولتنا عن هذا الجانب رعاة مصلحين).

ومقالة [ماذا نريد من لجنة التنمية الاقتصادية][٢]. حيث ختم بقوله: (نرجو أن توفق لمعالجتها، وأن ينال اقتصادنا على يديها ما هي به جديرة من عناية ورعاية؛ ومن ثم تنمية وتزكية).

ج- الخاتمة الاستفهامية:

وفيها يستفهم الشيخ عن أمر تاركاً الإجابة لقارئ المقالة، ولا يخفى ما في ذلك من استثارة العواطف والمشاعر؛ ومن ذلك مقالة [حول ليالي جمادى][٣]. حيث ختم الشيخ مقاله النقدي بقوله: (فما رأي أستاذنا الغزاوي حول هذا؟)، ومنه مقالة [شعوذة ورؤوس فارغة][٤] حيث ختم المقالة بقوله: (فإلى متى ونحن سنظل هكذا طعمة للغباء والجهل والنصب والاحتيال وابتزاز الأموال؟)، ومقالة [خشونة ابن الجزيرة وصبره][٥]، يقول: (فهل سيفعل من بأيديهم مقاليد أمر الشباب؟ ليت وعسى)، ومقالة [الحياة والعمل صنوان][٦]، حيث يقول خاتماً مقاله: (فأي شيء نكون إذا اشتغلنا بالعرض دون الجوهر وبالقشور دون اللباب والمادة دون الروح؟!)، ومقاله [كانوا فبانوا][٧] التي ختمها بقوله: (هل أنت معي يا من وهبت نعمة القلم)؟، ومقال [ثروتنا في مهب الريح][٨]. وخاتمتها تقول: (وسوف لا تبقى لدى الجميع ما لم يحمها العلم والعمل فمتى؟).

---

(١) من جهاد قلم، فواتح الجزيرة، ص٥١٢.
(٢) المرجع السابق، ص١٧٣.
(٣) من جهاد قلم، في النقد، ص٣٤١.
(٤) من جهاد قلم، فواتح الجزيرة، ص٤٢٧.
(٥) المرجع السابق، ص٢٦٣.
(٦) المرجع السابق، ص٤٠٧.
(٧) المرجع السابق، ص٣٧٢.
(٨) المرجع السابق، ص٢٨٤.

د- الخاتمة القصصية:

وفيها يسرد الشيخ قصة موجزة يختم بها مقالته مثل [أنف الظبي وعينه][١] وبها ختم قائلاً: (وهل أتاك حديث الظبي وعينه وأنفه: يقال إن حاسة الشم عند الظبي قوية جداً، وأنه يعتمد على هذه الحاسة حتى ليفرط في الاعتماد، فيرى القانص بعينه ولا يصدقها، بل يذهب يستفتي أنفه هل هذا قانص حقاً؟ فيهرب منه أوْ لاَ فيرتع). ومنها ما ختم به مقالة [فلنحذوا حذو أسواق العرب][٢]. يقول: (روى الأصفهاني أنه اجتمع ناس من العرب بعكاظ منهم قرة بن هبيرة والمخبل في سنين تتابعت على الناس فتواعدوا وتواقعوا ألاّ يتغاوروا حتى يخصب الناس).

هـ- الخاتمة التي تتضمن حكمة:

من مثل مقال [إليكم يا عرب][٣]، والتي ختمها بقوله (ربحت البضاعة ونعمت الصفقة)، ومقال [من واقع أي شعب تستطيع أن تعرفه][٤]، وفيها يختم قائلاً: (وما عاتب الحر الكريم كنفسه، وما حك جلدك كظفرك وما سلك منهجاً أجدى من القدوة الصالحة، وما اتخذ وسيلة أنجح من العمل)، ومقال [أعطني مدرباً أعطك نتيجة][٥]. حيث ختمه الشيخ بقوله: (وإنّ غداً لناظره قريب).

و- الخاتمة النصية:

وهي أن ينقل الشيخ نصاً كما هو دون تغيير، أو تحريف وخواتيم الأديب ابن خميس من هذا النوع شعرية، ومنها مقال [البداءة لا يغالط بها][٦]، حيث يختم الشيخ مقالته بنص البيت:

---

(١) من جهاد قلم، فواتح الجزيرة، ص٢٠١.

(٢) مجلة الحرس الوطني، العدد ٧٨، السنة العاشرة شعبان ١٤٠٩هـ، ص٢٤.

(٣) من جهاد قلم، فواتح الجزيرة، ص٤٨.

(٤) المرجع السابق، ص٤٩٦.

(٥) المرجع السابق، ص٤٧٦.

(٦) من جهاد قلم، في النقد، ص٢٠٥.

وأحياناً على بكر أخينا إذا ما نجد إلا أخانا[١]

عافاني الله وإياكم من أن يجعلنا بمنزلة أخيه بكر. ومنها مقالة [هل أدركنا نقصنا][٢]. حيث ختم بنص البيت الذي يقول:

فإن كنت لا تدري فتلك مصيبة وإن كنت تدري فالمصيبة أعظم[٣]

ومنها مقالة [من أمن العقاب أساء الأدب][٤]. حيث ختمها بنص البيت:

أيا جارتا إن الدما تحقن الدما وفي القتل ما ينجي النفوس من القتل[٥]

ومقالة [دعوني وعقلي معي][٦]. وفيها ختم الشيخ بنقل نص شعري للبارودي:

سواي بتحنان الأغاريد يطرب وغيري باللذات يلهو ويعجب
وما أنا ممن تأسر الخمر لبه ويملك سمعيه اليراع المثقب
ولكن أخوهم إذا ما ترجحت به سورة نحو العلى راح يدأب
ومن تكن العلياء همة نفسه فكل الذي يلقاه فيها محبب

(١) البيت للشاعر القطامي، ذكره ابن خميس في الشوارد، ج٢، ص٥٤٨.
(٢) من جهاد قلم، فواتح الجزيرة، ص٩١.
(٣) البيت للشاعر معاوية الغزاوي، انظر: معجم الأبيات الشهيرة، ص٢٠٧.
(٤) من جهاد قلم، فواتح الجزيرة، ص٢٤١.
(٥) البيت : لم أقف على قائله.
(٦) من جهاد قلم، فواتح الجزيرة، ص٢٩٥.

ومقالة [نعم اقتلوا المعاهدة][١].التي ختمها الشيخ بإيراد النص الشعري الآتي:

لو كنت من مازن لم تستبح إبلي بنو اللقيطة من ذهل بن شيبانا
لكن قومي وإن كانوا ذوي عدد ليسوا من الشر في شيء وإن هانا[٢]

ومقالة [حتّام نهضهما حقها][٣] يختم بإيراد النص الشعري:

وأشد ما ألقاه من ألم النوى قرب الحبيب وما إليه وصول
كالعيس في البيداء يقتلها الظما والماء فوق ظهورها محمول[٤]

ومقالة [ماذا ينقم منا هؤلاء][٥]. وفيها ختم الشيخ مقالته بإيراد النص التالي:

المستجير بعمرو عند كربته كالمستجير من الرمضاء بالنار[٦]

ومقالة [أزهد الناس في الإسلام أهله][٧] حيث ختم بنص شعري للرصافي:

لئن كان ذنب المسلم اليوم جهله فماذا على الإسلام من جهل مسلم

(١) من جهاد قلم، فواتح الجزيرة، ص٩١.
(٢) الأبيات للشاعر قريط بن أنيف، ذكره ابن خميس في (من القائل)، ج٣، ص٦٠٨.
(٣) من جهاد قلم، فواتح الجزيرة، ص٢١٢.
(٤) الأبيات للشاعر أبي العلاء المعري، انظر ديوان سقط الزند، لأبي العلاء المعري، شرح وتعليق د.ن رضا، منشورات مكتبة الحياة، بيروت، (د.ت)، ص١٨٣.
(٥) من جهاد قلم، فواتح الجزيرة، ص٥٢٦.
(٦) البيت للشاعر دعبل الخزاعي ذكره ابن خميس في الشوارد، ج١، ص٢٠٣.
(٧) من جهاد قلم، فواتح الجزيرة، ص٥٠٠.

ثالثاً: اللغة والأسلوب:

لكل نوع من أنواع المقالة أسلوبه الذي يتميز به، والذي يتمكن به الكاتب من التعبير عن إحساسه وإبراز شخصيته[١].

والأسلوب في المقالة هو (ذلك الركن من أركان العمل الأدبي الذي يحتفظ في كل جزء من أجزائه بروح الصورة العامة للأثر الأدبي بأجمعه، وهو روح دالة تنظم العمل الإنشائي، وفكرة تتجلى في صور مختلفة، وهو يكشف عن العلاقات، ويدلي بالآراء، وينظم التنوع في الوحدة)[٢].

ومن أبرز الملامح التي تمنح الجودة، وتوفر الإتقان في المقالة ما يلي:

أ- الوضوح في التعبير وفي الفكرة، ومما يساعد على ذلك حسن الاختيار للكلمات ورصفها في مكانها المناسب، والترابط المحكم الدقيق في المعنى، والاستخدام السليم للتعبيرات دون تشويش أو اضطراب، وحفظ التوازن بين أجزاء الفكرة.

ب- القوة وهي نتاج عاطفة قوية داخلية، تشعل الحرارة في الألفاظ؛ ومما يساعد على ذلك، التعبيرات الخاصة، ووسائل التصوير.

ج- الجمال ومنبع الجمال هو إرضاء رغبة القارئ في الاستمتاع بالنص الأدبي[٣].

ويعتني ابن خميس بالصياغة الأسلوبية عناية لا تقل عن المضمون، فهو يجمع بين جوهر العلوم، وذاتية الفن متأثراً بأسلوب الزيات في تكوين العبارة، وتنويع الصورة والأفكار، فنراه يكثر من الترادف والإطناب والتكرار وطول

---

(١) فن المقالة. محمد يوسف نجم، ص١١٧.

(٢) المرجع السابق، ص١٢٣.

(٣) المقالة الأدبية، ووظيفتها في العصر الحديث. عطاء كفافي، ص٥١.

الجمل، والموسيقى الداخلية ذات الإيقاع البطيء خاصة في عرض مقالاته، وهو من الذين يلتزمون باللغة العربية الفصحى، ويدافعون عنها فهذا ما نراه في جل إنتاجه المقالي، فعندما نقرأ كتاباته نجد البيان يتدفق على لسانه، والعاطفة الصادقة تعبر عن فصاحته اللفظية، وعذوبته المعنوية وسلاسته الفكرية، وليس هذا بكثير على من حفظ القرآن في طفولته، والتزم بألفاظه في كتابته مما أدى إلى جزالتها وقوتها ورصانتها.

وقد ذكر د. عبد الله الحامد في مقالة له مميزات أسلوب ابن خميس قائلاً: (صاغ الشيخ تلك القضايا في مقالاته بأسلوب جزل، فيه اللفظة ينتقرها من قاموس عربي ثري، وفيه الجملة القصيرة الموفقة، والترادف المغني للمعنى، والانتقال السهل الميسور من فقرة إلى أخرى.. ومن امتياز ابن خميس في هذا قدرته على تغيير طريقة معالجته للمقالة، وذلك من خلال الفكرة السريعة الخاطفة نجده في كل ذلك يميل إلى المتانة والفصاحة والتأنق والروية)[١].

ويرتبط غالباً أسلوب المقالة عند ابن خميس بالرؤية الإبداعية، حيث ينبع المقال وأسلوب تحريره من رؤية تحرص على الوضوح والتميز في لغة استقراء تحتفظ باهتمام القارئ ورغبته في المعرفة؛ مما يجعله في حالة ترقب مستمر لما يجئ بعد.

ولعلنا من خلال ما استعرضناه من مقالات نقول: إن شاعرية الشيخ عبدالله ابن خميس انعكست على أسلوبه النثري في مقالاته، وبدا تأثره بالأدب المصري وأسلوب الزيات خاصة.

---

(١) مجلة الفيصل، العدد ٨٨، ١٤٠٤هـ، مقال: (الحركة الأدبية خلال نصف قرن)، ص٦٨.

وتفصيلاً فإن سمات أسلوب الشيخ ابن خميس هي:

أ- الوضوح والبعد عن الغرابة:

يستطيع القارئ أن يفهم أسلوب ابن خميس لوضوحه، وذاك نابع من وضوح الفكرة في ذهنه، ثم في امتلاكه الثروة اللغوية، والقدرة على التعامل مع التراكيب، والعبارات التي تتوافق مع أفكاره، فنراه يهتم بالألفاظ البسيطة المعبرة والعبارات المقنعة والمؤثرة مع الاحتفاظ لهذه العبارات بالسمو والقوة وكثيراً ما يستعين بالعناصر الشارحة أو المقيدة لإيضاح المعاني وتحديدها.

وينحى بأسلوبه عن كل ما من شأنه أن يوجد الغموض، كالتكلف في المحسنات البديعية، والاتكاء المفرط على المجاز، واستخدام الألفاظ الوحشية، أو العامية المبتذلة، واللجوء إلى التراكيب المعقدة. ومن ذلك على سبيل المثال مقال [لغة البادية](١) ومنها (قال بعض الأعراب: نحن أمراء الكلام فينا وشجت(٢) عروقه، وعلينا تدلت غصونه، فنحن نجني منها ما احلولى وعَذُبَ، ونترك ما املولح وخَبُث.

وقال الجاحظ: ليس في الأرض كلام هو أمتع ولا أنفع في الأسماع، ولا أقود للطباع، ولا أفتق للسان، ولا أجود تقويماً للبيان، من كلام الأعراب الفصحاء العقلاء).

وبعد أن أكد الشيخ فكرته من خلال البراهين والأدلة، نراه يواصل طرح موضوعه بأسلوب عربي مبين قائلاً: (في هذه البيئة المتأبية واللغة الصريحة، تربى سيد العرب عليه السلام، وتربى أعلام الخلافة، وكبراء القادة، ونبلاء المجتمع الإسلامي").

---

(١) من جهاد قلم، في النقد، ص٤٥.

(٢) وشج: وشجت العروق والأغصان، اشتبكت، والواشجة الرحم المتصلة، انظر: لسان العرب، مادة وشج، ٣٩٨/٢.

وعن البادية أخذ علماء اللغة فصيحها، وتعملوا في اختيار الأفصح والأبعد عن الحواضر، ومجاورة الأعاجم، فعنوا عناية فائقة بما دونوه، فأخلصوا لغة العرب في صميمها الذين لم ترتضخ لغتهم عجمة، ولم يخدشها شذوذ، ولم يداخلها تقصير. دونوا لغة قريش وقيس وتميم وأسد وهذيل وبعض كنانة وبعض طيئ لقد كان ازدهار لغة العرب بين يدي الإسلام برعيل ممتاز من الشعراء المقاويل، وبصفوة من الخطباء المصاقع، وبصيارفة من النقاد، يزينون ما تفيض به قرائح القوم)[١].

ب- الأسلوب الانفعالي الحماسي:

وذلك من اقتناع الشيخ وإيمانه الكبير بأية فكرة يتبناها، ويتفاعل معها ويتحمس لها، ويدافع عنها بنبرة عالية. ننظر إليه في مقال [إليكم يا عرب][٢]. يقول: (لا أدري ما هو المهماز الذي سوف يحرك وجدانهم، ويوقظ ضمائرهم، ويستثير حميتهم، يا مسلمون يا عرب، ألا صيحة رجل واحد، وهبة حمي أنف وذكي قلب، وأبي نفس ألا عزم على أن نفعل، وإصرار على أن نغسل العار، وانتقال من دور القول إلى دور العمل، وعهد على أن نحيا شرفاء، أو نموت شهداء، مجال العمل لدينا واسع، والغليان في الصدور بحاجة إلى من ينفِّس عنه **﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنْ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمْ الْجَنَّةَ﴾** "سورة التوبة، الآية: ١١١".

ج- استخدام المؤكدات الأسلوبية:

وطرق التأكيد التي رأيناها في أسلوب الشيخ في مقالاته كثيرة، منها أساليب التعجب؛ مثل (فما أحرانا بأن نعي ذلك ونعمل للمحافظة عليه بكل ما أوتينا من قوة)[٣] أو بالنداء والدعاء مثل (يا قوم .. قلّ أن نلتمس لأنفسنا عذراً

---

(١) من جهاد قلم، في النقد، ص٤٦.

(٢) من جهاد قلم، فواتح الجزيرة، ص٢٩٩.

(٣) انظر: من جهاد قلم، فواتح الجزيرة، مقال: (المكاسب التي يجب أن نحافظ عليها)، ص١٦٠.

كاذباً، ونخادعها أو ندخل في بيزنطية الجدل هل الدجاجة من البيضة، أم البيضة من الدجاجة؟!)[١].

أو الاستفهام وإثارة الأسئلة مثل (ما معنى أن يكون أهل حي اللص في القضية الأولى كلهم صلحاء أنقياء بررة، وأنّه هو الشاذ من بينهم، ثم هو يرشوهم كلهم، فيسكتون عن الجريمة، فأين الصلاح والتقى والبر إذن؟!)[٢]، أو بالحوار مثل (قلت لمحدثي دعني أرويها، لعلها تجد آذاناً صاغية)[٣]، أو بالتكرار والتوكيد مثل (وأخيراً، لا أعلم هل هي تدرك مبلغ رضا الناس عنها من عدمه، وإذا كان رضا الناس مطلباً صعباً، فهل تدرك أنها تحوز على نسبة ولو ضئيلة من رضا الناس؟! ربما تعلم أو لا تعلم، ولكن الناس يعلمون)[٤].

وظاهرة التكرار اللفظي فيها تأثر بأسلوب أستاذه أحمد حسن الزيات أو القسم مثل (أنني والله لا أعلم رقماً في مجال الزراعة خطا ببلادنا قدماً في هذا الميدان حتى أظلم نفسي وأخفيه، ولا أعلم ثغرة سدت عن هذا الطريق كانت تفتقر بلادنا إلى سدها ... الخ)[٥].

د-الجمع بين الأصالة والمعاصرة:

حينما ننظر في مقالات عبد الله ابن خميس نرى أنه مزج فيها بين أصالة التراث وقيمه، وبين الأفكار والآراء الحديثة التي تسهم في التطور الفكري والاقتصادي والاجتماعي، وخاصة فيما يتعلق بالنهوض بالوطن واقتصاده.

ولكن يبقى الإعجاب بالتراث، والحفاظ عليه والاستفادة من كنوزه، سمة بارزة في إنتاجه المقالي، ومن شواهد ذلك قوله: (فعلى شبابنا وحده تقع المسئولية، وإليه

---

(١) انظر: المرجع السابق، مقال (أضعف الإيمان)، ص٢٨٦.

(٢) انظر: المرجع السابق، مقال (على من تقع المسئولية)، ص٤٥٦.

(٣) المرجع السابق، مقال (حدثني عائد من الغرب)، ص٦٩.

(٤) انظر: المرجع السابق، مقال (بيوت أذن الله أن ترفع فهل من مجيب)، ص٤٨٢.

(٥) انظر: المرجع السابق، مقال (هذه هي زراعتنا)، ص١٧٨.

تتجه الأنظار وتعقد الآمال، نريده شباباً مثقفاً ثقافة تجمع بين ما تفتقت عنه أذهان علماء العصر، من اختراع وابتكار وفن وإدراك، وبين ما خلفه أوائلنا من ثقافة إسلامية، ومعارف عربية، لكي يجمع بين مواكبة العصر في علومه وفنونه، وبين ما هو عليه من مبادئ ومثل وأخلاق، وإنه لفاعل إن شاء الله)[١].

هـ- العمق والاستقصاء والتحليل:

يستقصي الشيخ أطراف موضوعه، ويحتوي فكرته احتواء كاملاً، ويؤكدها بالشواهد والأدلة والبراهين، وربما وجدنا بذلك تفسيراً للطول المفرط في كثير من مقالاته؛ حيث يحرص على استيفاء الفكرة، وإشباعها معالجة، ولعل خاصية الاستطراد التي نلمسها في كتابات الشيخ ابن خميس المقالية، نتاج ذلك الاستقصاء والتعمق في الموضوع، فقد يتشعب به الحديث في نواحٍ شتى حرصاً على إعطاء الموضوع حقه من الطرح والمعالجة.

ومن ذلك مقالة [سوق عكاظ في الجاهلية والإسلام][٢].

ومقالة [ضياء الدين رجب وديوان ابن المقرب][٣].

ومقالة [الإسلام والقومية العربية][٤].

و- عدم التوثيق:

من السمات العامة في مقالات الشيخ ابن خميس أنه لا يوثق معلوماته التي يطرحها في مقالاته، والأقوال التي يستشهد بها وهذا ما وجدته في كتبه المقالية الثلاثة [من جهاد قلم] التي خلت من توثيق المقالات نفسها، وبيان مصادرها الصحفية وتواريخها، ومن ثم يوجد الكثير من الأقوال ضمن المقالات، والأبيات الشعرية التي لم يشر الشيخ إلى قائليها.

---

(١) انظر: المرجع السابق، مقال (أريد جيلاً متقفاً)، ص٢٥٤.

(٢) من جهاد قلم، في النقد، ص٢٢٣.

(٣) المرجع السابق، ص٢٥٥.

(٤) من جهاد قلم، فواتح الجزيرة، ص٥٥٢.

ولعلنا نجد للشيخ العذر، حيث إنّ معظم مقالاته كتبها من خلال الصحف التي لا تهتم عادة بالتوثيق، وكذا فإنه ينطلق في كتاباته المقالية من ذاكرته وما تختزنه من معلومات وهي تلك الذاكرة الموسوعية، ولأن الشيخ وهو الحجة الواثق من نفسه ومعلوماته دائماً، والمعتز بثقافته الضليع فيها، يرى أنه غير محتاج لتوثيق ما يكتب.

وفي المواضع القليلة التي وجدت فيها توثيقاً لبعض المعلومات المنقولة في مقالاته؛ رأيت أنه اتبع في توثيقه عدة طرق منها:

أ- إن كان قولاً لشخص ما فإنه ينسبه إليه؛ مثل ما جاء في المقدمة النقدية لكتاب إجابة السائل على أهم المسائل للشيخ عيسى بن عكاس يقول: (أما الكاتب الإسلامي الكبير محمد كرد علي فيقول في كتابه (القديم والحديث): (وما ابن عبد الوهاب إلا داعية هداهم من الضلال، وساقهم إلى الدين السمح، وإذا بدت شدة من بعضهم، فهي ناشئة من نشأة البادية، وقلما رأينا شعباً من أهل الإسلام يغلب عليه التدين والصدق والإخلاص مثل هؤلاء القوم)[1].

ب- وأحياناً يذكر المصدر إن كان من صحيفة بذكر اسم الصحيفة، والعدد؛ مثل ما جاء في مقال [على من تقع المسئولية] يقول: (كتب أخي الأستاذ فهد المارك في العدد "١٤٢" الصادر بتاريخ ١٣٧٩/١/١٦هـ من جريدة البلاد مقالاً بعنوان على من تقع المسئولية)[2].

ج- وإذا كان المصدر حديثاً أو لقاءً دار بينه وبين شخص ما فإنه ينص على اسم الشخص ومن ذلك ما جاء في مقال [يا مسلمون يا عرب لنا قضية] (قال لي الأخ ياسر عرفات: لكن أمتك العربية الإسلامية لا تزال تجهل، أو تتجاهل هذا الموقف)[3]. وعندما يتطلب القول ذكر اسم كتاب معين فإنه يقرنه باسم مؤلفه

---

(١) إجابة السائل عن أهم المسائل، الشيخ عيسى بن عكاس، ص١٣.

(٢) انظر: من جهاد قلم، فواتح الجزيرة، ص٤٥٦.

(٣) المرجع السابق، ص٤٠.

سواء ما جاء في المقالات النقدية، التي كتبها حول بعض المؤلفات، أو عندما يجيء اسم الكتاب في نص نوع آخر من أنواع المقالة، ومن ذلك ما ورد في مقالة [قالوا عنا]، (من بين كتب كثيرة تفضل مؤلفوها أو ناشروها بإهدائها إليّ حينما كنت ببغداد عضواً للوفد السعودي في مؤتمر الأدباء العرب، من بين الكتب كتاب اسمه [المملكة العربية السعودية كما عرفتُها] لمؤلفه الأستاذ أمين المميز وزير العراق المفوض لدى المملكة العربية السعودية عامي ١٣٧٣-١٣٧٤هـ)[١].

د-وفي حال استشهاداته الشعرية، فإنه أحياناً يذكر اسم الشاعر وفي أحيان كثيرة يغفله وقد تأتي الحالتان في مقال واحد مثل مقاله [اللعبة في لبنان بعد أن شب عمرو عن الطوق] أورد ابن خميس قول أبي فراس:

ونحن أناس لا توسط عندنا   لنا الصدر دون العالمين أو القبر

ثم يختم ابن خميس مقالته بإيراد بيتين لم يشر لقائلهما:

ولا يقيم على ضيم يراد به   إلا الأذلان عير الحي والوتد
هذا على الخسف مربوط برمته   وذا يشج فلا يرى له أحد[٢]

وأحياناً يقدم الشيخ للأبيات دونما ذكر قائليها بعبارات منها [انشد معي][٣]، أو قوله [ولسان حالهم يقول][٤]، وقوله [سوف يجيبك الصدى قائلاً:][٥]. وقوله

(١) من جهاد قلم، في النقد، ص٢٨٧.
(٢) من جهاد قلم، فواتح الجزيرة، ص١١٧.
(٣) انظر: فواتح الجزيرة مقال (إلى ميادين الشرف يا شباب)، ص٤٤٢.
(٤) انظر: فواتح الجزيرة، مقال (لقد كان في قصصهم عبرة)، ص٥٤٢.
(٥) المرجع السابق، ص٥٤٧.

[وكأنما عنانا سلفنا الذي يعيش طبيعة عيشنا إذ يقول:][١]، وقوله [واقرأ معي][٢]، وقوله [وقديماً قال العرب:][٣].

ولم يكن الشيخ عند إيراده الآيات القرآنية، وهي كثيرة جداً والأحاديث الشريفة مستشهداً بذيل الآية باسم السورة، ورقم الآية، كذا لم يكن يذيل الحديث بدرجة صحة وروده عن الرسول صلى الله عليه وسلم وهذا في رأيي نتيجة لتمكنه من العلم الشرعي، والأدلة وثقته في محفوظه منها.

رابعاً: اللغة والألفاظ:

تعد الألفاظ لبنات أي عمل أدبي وعليها يقوم، وحتى يتكامل العمل الأدبي لابّد للأديب من العناية بألفاظه عناية بالغة، والاهتمام بإتقانها وإجادتها.

قال أبو هلال العسكري: (الكلام أيدك الله يحسن بسلاسته، ونصاعته وتخير لفظه وإصابة معناه)[٤].

والذائقة اللغوية الفائقة نجدها عند الشيخ الأديب وفي مقالاته في اختيار ألفاظه المعبرة الجزلة، ذات الجرس العالي، وهي ذائقة استمدها من سعة معلوماته، فثقافته الدينية أصيلة منحى، ودراسة، وثقافته الأدبية سليقة، وموهبة ودراسة، وثقافته التاريخية أخذها عن اطلاع وممارسة، وقد ضرب بأسهم عالية في النقد، وثقافته الاجتماعية تلبّسها من خلال معايشته لكثير من القطاعات الخدمية في الدولة، واتصاله بولاة الأمر.

ويتجنب ابن خميس بقدر المستطاع الغريب من الألفاظ، وإن جاءت فعلى سبيل بعث الكلمة وإحيائها.

---

(١) المرجع السابق، ص٢٧٣.
(٢) المرجع السابق، ص٩٣.
(٣) المرجع السابق، ص١١٤.
(٤) الصناعتين، أبو هلال العسكري؛ تحقيق علي محمد البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية.ــ بيروت، لبنان، ١٤٠٦هــ، ١٩٨٦م، ص٥٥.

ومن ذلك ما ورد في مقالة [شيخ من اليمامة] من الألفاظ الغريبة التي تحتاج من القارئ إلى تفسير من القواميس اللغوية (في البرة العليا من بطن "قرقرى" حيث السهول والسهوب والرياض والقيعان، تمتد عشرات الأميال من الجنوب إلى الشمال، وحيث ينتصب جبل اليمامة الأشم العملاق، يطل على هذا البطن من الشرق، تتناوح أنوفه وتتسامى شماريخه، وتبرز قممه، وتشرق صفحاته البيضاء، وجدده الحمراء، تتخللها رعان "بوضة" و"خرشا")(١).

ننظر إلى الألفاظ (السهوب، القيعان، تتناوح، أنوفه، شماريخه)(٢).

وقد يستخدم الشيخ القليل جداً من اللفظ العامي، والأجنبي في مقالاته وخاصة فيما كان موضوعها موجهاً إلى إصلاح المجتمع، وفئات الشباب.

ومن ذلك ما ورد في مقال [أين خشونة ابن الجزيرة وصبره](٣) (فلم يعد للشباب مجال ليخشوشن، ولم يعد لرياضته التي كان يزاولها من أثر، فرياضة ركوب الخيل والإبل استبدلت بركوب الطائرات والسيارات، ومجالس السمر ومحادثة الرجال، واستعراض أمجاد الماضي استبدلت بـــ (الكدشينة) والكيرم وسماع المذياع)(٤).

---

(١) من جهاد قلم، في النقد، ص٢٤٩.

(٢) السهوب: السهب من الأرض المستوي في سهوله والجمع سهوب، انظر: لسان العرب ٤٧٦/١.
القيعان: طين يمسك الماء وينبت العشب، انظر: لسان العرب ٣٠٤/٨.
تتـــناوح: يقال هما جبلان يتناوحان وشجرتان تتناوحان إذا كانتا متقابلتين. أنظر: لسان العرب ٦٢٨/٢.
أنوفه: أعلاه، انظر: لسان العرب ١٦/٩.
شماريخه: خرط بسر النخلة، وشمراخ السحاب: أعاليه، انظر: لسان العرب ٣١/٣

(٣) من جهاد قلم، فواتح الجزيرة، ص٢٦٣.

(٤) المرجع السابق، ص٢٦٥.

ومنها ما ورد في مقالة [ازدهار الأمة ورقيها من وعي شعبها][١]. يقول: (ولمّا أعاد "الإكليشية" وقع في حبالة السائلين)، ومن اللفظ الأجنبي ما ورد في مقالة [مع التحية يا قمة بغداد][٢]، يقول: (وأن تنضم إليه فرق الكومندوس في الجيوش العربية).

وقد يلجأ الشيخ عبد الله ابن خميس في مقالاته إلى تكرار بعض الألفاظ إما تأكيداً مثل قوله: (يا هذا إن من العلم توجيه الغريزة، فأنت تحب أمك غريزة وطبعاً ولكن القرآن جاء وقال **﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاَهُمَا فَلاَ تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلاَ تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا﴾** "سورة الإسراء، الآية: ٢٣". لماذا وجهك القرآن هذا التوجيه ـ وأنت تحب أمك بلا شك ـ أليس من توجيه الغريزة وتهذيبها؟!)[٣]. نلاحظ في ذلك الجزء من المقال السابق وردت لفظة الغريزة عدة مرات.

وقد ساعد تخصص الشيخ ابن خميس في الشريعة إلى جانب اللغة العربية على دقته في استخدام مدلولات الألفاظ الدينية في المضامين، وتوظيفها في تأكيد آرائه وأفكاره ومن ذلك ما جاء في المقالة النقدية [محمد بن سليمان السديس ونقد كتاب أحاديث السمر][٤].

يقول وجاءت الفقرة "العاشرة" تقول: (وقيل إنه من بني صخر من عرب الشمال وهو اسمه فيصل الجميلي) يقول الناقل لا حاجة لنا بالضمير (هو) هنا).

ولا أرى أيها الناقد الكريم غضاضة في الإتيان بهذا الضمير، فكثيراً ما يؤتى بالضمائر لغرض التأكيد، أو التنبيه أو الفصل أو غير ذلك، والله سبحانه وتعالى يقول في كتابه: **﴿إِنْ تَرَنِي أَنَا أَقَلَّ مِنْكَ مَالاً وَوَلَدًا﴾** "سورة الكهف، الآية: ٣٩".

---

(١) من جهاد قلم، فواتح الجزيرة، ص٢٥٩.

(٢) المرجع السابق، ص١٠٤.

(٣) من جهاد قلم، في النقد، مقال: (نقد كتاب الشوارد)، ص١٩٥.

(٤) من جهاد قلم، في النقد، ص١٢٧.

وقوله: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَامُوسَى قَالَ هِيَ عَصَايَ﴾ "سورة طه، الآيتان ١٧، ١٨" وقوله: ﴿ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ "سورة القصص، الآية ١٦".

ومن المقال أيضاً قوله: (وأخذ الناقد في المادة الثالثة عليّ هذا التعبير (وأغراها بأن تذهب بصرة هذا المال لفلانة).

أخذ عليّ الناقد التعبير بالإشارة إلى المال مع أنه لم يرد له ذكر قبل، وقال: وكان الصواب أن يقال بصرة من المال، ونقول للناقد أن هذا الأسلوب مستعمل شائع جاء به القرآن، فلا مجال للاعتراض عليه جاء في التنزيل ﴿قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ(٨)أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ﴾ "سورة النازعات، الآيتان: ٨، ٩". فالقلوب ليس لها أبصار، وإنما الضمير في أبصارها يعود إلى محذوف، تقديره أبصار أهلها خاشعة، ومثل ذلك قوله تعالى ﴿حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ﴾ "سورة ص، الآية: ٣٢". فعاد الضمير هنا إلى غير مذكور، وهو الشمس.

ويحسن اختيار الألفاظ الملائمة لموضوع المقالة ويضعها في مكانها المناسب، ويعرض أفكاره في حلة لفظية رائعة، ويتأنق فيها معتمداً على الجزالة ودائماً ما يشحن ألفاظه بعاطفته المتدفقة نحو أفكاره، فتنشأ تلك الألفاظ متآلفة تؤول بالقارئ إلى التأثر بما يقوله، ويدعو له، ومن ذلك ما جاء في مقالة [ابن عثيمين نابغة قلب الجزيرة][1]. يقول: (ولو كان الأمر كذلك لكثر الشعر والشعراء ولكنه مرقى صعب، وعقبة كؤود، لا يواتي إلا ملكة أصيلة، وثروة لغوية ينتقي الشاعر منها غررها ودررها ويركبها على معاني مبتكرة، وخواطر جيدة ومن بينها تبرز الشعر في حلة جميلة على جسم جميل).

ولعلنا من خلال الإطلالات السابقة على بعض النماذج من مقالات الشيخ استطعنا أن نكشف عن أبرز ما اتسمت به لغته المقالية، التي من خلالها استطاع أن يحرك الشعور، ويرضي العقل.

(١) من جهاد قلم، في النقد، ص٥٥.

خامساً: الظواهر البلاغية:

(إن وظيفة الأديب تسخير نمط ونظام ونسق، يسمح للألفاظ بأن تشع أكبر شحنة تمتلكها من الصور والظلال والإيقاع، ومتى كانت العاطفة قوية وصادقة، فإنها تثير الخيال الذي بدوره يصنع الصورة، والذي بدوره ينثر الجمال في النص)(١).

وتتآزر مع الصورة الفنية، السمات البلاغية المحسنة للنص؛ مثل البديع بأنواعه والاقتباس والتضمين، وتلك الظواهر البلاغية لمعت مشرقة في مقالات الشيخ عبد الله ابن خميس على شيء من التفاوت بين أنواع المقالة التي كتبها، فمثلاً في مقالاته الأدبية وجدنا دفقاً عاطفياً، ورواءً أسلوبياً وانثيالاً فنياً، أما في المقالة الاجتماعية، فقد ضَعُفتْ هذه الخصيصة الفنية لانصرافه إلى الفكرة، وتزخر المقالة النقدية بالاقتباس والشواهد الشعرية، والأمثال والحكم، وذلك ليثبت رؤيته النقدية سلباً أو إيجاباً تجاه النص المنقود.

والتأثير في المقالة الدينية يأتي من خلال استدعاء التراث الإسلامي، وسير الصحابة والتابعين، وقبلهم المثل والقدوة رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم.

وفي التاريخية يطرح فكرته بأسلوب ناصع دونما إقحام لأسلحة المؤرخين ووثائقهم.

أما في المقالة الانطباعية فلا يذهب إلى الإتيان بما استغلق فهمه من الصور والمحسنات، بل يأتي باللفظ واضحاً كاشفاً عما يريد نقله من رؤية تجاه أفكاره، ويخرج المجاز عنده عن النمطية، والاتباع الساذج فيأتي مؤثراً في وجدان القارئ، ومانحاً النص أبعاداً فنية خيالية واسعة، وتتميز الصور الفنية عنده بالعمق ووفرة التفاصيل، والصدق في المعنى، والإحاطة به.

---

(١) النقد الأدبي أصوله ومناهجه. سيد قطب.ـ القاهرة؛ بيروت: دار الشرق، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م، ص٣٩.

كما أن المحسنات الأسلوبية اللفظية من البديع تأتي عفواً في غير مبالغة، ولا إهمال للمعنى الأصلي، وبذلك تزيد النص تناسقاً وجمالاً وانسجاماً؛ ولعلنا نؤكد ما ذكرناه عن تلك الظواهر البلاغية من خلال استعراض النماذج التالية:

١- الصورة الفنية:

يأتي بالصورة الفنية؛ لأنه يدرك ضرورتها وجمالياتها في النص، فنراه يأتي بها حسية مثل (وأحب أن يدرك أخي أن الذي أرمي إليه وأحاوله هو إحياء السليقة العربية بعد أن اندثرت وخمدت)(١).

ومنها قوله: (أتألم من الشظف الذي يجتاح البادية وأشفق على أهلها من وطأة القيظ في حره اللافح، وزمهرير الشتاء في صقيعه القارس)(٢).

ومنها قوله (وانطلاقاً من هذا المبدأ فقد قمت بقراءة وتنسيق وترتيب صياغة كتاب: (ما منَّ به الرحمن) الذي قام بتأليفه الإمام الشهير، والعلامة النحرير، محب الدين أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري رحمه الله، أدعو الله أن ينفع به المسلمين، ويكون الشمعة التي تضيء لهم جانباً مهماً من جوانب القرآن)(٣).

ومنها قوله: (وإذن فلا لوم إذا نام المشروعان العملاقان في عهد رئيس النادي وأمين السوق)(٤).

ومنها قوله: (وإذا وصلوها واقتعدوا من بساطها السندسي مقعدهم، فسيكون منظراً يأخذ الألباب، ويستهوي المشاعر ويمتع النفس، روضة كالبساط الأخضر

---

(١) انظر: مقالة بعنوان: (لقد طلبت مني شططاً وأنا لا أدعو إلا إلى الشعر الفصيح)، المجلة العربية، ع١٠٥، المجلد ٢٧، السنة ١٠، شوال ١٤٠٦هـ، ص١١٣.

(٢) انظر: مقالة (حالة المعيشة في البادية)، مجلة اليمامة، عدد ١٢، ذو القعدة ١٣٧٣هـ، ص١٤.

(٣) انظر: مقالة مقدمة كتاب (إملاء ما من به الرحمن)، ص٤.

(٤) انظر: مقالة (سوق عكاظ والنادي الأدبي بالرياض، همزة وصل بين الحاضر والماضي)، من جهاد قلم، فواتح الجزيرة، ص٣٢٠.

المغدف[١]، يطرزها الزهر، وتتراقص بجوارها الغدر، تجعدها الصبا فتبعث منها ريح الشذى، وعَرْف[٢] الطيب، وتقوم الدهناء بحمرتها القانية إلى جانبها، ويمتح الضحى فتتلاقى خضرة الروض بحمرة الدهناء، بزرقة السماء، ببياض الشمس، ويصدح الطير، فتتناغى لغاته، وتختلف شياته[٣][٤].

ومن الصور الفنية المعنوية قوله: (باسم ذلك كله وَجَدَتْ المبادئ الهدامة، والأفكار السوداء طريقاً إلى مجتمعاتنا الشرقية، وهنا تنفس البركان، وانفجر الحقد الأسود)[٥].

وقوله: (ولسنا في شك من أن ما يُجعجع به هؤلاء ويفترون باطل، أجهدوا أنفسهم في أن يلبسوه لباس الحق، ويسخروا أجهزتهم الدعائية، وأشياعهم المأجورين لمشايعته)[٦].

ومنها قوله: (هل تصورت أنه ينبع من صميم البادية، وينداح من ربوات الجزيرة وفلواتها، وأن الملاصقين لفارس والواغلين بمبادئهم الهدامة أجهل الناس بهذا الشعر وفنونه)[٧].

ومنها قوله: (ومنذ أن تقلص ظل الخلافة الإسلامية، وانكمش الوازع الديني والدعوة إلى الله في العواصم الإسلامية)[٨].

---

(١) المغدف: الواسع وعيش مغدف: ملبس واسع، والقوم في غداف أي في نعمة، انظر: لسان العرب، ٩/٢٦٣.

(٢) عَرْف: الريح الطيبة، انظر: لسان العرب، ٩/٢٤٠.

(٣) شياته: أنواعه، انظر: لسان العرب ٣/١٠٦.

(٤) انظر: مقالة (جغرافية بلادنا لا تزال مجهولة)، من جهاد قلم، محاضرات وبحوث، ص٢١٥

(٥) انظر: مقالة (لقد كان في قصصهم عبرة)، فواتح الجزيرة، ص٥٤٢.

(٦) انظر: مقالة (بيننا وبينهم) المرجع السابق، ص٥٣٨.

(٧) انظر: مقالة (افهموا أدبنا الشعبي)، من جهاد قلم، في النقد، ص٧٣.

(٨) انظر: مقالة (المكاسب التي يجب أن نحافظ عليها)، من جهاد قلم، فواتح الجزيرة، ص١٦٢.

ومما سبق نرى أن الصورة عند الشيخ صادقة تنبع من عاطفة جياشة تقرِّب المعنى من القارئ، وتجعله يحس بها كإحساس الأديب نفسه.

٢- المحسنات البديعية:

وكما أسلفنا فإنها تأتي عفوية غير متكلفة، تزين التراكيب، وتشرق بالمعاني. مثل السجع كقوله: (ولسنا من الدكتور في شك، ولا من أدبه في تردد، ولا من غيرته على الفصحى في غموض.. هو رائد من الرواد، وجوهري نقاد ينتقر الفرائد، وينظمها في أسماط القلائد على نحور الولائد)(١).

وقوله: (كم مر على أمتك من الآيات والنذر وغيرها، ولكنها تضرب في حديد بارد وتستنهض من عزم صارد)(٢).

والطباق كقوله (استطاعت اليابان في مَثَلها أن توقظ الشرق وتهز الغرب)(٣).

وقوله: (فالذي نرجو من حكومتنا الموفقة أن يكون العلاج بإجراء نظرة فاحصة من جديد، وإجراء غربلة تسقط الطالح، وتبقي الصالح)(٤).

والمقابلة كقوله (فأين نحن من هذا؟؟! وأين هذا منا؟!)(٥).

وقوله: (وبناء كيان وطني ثابت، لا تؤثر فيه الأحداث العالمية، ولا يهتز بالمؤثرات الخارجية بدلاً من بقاء بلادنا مستهلكة لا منتجة، وعالة لا عائلة)(٦).

والجناس كقوله: (بل ربما يكون سبباً في ذهاب الأخلاق، وتسميم الأفكار، ونقل أوبئة المجتمعات الفاسدة وجرائمها وجراثيمها)(٧).

---

(١) انظر مقالة (افهموا أدبنا الشعبي قبل؟)، من جهاد قلم في النقد، ص٧٣.

(٢) انظر مقالة (حدثني عائد من الغرب)، من جهاد قلم، فواتح الجزيرة، ص٦٩.

(٣) انظر مقالة (بلادنا والزيت)، المرجع السابق، ص١٤٨.

(٤) انظر مقالة (ما أطيب من أين لك هذا؟ ولكن)، المرجع السابق، ص٢٣٨.

(٥) انظر مقالة (ونريد أيضا يا مجلس الوزراء) المرجع السابق، ص١٣١.

(٦) انظر مقالة (كيف ننهض بزراعتنا) المرجع السابق، ص١٨٢.

(٧) انظر مقالة (وجهوا ثروتنا القومية) المرجع السابق، ص١٥٨.

وقوله: (ألفاظ مقطعة ملقاة على صعيد الورق على شكل نشاز متنافر لا رابطة تجمعها، ولا سمط يؤلف بينها، ولا نبض من روح يحرك في سامعها ساكناً، ولا يسكن متحركاً. هي نقيق الضفادع، ونعيق الغربان.. ومع ذلك يقول أدباء الشباب أن هذا هو الشعر المنثور أو النثر المشعور)(١).

وصيغ المبالغة كقوله: (وإن رأينا ما رأينا من بعض المظاهر اللّماعة فهي لا تعدو أن تكون طلاءً برّاقاً لذلك)(٢).

وقوله: (وهكذا أنت مع هذا الكتاب، تنتقل من طرفة إلى تحفة، ومن جديد إلى لون مفيد سوف لا تمل لقاءه، ولا يتلون عليك صفاؤه، ولا يبخل بما يعجب ويطرب، فأنت وهو كالطائر في الخميلة، تنتقل من فنن ومن زهرة فوّاحة إلى ثمرة ناضجة)(٣).

٣- الاقتباس والتضمين والاستشهاد:

كل من الظواهر البلاغية (الاقتباس والتضمين والاستشهاد) سمات جمالية يستخدمها عبد الله ابن خميس في إنتاجه المقالي، وأستطيعُ أن أؤكد خلال اطلاعي على مقالاته أن الاستشهاد والتضمين والاقتباس؛ أدوات ملازمة للشيخ في كتاباته المقالية، فتأخذ مساحات من مقالاته سواء في مقدمة المقال أو العرض أو الخاتمة، ويزخر المقال الواحد بجميع تلك الظواهر، وتتعدد أحياناً، وبشكل يشد الانتباه فنحن أمام مَعَارض للذكر الحكيم، والحديث المطهر، ناهيك عن الشعر في عصوره الذهبية، وهناك ظاهرة يجب أن نشير إليها في حديثنا عن الاستشهاد الشعري: أن الشيخ يحرص على إيراد أبيات من شعره في ثنايا المقالات، ولا أكون مبالغة إذا قمت بعمل إحصائي للأبيات الشعرية في المقالات

---

(١) انظر: مقالة (أدب الشيوخ وأدب الشباب)، المرجع السابق، ص٣٢٣.

(٢) انظر: مقالة (ما أحوجنا إلى عمل حازم!!) المرجع السابق، ص١٤٣.

(٣) انظر: مقدمة كتاب من جهاد قلم، محاضرات وبحوث، ص٦.

التي بين يدي، فوجدتها تربو على الثلاثة آلاف بيت!!). ويدل ذلك على ذاكرته الموسوعية الخارقة، التي تجعله يستجلب أياً من الأشعار متى شاء الموقف، أو موضع الاستشهاد؛ كما يتفوق في الاقتباس فمنه قوله: (فأنت وهو كالطائر في الخميلة تنتقل من فنن إلى فنن ومن زهرة إلى أخرى، ومن أملود مترنح إلى ظل ظليل وماء مسكوب وفاكهة كثيرة لا مقطوعة ولا ممنوعة)(١).

وهو اقتباس من قوله تعالى: **﴿وَمَاءٍ مَسْكُوبٍ وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ﴾** "سورة الواقعة، الآيات: ٣٠، ٣١، ٣٢، ٣٣".

وقوله (الملكة الشعرية، بمثابة الطفل يُنشأ في الحلية غذاؤها الإدمان والمعاناة، وثقافتها الذوق، وجيد المحفوظ)(٢).

وهو اقتباس من قوله تعالى **﴿أَوَمَنْ يُنَشَّأُ فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ﴾** "سورة الزخرف، الآية: ١٨".

وقوله (فكنت إذا تحدثت مع أحدهم تحدثت مع دائرة معارف؛ يفيض عليك من علم جم، وينقلك في بستان قطوفه دانية)(٣).

وهو اقتباس من قوله تعالى **﴿ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ﴾** "سورة الحاقة، الآيات: ٢١، ٢٣".

وقوله: (يقوم به رجال عرفوا له حقه فاتبعوا سبيله فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض)(٤).

وهو اقتباس من قوله تعالى **﴿فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ﴾** "سورة الرعد، الآية: ١٧".

---

(١) انظر: مقدمة كتاب من جهاد قلم، فواتح الجزيرة، ص٦.

(٢) انظر: مقال [الشعر وأثره] من جهاد قلم، محاضرات وبحوث، ص٢٧٣.

(٣) انظر: مقالة [لا نريدها ثقافة مخدع] من جهاد قلم، فواتح الجزيرة، ص٢٦٨.

(٤) انظر: مقالة [أدب الشيوخ وأدب الشباب] المرجع السابق، ص٣٢٨.

وقوله (إن واجبنا تجاه لغة القرآن ليس لأنها لغتنا ويجب علينا أن نعمل لها بكل ما نملك من دفاع وبكل ما نملك من وسائل بناء، ليس هذا فحسب، بل ولأننا أحق بها وأهلها لأنها لدينا أخرجت شطأها فاستغلظت واستوت على سوقها وبسقت وأتت أكلها)[١].

وهو اقتباس من قوله تعالى **﴿وَمَثَلُهُمْ فِي الإنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ﴾** "سورة الفتح، الآية: ٢٩". وكذلك الحديث الشريف، فابن خميس يستشهد به حيناً كقوله: (أكرموا عمتكم النخلة)[٢][٣].

ويقتبس منه أحياناً أخرى كقوله (ومن القوم الذين مثلهم في تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر)[٤]. وهو اقتباس من الحديث[٥] (مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر). وتزخر مقالات الشيخ عبد الله ابن خميس بالاستشهاد من القرآن الكريم، وكما قلت سابقاً لم تخل مقالة من عدة استشهادات قرآنية ومنها:

قوله (ونادى مناديه **﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ﴾**)"سورة التوبة، الآية: ١١١"[٦]. وقوله (وصدق الله العظيم حين قال **﴿فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلاَّ قَلِيلاً وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ﴾** "سورة القصص، الآية (٥٨) "[٧].

---

(١) انظر: مقالة (في مسيرة الرفض)، المرجع السابق، ص٢٧٣.

(٢) انظر: مقالة (النخلة شجرة الجزيرة)، المرجع السابق، ص١٩٤.

(٣) حديث ضعيف، انظر: مختصر المقاصد الحسنة للزرقاني؛ تحقيق: د. محمد الصباغ، من منشورات مكتب التربية لدول الخليج العربية، ١٤٠١هـ، حديث رقم ٢٦٣.

(٤) انظر: مقالة (يوم الجزائر)، المرجع السابق، ص٧٤.

(٥) صحيح البخاري مع شرحه فتح الباري، كتاب البيوع ٤/٣٢٣.

(٦) انظر: مقالة (إليكم يا عرب) فواتح الجزيرة، ص٥٤.

(٧) انظر: مقالة (قبيلتا طسم وجديس)، من جهاد قلم، محاضرات وبحوث، ص١١٧.

وقوله (أخذ عليّ الأستاذ الأنصاري كلمات لغوية وردت في نقدي، وهي قولي: "ما دام الفعل متعدياً بنفسه لماذا يعديه الأستاذ بحرف الجر" قال الأستاذ الأنصاري في تعقيبه "إن الاستفهام دائماً له الصدارة"، وهذا الذي يقوله الأستاذ الأنصاري غير مسلم، فإنّ الاستفهام يتنوع بتنوع الأغراض البلاغية، ويأتي حسب متطلبات الأساليب البيانية وما أدري ماذا يجيب به الأستاذ الأنصاري من قوله تعالى ﴿**يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنْ الصَّلاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنتَهُونَ**﴾" سورة المائدة، الآيتان: ٩٠، ٩١"[١].

أما التضمين فإن للشيخ باعا في توظيف نصوص النثر، والشعر والحكم والأمثال، والاستشهاد بأقوال بعض الشخصيات التاريخية والسياسية، ومن توظيف الشعر قوله (ولكن أمانة الأدب والغيرة على الوطن أن تتعرض سمعته للغمز والهمز، وأن يأتي التاريخ بعدنا ليجد أن فترتنا هذه فترة ميتة، يقوم فيها الأدعياء، ويتسنمون ذرى ما كانت لهم بأمكنة؛ لولا ذلك لقلتُ مع الشاعر:

لا يضرّ البحرَ أمسى ساكناً إنْ رَمىَ فيه غلامٌ بحجرٍ.[٢][٣]

ومنه قوله: (وانظروا كيف أن طول المعاناة، وإدمان منادمة القلم، والإخلاص للمهنة، تخرج لكم كتّاباً بارزين، يشرفون الصحافة، وتدفع بهم البلاد ليرفعوا رأسها في زمرة الكتاب العباقرة، ليعمل هذا ولسان حاله يقول:

---

(١) انظر: مقالة (نظرة إلى نظرات) من جهاد قلم، في النقد، ص٢٢٥.
(٢) انظر: مقالة (فضيحة أدبية تحذرنا من أدعياء الأدب) من جهاد قلم في النقد، ص٢٠٢.
(٣) البيت ذكره ابن خميس في الشوارد ولم ينسبه، انظر الشوارد، ج١، ص٢٢٤.

إذا هبَّتْ رياحُكَ فاغْتنمها   فإنَّ لكلِّ خافقةٍ سكونا[١][٢]

وقوله: (وأنت حينما تطالب ابن خميس أن ينخل هذه الأشعار، ليقبل القوي المتين ويرد الضعيف الهزيل، فقد طالبته شططاً، وحاولت منه ما لا يمكن أن يأتي به:

ومكلف الأيام ضد طباعها   متطلب في الماء جذوة نار[٣][٤]

وقوله: (حينما نقرأ عن العربيات يمتطين صهوات الجياد، ويمتشقن السيوف، ويخضن غمرات الحروب، ويحمين الديار، ويقاتلن مخافة العار .. واليوم قتلنا في نسائنا هذه المثل والقيم، وباعدنا بينهن وبين أخلاق ورثنها، وأصالة طبعن عليها، ومقومات كن أحق بها وأهلها، وطفقنا نلهج بنزوة شاعر رمى بها على غير معيار، وضمها إلى قروحنا التي تئن منها، وجروحنا الواغرة .. لقد قال خيبه الله:

كتب القتل والقتال علينا   وعلى الغانيات جر الذيول[٥][٦]

(١) انظر: مقالة (رئيس تحرير .. على إنتاج الآخرين يغير)، المرجع السابق، ص٣٢٧.
(٢) البيت للشاعر: أبي العلاء المعري، انظر ديوان أبي العلاء المعري، ص٧٩٥.
(٣) انظر: مقالة (لقد طلبت مني شططاً وأنا ادعوك للشعر الفصيح)، المجلة العربية، ع١٠٥، مج٢٧، السنة ١٠، شوال ١٤٠٦هـ، ص١١٣.
(٤) البيت للشاعر أبي الحسن التهامي، ذكره ابن خميس في الشوارد، ج١، ص٢٢١.
(٥) انظر: مقالة (غالية الوهابية) من جهاد قلم، فواتح الجزيرة، ص٢٣٥.
(٦) البيت للشاعر عمر بن أبي ربيعة، ذكره ابن خميس في الشوارد، ج٢، ص٤٠١.

وقوله: (ثم إن أي أمة تريد الحياة عزيزة كريمة، تريد المحافظة على مجدها وتاريخها، وتراثها وبالتالي كيانها وترابها وذاتها، ثم لا تقدم الدماء ثمناً لذلك مصيرها الفشل:

لا يسلم الشرف الرفيع من الأذى حتى يراق على جوانبه الدم

وكما أطلقها أبو الطيب أطلقها من بعده شوقي في بيتيه الخالدين:

وللحرية الحمراء باب بكل يد مضرجة يدق[1]

وقوله: (هذه قضية تتحملها الأمة العربية الآن، فمن حق أمة العرب أن تتدخل جدياً، وأن تضرب على أيدي العصاة، وأن تسلب السلاح، كل السلاح من الذين يريدون تخريب ما تبقى، ثم إعادة قيام كيانه على أساس من العدل والمساواة والضرب على أيدي العابثين والمخربين).

لا يصلح الناس فوضى لا سراة لهم ولا سراة إذا جهالهم سادوا
تهدى الأمور بأهل الرأي إن صلُحت فإن تولت فبالأشرار تنقاد[2][3]

وقوله: (وأُمدّت الرياض بالماء وأصبح نجاحها لا ينتطح فيه عنـــزان، بل عنـــز هي عنـــز وزارة الزراعة، تنطح الحقيقة كأنها وعل الأعشى حيث يقول:

كناطح صخرة يوماً ليوهنها فلم يضرها وأوهى قرنة الوعل[4]

وتتناثر أبيات من شعر الأديب الشيخ عبد الله ابن خميس في ثنايا مقالاته ولعله يحرص على أن يعبر من خلال الشعر عن رأيه الشخصي في القضية

---

(١) انظر: مقالة (هذه الحرب خطوة على طريق طويل)، المرجع السابق، ص٥٦.
(٢) انظر: مقالة (إليكم يا عرب) فواتح الجزيرة، ص٤٨.
(٣) الأبيات للشاعر الأفوه الأودي، ذكره الشيخ ابن خميس في الشوارد، ج١، ص١٤٩.
(٤) انظر: مقالة (أنف الظبي وعينه) المرجع السابق، ص٢٠٠.

التي يناقشها، وبصفة عامة فشعر الشيخ حاضر في مقالاته، وأفكاره ومن ذلك قوله: (وحينذاك قلنا من قصيدة حين إحراق المخيمات وإبادة أهلها:

وتثأرون من الأكواخ تقذفها حمائم الأمس أضحت فوقها شهب
أسد عليهم وفي الهيجاء نَعرفكم جرو يُلَفُ على خيشومه الذنب[١]

وقوله: (إن هذا يومكم يا شباب، وهذه مسئوليتكم فاصنعوا ما يقوله التاريخ عنكم، وكونوا على مستوى مسئوليتكم، والأمل منوط بكم وأنشدوا معي:

شبابٌ قُنَّعٌ لا خيرَ فيهم وبوركَ في الشبابِ الطامحينا[٢]

أما توظيف الأمثال وتضمينها في مقالات الشيخ، فقد أخذت نصيباً وافراً خلال السياق المقالي في معارض تأكيد الفكرة، أو كسب تأييد القارئ، ومؤازرته لما يريد أن يبثه من آراء، فهي من الدرجة الأولى، تعتمد على الرمز والمقارنة، ومن ذلك قوله: (وأخرى تعطينا ما قوبلت به من عقوق، وما جوزيتْ به، ولا كجزاء سنمار)[٣][٤].

وقوله: (أما قوله في الشوارد أبيات ركيكة، فلو كان هذا الحكم قد صدر من غيره ممن لهم باع طويل، وذوق سليم متمكن من فن الشعر رواية ودراية، فهذا ما يمكن أن يكون فيه مجال للبحث والنقاش ولو ذات سوار لطمتني)[٥][٦].

(١) انظر: مقالة (مع التحية يا قمة بغداد) المرجع السابق، ص١٠٤.
(٢) انظر: مقالة (إلى ميادين الشرف يا شباب) المرجع السابق، ص٤٤٢.
(٣) انظر: مقالة (النخلة في الأدب العربي) من جهاد قلم، ص٤١.
(٤) مجمع الأمثال. الميداني؛ قدم له وعلق عليه، نعيم حسين زرزور.ـ ط١.ـ بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م، ج١، ص١٧٧.
(٥) انظر: مقالة (نقد كتاب الشوارد) من جهاد قلم في النقد، ص١٩٥.
(٦) مجمع الأمثال. الميداني، ج٢، ص١٧٤.

وقوله: (لم تعد يا أزهر بفتواك هذه (جهيزة) لنقول: (قطعت جهيزة قول كل خطيب) ولم تعد (جهينة) لنقول وعند جهينة الخبر اليقين)(١)(٢)(٣).

ومن توظيف أقوال الشخصيات السياسية والتاريخية في مقالات الأديب ابن خميس، والتي عادة ما يأتي بها لتفنيد فكرة أو مقارنة الواقع بما مضى في المواقف المماثلة، أو لإبراز مدى ما لدى تلك الشخصية من فكر نير، ورؤية صادقة.

ومنه قوله: (يردد بعض الكتاب العرب قول غاندي للهنود "لو كنتم في عددكم هذا إلى جانب قلة الإنجليز ذباباً، لأخرجتم الإنجليز من الهند بإيذائكم لهم، فكيف وأنتم رجال" فما أقرب انطباق مثل غاندي على الأمة العربية)(٤).

ونختم أن تلك السمات والخصائص الفنية، والقيم الجمالية التي زخرت بها مقالات الشيخ عبد الله ابن خميس جعلت مقالاته تحظى بجمهور عريض من القراء؛ حيث يسطر الشيخ مقالاته التي يخاطب فيها العقول، ويؤثر في عواطف القارئ، عبر كلمات صادقة ناصحة تحكي واقعاً معاشاً، فأمامه أهداف ألزم بها فكره وقلمه.

وهو في أسلوبه من المحتذين للقديم في روائعه، والمقلدين للبيانيين من عظماء التراث، كابن المقفع وأبي حيان والجاحظ، فهو ممن يتخير اللفظ، ويتأنى في السبك، يحذر من الخروج على المأثور، ويتخوف من استعمالات المحدثين، بل إنه ينكرها، وهو عندما يجنح للماضي، فإنه يأخذ أطيب ما فيه، وإن كان يعسر أسلوبه أحياناً، من شطط الاستيحاء للموروث(٥).

---

(١) انظر: مقالة (لا يا علماء الأزهر) فواتح الجزيرة، ص٩٥.

(٢) (قطعت جهيزة قول كل خطيب) مجمع الأمثال، الميداني، ج٢، ص٩١.

(٣) (عند جهينة الخبر اليقين) المرجع السابق، ج٢، ص٣.

(٤) انظر: مقالة (إليكم يا عرب)، فواتح الجزيرة، ص٤٨.

(٥) الرأي مقتبس من كتاب (عفو الخاطر) د. محمد العوين.ـ ط١.ـ الرياض: الشركة الوطنية للتوزيع، ١٩٩٤م، ص٨٥.

الفصل الثاني:

أدب الرحلات عند عبدالله ابن خميس

- تعريفه وأهميته.
- موضوعاته.
- خصائصه الفنية.

أدب الرحـــلات

تعريفه وأهميته[١]:

شُغلت الدراسات العلمية والنقدية في عالمنا العربي بدراسة فنون الأدب المتباينة من قصة قصيرة ورواية وشعر ومقالة، وكان هناك لون أدبي نثري لم يحظ إلا بالقليل من الدراسات على الرغم من أنه شهد عدداً كبيراً من التآليف ألا وهو أدب الرحلات، أي ذلك النثر الأدبي الذي يتخذ من الرحلة موضوعاً، أو بمعنى آخر الرحلة عندما تكتب في شكل أدبي نثري متميز، وفي لغة خاصة، ومن خلال تصور بناء فني لـــه ملامحه وسماته المستقلة، وهناك من يبالغ فيرى أن أدب الرحلات من أهم فنون الأدب العربي، وقد ذهب هذا المذهب الأستاذ/شوقي ضيف في كتابه الرحلات[٢]. مدفوعاً بحماسة شديدة للأدب العربي القديم لإثبات القصة في ذلك الأدب، وإن كان هذا الحكم فيه شيء من المبالغة؛ لأن عناصر القصة، وإن توفرت في بعض الكتب قد لا تتوفر في أخرى.

ولكتب الرحلات في تراثنا العربي أكثر من قيمة مهمة إذ إنها تضم كثيراً من المعارف الجغرافية والتاريخية والاجتماعية والاقتصادية، مما يدونه صاحب الرحلة تدوين المشاهد، وذلك من جراء اتصاله المباشر بالطبيعة وبالناس وبالحياة، بمعنى أنه ينقل ما يراه ليضعه بين أيدي الجغرافيين والمؤرخين وعلماء الاجتماع والاقتصاديين ودارسي الأدب، وهو فن يصور فيه الكاتب ما

---

(١) ورد فـــي لســـان العرب: رحل الرجل إذا سار. وقوم رُحّل أي مرتحلون، انظر: لسان العرب، ابن منظور، ٥/١٧٠.

(٢) كتاب الرحلات. د. شوقي ضيف، ط. دار المعارف المصرية، ١٩٩١م، ص٦.

جرى لـــه من أحداث وما صادفه من أمور[١]. ومما لا شك فيه أن الرحالين يختلفون فيما بينهم في دقة ملاحظتهم، وفي درجة اهتمامهم وفي نوع هذا الاهتمام، ومن هنا كان للرحلات قيمة عظيمة، وتتمثل فيما تحويه من منابع ثرة لمختلف العلوم؛ ولها قيمة أدبية تتجلى فيما تعرض فيه موادها من أساليب ترتفع بها إلى عالم الأدب، وترقى بها إلى أردية الخيال، وانفعالات النفس وانطباعاتها، وما يتسم به أدب الرحلة من تنوع في الأسلوب من السرد القصصي إلى الحوار والوصف، وغيره وبما يقدمه من متعة ذهنية كبرى[٢].

وهناك رأي لأحد الباحثين مفاده: (أن هناك قيمة عليا لأدب الرحلات هي القيمة الإنسانية؛ لأنها تعد أكثر المدارس تثقيفاً للإنسان)[٣].

ويقول المقدسي في كتابه: (أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم): (ما تم لي جمع هذا الكتاب إلا بعد تجوالي في البلدان، ودخولي أقاليم الإسلام ولقائي العلماء، وخدمتي الملوك ومجالستي الثقات، ودرسي على الفقهاء، واختلافي إلى الأدباء والقراء وكتبة الحديث، ومخالطة الزهاد، وحضور مجالس القصاص والمذكرين، مع لزوم التجارة في كل بلد، والمعاشرة مع كل أحد، والتفطن في هذه الأسباب بفهم قوي، حتى عرفتها، ومساحة الأقاليم بالفراسخ حتى أتقنتها، ودوراني على التخوم حتى حررتها، وتنقلي على الأجناد حتى عرفتها وتفتيشي عن المذاهب حتى علمتها، وتفطني في الألسن والألوان حتى رتبتها)[٤].

---

(١) أدب الرحلة في المملكة العربية السعودية. عبد الله الحامد ـــ ط١ ـــ مطابع الجنوب، ١٤٢١هـــ ص٨.

(٢) رحـــلات أميـــن الريحانـــي نموذجاً. د. حسني محمود، الوكالة العربية للنشر والتوزيع، ١٩٩٥م، ص٣.

(٣) مجلة الفيصل، ع١٨٦، المحرم ١٤١٣هـــ (من مقالة دعوة لدراسة أدب الرحلات)، أ.د. سيد حامد النساج، ص٩٠.

(٤) أحســـن التقاســـيم فـــي معـــرفة الأقاليم. محمد بن أحمد أبو بكر المقدسي؛ تحقيق محمد مخزوم.ـــ بيروت: ط دار إحياء التراث العربي، ١٤٠٨هـــ/١٩٨٧م، ص٢١.

والحقيقة أن الرحلات كانت من دعائم الفكر العربي في عصور الإسلام الأولى، حيث كان حج البيت، وطلب العلم من أهم دوافع هذه الرحلات؛ فلقد عرف العرب السفر ومارسوا الترحال في شبه الجزيرة العربية والبلدان المتاخمة، وقاموا برحلتي الشتاء والصيف اللتين ورد ذكرهما في القرآن الكريم، وأبحرت سفنهم في المحيط الهندي.. والإسلام من خلال البيان القرآني دعا إلى السياحة في الأرض وكان يهدف من وراء دعوته للرحلة والسير في الأرض، أن يتسلح المرء بالنظر الدقيق، والرؤية الموضوعية المتجردة، والعبر الواقعية وقد تجاوز أدب الرحلات النمطية التقليدية من حيث رصد لحظات السير، مع تصوير الأماكن إلى رصد بعض عادات الشعوب.

وتختلف الأسباب الداعية إلى شد الرحال، حيث قسمها الأستاذ محمد الفاسي حسب أسبابها وأهدافها إلى خمسة عشر قسماً[١]؛ هي الرحلة الحجازية وهي التي تؤلف بعد فريضة الحج، والسياحية، والرسمية، والدراسية، والأثرية، والزيارية، والسياسية، والعلمية، والمقامية، والدليلية، والخيالية، والفهرسية، والسفارية، وأخيراً الرحلة العامة.. ومن الرحالة من يسجل أحداث رحلته لحظة بلحظة، ويكتب فيها كل ما يعن لــه وما يشاهده، ويعلق على كل مشهد يراه، أو يبصره إما بإسهاب وتحليل، وإما أن يكتفي بكتابة رؤوس موضوعات، ودلالات يسهب في وصفها لاحقاً، ومنهم من يكتب أحداث رحلته بعد مرور وقت طويل عليها اعتقاداً منهم أن ما يبقى من ذكرى الرحلة هو فقط الجدير بالكتابة، ومن الفئة الأخيرة الكاتب عبد الوهاب عزام[٢] يقول: "كانت كتابتي عن بعض الرحلات

(١) الإكسير في فكاك الأسير. محمد عثمان المكناسي؛ تحقيق محمد الفاسي.ــ الرباط: منشورات المركز الجامعي للبحث العلمي، ١٩٦٥م، ص١٧.

(٢) عبد الوهاب عزام. ولد عام ١٣١٢هـ ببلدة الشوبك من محافظة الجيزة بمصر. حفظ القرآن في سن مبكرة. درس بالجامعة المصرية ونال الدكتوراه من كلية الآداب جامعة القاهرة. عضو في المجمع العلمي بدمشق، ومجمع اللغة العربية بالقاهرة. عمل سفيرا لبلاده في كل من المملكة العربية السعودية، وباكستان، واليمن. ومن مؤلفاته [مدخل الشاهنامة العربية للبنداري]. (الشواهد أو خطرات عام) (مهد العرب) وغيرها من المؤلفات والكتب المترجمة، توفي عام ١٩٥٩م، رحمه الله. انظر: من العلماء الرواد في رحاب الأزهر. محمد عزت الطهطاوي.ــ القاهرة: ط مكتبة و هبة، ١٩٩٠م، ص١٨٩.

تتأخر شهراً بل سنة أو سنتين، وكلما لمت نفسي على هذا التأخير أجابت: إن المشاهد التي لا يبقى أثرها في النفس سنين لا تستحق التسجيل"(١).

إذن الرحلة فن أدبي جميل يلزم امتلاك كاتبه أدواته الخاصة به والمتمثلة في سعة ثقافته، ودقة ملاحظته، والتقاط الملامح المعبرة، وقد قال الأستاذ عبدالله ابن حمد الحقيل(٢): "يكون للرحالة عينا صقر ليرى كل شيء"(٣).

وفي الرحلات دروس ومواقف وأشخاص ومتعة للخيال والذهن، وهو أدب شهي لذيذ بما يقصد من العلم والأدب والفن، وقد يطلق على أدب الرحلات المغامرات الرحلية(٤)؛ لأن الكاتب فيها يصف انطباعاته الحسية والوجدانية والفكرية حيال المرئيات والأحداث التي تصادفه، والأخبار والمعلومات التي تثير اهتمامه، ويركز عليها، ومنها أمور مشتركة فيما بين الرحالة ومنها أمور خاصة ومتميزة ينفرد فيها الواحد عن الآخر، ولا سيما في عمليات المواجهة مع العالم الجديد.

والرحلات في الأدب الإسلامي لا تخرج عن المنظور الرحلي مضموناً وفناً، وأصحابها ينطلقون من موقع واحد، وصعيد واحد في مواقعهم ورؤاهم وتصورهم الإسلامي.. ومن أبرز أعلام الرحلة العرب والمسلمين في العصر

---

(١) الرحلات العربية والإسلامية وأعلامها في الأدب العربي القديم والمعاصر. محمود رداوي.ـ ط١.ـ الرياض: مطابع الفرزدق التجارية، ١٤١٦هـ، ص١١٩.

(٢) عبد الله بن حمد الحقيل: ولد سنة ١٣٥٧هـ في محافظة المجمعة، حصل على بكالوريوس اللغة العربية عام ١٣٧٨هـ، تقلد عدة وظائف تربوية وتعليمية، رأس تحرير مجلة الدارة له عدة مؤلفات منها (كلمات متناثرة)، (رحلات وذكريات). انظر: من روادنا التربويين المعاصرين، عبد الله الزيد، ص٢٥٥.

(٣) مجلة الحرس الوطني، ع٩٢، محرم ١٤٢٢هـ، مقال بعنوان الرحلات وأثرها في تاريخ الأدب، ص١٣.

(٤) الرحلات وأعلامها في الأدب العربي القديم والمعاصر. محمود رداوي، ص٩.

الحديث: أبو الحسن الندوي[١]، وسيد قطب[٢]، وعلي الطنطاوي[٣]، ومحمد الأمين الشنقيطي[٤].

---

(١) أبـو الحسـن الندوي. ولد بقرية تكية في الولايات الشمالية بالهند عام ١٣٣٣هـ/١٩١٤م، تعلم العربية إضافة إلى الأردية والفارسية والإنجليزية. تقلد عدة مواقع رئاسية، من مؤلفاته (مختارات فـي أدب العـرب)، (ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين)، (رجال الفكر والدعوة في الإسلام)، وغـيرها. كـان لـه رحلات كثيرة إلى بلدان العالم الإسلامي، نال جائزة الملك فيصل العالمية لخدمة الإسلام عام ١٩٨٠م.
انظـر: سـماحة الإمام الداعية الشيخ أبي الحسن الندوي؛ إعداد محمد طارق الندوي.ـ ط١.ـ لكنهو: مكتبة حراء، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م، ص١٢.

(٢) سـيد قطب. ولد سنة ١٩٠٦م، في قرية قها بمحافظة أسيوط، أتم دراسته الثانوية في القاهرة ودخل كلية دار العلوم، عمل مفتشاً بعد تخرجه في وزارة التربية و التعليم من مؤلفاته (التصوير الفني في القرآن)، (مشاهد القيامة في القرآن)، (في ظلال القرآن)، (المستقبل لهذا الدين) وغيرها من مؤلفات عديدة. توفي عام ١٩٦٦م في القاهرة، رحمه الله.
انظـر: الموسوعة الحركية؛ إعداد وجمع وتحقيق مؤسسة البحوث والمشاريع الإسلامية، المجلد الأول.ـ ط٢.ـ عمان: دار البشير، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م، ص٨٦.

(٣) علـي مصطفى الطنطاوي. ولد في دمشق عام ١٣٢٧هـ/١٩٠٩م. درس الابتدائية والثانوية في دمشق وعمل في التعليم، التحق بكلية الحقوق وتخرج منها عام ١٩٢٣م، عين قاضياً شرعياً في بلاده، جاء إلى المملكة العربية السعودية عام ١٣٨٣هـ ودرّس في كلية اللغة العربية والشريعة بالـرياض ثـم كلية الشريعة بمكة المكرمة، من مؤلفاته: (أبو بكر الصديق) (الجامع الأموي)، (ذكـريات علـي الطـنطاوي)، (رسائل سيف الإسلام) وغيرها. نال جائزة الملك فيصل لخدمة الإسلام عام ١٤١٠هـ .توفي عام ١٩٩٩م.
انظـر معجـم الأدباء والكتاب؛ الموسوعة الثقافية الشاملة.ـ ط١.ـ الدائرة للإعلام المحدودة، ١٤١٠هـ، ص٢٠٧.

(٤) محمد الأمين الشنقيطي. ولد سنة ١٣٢٥هـ، في شنقيط في موريتانيا، بعد ما أنهى دراسته جلس في داره للـتدريس والقضاء، في عام ١٣٦٧هـ عين مدرساً في المسجد النبوي واشتغل بالتدريس في المعهـد العلمـي وكلـية الشـريعة بالرياض عام ١٣٧١هـ، وفي عام ١٣٨١هـ انتقل للتدريس بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة. من مؤلفاته (شرح مراقي السعود)، (دفع إيهام الاضطراب عن آيـات الكتاب)، (أدب البحث والمناظرة). توفي عام ١٣٩٣هـ، وصلي عليه بالمسجد الحرام ودفن بمكة المكرمة رحمه الله.
انظر : علماؤنا، إعداد فهد البدراني، فهد البراك.ـ ط١.ـ الرياض، ١٤١٠هـ، ص٢١.

ومن الأعلام السعوديين: الشيخ محمد بن ناصر العبودي، وحمد الجاسر[١]، وعبد العزيز الرفاعي[٢]، وعبد الله الحقيل[٣]، ويحيى المعلمي[٤]، وأديبنا موضوع البحث عبد الله بن محمد ابن خميس.

وتدخل في أدب الرحلة العناصر الأجنبية لتخالط عناصره المحلية من قصص وألفاظ وأوصاف، فيفيد الأدب بذلك كله فائدة كبرى، وينبغ فيه من أعلام النظم والنثر أنداد من ينبغون من أفذاذ المغامرة والقتال والرحلة، فامتلأ الأدب عند قدماء المصريين بقصص الهجرة والمخاطرة والتجوال، وإلى أدب ذلك العصر ترجع القصة التي ما زالت تُشَكَّل على توالي الأجيال حتى انتهت إلينا في شكل حكاية علي بابا واللصوص الأربعين[٥].

---

(١) سبق التعريف به.

(٢) عبد العزيز الرفاعي. ولد بمدينة أملج عام ١٣٤٢هـ، تلقى علومه حتى حصل على شهادة المعهد العلمي السعودي بمكة المكرمة عام ١٣٦٠هـ، كان آخر مناصبه مستشارا في مجلس الوزراء إلى أن تقاعد، له عدة مؤلفات منها (الحج في الأدب العربي)، توفي عام ١٤١٤هـ ودفن بمكة، رحمه الله.
انظر: أدب عبد العزيز الرفاعي: دراسة موضوعية وفنية، إبراهيم الشتوي.ـ ط١.ـ الرياض: دار الرفاعي، ١٤١٩هـ، ص٢١-٥١.

(٣) سبق التعريف به.

(٤) يحيى المعلمي. ولد سنة ١٣٤٧هـ. تلقى دراسته الأولية بمكة المكرمة. التحق بكلية قوى الأمن الداخلي. نال الماجستير في إدارة الشرطة. له سبعة وعشرون مؤلفاً، منها (الإسلام باختصار)، (الأمن في القرآن)، (وجولات في رياض الأدب). توفي في ١٤٢١/٥/٢٥هـ .
انظر: أدب الرحلة في المملكة العربية السعودية. عبد الله الحامد، ص١٧٨.

(٥) انظر: مجلة الرسالة، ع١٩٠، ذو الحجة ١٣٥٥هـ، القاهرة، مقال بعنوان: الرحلة في الأدبين العربي والإنجليزي. فخري أبو السعود، ص٢٧.

وما زال العنصر الشخصي، والانطباع الذاتي والتعبير عن الثقافة العامة المعاصرة، من سمات أدب الرحلات الحديث، فقد أصبحت لحظات الرحال المعاصر جزءاً من شخصيته ومسيرة حياته الذاتية، وإن كان ثمة فوارق واختلافات في الأهداف، والمقاصد والاهتمامات، وبالتالي الثقافة العامة من كاتب إلى آخر(١).

وعندما نحصر حديثنا عن أدب الرحلات في الأدب السعودي المعاصر، نرى أن جل أعلام الرحلات فيه من الذين يتمتعون بحس تاريخي وشغف تراثي، والتصاق عميق بالجذور، كما أنهم قد تثقفوا بالرحلات الجغرافية كقناة من قنوات الثقافة التراثية الأصيلة، واطلعوا على نتاج أدب الرحلات العربية الشرقية والغربية الحديثة، وتشخص في أذهانهم ومخيلاتهم، ويميزون بين أنواعها الكثيرة، وهم يمارسون كتابة رحلاتهم على أنهم كانوا متأثرين بالرحلات القديمة أكثر في شكلها ومضمونها ودوافعها وقيمها وفوائدها، ولهذا كانوا يمارسون رحلاتهم عبر البوادي، والصحاريى بدافع فطري، وليس ذلك بغريب عنهم؛ لأن تلك الممارسة الطبيعية للرحلات تمثل لديهم استمرار الانتماء للأرض والجذور. يقول الأستاذ عبد الله الحقيل: (وعندما يتصدى الأدباء السعوديون لتدوين أدب الرحلات، فإنه بهم ظل مخصباً ومفيداً وذا عطاء علمي غزير، بحيث يبرز فيه الجانب التصويري، والسياق الأدبي، والتحقيق التاريخي والاجتماعي، وطعموه بمأثور الشعر والمثل والحكم بما تقتضيه المناسبة(٢)). ولكن ما هي القيمة الأدبية للرحلات؟ نقول: إنها تمثل من خلال ما رواه الرحالة في أحاديثهم ومذكراتهم

(١) مجلة الفيصل، ع ١٣٣، رجب ١٤٠٨هـ، مقال أدب الرحلات في المملكة العربية السعودية، بقلم: محمود رداوي، ص٩٢.

(٢) مجلة المنهل، ع٤٩٧، المجلد ٥٤ المحرم ١٤١٣هـ، مقال أدب الرحلات فن متميز. عبد الله الحقيل، ص٥١.

ومؤلفاتهم، مما جعلها تأخذ سبيلها إلى عالم الأدب بوصفها نموذجاً أدبياً تتجلى فيه القدرة على الوصف الدقيق، والتعبير الفني الصادق، القائم على أسلوب جميل يعكس لنا قوة البلاغة في العصر الذي كتبت فيه.

ولست في هذا الجزء من بحثي في معرض الحديث بإفاضة عن أدب الرحلة، وإنما يعنيني ما أسهم به الشيخ عبد الله ابن خميس في هذا المجال؛ وما دفعني لدراسة أدب الرحلات عند ابن خميس أمران الأول أنه من الفنون النثرية التي تُدْرج ضمن ما كتبه، والثاني: أني وجدت فيما كتبه ابن خميس في أدب الرحلات استجلاء لأسلوبه النثري، وتدفق عاطفته إلى جانب قدرته الوصفية القصصية البارعة، ودقته في ذكر الأحداث والوقائع التاريخية، بصورة تجعل من هذا اللون الأدبي عنده لوناً منفرداً ومتميزاً؛ يفصح عن شخصية فريدة لها سماتها وخصائصها المتفردة، أيضاً في رحلات ابن خميس الأدبية التي سنعرض لها ذكريات ومشاهدات، وتناغم مدهش بين الماضي العريق بالتراث التاريخي الإنساني، والتقدم الحضاري؛ ليرسم لنا لوحات سياحية رائعة؛ ولا غرو فابن خميس المؤرخ الجغرافي، والرحالة قد سيطر حب الوطن والأهل عليه، فنذر نفسه، مؤرخاً أديباً جغرافياً يحدد المواقع والأعلام وأسماء الديار، ويصحح ما التبس على الآخرين منها، أعانه على ذلك كونه رحالة يدرك جيداً كيف يكون أدب الرحلات، ويدرك تماماً أهدافها وأغراضها، ويلم بأخبار الرحلات القديمة والحديثة وأعلامها، واهتم فيها بالمضمون الحضاري مدوناً ملاحظاته عن الآداب والفنون والتراث والمكتبات والمتاحف والمجامع والجامعات والجوامع؛ مقارناً بين الحضارات والشعوب، ودائماً لا يفوته أن ينادي بمذهبه الإصلاحي في استثارة الهمم والحث على الاستفادة مما تميز به الآخرون، واعتبره الكثير من دارسي الأدب من الرواد في أدب الرحلات

السعودي، فقد كتب الأستاذ عبد الله بن سعد اللحيدان مقالة في جريدة الجزيرة أشار فيها إلى ريادة ابن خميس في هذا الفن[١].

وما دونه الرداوي في كتابه الرحلات وأعلامها يتضمن المفهوم نفسه[٢]. ولأن ابن خميس يتميز بحساسية دينية وعاطفية عميقة، فإننا من خلال رحلاته رأيناه تواقاً إلى مد آفاقه إلى ما لا نهاية، ولقد دفعه حبه الشديد للرحلة، ومتعها الكبيرة، وفوائدها التي يغتنمها الرحالة، إلى أن نراه دائماً يقوم بتمجيد الأرض التي يزورها، ويضيئها من خلال عرضها بكثير من الأحاسيس النادرة، كما دفعه يقينه الراسخ بدور الرحلة في اكتشاف الآخرين، أو الراغبين إلى هذه البلاد التي يعرفها جيداً، لما عقده فيها من أواصر عديدة ومتينة.

ولأن ابن خميس أديب إعلامي صحفي، فإن أدب الرحلات البارز في كتبه يقوم على تجسيد المعاني، وتبسيط الحقائق، ودائماً ما يفيد من الحس الصحفي، والفراسة الإعلامية.. وسأتحدث عن أدب الرحلات عند ابن خميس، الذي استطعتُ ــ بعون من الله ــ حصره فيما دونه من كتب مستقلة زاخرة، وفيما أوجزه على صفحات الصحف والمجلات، ومنها ما ضمنه كتبه من جهاد قلم مما اقتضى المقام عدم إفرادها في كتب مستقلة، وقد توجهتُ بسؤال للشيخ ابن خميس حول لماذا لم يدون بعض رحلاته في كتب مستقلة بذاتها؟ فأجاب باختصار: إن المقام اقتضى مني إيجازها، ولا أقلل من قيمتها وما علِقَ في الذهن منها هو فقط ما دونته، ولكني حرصت على أن تدون في مجموعتي النثرية من جهاد قلم[٣]، ومن الكتب التي ألفها أديبنا ابن خميس في أدب الرحلات:

---

(١) جريدة الجزيرة، العدد ٨٩٣٨، ١٠/١١/١٤١٧هـ، ص١١.

(٢) الرحلات وأعلامها في الأدب السعودي المعاصر. محمود رداوي.

(٣) مقابلة مع الشيخ عبد الله ابن خميس بتاريخ ١٩/٨/١٤٢٤هـ في منزله.

١- المجاز بين اليمامة والحجاز[١].
٢- شهر في دمشق[٢].
٣- جولة في غرب أمريكا[٣].
٤- معجم اليمامة[٤].

أما ما أورده من رحلاته ضمن مجموعته النثرية من جهاد قلم وما ورد في مذكراته غير المنشورة:

١- رحلة إلى اليمن[٥].
٢- رحلة إلى أبها[٦].

أولاً: موضوعاته:

أ- المجاز بين اليمامة والحجاز:

ونبدأ باستعراض موضوع رحلة ابن خميس في كتابه المجاز بين اليمامة والحجاز، والكتاب يقع في قرابة أربعمائة صفحة.. ويذكر الدارسون لهذا النوع من الأدب أنه لا يوجد للرحلة حجم معين[٧]، ولكون المقدمة عنصراً مهمّاً من عناصر الرحلة النثرية الأدبية[٨]. لذا أوردُ مقتطفات من مقدمة ابن خميس لكتابه الرحلي [المجاز بين اليمامة والحجاز]؛ فوجدته قد تعدى مباشرة إلى الحديث عن

---

(١) المجاز بين اليمامة والحجاز. عبد الله بن خميس.ـ ط٤.ـ مطابع الفرزدق، ١٤١٠هـ.
(٢) شهر في دمشق. عبد الله بن خميس.ـ ط٢.ـ مطابع الفرزدق، ١٤١٠هـ.
(٣) جولة في غرب أمريكا. عبد الله بن خميس.ـ ط١.ـ مطابع الفرزدق، ١٤١٤هـ.
(٤) معجم اليمامة. عبد الله بن خميس.ـ ط١.ـ مطابع الفرزدق التجارية، ١٣٩٨هـ.
(٥) من جهاد قلم: محاضرات وبحوث. عبد الله ابن خميس.ـ ط١.ـ مطابع الفرزدق التجارية، ١٤٠٥هـ، ص٢٨٥.
(٦) من مذكرات الشيخ غير منشورة (شئون وشجون من واقع حياتي)، ص٢٨.
(٧) أدب الرحلة، د. حسين نصار.ـ ط١.ـ مصر: الشركة المصرية العالمية للنشر، ١٩٩١م، ص١٠٦.
(٨) المرجع السابق، ص١٠٧.

ظروف الرحلة والعوامل التي دفعته إلى هذا وذاك يقول: (فكان هذا الكتاب قصة هواية، وثمرة تجربة، ودفقة وفاء، عسى أن يكون لسالك هذا الطريق دليلاً، ولمن يستصحبه مؤنساً، ولمن يطلب منه الحقيقة أميناً..)[١].

ثم العنصر الآخر يورد فيه ابن خميس سبب تسمية الكتاب بالمجاز، فيقول (وأسميته المجاز بين اليمامة والحجاز، وما هو بنقيض الحقيقة في عرف البلاغيين، ولكنه من جاز الطريق يجوِّزه إذا قطعه: أدنى اسم على مسماه، لم تتكلفه السجعة، ولم يؤت به من أجلها)[٢].

وهي رحلة داخلية يصف فيها طريقاً أو مجازاً يمتد بين اليمامة (الرياض اليوم) وحتى الحجاز، وليس وصفه من خلال رحلة شاخصة بارزة، فمعالم الرحلة تبدو في كتابه معتمة، وإن أكد على تحقيقها في قوله (نظمت رحلات لهذا القصد، والتقيت بالعارفين في كل منطقة، وطبقت المعلومات عبر هذا الطريق كله، وخصصت سوق عكاظ ومنطقة الطائف وما بينهما وبين مكة برحلتين مستوعبتين)[٣].

ومما سبق تبين أن الشيخ عبد الله ابن خميس اعتمد على الرحلة لتحقيق أهداف علمية؛ وهي تحديد المواقع، ووصفها في الطريق الممتد بين اليمامة والحجاز، ونعدُّ هذه الرحلة من الأدب؛ لأن الشيخ ابن خميس لم يكتبها بأسلوب علمي جاف، إنما بأسلوب أدبي فيه حسن صياغة، وسمو خيال، وقوة عاطفة.

يقول الأستاذ عبد الله الحقيل: [فكم من رحالة أمدنا بمعلومات تاريخية وجغرافية؛ تتخللها إشارات ومعلومات عن المدن والجزر والجبال والأودية،

---

(١) المجاز بين اليمامة والحجاز، ص٩.

(٢) المرجع السابق، ص١٠.

(٣) المرجع السابق، ص٩.

ومختلف الظواهر، وما أعظم أن تتدبر قول الله تعالى ﴿أَوَ لَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ "سورة غافر، الآية: ٢١"](١).

وقد أجاد الشيخ فيما كتب إجادة تدعو إلى الإعجاب، فنحن مع الكتاب في آراء جيدة، وملاحظات دقيقة، وأسلوب جميل صافٍ، ونحن إذ نستعرض ما كتبه ابن خميس في رحلته بين اليمامة والحجاز، لا نتعامل معه باعتباره تسجيلاً جغرافياً فقط، إنما ندرس رحلته كبناء فني، وإبداع أدبي، له أسسه الخاصة، وملامحه الذاتية؛ حيث إنه في رحلته ربط بين عين الباحث، وعين الأديب (فحديثه عن تلك الأعلام الجغرافية حديث الشاعر المغرم بالوصف والدقة؛ ولا تخلو أوصافه من حيوية وطرافة وتشويق وبلاغة أدبية، إنه يراها بعين الشاعر لا بعين العالم)(٢).

أما منهجيته في المجاز فقد التزم ابن خميس في تأليفه ذكر ما يجتازه السير، أو ما يبصره المجتاز يميناً وشمالاً، من أعلام الأمكنة أرضاً أو وادياً أو جبلاً أو بلاداً أو منهلاً أو أثراً، وربما جره البحث إلى ذكر ما له صلة بما يجري التحدث عنه، فهو يحدد المكان ويضبطه بالشكل، ويصفه وصفاً موجزاً، ويورد جل ما قيل فيه من الشعر إن وجد؛ ويورد ما ذكره عنده علماء المنازل والديار جله أو كله، إذا كان ورد لـــه ذكر، ودائماً ما يُشير إلى الخلاف في التسمية أو التحديد، ويبين أين يقع هذا العلم بالنسبة لديار القبائل قديماً وحديثاً، وإلى ما وقع حوله من أحداث، أو قصص أو آيات قرآنية أو أحاديث نبوية أو آثار وأخبار، ويذكر ما كان مرادفاً لـــه، وما حدث في اسمه من تحوير، أو تأثير كل ذلك على وجه الأغلب والأشمل، بأسلوب أدبي مشرق.

---

(١) مجلـة الجزيـرة، العـدد ٢٤، الاثنيـن ١٣ جمادى الآخرة ١٤٢٤هـ، مقال [في أدب الرحلات]، ص٣.

(٢) الرحلات وأعلامها في الأدب السعودي. محمود رداوي، ص٥٨.

ويذكر ابن خميس أنه نظم رحلات لهذا القصد، والتقى فيها بالعارفين في كل منطقة، وطبق معلوماته على الطبيعة عبر ذلك الطريق، من اليمامة إلى الحجاز.

ولا يخفي ابن خميس أنه خصص لسوق عكاظ، ومنطقة الطائف وما بينهما وبين مكة رحلتين مستوعبتين، ويذكر عنصراً مهمّاً من عناصر الرحلة النثرية الأدبية، وهم رفقة السفر، فيقول: إنه رحل معه مرافقاً إلى سوق عكاظ؛ الشريف نوار بن عبد الكريم الجودي، وعلي بن معيوف القصير[١].

وهذا ما يؤكد أهمية وجود الأدلاء مع الرحالين[٢]. ويعتني ابن خميس خلال رحلته من اليمامة إلى الحجاز بتصوير شعوره حول ما شاهده، ومن هنا تدخل رحلته في مجال الأدب؛ لأنه ينفعل ويتأثر ويصور لنا هذا من خلال عمله الأدبي، ولعل عبد القدوس الأنصاري[٣] كان محقاً عندما أشار إلى تفاضل الرحالة في دقة الملاحظة وتصوير المشاعر، وجعلها أساساً لتميز بعضهم عن بعض، إذ تختلف لديهم الحاسة السادسة، وهي الملاحظة ضعفاً وقوة ومحدودية وشمولاً وضحالة وعمقاً[٤]. فالهدف من رحلة ابن خميس أنه منذ صغره يهوى السير في المنازل والديار، ويهتم بدراستها، وتحديد أماكنها وهو في كتابه المجاز بين اليمامة والحجاز، يقيم الرحلة للتمتع بمرابع الديار، ومراتعها ويسعى إلى تطبيق ما يحفظ عنها على الطبيعة، وكنه الحقيقة.. وقد ورد في حديث عن كتابه المجاز أن الشيخ قام برحلة قطع فيها الكثير من الكيلومترات، وضحى بثمين الأوقات، في ساعات النقاش التي دارت حول بعض الأمكنة المستغلقة على الأفهام[٥].

---

(١) ذكر ابن خميس في المجاز أنه تم تكليف هذين المرافقين من قبل أمير الطائف عبدالعزيز ابن فهد ابن معمر، ص١٠.

(٢) أدب الرحلة. د. حسين نصار، ص١١٠.

(٣) سبق التعريف بالكاتب.

(٤) مع ابن جبير في رحلته. عبد القدوس الأنصاري.ــ ط١، ١٣٩٦هــ، ص١٥.

(٥) الموجز في تاريخ الأدب العربي السعودي، ص٥٢.

ونأخذ مثالاً على ذلك من مروره الرحلي على نجد عندما قال: (سقيا لها فالعيش فيها خَضِلٌ حينما تختلف نوّارها، وتصدح أطيارها ويفوح عَرْفها، وتُسْحِر صباها، وتداعب شيحها وخزامها، إذا أقمرت لياليها وازينت بالنبت روابيها، وكنتَ منها في جرعاء مغدقة، وقودك الرمث وشواؤك لحم الصيد، وشرابك لبن الإبل، مع رفقة لا يمل نديمهم، ولا ريبة في صحبتهم، يتساقطون نفحات الآداب، ويتبارزون في عرض المُلح والطرائف، تلك لعمري سويعات الحياة الجميلة واختلاسات الدهر النادرة عند من هذه هوايته، وللناس فيما يعشقون مذاهب)(١).

وقد جاز ابن خميس الطريق بين اليمامة والحجاز ممتطياً ناقته وكأنه يلبس روح طرفة ابن العبد عندما قال:

وإني لأمضي الهم عند احتضاره بعوجاء مرقال تروح وتغتدي(٢)

ثم راكباً سيارته(٣).. وما اكتفى بما دونه بمذكراته، أو سمعه من رواته، أو عثر عليه في مراجعاته، بل نظم لـــه عدة رحلات من أجل جمع مادة الكتاب، ونستطيع أن نجزم أن رحلته كانت بهدف علمي إلى جانب ما يستهوي الشيخ من المتعة، وفي ذلك التقى ابن خميس بالعارفين في المدينة والفلاة، وطبق ذلك على الطبيعة فخرج بذلك كله في المجاز.

واستطاع الشيخ أن يحدد المواقع الجغرافية، ويسرد ما وقع فيها من الأحداث التاريخية، والقصص القرآنية، والأحاديث النبوية، والآثار والأخبار المروية؛ كل ذلك بأسلوب بليغ، بالرغم من أن مادته علمية، قلما تنقاد للأساليب البيانية.

---

(١) المجاز بين اليمامة والحجاز. عبد الله ابن خميس، ص١٨٢.
(٢) ديوان طرفة بن العبد؛ تحقيق عمر الطباع.ـ بيروت ط دار القلم، (بدون) تاريخ، ص٢٤.
(٣) كانت الرحلة في الثمانينات الهجرية وتم تأليف الكتاب عام ١٣٩٠هـ.

ويمضي ابن خميس على هذا المنوال؛ ليحدد نجداً تحديداً دقيقاً، ويورد فيه أقوال علماء المنازل والديار، ثم يذكر مكانتها في الشعر العربي، ويستشهد على ذلك بالكثير من القصائد والمقطوعات الشعرية، وفيه ينتقل إلى عكاظ، ويحدده تحديداً دقيقاً، ويذكر آراء العلماء القدامى والمحدثين فيه، ثم يومئ إلى مكانته في الماضي، مشيراً إلى مواقف قس بن ساعدة[١]، والنابغة الذبياني[٢]، وغيرهما من رواد السوق ومريديه، ثم يتحدث عن مصيف المملكة الطائف، وما حوله من الأعلام والآثار، مشيراً إلى موقف أهله من الدعوة الإسلامية، حيث حاربوها في بادئ الأمر، ثم بعثوا للرسول صلى الله عليه وسلم رسولهم يخبره بإسلامهم[٣].

يقول: (الطائف إحدى المدن العريقة شهرة وأصالة وقدماً، والمصيف الأول لهذه المملكة، وملتقى طرق نجد واليمن والحجاز. هيأ لـــه مناخه مستوى من الحظوة، وأعطاه موقعه مزيداً من الرغبة، وفرضت زراعته نفسها على الأسواق، وهيأه موقعة لرواج تجارته، كما أنه مركز مقصود، وملتقى لعدد من قبائل العرب العريقة ثقيف، وهوازن، وبني هلال وبني نصر، بلاد منجبة في الجاهلية والإسلام، أول من قصد النبي صلى الله عليه وسلم لتبليغ رسالته والاستنجاد بأهله فما حالفهم التوفيق، أشار إليه القرآن بقوله **﴿وَقَالُوا لَوْلا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنْ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾** "سورة الزخرف، الآية: ٣١". القريتان مكة والطائف، ورجل مكة؛ الوليد بن المغيرة، ورجل الطائف؛ عروة بن مسعود

---

(١) قس بن ساعدة: من بني زياد أحد حكماء العرب وخطبائهم في الجاهلية. أول من قال أما بعد. أدركه النبي صلى الله عليه وسلم قبل النبوة. توفي نحو ٦٠٠م.
انظر: الأعلام. خير الدين الزركلي، ج٥، ص١٩٦.

(٢) النابغة الذبياني: هو زياد بن معاوية المضري. شاعر جاهلي من الحجاز. لـــه قصة مع النعمان بن المنذر. توفي نحو ٦٠٤م.
انظر: الأعلام. خير الدين، الزركلي، ٥٤/٣.

(٣) انظر: كتاب فقه السيرة للإمام محمد الغزالي.ـــ ط١ـــ الدوحة: مطابع علي بن علي، ص١٣٠.

الثقفي)[١]. ومن خلال المجاز يلمس الباحث الأثر الواضح الذي تركته العقيدة الإسلامية على كتابات ابن خميس.. وفي المجاز وصل أديبنا إلى أرض الحجاز، فكانت هناك دواعٍ لإبراز الحس الإسلامي، فقد خص الشيخ المشاعر المقدسة وما حولها بأحاديث روحانية تبين فيها مواضع المشاعر الدينية، وما جرى فيها من العظات والعبر.

وينطلق ابن خميس في رحلته بين اليمامة والحجاز منطلقاً آخراً يقف فيه عند أهمية الرحلة في التراث العربي العريق، ويبرز مدى وثراء وتنوع بعض المواقع الرحلية التي اجتازها.. لنصغِ إليه وهو يتحدث عن موقع سوق عكاظ؛ الذي لـــه ماله من الاعتزاز في نفس الأديب ابن خميس وفكره يقول: (انطلقت بنا السيارة بعد اجتياز جسر وادي المبعوث أميالاً، لنكون بعدها بمحاذاة جبيل أسود يسار الطريق؛ لا يبعد عنه إلا أمتاراً) ويمضي في وصفه لطريق الرحلة والمواقع المحاذية لـــه إلى أن يحدد أين هو سوق عكاظ.

ويشد انتباه الأديب ابن خميس في رحلته حس آخر، هو التراث الحضاري الذي ألمّ بخاطره وهو يرتاد موقع سوق عكاظ فيقول: (وعكاظ أعظم معرض في جزيرة العرب للتجارة والصناعة والفن، وأعظم مؤتمر للرأي والسياسة والاجتماع، وأعظم منتدى للشعر والبلاغة والخطابة، لم تبلغ المعارض الدولية اليوم على ما بها من تنسيق وتنظيم وابتكار ما بلغه سوق عكاظ، من حيث كثرة الرواد، وتعدد الأهداف واستيعاب القبائل، وحرارة اللقاء، يلتقي فيه اليمني، والعراقي والعماني، والشامي، والنجدي، والحجازي، والهجري، وتؤمه تجارة الفرس، والأحباش، وغيرهما من الأمم)[٢].

---

(١) انظر: المجاز بين اليمامة والحجاز، ص٢٥٤.

(٢) المجاز بين اليمامة والحجاز، ص٢٤٦.

ويأبى ابن خميس في رحلته إلا أن يدخل إلى الدور الاجتماعي الذي كان في سوق عكاظ فيقول: (وتخرج قبيلة أو زعيم على عادة من عادات العرب، أو سنة من سننهم، فتسمع منتديات عكاظ ما أتته هذه القبيلة، أو هذا الزعيم، فيكون الحكم عليها قاسياً وتحملها الأمم المشتركة في عكاظ عار الدهر، فتبوء به خزياً مخلداً..)[١].

"ويضطلع بالحكم في هذا وذاك، وما سواهما من مشكلات سياسية، أو اجتماعية، حكماء اتفق العرب على تحكيمهم، وجعلوا قولهم الفصل، وحكمهم العدل، وتنصب المنابر لحكماء العرب، أو يقفون على جمالهم، يخطبون ويعظون، ويذكرون العرب بأيام الله، وما هنالك من حساب ونشور، وما فُطرت عليه هذه العوالم العظيمة من أسرار، وكان من أولئك حكيم العرب قس بن ساعدة"[٢]. ويورد ابن خميس نصاً من خطبة قس التي كان يسمعها آنذاك الرسول محمد صلى الله عليه وسلم عندما كان غلاماً صغيراً والتي ذكرها عندما جاءه وفد إياد بعد النبوة فقال: (رحم الله قساً إني لأرجو أن يبعث يوم القيامة أمة وحده)[٣]. وفي رحلة ابن خميس إلى سوق عكاظ يتجسد حس الأديب المسلم، المفتخر بلغته وبيانها، فنراه يتحدث عن ذلك حديث المفتخر الشغوف بمآثره، فيذكر حرص العرب على البيان، وأن أعظم مفاخرهم الشعر، [ذلك أن البلاغة واللسن صفتان مميزتان لهذه الأمة ذهبت كل أمة تنشد فخرها في مجالات شتى، وركزت أمة العرب فخرها في لسانها، فجاءت عن طريقه بالمعجزات، وتركت من أسرار الضاد الآيات الباهرات، تُضرَب في عكاظ قبةٌ من أدم بهذا السوق،

(١) المجاز بين اليمامة والحجاز، ص٢٤٧.

(٢) المرجع السابق، ص٢٤٧.

(٣) أورده ابن كثير في البداية والنهاية، ج٢، ص٢٥٦، وقال حديث غريب جدا، وهو مرسل والله أعلم.

يتربع بها نابغة بني ذبيان حكماً، أول، تنتظم حوله عقد الشعراء، من كافة القبائل يعرضون عليه حصاد عامهم ذلك، مما هذبته القرائح، وأبدعته الأفكار، فيصدرون عن حكم صيرف، يصنف الشعر، وينتقده ويضعه حيث تكون منزلته][١]. ويتحدث اللغوي ابن خميس في رحلته إلى عكاظ عن لهجات العرب، ومدى تأثير سوق عكاظ على اختلاطها، وتمازجها، وتهذيبها، وهذه حقيقة تاريخية فطن لها دارسو علم اللهجات[٢]. يقول: (وتلتقي اللهجات العربية هنالك، وتبادل الأحاديث ما يعلق بها من دخيل، جره صلة تجارة، أو علاقة من العلاقات، أو حوار أو ما يعلق به من استعمال دعا إليه التسامح، أو أقحمه الإيغال في لهجة حوشية، فيهذب سوق عكاظ ما هنا أو هنالك)[٣].

ويختم ابن خميس حديثه عن عكاظ، وعن رحلته إلى موقع ذلك المنتدى، مورداً ما قيل فيه من شعر القدماء، ومنها قول الهذلي[٤]:

إذا بني القباب على عكاظ وقام البيع واجتمع الألوفُ

وقول المخبل[٥]:

ليالي سعد في عكاظ يسوقها لــه كل شرق من عكاظ ومغرب

---

(١) المجاز بين اليمامة والحجاز، ص ٢٤٧.

(٢) انظر: اللهجات العربية، د. إبراهيم أنيس ـ ط٥ ـ القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٦٥م، ص٤٧.

(٣) المجاز بين اليمامة والحجاز، ص٢٤٩.

(٤) أبــو ذؤيب الهذلي. شاعر جاهلي فحل. صنفه صاحب الطبقات في الطبقة الثالثة وقال لا غمــيزة فــيه ولا وهن، انظر: طبقات فحول الشعراء. محمد بن سلام الجمحي؛ تحقيق محمود شاكر ـ جدة: ط دار المدني، د.ت الجزء الأول، ص١٣٣.

(٥) الشــاعر المخــبل السعدي. شاعر فحل من شعراء الجاهلية وهو أبو يزيد. صنفه صاحب الطــبقات في الطبقة الخامسة من شعراء الجاهلية، انظر: طبقات فحول الشعراء. محمد بن سلام الجمحي؛ تحقيق محمود شاكر، الجزء الأول، ص١٤٩.

ومن خلال رحلة ابن خميس بين اليمامة والحجاز نلمس تفرده بالرأي، وتميز شخصيته واستقلالها فيما يورده.. ومن شواهد ذلك مناقشته الموضوعية لابن بليهد[١] رحمه الله فيما أورده في كتابه (صحيح الأخبار عما في بلاد العرب من الآثار)[٢].

وتحسب سلمى لا تزال كعهدنا   بوادي الخزامى أو على رأس أوعال

ومنه كذلك ما رجحه من أقوال الباحثين والمحققين، فيما يخص مدينة الطائف التي وقع عليها حصار النبي عليه الصلاة والسلام، وسورتها ثقيف، وذبوا عنها، ما هي بالمدينة القائمة الآن، وما هذا بمكانها، بل هي ما بين المثناة غرباً، والسلامة شمالاً وشهار جنوباً، وحوايا شرقاً.

كما نتبين دقة ملاحظته، فقد فرق بين (الحوأب) العراقي الذي ورد في الحديث النبوي في قصة عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها، وبين الحوأب الواقع في عالية نجد الجنوبية، وهذان الموقعان وَهِم فيهما الكثير من الرحالة والمحققين[٣].

---

(١) محمد بن عبد الله بن بليهد النجدي. مؤرخ شاعر عالم بتقويم البلدان. توفي عام ١٣٧٨هـ، انظر: الشيخ محمد بن عبد الله بن بليهد، وآثاره الأدبية. أ.د. محمد بن سعد بن حسين.ــ ط١.ــ الرياض: مطابع اليمامة، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.

(٢) المجاز بين اليمامة والحجاز، ص١٧٠.

(٣) وفي الحديث أن عائشة رضي الله عنها لما رأت المضي إلى البصرة في وقعة الجمل مرت بهذا الموضع فسمعت نباح الكلاب فقالت: ما هذا الموضع، فقيل لها: هذا موضع يقال له الحوأب، فقالت: إنا لله ما أراني إلا صاحبة القصة، فقيل لها وأي قصة قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول وعنده نساؤه: ليت شعري أيتكن تنبحها كلاب الحواب سائرة في كتيبة إلى الشرق [الحوأب]، وهمت بالرجوع، فغالطوها وحلفوا لها أنه ليس بالحوأب، انظر: معجم البلدان. ياقوت الحموي.ــ بيروت: دار صادر، ٣١٤/٢.

ويبرز الحس الديني مرة أخرى عند ابن خميس، فيحرص على تحديد الأماكن التي دارت فيها بعض المعارك الإسلامية في عهد الخليفتين الراشدين أبي بكر الصديق، وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما[١]. ودائماً ما يلجأ ابن خميس إلى وصله ما استطاع بين الاسم القديم والاسم الحديث لبعض الأماكن[٢].

وابن خميس وهو ذاك الأديب الإحيائي التوجه، والذي يوغل تمسكاً وامتزاجاً بالتراث الأدبي القديم، ويتمثل شخصياته، ويعلو بشعره ونثره إلى أساليب القدماء، وينتهج نهجهم يأبى حسه ذاك إلا أن يحتفي أثناء رحلته بالمواطن الأصلية لأعلام أدبنا العربي والإسلامي، فاليمامة هي الموطن الأصلي للأعشى[٣]، وجرير[٤]، والفرزدق[٥]، ومرآة (سيرد لماذا رسمتُها بالتاء المربوطة) هي الموطن الأصلي لامرئ القيس[٦]، وذو الرمة

---

(١) انظر: المجاز بين اليمامة والحجاز، ص١٨٠، ص١٤٧.

(٢) انظر: المجاز بين اليمامة والحجاز، ص١٦٨.

(٣) الأعشى: ميمون بن قيس بن جندل. من بني قيس بن ثعلبة، أبو بصير المعروف بأعشى قيس، من شعراء الطبقة الأولى في الجاهلية وأحد أصحاب المعلقات، كان يغنى بشعره فسمي (صناجة العرب). أدرك الإسلام ولم يسلم ولقب بالأعشى لضعف بصره، ويوجد داره في منفوحة بمدينة الرياض، حيث ولد وتوفى. له ديوان شعر مطبوع. انظر: الأعلام. خير الدين الزركلي، ٣٤١/٧.

(٤) جرير بن عطية بن حذيفة الخطفي. من تميم. أشعر أهل عصره. ولد ومات في اليمامة. كان هجاءً وقد جمعت نقائضه مع الفرزدق في ثلاثة أجزاء وديوان شعره في جزأين. انظر: الأعلام، خير الدين الزركلي، ١١٩/٢.

(٥) الفرزدق: همام بن غالب بن أبي صعصعة التميمي الدارمي، أبو فراس. شاعر من أهل البصرة، يقال لولا شعر الفرزدق لذهب ثلث لغة العرب، وهو صاحب النقائض مع جرير والأخطل. كان شريفاً في قومه وكان لا ينشد بين يدي الخلفاء إلا قاعداً. له ديوان شعر مطبوع بعنوان نقائض جرير والفرزدق. توفي في بادية البصرة وقد قارب المئة. انظر: الأعلام. خير الدين الزركلي، ٩٣/٨.

(٦) امرؤ القيس: هو التميمي من أجواد العرب وليس امرأ القيس بن حجر الكندي وكلاهما شاعر.

الشاعر[١]، ولقد فاضت ذاكرة ابن خميس، وحافظته القوية وموهبته الأدبية بروائع الشعر والنثر، في وقفاته عند كثير من تلك المواطن التي مر بها فأوحت لـــه ما أوحت، ومن ذلك (هضبة جبلة) وبلدة عفيف، وهضبة "أحلى" بأعلى نجد، ووادي الجريب أخصب أودية نجد، حيث تقع في أعلاه هضبات الذنائب؛ مثوى عزيز العرب كليب وائل[٢]. ودار خرقاء التي قال فيها ذو الرمة:

تمام الحجِّ أن تقفَ المطايا على خرقاءَ واضعةِ اللثامِ[٣]

ومما سيأتي نرى أن ابن خميس في رحلته قد وصل الأدب بالبيئة والطبيعة والتراث وصلاً يرتاح إليه الذوق الأدبي السليم، فهو عندما يتجاوز موقعاً حديثاً يصله بأصوله العريقة. ومثال ذلك عندما مرّ بجبل (ظلم) الذي ذكر ما قاله فيه الشاعر الجاهلي زهير ابن أبي سلمى[٤]، والنابغة الجعدي[٥]، ثم ذكر ما قاله فيه الشاعر السعودي محسن الهزاني[٦].

---

(١) ذو الـــرمة مـــن تناول مرآة بالهجاء، يقول: ولما وردنا مرآة اللوم غلقت دساكر لم تدفع لخير ظلالها.

(٢) كليـــب وائل: هو كليب بن ربيعة بن مرة التغلبي من شجعان الجاهلية. كانت منازله في نجد. قتله جساس بن مرة، فقامت حرب البسوس. انظر: الأعلام. خير الدين الزركلي، ٥/٢٣٢.

(٣) انظر: القصة كاملة في المجاز بين اليمامة والحجاز، ص١٥٩.

(٤) زهير بن أبي سلمى بن ربيعة بن رباح المزني. من مضر حكيم الشعراء في الجاهلية. أقام فـــي الحاجـــر مـــن ديار نجد، سميت قصائده بالحوليات. لـــه ديوان شعر مطبوع، انظر: الأعلام. خير الدين الزركلي، ٣/٥٢.

(٥) الـــنابغة الجعدي: قيس بن عبد الله بن عدس بن ربيعة الجعدي. شاعر مفلق من المعمرين. هجر الأوثان في الجاهلية، ونبغ في الشعر بعد الثلاثين. وفد على الرسول صلى الله عليه وسلم وأسلم وأدرك (صفين). مات وقد جاوز المئة في خلافة معاوية. له ديوان شعر مطبوع. انظر: الأعلام. خير الدين الزركلي ٥/٢٠٧.

(٦) محســـن الهزاني. ولد في بلدة الحريق وتوفي بها، انظر: جهاد قلم محاضرات وبحوث، عبد الله ابن خميس، ص٦٣.

وننتقل للحديث عن الحذق اللغوي عند ابن خميس، فلقد برز أثناء رحلته وهو العالم اللغوي الفقيه الذي يحرص على التماس الأصل الأصيل، والتعليل الجميل لتسميته بعض الأعلام والأشخاص، ومن ذلك ما ذكره في تعليل اسم قصي جد الرسول محمد صلى الله عليه وسلم يقول: (استقل قصي بالأمر فهو أول من ملك من بني كنانة وهو الأب الخامس في النسب النبوي الشريف، وسمي قصياً؛ لأن أمه تزوجت في بني عذرة، بعد أن هلك والده، فمكث في أطراف الشام فسمي قصياً)[١].

وعلل ابن خميس للكثير من الأسماء مثل مكة، والحجاز، واليمامة، والطائف، وعرفات[٢]، ومزدلفة، والمهلهل، وكانت تعليلات فقهية لغوية؛ إلا أن الموضوعية ترافق أدب ابن خميس عند تعليله للمواضع؛ يقول عندما ذكر وادي نخب بالطائف: (ويسمى وادي نخب، وادي النمل، ويذهب بعض الباحثين إلى أنه وادي النمل، الذي ذكره الله في كتابه في قصة النبي سليمان عليه السلام وليس هنا من الأدلة ما يدعم هذا القول)[٣].

وعلى مدار رحلة ابن خميس في المجاز، يشرق الحس الوطني، فهو يتشوق لليمامة موطنه الأصلي، بقصائد كثيرة، ودائماً ما يحرص على الإشادة ببسالة أبناء نجد في مواجهة الحملة العثمانية ضد الدعوة السلفية[٤]. ونراه وهو يفتخر بمآثر أجداده المسلمين، فيمر على المواقع في بلادنا، ويزجي ترحيبه الحار بالنهضة العمرانية الحديثة التي نعمت بها تلك المدن، والحواضر ومن ذلك عندما أشاد بما نعمت به مكة المكرمة، وما زالت تنعم به في العهد

(١) المجاز بين اليمامة والحجاز، ص٣١٧.

(٢) انظر: المجاز ص٢٩٣ (شعر النميري في عرفات).

(٣) انظر: المجاز، ص٢٩٦.

(٤) انظر: المجاز، ص٢١٠.

السعودي المجيد، بعد أن كانت قديما وفي عهدها الأول الذي زارها فيه الخليل إبراهيم، والذبيح إسماعيل يقول: (لم تكن مكة إلا واديا من سلَم[١] ليس بها عمران، ولا سكن واتسع عمرانها قليلاً قبل النهضة السعودية ولم يتجاوز المعلاة إلا من بعض بساتين ومتنـــزهات في أعلى الوادي، وعلى حوافيه. أما الآن فقد غمر العمران المحصَّب، وامتد إلى قرابة منى، وقامت هنالك الدارات الجميلة، والقصور الفخمة، والشوارع المنسقة)[٢].

ونستطيع بعد استعراضنا لرحلة ابن خميس بين اليمامة والحجاز، والتي توقفتُ عند أجزاء منها أن نُلْمِح إلى المضامين الفكرية التي يستوحيها القارئ من رحلة ابن خميس، فهو لا يريد من القارئ إلا أن يقدم حكماً صادقاً على ما طرحه في مجازه، بعد اكتمال جوانب الصورة، وربطها بالتراث الأدبي والتاريخي المجيد، والمعلومات الموثقة، فيخرج القارئ وقد تزود بأصناف المعرفة، ودائماً ما يحس المطلع على المجاز أنه حيال منتدى ثقافي، يجمع كل ما تشتهيه النفس، وتتوق إليه الروح من أدب، ولغة، وتاريخ وتراث يرى القارئ حقيقة هذه الأرض المباركة التي طافها ابن خميس والذي يقرر عبر رحلته أصالتها، وعمق مضامينها التراثية، ورسوخ مكانتها.

والشيخ أثناء رحلته يجسد ويؤكد على أهمية الأماكن وما تثيره في الإنسان من قيم ومبادئ وما ترمز إليه في أعماق التاريخ والحضارة.

وعادة ما تمتلئ الأماكن التي مرّ بها ابن خميس أثناء رحلته بمواقف إيجابية في حياة من سكنها وعاش فيها، وهذا ما يجعل القارئ لرحلة ابن خميس (المجاز) يؤمن بالتعاطف بين الفكر والأمة، وأن قوة الفكر وعظمته دائماً ما تستمدان من

---

(١) السـلم: شـجرة ذات شوك يدبغ بورقها وقشرها، انظر: لسان العرب، باب الميم فصل السين ١٢/٢٩٧.

(٢) انظر: المجاز بين اليمامة والحجاز، ص٣٤٧.

تراثها الحضاري، ويؤكد في رحلته، ومن خلال استعراضه لتفاصيل الرحلة، أن مصدر قوة الأمة الإسلامية، هو دينها وتاريخها ولغتها وتراثها.

ويقترن مضمون الرحلة بالحس الوطني، فكثيراً ما نقف مع ابن خميس في كل مناسبة، وهو يشيد بفضل آل سعود، وما أنجزوه من أوجه الحضارة والتقدم والازدهار لهذه البلاد، يقول: (وما أخال دولة آل سعود إلا وقد أدركت القِدْح المعلى، والنصيب الأوفى وآتت في عمارة الحرمين، وسقياهما، وتنويرهما وتطويرهما ما لم يأت به أحد قبلها)[١].

ومن المضامين الملموسة في رحلة ابن خميس بين اليمامة والحجاز؛ أنه دائماً ما تلبس معلوماته التاريخية القديمة أثناء رحلته ثوباً جديداً عصرياً، وذلك من خلال شفافيته الشاعرية، وعمقه الفكري، وحسه التاريخي، تحدث عن عكاظ بشغف وحماس وبرزت مشاعر الثقة.

وكما صور ابن خميس سوق عكاظ بصورة مشرقة من حيث إنه معرض اقتصادي وفكري ومنتدى أدبي ولغوي، فإنه صوره بصورته الكئيبة؛ لأنه مبعث منافرة وزناد حرب، تحفزها العادات الجاهلية، وتثيرها العصبيات؛ لتخرج بحروب لا تخبو نارها ولا يهدأ أوارها[٢]، فكأنه يتحدث عن التاريخ العربي بكل زخمه في أعماقه.

ومن المضامين الفكرية في رحلة ابن خميس، اعتزازه بثوابت العقيدة، يتحدث عن سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم، ويشخص في أفقه الأماكن التي ارتادها، فيتحدث عن الغلام الصغير الذي يشهد ما يدور في سوق عكاظ، ويستمع إلى خطبة قس بن ساعدة، وهو يتحدث عن الموت والفناء.

---

(١) المجاز بين اليمامة والحجاز، ص٢٨٩ (عند مروره بعين زبيدة).

(٢) المرجع السابق، ص٢٤٦.

وتحدث عن الغلام الصغير؛ رسول الله صلى الله عليه وسلم، حين كان يناول أعمامه سهام يوم الفجار[١]. وكثيراً ما يبسط ابن خميس الحديث أثناء رحلته، عن كل الأماكن التي كان لها صلة بجهود الرسول صلى الله عليه وسلم

والأديب عبد الله ابن خميس وهو صاحب النهج الاجتماعي الذي يمجد الكفاح، ويبرز الجد والشجاعة، نراه أثناء رحلته عندما مرّ بأماكن الصعاليك في الجاهلية يتحدث عنهم، ويرسم لوحات أدبية عن أخبار الشعر، والصعاليك الذين قرأنا عنهم ضمن المنظومة الأدبية لشعراء العصر الجاهلي، يتحدث عن تجمعاتهم في جبل (نير)[٢]. يقول: (اتخذ منه الصعاليك معقلاً يأوون إليه لتحميهم هضابه، وشعابه، وكهوفه وتجاويفه من سطوة الحكام، ونقمة الأمراء، به ظواهر تخالف ما حوله من الجبال، فهو أسود فاحم.. بينما الجبال حوله تغلب عليها الحمرة).

ويورد ابن خميس أشعار أولئك الصعاليك، وما يرتجزون من أشعار تمجد ما يفعلونه، وهي لديهم باب للفخر والتباهي، يقول أحد أولئك اللصوص الصعاليك وهو سليمان بن عياش:

يقر لعيني أن ترى بين عصبة ... عراقية قد حز عنها كتابها
وأن أسمع الطراق يلقون رفقة ... مخيمة بالسيئ ضاعت ركابها
أتيح لها بالصحن بين عنيزة ... وبسيان أطلاس جرود ثيابها
ذئاب تعاوت من سليم وعامر ... وعبس وما يلقى هناك ذئابها[٣]

---

(١) يوم الفجار: هاجت حرب الفجار بين قريش ومن معها من كنانة وبين قيس عيلان، وكان الرسول صلى الله عليه وسلم ابن أربع عشرة سنة أو خمس عشرة، والفجار بكسر الفاء على وزن قتال، وفيه استحلت كنانة وقيس المحارم بينهم وكان قائد قريش حرب بن أمية بن عبدشمس. انظر: البداية والنهاية، للإمام ابن كثير ــ القاهرة: ط مطبعة الفجالة، ٣١٣/٢.

(٢) نير: جبل يمتد من الشرق إلى الغرب إلى القرب من مدينة عفيف، انظر: المجاز، ص١٣١.

(٣) المجاز بين اليمامة والحجاز، ص١٩٧.

وابن خميس اعتمد في معلوماته اللغوية والأدبية والتاريخية في رحلته عبر المجاز على مصادر عربية قديمة وحديثة، جميعها تظهر أنواع الثقافة التي يتمتع بها ابن خميس واهتماماته التي ليس لها حدود، فيما يخص تراث الأمة.

ولابد من الإشارة ونحن نتحدث عن رحلة ابن خميس بين اليمامة والحجاز، أننا في جميع الكتاب قد لا نحس أن هناك ثمة رحلة قائمة، إلا من نتف مبعثرة هنا وهناك، حيث تقل الأحداث التي تطبع الرحلة بالحيوية والحركة، وأنه عندما يبرز الحديث أحياناً نراه يختفي خلف لوحات الشعر، وتحديد المواقع، ورواية القصص، التي حدثت بها والاقتباس والتضمين، مادة أدبية لغوية تاريخية ثرية فكأن مخرجات الرحلة دائرة معارف، فأديبنا يلج الباب ثم يبدأ في رسم لوحاته حولها، فتتلاشى لنا أحداث وأفعال الرحلة، وتذوب أمام التراث الموسوعي الأدبي والتاريخي الذي دائماً ما يبقى شاخصاً أمام أنظارنا يقول: (ومنذ ولجنا بطن قرقري جنوباً مما يلي المزاحمية، والنفود يسير معنا، غرباً وهكذا نحو الشمال الغربي تحف بها الرياض، وكثيب الجبل يميناً حتى يبدو لنا جبل كميت وهو علامة بلدة مرآة)[١].

وتذوب أحداث الرحلة أمام ما قيل في مرآة من أشعار، وما مر بها من أحداث، وما تحويه من تضاريس، تنطق في حس ابن خميس، فكل حجر لـه قصة، وكل واد فيه قبيلة وكل قبيلة بها من الشعراء فلان الذي قال، وهكذا. ولكن طرافة المعلومات، ورشاقة الأسلوب أثناء العرض، تغني عما افتقده في رحلته بين اليمامة والحجاز من حركة وفعل ومعاناة، فابن خميس عندما ولج مرآة بدأ اهتمامه الواسع بالوقوف عند بعض الأخطاء التي وقع فيها مؤرخو الأدب كي يظل القارئ في وقدة من الحس والشعور مع التراث سواء ما كان في مجال التاريخ، أو اللغة أو الشعر. يقول عندما ولج بلدة مرآة: (من الناحية

---

(١) المجاز بين اليمامة والحجاز، ص٣٥٦.

الجنوبية لجبل كميت تقع بلدة مرآة هذه البلدة الأثرية، والتي اشتهرت بأنها بلدة امرئ القيس، ولكن ليس ابن حجر الكندي الشاعر، بل امرؤ القيس التميمي[١]، وما أكثر ما غلط في ذلك الكاتبون لما تشتبه عليهم من أسماء المراقسة). ويذكر ابن خميس أن بلدة مرآة قد ابتليت بشاعر هجاء أقذع في هجائها، ونال منها ما لم ينله شاعر من بلد، ويرفع ابن خميس عن مرآة ما لحقها من سوء قول ذي الرمة فيقول: (إنها قرية كريمة، وأهلها طيبون وهي ليست كما قال ذو الرمة:

إن امرأ القيس هم الأنباط زرق إذا استقبلتهم سناط
ما فيهم من حسب رباط ولا إلى طرق الهدى صراط

وبمناسبة مرور ابن خميس أثناء رحلته بمدينة مرآة، فقد وقف عند الرسم الإملائي لاسم تلك البلدة، فيقول: (هناك غلط شائع يقع فيه كثير من الكتاب، ولاسيما الدواوين وهو أنهم يرسمون "مرآة" بالتاء المفتوحة وهو غلط يجب الانتباه عنه "فمرآة" أصلها "مرأة" كواحدة النساء، وكما مر علينا في شعر ذي الرمة، وكما حققها صاحب القاموس، وشرحه صاحب المعجم وغيرهم. وكما وردت في شعر عمارة بن عقيل بن بلال بن جرير حيث يقول:

يوم مرآة إذا وليتم رفضاً وقد تضايق بالأبطال واديه[٢]

ونختم عن أديبنا أنه دائماً ما ينشد الحقيقة، وتجلى لنا ذلك في كثير من مواقفه الفكرية ومضامينه في رحلته بين اليمامة والحجاز.

---

(١) امـرؤ القيس التميمي: هو جد الأسرة التي سكنت مرآة وقصة ذلك أنه لمّا قتل خالد بن الولـيد مسيلمة الكذاب وصالح جماعة على اليمامة لم تدخل مرآة في الصلح فسبى أهلها وسكنها حينذاك رجل يدعى امرأ القيس بن زيد بن مناة التميمي، وعمر أبناؤه فيها حتى غلبوا عليها. انظر: معجم البلدان: ياقوت الحموي، ٩٦/٥.

(٢) المجاز بين اليمامة والحجاز، ص٥١.

ب- معجم اليمامة:

كتاب رحلات ألفه عبد الله بن خميس استمراراً لهاجسه الوطني، والتاريخي والأدبي، والذي يلح عليه باستمرار كي يظل في عمق ما خلفه لنا الأجداد من تراث وأمجاد على طول امتداد الجزيرة العربية[١]. وأبرز ذلك في عمل رحلي هو معجم اليمامة. ويقول روكس بن زائد العزيزي في مقالة بمجلة المنهل (إن هذا الكتاب الذي دعاه مؤلفه تواضعاً معجم اليمامة، كان من حقه أن يدعى (مَعْلَمة) أي دائرة من معارف؛ لأنه تقصى فيه كل ما يخطر على بال الباحث من معلومات أدبية وتاريخية وجغرافية، وعادات وتقاليد.. ولقد خطر على بالنا ونحن نقرأ هذه المعلمة ما كان يقول العرب قديماً لمن يريد أن يقرأ الكتاب لسيبويه: (هل ركبت البحر؟ تعظيماً للكتاب) وعندي أن من يريد أن يقرأ مؤلف العلامة الجليل عبد الله ابن خميس يجب أن يُسأل هل طوفت في جزيرة العرب؟ وهل رُدتَ الفضاء؟ لما في هذا الكتاب من كنوز، ولما فيه من علم وتقص للحقائق تنم عن علم أصيل، وتحقيق دقيق)[٢].

وهذا العمل جاء متمماً لأعمال رحلاته داخل بلاده، و رحلة ابن خميس ضمن عمل رسمي شارك فيه كوكبة من علماء ومفكري الجزيرة، وكان للشيخ حمد الجاسر[٣] الفضل الأكبر في جمع أولئك الأدباء لتأليف المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية، ومن أولئك العقيلي[٤]، وابن

(١) مجلة العرب، ج٩٠، ع١٠، ١٤٠٤هـ، ص١٢١، لقاء أجرته المجلة مع الشيخ ابن خميس.

(٢) مجلة المنهل، السنة ٤٦، المجلد ٤١، صفر- ربيع الأول ١٤٠٠هـ، ص١٠٠.

(٣) حمد الجاسر: سبق التعريف به.

(٤) العقيلي: هو محمد بن أحمد العقيلي. ولد في صبياء عام ١٣٣٦هـ، ومن مؤلفاته الأماكن الجغرافية في الشعر بمنطقة جيزان، ودراسة عن سوق عكاظ، ويعد حجة في جنوب الجزيرة تاريخاً وأدباً ولغة وعادات. توفي عام ١٤٢٣هـ، انظر: أدباء سعوديون، مصطفى حسين، ص٣٧٣.

جنيدل[١]، والعبودي[٢]؛ ويذكر ابن خميس في مقدمة كتابه الدوافع التي قادته إلى رحلاته لتأليف معجم اليمامة، والوقوف على الديار والمنازل، ووصفها "وأنه بالإضافة إلى الهواية والميول التي جذبته منذ الصغر إلى التجوال في المرابع والمراتع، هو تحديدها ودراستها عسى أن يكون في هذا وفاء للوطن، وبر بمن سلف من ساكنيه".

وقد ظهر في الكتاب عشق المؤلف وطنه الجزيرة العربية، مرتع صباه وجنة أمله وهواه، فصارت الجزيرة في هذه القصيدة عروساً مجلوة، تختال بقوامها المياس، وسيمة الطلعة، باسمة المحيا، عربية الملامح، يفوح من أنفاسها عبير الخزامى.

وقد أحسن ابن خميس حيث ألبس الجزيرة العربية الحجاب، وثوب الحشمة، وذلك بلغته الرصينة، وكلماته الفصيحة، وعباراته القوية، فلم تكن سافرة ولا مبتذلة.. وقد تناول المؤلف في مقدمة الكتاب نصيب الجزيرة العربية من جهود المؤلفين؛ فذكر أن الحواضر العربية، وهي البصرة والكوفة وبغداد ودمشق والقاهرة، أخذت نصيب الأسد من أقلام المؤلفين والمؤرخين والعلماء، وقد أهملت الجزيرة العربية بعد أن نزح علماؤها وقراؤها مع حملات الفتوحات

---

(١) الجنـيدل: هـو سـعد بن عبد الله الجنيدل. ولد عام ١٣٣٤هـ في شقراء من نجد. نظم الشعر الفصيح مبكرا. حصل على البكالوريوس في التاريخ من جامعة الملك سعود. لـه الكثير من المؤلفات منها معجم عالية نجد، ويجمع في منهجه بين التاريخ والأدب، انظر: أدباء سعوديون، ص٢٠٩.

(٢) العـبودي: هـو الشيخ محمد بن ناصر العبودي. ولد في بريدة عام ١٩٣٠م. عمل بعد تخرجه في عدة وظائف حكومية، يعمل الآن بمنصب الأمين العام المساعد لرابطة العالم الإسـلامي. تـم اختـياره للتكريم بوصفه شخصية ثقافية متميزة في مهرجان الجنادرية التاسع عشر ١٤٢٤هـ، ومن مؤلفاته: رحلات في أمريكا الوسطى، أيام في النيجر، بلاد الداغستان. انظر: دليل الكتاب والكاتبات/١٧٧ .

الإسلامية، وتوزعوا بين أطراف الدولة الإسلامية المترامية الأطراف، وحظيت منطقة الحجاز بشيء من الكتابات والتدوين؛ لأنها مهبط الوحي، وفيها بيت الله الحرام الذي يؤمه المسلمون من جميع بقاع المعمورة[١].

ويعلل ابن خميس عدم زيارة المواقع في اليمامة قديماً، وشد الرحال إليها، بسبب بعد الشقة لمن يجتاز صحاريها وأوديتها وجبالها قادماً من الخارج، فالطرق نفسها غير معبدة، وهي طويلة محلة ومرهقة تأخذ الأيام الكثيرة، ويتعرض سالكها لحر ولقر ولمتاعب امتطاء الأينق الذلل، أو القوافل المعلة المخلة بصحة من يمتطي جمالتها)[٢]. ويتحدث ابن خميس عن وسيلته في رحلته في بلاد اليمامة فيقول: (إن السيارات تطوي أبعد المسافات في ساعات، بدلاً من أيام عديدات[٣]. ويقول علي العمير أحد مرافقيه في رحلته في بلاد اليمامة، والذي كان يعمل سكرتيراً للتحرير في مجلة الجزيرة[٤]. (كنا قد نشرنا أكثر من مرة عن هواية سعادة الأستاذ الشيخ عبد الله ابن خميس وكيل وزارة المواصلات، هذه الهواية العجيبة التي تطرد ازدياداً ونمواً في نفسه، وبشكل عجيب ألا وهي حبه للتجوال في ربوع الجزيرة العربية، ما أمكن إلى ذلك

---

(١) مجلة الدارة، العدد الثاني، السنة الخامسة، المحرم ١٤٠٠هـ، [مقال عرض كتاب معجم اليمامة]، بقلم محمد مصطفى إيهاب، ص١٩٠.

(٢) المرجع السابق، ص١٩ .

(٣) انظر: مقدمة ابن خميس لكتابه معجم اليمامة.ـ ط١.ـ الرياض: مطابع الفرزدق التجارية، ١٣٩٨هـ، ص١٤.

(٤) علي العمير. ولد في الجرادية إحدى قرى جيزان عام ١٣٥٧هـ. حصل على الثانوية العامة من معهد صامطة العلمي. تولى إدارة تحرير مجلة الجزيرة قبيل تحويلها جريدة. أسس دار العمير للثقافة والنشر في جدة. من مؤلفاته (مناقرات صحفية)، و(حصاد الكتب)، و(لفح اللهب في النقد والأدب). انظر: معجم الأدباء والكتاب، من الموسوعة الثقافية، ٢٥١/١.

سبيلاً، ولكن هذه المرة لم تكن الهواية وحدها هي الدافع للرحلة، إنما كان العمل الرسمي هو الباعث).

ومما أورده علي العمير عن الرحلة قوله: (ما كنا نمر بشجر أو حجر، أو وادٍ أو حتى شعب صغير خاصة في نجد، إلا ويقول هذا اسمه كذا يا عمير! وقال فيه الشاعر الفلاني كذا وكذا، ووقعت فيه الوقعة الفلانية) ويعلن العمير عجزه عن الكتابة في مجاراة الشيخ ابن خميس.

وقبل أن ندلف إلى محتوى رحلته في بلاد اليمامة، نورد بعضاً مما دونه في مقدمة كتابه معجم اليمامة (وعلى الرغم من أنني منذ شدوت وأنا أعشق من جزيرة العرب مغانيها، وأتشوق سهولها، وأحن إلى مرابعها ومراتعها، وأحب جبالها ووهادها، ولا تشبع لي عين فيها من نظر، ولا أذن عنها من خبر، جعلت التجوال فيها هواية ودراسة، والوقوف على أطلالها ودمنها شوقاً؛ أتمثل قول شاعرها وأمثله:

إذا أنت لم ترع العهود لمنزلٍ فلست براع حق أهل المنزل[1]

ووقفت على كل صقع من أصقاعها، وذرعت كل ربع من ربوعها، وقرأت صفحاتها الملونة، وأديمها الرحب المتجعد، وأخصها برحلات متواترة، وبزيارات متكاثرة، وأبحث وأستقصي، وأسأل وأحفظ؛ تستهويني القصة والمثل، ويشدني الشعر والمناسبة، نُسبت إلى هذا العلم، أو ذكرته، أو وقعت فيه، أو حوله.

أحب هذه الأرض وطنية، وأعشقها عاطفة، وأرتادها انجذاباً، وأذرعها إحساساً قد يعوزني تعليله، ويعز عليّ إدراك كنهه، قد انطبعت صورتها في

(١) البيت ذكره ابن خميس في الشوارد ولم ينسبه، انظر الشوارد، ج٢/٤٤٠.

ذهني، وجسمت رقعتها في مخيلتي، فكانت لوحة ذهنية ناصعة تتراءى إلي، ولا تغرب عن خاطري)[١].

ويبين ابن خميس أسباب تأليف هذا الكتاب فيقول: (تحقيقاً لرغبة صاحب فكرة معجم البلاد السعودية الأستاذ حمد الجاسر الذي رشحني لهذه المهمة، وألح وبالغ في أن أكون أحق بها وأهلها.

وقد صادف ذلك هوى في نفسي، وجاذبية في هواي، أن أحقق هذا المبتغى خدمة لحق العلم وبراً بالوطن، ووفاء بعهده ووعده.

ورغبة مني في رصد هذه الحصيلة التي اختزنتها الذاكرة، ووعاها القلب واستقرت في المخيلة عبر ما يزيد على ثلث قرن، مخافة أن يطويها الموت في مستقراتها من مداركي ثم تذهب في عالم الفناء)[٢].

ثم يرسم ابن خميس النهج الذي سار عليه في رحلته في بلاد اليمامة من أجل تأليف كتابه قائلاً: [ولكنني رسمت الطريق، وحددت الاتجاه، وشخصّت الصوى[٣]. وأشرت إلى المحتوى، وحسبي هذا وإلا فإن الطريق عميق، وجل من لا يخطئ، وتعالى من لا يتأتى عليه الزلل، ولا يدركه الخطأ والنسيان][٤].

وقد قدم لنا ابن خميس على بساط مقدمته البليغة تعريفاً محدداً لليمامة وأورد لماذا سميت اليمامة، وفيها أن الزرقاء بنت سهم بن طسم، والتي اشتهرت بذات اليمامة وذات الحمامة وكان يضرب بها المثل في حدة البصر.. ويذكر أنه مرّ بهذه الفتاة سرب حمام خاطف فأتبعته نظرها، وعدته واحدة واحدة، فأحصته

---

(١) معجم اليمامة. عبد الله ابن خميس، ج١ـ ط١ـ مطابع الفرزدق التجارية، ١٣٩٨هـ، ص١٤.

(٢) المرجع السابق، ص١٥.

(٣) الصوى: الأعلام من الحجارة: الواحدة منها صوة وفي الحديث أن للإسلام صوى ومناراً كالطريق، انظر: لسان العرب، ابن منظور، باب الياء فصل الصاد ١٤/٤٧٣.

(٤) المرجع السابق، ص١٦.

تسعاً وتسعين حمامة، ولما جاءوا المورد الذي ورده الحمام عدوه فوجدوه كما زعمت، فقال فيها النابغة الذبياني[١].

واحكم كحكم فتاة الحي إذ نظرت إلى حمام شراع وارد الثمد
فعددوه فألفوه كما زعمت تسعاً وتسعين لم تنقص ولم تزد

وقد أورد ابن خميس أقوال كثير من الشعراء في فتاة اليمامة، أمثال المتنبي والأعشى. وقد عرَّف ابن خميس بقبائل اليمامة القدامى، والمتأخرين والمحدثين، ونوه بأسرهم المرموقة، وأن اليمامة كانت سوقاً من أسواق جزيرة العرب، مقصودة من قبائلها وسكانها، ومن عرب اليمن، والخليج والعراق.

ويعدد ابن خميس مشاهير شعراء اليمامة، ومنهم أعشى قيس[٢]، وثمامة بن أثال[٣]، ومجاعة بن مرارة[٤]، والرحال بن عروة[٥]، وجرير[٦]، والفرزدق[٧].

ولابد للحس الوطني أن يظهر في ثنايا رحلة ابن خميس في بلاد اليمامة، قاصداً استقصاء مواقعها وأخبارها، ونراه قلقاً مما ورد في المعلومات القليلة عن

---

(١) النابغة الذبياني: سبقت الترجمة.
(٢) أعشى قيس: سبقت الترجمة، ص.
(٣) ثمامة بن أثال بن النعمان اليمامي. من بني حنيفة. صحابي، كان سيد أهل اليمامة. ثبت على إسلامه عندما ارتد أهل اليمامة أيام مسيلمة. قاتل المرتدين من أهل البحرين. قتل عام ٦٣٣م، انظر: الأعلام. خير الدين الزركلي، ٢/١٠٠.
(٤) مجاعة بن مرارة بن سلمى الحنفي. يمامي صحابي. أقطعه الرسول صلى الله عليه وسلم أرضاً في اليمامة وتزوج خالد بن الوليد ابنته. لـه شعر فيه حكمة، انظر: الأعلام. خير الدين الزركلي، ٥/٢٧٧.
(٥) الرحال بن عروة: من جلساء الملوك في الجاهلية وسمي الرحال؛ لأنه كان كثير الوفادة عليهم، انظر: الأعلام. خير الدين الزركلي، ٤/٢٦٦.
(٦) جرير: سبقت الترجمة.
(٧) الفرزدق: سبقت الترجمة.

اليمامة من تحريف وتصحيف؛ فنراه يشيد بما وصلت إليه بلاد اليمامة من أسباب النهضة والحضارة والرقي والنماء الثقافي.. وبلاد اليمامة أمام شيخنا ابن خميس، جزء من المملكة العربية السعودية التي أصبحت معلماً من معالم الرقي، والتنمية الثقافية والحضارية السريعة المتصاعدة، ففيها اليوم ست جامعات[١]، ومجلس أعلى للعلوم والفنون والآداب، ومجالس متخصصة في الدين والعلوم والجغرافيا والفنون والمراصد، وما بها من مدارس تعد بالآلاف. تهتم بالتعليم العام والخاص للبنين والبنات، والرئاسة العامة لرعاية الشباب التي تهتم بتربية الشباب رياضياً وثقافياً واجتماعياً، وتتبعها مكاتب رئيسة، وفرعية في جميع مناطق المملكة، والأندية الأدبية، ومراكز للهوايات العلمية، وبها دارة الملك عبدالعزيز، التي تعنى بإحياء التراث العربي والإسلامي وتشجع المؤلفين.

ويضيف ابن خميس "أنه لم يعد مقبولاً ونحن نمثل الطفرة الحضارية والثقافية في عالم اليوم، ولدينا من وسائل الاتصال، والمواصلات والتكنولوجيا الحديثة، ما يمكننا من معرفة موقع قدم على قمة جبل، أو بين رمال الدهناء والربع الخالي، لم يعد مقبولاً أن نسلم بما قاله السابقون في تحديد المعالم، ولم يكن لديهم من الإمكانات ما لدينا[٢].

ومن هنا نرى أن رحلة ابن خميس جغرافية علمية، ولكنها عمل ميداني لعرض حضارة البلاد، وتراثها أمام القارئ، وهي سجل وثائقي لكل الدقائق، والمعلومات التي نقلها؛ ليربط القارئ بالحضارة، والثقافة التي رآها في مجتمعه.

يبدأ ابن خميس رحلته بوصف دقيق طبيعي لبلاد اليمامة، فيقول: (جبل طويق هو عمودها الفقري، وهيكلها الرئيسي يسمى اليمامة، ويمتد هذا الجبل من منطقة الزلفي شمالاً إلى الربع الخالي جنوباً، وفيه فجاج وسبل للمارة، ومنافذ للسيول وثنايا وعتبات)[٣].

---

(١) زاد العدد إلى الضعف حين إعداد هذا البحث.

(٢) معجم اليمامة، ص١٢، (تم تأليف الكتاب عام ١٣٩٨هـ).

(٣) المرجع السابق، ص١٨.

وينظر ابن خميس إلى جبل طويق في بلاد اليمامة نظرة الشاعر المرهف الحس، يقول "هذا الجبل الأشم العملاق ينتصب وجهه الغربي فارعاً، بارزاً مشمخراً، وتقوم فيه أنوف ورعان[١] وقمم إذا استقبلتها الشمس فكأنها صفحات متأبية متألقة سامقة بيضاء يطل هذا الجبل من عل على من حوله مدِّلاً متعاظما"[٢].

وأراك معتدل المناكب سامقاً تبدو بك الشم الرعان مواثلاً
وكأن عمرا[٤] خالها إذا أعرضت مثل السيوف المصلتات نواصلا[٣]

ثم يواصل ابن خميس رحلته عبر بلاد اليمامة؛ يذرعها إقليماً إقليماً، وتذوب أحداث الرحلة أمام ما يغدق ابن خميس من فكره التراثي، والشعري، فقد طوف بالعارض وعاصمته الرياض، وكانت لـه وقفة في الخرج وقاعدته السيح، والفرع وبها إمارة الحوطة والأفلاج وقاعدته ليلى، والسليل أحد أقاليم الجنوب، ووادي الدواسر وقاعدته الخماسين، والشعيب وقاعدته حريملاء، والمحمل وقاعدته ثادق، وسدير وقاعدته المجمعة والزلفي، والوشم وقاعدته شقراء، ولا يفوت ابن خميس أن يورد ما قاله أهل اليمامة مما كانوا يرونه تميزاً

---

(١) الرعان: هي أنوف الجبال، العظيم من الجبال، وليس بالطويل، انظر: لسان العرب، باب النون فصل الراء ١٣/١٨٢.

(٢) معجم اليمامة، ص١٩.

(٣) مـن قصـيدة للأديـب الشاعر ابن خميس بعنوان طود اليمامة، انظر ديوان على ربى اليمامة.ـ ط٢.ـ الرياض: مطابع الفرزدق التجارية، ١٤٠٣هـ، ص٢٨٦.
انظـر: ديوان عمرو بن كلثوم؛ تحقيق أميل بديع يعقوب.ـ ط١.ـ بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤١١هـ، ص٦٤.

(٤) عَمْرا: يَقْصدُ الشاعر الجاهلي عمرو بن كلثوم التغلبي مشيرا إلى قوله :
فأعرضت اليمامة واشمخرت كأسياف بأيدي مصلتينا.

وتفرداً؛ وكأن هذا التفرد يتسلل إلى أعماقه: (يقول أهل اليمامة غلْبنا أهل الأرض شرقها وغربها بخمس خصال: ليس في الدنيا أحسن ألواناً من نسائنا، ولا أطيب طعاماً من حنطتنا، ولا أشد حلاوة من تمرنا، ولا أطيب مضغة من لحمنا، ولا أعذب من مائنا)[١].

وقفة شاعرية أمام الرياض، عاصمة إقليم العارض؛ ألبسها ابن خميس صفات الجمال والاكتمال يقول: (الرياض غناء إذا جادها الغيث تأرج عبيرها، وتضوع شيحها وخزامها ورندها وعرارها، واختلفت أزهارها، وغنت أطيارها، شاهدنا فيها بهجة يعجز الوصف عن أن يجلوها أو يحيط بمحاسنها، فلعمري ما شاهدتُ فيما شاهدت أرضاً تتبرج بالجمال، وتضحك طبيعتها فاتنة متألقة مثلما شاهدت في رياض نجد)[٢].

ويواصل ابن خميس مشاهداته في بلاد اليمامة، فيقف بنا عند إقليم الخرج، ويبين سبب تسميتها؛ وأنها من الغلة مما يخرج من الأرض ومنه قوله تعالى ﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ خَرْجًا فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ﴾" سورة المؤمنون، الآية: ٧٢". والمعنى هو ما ينطبق على الخرج، فهي منطقة زراعية ذات ثمار، وإنتاج وخراجها يغطي حاجة الحرمين سابقاً. ويتوقف الشيخ ابن خميس أمام عيون الخرج، ويجسد أمامنا منظراً خلاباً، لــه حدود وآفاق تحيط به الرؤى الجميلة من كل جانب (هذه العيون كأنها بحيرات لا يدرك لها قعر، ولا يغيض لها معين، إذا توسطت الشمس كبد السماء، وألقت أشعتها على هذه العيون الساجية، شاهدت تحت الماء منظراً عجباً، من أنوف جبال بارزة، إلى مغارات موحشة، وسراديب مظلمة، وعمق لا نهائي، تتكسر أشعة الشمس دون مداه، فسبحان من لــه الخلق والأمر) [٣]. ونلمس فيما أورده ابن خميس من وصف

---

(١) معجم اليمامة، ص٣٦، وورد القول في كتاب ابن الفقيه (مختصر كتاب البلدان).

(٢) معجم اليمامة، ص٢٥.

(٣) معجم اليمامة، ص٣٧١.

ما لجأ إليه من أسلوب الخطاب، ليبقي قارئه شغوفاً متيقظاً لما يورد من وصف بليغ، كما وأن الشيخ يضع قدرة الله وجمال خلقه في حس القارئ المتتبع لمراحل رحلته.

وقد أطال ابن خميس في شواهده النجدية، لكثير من الأدباء واصفاً بلاد اليمامة، ومنهم القدماء والمعاصرون ممن تستهويه شاعريتهم، وشخصياتهم، نراه يسجل قطعة نثرية للدكتور عبد الوهاب عزام رحمه الله من كتاب مهد العرب (نجد الفيحاء الخضراء ذات الأودية والمروج والقرى والحدائق، وذات الجبال والسهول والمدُد والوبر، متقلب القبائل الكبيرة، ومسرح الجياد العربية الأصيلة، نجد ملعب الصبا والنعامى، ومنبت العرار والخزامى، وموطن الشعراء، تجاوبت أرجاؤها بأشعارهم، وروّت غدرانها ورياضها أخبارهم، بلاد امرئ القيس، وطرفة والحارث ابن حلّزة، وأوس بن حجر، وزهير وعنترة ومنشأ جرير والفرزدق، التي حفظ الشعر العربي ذكرها، وردد خارج الجزيرة صداها وحن إلى صباها:

ألا يا صبا نجد متى هجت من نجد لقد زادني مسراك وجداً على وجدي

نجد التي أثارت الهوى والفتون، ونشّأت ليلى والمجنون، نجد حيث الجبال أجا وسلمى، وحيث سهل القصيم والصمان، وحيث اليمامة ذات النخيل والزروع والأودية والعيون، مسارح الجلال والجمال، ومشاهد البداوة والحضارة، ومجالي النشاط والقوة والمروءة والفتوة[١]".

تتوقف رحلة ابن خميس عند بلدة الدرعية في إقليم نجد من بلاد اليمامة، ويحددها ويرسم حروف اسمها، ويذكر ساكنيها من آل سعود حكام البلاد، وينطلق في رؤاه الفكرية حول الدرعية من العقيدة الإسلامية، حيث المجدد الشيخ محمد بن

---

(١) انظر: معجم اليمامة، ص٣٨٤، نص منقول من كتاب [مهد العرب]، عبد الوهاب عزام.

عبد الوهاب، فيتحدث عن الدرعية، وما شهدته من إحياء للدعوة الإسلامية فيقول: (ألم تكن دعوة حق ومنطلق صدق، ومنهج فلاح وصلاح وإصلاح، سار عليه سلف هذه الأمة في بساطته ويسره ونقائه وصفائه، فمثلوا الإسلام حقاً، وفهموه من معينه صدقاً، ونشروه جذاباً يشفي ويكفي ويغري الأقوام بجاذبيته ويسره، فطبق الأرض واستقبله البشر عن طواعية وإيمان ومحبة؛ ﴿**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا**﴾ "سورة المائدة، الآية: ٣")[١].

وبما أن عبد الله ابن خميس ذو الرؤية الوطنية، الواعية وهو المؤهل لنقل التاريخ الوطني بأحاسيس الأديب المواطن، الذي عشق هذا الوطن من أعماقه، فإنه عندما توقف عند الدرعية أورد ما فيها من أحداث تاريخية مؤلمة، عندما داهمها الغزاة وحكامها آنذاك من آل سعود، يقول: (وأكثر العساكر العبث في أسواق الدرعية، بالضرب والتسخير، فكانوا يجمعون الرجال من الأسواق، ويخرجونهم من الدور ويحملون على ظهورهم ما تحمله الحيوانات، فيسخرونهم يهدمون البيوت والدكاكين، ويحملون خشبها ويكسرونه، ويردون لهم الماء ويحملونه، فلا يعرف لفاضل فضله، ولا لعالم قدره، فلما قدمت الرسل والمكاتبات من محمد علي إلى ابنه إبراهيم، وهو في الدرعية أمر بهدم الدرعية وتدميرها فأمر العساكر أن يهدموا دورها وقصورها، وأن يقطعوا نخيلها وأشجارها، ولا يرحموا صغيرها، ولا كبيرها، فهدموها وأشعلوا في بيوتها النيران، وتركوها خالية المساكن، كأن لم يكن بها من قديم ساكن)[٢].

وتبدو النزعة القصصية في رحلة الشيخ في بلاد اليمامة، فنراه مع رفاق الرحلة عندما نزل من السيارة في موقع الثمامة، يروي للقارئ مشاهد قصة حقيقية شاهدها ورآها مع رفاقه، ويبرز فيها المنزع القصصي الذي عادة ما تفرضه طبيعة

---

(١) معجم اليمامة ، ص٤١٨.

(٢) المرجع السابق، ص٤٢١.

الرحلة، مما جعل الشيخ يعتمد الإثارة والتشويق في قصته الواقعية، ونلمح التشويق في القصة التي أوردها الأديب من خلال دلالة الشخصية، وهي الفتاة التي وجدوها في المنحدر، ودلالة التصرف الذي قام به الشيخ مع رفاق الرحلة، يقول: (وعند المنحدر الجنوبي لخشم الثمامة شعب منــزو، جئنا إليه مع بعض رفاقي في الرحلة، وأوقفنا سيارتنا حوله، حيث لا تصله السيارة، وجئنا راجلين وحينما وقفنا على قلاته[١] وجدنا هنالك كساء وحذاء امرأة وأثرها جديداً، فانحدرت مع الوادي قليلاً لأقف على قمة الجبل، حيث تتحدر مياه هذا الشعب، وإذا بي أرى المرأة صاحبة الكساء والحذاء في (رفٍ) وسط هذا المنحدر، مستوحلة هنالك لا تقوى أن ترقى فوق، ولا تستطيع أن تتردى تحت، قد أخذ الجبل من لباسها عند انحدارها ما أخذ، وكشط من ذراعها ما بدت آثاره، في حيز لا يتجاوز المترين طولاً ونصف المتر عرضاً، بينها وبين المنحدر السحيق، وقد دفعتها رهبتها منا إلى التجوال اللاشعوري، مما دفعني أن أبعد الرفاق، وأكتفي بواحد أو اثنين لأخذ خبرها وملاطفتها، ومن ثم إنقاذها من الموت المحقق، وفعلاً كان هذا، ولما هدأ روعها وعاد إليها اطمئنانها، حدرنا إليها سبباً[٢] لتحزمه في وسطها. ولنجذبها به، ولما تم ذلك، وإذا بنا أمام فتاة في عنفوان شبابها تمثل الجمال البدوي الجذاب، ولكن أخذتنا الحيرة في نفورها، ووحشتها منا من ناحية، وفي زينتها التي ترتديها، وروائح العطر المنبعثة وفي هذا الشعب الغامض، والمكان المحتجب عن المارة، ومسارح الرعاة، وقد حاولنا أن نحصل منها على خبر، أو نقف فيها على أثر، فلم نفلح في ذلك فتركناها تذهب إلى حيث شاءت، وعلامات الاستفهام تتراقص أمامنا؛ أين

---

(١) قلاتــه: القلاة: النقرة في الجبل يستنقع فيها الماء إذا جاء السيل، لسان العرب باب التاء فصل القاف ٧٢/٢.

(٢) ســببا: الحبل وهو كل شيء يتوصل به إلى غيره، انظر: لسان العرب، باب الباء فصل السين ٤٥٨/١.

ومتى وكيف ومن؟ وكان صاحب السمو الملكي الأمير سلمان بن عبد العزيز أمير منطقة الرياض مخيماً في قبلي الثمامة، وذلك عام ١٣٨٧هـ، إبان الربيع الكبير في ذلك العام، ولما زرته أخبرته بالقصة، فحرص على أن يرى مكانها، فذهب إليه في اليوم التالي، وأنا بمعيته فتعجب سموه من ذلك، وبعد زمن قيل لنا أن هذه الفتاة قد زفت إلى زوج لا تريده، ففرت بلباس زينتها في ليلة زفافها إلى هذا المكان الذي يندر أن يمر به إنسان، ولم تعد إلى أهلها إلا بعد أيام"[١].

ويمضي ابن خميس في رحلته واصفاً مشاهداته في بلاد اليمامة، واقفاً عند كل حجر وشجر يمزج التراث العربي الأصيل بالحاضر الجميل، ناشراً دائرة معارفه الأدبية شعرها ونثرها، رابطاً إياها بكل جذر عربي امتدت أعماقه في عشق هذه اليمامة، ويختم بإيراد قوله عن مؤلفه معجم اليمامة: (هو نتيجة خمسة عشر عاماً قمت خلالها بالتجول في ربوع الجزيرة العربية، وقابلت، وكتبت، وسألت، ومشيت، وقمت بأشياء كثيرة في سبيل إخراج هذا المؤلف حتى خرج) [٢].

ج- شهر في دمشق :

وهو كتاب أدبي رحلي، يتضمن رحلة قام بها الشيخ إلى دمشق؛ عاصمة الجمهورية العربية السورية الشقيقة عام ١٣٧٤م وقد صدر الكتاب عن مطابع الرياض وهو من بواكير إنتاج الشيخ الأدبي، وقد حدد ابن خميس زمن رحلته، وذاك عنصر مهم في أدب الرحلات، وأنه قضى ذلك الشهر في دمشق، خلال شهر رمضان المبارك من عام ١٣٧٥هـ ويحدد أنه في شهر نيسان، حيث كان الجو في سوريا معتدلاً، يقول: (كان شهر رمضان على الأبواب وهو شهر عبادة يتطلب الاستقرار والراحة.. بينما الرحلة تتطلب النقلة والاستطلاع، وشتان ما

---

(١) معجم اليمامة، ج١، ص٢٤٠-٢٤١.

(٢) مجلة العرب، مج٩، ع١٠، ١٤٠٤هـ، ص١٢١.

بينهما، ولكني عملت لذلك حلاً وسطاً في نظري لا يغمط الشهر المبارك حقه، كما لا يحرمني من وقت أستطيع أن أستفيد فيه من رحلتي، فقررت أن أمضي شهر الصوم جميعه في دمشق، ففي استطاعتي أن أؤدي العبادة مع عمل تنقلات، واستكشافات، واتصالات هادئة، حتى إذا أدبرت دولة الصيام وإذا بي انتهيت من دمشق)[١].

كما يحدد ابن خميس وسيلة الرحلة من بلاده إلى بيروت، ثم منها إلى دمشق، وهي الطائرة، وقد ذكر ابن خميس رؤى وأفكاراً حول الطائرة والطيارين، ووصف أحاديثه معهم.. ومما يدلل على قوة الرصد والتصوير لدى أديبنا: موقف حدث في الطائرة عندما قال: (أخذت الطائرة طريقها في جو هادئ، وسماء صافية، وبعد أن توسطت فوق سلسلة جبال مستوردة[٢]. خرج علينا الطيار ومساعده من غرفة القيادة، وجعلوا ينظرون جميعاً إلى قمة جبل، تركته الطائرة شمالها، وكانت القمة جميعها بيضاء يققة[٣]. فدفعني حب الاستطلاع إلى سؤالهم عن هذا الذي لفت أنظارهم، فأجاب قائد الطائرة وكان أمريكياً ينطق العربية بصعوبة: أنه ثلج هبط على قمة هذا الجبل، ولم تجر العادة أن يهبط الثلج على هذه الجبال؛ والحق أنه ليس ثلجاً بالمعنى الذي يفهمونه، والذي يتساقط على جبال أوروبا، وأحياناً على جبال الشام على شكل العهن المنفوش، ولكنه بَرَد (بفتح الباء والراء) نزل من سحابة سارية على هذه الأرض، فذاب منه ما كان في بطون الأودية، وما عمرته الجبال، وبقي ما طوق هذه القمة، كأنه عمامة شيخ من الزنج ليذوب عندما ترسل الشمس أشعتها)[٤].

(١) شهر في دمشق، ص١٧.

(٢) هو اسم سلسلة الجبال.

(٣) يققة: شديدة البياض ناصعة، انظر: لسان العرب، باب القاف، فصل الياء ١٠/٣٨٧.

(٤) شهر في دمشق، ص٢١.

مشهد آخر مليء بالحركة داخل الطائرة؛ وسيلة الرحلة عند ابن خميس يجسد الرؤى والأفكار التي تواردت على الأديب العربي المسلم، وهو يصور الإفطار في صباح يوم من أيام شهر رمضان المبارك يقول: (أخذت الطائرة ارتفاعها المعتاد وكانت أحوال الجو مناسبة، فخرج علينا مضيف الطائرة متأبطاً خيراً[١] مجموعة من العلب داخلها طعام شهي، وكان الصائمون في الطائرة أقل من القليل، وبعد أن تناولوا طعام الإفطار في الصباح، أخذ النعاس يغشاهم، وإذا بمساعد الطيار يخرج من غرفة القيادة، وبيده مصحفه، فأخذ مكانه من صدر الطائرة، وجعل يتلو كتاب الله، فكانت ظاهرة حميدة سررت لها)[٢].

ويرصد لنا ابن خميس المخاطبة الكتابية التي تمت بينه وبين أحد رجال سلاح الطيران الملكي السعودي، ويدعى محمود مراد الذي أجاب عن أسئلة الشيخ المتواترة، والتي دونها لــه كتابةً؛ لأن أزيز الطائرة لم يمكنه من محادثته، سأله: أنت من رجال الجيش، فما هي صفتك في هذه الطائرة؟ وهل هناك من أبنائنا من نجح في قيادة الطائرات الحربية؟ وإذا كان فما عددهم؟ وهل هناك من نجح في مجال الطيران المدني؟ وهل هناك بعثات لنا في الخارج تعلم هذا الفن؟ فرد عليه الضابط بالإيجاب في كل ما سأله وأن هناك ما يقارب من ٢٤ طياراً متميزاً يقودون الطائرات بمفردهم، ويسافرون إلى أي بلد، وأن هناك في جدة مدرسة تخرج الطيارين .. إلخ ما كتبه محمود مراد في رده على الشيخ[٣]. ومن ذلك الرصد المتميز لما حدث في وسيلة الرحلة الطائرة، ترى أن الحس الوطني عند ابن خميس أمام عيني قارئ الكتاب، في كل مراحل الرحلة.

---

(١) مستأبطاً خيراً: ضد من يتأبط شراً وهو لقب لشاعر جاهلي: ثابت بن جابر بن سفيان بن مضر. شاعر عداء من فتاكي العرب في الجاهلية. قتل في هذيل. ورد شعره في المفضليات. انظر: الأعلام. خير الدين الزركلي، ٩٧/٢.

(٢) شهر في دمشق، ص٢٣.

(٣) المرجع السابق، ص٢٤.

ونبدأ عرضنا لرحلة ابن خميس في دمشق بإيراد ما ذكره في مقدمة كتابه، وعن أسلوبه في الكتابة، وتسجيل الأحاسيس في مؤلفه شهر في دمشق، فيقرر أن الكتاب مزيج بين الخواطر والأحاسيس، وأنه دون معلوماته عندما وجد نفسه مسوقا إلى الكتابة كلما ساورته فكرة أو سنحت منه نظرة أو عنّ لـــه رأي، أو شعر بسرور، أو ألم تجاه ما رآه، وشاهده في رحلته إلى دمشق.

وابن خميس يوجه تلك الخواطر والأحاسيس إلى أمر مشترك، هو نداء الواجب والشعور بالمسئولية، ونراه يعتذر من قراء كتابه الذي ارتجل الأسلوب فيه ارتجالاً، تتخلله التنقلات والاستكشافات، وسائر الواجبات يقول مخاطباً القارئ: (فلا تؤاخذني إذا وجدت نفسك منه في طرق ملتوية، قفر أو أمام فكرة خاوية مبتذلة، أو صادفك نشاز في الأسلوب، أو فجاجة في التعبير)[١].

أما منهجية ابن خميس في جمع المعلومات خلال رحلته إلى دمشق، فكانت باطلاعه على الكتب التي تم تأليفها عن دمشق ومقابلة علماء سوريا وأدبائها، إلا أنه اعتمد اعتماداً كبيراً على المشاهدة والاستقصاء والبحث والمجهود الشخصي، وبذلك احتوت رحلته على مستويات عدة من المعارف والحقائق والمعلومات، ويتضمن الكتاب بإيجاز رحلة العالم والمثقف المشدود أبداً تجاه وطنه، حين يشاهد في سوريا من وسائل التقدم ما يتمناه لبلده، واهتم في رحلته بالمضمون الحضاري، مدوناً ملاحظاته عن الآداب والفنون والتراث والمكتبات والمتاحف والمجامع والجامعات والجوامع، مقارناً بين الحضارات، والشعوب مطبقاً بذلك مذهبه الإصلاحي في استثارة الهمم، والحث على الأخذ بأفضل ما لدى الآخرين؛ ولقد دفعه حبه الشديد للرحلة، ومتعها الكبيرة إلى القيام بتمجيد مدينة دمشق، تلك المدينة المضيئة في نظره، والتي أمدته بكثير من الأحاسيس النادرة، ودفعه شغفه الشديد إلى إعلان رغبته الواضحة في أن تقتدي بلده بما في سوريا من نهضة عمرانية وأدبية.

---

(١) شهر في دمشق، مقدمة الطبعة الثانية، ١٤١٠هـ.

وهذه من الظواهر اللافتة في رحلة ابن خميس إلى دمشق، ففي مواضع كثيرة تشده المقارنة بين واقع الحال في بلده، وواقع الحال في سوريا وخاصة ما يتعلق بالنهضة التعليمية[١]. يقول: (لم أجد ناحية تحتل المكان الأول في قلوب الشعب ويُعنى بها عناية تامة، ويتفانى في سبيلها مثل العلم، بل أقول إن الشعب السوري مسعور منهوم وراء العلم، ولا أجد سبباً لهذه الرغبة الملحة، والتسابق العجيب إلا يقظة الشعب السوري، حيث أدرك عموم أفراده أنه لا حياة لأمة إلا بالعلم، ولا قيمة في الوجود بدونه، وحتى الفقراء من تجدهم يقتطعون جزءاً من قوتهم، وينفقونه على تعليم أولادهم، وشراء الكتب لهم في مراحل الدراسة المتوسطة والعالية)[٢] ثم يتحدث ابن خميس عن ميزانية وزارة المعارف السورية للتعليم، وأن لها نصيب الأسد، ويقارن بين ما يتقاضاه المعلمون في سوريا من رواتب ضئيلة، وبين ما يتقاضاه الطالب عندنا في الأقسام العالية كمكافأة على طلب العلم، ولا ينسى ابن خميس وهو الحريص على التفرد، والتميز دائماً للأساتذة والمعلمين الذين يتولون تدريس وتربية النشء، لا ينسى أن يورد لنا الآلية التي يتم بها اختيار الأساتذة والمعلمين في سوريا، هادفاً إلى القدوة والمقارنة يقول: (ومع ذلك فليس كل من أراد الأستاذية أدركها، بل دونها خرط القتاد[٣] إذ تجرى مسابقة في أول كل عام لمن يتقدم طالباً أن يكون أستاذاً في وزارة المعارف من حملة الشهادة العالية ومن يحصل على الرقم الذي تضعه وزارة المعارف، وما أشد مناله يعين مدرساً بعد التأكد من صلاحيته في جميع

---

(١) كانت رحلة الشيخ ما بين عامي ١٣٧٤-١٣٧٥هـ عندما كانت بلادنا المملكة العربية السعودية تتهيأ لعوامل نهضة شاملة والتي قد ملأت الآفاق في العصر الحديث ولله الحمد والشكر.

(٢) شهر في دمشق، ص٩٠.

(٣) خرط القتاد: شجر شواك صلب ينبت بنجد وتهامة. لسان العرب، باب الدال فصل القاف، ٣٤٢/٣، ويضرب به المثل في الأمر دونه مانع كما جاء في أمثال الميداني ٢٦٥/١.

النواحي)[١]. وهنا نرى الشيخ يكشف لنا من خلال رحلته إلى دمشق عن بعض التنظيمات الإدارية، وهذا هدف من أهداف أدب الرحلات.

ويتحدث ابن خميس عما لاحظه من اهتمام بإنشاء المعاهد الخاصة والمدارس بجهود ذاتية، ودور اليتامى، ومدارس البنات الخاصة، والملاجئ والمؤسسات الشعبية، والمدارس الليلية لمحو الأمية، ويورد ابن خميس نموذجاً للتدليل، هو المعهد العربي الإسلامي في قلب دمشق (وهو معهد ثانوي يضم من الطلبة الذكور والإناث، وقد أنشئ المعهد عام ١٣٦٤هـ، ويحمل طابعاً إسلامياً أراده لـه مؤسسوه الذين أنفقوا أموالهم في إنشائه، وعلى الرغم من أنه يسير على منهج وزارة المعارف كغيره من دور التعليم؛ إلا أن للناحية الدينية فيه الأقدمية، والطالب في هذا المعهد يدفع ما بين ٨٠-١٥٠ ليرة سورية حسب درجته العلمية)[٢].

ولأن الرؤى النقدية قناة مهمة من قنوات ظهور ثقافة الرحالة، واهتماماته، فقد حرص ابن خميس على تسجيل ملحوظاته، وكان على درجة عالية من الإنصاف في بيان المثالب، والمحاسن يقول مقدراً ما للعلماء الذين خدموا الإنسانية بمخترعاتهم، ومكتشفاتهم ومنها الطائرة: (وهنا انقلب ذلك الطيران الهادئ الرتيب إلى شكل آخر، فقد علا هزيم الطائرة، وبدأت تعلو وتسفل، وتتأرجح يمنة ويسرة وولى النوم هارباً عن ركاب الطائرة، وإذا بالأرض قد احتجبت عنا سهلها وحزنها بحجاب كثيف من السحب، والطائرة تشق طريقها في ذلك العالم العلوي وتصارعه مصارعة المستميت على اتجاه واحد، والحق أنني حيال هذا المشهد الرهيب في أجواء الفضاء، وفي عنفوان هذه المصارعة بين الطائرة، والمؤثرات الجوية قد أكبرت من قدر هؤلاء الذين خدموا الإنسانية

(١) شهر في دمشق، ص٩١.

(٢) المرجع السابق، ص٩٢.

إلى هذا الحد، وسمت بهم أفكارهم ومداركهم إلى منزلة ما كان يدور في الخلد أن ينالها إنسان ولكنه العلم فمتى نأخذ منه بالسهم الأوفر، والنصيب الأوفى؟)[١].

ودائماً ما يتمازج نقد الآخر مع نقد الذات عند ابن خميس فهو عندما يشاهد مظهراً حضارياً في دمشق، ويشيد بما فيه من تميز، فإنه بالمقابل يتمناه لبلاده فيبرز حينذاك الحس الوطني، والحمية التي تكتنف جميع الظواهر، والرؤى الفكرية لدى ابن خميس.

فإنه عندما يتحدث عن أهمية الشئون الاجتماعية في دمشق، ويبين مالها من دور بارز في حياة المواطنين، والنهوض بمستوياتهم الاقتصادية، والاجتماعية، وإحداث روح العمل فيما بينهم، مما يبعد عنهم غائلة الفقر والمرض والجهل، ويلبسهم العزة والكرامة ويدرأ عنهم مظهر الذل والتسول يقول: (فإنك لتستطيع أن تحكم على حيوية الشعب ونضجه أو خموله، وثقافته من مظهره الاجتماعي، وسورية الفتية لم تكن لتهمل هذه الناحية أو تتهاون في شأنها؛ ففي دمشق وحدها أربع وسبعون جمعية من بينها جمعية النهضة الخيرية، وجمعية مكافحة السل، وجمعية إغاثة المرضى الفقراء بدمشق، وجمعية حماية الأحداث، وجمعية السمحاء لتعليم أولاد الفقراء)[٢].

ثم يبين ابن خميس الغاية والهدف من إنشاء هذه الجمعيات، والوسائل التي انتهجتها الجمعيات لتحقيق غاياتها، ثم يورد ما حققته هذه الجمعيات من نتائج إيجابية في مجال العمل الاجتماعي.

ويتغلغل نقد الذات بعد ذاك العرض عن الآخر في نفس ابن خميس، فيأسف لخلو بلادنا من المؤسسات والمشروعات الخيرية التي لا تكاد تخلو منها بلاد تشتم من الحضارة أدنى رائحة، ويرى ابن خميس أن هذه الظاهرة لا يصح بحال أن

---

(١) شهر في دمشق، ص٢٦.

(٢) المرجع السابق، ص١٢٢.

توجد في الشعب السعودي، الذي تربط بين أفراده وشائج الدين واللغة والقربى، والذي دستوره الإسلام دين السماحة والرحمة والإخاء والمودة والإيثار، والذي انحدر عن سلالة أقوام شهدت لهم الأمم قاطبة بالكرم الذي بلغوا فيه حداً ملأ الأسفار، وخلده التاريخ ... إلخ"[١].

وبعد أن يطوي القارئ نصف الكتاب متبيناً الواقع الذي تعيشه دمشق كما رآها الشيخ ابن خميس، والذي اختطه بأسلوبه الرصين، لابد أن يلحظ الحس الديني ماثلاً في معظم مظاهر الرحلة، وكانت بعض تلك الرؤى والأفكار النابعة من عقيدة الشيخ الإسلامية دائماً ما تظهر منها رؤى نقدية كثيرة في نقد الكثير من المظاهر الدخيلة والمبتدعة في الدين الإسلامي، ولابد من الإشارة إلى قارئ رحلة ابن خميس في دمشق أن نقده وتفنيده لبعض البدع، والخرافات نابع من ضلوعه في العلم الشرعي، وتعمقه في ذلك المجال دراسة وممارسة.

ومن المشاهد الواردة في رحلة ابن خميس حول نقد الآخر في هذا الإطار بالناحية العقدية ما رآه ابن خميس من اختلاف الجماعات في سوريا لاختلاف مذاهبها، وما سمعه من ترديد بعض الموشحات، منكراً لذلك ومتسائلاً (من أين أتينا بعمل مثل هذه الحلقات في المساجد وترديدها صوتاً منتظماً، وهزها لرؤوسها وأكتافها؟ ومن أين أتينا بهذه الموشحات الطويلة؛ ترددها بلحن شجي وبيان قوي؟! من أين أتينا بأن المسلمين المجتمعين في مسجد واحد، يصلون ست جماعات، وسبعاً وأكثر هذه خلف هذه، نظراً لأن هذا شافعي، وهذا حنفي، وهذا وهذا ...الخ؟ فلنجنب أنفسنا كل هذه المبتدعات، ولنحرص على أن تكون جميع أعمالنا خالصة لله، موافقة لما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم)[٢].

---

(١) المرجع السابق، ص١٢٦ (لابد من الإشارة أن الحال تغير وتزخر بلادنا اليوم بآلاف الجمعيات الخيرية ودور الرعاية الاجتماعية).

(٢) المرجع السابق، ص٧٨.

ومشهد آخر حول المساجد في دمشق التي تغص بألوف المصلين، ومظاهر العبادة، قد شابها عند البعض شيء من البدع، التي ما أنزل بها من سلطان، وألحق بها شيء من الطفيليات على الدين الإسلامي، ونحن نعلم من الدين نفسه أن العبادة توقيفية لا قياس فيها، وأن الرسول الأعظم صلوات الله وسلامه عليه يقول: كل شيء ليس عليه أمرنا فهو رد[١]. "ويقول: تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا كتاب الله وسنتي[٢]".

ومن أين أتينا بهذا الملحق بعد الأذان الشرعي، وهو لم يقله بلال، ولا أبو محذورة، وغيرهما من المؤذنين بين يدي من شُرّعَ لــه الآذان؟! ومن أين أتينا بالاجتماع في المساجد، لقراءة دعاء ليلة النصف من شعبان على نظام خاص، وبدعاء خاص وقد أنكر ذلك العلماء وفندوه قال النووي: (الصلاة المعروفة بصلاة الرغائب[٣]؛ وصلاة ليلة النصف من شعبان: هاتان الصلاتان بدعتان منكرتان، ولا يغتر بذكرهما)[٤].

ومن الظواهر التي رآها ابن خميس، ولامست حسه الديني؛ فتولد عنده نقد الآخر سلباً عندما استنكر ما رآه في دمشق من القباب والأضرحة قائلاً: (لا يزال الداء الذي ينخر في جسم الأمة الإسلامية يتمركز في كثير من بلدان المسلمين بشكل يلفت النظر، ويسترعي الانتباه، ويعصر القلب، ولم يزل السواد الأعظم من المسلمين يغدون ويروحون إلى عظام بالية تحت أطباق الثرى من آلاف السنين، ولم يزالوا يقدمون لها الهدايا، ويذبحون لها النذور، ويضعون لها

---

(١) صحيح البخاري مع شرحه فتح الباري كتاب الصلح، حديث رقم ٢٦٩٧/٥/٣٠١.

(٢) انظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة للشيخ الألباني، حديث رقم ١٧٦١، وانظر: صحيح الجامع الصغير ٣/٣٨.

(٣) هي صلاة بدعة مذمومة منكرة من اثنتي عشرة ركعة بين العشاءين أول خميس من رجب ولها قراءة وتسبيح يخالف غيرها من الصلوات، انظر: السنن والمبتدعات المتعلقة بالأذكار والصلوات. محمد عبد السلام الشقيري.ـ بيروت: دار الكتب العلمية، ١٣٩٥هـ، ص١٤٠.

(٤) شهر في دمشق، ص٧٩.

السدنة، ويبنون عليها القباب، ويطوفون حولها ويتمسحون ويبكون ويبتهلون، مما يجعل ديننا سخرية بين الأمم، وتبقى هذه الثغرات البدعية مفتوحة على مصراعيها، يلج منها أعداء الإسلام، والمبشرون هذه يستغلونها هدايا ثمينة يفرح بها أعداء الإسلام، ويصطادون بها آلاف البشر، والدين الإسلامي منها براء".

وجدتُ المرأة تضع خدها على شباك ضريح ابن عربي، وتمرغه وتنادي أغثني يا محيى الدين، ووجدت قبة فخمة بنيت بناء جميلاً بديعاً، علِّقت بها ثريات الكهرباء، واللوحات النادرة والنقوش التجميلية، والفسيفساء العظيمة، وأرضها فرشت بالسجاد الجميل، وقد أقيم على القبر شباك من الحديد، ورفعت بناية القبر ما يزيد على المتر والنصف، وأرخيت عليه ستور الحرير الأسود؛ مكتوب على جانب منها بالقصب:

إن سألتم متى توفي حميد قلت أَرْخَتُ مات قطب همام
إنما الحاتمي في الكون فرد وهو غوث وسيد وإمام[١]

وتبدو الغيرة الدينية، والغضبة التي تفور من فكر أديبنا ابن خميس، عندما يسمع ما يؤيد تلك البدع والخرافات، وما يداخلها من أقوال من يدعون العلم، يقول عندما سأل سادن القبة من بنى هذه القبة؟ فقال السادن لقد كانت من قبل كهفاً موحشاً، حتى تداركها الله بالرجل العظيم السلطان سليم، جزاه الله خيراً؛ فبنى هذه القبة على ما ترى، ثم يستطرد قائلاً: إن الشيخ محيى الدين قد أخبر بهذا في حديث قبل موته، قائلاً: (إذا دخل السين في الشين ظهر قبر الشيخ محيى الدين) وهذه العبارة المرموزة المراد بها: إذا دخل السين أي السلطان سليم، في الشين ونعني في بلاد الشام!!

ويعلق ابن خميس على ذلك "بأنه هوس، وسخف وهرجلة أُلصقت بالإسلام، فاللهم اهد ضال المسلمين[٢]" ويعدد ابن خميس ما رآه من قبور تنال نصيبها من

---

(١) شهر في دمشق، ص٧١-٧٢.

(٢) المرجع السابق، ص٧٤.

التمسيح، والدعاء كقبر القائد الكبير صلاح الدين الأيوبي، وقبر عماد الدين زنكي في الجامع الأموي، أما قبر ابن تيمية فيذكر ابن خميس أن الله قدر أن يكون على ما هي عقيدته، من عدم التعظيم، فموقعه في مكان منزو من حرم الجامعة السورية، وبجانبه قبر ابن كثير، وابن القيم، وقبر زيد بن ثابت، وأبي هريرة ومعاوية، وكثير من القواد والتابعين العظماء، "ومعظم ما يقال عن هذه القبور كله تكهنات، وتحريات لقبورهم معظمها من وضع الشيعة والصوفية، وإلا فليس هناك دليل مادي يثبت ذلك؛" وقد أفرد ابن خميس فصلاً لدور عقيدة السلف في بلاد سوريا وهذا من الظواهر الإيجابية التي امتلأ بها مشهد نقد الآخر إيجابياً وإشادة في رحلة ابن خميس في كتابه، وهي دراسة حية للدور الذي قامت به الحركة السلفية في سوريا، ومدى التأثير الذي أحدثته في أوساط المثقفين، ولعل ما دوّنه ابن خميس عن دور العقيدة السلفية في سوريا؛ يعتبر وثيقة تاريخية حية، لتأثير حركة الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب في ديار الشام.

وقد تضافرت مشاهد تلك الوثيقة في مشاهد، ومواقف ولقاءات؛ أجراها الشيخ مع العلماء والدارسين في سوريا، ومن ذلك ما أورده الشيخ من حضوره إحدى حلقات العلم التي يعقدها الشيخ ناصر الدين الألباني[١]؛ محدث دمشق، وحوله ما يزيد على الأربعين طالباً من شباب دمشق، ويحدد ابن خميس موضوع الحلقة، وأنه في باب حماية المصطفى صلى الله عليه وسلم جناب التوحيد، وسده باب الشرك، من كتاب التوحيد وشرحه فتح المجيد، للمجدد الإمام محمد بن عبد الوهاب وحفيده رحمهما الله. فتعجب ابن خميس لهذه المصادفة[٢]؛

---

(١) محمد ناصر الدين الألباني. ولد عام ١٣٣٢هـ في مدينة (شتورتا) عاصمة ألبانيا في أسرة فقيرة. هاجر مع والده إلى دمشق ودرس بها علوم الحديث، اختير عضوا في لجنة الحديث في سوريا للإشراف على نشر كتب السنة وتحقيقها درّس في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، من آثاره التي تربو عن الخمسين أثراً (آداب الزفاف في السنة المطهرة، أحكام الجنائز، إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل). انظر: الثمر الداني في ترجمة محمد ناصر الدين الألباني. حسين جمعة حسن، دار الدليقان، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م، ص٣٠.

(٢) شهر في دمشق، ص٨٣.

يقول ابن خميس مبديا انطباعاته حول تلك الحلقة للشيخ الألباني (وانصتُ لأسمع درس الشيخ، وإذا بي أسمع التحقيق، والتدقيق، والإفاضة في علم التوحيد، وقوة الضلع فيه، وإذا بي أسمع مناقشة الطلبة الهادئة الرزينة، واستشكالاتهم العميقة، حتى انتهى درس التوحيد، وبدأوا في درس الحديث بالروضة الندية[١]، وهنا سمعت علماً جماً وفقهاً وأصولاً وتحقيقاً[٢]".

ويثني ابن خميس في ثنايا مبحثه عن السلفية على الشيخ الألباني، ونشاطه العلمي ودوره في نشر المذهب السلفي، كما يحفل ذلك الفصل بذكر بعض أعلام الحركة الإسلامية في سوريا في أوائل النصف الأخير من القرن العشرين الميلادي مثل علي الطنطاوي[٣]، وعبد الرحمن الباني[٤]، ومحمد الصباغ[٥]، ومصطفى السباعي[٦]، وبهجت البيطار.

---

(١) الروضة الندية: كتاب في الحديث مطبوع، الروضة الندية في شرح الدرر البهية للشوكاني، المتوفي سنة ١٣٠٧هـ، انظر: إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون، للمؤلف إسماعيل باشا البغدادي، صححه محمد شرف الدين.ـ ط١ـ بيروت؛ لبنان: دار العلوم الحديثة، د.ت. ص٥٩٧.

(٢) شهر في دمشق، ص٨٤.

(٣) علي الطنطاوي: سبقت ترجمته.

(٤) عبد الرحمن الباني. ولد في دمشق عام ١٣٤٥هـ.موجه الاختصاص للتربية الإسلامية في سوريا. شارك في التخطيط لإنشاء المعهد العالي للقضاء. عمل في جامعتي الملك سعود والإمام محمد بن سعود ويعمل الآن مستشاراً في مكتب وزير التربية والتعليم، من مؤلفاته (مدخل إلى التربية في ضوء الإسلام)، المعلومات مستقاة من الشيخ الدكتور شخصياً في مكالمة هاتفية خصني بها جزاه الله خيرا في ١٤٢٥/٢/٦هـ.

(٥) محمد لطفي الصباغ. من مواليد دمشق عام ١٩٣٠م. نال درجتي الماجستير والدكتوراه من جامعة الإسكندرية بمصر. عمل بالتدريس في الجامعات السعودية. له ما يزيد على ٤٦ مؤلفا منها (الحديث النبوي. أبو داوود حياته وسننه. لمحات في علوم القرآن، الإنسان في القرآن). انظر: مجلة الفيصل، العدد ٢٥٨، ذو الحجة ١٤١٨هـ، ١٩٩٨م، ص٩.

(٦) مصطفى السباعي. ولد عام ١٩١٥م في مدينة حمص من أسرة علمية عريقة. حفظ القرآن والتحق بالثانوية الشرعية بعد المدرسة المسعودية الابتدائية، درس بجامعة

ومن ظواهر نقد الآخر إشادة في رحلة ابن خميس، ما أورده تحت عنوان [المجمع العلمي]، حيث يوضح الهدف من إنشائه، وهو تحقيق التراث العربي والإسلامي، وإخراج كنوزه ومخبآته، والتعليق عليها ثم إبرازه إلى حيز الوجود، في أبهى وأجمل منظر.

ويعلق على ذلك بعبارات موحية حيث يقول: (المجمع العلمي إذن فورة من فورات سوريا الطامحة ...)[1].

ثم يتحدث ابن خميس عن زياراته الأولى للمجمع ووصفها بالاستطلاعية وهذا في نظري تعبير (إداري) ، وفيها التقى برئيس المجمع الأستاذ خليل مردم، ويصفه ابن خميس وصفاً حسياً ومعنوياً فالمشهد يظهر لنا خليل مردم، وما أدركه ابن خميس فيه من زهو الشعراء الطاووسي، الذي ما زال يتمركز في لمته البيضاء، ثم يثني ابن خميس عليه، فيقول: إنه شاعر مجيد، ولم يفل حده اشتعال الرأس شيباً. أما الزيارة الثانية للمجمع، فيقول ابن خميس: إن نصيبه منها نصيب حنين[2]. والزيارة الثالثة حظي ابن خميس بلقاء الأستاذ ياسين الخانجي رئيس ديوان المجمع، ويصفه بأنه ذو خلق رفيع لم يأخذه زهو الشباب، فألقى عليه ابن خميس ما في جعبته، وانتثل أمامه ما في كنانته، ومن خلال ذلك عرف ابن خميس

الأزهـــرـــ قسم الفقه. حصل على الدكتوراه في التشريع الإسلامي. عمل أستاذاً في كلية الحقوق بدمشق منذ عام ١٩٥٠م من مؤلفاته (أحكام الصيام وفلسفته، أخلاقنا الاجتماعية، هكذا علمتني الحياة) وغيرها. توفي عام ١٩٦٤م رحمه الله. انظر: الموسوعة الحركية: إعداد مؤسسة البحوث والمشاريع الإسلامية، المجلد الأول.ـــ ط٢.ـــ عمّان: دار البشير للنشر، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م، ص٢٦٩.

(١) شهر في دمشق، ص٤٦.

(٢) يشـــير إلى المثل العربي، رجع بخفي حنين، وقصة المثل معروفة، انظر: مجمع الأمثال للميداني، ٢٩٦/١.

تاريخ إنشاء المجمع، ومهامه وكيف يتم انتخاب أعضائه، وأنه تَصْدُر مجلة، يحررها نحو من ثلاثين عالماً مختصاً من أعضاء المجمع.

ويعدد ابن خميس إنجازات ذلك المجمع، وما حققه وما نشره ومنها [رسالة الملائكة] لأبي العلاء المعري، حققه سليم الجندي و[البيزرة والأشربة] لابن قتيبة، و[تاريخ حكماء الإسلام] وكلاهما من تحقيق محمد كرد علي، و[ديوان علي بن الجهم]، و[ديوان ابن عنين]، وديوان [ابن حيّوس] وجميعها بتحقيق خليل مردم، و[الدارس في تاريخ المدارس] و[ديوان الوأوأ الدمشقي] تحقيق صلاح الدين المنجد، و[فضائل الشام ودمشق] و[طرفة الأصحاب في معرفة الأنساب] و[الموفي في النحو الكوفي] شرحه وعلق على حواشيه الأستاذ بهجت البيطار، وكتاب [كنوز الأجداد] بتحقيق الأستاذ محمد كرد علي و[عثرات اللسان] من وضع الأستاذ الشيخ عبد القادر المغربي(١).

وقد أفرد ابن خميس ثلاثة فصول متوالية جميعها تدور حول الحس الأدبي، ولعل ذلك من إشراقات الرحلة؛ حيث تبين لنا من خلال تلك الفصول شيء عن الحركة الأدبية في دمشق، ومن ذلك ما أدرجه تحت عنوان الجامعة السورية تحتفل بطه حسين(٢). وفي بداية الفصل يبين الغرض من زيارة طه حسين، وأنها جاءت بدعوة من رئيس الجامعة السورية؛ لإلقاء محاضرة عن الشعر القديم في سوريا، ويصف ابن خميس مظاهر الاحتفاء بطه حسين؛ عميد الأدب العربي كما أطلق عليه معاصروه، ومن الطرائف التاريخية أن الأسبوع الذي قدم فيه ابن خميس إلى دمشق هو أسبوع طه حسين الذي قدم فيه إليها، فذكر ابن خميس أن الصحافة احتفت بطه حسين، وكانت أحاديث الأدباء والمثقفين تدور حوله ومحاضرته، وأن بطاقات الدعوة قد وزعت على الألوف من الناس،

---

(١) شهر في دمشق، ص٥٠.

(٢) المرجع السابق، ص١٠١.

لحضور المحاضرة، ومن لم توجه إليه الدعوة حصل عليها بطريق آخر، ويصف ابن خميس مدرج الجامعة، وأنه غص بالحاضرين، وامتلأت الغرف وازدحمت الشرفات (البلكونات)[١]".

ولكن الرؤى التي امتلأت بها انطباعات الأديب ابن خميس حول المحاضرة، وإن ابتعدت عن النقد المباشر، فإني أحسب أنها تشير إليه من طرف خفي، بما تنطوي عليه عبارات ابن خميس حول محاضرة طه حسين، وقد أتاح لنا ابن خميس أن نستلهم الرؤى لديه دون إيذاء مباشر للآخرين يقول: (ثم بدأ الدكتور يلقي محاضرته، وظل الناس مصيخين لكلام يسمعونه على لسان كل أديب، في الكتب المدرسية، ومن أفواه الأساتذة، ولكنهم طامعون في هذه المحاضرة الموعود بها منذ سنين أن يفاجئهم الدكتور فيها بوثبات فكرية، أو مفاجئات بديعة، أو آراء جديدة، ولكنه أنهى محاضرته مثلما بدأها، والقلوب تتشوق، والنفوس تتطلع، وخرج الناس يلتفت بعضهم إلى بعض، تُرى ما هو الجديد الذي دعا لـــه الدكتور طه؟!)[٢].

وكما قلنا لم يوجه ابن خميس نقده مباشرة لمحاضرة طه حسين، وهو الأديب الذي يعي ما هو الجديد والمستحدث من الفكر؛ إلا أنه أورد صدى محاضرة طه حسين في مواضع كثيرة من ذلك المبحث، ومنها ما وجده في الصحف السورية من تعليقات، واكتفى ابن خميس بإبراز الجانب الذي لم يكن راضياً عن المحاضرة، ومنها ما كتبه الشيخ علي الطنطاوي في مجلة [المسلمون] وكان حينذاك مقيماً في سوريا (وسمعوا طبول الدعاية الضخمة التي قرعت لهذه المحاضرة، فحسبوا أنهم سيلقون فيها ليلة العمر، فتسابقوا عليها، وازدحموا وبيعت البطاقة (بليرة)، وظنوا أن الدكتور سيريهم السها، ويكشف لهم أمريكا، فإذا هو يريهم القمر، ويكشف لهم أسبانيا، وإذا هو يبدأ على عادته دائماً بهذا اللت والعجن، وبعد هذا الدهليز الملتوي

(١) شهر في دمشق، ص١٠١.

(٢) المرجع السابق، ص١٠١.

الملتف الذي يمتد ميلاً، أوصلنا طه حسين إلى دار من ثلاث غرف، فقال كلاماً معاداً مكرراً موجوداً في كل كتاب من كتب الأدب المؤلفة لصفوف البكالوريا، ولحن لحنات في الإلقاء، تخيل حبة فبنى منها قبة، والقبة ولدت قباباً والقباب شكلت مدينة، وما كانت المدينة قط إلا في هذا الخيال السقيم، وهذه مصيبة طه حسين منذ أن خلع عمامته الأزهرية، وخلع معها عقله ودينه، فأظهر من آثاره ما تخفي الهرة أمثاله، من آثارها، حين نشر ذلك الخزي، الذي سماه كتاب الشعر الجاهلي[١])[٢].

ويعلم ابن خميس أن القارئ سيكون متشوقاً لمعرفة فحوى محاضرة طه حسين، فلا يفوته أن يعرض لنا موجزاً لها في تسلسل منطقي، دونما تدخل فيما أورده طه حسين، ويذكر ابن خميس أنه كان لــــه لقاء بطه حسين في سوريا، ويحدد مكان المقابلة بفندق (سميراميس) ، وتبادل وإياه الأسئلة والأحاديث.

وكان مما وجهه ابن خميس لطه حسين، سؤال حول النصيحة التي يوجهها للأديب العربي في تلك الفترة العصيبة، فأجابه طه حسين بأن الإخلاص والإخلاص وحده هو البلسم الشافي والطريق الوحيد لإنهاض الأمم.

ويتردد صدى الإجابة في نفس شيخنا ابن خميس ويبدي إعجابه بالآخر مشيداً بوجهة نظر طه حسين.

يقول ابن خميس: (انصرفت وكلمة الإخلاص ترن في أذني، ويرددها لساني ويتشبع بها ذهني؛ الإخلاص هذا الطلسم العجيب الذي استعصى حله في محيطنا، واستبهمت معالمه، وبات مسلكاً خاوياً لا يلم به إلا المقامرون، ولا يتجاوزه إلا المتهورون، فالإخلاص في الأدب وللأدب في محيطنا أصبح ضرباً من الهوس، وشعبة من الجنون)[٣].

---

(١) كــتاب في الشعر الجاهلي لطه حسين، كتاب مضمونه القول بأن الشعر الجاهلي منحول وهــذا الرأي بدأه المستشرق الإنجليزي مرجليوث واكتملت صورته عند طه حسين في كتابه (في الأدب الجاهلي) انظر: ط١٦، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٩م.

(٢) شهر في دمشق، ص١٠٤.

(٣) شهر في دمشق، ص١١٣.

ولقد كان لابن خميس رؤية أخرى خلال رحلته إلى دمشق حول الأدب في سوريا فقد قال حينذاك أن الأدب فيها لم يكن بأحسن حالاً منه في البلدان الأخرى، وأنه يكاد ينحصر في نفر يعدون على رؤوس الأصابع، لهم فيه صولات وجولات وانطلاقات، ويصف ابن خميس أولئك بأنهم اتخذوا الأدب تكأة للاكتساب، وسلماً للشهرة ومن أولئك شعراء المناسبات[١]، ويستثني ابن خميس من أولئك شعراء مبرّزين في سوريا لهم قدم راسخة في الأدب، وقد ساهموا في بناء نهضة أدبية في بلاد العرب مساهمة كبيرة، وأضافوا إلى المكتبة العربية إنتاجاً مشرفاً، من أمثال عمر أبو ريشة[٢]، وشفيق جبري[٣]، وخليل مردم بك[٤]، وخير الدين الزركلي[٥].

---

(١) المرجع السابق، ص٢١٣.

(٢) عمر أبو ريشة. ولد في منبج بسوريا قبل عام ١٩١٠م. حصل على بكالوريوس العلوم سنة ١٩٣٠م من الجامعة الأمريكية ببيروت. درس الأدب الإنجليزي مما أمده برافد جديد أثرى ثقافته الأجنبية ومن إبداعاته مسرحية (رايات ذي قار) انظر: عمر أبو ريشة شاعر الحب والوطن. عبد العزيز النعماني.ـ ط١.ـ القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م، ص٢١-٢٢.

(٣) شفيق جبري. ولد في دمشق عام ١٨٩٨م. أتقن الفرنسية إلى جانب العربية. عمل عميداً لكلية الآداب في جامعة دمشق. لقب بشاعر الشام. له من المؤلفات عن المتنبي والجاحظ وأرض السحر والشعر والنثر. توفي عام ١٩٨٠، انظر: عبقريات شامية، عبدالغني العطري، الناشر المؤلف دمشق، ١٩٨٦م، ص٢٣.

(٤) خليل مردم بك. ولد في دمشق عام ١٨٩٦م. درس في المدارس التركية. ظهرت موهبته الشعرية وهو في العشرين. عمل أميناً عاماً لرئاسة الوزارة في الحكومة العربية آنذاك، عضو في المجمع العلمي العربي بدمشق، والمجمع اللغوي بالقاهرة، ومعهد الدراسات الشرقية بجامعة لندن. تولى عدة وزارات والسفارة السورية في العراق، من مؤلفاته (شعراء الشام). له ديوان شعري فخم طبع في المجمع العلمي العربي بدمشق. توفي عام ١٩٥٩م. انظر: شعراء سورية، أحمد الجندي.ـ ط١.ـ بيروت: دار الكتاب الجديد، ١٩٦٥م، ص٨٤.

(٥) خير الدين الزركلي. ولد في بيروت عام ١٨٩٣م من أبوين دمشقيين ونشأ في دمشق ودرس فيها وتلقن الأدب والشعر واللغة. كانت له مواقف محمودة ضد الاستعمار وكان شاعر الشام. له مؤلفات منها: كتاب (الأعلام). توفي عام ١٩٧٦م انظر: عبقريات شامية. عبدالغني العطوي، ص١٩.

ولابد من الإشارة إلى وجهة نظر ابن خميس حول الأدب العربي، وأنه يجب أن لا يدرس دراسة محلية، وهي نظرة صائبة تبينت لنا من خلال موقفه من محاضرة الدكتور طه حسين، وأنه جاء ليتحدث عن لون من الأدب قلما تعرض لــــه الباحثون، وهو حديثه عن أدب كل قطر على حدة(١).

ويشيد ابن خميس في الفصل ذاته باتجاه ناشئة سوريا نحو القصة، ومعالجتها ولكنه يقارنها بالقصة، وما وصلت إليه في لبنان ومصر، فيراها دونهما في المعالجة(٢).

ويفرد ابن خميس فصلاً للصحافة في سوريا، ويطرح رؤاه حولها، وهو الرجل الإعلامي الصحفي، فيذكر أنها كثيرة تلفت النظر، وتسترعي الانتباه، ولكن أكثرها صحف هزيلة في مادتها وأسلوبها الصحفي.. ويعلل ابن خميس قلة انتشار الصحف السورية خارج أسوار بلادها بضعف مادتها، وأسلوبها الصحفي، ويصنِّف ابن خميس تلك الصحف إلى صحف، مستقلة وصحف حزبية، التي يرى أن الفائدة التوجيهية منها قليلة نسبياً، لخضوع أكثرها لمؤثرات خاصة. ويشيد ابن خميس ببعض المجلات الأسبوعية والشهرية في سوريا مثل مجلة (المسلمون) ومجلة (التمدن الإسلامي)، ثم يعدد أسماء الصحف والمجلات في دمشق، ويلفت انتباه القارئ إلى أنها كثيرة جداً استفادت منها حتى الطبقات الفقيرة، أو شبه العوام، وأتاحت فرصة لعدد كبير من الشعب للعمل في تلك الصحف والمجلات".

ويختم ابن خميس رؤيته وأفكاره حول الصحافة في دمشق، والتي كوَّنها خلال رحلته إليها وما رآه من وجود بعض التطرف، وعدم التثبت مما تنشره "مما لا يليق بصحافة تمثل شعباً أبياً كريماً، وأنه لابد أن تتسم الصحافة

---

(١) شهر في دمشق، ص١١٢.

(٢) المرجع السابق، ص١٢١.

بالرزانة، والتثبت والاستقلال الذاتي، وعدم الخضوع للمؤثرات الخاصة، أو الأعراض والأنانيات، والنعرة الجنسية والطائفية[١]".

الرؤية التراثية في رحلة ابن خميس إلى دمشق:

في مدينة دمشق تناغم مدهش بين الماضي العريق بما فيه من التراث التاريخي الإنساني، وبين ما تشهده من التقدم الإنساني، والذي شد انتباه أديبنا الشيخ عبد الله ابن خميس، فشدت انتباهه المشاهد التي تتعلق بالتراث، والمتاحف والفنون الشعبية، فنراه مغرماً بكل أصيل قديم يجسد الماضي، وما أبدعه وخلفه الأجداد من فنون، وصناعات يدوية، وقف ابن خميس أمام قصر أسعد باشا في دمشق، وبدأ يصفه وصفاً دقيقاً يقول: [كانت عمارته الحجرية المتينة وتصميمه العجيب، وتزويقه النادر، مثالاً عالياً من فن العمارة، وأنه في غاية الجمال والروعة؛ تلج من بابه إلى ممر عادي، يفضي بك إلى ساحة القصر الرحبة المفروشة بالحجارة الناعمة الملساء، يتوسطها بركة حولها بعض الأشجار الباسقة، وتقوم على جنباتها الأواوين والغرف المزخرفة بالنقوش، والكتابات والصور والفسيفساء[٢]. كتب على جدارها همزية البوصيري[٣] بخط نسخي جميل[٤]. ويبين ابن خميس أن الحكومة السورية اتخذت من تلك التحفة متحفاً

(١) شهر في دمشق، ص١١٥.

(٢) الفسيفساء: قطع صغار ملونة من الرخام أو الحصباء أو الخرز أو نحوها يضم بعضها إلى بعض فيكون منها صور ورسوم تزين أرض المكان. انظر: المعجم الوسيط، ص٦٨٨.

(٣) البوصيري: محمد بن سعيد بن حماد الصنهاجي البوصيري المصري، شرف الدين نسبة إلى بوصير في مصر وأصله من المغرب، أشهر شعره البردة. له ديوان شعر مطبوع، انظر: الأعلام. الزركلي، ١٣٩/٦.

(٤) شهر في دمشق، ص٥٥.

ومن هذا الأثر الخالد مكاناً للتقاليد الشعبية، والألبسة الشرقية، والصناعات اليدوية، والوطنية، واللوحات الشعبية، التي تبرز روح الشعب السوري].

وصف ابن خميس لوحة جلوة العروس، وهي ضمن محتويات القصر وصفاً يتجلى فيه إعجاب ابن خميس بتلك اللوحة، وتتمثل بأربعة تماثيل نسائية، وسطهن غادة بارعة الجمال لابسة زينة العروس، والتي عن يسارها جاثية على ركبتيها، وكأنها ترقب ثوب العروس، وتُعنى بحسن لبسته، أما التي عن يمينها فواقفة مطلة في وجهها، وكأنها تعنى بتصفيف شعرها، وملاحة وجهها، فهي تنظر إليها نظرة المعجب المزهو، أما ثالثة الوصائف فتتربع عند يمين العروس وبيدها مزهر منحنية عليه تحس وتره، وتعيره أذنها وكأنها راضية عن النغم الذي توقعه)[١].

ومن المشاهد الحية التي شدت انتباه أديبنا أن أحد القائمين على شئون القصر، كان واقفاً يردد "قام العباد فيما أراد، ولــه المراد فيما يريد، وهو العزيز الوحيد، إن صاحب هذا القصر لم يغنه قصره، ولا ماله وسلطانه، فقد شُنِقَ عند باب هذا القصر"يقول هذا وهو ينفث سيجارته في نهار رمضان فقلت:

يا أيها القاضي إلى كم ترى   تسن الحديد ولا تقطع[٢][٣]

ورسم ابن خميس لوحات أخرى لمسنا فيها ما يختلج في فكره، من أن ما صنعته وصاغته اليد البشرية من الآلات، ووسائل وشئون معيشية، تمثل الفن والذوق والخبرة والعقل، ممزوجة بالعمل اليدوي، كلها تمثل في النهاية تراثاً خالداً

---

(١) المرجع السابق، ص٤٦.

(٢) شهر في دمشق، ص٦٠.

(٣) البيت ذكره ابن خميس في الشوارد ولم ينسبه وتتمة المعنى:

إياك تُنْهى ولا تنتهي   وتُسمع وعظاً ولا تسمعُ.

انظر. الشوارد ٣٢١/١.

في حياة الشعوب، ويشهد على تلاحم اليد بالعقل، وذلك كله يمنح المطل عليها صورة جلية لفكر ومهارة وعمل وذوق السالفين، في مضمار التراث والحضارة؛ وللمتحف الوطني بما يمثله من مشاهد مثيرة في نفس ابن خميس وقفات ذكرها في رحلته إلى دمشق، فذكر الكثير من الأدوات البرونزية، والمباخر والسرج والأختام، واللوحات الحجرية بصورها وكتاباتها ونماذج من الآنية والنقود الذهبية، والفضية، والحلية من خواتم وقلائد وعقود، والأسلحة من دروع وسيوف وبيض ودرق ونبل ونشاب وأخشاب مزخرفة ومنقوشة، وأوانٍ فخارية، وأواني القهوة وثريات وشمعدانات وقماقم للعطور، وصحون خزفية مطلية بالألوان الزاهية، ويعجب ابن خميس من احتفاظها بألوانها كأنما طُليت بالأمس[1].

مشهد آخر أورده ابن خميس في كتابه مليئ بالحركة تكتنفه النظرة العميقة والدقة في إبراز تفاصيله، فكأنما نحن أمام مشهد تمثيلي، وصراع حي من صراعات الحياة نراه وهو يصف مدخل المتحف الوطني يقول: (تدخلها فترى هنا تمثالاً واقفاً كأنما يروي لك عهود الغابرين من آلاف السنين، وهناك أسد من الحجارة الصلبة قد أقعى واستبطن ذنبه، وغلب برثنه في رأس بقرة، وظل كاشر الأنياب فاغراً فاه الموحش، كأنما أقبل عليه أحد لداته لينازعه فريسته؛ وهنالك تابوت من الحجارة السميكة نُحت ليكون قبراً لعظيم لاحظته عيون السعادة في حياته، ليحفظه من عوادي الدهر، وأسباب الفناء بعد موته فذهب القابر والمقبور إلى الذي منه خلقوا، وبقي القبر، وكأنما يروي لنا قصة هذا الإنسان المغرور، رواية الساخر المستهتر بمكلف الأيام ضد طباعها)[2][3].

---

(١) شهر في دمشق، ص٦٢.

(٢) شهر في دمشق، ص٦٢.

(٣) المعنى أخذه الشيخ من قول الشاعر أبي الحسن التهامي:

ومكلف الأيام ضد طباعها   متطلب في الماء جذوة نار. انظر الشوارد، عبد الله ابن خميس، ١/٢٢٠.

ومما أورده ابن خميس من مشاهد رآها في المتحف الوطني السوري، والذي أبان بأنه قد قسم إلى ثلاثة أقسام قسم لآثار الآراميين والفينيقيين، وقسم لآثار الرومان واليونان، والقسم الإسلامي.

وصف لوحة في القسم الإسلامي، فقال مخاطباً القارئ: "إن أول ما يواجهه الداخل إلى ذلك القسم قصر الحير لهشام بن عبد الملك، الذي بناه ما بين تدمر والقريتين، والذي وجد طللاً خاوياً قد تداعت أركانه.

ويضيف لوحة أخرى من لوحات القسم الإسلامي في المتحف الوطني، فيصف ما ظهر في مخطط مدينة الرقة في بغداد، وما ظهر فيها بين نهر الفرات، والسور الذي بناه المنصور، والقلاع الحصينة التي وضعها تجاه الروم، وتمثال الفارس المغولي الذي يبدو وكأنه يعالج تنيناً التف حول ساق حصانه[(١)].

وما سلف قليل بالنسبة لما في هذا الكتاب من وجوه الإجادة، ويختم رحلته بوصف شائق لدمشق ملهمة الشعراء، وقد كساها فصل الربيع جلالاً وجمالاً، مما ذكّره وهو الأديب الشاعر بقول حسان بن ثابت[(٢)]:

أولاد جفنة حول قبر أبيهم ... قبر ابن مارية الكريم المفضل
يسقون من ورد البريص عليهم ... بردى يصفِّق بالرحيق السلسل

وختمها بقوله: "إن ما كتبه عن دمشق لا يعدو أنه آراء وأفكار وخواطر؛ ولدتها مشاهد عابرة، وأحاسيس حبيسة، ودعا إلى تسجيلها أحد أمرين: إما مقارنة يجد القارئ في التعليق عليها ما يثير غيرته، ويحدوه إلى الاستيقاظ والعمل.

---

(١) شهر في دمشق، ص٦٣.

(٢) حسان بن ثابت بن المنذر الخزرجي الأنصاري الصحابي. شاعر الرسول صلى الله عليه وسلم وأحد المخضرمين. عاش ستين سنة في الجاهلية ومثلها في الإسلام. سكن المدينة المنورة وكان شديد الهجاء، فحل الشعر. له ديوان شعر مطبوع، انظر: الأعلام. خير الدين الزركلي، ٢/١٧٥.

وإما طرافة في موضوع يجد القارئ فيه لذة ومتعة[١]، وقد تميزت رحلة ابن خميس إلى دمشق بحسن التبويب، ودقة المعلومات، وعمقها، ولا ريب فهو قد أورد معلوماته عن كفاية ودراية.

د- جولة في غرب أمريكا[٢].

والكتاب هو عبارة عن رحلة قام بها الأديب عبد الله ابن خميس في الفترة من عشرين ذي الحجة ١٤١٣هـ إلى غرب أمريكا، وقد صدر الكتاب عام ١٤١٤هـ عن مطابع الفرزدق التجارية، وبلغ عدد صفحاته ما يقارب المئة صفحة، دعّمها أديبنا بالصور الملونة لـه، ولرفقة السفر وهم في أجواء الرحلة، وبنظرة إجمالية، فإن ابن خميس استطاع بحسه الأدبي، أن يوازن بين وصف البيئات الأجنبية، وحركة استيطانها وحوّل انطباعاته وملاحظاته إلى عمل بالغ الذاتية، وهو الأمر الذي جعل من رحلته شهادة إنسانية حية يندرج من خلالها وصف العالم الخارجي، تحت ظلال من الإدراك لاختلاف المجتمعات الإنسانية.

(وإننا اليوم وفي ظل هذه النهضة الاتصالية المدهشة بأمس الحاجة إلى مثل تلك الرحلة التي قام بها ابن خميس، ذلك إن العالم العربي يستقبل اليوم الكثير من الحضارات ذات القيم والعادات المختلفة، ومنها ما يهدد الهوية الإسلامية والعربية من خلال هذه القنوات الاتصالية المتعددة، مما يعني أننا بحاجة إلى الرحالة الواعي الذي يقدم لنا رؤيته عن هذه الحضارات بعيداً عن الانخداع والتزوير، ويسهم في كشف الجوانب النافعة في هذه المجتمعات للإفادة منها، وبيان خطورة الظواهر التي تضر بقيم المجتمع الإسلامي وتهدد أخلاقياته)[٣].

---

(١) شهر في دمشق، ص١٥٠.

(٢) جولة في غرب أمريكا. عبد الله بن خميس.ـ ط١ .ـ الرياض: مطابع الفرزدق التجارية، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م.

(٣) الرأي مقتبس من كتاب أدب الرحلة في المملكة العربية السعودية. عبد الله حامد، ص٩.

وفي بداية الكتاب هناك مقدمة بقلم محمد بن عبد الله ابن خميس، وهو أحد أبناء الشيخ والذي كان يتلقى تعليمه العالي في أمريكا، ويبين أنه اقترح على والده الأديب ابن خميس زيارة الولايات المتحدة الأمريكية، ليطلع ويشاهد ويفحص هذا العالم الجديد، ويكتمل بذلك عقد معرفته ببلدان العالم.. وعندما تحققت الرحلة ولأن الولايات المتحدة قارة مترامية الأطراف تحتاج إلى أشهر لزيارتها، فإن الشيخ اقتصر في زياراته على المدن الكبيرة، والنقاط التاريخية، ومعالم الطبيعة من الجبال والأنهار والبحيرات.

فكان الاكتفاء بزيارة ولايات الساحل الغربي، وهي كاليفورنيا وأريجون وواشنطن مع مقاطعة برنش كولومبيا الكندية[١].

ويحدد ابن خميس في مقدمته للكتاب الزمن الذي تمت فيه الرحلة، و أنها ابتدأت في العشرين من ذي الحجة عام ١٤١٣هـ، واستغرقت اثنتي عشرة ساعة بالطائرة، والباعث والدافع للرحلة، هو وجود ابنه محمد لإكمال دراسته لنيل درجة الماجستير، وأنها جاءت بإجماع من أبنائه الآخرين لزيارته، ومن ثم التنقل في أنحاء تلك البلاد، فنستطيع أن نصنِّف رحلته بأنها من أجل الاستطلاع؛ ومن عناصر الرحلة: رفقاء الرحلة فقد أورد ابن خميس أسماءهم، وهم أولاده وسبطاه[٢]. وكانت وسيلة الرحلة من الرياض إلى لندن، ومن ثم إلى لوس أنجلوس هي الطائرة، أما التنقل داخل ولايات الغرب الأمريكي، فكان بالسيارة وفق رغبة الشيخ؛ لأنها في نظره تتيح لـــه الكثير من المشاهدات، وتمنحه الغزير من التفاصيل، ويلحظ المتصفح للكتاب الذي تحدث فيه ابن خميس عن رحلته إلى الغرب الأمريكي أنه نثر صوراً ملونة جميلة لبعض مشاهد الرحلة.

---

(١) مقدمة الكتاب، بقلم محمد بن عبد الله ابن خميس، ص٥-٦.

(٢) انظر: جولة في غرب أمريكا، ص١١.

ونلاحظ من خلال حديث الشيخ ابن خميس عن رحلته، أن هناك مجموعة من الأفكار والرؤى التي كونها ابن خميس عن المجتمع الغربي من خلال رحلته، ومن تلك الرؤى والمضامين في رحلة ابن خميس:

١ - الإعجاب بالذات العربية في أمريكا:

حيث التقى وتعرف إلى الكثير من أعضاء الجالية العربية في لوس أنجلوس، وجلهم من الفلسطينيين، ويبدي إعجابه بما وصلوا إليه من المثابرة والجهاد والكدح في سبيل الرزق، ويعدد ابن خميس أسماء بعضهم رجالاً ونساءً[١]. ويذكر أيضاً ما يبذله أولئك من أجل القضايا العربية والإسلامية، وخاصة قضية فلسطين، ويطرح ما عندهم من آراء حول ذلك.

يقول: (ودعانا دعوة كريمة الأخ الفلسطيني نزار الطويل، واجتمعنا لديه مجموعة مختارة من الإخوة الأدباء والفضلاء، وكانت دعوة كريمة من رجل كريم، وكانت الدعوة في منتزه "الميل المربع الأخضر النضر" واجتمعنا بالأخوين الكريمين الدكتور سعد بسيسو العالم المؤلف، وبالأخ محمد الشنطي الكاتب المعروف في دار الأخير، وقد تطرق الحديث إلى شئون العرب والمسلمين، وقد أفاض الدكتور بسيسو في موضوع تقصير العرب والمسلمين في القضايا العربية والإسلامية، بما يمثله هذا البيت:

لئن كان ذنب المسلم اليوم جهله فماذا على الإسلام من جهل مسلم[٢]

وفي مشهد أخر يعجب ابن خميس بأسرة عربية استرعت انتباهه، وهو يشاهد سد (كليفلند) عندما سمعهم يتكلمون العربية، وعندها سألهم الشيخ هل هم من العرب، فأجابوه أنهم عرب عراقيون، قد نزحوا إلى إسرائيل منذ ثلاثين

(١) انظر: جولة في غرب أمريكا، ص١٤.

(٢) المرجع السابق، ص١٧.

سنة، ولكن لهجتهم العربية لم تتغير طوال هذه المدة، وأنهم ما زالوا يتخاطبون بها، فهذا دليل على أن العربية تأبى إلا أن تنشد أهلها، وتأبى إلا أن تبقى في كيان أهلها مهما كانت الظروف وإن أبت إسرائيل إلا أن تغير لهجة العرب، أو يمحوها من أذهانهم، وتجعل اللغة العبرية هي لغة الأمة(١).

وفي مدينة (سياتل) التقى ابن خميس بمجموعة من الطلبة السعوديين، ويذكر أنهم أقاموا لـــه حفلاً شائقاً تبودلت في ساحة ناديهم الخطب والقصائد الجميلة، وحصلت الحوارات والمناقشات المفيدة. ويضيف الشيخ أنه ألقى فيهم كلمة حثهم فيها على القيام بواجباتهم ومسئولياتهم في البعثة، وأنه حثهم أيضاً على الالتزام بالخلق الكريم، والمحافظة على الصلاة، والإخلاص للإسلام والمسلمين، ولفت انتباههم إلى عدم الاغترار بمظاهر الحياة التي يرونها حولهم، وأنها مجرد قشور، واللباب كل اللباب في الالتزام بالإسلام وآدابه، وأخلاقه(٢).

ويشيد ابن خميس ببعض أبناء هذا الوطن الذين استقبلوه في تلك المدينة، ومنهم الأستاذ ناصر بن عبد الرحمن الشويعر؛ والذي كان مساعداً لمدير البعثة السعودية في سياتل، ومنهم أيضاً الأستاذ محمد الطواله، وعبد الحميد الصحاف(٣).

٢- الرؤية الإيمانية للجمال في الطبيعة الأمريكية:

تحدث ابن خميس عن لوحة من لوحات الجمال في رحلته إلى الغرب الأمريكي، عندما شاهد متنزه (يوسمتي) الوطني أشهر المتنزهات في كاليفورنيا، وتقوم على حفافه هضاب شامخة جداً، صلبة من نوع الجرانيت الشهب المتعالية،

(١) انظر: جولة في غرب أمريكا، ص٦٧.

(٢) المرجع السابق، ص٥٣.

(٣) المرجع السابق، ص٥٥.

تتخللها شلالات تندفع بشكل قوي، وتتلاقى في بطن الوادي العميق، حيث يتكون النهر، وأحد هذه الشلالات الكبيرة يدعى (قناع العروس) ، والثاني يدعى (تاج المجد). ويذكر ابن خميس أنه منظر بديع جداً قل أن يوجد مثله.

ويصعد ابن خميس القمة التي تشرف على تلك الهضاب، والوادي السحيق، وتلك القمة تدعى (فليشر) فيتذكر الحديث الشريف (فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر)[١]. وقوله تعالى (**فَلاَ تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**)"سورة السجدة، الآية: ١٧".

ويضيف ابن خميس أنه لا يمكن لأي شخص أن يتخيل أو يتصور هذا المنظر البديع الذي نراه من قمة فليشر، ويخاطب القارئ قائلاً: (حسبك أن تقف، وأن تجهد طرفك نحو هذه المناظر البديعة، وأن تغمض عينيك فتفتحهما على هذا الحلم، ينداح أمامك ثم تقول: "الله أعظم وأجل فهي من بديع صنع الخالق جلّ وعلا")[٢].

ولوحة أخرى استشعر فيها الشيخ عظمة الخالق عز وجل، ودقة صنعه عندما تحدث عن حدائق (بوتشارت) في مدينة فكتوريا، ووصفها وصفاً شائقاً فهي [حدائق غناء مشتملة على كافة أنواع الزهر المتماوج، والمصفف والمنسق وكذلك أنواع الزهور البشرية يتدافعن ويتماوجن ويعبثن ويتضاحكن، زهور غضة لذيذة في وسط زهور غضة لذيذة، ويعجب الشيخ من انتشار أنواع البشر، تغطي تلك المساحات المنداحة من الزهور، وتسمع النغمات المتفاوتة، واللغات المتعددة تتنفسها هذه الحدائق المتأرجحة وتنبعث النوافير الطافحة، والرشاشات السابحة، والشلالات المتناوحة، تحمل النسيم، وتعطر أنوف السائحين، وهناك الساحات السندسية الخضراء، تحف بها أحواض الزهر المفوفة المصففة الرائعة،

---

(١) الحديث، رواه البخاري، كتاب التفسير باب (فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين) انظر: صحيح البخاري مع شرحه فتح الباري ٨/٥١٥..

(٢) جولة في غرب أمريكا، ص٣١.

تكون فيها في شك أنك في جنة من جنان الأرض الحالمة)... إلخ ما أورده الشيخ من وصف جلي لتلك الحدائق، والذي استغرق من قلمه ما يربو على العشر صفحات من الورق.. ويهمنا أن نقف عند حديث الشيخ في ختام لوحته الفنية أنه توجه إلى خالقه قائلاً: (فالله هذه المرابع ما أجملها، وما أحلاها، وما أغلاها، وما أكملها، (**فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ**)"سورة المؤمنون، الآية ١٤"[١].

ويستمر ابن خميس في اقتناص الصور والمناظر، ومن ثم تقديمها للقارئ في أسلوب أدبي، مستشعراً قدرة الله عز وجل في إحكام الخلق، وجمال الكون، فنراه وهو يتحدث عن بحيرة واشنطن، البحيرة التي تحف بها مدينة (سياتل) وبعدما يتحدث عن أنظمة التحكم في مياه البحيرة، والتي أقامها القائمون عليها، نراه يقف عند صورة أخرى من بديع صنع الخالق عز وجل، عندما تحدث عن الأسماك ودورة حياتها في تلك البحيرة، واعتبر الشيخ ذلك آية من آيات الله يقول: (وهناك آية للسمك بين المحيط وبين هذه البحيرة فنوع منه يقال لـه سلمون، يتوالد في الأنهار التي تصب في هذه البحيرة، فيخرج قاصداً ا لمحيط ليمكث به أربع سنوات، وإذا جاء موعد وضع السمك دخل من المحيط إلى الخليج، ثم إلى البحيرة، ثم إلى مكانه الذي فقس به من النهر، ليضع بيضه هناك، ويموت، ونرى أسراب السمك خارجة إلى المحيط صغاراً، ويرجع الكبار محملاً بالبيض، حيث تضع كل سمكة حوالي ٤٠٠٠ بيضة][٢]. ويتعجب الشيخ من هذه الأسماك وما ألهمها الخالق من نظام فطري لم يتدخل فيه البشر إنما هي قدرة الله عز وجل ويستشهد بقوله تعالى: ﴿**قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى**﴾"سورة طه، الآية ٥٠".

---

(١) جولة في غرب أمريكا، ص٨٢.

(٢) المرجع السابق، ص٥٧.

٣- نقد الآخر سياسياً:

إن القضية الفلسطينية ما برحت هي القضية الأم عند أديبنا ابن خميس، واستنـــزفت من فكره ومداده الكثير، ولقد رافقه هذا الشعور، وهو في جولته في الغرب الأمريكي، فنراه في ختام الرحلة عندما تحدث عن المجتمع الأمريكي، وما فيه من عصابات المافيا، صور ذلك الكيان المتسلط، والذي ينفق البلايين لبناء الترسانة الحربية لدولة إسرائيل؛ لتقوم الأخيرة بتقتيل الفلسطينيين، وطردهم من بلادهم؛ مما يعني قدراً كبيراً من الموضوعية في التناول لنقد هذه الدولة ومن زاوية أخرى، فإنه يتعجب من وجود أربعة آلاف مليون دولار تحملها أمريكا ديناً على كاهلها. [ومع ذلك تأبى أمريكا إلا أن تحافظ على سلطتها، وهيمنتها بواسطة قوتها الحربية، فتذل الآخرين، وتسيطر على مقدراتهم، أليس معنى ذلك البوار، والهلاك والتلاشي؟ وهل يحق لكيان هذا وضعه أن ينفق البلايين لبناء الترسانة الحربية لدولة إسرائيل، لتقتيل العرب وإهانتهم، إن هذا لمن العجب وإن هذا لِمّا دعا المفكرين، والعلماء من قلب أمريكا أن يصدعوا بقول الحق، وأن يتنبأوا بمصير مهلك لهذا الكيان](١). ومن مظاهر نقد الآخر سياسياً ما صوره ابن خميس من مظاهر التفرقة العنصرية والعصبية التي أججتها السياسة الأمريكية بين السود من الأمريكيين، فيذكر أن هناك حياً يقع في وسط (لوس أنجلوس) يسكنه السود، وبعض الأقليات الأخرى، توجد فيه مظاهر الفقر والبؤس، والكتابة على الجدران، وهو حي كبير جداً، ويذكر ابن خميس أن هذا الحي وقعت فيه فتنة؛ حينما عثرت الشرطة على رجل من هذا الحي الأسود هارباً بسيارته، لم يقف لأوامر الشرطة، فقبضوا عليه وأخذوا يضربونه ضرباً مبرحاً، وصادف أن مصوراً أخذ يلتقط ما يجري من الضرب بكاميرا فيديو،

---

(١) جولة في غرب أمريكا، ص٩٢.

فذهب إلى التلفزيون، وأذاع الموضوع مما أثار سخط الجمهور عموماً، والسود خصوصاً، وجرى التحقيق في القضية، وبُرئت الشرطة، وتبين تحيز الحكومة للشرطة، فثارت ثائرة السود في هذا الحي، وبدأت الفتنة في المظاهرات والحرائق والسلب والنهب، وتدخل الحرس الوطني لإخماد الفتنة وإيقاف الشغب وقدرت الخسائر بحوالي سبعمائة وخمسين مليون دولار، وبلغ عدد القتلى ٥٠ قتيلاً؛ ويعلق ابن خميس منتقداً (وهكذا لم تستطع أمريكا بقوتها وقضها وقضيضها القضاء على هذه الفتنة والتي سببها "العنصرية")[١].

٤- نقد الذات والحس الوطني:

لقد كان من الطبعي أن تستثير بعض المظاهر والمشاهد الأديب عبد الله بن خميس للكتابة والتعليق، وربما تحدث عنها إشارة أو استطراداً؛ إذا كانت ذاته الوطنية تعاني قصوراً في ذلك، ومن المهم أن نذكر أن مثل تلك المشاهد الإيجابية في المجتمع الأمريكي ما كانت لتدعوه إلى الثناء والإعجاب فقط بقدر ما يأمله في أن يرى في بلاده مثلها، فقد تتجه رؤية ابن خميس إلى محاكاة مظاهر الطبيعة، وما فيها من مخلوقات، فهو يوجه لها التحية والإعجاب لما هي عليه من استقرار وأمن، ويلوم قومه على إبادتهم للبيئة الطبيعية من الحيوانات.

ففي متنزه (اليوسمتي)، وفي مرج مزهر، وجد ابن خميس ظبية مع غزالها راتعة غير خائفة ولا وجلة، استوقفت الأديب الشاعر، فقال مقطوعة شعرية يحيى تلك الغزالة في ذلك المرج الضاحك، ويلوم قومه على إبادتهم للحياة الفطرية في بلادنا، ونحن شعب مسلم حثنا ديننا على الرحمة، والرأفة بالحيوان، يقول موجهاً خطابه للظبية، ولأبناء بلاده:

---

(١) جولة في غرب أمريكا ، ص١٦.

رأيتها تلعاء مأنوسة ما را بها من دهرها ما يخيف
ترنو إلى النظار من حولها يطرفها الساجي الجميل الأليف
تنعي بني عم لها مالها من عاطف يرثي لها أو أليف
كأنما استوصوا بإفنائها وعاملوها كالعدو المخيف
ما ذنبها ترمى على غرة يروعها الخب الشقي الأسيف
قالوا شريف قانص ماهر والرفق بالمخلوق عين الشريف
قد كان في إسلامنا وازع يرفعنا في كل طود منيف[١]

وإذا كان أسلوب المقارنة الصريحة، أو المفهومة من خلال السياق سيطر على الرؤى والأفكار الذاتية عند الشيخ ابن خميس، فإنه دائماً ما يهدف إلى تغيير المفاهيم الخاطئة، وخاصة أن الذات المسلمة مطالبة بما يدعو إليه ابن خميس فيما يطرحه من مقارنات، خلال بعض المشاهد في رحلته.

وقد أكد ذلك عندما قام بزيارة إلى مصنع طائرات البوينج في مدينة (سياتل) الأمريكية.

وتحدث مشيداً بما في ذلك المصنع من حركة ضخمة دائبة وعمل ضخم جبار وأنه يعمل به قرابة عشرين ألفاً من العمال، وأن صنع الطائرة الواحدة يستغرق عاماً كاملاً، يقول: (من أين اتجهت رأيت مشهداً يحار فيه المطلع، وأقول أن الأيدي التي عملت هذا والعقول التي أنشأته، والأموال التي أُنفقت به، لهي مضرب المثل، ومنتهى ما يصل إليه العقل، وما تبنته أمة عاملة في ميدان الحياة، ويعمل هذا المصنع أربعاً وعشرين ساعة، في ثلاثة ورديات تتعاقب على العمل، بصفة دائمة دائبة، فليت أننا نأخذ من هؤلاء الأسوة والقدوة، ونبني كما

(١) جولة في غرب أمريكا، ص٢٩.

أولئك يبنون، ونعمل كما كانوا يعملون، ونأخذ من إسوتهم التي وضعوها شعاراً لهم، ما يجعلنا ندرك قيمة الحياة ونقدرها قدرها)[١].

ويتناول ابن خميس ظاهرة العمل خارج الدوام عندنا بشيء من الإشارة ساخراً، تلميحاً لا تصريحاً، حيث يقول (ولا يوجد في نظام عمل المصنع عمل إضافي "أوفر تايم")[٢].

٥- نقد الآخر حضارياً:

إن عبد الله ابن خميس من مجموعة الرحالة الذين ولوّا وجوههم قِبَل أمريكا الداخلية، وكان وضع أمريكا الخارجي، ووجهها ذو القوة والهيبة، قد دعا هؤلاء الرحالة إلى تعمق ما يكمن خلف هذا الوجه، مما يكون خافياً على كثير من المنبهرين.

يقول متحدثاً عن مشهد الفقراء في الأحياء الأمريكية: (والذي يسمع عن أمريكا وتقدمها وازدهارها وعلمها؛ يستغرب أن توجد بها طبقة من الفقراء والمعوزين الذين يفترشون الثرى، ويلتحفون السماء، ولا توجد طبقة في العالم تماثلهم في الفقر والبؤس وَالمَتْرَبَة، هؤلاء الذين يدعون عندهم "الهوم لس" وجلّهم من الهنود الحمر، والزنوج ولقد حدثني من أثق به، أنّ أنفاق المجاري تُستَعمل لسُكْنى طائفة من هؤلاء، مع الفئران والجرذان والخفافيش، وحاملات الميكروبات والجراثيم، مع ذلك فإن أمريكا تصف بعض الأمم بالتخلف، والانحطاط، فهل هناك تخلف وانحطاط أسوأ مما يوجد في أمريكا)؟[٣].

---

(١) جولة في غرب أمريكا، ص٦٣.

(٢) المرجع السابق، ص٦٤.

(٣) المرجع السابق، ص٩٢.

ويظهر نقد الآخر حضارياً من خلال الوصف، والنقد الانطباعي، فابن خميس عندما أقبل على حي في هوليود في (لوس أنجلوس) وجد لوحة في عرض الجبل تشرف عليه مكتوب عليها (هوليود) والواجهات مملوءة بالإعلانات عن الأفلام، والفيديو وأسماء الممثلين والممثلات، وصورهم، والنجوم التي تشير إليهم فقال: (هو حيُّ الضائعين والضائعات، والسكارى والخمارات، وكل ما يخرج على العالم من نوع الفن وخزعبلاته، كلها مصدر هذا الحي)(١).

ويستمر ابن خميس في إرسال ملحوظاته النقدية لكثير من المظاهر التي يرى فيها خللاً أو نقصاً في أي حي، أو مدينة يحل فيها من ولايات الغرب الأمريكي.

فنراه يسمي شوارع مدينة نيويورك بأسماء تعكس ما رآه فيها من صور الانحلال الخلقي، والعادات الرذيلة، ولا يفوته التعليق على بعض أسماء المنظمات، والهيئات والتماثيل؛ فعندما رأى تمثال الحرية في وسط مدينة نيويورك، تساءل إن كان هناك أصلاً حرية قائمة على العدل والمساواة، يقول: (مدينة نيويورك الصاخبة، مدينة الزحام وضيق الشوارع، مدينة ناطحات السحاب، وبها الأحياء المختلفة "حي الشواذ" و"حي الغانيات"، وتمثال الحرية إن كان هناك حرية صحيحة، قائمة على العدل والمساواة، و"شارع الرذيلة"، ومبنى هيئة الأمم، وحي الأغنياء، وحي الزنوج، الذي يحمل طابع الكآبة والوساخة، والعادات المرذولة، وهناك البرج الشاهق الذي فُجِّرت في قاعدته المتفجرات ولكنها لم تؤثر فيه شاهدناه عملاقاً يسخر بمن يعبثُ به، أو يناله بسوء، وهناك تمثال كولمبوس)(٢). ويختم ابن خميس بأن نيويورك مدينة المتناقضات، مدينة العربدة، مدينة كل مفعول جائر).

---

(١) جولة في غرب أمريكا، ص١٥.

(٢) المرجع السابق، ص٨٩.

ومما سبق من مواقف ابن خميس من بعض مشاهد رحلته، فإنه استشعر مهمته في سبيل إيضاح الحقيقة التي يشهد بها الواقع، وتحكيها الممارسة، فالرؤى التي تُشاع عن المجتمع الأمريكي إيجابياً، نرى أن ابن خميس تعامل معها بموضوعية في العرض والنقد.

٦- نقد الآخر إشادة:

وقف ابن خميس موقفاً موضوعياً أمام تميز الآخر في بعض الجوانب واعترف للآخر بالتميز، وقدّر ذلك، وأعلنه، ولم يمنعه تعصب أو جهل، وهي موضوعية لا تقل عن موضوعيته في تناول جوانب القصور في الحضارة الأمريكية، والمجتمع الأمريكي، وقد لمسنا في رحلة ابن خميس إلى الغرب الأمريكي، درجة كبيرة من الوعي والصدق مع الذات، حينما يصف بعض ظواهر التميز عند أولئك الأقوام.

فحين تحدث عن النظام فوق جسر مدينة (سان فرانسيسكو) ، وأنه يؤخذ على كل سيارة تمر عليه دولار رسماً للإنشاء والصيانة، ويتعجب ابن خميس من نظام المرور فوق ذلك الجسر، ومن التزام العابرين بالنظام فوق ما يسمى بالدقة ذاتها(١).

ومشهد آخر أشاد فيه الشيخ بما رآه في ولاية كاليفورنيا من المدن العظيمة، والطرق الواسعة، والعلم والفن. ويذكر الشيخ أنه سمع أن هذه الولاية (كاليفورنيا) قد اشترتها أمريكا من المكسيك بثمن بخس، وأنها لصفقة مغبونة أن تباع هذه الجنان بالدراهم، ولكن الحظ يأرز إلى أهله، والغنى يطلب أربابه، ولو بقيت لدى المكسيك لكانت مجرد أدغال وغابات موحشة، بدون أن تكون مستراحاً، ومعالم مبهجة، وجنات من أعناب وزيتون ورمان)(٢).

---

(١) جولة في غرب أمريكا، ص٣٥.

(٢) المرجع السابق، ص٤١.

ولأن موقف ابن خميس في جولته في الغرب الأمريكي كان موقفاً انتقائياً أمام الحضارة الأمريكية، فقد اختار أماكن زيارته مما رأى وجوب الاطلاع عليه، فيذكر أنه لابد أن يزور مكتبة جامعة واشنطن في سياتل، وهو ذلك الأديب البحاثة، المؤلف المهتم بإنتاج الآخرين، وبما تحويه الأسفار والمكتبات من النفائس والكنوز، التي انبثقت عن العقل الإنساني، والحضارة الإنسانية، يقول: (كان لابد لنا من زيارة مكتبة جامعة واشنطن في سياتل؛ تلك الجامعة الضخمة التي عدد طلبتها يفوق ٤٥٠٠٠ طالب، فغدونا إلى تلك المكتبة، والتقينا بقيمها (فوزي الخوري) ، فقابلنا ببشاشة، وحسن أدب وكان مسئولاً عن قسم الشرق الأوسط، وقال: إن هذه المكتبة تضم خمسة ملايين ومائتي ألف كتاب، وتعتبر عاشر مكتبة في الولايات المتحدة الأمريكية، ويرتبط بها من أقسام المكتبات في الكليات ٢٢ فرعاً في الجامعة، وتعتبر ثاني مكتبة في الولايات المتحدة في نظام الإعارة، وبها من المخطوطات العربية حوالي ٦٠ مخطوطاً، وبها من الكتب العربية ٢٦٠٠٠ كتاب ووجدت بها من كتبي (الأدب الشعبي)، و(المجاز بين اليمامة والحجاز)، و(من أحاديث السمر وكتاب الدرعية).

"للمكتبة مبنى من ٦ طوابق، وميزانيتها حوالي ٢٠ مليوناً، وقد تأسست منذ مئة عام، ويوجد بها أشرطة مسجلة، وأشرطة فيديو وأفلام وشرائح وخرائط، وجميع ما يختص بالمكتبة، وأجهزة للمعاقين من العمي، والصم والبكم[١]".

ويبرز نقد الآخر إشادة عند الشيخ عبد الله ابن خميس بطرح إحصائيات رقمية متوالية، يشرق فيها إعجابه بالآخر وتميزه، ووصوله إلى الأعلى، فعندما قام الشيخ بزيارة إلى (فانكوفر) تحدث عن نشاط الهنود بها، ذلك النشاط الاقتصادي المتميز، والذي بلوره الشيخ في أرقام إحصائية عالية ممتلئة بالإعجاب والإشادة، يقول: (وللهنود بها نشاط ملحوظ، خصوصاً طائفة السيخ، فهم يسيطرون على تجارة الأخشاب، وتصنيعها، فالذين يعملون في هذه الصناعة

(١) جولة في غرب أمريكا، ص٥٩.

منهم حوالي مائتين وخمسين ألفاً، فلهم السيطرة على هذا الجانب، وتقدر صادرات هذه المنطقة من منتجات الأخشاب بحوالي تسعة بلايين وسبعمائة دولار، ومن منتجات الطاقة بحوالي بليون دولار، ومن تصنيع البضائع بحوالي ثمانمائة مليون دولار، ومن منتجات الأغذية بحوالي أربعمائة وستين مليون دولار، ومن المنتجات الكيميائية بحوالي مائتي مليون دولار، ومن المنتجات المتفرقة بحوالي بليون دولار فيصبح إجمالي الصادرات حوالي سبعة عشر بليوناً وثمانمائة مليون دولار)(١).

ويختم ابن خميس جولته في الغرب الأمريكي فيقول: (وبالرغم من أنها كانت متعبة لمواصلة السير والسرى، إلا أنها لذيذة في تجدد المناظر، والمرور كل يوم بجديد من المطارحات، والمفاكهات، وإيراد القصص، والأخبار)(٢).

هـ- رحلة إلى اليمن من مبحث تحت عنوان (كنت في اليمن)(٣):

هي رحلة قام بها الشيخ الأديب عبد الله ابن خميس إلى بلاد اليمن في شهر ذي الحجة من عام ١٤٠٢هـ، وهي رحلة استطلاعية سياحية؛ يذكر الشيخ أنه كان يتوق إليها منذ أمد، ولكن الحرب الأهلية التي كانت في اليمن، واستمرت لمدة ست سنوات واضطراب الأمن، واهتزاز الوضع، حال دون تحقيقها مبكراً.

ويبين ابن خميس الدوافع التي جعلته يقوم برحلته إلى اليمن، وذلك في مقدمة كلامه؛ حيث إن بلاد اليمن جزء مجاور لبلادنا وهو اليمن الأخضر، والبلاد السعيدة، وبلاد غمدان والمعقلي وناعط وصرواح وريدان وشبام، وبلاد صنعاء وزبيد ومأرب، ومبتوأ معين وسبأ وحمير، وبلاد ابن ذي يزن وبلقيس،

---

(١) جولة في غرب أمريكا، ص٧٥.

(٢) المرجع السابق، ص٨٨.

(٣) من كتاب: من جهاد قلم محاضرات وبحوث ــ تأليف عبد الله بن محمد بن خميس.ــ ط١.ــ الرياض: مطابع الفرزدق التجارية، ١٤٠٥هـ، ص٢٨٥.

ومكان سد مأرب، وعرش بلقيس ومعبدها وعرينها، وهي بلاد تاريخ مجيد، وحضارات وأمم بائدة، وأعلام وآثار وأخبار، كل ذلك يستحق الوقوف، والرحلة، والاستنتاج، والدراسة والعبرة(١).

ويستأنف ابن خميس الحديث عن رحلته إلى بلاد اليمن، مبيناً عناصر الرحلة ومنها الوسيلة التي تشكل هاجساً لدى الرحالين، حيث تعينهم على قطع الفيافي، والوصول إلى المقاصد.. وقد كانت السيارة هي الوسيلة التي اختارها ابن خميس في رحلته، وقد قطعت بهم السيارة نحواً من ثمانية آلاف كيل، ويلي الوسيلة عنصر مهم يجسد تفاعل الأديب مع مظاهر رحلته، ومضامينها الفكرية، وهم رفقاء الرحلة، وذكرهم ابن خميس؛ وهم أبناؤه محمد وعدي وطارق وزياد وياسر، وابنه عبد العزيز الذي كان يعمل مديراً للمشروعات السعودية هناك، ويرسم طريق رحلته من الرياض إلى جدة، ومنها إلى الطريق الساحلي، مروراً بالليث، ثم درب بني شعبة فصبياء فجيزان فالطوال، وهناك الحدود السعودية اليمنية، ويذكر أن اليمن تتكون من عشر محافظات، ويعددها(٢) ويذكر أسماء المدن التي تتكون منها كل محافظة.

ويروي أنه قام بزيارة كل من صنعاء، والحديدة، وذَمَار، وتعز، ومأرب، وإب، وحجة، والمحويت، كما ويتطرق ابن خميس، وهو العالم الجغرافي إلى ذكر سلاسل الجبال اليمنية، ومسمياتها ومن ثم الأودية وروافدها وصفاتها، والسدود التي أقيمت بها، ويستشهد على كثرتها بقول شاعر اليمن(٣):

وفي البقعةِ الخضراءِ من أرضِ يحَصِبِ ثمانون سداً تدفع الماءَ سائلاً(٤)

---

(١) من جهاد قلم، محاضرات وبحوث، ص٢٨٥.

(٢) من جهاد قلم، محاضرات وبحوث، ص٢٨٦.

(٣) المرجع السابق، ص٢٨٨.

(٤) البيــت للشاعر اليمني: محمد محمود الزبيري. انظر الزبيري، ضمير اليمن الثقافي والوطني، تأليف الدكتور عبد العزيز المقالح.ـــ ط٢.ــ بيروت: دار العودة، ١٩٨٣م، ص٩٦.

الرؤية التراثية في رحلة ابن خميس إلى بلاد اليمن:

إن أكثر ما برز لنا من مظاهر رحلة ابن خميس اهتمامه بكل ما يتعلق بالتراث في اليمن، ووصف قصورها وفن العمارة الإسلامية بها، وذلك الاهتمام يؤكد لنا ما سبق وأن أشرنا إليه من أن شخصية ابن خميس مغرمة بكل أصيل قديم، يجسد الماضي، وما خلفه الأجداد من فنون، وصناعات يدوية.

رسم لوحات عن القصور الأثرية في بلاد اليمن، يقول: (وفي اليمن قصور أثرية، غاية في فن العمارة والزخرفة والعظمة والرسم والنقش، وما تجلى فيها من الإبداع الذي يدل على علو كعب في الفن، وعلى عظمة الإبداع، وتجلى الحفر والنحت والنقش)(١).

وإن كان ما أدرجه ابن خميس من وصف لتلك القصور الأثرية [قصر غمدان، قصر ناعط، قصر صرواح] يندرج تحت الوثائقية، التي قد يقل فيها عنصر التصوير؛ إلا أنه وصف للواقع بقلم أديب يمنحها المصداقية من الطرح، فهي جديرة بالقراءة، لأدبيتها من جهة ووثائقيتها من الجهة الأخرى، ومن ذلك لوحة نثرية شعرية وثائقية، عن قصر غمدان في اليمن، الذي بناه اليشرح بن يحصب، وهو أشهر قصر عرفته العمارة القديمة، ظل باقياً حتى خلافة عثمان ابن عفان، وقد ورد وصفه عند الهمذاني وياقوت الحموي.

يقول ابن خميس: (لقصر غمدان عشرون طبقة، وارتفاع كل طبقة عن الأخرى عشرة أذرع، وهو أول ناطحة سحاب في التاريخ، وقد شيِّد من حجر الجرانيت والرخام والمرمر، وقد أُقيم بلاط الملك في أعلى طبقة منه، وغطى سقف البلاط برخامة واحدة شفافة؛ يعرف من ورائها جنس الطائر الذي يمر فوقه من شدة شفافيتها، وعلى أركانه الأربعة صور لتماثيل من الأسود، من البرونز مجوفة، رجل الأسد في الركن، ورأسه وصدره خارج القصر، وما بين فمه إلى مؤخره مخروطات مدورة فإذا هبت الريح ودخلت في جوفه سمع لها

---

(١) من جهاد قلم، محاضرات وبحوث، ص٢٨٩.

زئيراً كزئير الأسود تماماً، ويضاء بالقناديل، فتشكل الإضاءة رأس حبل عجيب، وقد وصف الهمداني القصر قائلاً:

يسمو إلى كبد السماء مصعداً   عشرين سقفاً سمكها لا يقصر[١]

وقصر ناعط: قصر مؤلف من قصور عدة في غاية العظمة والزخرفة، ومن البناء وفيها الإسطوانات العظيمة، طول كل واحدة فوق عشرين ذراعاً يقول الهمداني:

فمن كان ذا جهل بأيام حمير   وآثارهم في الأرض فليأت ناعط

وقصر صرواح: وهو من أقدم أبنية اليمن، ولا تزال آثاره باقية تهزأ بالدهر، قال عنه عمر بن سعد بن خولان شاعر يمني:

أبونا الذي كانت بصرواح داره   وفي جبل النعمان عِزٌّ تمكنا

ولقد شكل الإسلام قاسماً مشتركاً في رؤى ابن خميس ومضامينه حول ما شاهده في بلاد اليمن، فنراه يتجه بقلبه وبصره نحو المساجد، مصوراً بناءها، وذاكراً تاريخها.

ومنها الجامع الكبير بصنعاء، وأورد ابن خميس تاريخه، ومن توالى على بنائه من الولاة والأمراء، وذكر أن محرابه كان يخلّق بالطيب، وكانت به نقوش عظيمة، فلما تولى قضاء صنعاء يحيى بن كليب، أمر بهدم تلك النقوش، وتسويته على نحو لا يُلهي المصلي أو يشغله عن صلاته، وقد أشار أبو نواس الشاعر إلى ما كان عليه المحراب بقوله:

نحن أرباب ناعط ولنا   صنعاء والمسك في محرابها

---

(١) من جهاد قلم، محاضرات وبحوث، ص٢٩٠ .

ويذكر ابن خميس أنه دخل المسجد، وتجول فيه ووجد قسماً منه مفروشاً، وفي وسطه مكتبة جيدة[١].

وتحدث ابن خميس عن مسجد الجَنَدْ الذي بناه معاذ بن جبل، ومسجد زبيد الذي بناه محمد بن عبد الله بن زياد سنة ٢٢٥هـ، وأخيراً المسجد الناصري الكبير الذي بناه الإمام الملك الناصر أحمد سنة ٨٢٢هـ في مأرب.

ونلمس من الرؤى والمضامين في رحلة ابن خميس إلى اليمن [نقد الآخر إشادة] في بعض المواقف والمشاهد، فقد زار الشيخ منطقة مأرب، ووجد الشيخ علي العرادة شيخ طائفة عبيدة قحطان هو وأولاده في انتظار الشيخ وأولاده، ويشيد بحسن استقبالهم يقول: (استقبلونا استقبالاً كريماً وأحسنوا نزلنا؛ فهم لا يختلفون عن عرب نجد، كرماً وفضلاً ولغة وحسن ضيافة طبعاً لا تطبعاً، وسجية لا تكلفاً، فقلد أنسنا لديهم بالقصة وبالقصيد، وحسن الحديث، إذا حَدّثوا وحسن الاستماع إذا حُدِّثوا، يحتلون قرية واقعة من مأرب في الصدر على حافة الوادي الغربية، وفي كبد إحدى الجنتين الغربية منها نرى عُمدَ عرش بلقيس[٢]. ومعبدها منها مرمى حجر)[٣].

ويستشعر ابن خميس الرؤى الإيمانية في القصص القرآني عند مروره بالمواقع التي ورد ذكرها في القرآن الكريم، يتحدث عن جنان سبأ، وأوديتها فيقول: (كل هذه الأودية وغيرها كثير تدفع في هذا الوادي، وتأتي هنا ليتعاظم سيلها أمام هذا السد، وتستقبلها هذه المصارف، يحتدم طالباً الفرار من شدة الضغط، وينتشر في هذه الجنان آخذاً قنوات وجداول، تمتد إلى حوالي مئة كيل

---

(١) من جهاد قلم، محاضرات وبحوث، (كنت في اليمن)، ص٢٩٢.

(٢) بلقيس ملكة سبأ: امرأة مشهورة ملكت اليمن أيام نبي الله سليمان عليه السلام، انظر: قصتها في البداية والنهاية لابن كثير، الجزء الثاني، ص٢٢.

(٣) من جهاد قلم، محاضرات وبحوث، ص٢٩٤.

شرقاً وغرباً، وتسقي جنات من نخيل وأعناب وحب وقضب وفاكهة وأب، جنات يحسر الطرف دون مداها، وتتقاصر الخطى دون بلوغ أقصاها ويختلف شجرها وزهرها وثمرها، وتغني أطيارها، ويصدح هزارها، ويقصر الوصف دون الإحاطة بها)[١].

ثم يورد ابن خميس قوله تعالى: **﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ﴾**"سورة سبأ، الآية: ١٥".

ويقف ابن خميس أمام عرش بلقيس ملكة سبأ في بلدة مأرب، وقد بقيت منه أعمدة، وكل عمود يتكون من صخرة واحدة مستطيلة طولها نحو ستة أمتار، وقد تداعى باقي العرش، تسفو عليه الرياح، وعلى مقربة منه يقع معبدها على شكل مستدير، ثم يورد الشيخ ذكر بلقيس كما وردت في القصص القرآني قال تعالى **﴿وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ لأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ إِنِّي وَجَدتُّ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾** "سورة النمل، الآيات: ٢٠-٢٣"[٢].

ومن مظاهر رحلة ابن خميس إلى اليمن نقد الآخر حضارياً:

فقد كانت لــه وقفات عبر مشاهد الرحلة، فنراه عندما وصل إلى صنعاء العاصمة[٣]. وجد شوارعها غير مضاءة إلا شارعين أو ثلاثة، وهي كذلك غير نظيفة، وشوارعها كئيبة لما بها من التكسيرات، والتصدعات[٤].

---

(١) من جهاد قلم، محاضرات وبحوث، ص٢٩٤.

(٢) المرجع السابق.

(٣) الرحلة كانت عام ١٤٠٢هـ.

(٤) من جهاد قلم، محاضرات وبحوث (كنت في اليمن)، ص٢٩٦.

ومشهد آخر عندما وصل إلى مدينة تعز الخضراء، في حضن جبل صبر العملاق؛ الذي يأبى أهل تعز إلا أن يجللوه إلى قمته، بالرغم من سموقه، يقول (وهي مدينة جميلة تعجبك فيها خضرتها وجمالها فهي مدينة شاعرية، لو لا ما يجلل شوارعها، وأفناءها، وساحاتها، من أوساخ وقمائم)[١].

وآخر رآه الشيخ في مدينة ساحلية هي (الخوخة) فهي منحوسة مهملة، لولا أن البحر يطغى أحياناً على هذه الرمال وينظفها، وينعتها الشيخ بأنها من أشد بلاد اليمن فقراً ومتربة[٢].

ومن ذلك أيضاً ما رآه في مدينة زبيد من كآبة وسوء حضارة، وهي بلاد العلم والعلماء، والتاريخ المجيد، فوجد الشيخ أن واقعها لا يعبر عن ماضيها إلا بومضات من الأصالة الماضية، ووجد الشيخ مسجديها ودار الحكومات الماضية بها، يعبران عن مجد مضى وانقضى[٣].

ويختم ابن خميس جولته في بلاد اليمن والتي أوردنا مشاهد ومواقف منها، بفصل بعنوان "اليمن كما رأيتها" ويبدو أن ذلك خلاصة الرؤى التي تكونت في نفسه من تلك الزيارة، فيتحدث عن الزراعة، واهتمام الشعب اليمني رجاله ونسائه بها، وعن دور الجمعيات التعاونية في قهر الظروف القاسية، ويورد ابن خميس ما وصلت إليه بلاد اليمن في مجال الصناعة، ويشير ابن خميس إلى إسهامات كثير من الدول في المشروعات التنموية في اليمن، ومنها بلادنا المملكة العربية السعودية.

ويستشرف ابن خميس مستقبلاً جيداً لبلاد اليمن، ولأبنائها لما يتمتعون به من الذكاء والجد والجلد والمثابرة على العمل[٤].

---

(١) من جهاد قلم، محاضرات وبحوث، ص٢٩٨.

(٢) المرجع السابق، ص٢٩٨.

(٣) المرجع السابق، ص٢٩٩.

(٤) المرجع السابق، ص٣٠٢.

ونختم مضامين الرحلة عند ابن خميس، بالوقوف عند عنصر مهم من عناصر الرحلة ألا وهو (وسيلة الرحلة) وإن كنا قد عرجنا على ذلك العنصر عند استعراض رحلات الشيخ؛ إلا أن مضامين الرؤى حول ذلك العنصر، قد اتفقت في أُطُرها العامة من حيث هي سبيل للوصول إلى هدف الأديب من رحلته؛ إلا أنها اختلفت وفي زوايا كثيرة حسب التأثير النفسي للمواقف التي مرّ بها الشيخ في رحلاته.

وطبيعي أننا في العصر الحديث لن نجد تلك العلاقة الوطيدة بين الأديب والراحلة، والتي برزت في العصور الماضية؛ لأنها كانت مطاوعة لصاحبها أشد المطاوعة وظهر ذلك جلياً في قصائد الشعراء قبل العصر الإسلامي، حيث وقف الشاعر المعجب أمام راحلته، ومنحها من الثناء والوصف الجميل ما امتلأت به الدواوين، وكان يَرَى فيها الخلاص من الهم، إلا أن الخوف والقلق أصبح يكتنف تلك الوسائل الرحلية من الطائرة والسيارة وغيرهما، وأصبح الأدباء اليوم يرصدون مشاعر الخوف والقلق، ولقد كان هذا المضمون الفكري ماثلاً أمام الشيخ ابن خميس في بعض رحلاته، ورصده لنا بأسلوب نثري؛ نستوضح من خلاله مشاعر الخوف والقلق التي أبرزها حين تعرضت الطائرة التي عاد فيها من رحلته من أبها إلى الرياض، التي لم يورد كثيراً من تفاصيلها إنما استرسل في وصف مشاعر الخوف، وهو داخل الطائرة[١].

يقول: (وعندما هممتُ بالعودة من رحلة إلى أبها إلى الرياض حجزتُ في الطائرة وكان موعد إقلاعها بعد العصر، والوقتُ ربيعاً وهي من نوع (الداكوتا) فحلقتْ بنا الطائرة، ولما أقبلنا على بيشة، وإذا بعارض كثيف من السحاب المتراكم يملأ الأفق، من الغرب إلى الشرق لا أرى لــه طرفاً، يكاد يلامس

(١) مــن مذكرات الشيخ غير المنشورة، (شئون وشجون من واقع حياتي)، كتاب مخطوط تم تأليفه عام ١٤١٣هـــ، ص٥٨.

الأرض، ولا أرى أعلاه، وكان سحاباً كثيفاً أرى البرق يشتعل فيه من كل ناحية، ونحن لا نزال قبيل الغروب، فشعرت بالطائرة قد هدأت سرعتها كثيراً، ولعل قائدها يفكر ماذا يصنع، ولكنه دخل في أطراف الغيم، وعزم على اقتحامه، فأخذت الطائرة تئز أزيزاً منكراً، وبدأت تضطرب وتعلو وتسفل وتتأرجح، وكلما زاد تقدمها كلما زاد اضطرابها، وأصبحنا نعيش في شعلة ملتهبة من البروق، وأصبحت الصواعق تتجاوب من فوق رؤوسنا، وكلما انطلقت صاعقة هوت الطائرة بنا حتى قلنا إنها القاضية، ولكنها تستأنف ارتفاعها لتسد أحشاؤنا حناجرنا، وإذا مالت ذات اليمين أو ذات الشمال قلنا إنها انكفأت بنا، وهكذا نحن حتى تحول الركاب من كراسيهم إلى بطن الطائرة، وأخذوا يقرأون ويستشهدون.. وبينما نحن كذلك إذا بها تهوي هوياً مقبولاً حتى قالوا: إن (كابتن) الطائرة تلقى إشارة لاسلكية من مطار القاهرة أن حاول الانحدار كذا مئة قدم، ولم نلبث أن شاهدنا النجوم وخف اضطراب الطائرة، وبعد قليل ظهر لنا مطار الرياض، وبعد أن هبطنا وجدنا سيارات الإطفاء والاستعدادات)[١].

وللطائرة حديث آخر في رحلة ابن خميس إلى دمشق[٢]. وإن اختلف نوع الطارئ الذي تحدثنا عنه في رحلة أبها، فلربما كان مجرد مطبات هوائية كما يسميها المختصون وسحب متراكمة أثرت على توازن الطائرة.

يقول: (في الطائرة نشاهد الفضاء الواسع، والبيد المترامية الأطراف من نافذة الطائرة إذا مضى علم منها بدا علم، ثم تتغير معالم الأرض، وتبدو مخضرة وبدأت المح فيها علامات الحرث، وتتخللها طرق السيارات عبر القرى والمزارع، وعرفتُ من المضيف أننا فوق سماء دمشق، والتي تبدو في حلتها الخضراء، وقد كساها فصل الربيع جلالاً وجمالاً، وفجأة يتغير الجو، ويتعكر

---

(١) المرجع السابق، ص٥٩.

(٢) شهر في دمشق، ص١٦.

صفو الركاب، وينقلب ذلك الطيران الهادئ المريح إلى شكل آخر مرعب، فقد علا هزيم الطائرة، وولى النوم هارباً عن ركاب الطائرة، وإذا بالأرض قد احتجبت عنا ــ سهلها وحزنها ــ بحجاب كثيف من السحب، والطائرة تشق طريقها في هذا العالم العلوي المتكاثف بعنف وشدة، وتصارعه مصارعة المستميت على اتجاه واحد)(١).

وكان للشيخ مع السيارة رؤى أخرى، لم يغفل عنها عندما كان في مدينة دمشق، ولم ينسه الجمال الشاعري مطيته التي ركبها لتحقيق أهدافه من الرحلة، فمن المطار أخذ سيارة إلى أحد الفنادق، وأصابه الهلع من سرعة السائق، فقد وصفه منطلقاً كالسهم فارق القوس ولكن رفيق السفر مع الشيخ قال لـــه: لا تعجب فهذا عندهم سير عادي ويسلمِّ الشيخ أمره إلى الله(٢)".

وفي مشهد آخر يصف الشيخ السيارة، وهي ترقى إلى أعالي قمم الجبال والوهاد والسفوح في دمشق، وهي في نظره قلقة مما هي مقدمة عليه، فكأنما هي نفسُ أديبنا القلقة من تلك الوسيلة وما يكتنف سيرها من مخاطر، يقول: (كانت السيارة أحياناً يشتد أنينها ويبدو قلقها حينما تريد قهر الجبل المشمخر أمامها، وحينما تنساب في هدوء وصمت، كانسياب الأفعى عندما تريد أن تتخلى عن القمة التي صرعتها)(٣).

ونلمس عدة رؤى في حديث ابن خميس عن وسيلة الرحلة، وخاصة الطائرة فهو تارة تستوقفه بجمالها وعظمتها وتجعله وهو في داخلها يطلق رؤى الإعجاب، يقول: وهو في الطائرة التي استقلها في رحلته إلى دمشق، (والحق أنني حيال هذا المشهد الرهيب في أجواز الفضاء وفي عنفوان هذه المصارعة بين الطائرة والمؤثرات الجوية قد أكبرت من قدر هؤلاء الذين خدموا الإنسانية

---

(١) شهر في دمشق، ص١٦.

(٢) المرجع السابق، ص٢٠.

(٣) المرجع السابق، ص٢٢.

إلى هذا الحد، وسَمَتْ بهم أفكارهم ومداركهم إلى منزلة ما كان يدور في الخلد أن ينالها إنسان ولكنه العلم)[١].

وخيال ابن خميس الأدبي قد منحه أبعاداً في تصوير ما يحدث خارج الطائرة، وتبين لنا ذلك من خلال ما عرضناه في مشاهد الطائرة في رحلته من أبها إلى الرياض، وإلى دمشق.

وعمد ابن خميس إلى التشخيص في بعض المشاهد الرحلية، عندما كان يتحدث عن وسيلة الرحلة وهي السيارة، وهو يجتاز طريقه إلى المتنزهات في أعالي الجبال، فهي قلقة يشتد أنينها عندما تريد قهر أحد الجبال، وعندما تريد الهبوط إلى أحد السفوح، فإنها تنساب في صمت، وهدوء انسياب الأفعى[٢].

وكثيراً ما كانت وسيلة الرحلة عند ابن خميس مجالاً لبعض الملاحظات الإيجابية، أو السلبية، التي من نتائجها منح المشهد رؤى من القدح أو المدح، فعندما هبطت به الطائرة في مطار دمشق تلقفه مجموعة من موظفي المطار غالبهم من الجنس اللطيف، فوقف ابن خميس ملاحظاً أن الإجراءات اللازمة انتهت في زمن قصير، ومعها لطف وبشاشة استشف منها الشيخ أثر الاصطناع، ومع ذلك فقد رأى أنها ظاهرة حميدة، ويأمل أن توفق كل أمة، وموظفوها إلى المرونة، ومخالقة الناس، ولو بالتكلف والاصطناع[٣].

وتتوارد الرؤى والمضامين الفكرية عند ابن خميس حول وسيلة الرحلة خلال رحلاته، إلا أنه يركبها غالباً وهو مشحون بالخوف والقلق، على عكس الراحلة القديمة التي كانت وسيلة مهمة من وسائل دفع الهم، وتخطي القلق.

ونستطيع أن نُجمل ما أوردناه عن موضوعات أدب الرحلة عند ابن خميس، بأنها معرض حضاري متنقل، يفتح الآفاق للدارسين، وهي مصدر ثرّ لصنوف المعرفة.

---

(١) شهر في دمشق، ص٢٦

(٢) المرجع السابق، ص٢٥.

(٣) المرجع السابق، ص٢٥.

ثانياً: الخصائص الفنية لأدب الرحلة عند عبدالله ابن خميس:

١- الصورة الفنية:

بما أن الرحلة فن أدبي جميل يلزم امتلاك كاتبه أدواته الخاصة به، والمتمثلة في سعة ثقافته ودقة ملاحظاته، والتقاط الملامح، باعتباره شكلاً فنياً خاصاً، وليس باعتباره تسجيلاً جغرافياً، مما قد يخرجه من دائرة الأدب أصلاً، ورحلات ابن خميس كشفت عن مضامين واتجاهات متباينة، وفقاً لما تتضمنه كل رحلة، مما يتطلب إجراء دراسة فنية لها.

وقد التزم ابن خميس نهجاً واضحاً أثناء رصده لمشاهد رحلاته، فقد سجل كل حديث كما هو، وكل انطباع في يومه، أو في أقرب وقت، وتحرى الدقة في النقل، والصحة في الرواية، وحرص على تسجيل الحديث بلفظ المتحدث، مما يمثل بيئته، والتزم ابن خميس أن يبدي آراءه وملاحظاته وانطباعاته عن كل أثر يزوره، أو مقابلة أو حديث أو مشهد، وحرص الشيخ أن يسجل كل ذلك بأسلوب صريح، بعيد عن الغموض والتحفظ، وعن كل مجاملة وتكلف، فهو وصف وتصوير من إنسان حي، يحمل القلب والعقيدة والعاطفة، ويؤمن بمبادئ وقيم ومثل؛ لأنه في رحلاته الداخلية يحب هذه البلاد، ويرتبط بماضيها وحاضرها ومستقبلها. أما في رحلاته الخارجية، فإنه كان يلقي نظرة إجمالية، ويذكر محاسن ذلك القطر الذي زاره، وجوانب الضعف فيه، وماسرّه في زيارته، وما أحزنه وأثار فيه الاستنكار.

ومما لاحظناه على أسلوب ابن خميس وهو الأديب الشاعر، أنه في رحلاته لم يعمد كثيراً إلى الإبهار اللفظي، أو التجميل الفني، وإنما توخى غرس المعرفة والثقافة، ومما يميز رحلاته الداخلية خاصة الجمع بين شهادة الرؤية، وشهادة الحواس العالية، مع مزج الشهادتين بروحه الوطنية، وبمحفوظه من النصوص العالية.

وهناك خصائص عامة، ومميزات للرحلات، وصفها بعض دارسي هذا الفن النثري، نستطيع إجمالها فيما يلي: (التنوع والشمول، الوصف الدقيق المستند إلى الاختيار الشخصي، والقائم على المشاهد الواقعية الحقيقية، والرأي الناقد، والاتجاه إلى الحقيقة مجردة عن الميل و الغرض، والأسلوب الأدبي الذي يقوم على جمال السرد، وطرافة الحديث، وعمق السخرية في بعض الأحيان) [١].

وعندما نبدأ في الحديث عن الخصائص الفنية لأدب الرحلات عند ابن خميس حريّ بنا أن نبدأ بإيراد ما أورده في مقدمة كتابه (شهر في دمشق) مشيراً إلى شيء مما عرضناه من الخصائص العامة لأدب الرحلات، يقول (ليس معنى هذا أنني كحاطب ليل ألقي الكلام على عواهنه، بل قد حرصت على الأمانة في النقل، والدقة في التعبير، وتحري الفصيح من القول، والقريب من الإدراك)[٢].

إضافة إلى أن ابن خميس يبين لنا من خلال ما عرضه في مقدمة كتابه أنه وإن ظهر للقارئ عدم توثيق معلوماته بالمراجع التي صدرت عنها، أو تحقيق بعض النصوص التي يوردها، فإنه كان حريصاً على أمانة النقل والدقة في التعبير، وتحري اللفظ الفصيح.

وإذا كانت لديه الذاتية، ورؤية المشاهد بمخيلة شاعرية، فإن المنهجية والموضوعية ودقة البحث، تبرز مع ذاتيته دائماً، ومن الملامح العامة لأدب الرحلة عند ابن خميس؛ تأكيده على ثوابته واعتزازه بحضارته الإسلامية، وثقته بأصالتها وصلاحها. وقد وقف ابن خميس أمام الحضارة الغربية موقفاً ثابتاً، بعيداً عن الانخداع، مترفعاً عن الإلغاء على الرؤى والمضامين في أدبه الرحلي.

---

(١) مجلة الفيصل، العدد التاسع، السنة الأولى، ربيع الأول ١٣٩٨هـ، مقال أدب الرحلات، عبد الرحمن شلش، ص١٢٢.

(٢) شهر في دمشق، ص١٢.

وقد استخدم ابن خميس الصورة بوصفها أداة فنية لنقل المشاهد، ودائماَ ما يحملّها مشاعره وعواطفه، جاعلاً المتلقي شريكاً لـــه في معرفة أبعاد الصورة، وقد استقى ابن خميس تفاصيل صوره من علاقات عدة، بينه وبين الطبيعة، وبين التراث الشعري والنثري والتاريخي.

واستفاد ابن خميس من الفن القصصي في عرض بعض المشاهد الرحلية، ولكنه لم يتجاوز الحقيقة في العرض، مما يبعد هذه النزعة عن مقومات فن القصة.

وكانت هناك ملامح للدعابة والطرافة، والمواقف المليئة بالمشاهد التشويقية. ونفصل ما ذكرناه من الخصائص الفنية فيما يلي:

- الصورة الفنية.
- النـــزعة القصصية.
- توظيف الطرفة.
- ظواهر أسلوبية أخرى.
- المعجم اللفظي.

أولاً: الصورة الفنية:

يرى النقاد أن وظيفة الأديب تسخير نمط ونظام ونسق. يسمح للألفاظ بأن تشع أكبر شحنة تمتلكها من الصور والظلال والإيقاع[١].

والعاطفة تتأجج في أدب الرحلات، لتفاعل الأديب مع ما يراه من مشاهد وما يلقاه من مواقف، فتثير الخيال الذي بدوره يصنع الصورة الفنية، فالصورة الأدبية مصدرها الخيال، وهو وحده مجال الجمال[٢].

والصورة الفنية قناة أسلوبية فاعلة، اعتمد عليها الشيخ عبد الله ابن خميس في تقديم رؤاه من جهة، وإثبات مهارته الفنية من جهة أخرى، ورحلات ابن

---

(١) النقد الأدبي أصوله ومناهجه. سيد قطب.ـ بيروت: دار الشروق، ١٤١٥هـ، ص٣٩.

(٢) النقد الأدبي الحديث، د. محمد غنيمي هلال، ص٤١٦.

خميس مليئة بالفورات الذهنية، والانطلاقات الفنية تجاوباً مع ما يختلج في ذهن القارئ من أحاسيس، ويدور في نفسه من آراء، ونراه خلال رحلاته لا يكف عن إثارة دهشتنا، وإعجابنا، فهو دائب الحركة والتنقل، لا يكاد يستقر في مكان، الأمر الذي نسج علاقات قوية بين أماكن رحلته، وبين خياله الثري الخصب.

والصورة الفنية ركيزة مهمة من ركائز الأسلوب الأدبي، فهي تجسيد فني لقدرة الأديب على إيجاد علاقات بين الأشياء، وتقديمها في لوحة فنية[١].

وعلى الرغم من أن هناك من يرى أن النثر لا يحتاج إلى الخيال حاجته للشعر؛ إلا أن الأدباء بحثوا ونقبوا عن الصور الجمالية لتوظيفها في كتاباتهم النثرية توظيفاً فاعلاً، وبرز ذلك في أدب الرحلة[٢].

ودائماً ما يتغلب ابن خميس على جفاف المادة التي يصوغها، ببراعته وبتحويل منظوره إلى حياة تعج بالصور والمشاهد بتشخيصه الشائق، واستشهاده اللائق، وإن كانت معالم رحلتيه الداخليتين [المجاز بين اليمامة والحجاز] و[معجم اليمامة] كانت معتمة لقلة الحدث الذي يصبغ الرحلة بالحيوية، والحركة والتشويق، فإن الحدث يبرز بين الحين والآخر، ولكنه سرعان ما يختفي في خضم المواد الأساسية كالشعر مثلاً.

ولقد استفاد ابن خميس من الحس الصحفي، والفراسة الإعلامية في عرض المعاني والآراء حتى يصل إلى أبعاد الحقيقة، وخاصة فيما يتعلق بالمواقع والأعلام، ولدى الشيخ ابن خميس من النقلات العفوية الخاطفة أثناء حديثه في رحلاته الداخلية عن التطور الهائل الذي عم سائر أنحاء المملكة العربية السعودية، فأصبحت تلك خاصية من خصائص المشاهد عنده يقول في المجاز

---

(١) الصورة الشعرية في الكتابة الفنية. د. صبحي البستاني.ـ ط١.ـ لبنان : دار الفكر اللبناني، ١٩٨٦م، ص٦.

(٢) الصورة الأدبية. د. مصطفى ناصف.ـ ط٢.ـ لبنان: دار الأندلس، ١٩٨٣م، ص٢٦٥.

عندما وصل إلى موقع عين زبيدة بمكة المكرمة: (وما إخال دولة آل سعود إلا وقد أدركتْ القِدْح المعلى[١] والنصيب الأوفى، وأنت في عمارة الحرمين وسقياهما وتنويرهما وتطويرهما بما لم يأتِ به أحد قبلها)[٢].

ويعمد الشيخ ابن خميس إلى الصورة النثرية الثابتة، ورسم اللوحات الجامدة، وقد لا يتوقف أمامها كثيراً أو يفصل في خطوطها وأبعادها في بعض المواقف؛ على أن هذه الصورة السريعة كانت تتفق وحالة الأديب، وحرصه على سرعة الرصد والتصوير، مما يتفق وعجلة الرحلة السريعة، فهو لا يريد إغفال مثل هذه الصور، كما أنه لا يستطيع إعطاءها تفصيلاً وعمقاً.. ومثل تلك الصور السريعة تبرز عندما يقل رصيد العاطفة عند المشهد غالباً؛ فحين يرى الشيخ ابن خميس في رحلته جواً إلى دمشق قائد الطائرة ومساعديه ينظرون إلى قمة أحد الجبال، الذي غطاه الثلج، فدفع الشيخ حب الاستطلاع إلى سؤالهم عن هذا الذي لفت أنظارهم، فأجاب قائد الطائرة أنه ثلج هبط على قمة هذا الجبل، فيرصد ابن خميس الصورة في ذهنه، بشكل سريع قائلاً: (والحق أنه ليس ثلجاً بالمعنى الذي يفهمونه والذي يتساقط على جبال أوروبا، وأحياناً على جبال الشام على شكل "العهن المنفوش"، ولكنه بَرَدْ بفتح الباء والراء، نزل من سحابة سارية على هذه الأرض، فذاب منه ما كان في بطون الأودية وما غمرته الجبال، وبقي ما طوق هذه القمة كأنه عمامة شيخ من الزنج، ليذوب عندما ترسل الشمس أشعتها عليه)[٣].

---

(١) القِـدْح المعلّـى: وهو السهم الذي كانوا في الجاهلية يستقسمون به، انظر: لسان العرب، باب الحاء فصل القاف ٢/٥٥٦.
(٢) المجاز بين اليمامة والحجاز، ص٢٤٩.
(٣) شهر في دمشق، ص٢٠-٢١.

ويستلهم ابن خميس الطبيعة ويستغرق في تفاصيلها، فنرى في رحلاته مواطن يتوهج فيها قلمه بأسلوب أدبي يبلغ الغاية في صياغته، وصوره الناطقة بالحياة، مثلما صور نهر بردى في رحلته إلى دمشق تصويراً أحاط فيه ذلك النهر بجملة من مباهي الطبيعة الفطرية الناطقة يقول: (تعال معي إلى سر حياة دمشق، وشريانها الرئيسي "بردى"، هناك في سهل الزبداني، ترى بحيرة سابحة صامتة، ينساب فيها بردى النهر الخالد، ويأخذ يفيض بالخير والنعيم على ضفتيه، ومنه تتفرع أنهار دمشق السبعة، وفي هذا السهل تمتد الجنان الفيح، ويصدح الطير عليها غرداً نشواناً، وفي سفوح الجبال المطلة على هذا السهل، تقوم مصايف دمشق، وتنحدر من بردى، فتلفك في أبرادها، جنات من أعناب وزيتون ورمان، حتى تفضي إلى دمر، وهنا ترى الأنهار قد أخذت طريقها في منتصف الجبال، وسفوحها)[١].

ومشهد آخر استلهم منه الشيخ مظاهر الطبيعة وصورها، عندما تحدث عن (عيون الخرج) في كتابه الرحلي [معجم اليمامة]، هذه التفاصيل وصلت إلى أعماق المياه، وانعكاسات ضوء الشمس عليها، مما أوجد صوراً فنية، ولوحات عجيبة يقول: (ومنطقة الخرج أخصب إقليم في اليمامة، وأوسعها رقعة وأكثرها ماء، تلتقي فيه أودية عظام من أكبر أودية العارض وأبعدها مدى، أدركنا بها عيوناً جارية، تفيض على هذه المنطقة وتشبعها نماءً وخضرة ونضرة. وهذه العيون كأنها بحيرات لا يدرك لها قعر، ولا يفيض لها معين، إذا توسطت الشمس كبد السماء، وألقت أشعتها على هذه العيون الساجية، شاهدت تحت الماء منظراً عجيباً من أنوف جبال بارزة، إلى مغارات موحشة، وسراديب مظلمة، وعمق لا نهائي تتكسر أشعة الشمس دون مداه)[٢].

---

(١) المرجع السابق، ص٥٩.

(٢) معجم اليمامة، ج١، ص٣٧١.

ولدى الشيخ صور فنية منبثقة من عاطفة الإعجاب وهي تمثل ركناً مهمّاً في جميع كتبه الرحلية، فنراه في حدائق بوتشارت في الغرب الأمريكي، لا يلبث في تصوير مشاعر إعجابه بالزهر المصفف والمنسق والتماوج، والذي تتجاوب معه الزهور البشرية، التي تتدافع وتتضاحك وتعبث، يقول: (حدائق "بوتشارت" الحدائق الغناء المشتملة على كافة أنواع الزهر المتماوج والمصفف والمنسق، وكذا أنواع الزهور البشرية يتدافعن ويتماوجن ويعبثن ويتضاحكن، زهوراً غضة لذيذة في وسط زهور غضة لذيذة)[١].

وترجم الشيخ إعجابه بالطائف في كتابه الرحلي [المجاز بين اليمامة والحجاز] فعندما حط رحاله بها استغرقته مناظرها أنىّ التفت وسار، فبرز ذلك في صور فنية استعان بها في تحقيق ما رآه من جوانب الجمال، يقول: (إذا وقعت المصائف من قمم الجبال، وبجوانب الربوات والتلول، فهو ينداح على منسبط في الأرض، فسيح تطرزه الهضاب الحمراء، وتتخلله الأودية الخضراء، وينبسط فوق أرض حصباء مرجانية متألقة، أنىّ اتجهت في سهوله وسفوحه، وجدت متنزهاً ووجدت أودية تتعانق بها أغصان الطلوح، ووجدت هضاباً أبدعتها يد القدرة، ووجدت أودية، فيحاء تتساب بين السهول والسهوب والروابي، يغني هزارها وتعبق أزهارها)[٢].

ورؤية أخرى للطبيعة، وهو في رحلته في بلاد اليمن عندما زار سد مأرب[٣]. والذي سمي الآن وادي أبراد، إذ رسم ابن خميس صورة فنية استعارية لذلك السد الذي تصب فيه أودية كثيرة ذكرها ابن خميس في معرض

(١) جولة في غرب أمريكا، ص٨١.
(٢) المجاز بين اليمامة والحجاز، ص٢٥٥.
(٣) سد مأرب: مأرب مدينة باليمن كانت مملكة سبأ وقصة بلقيس ملكة سبأ معروفة في القرآن الكريم، انظر: معجم البلدان، ياقوت الحموي، ٥/٣٤.

سياقه[١]. "فذلك السد يحتدم عندما يستقبل تلك المصارف والأودية، فكأنه يطلب الفرار من شدة الضغط، ولكنه في نظر الشيخ يفر منتشراً في جنان وارفة، آخذاً قنوات وجداول تمتد إلى النخيل، والأعناب والحب والقضب والأب[٢]".

ويصور ابن خميس تلك الجنان بصورة مركبة أخرى: (جنات يحسر الطرف دون مداها، وتتقاصر الخُطى دون بلوغ أقصاها، ويختلف شجرها وزهرها وثمرها، وتغني أطيارها، ويصدح هزارها، ويقصر الوصف دون الإحاطة بها)[٣].

وصورة أخرى رسم الشيخ لوحتها في متنزه (يوسمتي) في فكتوريا الأمريكية فجعل حدائقها وورودها تتنفس، وتستمد حياتها من أنواع البشر الذين يغطون مساحتها، وهي أيضاً تسمع النغمات المتفاوتة واللغات المتعددة، فكأننا أمام صورة فنية مقلوبة، فالبشر دائماً هم من يتنفسون نسيم الحدائق ويستمعون إلى نغمات أطيارها، وعصافيرها؛ إلا أن الشيخ جعل تلك الحدائق، هي التي تستمد من البشر حياتها، ورونقها وكأني به يريد أن يقوي العلاقة والتمازج بين تلك الحدائق الغناء، ومرتاديها.

وتأخذ الصورة عمقاً أكثر عند الشيخ عندما يورد تفاصيل أكثر، فيضيف أوصافاً على نوافيرها ورشاشاتها وشلالاتها المائية، ويقول: (وتعجب من انتشار أنواع البشر تغطي هذه المساحات المنداحة، وتسمع النغمات المتفاوتة، واللغات المتعددة، تتنفسها هذه الحدائق المتأرجحة، وتنبعث النوافير الطامحة، والرشاشات السابحة، والشلالات المتناوحة)[٤].

---

(١) من جهاد قلم، محاضرات وبحوث، (كنت في اليمن)، ص٢٩٤.
(٢) الأب: الكلأ ترعاه الأنعام، والقضب: شجر سهلي له ورق لين، انظر: لسان العرب، ابن منظور، ١/٢٤٠.
(٣) من جهاد قلم، محاضرات وبحوث، (كنت في اليمن)، ص٢٩٥.
(٤) جولة في غرب أمريكا، ص٨٢.

ويلبس ابن خميس دمشق وطبيعتها صوراً فنية حية يجعلها تؤثر في السامع والمبصر، بمشاهد مركبة من جميع مظاهر الطبيعة، مليئة بالحركة (دمشق الجنة الفيحاء، والروضة المتموجة الغناء، دمشق ذات الأنهار والرياحين، تتلمس الحسن في ربواتها، وتجد السحر في غيطانها وحدائقها، ويشنف مسامعك همسات حورها، وصفصافها وسَرْوَها، وطنين شلالاتها وأنهارها، ويمتع بصرك حمرة أرضها، في خضرة شجرها، تحت بياض قصورها، وسامق حصونها، ففي البكور أو العشي حينما تلقي عليها الغزالة[1]. رداءها، وتجلوها لك في أحسن حلة، وأبهى منظر)[2].

ويستلهم الشيخ ابن خميس الصورة الفنية في المقارنة بين القديم، والجديد من المشاهد، فنراه وهو يتحدث عن عكاظ في رحلته بين اليمامة والحجاز، يقرن صورته القديمة كأعظم معرض في جزيرة العرب للتجارة والصناعة والفن، وأعظم منتدى للشعر والخطابة والبلاغة، يقارن ذلك بصورة المؤتمرات التي تعقد للرأي والسياسة في الوقت الحاضر، وأن المعارض الدولية اليوم على ما بها من تنسيق وتنظيم وابتكار، لم تبلغ ما بلغه سوق عكاظ من حيث كثرة الرواد، وتعدد الأهداف، واستيعاب القبائل، وحرارة اللقاء. يلتقي فيه اليمني والعراقي والعماني والشامي، بالنجدي والحجازي، فهو عند أديبنا ابن خميس صورة مشرقة تضاهي المؤتمرات والمنتديات والمعارض اليوم[3].

شرع ابن خميس في رحلته إلى اليمن في وصف قصر (غمدان)، وقد أبرم تشابهاً بينه وبين ناطحات السحاب اليوم، وهو يشير إلى ارتفاعه، وأن لـه عشرون طبقة وارتفاع كل طبقة عن الأخرى عشرة أذرع.

---

(١) الغزالة: الشمس ولها معانٍ كثيرة من حيث وقت طلوعها أوردها ابن منظور في اللسان، انظر لسان العرب، ٤٩٣/١١.

(٢) شهر في دمشق، ص٦٥.

(٣) المجاز بين اليمامة والحجاز، ص٢٤٦.

يقول الشيخ: (قصر غمدان بناه اليشرح بن يحصب[١] وهو أشهر قصر عرفته العمارة القديمة، وكان لـــه عشرون طبقة، وارتفاع كل طبقة عن الأخرى عشرة أذرع، وهو أول ناطحة للسحاب في التاريخ، وقد شُيد من حجر الجرانيت والرخام والمرمر)[٢].

وعندما تحدث الشيخ ابن خميس عن قريش خلال حديثه عن مكة المكرمة، نراه يعقد تشابهاً بين دار الندوة التي بناها قصي بن كلاب والبرلمان في هذا العصر، حيث تتدارس فيه قريش شئونها، وتعقد الألوية، وطقوس الزواج، وإعلان الحرب والصلح[٣]. ويلجأ الشيخ إلى الشعر لتصوير حالته مع ما يجده أو يشاهده وكأنه يرى البيت الشعري تركيزاً وتكثيفاً يستطيع من خلاله تقديم المشهد دون الحاجة إلى الاسترسال في التصوير؛ لأن الشعر وسيلة فاعلة لإيصال المشاهد بشحنات فنية متميزة، وكأنه اعتراف أن الشعر وسيلة فاعلة لاختزال المشاهد، وبهذا فإن الشعر يتلبس الخطاب النثري عند الشيخ ابن خميس سواء أكان شعراً ذاتياً، أو تأكيداً لرؤية شاعر آخر.

فهو في متنزه (اليوسمتي) في مدينة لوس أنجلوس، يرسم لوحات فنية لتلك الشلالات التي تندفع بشكل قوي، وتتلاقى في بطن الوادي العميق؛ حيث يتكون النهر وأحد هذه الشلالات الكبيرة يسمونه (قناع العروس) وقف الشيخ وصوره تصويراً فنياً من خلال الثراء الشعري فقال[٤]:

قف بي على النهر يغري الغاب مجراه ... أواه من صوته المأنوس أواه
بين الهضاب تعالى الله سامقة ... ما أن يرى مثلها في الكون أشباه
من كل شماء عذراء مطوقة ... يضاحك الشمس مرآه ورياه
ما شعب بوان يغري في خمائله ... ما السفح من بردى ما طيب مجراه
ما السر ما الباسقات الشم وارفة ... ما الماء يجري رخاء في ثناياه

---

(١) اليشرح بن يحصب: أحد ملوك اليمن القدماء .

(٢) من جهاد قلم، محاضرات وبحوث، (كنت في اليمن)، ص٢٨٩.

(٣) انظر المجاز بين اليمامة والحجاز، ص٣١٧.

(٤) الأبيات للشاعر الأديب عبد الله ابن خميس.

فالنهر لوحة فنية يتجاوب معها الشجر، وصوته المأنوس حلو جميل، يأنس لـــه السامع، ولوحة أخرى في تشبيه الهضاب العالية الجميلة بالفتاة العذراء، التي تداعب الشمس وتلاعبها.

ويعقد مقارنة فنية بين شعب بوان[١] وبين المناظر الخلابة في ذلك المتنزه، ومن ثم صورة أخرى بين المتنزه، وشلالات المياه فيه، وبين نهر بردى في دمشق[٢].

وقد أهَّل الشيخ ابن خميس الثراء الشعري لاختيار الصور الشعرية الملائمة، للمشاهد مما يخرج مشاهده عن التقريرية، ومن ذلك عندما وجد ظبية مع غزالها رائعة، غير خائفة، ولا وجلة استوقفته، وشدت نظره فقال محيياً الغزالة، ومصوراً حالها مع جديها في ذلك المرج الضاحك؛ في متنزه اليوسمتي[٣][٤]:

رأيتها تلعاء مأنوسة ما رابها من دهرها ما يخيف
ترنو إلى النظار من حولها بطرفها الساجي الجميل الأليف

وصورة أخرى برزت فيها علاقات متنوعة تربطه ببلاد اليمامة وطودها الأشم؛ (طويق) فصوّره متلبساً بالكبرياء، شجاعاً يافعاً معتدل المناكب، يزيد قاصديه خبرة ويزودهم بالمعلومات الصادقة عمن أقاموا فيه، وسكنوه، فرسم الشيخ تلك العلائق، مخاطباً طويقاً[٥]:

---

(١) شعب بوان: يقع في بلاد فارس، ويقال: إنه من أطيب بقاع الأرض، انظر لسان العرب ٦٢/١٣.
(٢) جولة في غرب أمريكا، ص٢٦.
(٣) المرجع السابق، ص٢٩.
(٤) الأبيات من إنشاء الشيخ عبد الله بن خميس، انظر القصيدة كاملة في موضوعات أدب الرحلة، ص.
(٥) المجاز بين اليمامة والحجاز، ص١٧.

يا جاثماً بالكبرياء تسربلا ... هلا ابتغيت مدى الزمان تحولا
شاب الغراب وأنت جلد يافع ... ما ضعضعت منك الحوادث كاهلا
ترنو إلى الأجيال حولك لا ثني ... تترى على مر العصور تداولا
وأراك معتدل المناكب سامقاً ... تبدو بك الشم الرعان مواثلا
وكأن عمراً خالها إذ أعرضت ... مثل السيوف المصلتات نواصلا
يا أيها العملاق زدنا خبرة ... عمن أقاموا في ذراك معاقلا
وأقصص علينا اليوم من أخبارهم ... ما تم من أحد يجيب السائلا[١]

وصورة أخرى نسجها في قاعدة إقليم اليمامة الرياض واصفاً إياها بصورة فنية متلاحقة، يحتار القارئ في علاقاتها وأطرافها، فقد وظف في وصف جمالها جل مظاهر الطبيعة ومزجها بإيراد رؤية الآخرين عنها من الشعراء الذين تغنوا بها، وصوروها في أبهى الحلل شجاعة أبية يقول[٢]:

سقتها الغوادي كم بها من مرابع ... يعطر أنفاس النعامى عبيرها
من الشيح والقيصوم والبان نشرها ... وما حاكه ودق السماء غميرها
إذا داعبتها السحب أو جسها الصبا ... تأرج مغناها وراق غديرها
تعيث بحبات القلوب ظباؤها ... وتفعل ما لا يفعل السحر حورها
فكم في ربى حجر اليمامة مرتعٍ ... تغنى به ميمونها وجريرها
وتردى بها قبّ الجياد شوامساً ... تضج بها أكتافها وثغورها
عليها الكماة الصيد أما رباعهم ... فنجد وأما دارهم فظهورها
مصادمة الأبطال في الروع عرسها ... وتضرب أعناق الملوك مهورها
إذا قادها عبد العزيز لراية ... تهوك مسعاها وغر غرورها[٣]

---

(١) الأبيات من إنشاء الشيخ عبد الله ابن خميس. انظر: ديوان [على ربى اليمامة]، ص٢٧٩.
(٢) المجاز بين اليمامة والحجاز، ص٢٣.
(٣) الأبيات من إنشاء الشيخ عبد الله ابن خميس، انظر: ديوان [على ربى اليمامة]، ص٢١٧.

ويعمد الشيخ ابن خميس إلى الشعر في رسم الصورة الفنية في بعض مشاهد الرحلة، والتي يجد فيها تأكيداً لرؤية شاعر آخر، ففي حدائق (بوتشارت) في جولته في الغرب الأمريكي، نراه يصف الزهر والزنابق (اللازوردية)، وأزهار العرار والأقحوان وزهر الأيبد والشيح والقيصوم وألوانها الفاقعة من الأصفر، وخليط ملون من الزنابق، ثم يؤكد تلك الأوصاف بقول ابن عبد ربه[١]:

وروضة ورد حفّ بالسوسن الغض   تحلت بلون السام والذهب والمحض
رأيت بها بدراً على الأرض ماشياً   ولم أر بدراً قط يمشي على الأرض[٢]

ولأن الشعر قناة أسلوبية يعتمد عليها الرحالة السعوديون وغيرهم في تقديم بعض رؤاهم تجاه المشاهد، فإن الشيخ ابن خميس أورد صوراً فنية ثرية عندما أراد الحديث عن دمشق ولكنه أكد رؤيته من خلال الشعر؛ لشعراء آخرين وهذا منطلق آخر يلجأ إليه الرحالة غير الشعر الذاتي، فأورد شعراً لأحمد شوقي في دمشق يقول: (إن شوقي حينما قال خريدته في دمشق، فلأنها ألهمته ذلك وأوحت إليه بالشعر الرصين، والبيان البديع فنراه يتمثل[٣].

آمنتُ بالله واستثنيتُ جنته   دمشق روح وجنات وريحان
جرى وصفق يلقانا بها بَرَدى   كما تلقاك دون الخلد رضوان

---

(١) ابــن عبد ربه الأندلسي: علامة أديب، صاحب كتاب (العقد الفريد) اسمه أحمد بن محمد ابن عبد ربه المرواني الأندلسي، وكان بليغا شاعراً. توفي سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة، انظر: سير أعلام النبلاء، ج١٥/٢٨٣.

(٢) جولة في غرب أمريكا، ص٨٣.

(٣) شهر في دمشق، ص٦٦.

وتأكيد آخر لصورة صنعاء عندما كان في رحلته إلى بلاد اليمن فأورد قول شاعرها أبي محمد اليزيدي[١].

سقيا لصنعاء لا أرى وطناً أوطنه الموطنون يشبهها
كأنها دمية مموهة أجاد تمويهها فموهها

وعندما أشرف ابن خميس في رحلته بين اليمامة والحجاز على بعض المواقع في عالية نجد، مثل كويكب، وبطن الرشا، ووادي الرمادية، وجبال ذريع، وصفها الشيخ ابن خميس في صورة فنية تفصح عن قممها السوداء، وأنها عبارة عن جبلين أحمرين كأنهما ذراعان، وكان بهما أكمة فاحمة، وقد أكد وصفه بإيراد ما قالته امرأة من بني عامر:

يا حبذا طارقاً وهناً ألم بنا بين الذراعين والأحزاب من كانا
سقياً ورعياً لأيام تشوقنا من حيث تأتي رياح الهيف أحياناً
تبدو لنا من ثنايا الضمر طالعة كأن أعلامها جللن سيحانا[٢]

وعندما اجتاز موضع "الدخول" ناحية "الهزمة" "وقرقرى" "وتوضح"، من قرى عالية نجد قال بعد أن وصفها وصورها في رداء البدوي الممزوج بسمرة البادية، إياها عنى امرؤ القيس بقوله:

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل بسقط اللوى بين الدخول فحومل[٣]

---

(١) من جهاد قلم، محاضرات وبحوث، (كنت في اليمن)، ص٢٩٧.
(٢) المجاز بين اليمامة والحجاز، ص١١٦.
(٣) معجم اليمامة، ج١، ص٢١٠.

ومال الشيخ ابن خميس إلى استحضار المشاهد التاريخية وجعلها ركناً مهمّاً في تكامل الصورة الفنية في بعض المواقف والمشاهد في رحلاته ومن ذلك:

استغرق الشيخ واصفاً سد مأرب في رحلته إلى بلاد اليمن، وما يحتدم فيه من المصارف، والذي تنتشر مياهه قنوات وجداول، وتسقي حبات من نخيل وأعناب وحب وقضب وفاكهة وأب، وأن الطرف يحسر دون مداها، وتتقاصر الخطى دون بلوغ أقصاها[١]. استحضر الشيخ ما جاء في القرآن الكريم عن قصة الجنتين.

قال تعالى: **﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ﴾**"سورة سبأ، الآية: ١٥".

وصور الشيخ بسالة الشعب السوري ومقاومته ضد الاحتلال واستحضر الماضي التاريخي لتلك البلاد عندما كانت تقاوم الاستعمار، صور طردهم للفرنسيين وبسالتهم بقوله: (لم تكن دمشق منذ بضع سنوات سوى مدينة أثرية، يعيش أهلها في شبه الأطلال، وتغمرها الفاقة في شتى القوى، ما عدا القوة الروحية، ورسم الصورة الأولى لبسالتهم، بأنهم (أقضوا مضجع الفرنسيين)، وأخرى عندما "استطاعوا أن يقذفوا بهم في البحر"، وأخرى "وأن يطردوهم طرد الكلب سرق أهله[٢]". ثلاث صور متلاحقة لجأ إليها ابن خميس ليبين جوانب البسالة والمقاومة، التي تحدث عنها التاريخ عند الشعب السوري.

والشيخ في ولاية كاليفورنيا أثناء جولته في الغرب الأمريكي، وقد أضفى على هذه الولاية من شاعريته وخياله الخصب الكثير، فهي تعانق المحيط الهادي، وما به من شواطئ رملية فسيحة، وجبالها فارعة شامخة شموخ تلك الولاية.

ويستحضر ابن خميس تاريخ هذه الولاية، ليغرقنا في تفاصيل صورة الإعجاب بهذه المدينة؛ فيذكر أن من تاريخ تلك الولاية أن أمريكا قد اشترتها من

---

(١) محاضرات وبحوث، (كنت في اليمن)، ص٢٩٤.

(٢) شهر في دمشق، ص٣٢.

المكسيك بثمن بخس ويعلق الشيخ على ذلك قائلاً: (وإنها لصفقة مغبونة أن تباع هذه الجنان بالدراهم ولكن الجد يأرز[١] إلى أهله، والغنى يطلب أربابه).

وفي تلك الاستعارتين التمثيليتين اللتين أوردهما ابن خميس مشيراً بهما إلى ما أورده من تفسير لهما يقول: (ولو بقيت ولاية كاليفورنيا لدى المكسيك لكانت مجرد أدغال موحشة بدون أن تكون مستراحاً، ومعالم مبهجة، وجنات من أعناب وزيتون ورمان، ومأرز ينطلق إليه العالم لطلب المتعة والابتهاج)[٢].

وتسمو مشاعر الشيخ أمام كل بقعة تقام فيها مناسك الحج وشعائره، فيستغرق في تفاصيل الصورة في رحلته إلى مكة المكرمة بيت الله الحرام، فيعقد صوراً متوالية ويمزجها بإشراقات دينية يقول: (وتسيل بنا بطحاء مكة، يشايعنا الإشراق والتجلي وتطفح نفوسنا بالبشر والإيناس، وتُعْمَر بالروحانية والإيمان، هذه هي مكة بيت الله ومنزل الوحي، ومهد النبوة، صلة السماء بالأرض)[٣]. وفي مشهد آخر يفيض خيال الشيخ ويستحضر روعة المشهد التاريخي في عرفات، ويتصور رسول الله صلى الله عليه وسلم بعظمته وإشراقه، ومن حوله صحابته على ناقته القصواء (ولنقف هنا قليلاً متذكرين متدبرين، كم شاهدت هذه الأعلام من أمم كانت فبانت، غصت بهم هذه الفجاج شعثاً غبراً، جاءوا إلى الله خاشعين ضارعين ملبين ومكبرين ومهللين، يريقون ساخن العبرات، ويلحفون بمختلف الدعوات، خلفوا الأهل والولد، ورمت بهم الديار والبحار تستن بهم القلائص، والجواري على أثباج[٤] اليم، ومتون الأرض، استجابةً للنداء وتحفزاً للفداء، هنا وقف النبي صلى الله عليه وسلم على قصوائه، يكتنفه الرعيل الأول من قادة الإسلام وأحباره) ثم يورد ابن خميس

---

(١) يأرز: المأرز هو المكان الذي يُرحل إليه، انظر: لسان العرب ٣٠٥/٥.

(٢) جولة في غرب أمريكا، ص٤١.

(٣) المجاز بين اليمامة والحجاز، ص٢٩٢.

(٤) أثباج: الثبج علو وسط البحر إذا تلاقت أمواجه وفي حديث أم حرام رضي الله عنها (يركبون ثبج هذا البحر أي وسطه)، انظر: لسان العرب، ٢٢٠/٢.

صفات أولئك الصحابة الأخيار في صور فنية متلاحقة، وختم المشهد بإيراد خطبة الوداع بنصها كاملة؛ كما وردت عن الرسول صلى الله عليه وسلم[١].

وتتلاحق الصور الفنية في خيال الشيخ، وهو يعرج على موقع سوق عكاظ، نراه يرسم لـــه مشاهد جميلة في كل منحى من مناحيه، فهو منتدى أدبي، ومؤتمر سياسي ومعرض دولي، نراه يستحضر التاريخ عندما كان قس بن ساعدة الأيادي، يخطب على جمله الأورق في عكاظ، وكان هنالك غلام صغير يسمع ويعي ما يقول، وهذا الغلام هو محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم، و الذي قال بعد أربعين سنة لوفد إياد عندما قدموا إليه يبايعونه على الإسلام: (كأني أنظر إلى قس بسوق عكاظ على جمل له أورق، وهو يتكلم بكلام عليه حلاوة ما أجدني أحفظه)[٢].

وفي سوق عكاظ مشاهد وصور تترى، فقد استحضر موقف ذلك السوق من دعوة محمد صلى الله عليه وسلم يقول: (لم يكن هذا المجمع العظيم ليفوت صاحب الرسالة عليه الصلاة والسلام، بل قصده يتخول الناس بالموعظة، ويدعوهم إلى ربهم بالحكمة والموعظة الحسنة ويلقى زعيم كل قبيلة وذوي الشأن فيها بالتبشير والتحذير، فيلقى ما يلقى من عنت وصدود فتحمل نفسه على الصبر ويروضها على الأناة)[٣].

ويستحضر الشيخ صورة الغلام الصغير محمد صلى الله عليه وسلم وهو في سوق عكاظ يناول أعمامه سهام الفجار[٤]، واصفاً تلك الحرب، وأن العصبيات أثارتها فلقحت بحروب لا تخبو نارها، ولا يهدأ أوارها[٥].

فنرى الشيخ مع تلك الاستعارة البلاغية [لا تخبو نارها ولا يهدأ أوارها]، نراه يستحضر موقفاً تاريخياً يؤكدها.

---

(١) المجاز بين اليمامة والحجاز، ص٢٩٣.

(٢) المرجع السابق، ص٢٤٤.

(٣) المرجع السابق، ص٢٤٦.

(٤) سبقت الإشارة إلى يوم الفجار.

(٥) المجاز بين اليمامة والحجاز، ص٢٤٧.

٢- النزعة القصصية:

إن هذه النزعة تعتمد على تقديم قصة أو جزء منها، بيد أنها تتمتع بنوع من الحرية لاتخضع لنفس القواعد والأسس الفنية التي وضعها النقاد، لكتابة القصة أو الأقصوصة[١].

وتعتمد على السرد وهو المصطلح العام الذي يشمل على قص حدث، أو خبر أو أخبار، سواء كان ذلك من صميم الحقيقة، أو من ابتكار الخيال[٢].

وتأتي القصة في أدب الرحلات متسلسلة بسيطة، لا تعقيد بها أو استطرادات خارجة عن الحدث، وهذا قد يضعف من انفعال القارئ واستمتاعه بها، وبما أن الرحلة تعتمد على الحركة والأحداث المتلاحقة، فإن وجود المنزع القصصي في أدب الرحلة أمر تفرضه طبيعتها، فإن ما يتخللها من مواقف تجعل الرحالة يسجلها، ويصوغها في أسلوب قصصي.

والشيخ ابن خميس من الرحالة الذين وفقوا في عرض بعض المواقف، والحوادث في سياق قصصي، لم يكن للخيال دور في إيجاد الشخوص فيها، أو خلق حوادثها ولعلّ وجود تلك النزعة القصصية، قد أسهمت كثيراً في تشويق القارئ لقراءة رحلات الشيخ، وتتبع مراحلها، وفي ظل وجود القدرة الأدبية لإثراء العمل الرحلي عند ابن خميس، فقد وفق في استثمار المواقف فنياً من جهة، وكان ملتزماً للواقع، ولم يصطنع الأحداث من الجهة الأخرى.

ويملك الشيخ أثناء عرضه لتلك المواقف مساحة واسعة، مكنته من التدخل المباشر الذي لم يؤثر على مصداقية تلك المواقف، بقدر ما يمنحها إثارة وغرابة.

---

(١) المدخل لدراسة الفنون الأدبية، قسم اللغة العربية، كلية الإنسانيات والعلوم الاجتماعية.ـ الدوحة: دار قطري بن الفجاءة للنشر، د. ت، ص١١٣.

(٢) معجم المصطلحات العربية. مجدي وهبة، كامل المهندس.ـ ط٢.ـ بيروت: مكتبة لبنان، ١٩٨٤م، ص١٩٨.

ولقد جاء عنصر التشويق في الأسلوب القصصي عند ابن خميس في صور عدة:

منها ما كان من خلال دلالات الشخصيات وتصرفاتها المثيرة، ومن ذلك ما رواه في كتابه [المجاز بين اليمامة والحجاز] عندما تسلق جبل جَبَلَه[١] وطوف حوله واتخذ مع رفقة لـــه كهفاً من كهوفه مقيلاً لهم، قضوا فيه سحابة يومهم. ويذكر الشيخ تاريخ الحدث، وأنه في جمادى الأولى من عام ١٣٨٤هـ، التقى الشيخ بين هضبات جَبَلَه من أواسط نجد، وفي حوض وادي الرشا، في البادية كما خلقها الله، وعلى ما فطرها من طباع، وجبلها من أخلاق، وأبعدها عن عيش الحضارة، ورقة المدينة، حيث الضباب واليرابيع، وحيث الحر صيفاً، والقر شتاءً وجَدَ (ليْلى) المستعربة أو (سنفا الألمانية) ، فتاة في ربيع عمرها شقراء ذهبية الشعر ساحرة العينين، معتدلة القوام، خفيفة الظل، وجدها الشيخ ابن خميس تتكلم العربية مستقاة من البادية، ويصف عربيتها قائلاً (بأن فيها جمالاً وفي نطقها جاذبية تزينها لثغة تتأبى عليها الراء، وتغالبها الضاد فتتحايل عليهما، فيأتيان معها مثل غنة الظبي)[٢].

ويكمل الشيخ ابن خميس سرده لهذا الموقف الذي رآه وشهده، متحدثاً عن ليْلى، وأنه قد مضى لها شهور بين الهضاب والأودية، في تلك السهول والجبال تواجه الركبان فتستظهر أخبارهم، وتستكنه كنههم، ويقابلها الأعرابي في صلف وعجرفة سائلاً أو فضولياً، فتصرفه في لباقة وحسن تصرف، جاءت ليلى من جامعة ألمانية، حيث أنهت دراستها العالية بالجيولوجيا هنالك، وأرادت أن تطبق دراستها عملياً في أواسط نجد لتبحث عن المياه العذبة، فظلت تنقب

---

(١) جَــبَلَه : مفتوح الثلاث جبل ضخم على مقربة من أضاح وتقع شمالها هجرة نفي، انظر: المجاز، ص٩٨.

(٢) المجاز بين اليمامة والحجاز، ص١٠٢.

وتبحث وتدرس وتحفر وتأخذ من كل طبقة من طبقات الأرض عينة، ومن كل جبل نموذجاً، فلديها صنوف من التربة، وأشكال من الحجارة، ويذكر الشيخ أنها وقت لقاء الشيخ بها كانت تحفر بئراً عمقه حوالي عشرة أمتار، وأنها وجدت ماء عذباً زلالاً ربما لا يماثله في العذوبة ماء آخر من آبار تلك المنطقة، وكانت تنحدر في البئر مع عمالها، وتفلق الحجر بمعولها، حتى أن آثار المعول والمسحاة قد تركت ندباً وجروحاً دامية على يديها، وليلى تشارك الأعراب في أكل الضباب واليرابيع، وتعيش عيشهم، وتأكل وتستطيب ذلك وتستلذه[١]".

وقد يكون الموقف أو الحدث الذي وقع فيه الأديب عصيباً في مجمله بيد أن الشيخ ابن خميس ومن خلال عنصر السرد القصصي يتدخل، فيخرج الموقف إلى المتلقي شيقاً مثيراً ومن ذلك ما رواه في كتابه الرحلي [معجم اليمامة] عندما حطت رحاله في خشم الثمامة[٢].

حيث عند المنحدر شعب منزو به قلات، أي نقرات في الجبل يستنقع فيها الماء عند حدوث السيل، جاء إليها الشيخ هو ورفاق رحلته، وأوقفوا سيارتهم حول ذلك الشعب، ومشى وأصحابه راجلين وحينما وقفوا على ذلك الجبل، وجدوا كساء وحذاء لامرأة وهما جديدان، ويذكر الشيخ في معرض سرده القصصي (انحدرتُ مع الوادي قليلاً لأقف على قمة الجبل، فإذا بي أرى المرأة صاحبة الكساء والحذاء في رف[٣]، وسط هذا المنحدر لا سبيل إلى أعلاه ولا إلى أسفله متوحلة هنالك، قد أخذ الجبل من لباسها عند انحدارها ما أخذ، وكشط ذراعيها وساقيها ما بدت آثاره في حيز لا يتجاوز المترين طولاً ونصف المتر

(١) المرجع السابق، ص١٠٣.
(٢) واد من أكبر أودية اليمامة، انظر: معجم اليمامة ٢٣٨/١.
(٣) رفّ : هو ما يحمل فوقه الشيء، وهو استعمال مجازي أورده الشيخ.

عرضاً، وقد دفعتها رهبتها منا إلى التجوال اللاشعوري، مما دفعني أن أبعد الرفاق، واكتفي بواحد أو اثنين لأخذ خبرها وإنقاذها من الموت المحقق، وفعلاً كان هذا ولما هدأ روعها وعاد إليها اطمئنانها، حذَّرنا إليها سبباً لتحزمه في وسطها ولنجذبها به ولمّا تم ذلك وإذا بنا أمام فتاة في عنفوان شبابها، تمثل الجمال البدوي الجذاب، ولكن أخذتنا الحيرة في زينتها، وروائح العطور وفي هذا الشعب الغامض والمكان المحتجب عن المارة، ومسارح الرعاة، وقد حاولنا أن نحصل منها على خبر فلم نفلح)[١].

ويختم الشيخ سرد القصة قائلاً: (وبعد زمن علمنا أن هذه الفتاة قد زُفتْ إلى زوج لا تريده، ففرت بلباسها في ليلها إلى هذا المكان، وأنها لم تعد إلى أهلها إلا بعد أيام).

وأحسب أن أشد المواقف حساسية وأكثرها تعقيداً واضطراباً ما يتعرض لـــه الرحالة من مواجهة مصير مظلم تكتنفه المخاطر، وهذا ما رأيناه عند الشيخ عندما روى لنا ما أصابه في دحل الهشامي في منطقة الصمان، والذي أورده في كتابه الرحلي [معجم اليمامة][٢]. وكذا في مذكراته غير المنشورة [شئون وشجون من واقع حياتي][٣]. ويروي أنه تعرض لخطر الضياع والغرق في ذلك الدحل، وكان ورفاق الرحلة يسيرون فيما يشبه البئر بعمق عشرة أمتار في ظلام دامس، لا يعلمون إلى أين يتجهون ولا يعرفون مكان الماء، والذي نزلوا الدحل من أجله، كما وأنهم تعرضوا للإيذاء الجسمي من السكاكين الصخرية في داخل الدحل.

---

(١) معجم اليمامة، ج١، ص٢٤١.

(٢) المرجع السابق، ج١، ص٤١٥.

(٣) من مذكرات الشيخ ابن خميس غير المنشورة (شئون وشجون من واقع حياتي)، ص٢٩.

يقول (أردنا أن نأخذ ماء عذباً من الدحل، ظانين أن ماءه قريب، وأن مأخذه يسير، فانحدرت فيه مع ثلاثة من رفقتي في جوف الدحل، ثم ولجنا في مضبة[١] ممر ضيق جداً ليفضي إلى بئر ننحدر فيها بما عمقه حوالي خمسة أمتار، ثم نفضي إلى متسع من الأرض لا نعلم أين نتجه إلا برائحة الماء، وقد ضلّ بعضنا في ذلك المتسع؛ كل ذلك ونحن نمضي في ظلام دامس في طريق ضيقة، بها نتوءات من الحجارة الحادة، تأخذ من بطوننا وجنوبنا وظهورنا لنفضي منها إلى الماء، ونأخذ في الغرف في أفواه القرب حتى امتلأت، ويمضي صاحبي أمامي يسحب قربته مع هذه المضبة الضيقة، ليتعلق بها شنظور[٢] من تلك الشناظير، فيمزعها ولم أشعر إلا وماؤها يلطمني في وجهي، ومضى صاحبي بلا ماء، وأخذت بالرفق على قربتي حتى خرجنا بعد ساعات من دخولنا بأربع قرب ولم نخرج إلا بواحدة بعد لأي[٣]. وتعب شديد، ووقت طويل؛ فقلت مخاطباً الدحل:

وردتك أستقي فَكَلَمتَ جسمي   فما أقساك يا دحل الهشامي

تقاضي الواردين دماً بماء   رماك بثاقب الأفلاك رامي[٤]

ولقد قرأت تحقيقاً صحفياً كاملاً أخذ صفحة من جريدة الرياض بعنوان [اكتشاف كهوف في الصمان] في عددها ١٣٠٣٤ وعامها الحادي والأربعين في يوم الاثنين ١٠ من المحرم ١٤٢٥هـ يذكر أن هيئة المساحة الجيولوجية، قد اكتشفت كهوفاً في الصمان، تسعى الهيئة العليا للمساحة لتطويرها باعتبارها

(١) مضبة: أرض مضِبَة كثيرة الضباب، انظر: لسان العرب ١/٥٣٨.

(٢) شنظور: الصخرة تنفلق من ركن من أركان الجبل، انظر: لسان العرب ٤/٤٣١.

(٣) لأي: الإبطاء والاحتباس، انظر: لسان العرب، ١٥/٢٣٧.

(٤) انظر: معجم اليمامة، ج١، ص٤١٥، والقصة مذكورة بالتفصيل في مذكرات الشيخ غير المنشورة، ص٢٩.

معالم سياحية، ومن خلال سياق التحقيق الصحفي، تأكدتُ أنها تلك الدحول التي ذكرها ابن خميس في كتابه الرحلي [معجم اليمامة] ، وربما كان الدحل الذي عناه الشيخ في قصته التي أوردناها هو أحدها[١].

وفي التحقيق الصحفي وصف لتلك الدحول كما وصف داخلها الشيخ، وهي ليست كهوفاً، وإنما دحول كما ذكر الشيخ لكونها في باطن الأرض، فهذه المعالم اكتشفها وذكرها الشيخ قبل عشرين عاماً، حيث كان تأليف كتابه عام ١٣٩٨هـ ورحلته كما ذكر في بلاد اليمامة استمرت قرابة عشر سنوات.

وإنني أبارك هذا التوجه في مجال السياحة؛ إلا أنني أتعجب من عدم استفادة الجهات المعنية مما ذكره الشيخ من معالم أثرية في كتبه، والذي حرص على تحديد مواقعها بدقة وتحدث عنها بإفاضة كافية، هذا رأي خاص والله أعلم.

وقد يورد الشيخ ابن خميس القصة لغرض النقد اللاذع لبعض الممارسات الخاطئة، وسوء التصرف في بعض المواقف التي صادفها أثناء رحلته، ففي كتابه [شهر في دمشق] حين وصل إلى موقع موظفي الحدود السورية اللبنانية، عندما اجتمع الركاب حول مكتب تأشيرة الدخول، وكان الشيخ ابن خميس هو الذي يرتدي اللباس العربي، وقد جاء دوره حسب الأول فالأول، ولنقرأ ما حدث للشيخ.

(قد جاء دوري حسب الأول فالأول ولكن الموظف سامح الله من جعله موظفاً في هذا المكان، كان كلما حدّجني[٢] بنظرته الشزراء، ونظر بزتي العربية إزور عني إلى غيري، وترك يدي ممدودة بالجواز إلى حضرته، فلما رأيت الأمر هكذا انتحيت مكاناً من المكتب، وجلست حتى أتى على آخر الحاضرين، ثم قمت إليه فمد يده متثاقلاً، ووضع الإشارة وناولني الجواز قائلاً:

---

(١) انظر: جريدة الرياض، العدد ١٣٠٣٤، السنة الحادية والأربعون، الاثنين ١٠ من المحرم ١٤٢٥هـ، ص١٨.

(٢) حدَّجه: نظر إليه نظرة ارتياب واستنكار، انظر: لسان العرب ٢/٢٣١.

(راجع الأمن العام في دمشق) ، فقلت هل يلزم مراجعتهم فور وصولي؟ فقال: وهو يفارق المكتب بلهجة مائعة (ما بعرف)[١].

ومما سبق نرى أن الموقف القصصي المناسب، قد منح الشيخ ابن خميس فرصة جيدة في نثر رؤاه وملاحظاته، وإن كان هو شخصاً من شخوص الحدث.

وقد وفق الشيخ إلى رصد حدث آخر في تسلسل سريع، يرفع درجة المتابعة عند المتلقي ويتوقع نهاية أخرى، فالشيخ عرض الشخصية العصبية، لموظفة البريد عرضاً صادقاً فلربما أرهقها تكاثر العمل، وأثقلت كاهلها أعباءه، وكان الشيخ هو محور الحدث، وتشابكت خيوطه حوله، يقول: (كنتُ حينما وصلت إلى دمشق، وقع في يدي كتاب للأستاذ أبي الأعلى المودودي، فأعجبت به وأردت بعثه إلى أحد المشائخ هناك، فجعلته في ظرف وكتبت عليه (مطبوعات)، لأجل التخفيض في أجرة البريد، ودفعته إلى موظفة البريد، وكانت سيدة أرهقها تكاثر العمل، فاعتبرته خطاباً مسجلاً، فأردت أن أفهمها، فقذفت بالكتاب ليقع بين عيني، فأخذته وانصرفت، فلحقني أحد موظفي البريد، وطلب الصفح، وكان يظن أنني سأقيم الدنيا وأقعدها، لأنتصر لنفسي وما علم أنني قاصد إلى مركز آخر من مراكز البريد، لأودع فيه الكتاب، "فلن يصلح العطار ما أفسد الدهر" ولكنه أخذ الكتاب وأنهى المسألة، وكل ما طلبته الموظفة هو تمزيق جانبي الظرف؛ لتعرف أن بداخله مطبوعات بحق[٢].

ويلجأ الشيخ إلى الحوار أثناء السرد القصصي في بعض المواقف، قاصداً من ذلك إعطاء العظة والعبرة، وتأكيد رؤاه ومضامينه الفكرية، كان ورفاقه يقفون لمشاهدة سد (كليفلند) أثناء جولته في غرب أمريكا، استرعى انتباهه، وجود أسرة تتكلم العربية، فدار حوار بينه وبينهم عرف منه أنهم عرب،

---

(١) شهر في دمشق، ص٢٩.

(٢) شهر في دمشق.

وهاجروا إلى إسرائيل، وقد جاءوا إلى ذلك المكان للتنزه ومن خلال الحوار، أكد الشيخ أن اللغة العربية تأبى إلا وأن تشد أهلها مهما كانت إسرائيل، إلا أن تغير لغة العرب، وتمحوها من أذهانهم وتجعل العبرية هي لغة الأمة(١).

وفي موقف آخر يورد الشيخ أحداثاً مختلفة، لأشخاص كثيرين، ولكن هدفهم واحد، وإن تفاوتت مهامهم ووظائفهم في سرد قصصي شيق وقصير، انتهت أحداثه بسرعة؛ لأن الموقف أو الحدث لا يحتمل الإطالة، وذلك عندما كان في بلاد اليمن، وأثناء عودته، وجد على الحدود أربع فئات من المسئولين، عدّدهم الشيخ، وأبان مواقفهم، كل فئة على حدة من الشيخ ورفاقه، حتى سلبوه وريقات سجل فيها مذكرات عن مراحل رحلته، ظناً منهم أنها تحمل في طياتها خطراً، يقول: (ومن الحديدة عدنا إلى الحدود السعودية مرة أخرى، لنجد أربع فئات من المسئولين، تنتظرنا هنالك أولها سلاح الحدود، ويسألنا كيف ولماذا ومن أين وإلى أين؟! وتقدمنا قليلاً ووجدنا آخرين في انتظارنا لينزلونا من السيارة، ويجعلوننا صفاً ويبدأون في تفتيشنا، وجس كل عضو من أعضائنا، وبالرغم من أن جوازي خاص، فإن ذلك لم يفد لديهم، وآخرين وجدوا في جيبي بعض الوريقات سجلْتُ رؤوس أقلام عن هذه الرحلة، فأَخَذَها أحدهم، واعتبرها كسباً، ليذهب بها إلى جماعته، ليجتمعوا يتناجون حولها، وبعد لأيٍّ أرجعوها، وبعد قليل استلَمَنَا آخرون ليضعوا كل ما في السيارة على الأرض، ويفتشون كل شيء من شنط وخلافها، وبعد أن فرغوا منا تقدمنا لتستلمنا الشرطة وهكذا)(٢).

ومع ذلك نرى أن بعض الحوادث التي أوردها الشيخ فقيرة فنياً، حيث افتقرت إلى التأزم وعنصر التشويق، ويقل فيها الرصيد العاطفي، فكأنها تقارير رصدها أثناء رحلته.

---

(١) جولة في غرب أمريكا، ص٦٨.

(٢) من جهاد قلم، محاضرات وبحوث (كنت في اليمن)، ص٣٠١.

ومن مثال ذلك ما كتبه عن (جبل الغمير) في رحلته إلى الطائف، وأنه هو ورفاقه أرادوا تسلق تلك القمة السوداء المتناهية الارتفاع، فاندفعوا كل يريد افتراع القمة، وحسبوا أن ذلك أمراً ميسوراً، ولكن القمة سخرت منهم، ولم يصلها إلا القليل، كان منهم الشيخ"[١].

إلا أن النزعة القصصية سمة من سمات الأدب الرحلي عند الشيخ ابن خميس، وقد وفق في استثمار بعض الحوادث والمواقف، وإخراجها بأسلوب قصصي، اعتمد على الإثارة والتشويق، واستلهم قدرته الأدبية في صياغة الحدث، وإضفاء بعض مشاعره عليه، ولكنه لم يدخل خياله في إيجاد أو خلق حوادث لتلك القصص، إنما وفق في شد القارئ للمتابعة وإثارة المتلقي.

٣- توظيف الطرفة:

للطرفة الأدبية أثرها البديع في قبول وجمال العمل الأدبي، إذا ما امتلك الأديب مهارة وقدرة على الصياغة والعرض، والرحلة بأحداثها المختلفة تمنح الأديب فرصة لالتقاط المواقف الطريفة من خلال الأحداث، والشخصيات. والشيخ ابن خميس مثل أولئك الأدباء الرحالة صادفته مواقف طريفة، والتقى بأناس ثقلاء وظرفاء، أردفوا مادته الأدبية بألوان من التعابير الطريفة، نراه في رحلته بين اليمامة والحجاز، وهو في الخميلة الملتفة في أعلى وادي السيل الصغير، بين موقع (الفشحة) ووادي (قرّان) يتحدث الشيخ عن قنص الأرانب، وجفولها نتيجة الهرج والمرج، والأصوات العالية، فتنطلق أصوات البنادق متوالية، حتى يتم قتل الكثير منها، والموقف الطريف أن تلك الأصوات التي أخافت الأرانب، وكانت مصدر تأنيب لأولئك الصحب المزعجين للشيخ، وهو يهم باقتناص الأرانب، تحولت إلى مصدر لخروج

---

(١) المجاز بين اليمامة والحجاز، ص٢٦٩.

الأرانب من جحورها، وانسيابها أمامه، فأولم لها بندقيته في طلقات متوالية، حتى احتوش منها الكثير[١].

ومن الملامح الطريفة لأدب الرحلة عند الشيخ ابن خميس تعبيره وفق ما يراه، عن أسماء بعض الأحياء والشوارع، عندما يرى من المواقف والمشاهد، والسلوك الآدمي، ما يخالف العرف والشرع، فمثلاً في رحلته في غرب أمريكا (حي هوليوود) الحي الشهير بصناعة السينما، والفن وقاعات العرض، الذي يطلقون عليه عاصمة السينما، ولكن الشيخ قادته رؤاه الإيمانية، والخلقية إلى اسم طريف أطلقه على ذلك الحي، فهو في نظر الشيخ [حي الصائعين والضائعين][٢].

وفي الرحلة ذاتها عندما كان الشيخ في نيويورك، نراه يطلق اسماً طريفاً على شارع أسموه (شارع الفضيلة) فهو في نظر الشيخ (شارع الرذيلة).

وأطلق الشيخ على أحياء نيويورك الأخرى، بعض الأسماء التي تليق بما يوجد فيها من العربدة والأفعال غير اللائقة فهي عنده (حي الشواذ) وحي (الغانيات)[٣].

وفي دمشق في أول أيام شهر رمضان المبارك، طلب الشيخ من (النادل) أو الجرسون أن يقدم لــه طعام الإفطار، فأجابه الجرسون باستغراب أن هذا ليس وقت غداء أو أكل فالغداء مضى وقته، والعشاء لم يحن بعد، وبلهجته قال (شو بتريد عيوني فاكهة ؟؟!) فأمره الشيخ أن يحضر لــه طعاماً من السوق، وبقي أن يعرف الشيخ متى غروب الشمس، وأذان المغرب، أو أنه لابد أن ينتظر إلى الليل ليدرك الإفطار، ولكن الجرسون أدرك المشكلة، ومن الطريف أن الحل كان كما أراد الشيخ (أدرك الجرسون المشكلة فخرج بي إلى طنف (بلكون)

---

(١) المجاز بين اليمامة والحجاز، ص٢٣٦.

(٢) جولة في غرب أمريكا، ص١٥.

(٣) المرجع السابق، ص٨٩.

بجانب الغرفة، وأراني مئذنة شاهقة وقال: أنه بمجرد ما تغرب الشمس، تضئ أنوار هذه المئذنة، فظللت أرقبها حتى أضاءت ثم أفطرت)[١].

وتبقى مشكلة السحور عند الشيخ ابن خميس يقول في عرض طريف (بقيت الآن مشكلة السحور، ففي الأسحار هم نائمون، بل هم في المرحلة الأولى من نومهم، ويبعد أن يوقظوني، وأنا متعب، وفي حاجة إلى النوم)[٢].

ولم ير الشيخ ابن خميس بأساً في رسم صورة طريفة لشخصيته، عندما اعترضت طريقه في دمشق وهو راكب مع سائق سوري، سيارة أخرى، ونزل منها ثلة من الشباب، أوقفوا سيارتهم، واجتمعوا حول السيارة التي يركبها الشيخ، وجعلوا يمطرونهم بسيل من التأنيب، والشتائم لم يفقه الشيخ منه شيئاً، لأنه بلهجة شعبية، وبألفاظ أدخرت لمثل ذلك اليوم، ولكن كيف يا ترى عرف الشيخ أنه سباب، يقول (إلا أنني أدركت من تمعر الوجوه، وانتفاخ الأوداج، وحركات الأيدي، أنه سباب فظللت صامتاً، وهم يزدادون تقحماً وتوبيخاً)[٣].

وقد تكون المعاناة التي يتعرض لها بعض الرحالة جزءاً مهماً من أجزاء تكامل الصورة الطريفة، أو المشهد الكوميدي، فالشيخ في رحلته في بلاد اليمن يتعرض للتفتيش في مشهد كوميدي طريف (وجدنا آخرين ينتظروننا لينزلونا جميعاً من السيارة، ويجعلونا صفاً واحداً، ويبدأون في تفتيشنا، وجس كل عضو من أعضائنا، وقال الذي يجس أعضائي ما هي وظيفتك؟ كأن الدنيا مبنية على الوظيفة، ولقد وجد في جيبي وريقات أسجل فيها رؤوس أقلام عن هذه المذكرات التي أكتبها لكم، فأخذها كسباً، ليذهب بها إلى جماعته، ليجتمعوا يتناجون حولها، وبعد لأي أرجعوها)[٤].

---

(١) شهر في دمشق، ص٢٦.

(٢) المرجع السابق، ص٢٧.

(٣) المرجع السابق، ص٣١.

(٤) محاضرات وبحوث (كنت في اليمن)، ص٣٠١.

وبما أن الرحلة وعالمها المتنوع مدعاة للالتقاء بشخصيات متنوعة، تكون مادة خصبة للرحالة، فإنهم وقفوا أمام تلك الشخصيات، ورصدوا تصرفاتها، وأقوالها الطريفة ليلونوا بها السرد الرحلي، ومن ذلك ما رواه الشيخ ابن خميس في رحلته في بلاد اليمامة، عندما تحدث عن روضة الخفس(١) وأن الملك عبدالعزيز رحمه الله كان يتخذ منها مرتبعاً، ويقضي فيها أوقاتاً طويلة، وأن الشيخ كان في رفقة الملك عبد العزيز والعام عام خصب، وأنه رحمه الله أراد أن يمتّع أكبر عدد ممكن من وجوه قومه، وعلمائهم وأدبائهم، فنوع السرادقات، وخص كل طائفة بواحد وكان للكل جلسات معه ممتعة ضاحكة مستأنسة، سجل طائفة منها الأستاذ الشاعر (فؤاد شاكر) في كتاب سماه [رحلة الربيع] وحلىّ طرته بقوله:

فيا سائلي عن نجد أو عن رياضها   فديتك هذا بعض ما في ربا نجد

والكتاب وصف للخفس، وأيام الخفس ولياليه، ومجالس الأدب، ومطارحات الشعر، ومساجلاته ومسامراته، ومنه حوليات، وتحيات، ولقطات من وحي الخفس، ويأخذ الشيخ على المؤلف عدم الدقة في أوصافه الجغرافية، ولكنه (مطرب وما على مطرب أن يعرب).

والشاهد الطريف هنا أن نافع بن فضلية جليس الملك عبد العزيز وأنيسه، راوية فكه، وشاعر مازح، التقى الشيخ في رفقة الملك، فشاهد نافع بقرة تذرع روضة الخفس جيئة وذهاباً، ولا تبالي من حولها فقيل هذه بقرة مضاوي بنت الملك عبد العزيز الصغيرة، فارتجل بيتين من الشعر الشعبي فيهما دعابة ونكتة(٢)، ومن ذلك الملمح أيضاً ما أورده الشيخ ابن خميس في معجم اليمامة، أن

---

(١) الخفس: تقع في شمال الرياض وتبعد عنها ما يقارب ثمانين كيلاً ويؤدي إليها طريقان، طريق الرياض الثمامة، وطريق الرياض رويغب، انظر: معجم اليمامة، ج١، ص٣٩٣.

(٢) معجم اليمامة ١/٣٩٤.

ثلاثة من أبناء الملك عبد العزيز رحمه الله خرجوا من مخيمه في [خريم] للقنص، وكانوا صغاراً ولمّا وصلوا إلى موقع [الدويدات] تعطلت سيارتهم، فبعثوا مرافقاً لهم راجلاً للمخيم من أجل إسعافهم، فلما وصل وجد الملك عبدالعزيز على أحر من الجمر، فلما أخبره بما حدث سأله الملك عبد العزيز رحمه الله هل هم [في دويدات السرو] وإلا في [دويدات الجهم] فبهت المرسول، لأنه لم يكن يعرف هذه من تلك وتلعثم وقال: فيهن كلهن، فضحك الملك عبد العزيز[١].

٤- ظواهر أسلوبية أخرى:

أ- يكتب الشيخ ابن خميس بأسلوب المحقق، وخاصة في رحلاته الداخلية، فهو يحرص على استقصاء أطراف المعلومة التاريخية، ودقة البحث فيها، ويذكر ضمناً مراجع ذلك التحقيق التاريخي، مثل ما ورد في كتابه الرحلي [المجاز بين اليمامة والحجاز] يقول: (العُرْف وهو حَزْن مررنا به ممتد من الشمال إلى الجنوب، يعلو أحياناً فيشكل حَزْناً وينكمش فيكون حجارة منتشرة، في دكاك وأجارع. يقول العامري: العُرَف ببلاد أسد فقلت ما هي فقال بها قفاف، ورمال وغير ذلك، قال وهن أربع... إلى أن يقول وذكر ياقوت الحموي في معجم البلدان أن العُرَف الأعلى والأسفل في ديار بني كلاب)[٢].

وفي حديثه عن رحلته إلى موقع سوق عكاظ، وما أضفى على ذلك السوق من الصفات المشرقة، فهو مؤتمر دولي ومنتدى اقتصادي، وناد أدبي، فيذكر الشيخ قول الأصمعي والأزرقي والهمداني، وأبي عبيد البكري، وحمد الجاسر وهكذا[٣]. وموقع

---

(١) المرجع السابق ١/٤٤٤.

(٢) المجاز بين اليمامة والحجاز، ص٢٠٥.

(٣) المرجع السابق، ص٢٣٩. ويعني ما ورد في مؤلفاتهم (أخبار مكة) للأزرقي وكتاب (البلدان) للهمذاني، وكتاب (معجم ما استعجم) للبكري وكتاب (مدينة الرياض عبر أطوار التاريخ) للشيخ حمد الجاسر، رحمهم الله جميعاً.

(واردات) وهي هضبات سود بجانبها جبل منفرد، يقال لـــه (عبيد الرِّشا) مضافاً إلى وادي الرشا، ويذكر الشيخ ابن خميس موثقاً اسم ذلك الموقع الذي رحل لـــه، وشاهده أنه سمع الملك فيصل بن عبد العزيز رحمه الله، يروي قصة حول ذلك الموقع، وهي أنه كان أحد مشائخ البادية قد غاضب عبداً لـــه مملوكاً، ففر العبد في ظلام الليل، وركبوا كلهم يبحثون عنه، ولما توسطوا خمائل وادي الرِّشا، توقعوا أن يكون هناك، فقال سيد العبد رافعاً صوته يكلم أصحابه إنني لا أخشى أن يلجأ إلى جبلة، فهو إن لجأ إليها أدركناه، ولكني أخشى أن يلجأ إلى الرشا، فهو إن تسلقه وقبع في رأسه استعصى علينا الحصول عليه، فرنت هذه الكلمات في أذن العبد، وظن أن ما يقوله سيده هو الحقيقة، وما أدرك أن الحقيقة بالعكس، وفي الصباح رأوه كالغراب في قمة جبل الرشا فسمي الموقع عبيد الرشا(١)، ودائماً ما يختم الشيخ التحقق والاستقصاء بقوله (وبحكم التتبع والاستقراء، واستعراض بعض النصوص التاريخية، ودراسة الطبيعة، والواقع الاجتماعي، نستطيع أن نخرج برأي يطمئن إليه الباحث ويؤيده)(٢).

ب- ومن الظواهر الأسلوبية التحدث بأسلوب الخطاب في بعض مشاهد السرد الأدبي، ولعل ذلك النمط من الخطاب الرحلي، ساهم في إثارة الحركة والحيوية في المشاهد، يتحدث الشيخ عن جَبَلَة، ويضفي عليها صفات شاعرية رائعة، فهي عنده (قصيدة عامرة وخاطرة متكاملة الصورة، متساوقة الرؤى، متلاحمة الأخيلة، منظرها وانفساح الأجواء حولها، وتاريخها الحافل بأيام الأجيال، وملاحم الأبطال، تحمل الأظعان وانثيال قطعان الماشية وخوانس الظباء، إلهام شاعري، يروض الشوارد، ويقيد الأوابد وتتنزل لـــه نغمات الوتر، ونفحات السحر) ثم ينتقل الشيخ إلى مخاطبة جبله وهو على أرضها: (ما أجملك

---

(١) المجاز بين اليمامة والحجاز، ص١٠٥.

(٢) المرجع السابق، ص٢١٨.

جَبَلّه تتربعين على شاطئ التسرير، وتتخللين الرمث والعرار، وتداعبين الأقحوان والخزامى، لو نطقت معتدلات المناكب منك لما أعوزها الحديث، عن واله يبثك وحده، وشاعر يروض فوقك قوافيه، وإلفين يتساقطان حلو الحديث ويشكوان حرارة الشوق؛ لأنت قصيدة مملوءة بالعبر ناطقة عمن غبر، لئن عزك الروي والقافية ففيك الفكرة المتألقة، والنفحة الفاغية[١])[٢].

ويخاطب الشيخ ابن خميس المتلقي، ويجذبه إلى مصاحبته في استشعار الجمال الأخاذ في كثير من مواطن السرد الأدبي في رحلته، فنراه عندما كان في دمشق، يدعو القارئ إلى مشاركته في رؤية سر حياة دمشق يقول مخاطباً القارئ: (تعالى معي إلى سر حياة دمشق وشريانها الرئيس "بردى" ... الخ)[٣].

وفي موقع آخر من رحلته إلى دمشق، يوجه القارئ مخاطباً إلى جمال الطبيعة في دمشق يقول: (أدعوك إلى سفح "قاسيون" الجبل المطل على دمشق من الناحية الشمالية الغربية؛ لترى جنة خالدة تمتد أمامك امتداد الطرف، وترى الخضرة والنضرة والسحر والجمال)[٤].

ويوجه الشيخ في خطابه الرحلي القارئ إلى تفاصيل المشاهد الرحلية الجميلة، التي رآها فيلبسها بالقارئ، ويلبسه بها تشويقاً، يقول واصفاً بلاد نجد: (إذا أقمرتْ لياليها وازينتْ بالنبت روابيها، وكنت منها في جرعاء مغدقة، وقودك الرمث، وشواؤك لحم الصيد وشرابك لبن الإبل...)[٥].

وينحى الشيخ إلى أسلوب الخطاب في المشاهد الرحلية العجيبة، التي تكتنفها الغرابة فنراه وهو يصف عيون الخرج في رحلته في بلاد اليمامة، يخاطب

---

(١) الفاغية: الرائحة الطيبة والفغوة الزهرة، انظر: لسان العرب ١٥/٣٢٠.

(٢) انظر: المجاز بين اليمامة والحجاز، ص٩٨.

(٣) شهر في دمشق، ص٦٦.

(٤) المرجع السابق، ص٦٥.

(٥) المجاز بين اليمامة والحجاز، ص١٨٢.

القارئ، ويلفت انتباهه إلى بعض المشاهد الغريبة في عيون الخرج (هذه العيون كأنها بحيرات لا يدرك لها قعر، ولا يغيض لها معين، إذا توسطت الشمس كبد السماء، وألقت أشعتها على هذه العيون الساجية، شاهدتَ تحت الماء منظراً عجباً، من أنوف جبال بارزة إلى مغارات موحشة، وسراديب مظلمة...)[١].

وفي جولة الشيخ في غرب أمريكا نرى الشيخ في مشهد آخر يلجأ إلى أسلوب الخطاب؛ ليثبت رؤاه حول أحياء الزنوج، وما يحيط بها من سوء، وتخلف مع وجودها في دولة متقدمة هي أمريكا. (ولو قدر لك أن تزور أحياء الزنوج في جل مدن أمريكا لرأيت البؤس، والشقاء والمتربة، ولرأيت الأسمال البالية، والألبسة المتسخة، والوضع السيئ الذي لا يمكن أن تجده في أي مجتمع متخلف من العري والوضع المزري، بحيث لا تصدق أن هؤلاء يعيشون في أمريكا)[٢].

ج- وينحى الشيخ ابن خميس منحى استطرادياً في بعض المواقف الرحلية، حتى يتلون السرد الأدبي، فيقدم فائدة ومتعة في آن واحد، ويزيد الاستطراد من اهتمام للقارئ[٣].

والاستطراد ظاهرة أسلوبية في نثر ابن خميس كما يقول بعض الباحثين (واطرد الكلام إذا تتابع، ثم عاد وانعطف[٤])، نرى الشيخ في رحلته إلى الغرب الأمريكي عندما دخل ولاية نيفادا وكاليفورنيا تعجب بدءاً أن بين الولايتين فرقاً في الوضع الاجتماعي، نيفادا مباح بها القمار.. بينما كاليفورنيا محرم بها ثم

---

(١) معجم اليمامة، ج١، ص٣٧١.

(٢) جولة في غرب أمريكا، ص٩١.

(٣) معجم المصـــطلحات العربية في اللغة والأدب. مجدي وهبة وكامل المهندس.ـــ ط٢.ـــ مكتبة لبنان ١٩٨٤م، ص٢٧.

(٤) انظر: المعجم المفصل في علوم البلاغة. د. إنعام عكاوي.ـــ ط١.ـــ بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٣هـــ، ١٩٩٢م، ص٨٧.

يستطرد في معنى آخر بعيد عن القمار فيصف مطاعم الولاية، ويتحدث عن البحيرة [ليك تاهو] وجبال نيفادا وتلالها ومنتجعاتها المليئة باللهو والمرح، ويعود مستطرداً للحديث عن القمار، المباح في تلك الولاية، ويصف صالات القمار، ولاعبيها وأنها مليئة بهذا النشاط المحرم، ويفصل لماذا أبيح القمار في نيفادا، وذلك؛ لأنها بلدة دخلها قليل، فجعل من ممارسة القمار مصدراً لدخلها، ودعماً لاقتصادها؟!!![1].

وفي موضع آخر وصف دار الكتب الظاهرية في دمشق، فتحدث بإسهاب عن تلك المكتبة، وما تحويه من مصنفات، وسبق ذلك حديثه عن تاريخ إنشائها، والقائمين عليها، وفصّل الحديث في المطبوعات بنوعيها العربية والأجنبية تفصيلاً مدعوماً بالأرقام، ومن ثم يخرج بإحصائية عن إجمالي الكتب، والمطبوعات الموجودة في المكتبة.

ويعود في نهاية حديثه عن تلك الزيارة مستطرداً، فيتحدث عن الإعارة، ويحدد الكتب التي تتم إعارتها في العام، والأخرى التي تتم مطالعتها من قبل مرتادي المكتبة، ويخرج بإحصاء آخر عن تلك المصنفات، ولعلّ ولع الشيخ بالقراءة والكتب والمكتبات، هو ما جعله يستطرد في مواطن كثيرة عندما تحدث عن زيارته لدار الكتب الظاهرية بدمشق[2].

ويقود الحس الديني الشيخ ابن خميس إلى الاستطراد والإطناب، عندما حاذى في رحلته الأماكن المقدسة، وما حولها، فجاءت معانيه وأفكاره ثرة، ومشاعره الدينية تتفجر أمام كل منسك من مناسك الحج وشعائره، فعندما تحدث عن وقفة نبي الله صلى الله عليه وسلم على صعيد عرفات، مع صحبه رضوان الله عليهم، في حجة الوداع، خرج من ذلك الموقف واصفاً (عرفة) و(شعب

(١) جولة في غرب أمريكا، ص٣١.

(٢) شهر في دمشق، ص٤٣.

السقيا) و(مزدلفة) و(ثبير) و(وادي محسر) و(منى) و(المحصب) و(الأقحوانة) و(حراء) يقول: (من هذا المكان مفضي السيول، وملتقى البطاح، ومفترق الطرق، ومخيم الحجيج، نشاهد يميناً الجبل المبارك الأشم (حراء) جبل النور ومكان التحنث، ومتنزل الوحي، ومقصد نبي الإسلام بين يدي خبر السماء، ومنتجعه يخلو بنفسه... الخ)[١]. ويواصل واصفاً (ومزدلفة هي مبيت الناس ليلة دفعهم من عرفات، وتؤخذ الجمار من هنالك، وكانوا في الجاهلية لا ينصرفون إلا بعد طلوع الشمس، ويقولون "أشرق ثبير كيما نغير")[٢].

د- الاستشهاد والاقتباس من القرآن الكريم والسنة المطهرة:

إن الاستشهاد والاقتباس سمة أسلوبية من سمات أسلوب الشيخ ابن خميس. والاستشهاد في المعنى البلاغي (أن تأتي بمعنى ثم تؤكده بمعنى آخر يجري مجرى الاستشهاد على الأول والحجة على صحته)[٣].

أما الاقتباس فهو (أن يضمن الكلام شيئاً من القرآن، أو الحديث لا على أنه منه)[٤]. ويجوز (أن يغيّر المقتبس في الآية، أو الحديث قليلاً)[٥]. بزيادة أو نقصان أو تقديم أو تأخير[٦].

وقد جعل الشيخ ألفاظ القرآن الكريم، والحديث النبوي الشريف، ومعانيهما تشع بين الحين والآخر ضمن سرده للمواقف المختلفة من الرحلة، وذلك لأن

(١) المجاز بين اليمامة والحجاز، ص٢٩٧.

(٢) المرجع السابق، ص٣٠٧.

(٣) كتاب الصناعتين. أبو هلال العسكري؛ تحقيق علي البجاوي ومحمد إبراهيم، المكتبة العصرية.ـ صيدا، بيروت؛ لبنان، ١٤٠٦هـ، ١٩٨٦م، ٩٦.

(٤) الإيضاح في علوم البلاغة، الخطيب القزويني.ـ ط٤ ـ بيروت: دار الكتاب اللبناني، ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م، ص٥٧٥.

(٥) معجم المصطلحات العربية، ص٣٤.

(٦) معجم البلاغة العربية. د. بدوي طبانة.ـ ط٣.ـ جدة: دار المنارة، ١٤٠٨هـ، ص٥٢٠.

أديبنا يعلم نصاعة اللفظ القرآني، والبلاغة النبوية، وجمال السياق بهما، وتأتي اقتباسات الشيخ متداخلة مع عباراته، مع تغيير يسير في بعض الألفاظ، خالية من الأقواس، ومنها ما جاء في كتابه الرحلي [شهر في دمشق] عندما انتقد الناس في شهر رمضان، وأن منهم من لا يؤدي هذه الشعيرة، وهو حينذاك كان مقيماً في دمشق أثناء رحلته فنراه يقول: (بقيت الآن مشكلة السحور ففي الأسحار هم نائمون)[١]، وهو اقتباس من قوله تعالى: **﴿وَبِالأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾** "سورة الذاريات، الآية: ١٨".

وفي موضع آخر من السياق الرحلي في دمشق، عندما التقى الشيخ رئيس المجمع العلمي بدمشق خليل مردم بك، وصفه قائلاً (فهو شاعر مجيد، لم يفل حده اشتعال الرأس شيباً)[٢]. والمعنى مقتبس من قوله تعالى: **﴿وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا﴾** "سورة مريم، الآية ٤".

والشيخ وهو في طريقه نحو المروج السورية، والسهول السندسية، نراه يختار من اللفظ القرآني ما يعبر عن دقة الوصف، يقول: (وأخيراً تغيرت معالم الأرض، وخرجنا إلى سهل منبسط، لا عوج فيه ولا أمتا)[٣]. وهنا اقتباس من قوله تعالى **﴿لا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلاَ أَمْتًا﴾** "سورة طه، الآية: ١٠٧".

وعندما امتطى الشيخ الطائرة وسيلته الرحلية إلى دمشق، واجتاز صحراء المملكة العربية السعودية، وبدت لـــه من النافذة، نراه يتشوق إلى أن تمتد يد العمران إلى تلك الصحاري، وأن يعمرها أبناء البلاد، فيقول: (وجعلت أفكر في هذه المجاهل التي تتخلل أنحاء المملكة، وتشكل القسم الكبير فيها، متى يشملها العمران، وتمتد إليها يد الفلاح والمهندس، ونرى سكان المملكة عشرة أضعاف

---

(١) شهر في دمشق، ص٢٦.
(٢) المرجع السابق، ص٤٧.
(٣) المرجع السابق، ص٢٣.

عددهم الآن، ليضربوا في هذه الأرض يبتغون من فضل الله، وآخرون يقاتلون في سبيل الله)[١]. وذلك اقتباس من قوله تعالى: **﴿وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ، وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾** "سورة المزمل، الآية: ٢٠".

ويضفي الشيخ على غوطتي دمشق صفات الجنات العلى، التي وعد بها المتقون: (وهذه إحدى غوطتي دمشق ذواتي الأفنان، والزيتون والرمان، ومن كل فاكهة زوجان)[٢]. اقتباس من قوله تعالى: **﴿ذَوَاتَي أَفْنَانٍ﴾** "سورة الرحمن، الآية: ٤٨". وقوله تعالى: **﴿فِيهِمَا مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ﴾** "سورة الرحمن، الآية: ٥٢" وغيرها من المواضع في رحلته إلى دمشق[٣].

وعندما تحدث الشيخ عن مشروع إقامة دار للأيتام السعوديين في سوريا قال (يعين الفقراء الذين لا يستطيعون ضرباً في الأرض، يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف)[٤]. وهو اقتباس من قوله تعالى: **﴿لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الأَرْضِ يَحْسَبُهُمْ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنْ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ﴾** "سورة البقرة، الآية: ٢٧٣".

وفي رحلة الشيخ إلى بلاد اليمن نراه يوظف النص القرآني، في إضفاء الصفات العالية من الجمال الرباني على جنان اليمن ومزارعها يقول: (وتسقى جنان من نخيل وأعناب وحب وقضب وفاكهة وأب)[٥]. وهو معنى اقتبسه من قوله تعالى: **﴿فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا وَعِنَبًا وَقَضْبًا وَزَيْتُونًا وَنَخْلاً وَحَدَائِقَ غُلْبًا وَفَاكِهَةً وَأَبًّا﴾** "سورة عبس، الآيات: ٢٧-٣١".

---

(١) شهر في دمشق ، ص٢٣.
(٢) المرجع السابق، ص٦٧.
(٣) المرجع السابق، انظر ص٢٢، ٧٠، ٢٥، ١١٨.
(٤) المرجع السابق، ص١٢٨.
(٥) من جهاد قلم، محاضرات وبحوث، (كنت في اليمن)، ص٢٩٤.

وفي جولة الشيخ في غرب أمريكا، وقد استقل ورفاقه سفينة إلى (فكتوريا) ومضت بهم بما فيها من ركاب، وشحنات مختلفة قال: (وتمضي بنا السفينة بسم الله مجراها ومرساها)[١]. وهنا اقتباس من قوله تعالى: **﴿وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِاسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾** "سورة هود، الآية ٤١".

أما في كتابه المجاز بين اليمامة والحجاز، فلا يكاد يخلو موضع يجتازه، ويرتحل إليه، من توظيف النص الديني استدلالاً على حدث تاريخي، أو قطوف من السيرة النبوية العطرة، وهي كثيرة يقتضي إيرادها بحثاً منفرداً، إنما نورد بعضها، فعندما اجتاز الشيخ موضع سوق عكاظ، وتحدث عنه ذاكراً ما كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم فيه من أمر الدعوة إلى دين الحق، يقول (ليخوّل الناس بالموعظة ويدعوهم إلى ربهم بالحكمة والموعظة الحسنة)[٢]. والنص اقتباس من قوله تعالى: **﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾** "سورة النحل، الآية ١٢٥".

وتحدث الشيخ عن جبال نجد عندما اجتازها في رحلته بين اليمامة والحجاز، فقال: (طُرّز أديم نجد بجبال تخللت سهولها وسهوبها وأغوارها وأنجادها وتلونت بألوان أجزائها الطبيعية . فهي جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود)[٣]. والوصف اقتبسه الشيخ من قوله تعالى **﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنْ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنْ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ﴾** "سورة فاطر، الآية: ٢٧".

وأشرقت الدعوة السلفية من نجد على يد الشيخ محمد بن عبد الوهاب، عندما كانت الجزيرة العربية تغط في سبات عميق من الجهل، وتتحكم فيها

---

(١) جولة في غرب أمريكا، ص٧٧.

(٢) المجاز بين اليمامة والحجاز، ص٢٤٥.

(٣) المرجع السابق، ص١٢.

التيارات، وتستبد بها القبليات، وتقلصت من عراصاتها معالم الدين، فانطلق من وادي حنيفة بقلب اليمامة صوت يقول (يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره، إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم)(١). وفيه اقتباس من قوله تعالى ﴿**فَقَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ**﴾ "سورة الأعراف، الآية: ٥٩".

ووصف الشيخ ساكني مكة المكرمة، عندما اجتازها في رحلة بين اليمامة والحجاز قال: (هم من الكرم والسماحة في القمة، يطعمون الناس في المحل، ويؤثرون على أنفسهم في المسغبة)(٢). وفيه اقتباس من قوله تعالى ﴿**أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ**﴾ "سورة البلد، الآية: ١٤".

ومن الجانب الاستشهادي بآيات الله في كتابه الكريم، وأحاديث نبيه صلى الله عليه وسلم، فالمواضع كثيرة في كتبه الرحلية جميعها والشيخ يرى في ذلك دعماً وتأكيداً لرؤاه ومضامينه.. ومن ذلك عندما تحدث عن قمة (فليشر) في جولته في غرب أمريكا، وما تحويه من مناظر خلابة، وشلالات أخاذة، وتذكر الشيخ آنذاك الحديث الشريف (فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر)(٣)(٤).

ودائماً ما يضع الشيخ استشهاده بين علامتي تنصيص مع الإشارة إلى أنها من القرآن أو السنة.

وفي المقام نفسه يؤكد رؤاه حول قمة (فليشر) ، فيوجه القارئ إلى الاستشهاد بالآية القرآنية ﴿**فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾ "سورة السجدة، الآية: ١٧"(٥).

---

(١) المجاز بين اليمامة والحجاز، ص٢١.

(٢) المرجع السابق، ص٣١٤.

(٣) أخرجه البخاري ومسلم، انظر: فتح الباري بشرح صحيح البخاري، لابن حجر، ج٨، ص٥١٥.

(٤) جولة في غرب أمريكا، ص٢٩.

(٥) جولة في غرب أمريكا، ص٢٩.

وفي كتابه الرحلي [المجاز بين اليمامة والحجاز] يؤكد الشيخ تلاشي بعض المواقع التي كانت موجودة في الطريق إلى مكة المكرمة، ويتساءل أين تلك المناهل فيورد مستشهداً ﴿**فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلاّ قَلِيلاً وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ**﴾ "سورة القصص، الآية: ٥٨"[١].

وفي وادي وج في مدينة الطائف، عندما اجتازه، ووقف عنده ووصفه أورد حديثاً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك المقام يقول: (وفي الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إن آخر وطأة الله يوم وج"[٢]، وهو الطائف، وأراد بالوطأة هنا الغزوة، وكانت غزاة الطائف آخر غزوات النبي صلى الله عليه وسلم)[٣]. وفي دمشق المسلمة عندما استنكر الشيخ ما رآه وسمعه من مبتدعات في أداء الصلوات المفروضة، وما يعقب كل تسليمه من الابتهالات والتعاويذ والتنطعات، التي لم تكن من التراويح، لا من قبل ولا من بعد، ثم ما يلحق بالأذان الشرعي ما لم يقله بلال ولا أبومحذورة ولا غيرهما من المؤذنين بين يدي من شرع لــه الأذان.

فختم الشيخ استنكاره ناصحاً، بأن تكون جميع الأعمال خالصة لله موافقة لما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم، مستشهداً بقوله تعالى: ﴿**اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلاَ تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلاً مَا تَذَكَّرُونَ**﴾ "سورة الأعراف، الآية: ٣"[٤].

ويستشهد ابن خميس بالقرآن الكريم عندما يمر بآثار مملكة سبأ في بلاد اليمن، ومعبدها الذي أصبحت الرياح تسفو عليه، ويصفه وصفاً دقيقاً، ثم يؤكد قصة بلقيس ومملكتها بقوله تعالى: ﴿**وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِي لاَ أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ**

---

(١) المجاز بين اليمامة والحجاز، ص٢١٠.

(٢) أخرجه الترمذي في سننه، أبواب البر والصلة حديث رقم ١٩٧٥، ج٣/٢١٢.

(٣) المجاز بين اليمامة والحجاز، ص٢٦٥.

(٤) انظر: شهر في دمشق، ص٧٩

كَانَ مِنْ الْغَائِبِينَ لأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ إِنِّي وَجَدتُّ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمْ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنْ السَّبِيلِ فَهُمْ لا يَهْتَدُونَ أَلاَّ يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ اللَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ "سورة النمل، الآيات: ٢٠-٢٦"[١].

وفي موضع آخر تحدث الشيخ عن العارض في بلاد اليمامة؛ في كتابه الرحلي معجم اليمامة، واستدل على موقعه، مؤكداً رؤاه حول ذلك قائلاً: (دل عليه الحديث الشريف عن عبد الله بن زيد قال: (رُفع لرسول الله صلى الله عليه وسلم عارضُ اليمامة فقال للعلاء الحضرمي "انظر الثنايا الأربع، فانظر الثنية اليسرى، فخذها، فبلغ عني")[٢][٣].

وختاماً أرى أن شواهد الشيخ، واقتباساته من القرآن والسنة، مثبتة في أماكنها الملائمة دون تكلف.

هـ- توظيف النصوص الشعرية والنثرية:

الشعر:

بلغ الاستشهاد الشعري عند الشيخ ابن خميس مبلغاً عالياً، يصعب حصره وتتبعه وذلك راجع إلى محفوظه الضخم من ذلك النوع من الإبداع اللغوي، ففي كتابه [المجاز بين اليمامة والحجاز] بلغ الاستشهاد الشعري ما يزيد على الألف بيت من الشعر ومثلها في كتابه [معجم اليمامة].

---

(١) من جهاد قلم محاضرات وبحوث (كنت في اليمن)، ص٥٩٥.

(٢) الحديث لم أقف عليه في مظانه من كتب الحديث بعد التتبع والاستقراء.

(٣) معجم اليمامة، ج١، ص٣٢.

وفي رحلته إلى اليمن أربعة وسبعون بيتاً (٧٤) ، وفي الشهر الذي رحل فيه إلى دمشق أربعة وستون بيتاً (٦٤) ، وكان لجولة الشيخ في غرب أمريكا النصيب الأقل في الاستشهاد الشعري، فعدد الأبيات في ذلك الكتاب خمسة وعشرون بيتاً (٢٥) ، والدافع البارز أمامنا، هو أن الشيخ يريد تعضيد أفكاره بالشواهد الشعرية؛ تقوية لها، أما تضمين الشعر خلال السياق، فهو لون بلاغي، امتطى الشيخ ابن خميس خيوله، وقادها قيادة حكيمة في مواضعها، جميلة في سياقها، والتضمين في البديع العربي أن يضمن لشاعر شعره أو نثره بيتاً من شعر غيره، مع التصريح بذلك إن لم يكن البيت معروفاً للبلغاء[١].

فمن تلك القيادة الحسنة عند الشيخ ابن خميس لذلك اللون البلاغي، ما ورد في كتابه الرحلي [شهر في دمشق] عندما كان ممتطياً الطائرة وسيلته الرحلية في طريقه إلى دمشق، وكانت لــه إطلالة من النافذة فرأى معالم بلاده، وصحاريها فقال (ظللت أشاهد الفضاء الواسع، والبيد المترامية الأطراف، من نافذة الطائرة، إذا مضى علم منها بدا علم كما يقول المتنبي)[٢][٣].

وفي قصيدته في طود اليمامة (طويق) ، والتي أوردها عندما اجتاز ذلك الموضع في رحلته بين اليمامة والحجاز ضمّن الشيخ ما قاله الشاعر عمرو بن كلثوم التغلبي الجاهلي في ذلك الشموخ نفسه (وفي طريقي إليها بدأ لي طودها الأشم طويق فقلت من قصيدته:

يا جاثماً بالكبرياء تسربلا   هلاّ ابتغيت مدى الزمان تحولا
شاب الغراب وأنت جلد يافع   ما ضعضعت منك الحوادث كاهلا

---

(١) معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، ص١٠٨.

(٢) شهر في دمشق، ص٢٣.

(٣) تضمين من شطر بيت لأبي الطيب المتنبي، انظر: ديوان أبي الطيب، ومنه:

إذا مضى علم منها بدا علم   وإن بدا علم منها مضى علمُ ص٤٢١.

إلى أن يقول[١].

وأراك معتدل المناكب سامقاً   تبدو بك الشم الرعان مواثلا
وكأن عمراً خالها إذا أعرضت   مثل السيوف المصلتات نواصلا

وفي البيت السابق تضمين لمعنى بيت الشاعر عمرو بن كلثوم التغلبي الجاهلي عندما قال في معلقته الشهيرة:

فأعرضت اليمامة واشمخرت   كأسياف بأيدي مصلتينا[٢]

وموقف رحلي آخر عندما جال الشيخ في غرب أمريكا، وخرج منها برؤاه وانطباعاته عن ذلك الكيان الذي يأبى إلا أن يحافظ على سلطته وهيمنته، بواسطة قوته الحربية على الرغم من أنه مدين بأربعة آلاف بليون دولار، وأن ذلك الكيان حائر كيف يسد تلك الديون، وبين فروض الضرائب، ويختم الشيخ مضمناً (وكلتا الحالتين أحلاهما مر)[٣]. وهذه العبارة تضمين من قول الشاعر أبي فراس الحمداني:

وقال أُصَيحابي "الفرار أو الردى"   فقلت هما أمران أحلاهما مرُّ[٤]

(١) المجاز بين اليمامة والحجاز، ص١٧.
(٢) انظر: ديوان عمرو بن كلثوم التغلبي؛ تحقيق أميل بديع يعقوب.ـ بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤١١هـ، ص٦٤
(٣) انظر: جولة في غرب أمريكا، ص٩٣.
(٤) ديوان أبي فراس الحمداني؛ رواية أبي عبد الله الحسين بن خالويه.ـ بيروت: ط دار صادر، د.ت، ص٩٩.

وفي معرض آخر أوضح ابن خميس رؤيته للتمثل بالأخلاق الفاضلة من المتعلمين وغيرهم، ويقرن الرقي والتقدم ليس بالعلم وحده إنما بالأخلاق وتقدير المسئولية، فيضمن كلامه ورؤيته البيت التالي:

فالعلم (لا تجني البلاد ثماره) ما لم يتوج ربه بخلاق(١)

وفيه تضمين لأجزاء من بيت الشاعر حافظ إبراهيم:

ولا تحسبن العلم ينفع وحده ما لم يتوجه ربه بخلاق(٢)

النثر:

وكان للشيخ باع آخر في الاستشهاد بالنصوص النثرية، فنراه يوردها مؤكداً مضامينه الرحلية حول أماكن ترحاله، وما حدث فيها من أخبار وآثار؛ ففي رحلته بين اليمامة والحجاز، وهو يتحدث عن عرفات وقد اجتازها، ووقف فيها، فأورد النص النثري لخطبة الرسول صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع(٣).

وفي موقع آخر عندما وقف في موقع سوق عكاظ، مستشعراً مآثر ذلك السوق، وماضيه الأدبي والاجتماعي والثقافي، نراه يورد نص خطبة قس بن ساعدة في الجاهلية(٤).

وفي رحلته إلى بلاد اليمن عندما وقف على قصر غمدان، أورد نصاً نثرياً للهمداني يصف فيه ذلك القصر وماضيه العريق(٥).

---

(١) شهر في دمشق، ص١٤٩.

(٢) البيت للشاعر المصري حافظ إبراهيم، انظر: ديوان حافظ إبراهيم؛ ضبطه، وصححه، وشرحه أحمد أمين، أحمد الزين، إبراهيم الأبياري.ـ بيروت: ط دار إحياء التراث العربي، ١٩٦٩م، ١/٧٩.

(٣) انظر: المجاز بين اليمامة والحجاز، ص٢٩٣.

(٤) المرجع السابق، ص٢٤٤.

(٥) انظر: من جهاد قلم محاضرات وبحوث (كنت في اليمن)، ص٢٨٩.

أما جولة الشيخ في غرب أمريكا فقد ضمنها أيضاً ما أورده المفكر المسيحي جان ميلك (آرثر) في سلسلة مقالاته، ومنها ما تنبأ به من مستقبل أمريكا فوصفها بالبربرية والوحشية والإباحية، وقال المفكر المسيحي (إن دعواها الديموقراطية والغيرة على المبادئ والمثل، لهو كذب وزور وافتراء، فهلا أصلحت نفسها وعملت على تقويم وضعها ... إلخ)[١].

ونص نثري آخر يورده الشيخ لعالم ياباني وهو قوله: (إنه سوف يقضي عليها ـ يقصد أمريكا ـ ثلاث عناصر رئيسية تنخر في جسمها المخدرات، والجريمة والإيدز ويتبعه الفقر والبطالة والمافيا والديون ...)[٢].

ويستشهد الشيخ على جمال غوطة دمشق عندما تحدث عنها في رحلته إلى دمشق بنص نثري بديع للأديب السوري محمد كرد علي[٣]، ومنه (أتى لي في الغوطة ٦٧ سنة تسلمني الطفولة إلى الشباب والشباب إلى الكهولة والكهولة إلى الشيخوخة، ولا قيت ربيعها وصيفها وخريفها وشتاءها، وما لقيت منها إلا نضرة وسروراً، أنعشني هواؤها وأدهشتني أرضها وسماؤها...)[٤].

وفي كتابه [المجاز بين اليمامة والحجاز] يورد الشيخ فرائد وشوارد، ترقص المستمعين، وتهز الرواة، نراه يستشهد بنص نثري للدكتور عبد الوهاب عزام من كتابه مهد العرب يقول: (نجد الفيحاء الخضراء، ذات الأودية والمروج والقرى والحدائق، وذات الجبال والسهول والمدر[٥] والوبر ... الخ)[٦].

---

(١) انظر: جولة في غرب أمريكا، ص٩٤.
(٢) المرجع السابق، ص٩٤.
(٣) محمد كرد علي: سبقت ترجمته.
(٤) شهر في دمشق، ص٦٨.
(٥) المدر: قطع الطين اليابس، انظر: لسان العرب ١٦٢/٥، وتطلق مجازاً على الحضر [سكان القرى والمدن].
(٦) المجاز بين اليمامة والحجاز، ص٣٩٢.

وفي كتابه الرحلي [معجم اليمامة] عندما تحدث عن الخفس وما بها من العشب والمباهج البرية، أورد شاهداً نثرياً في كتاب رحلة الربيع لفؤاد شاكر الذي كان في صحبة الملك عبد العزيز في الخفس، وقال: (إن الكتاب صدّره الكاتب الكبير عباس العقاد، وأنه يقع في ٢٥٠ صفحة فيه وصف للخفس، ولياليه ومجالس الأدب ومطارحات الشعر ومساجلاته ومسامراته، وفيه حوليات وتحيات ولقطات من وحي الخفس، ورياضه)[١].

الحكم والأمثال:

وتأتي العبارات النثرية من الحكم والأمثال في سياقات الخطاب الرحلي عند الشيخ ابن خميس، وكأنها تنقاد لـــه في مواقفها وأماكنها دون البحث عنها، أو تكلّفها، ومن ذلك ما ذكره الشيخ في رحلته إلى دمشق عندما أورد موقفاً لـــه مع موظف البريد (كان يظن أنني سأقيم الدنيا وأقعدها، لأنتصر لنفسي، وما علم أنني قاصدٌ إلى مركز آخر من مراكز البريد، لأودع فيه الكتاب، وكفى فلن يصلح العطار ما أفسد الدهر)[٢].

والمثل مأخوذ من قول الشاعر:

تروح إلى العطار تبغي شبابها وهل يصلح العطار ما أفسد الدهر[٣]

وفي زيارته للمجمع العلمي بدمشق، عندما لم يحظ الشيخ بلقاء رئيس المجمع قال: (أما الزيارة الثانية فكان نصيبي منها نصيب حنين)[٤]. وفيه تضمين من المثل العربي (رجع بخفي حنين)[٥].

---

(١) المرجع السابق، ج١، ص٣٢٩.

(٢) انظر: شهر في دمشق، ص٣٠.

(٣) البيت ذكره ابن خميس في الشوارد ونسبه لأعرابي، انظر: الشوارد ٢٣٤/١.

(٤) شهر في دمشق، ص٤٧.

(٥) انظر: مجمع الأمثال للميداني، ج١، ص٢٩٦.

وتحدث الشيخ عن واقع الأدب في البلدان العربية، وأن منهم من يتخذ الأدب تكأة للاكتساب وسلماً للشهرة فيملأون أعمدة الصحف بالبحوث والمناقشات، يقول الشيخ (ويثيرون جعجعة كبيرة، ولكنها سحابة صيف عن قليل تقشع)[١]. والشيخ هنا ضمن حديثه المثل العربي (سحابة صيف عن قليل تقشع) ويضرب في انقضاء الشيء بسرعة[٢].

وفي رحلة الشيخ بين اليمامة والحجاز، أضفى أوصافاً على مواقعه الرحلية، والتي تغلغل عشقها في نفسه فقال: (ما أجمل هذه الأرض، وما أجمل أعلامها؛ هضاباً وجبالاً وبراثاً وأبارق وعبالاً) إلى أن يتم أوصافه لتلك البقعة فيقول (مع رفقة لا يمل نديمهم، ولا ريبة في صحبتهم، يتساقطون نفحات الأدب عند من هذه هوايته، وللناس فيما يعشون مذاهب في هذه الأرض ومن يسكنها) [٣][٤].

وفي موقف آخر يتمثل الشيخ مستشهداً على ما سمعه من رئيس ديوان المجمع العلمي بدمشق في حوار معه، من أنّ المجمع إذا أراد من جهة ما من الأقطار العربية نسخ مخطوطة أو تصويرها بالأجرة، فإن الأمر يطول دون تحقيق ذلك، وأحياناً لا يتم الموضوع مطلقاً.

فيرد عليه الشيخ مستنكراً متمثلاً (شنشنة نعرفها مِنْ أخزم)[٥]. ويضرب المثل في قرب الشبه، وأخزم ابن لأبي أخزم الطائي، وكان عاقاً فمات وترك بنين، فوثبوا يوماً على جدهم فأدموه فقال:

---

(١) شهر في دمشق، ص١١٧.

(٢) مجمع الأمثال للميداني، ج١، ص٣٤٤.

(٣) المجاز بين اليمامة والحجاز، ص١٨٢.

(٤) المثل من قول الشاعر أبي فراس الحمداني:

فمن مذهبي حب الديار لأهلها   وللناس فيما يعشقون مذاهب

انظر: الشوارد، عبد الله ابن خميس، ١/٤٨.

(٥) شهر في دمشق، ص٤٨.

إنّ بني ضرجوني بالدم شنشنة أعرفها مِنْ أَخزم

فذهبت مثلاً[١].

ومن الحكمة قوله في معرض كلامه عن كاليفورنيا الولاية الأمريكية، والتي اشترتها أمريكا من المكسيك بالدراهم، ويرى الشيخ أنها صفقة مغبونة أن تباع تلك الجنان بالدراهم، ويختم ويضمن السياق حكمة بليغة (ولكن الجد يأرز إلى أهله)[٢]. وجميع ما ذكرناه هو انعكاس لثقافة الشيخ الواسعة، وقراءاته المتنوعة.

و- أسلوب الحوار:

الحوار أبرز الأدوات المستخدمة فنياً في القصة والمسرحية[٣]، وابن خميس يوظف الحوار في أدب الرحلات توظيفاً فنياً، ومن وظائف الحوار تسهيل إجراء المناقشات بين شخصية الشيخ والشخصيات الأخرى.

وقد أورد بعض الحوارات في كتابه الرحلي [شهر في دمشق]؛ ليستثمر بعض الأحداث، ويوظفها؛ لتخدم أفكاره ومضامينه، ويكشف بها عن رأيه في بعض المظاهر الحضارية، وفي بعض الشخصيات التي التقى بها أثناء رحلته، فللحوار عنده وظيفة عليا هي التعبير عن آراء الكاتب ومن ذلك ما دار بين ابن خميس، وبين رئيس ديوان المجمع العلمي في دمشق؛ الأستاذ يّس الخانجي حول مهام، ونشاطات المجمع:

سؤال: في أي شيء تتلخص رسالة المجمع؟

---

(١) انظر: مجمع الأمثال، الميداني، ج١، ص٣٦١.

(٢) جولة في غرب أمريكا، ص٤١.

(٣) انظر: فن القصة. محمد يوسف نجم.ـ ط١٠.ـ بيروت: دار الثقافة، ١٩٨٩م، ص١١٧.

جواب: غاية المجمع العمل على إحياء تراث العرب في العلوم والآداب، والبحث في علوم اللغة العربية، كي تتسع للعلوم والفنون والمخترعات الحديثة، والبحث في تاريخ العرب وآثارهم.

سؤال: كم هي ميزانية المجمع؟

جواب: تتراوح بين ١٥٠-١٧٥ ألف ليرة سورية، إلى آخر ما دار في ذلك الحوار الطويل، والذي استغرق أكثر من سبع صفحات من الكتاب[١].

وحوار آخر كان للشيخ مع طه حسين حينما زار الجامعة السورية وكان الشيخ في دمشق آنذاك، وقد وجه لــه الشيخ جملة من الأسئلة الحوارية منها:

سؤال: في زيارتكم للمملكة العربية السعودية لابد أنكم أخذتم فكرة عنها من الناحية الأدبية، فهل تعتقدون أنها سائرة في طريق سوي سيصل بها إلى أدب عالٍ، يعيد به التاريخ نفسه؟

جواب: لا شك أنني مغتبط ومتفائل بما لمسته هنالك من نهضة أدبية يرجى منها خير كثير، فلقد سمعت ما أثلج صدري، وارتحتُ لــه تمام الارتياح، سمعت شعراً حياً قوياً، إن طابعه الجميل الشيق يتمثل في شعر الأستاذ القرشي، وسمعت أدباً حياً متحفزاً ... الخ"[٢].

وحوار آخر دار بين الشيخ، وبين (فوزي الخوري) مسئول قسم الشرق الأوسط في مكتبة جامعة (سياتل) في أمريكا[٣]؛ لمسنا من الحوار اعتزاز الشيخ بوجود بعض مؤلفاته ضمن القسم العربي.

---

(١) انظر: شهر في دمشق، ٤٧.

(٢) المرجع السابق، ص١١٢.

(٣) المرجع السابق، ص٥٨.

وفي رحلة الشيخ ابن خميس إلى بلاد اليمن دار حوار قصير بينه وبين موظفي الحدود السعودية واليمنية تبين من خلاله انتقاد الشيخ لبعض المواقف، والتصرفات من قبل أولئك[١].

٥- المعجم اللفظي:

ويقصد بذلك اختيار الكلمات ونوعية المفردات في العمل الأدبي، والذي يتمثل في أدب الرحلات عند عبد الله ابن خميس، ويذكر أحمد الشايب أن الكلمات والألفاظ لها خواص متباينة كثيرة، وذكر منها عاميتها وفصاحتها وشيوعها وندرتها وجفافها ورقتها، ونحو ذلك[٢].

ويكتب الشيخ بلغة أدبية راقية، تذكرنا بأصالة ونصاعة اللفظ العربي، وتذكرنا أيضاً بأولئك الرعيل الأول من الكتاب المبرزين، أمثال الجاحظ، وابن المقفع، والتوحيدي، والحريري، ورعيل المحدثين أمثال الزيات، والرافعي.

والمعجم اللفظي عند ابن خميس واسع وثري؛ لأنه يزخر بألفاظ ثرة من القرآن الكريم، وبعض ألفاظ الحديث الشريف، والكثير جداً من ألفاظ النصوص الشعرية القديمة.

وكأني به وهو يكتب يرغب في إلحاح إلى إثراء قاموسه اللفظي، وإحياء الفصيح من الكلمات العربية الموجودة في كتب التراث، والمعاجم اللغوية، ودواوين الشعر القديم، وكتب الأمثال.. واستخدامه لتلك الألفاظ يأتي عفواً دون قصد، لكثرة مخزونه ومحفوظه اللغوي، وتبعاً لما يتطلبه أدب الرحلات من اللقاء بفئات مختلفة من البشر، ليسوا جميعهم أدباء، فإن اللهجة المحكية ترد في السياق الرحلي مما كتبه وإن كانت شوارد قليلة، ويدخل في اللغة المحكية إيراده

---

(١) من جهاد قلم، محاضرات وبحوث، (كنت في اليمن)، ص٣٠٠.

(٢) انظـر: الأسلوب، أحمد الشايب.ـ ط٧.ـ القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م، ص١٥٧.

اللفظ الأجنبي، وفق ما يقتضيه الخطاب في الرحلة، والمستوى الاجتماعي والثقافي لشخصيات الرحلة، وينـــزع إلى اللفظ الفصيح الجزل، ويرفع بذلك أسلوبه إلى صفة الإثراء والإمتاع، وقد يكون الشيخ محباً للموسيقى الصوتية في ألفاظه، ينثرها في ثنايا خطابه الرحلي باعتدال وانتظام، ودائماً يسعى في أدبه الرحلي إلى المواءمة بين اللفظ والمعنى والترادف، لتأكيد أفكاره.

وختاماً فإن الاطلاع التراثي الواسع عند ابن خميس، ومداومته القراءة في المعاجم، وأمهات كتب اللغة والأدب والتفاسير، والشروح اللغوية والشرعية، مكنته من الألفاظ الفصيحة المنتقاة، وأسعفته القواميس، وإطالة النظر فيها، وفي الجيد من أشعار العرب إلى سليقة لغوية ثرية، وقبل ذلك كله حفظه لكتاب الله ومداومته لتلاوته، ومحفوظه من الحديث الشريف.

بعض ما تضمنه المعجم اللفظي عند الشيخ ابن خميس:

منها ما أشار إليه في رحلته بين اليمامة والحجاز من وصف للكثبان الرملية من ناحية الوشم يقول (يبدو لنا من الناحية الشمالية كثيبان عاليان (متناوحان)[١][٢].

ولوحة نثرية أخرى تزخر بالألفاظ العربية المتأصلة في قاموسها، ومعانيها، لابد للقارئ عند سبر معناها من الرجوع إلى المعاجم العربية الأصيلة، يقول: (ما أجمل هذه الأرض وما أجمل أعلامها، هضاباً وجبالاً وبراثاً وأبارق وعبالاً، سقيا لهم فالعيش فيها خضل، حينما يختلف نوّارها، وتصدح أطيارها، ويفوح عَرْفها وتُسْحِر صباها تداعب شيحها وخزامها، إذا أقمرت لياليها، وأزينت بالنبت روابيها، وكنتَ منها في جرعاء مغدقة، وقودك الرمث ... إلخ).

---

(١) انظـــر: المجـــاز بين اليمامة والحجاز، ص٦١، وانظر: لسان العرب مادة نوح/ التناوح التقابل ٢/٦٢٧.

(٢) المرجع السابق، ص٦١.

ننظر إلى الألفاظ: براثاً وأبارق وعبالاً، خضل، نوَّارها، عَرْفها، شيِحها، خُزامها، جرعاء مغدقة، الرمث.

ألفاظ تضفي على الوصف ثوباً من الأصالة والعمق، ولو نظرنا إلى معانيها في المعاجم لتسابقت إلينا شخصيات أولئك العرب الأقحاح القدماء:

براثاً : الجبل من الرمل سهل التراب لينه.

أبارق : أرض غليظة مختلفة الحجارة.

عبالاً : المكان ذو الحجارة البيض.

خضل : النعمة والري

شيحها : نبات سهلي يُتخَذْ من بعضه الدواء.

خزامها : نبت طيب الريح.

مغدقة : أي كثير الماء.

الرمث : شجر يشبه الغضا لا يطول وورقه منبسط[1][2].

وعندما اجتاز الشيخ موقع الطائف وأخذ واصفاً مستغرقاً في وصف بديع يقول: (فهو ينداح على منسبط من الأرض، ووجدت أودية تنساب بين السهوب والروابي...)[3]. ننظر إلى الفعل ينداح وإلى كلمة السهوب.

في أعلى جبل كرا في رحلته بين اليمامة والحجاز يقول (وهي أعلى جبل كرا وبها نكون قد اقتعدنا من السراة سنامها، وهذه هي "سراة الطائف" إحدى السروات الكثيرة من هذه السلسلة الجبلية العظيمة، التي تقبل من أقاصي اليمن وتمضي عبر بلاد الشام، تنحسر السحب دون قممها، ويضل الخرِّيت في هضابها

(١) انظر: المجاز بين اليمامة والحجاز، ص١٨٢.

(٢) انظـــر: لسان العرب مادة برث ١١٥/٢، مادة برق ١٦/١٠، مادة عبل ٤٢١/١١، مادة خضـــل ٢٠٨/١١، مادة خزم ١٧٦/١٢، مادة رمث ١٥٥/٢، مادة شيح ٥٠٢/٢، مادة غدق ٢٨٢/١٠.

(٣) انظر: المجاز بين اليمامة والحجاز، ص٢٥٥

وشعابها..) ويواصل وصفه إلى أن يقول (تولد منها ألوف الأكيال من الكهرباء لتغطي حاجة المناطق، ويواشج بين سهلها وجبلها شبكة من الخطوط المعبدة)[١].

انظر إلى (اقتعدنا، تنحسر، الخريت، يواشج)، جميع تلك الألفاظ لابد لها من قاموس لاستيضاح معناها إلا من حاذق لغوي ومتأصل عربي.

وفي الموقع نفسه يصف المنحدر السحيق لقمة الجبل فيقول: (يمور الغمام بينك وبين نهايته، وينعقد الدخان بينك وبين أديم الأرض).

ننظر إلى يمور، الغمام، أديم[٢].

وقاموس لفظي آخر نراه وهو يصف الأماكن المقدسة، ومناسك الحج: (كم شاهدت هذه الأعلام من أمم كانت فبانت؛ غصت بهم الفجاج شعثاً غبراً) إلى أن يقول: (رمت بهم الديار والبحار، تستّن بهم القلائص والجواري على أثباج اليم، ومتون الأرض)[٣].

للنظر إلى الألفاظ الواردة في النص: (أثباج، متون، اليم، تستن، شعثاً، غبراً). ألفاظ مأخوذة من التراث العربي القديم تمتلئ بثراء العربية، وغزارة معانيها.

وفي كتابه الرحلي [معجم اليمامة] بحور زاخرة من الألفاظ، والمترادفات العالية المنشأ الأصيلة في الطرح والمعنى، يقول: (أما شاعر الحوطة بل شاعر نجد الأول؛ فهو الشاعر الفحل محمد بن عبد الله بن عثيمين؛ صاحب القصائد الرنانة، والمراثي والمدائح، المدرة، الذي نقل الشعر من النظم البارد، إلى المعاناة الممجوجة، إلى حيث صفاء الأسلوب، وحلاوة اللفظ، ورقة الديباجة، وجزالة المأخذ، وعلو المنهج، لـــه نفحات مرقصة، وإلهامات مبدعة، وخواطر متأنقة...)[٤].

---

(١) انظر: المجاز بين اليمامة والحجاز ، ص٢٧٥

(٢) انظر: المجاز بين اليمامة والحجاز، ص٢٧٨.

(٣) المرجع السابق، ص٢٩٣.

(٤) معجم اليمامة، ج١، ص٣٥٦.

ننظر إلى الألفاظ: المدرة، الممجوجة، الديباجة، علو المنهج، نفحات مرقصة، إلهامات مبدعة، وخواطر متأنقة.

وفي موضع آخر من الكتاب نراه يستخدم كلمات لابد لفهمها من الورود على معاجم اللغة، يقول: (وهو ماء لَبِجٌ لا يشرب إلا عند الضرورة)[١]. ننظر إلى لفظة (لبج) ومعناها : الإعياء والمرض[٢].

وفي مذكرات الشيخ غير المنشورة، عندما يتحدث عن الموقف الذي تعرض لـــه في الطائرة عندما كان راجعاً من أبها، نراه يورد ألفاظاً توحي بمواقف الخوف والخطر يقول: (ولما أقبلنا على بيشة، وإذا بعارض كثيف من السحاب المرتكم، يملأ الأفق من الغرب إلى الشرق، لا أرى له طرفاً، وكان سحاباً كثيفاً أرى البرق يشتعل فيه من كل ناحية، ونحن لا نزال قبيل الغروب، فأخذت الطائرة تأز أزيزاً منكراً، وبدأت تضطرب، وتعلو، وتسفل، وتتأرجح، وكلما زاد تقدمها، زاد اضطرابها، وأصبحنا في شعلة ملتهبة من البروق، وأصبحت الصواعق تتجاوب من فوق رؤوسنا، وكلما انطلقت صاعقة هوت الطائرة بنا حتى قلت أنها القاضية، ولكنها ترتفع لتسد أحشاؤنا حناجرنا وإذا مالت ذات اليمين، وذات الشمال، قلنا إنها انكفأت بنا..)[٣].

ننظر إلى الألفاظ: (عارض، كثيف، سحاب، مرتكم، تئز، تضطرب، تعلو، تسفل، تتأرجح، اضطراب، الصواعق، تتجاوب، القاضية، أحشاؤنا، مالت ذات اليمين وذات الشمال، انكفأت).

وللشيخ ابن خميس في مذكراته غير المنشورة، عندما رحل إلى دحل من دحول الصمان ونزل جوف الدحل، وانحدر فيه نراه يصف المشهد موظفاً ألفاظاً

(١) معجم اليمامة، ج٢، ص٤٦٣.

(٢) انظر: لسان العرب، مادة لبج ٢/٣٥٢.

(٣) من مذكرات الشيخ غير المنشورة. شئون وشجون من واقع حياتي، ص٥٨.

توحي بموقف الضيق الذي مر عليه، وما تعرض له من الإيذاء النفسي، والبدني. يقول (نزلنا في جوف الدحل ثم، نلج في مضبة ممر ضيق، لتفضي إلى بئر ننحدر فيه، كل ذلك ونحن نمضي في ظلام دامس، في مضبة ضيقة بها نتوءات من الحجارة الحادة، ويمضي صاحبي، ويتعلق بشنظور من تلك الشناظير، فيمزعها..)[١].

ننظر إلى الألفاظ: الدحل، مضبة، نفضي، دامس، نتوءات، شنظور... وهكذا.

وفي موقع آخر في جولته في غرب أمريكا عندما وصف متنزه قوس السلام قال: رسم علم كندا على تبة[٢] مواجهة)[٣].

ونجده يلجأ إلى تأكيد اللفظ في مضامينه الرحلية التي تتأصل في داخله؛ إيماناً بأمر أو موضوع، يريد طرحه للقارئ.

فعندما تحدث في جولته في الغرب الأمريكي عن التفرقة العنصرية بين الزنوج السود وبين البيض في ذلك المجتمع، نراه يقول: (وهكذا لم تستطع أمريكا بقوتها، وقضها وقضيضها القضاء على الفتنة، وسببها العنصرية)[٤].

انظر إلى قضها، وقضيضها، ومعناهما: أي جميعهم ولم يَدَعُوا وراءهم شيئاً[٥].

ويلجأ الشيخ إلى أفعل التفضيل في مواقف إيمانية، يعبر فيها عن قدرة الله عز وجل، وعظمة مخلوقاته، وقدرته يقول: (تقف وأن تمد طرفك نحو هذه

---

(١) المرجع السابق، انظر: لسان العرب، ص٢٩.

(٢) جولة في الغرب الأمريكي، ص٦٥.

(٣) تبة: المكان المستوي، انظر: لسان العرب، مادة تبب ٢٢٧/١.

(٤) جولة في غرب أمريكا، ص١٦.

(٥) انظر: لسان العرب، مادة قضض ٢٢١/٧.

المناظر البديعة، وأن تغمض عينيك على هذا الحلم ينداح أمامك فتقول: الله أعظم وأجل فهي من بديع صنع الخالق جلا وعلا).

انظر: أعظم، وأجل[١].

وفي مواقف أخرى عندما تقوده رؤاه إلى المقارنة بين أماكن الرحلة ويريد إبراز بعضها على بعض.

يقول واصفاً ولاية كاليفورنيا (هذه الولاية من خمسين ولاية أمريكية لكنها أوسعها وأجملها وأكملها وأغناها وأحلاها)[٢].

نتأمل الألفاظ: أوسعها، أجملها، أكملها، أغناها، أحلاها.

وعادة ما تنقاد الألفاظ المليئة بالحركة إلى جعبة ابن خميس لتصوير مشاهد مثيرة مر بها.

يقول في وصف بركان (كريتر) في جولته في غرب أمريكا: (كانت جبلاً عالياً، وقد انفجر بركاناً ملتهباً، تناثرت تربته حمماً حوله، وشكّل مكانه حفرة عميقة جداً، فسرعان ما انهال عليها الماء من الثلوج التي تحف بها)[٣].

نتأمل الألفاظ: (انفجر، بركان، ملتهب، تناثرت، حمماً، انهال، وهكذا)...

ويسوق ألفاظه إلى التكرار، للتأكيد على بعض أفكاره، وإبرازها إلى حيز التنفيذ والاقتداء.

يقول وهو في لقائه مع الطلبة السعوديين في سياتل، عندما وجه لهم كلمة توجيهية فيها قوله: (وعدم الاغترار لمظاهر الحياة التي يرونها حولهم، فهي كلها قشور واللباب كل اللباب في الالتزام بالإسلام، وآدابه وأخلاقه)[٤].

---

(١) جولة في غرب أ مريكا، ص٣٠.

(٢) المرجع السابق، ص٤١.

(٣) جولة في غرب أمريكا، ص٤٥.

(٤) جولة في غرب أمريكا، ص٥٣.

انظر إلى التكرار في قوله: اللباب كل اللباب.

كما ويلجأ إلى السجع اللفظي؛ للتأكيد على مشهد شد انتباهه، وآثار إعجابه.

يقول عندما زار مصنع طائرات الجامبو في أمريكا (خلية تمور بالعاملين، وتستوقف المشاهدين، وتشد المطلعين)(١).

نتأمل السجع بين العاملين، المشاهدين، المطلعين.

وسجعات أخرى نراها وهو يصف حدائق (بوتشارت) أثناء جولته في الغرب الأمريكي، يقول في معرض وصفه: (تنقلك إلى عالم الزهر ونفحات العصر)(٢).

نتأمل السجع بين لفظي الزهر، العصر.

ويقول في المقام نفسه: (النوافير الطافحة والرشاشات السابحة، والشلالات المتناوحة)(٣).

ويرد الجناس اللفظي في سياقات الشيخ؛ لتأكيد رؤية أو إبداء الإعجاب بموقف أو منظر، يقول: (ورغم أنها كانت متعبة لمواصلة السير والسرى؛ إلا أنها لذيذة)(٤).

جناس لفظي ناقص بين السير والسرى.

وألفاظ الجموع عنده أبرز لعلو شأن الموقع الرحلي الذي يراه فهو مجموعة من الرؤى والمشاعر والأحاسيس، يحتضنها ذلك المشهد.

انظر إليه في رحلته إلى بلاد اليمن، وهو يقف واصفاً قراها: تعز، وذمار، وغيرهما: (نمر بعشرات القرى أكثرها في شعاف الجبال، وأحضان الهضاب،

---

(١) جولة في غرب أمريكا، ص٦٢.

(٢) المرجع السابق، ص٨٢.

(٣) المرجع السابق، ص٨٢.

(٤) المرجع السابق، ص٨١.

ومنبسطات السهول، ويعلو بنا الطريق شوامخ جبال إب وما بعدها، ونعجب من تلك الطرق التي تخللتها وقهرتها، وجعلت منها منافذ ومعابر)[١].

نرصد ما ورد في القطعة النثرية السابقة من الجموع: شعاف، جبال، أحضان، هضاب، منسبطات، سهول، شوامخ، منافذ، معابر.

ولعل ابن خميس في رحلته إلى دمشق يتعامل مع ألفاظ الكتّاب والكتابة مستنكراً ومشيداً.

يتحدث عن العزوف عن الشعر؛ إلا من أجل التكسب نتيجة لانشغال الناس بالوظائف والأعمال، يقول: (انطلقت أقلام كان أهلها أشحة بانطلاقها، فتألف من ذلك مجلد ضخم، طبع وقريء، ثم نضبت القرائح، وخفتت الأصوات، وجفت الأقلام، وطويت الصحف)[٢].

انظر إلى الألفاظ: نضبت، القرائح، أشحة، جفت، الأقلام، الصحف.

ويواصل الحديث عن الكتابة فيورد ألفاظها متوالية، يقول: (وهذا هو الذي جعل عصرنا خلواً من عباقرة الشعراء وأساطين الكتاب، تنكص إلى الوراء ..) إلى أن يقول: (وهذا هو الذي جعل الأمم الغربية، والشرقية تبزنا) إلى أن يقول: (ولكنهم آثروا الانزواء، واستأثرت بهم الوظائف، فخرست الأصوات المجلجلة، والأقلام الجريئة الحرة)[٣].

ومن خلال النص السابق رصد الشيخ ألفاظ الكتّاب والكاتبين ناقداً: عباقرة الشعراء، أساطين الكتاب، تبزنا، تنكص، الانزواء، فخرست، المجلجلة، الأقلام، الجريئة.

ويتحدث عن القضية الفلسطينية، نازعاً نحو الألفاظ الموجعة، التي تثير الحماس والغيرة الدينية، والوطنية مستثيراً همم الكتاب للتعبير عن تلك القضية، يقول: (لا تزال الجذوة تتغلغل في أعماق الأمة العربية، بل قد مُنيت الأمة العربية

---

(١) من جهاد قلم، محاضرات وبحوث، (كنت في اليمن)، ص٢٩٨.

(٢) شهر في دمشق، ص١١٨.

(٣) انظر: شهر في دمشق، ص١١٨.

برزء لم تمن به منذ أن وجد العربي على ظهر الأرض، مما يجعل الأجيال القادمة تغض طرفها، وتطأطئ خجلاً مما اقترفه سلفها في بلادهم الشهيدة فلسطين، إن في قضية فلسطين إبساساً للقريحة الشحيحة، مما يجعلها تتأجج ناراً حامية، تستنفر الزمن، وتجري الجبان..)[١].

ننظر ونتأمل: جذوة، تتغلغل، رزء، تطأطئ، الشهيدة، إبساساً، تتأجج، تستنفر، وهكذا.

وحين ينعي ابن خميس على الكتاب تراجعهم عن الكتابة، نراه يستخدم ألفاظاً توحي بالتراجع، والخنوع والاختفاء، فيقول: (ولكنه قبع بعد ذلك، وانزوى ولم تعد تسمع لـــه ركزاً، خاصة بعد استلامه الوظيفة)[٢].

رصد يتبين القارئ من خلاله موقف أولئك الكتاب والشعراء في دمشق. (قبع، انزوى، لم تسمع له ركزاً).

وتحدث عن الشئون الاجتماعية في دمشق، فانتشرت ألفاظ التواصل الاجتماعي، وآفاقه، وأمراض المجتمع، وما يحيط به من مظاهر الترابط والتفكك وغيرها.

يقول: (بذلت شعوب العالم قصارى جهودها في إيجاد مواطن صالح يشاركها العمل، ويبعدها عن غائلة الفقر والمرض والجهل، ويظهر مجتمعها أمام السائحين الأجانب مظهر العزة والكرامة، ويدرأ عنها مظهر الذل والاستخذاء والتسول، حتى لا يفتك بهم الجوع والمرض فتكاً ذريعاً، فيكونون قذاة في مجتمعهم)[٣].

انظر إلى الألفاظ: غائلة، الفقر، المرض، الجهل، العزة، الكرامة، يدرأ، الاستخذاء، التسول، الجوع، يفتك، قذاة.

---

(١) انظر: شهر في دمشق، ص١١٩.

(٢) المرجع السابق، ص١٢٠.

(٣) المرجع السابق، ص١٢٢.

وعندما يُجري الشيخ عباراته التي يشيد فيها بالقيادة الحكيمة، وإقامة المشروعات الخيرة في بلاد سوريا، نراه ينحى إلى ألفاظ القيادة وصفاتها.

يقول: (وجدت هذا المدير الحكيم، يراعي التربية، ويسوسها بحكمة وبصيرة)[١]. تأمل الألفاظ: يسوسها، بحكمة، بصيرة.

وفي المشاهد الرحلية التي يملؤها الشيخ بالحركة والحيوية، ليشخص الجمادات في مشاهد متحركة، نراه يوظف الألفاظ ذات الحركة والشيوع في مثل تلك المشاهد، حتى يأخذ المشهد الرحلي عنده مساحة واسعة في ذهن القارئ، يقول واصفاً منبع عين الفيحة في دمشق: (حتى انتهينا إلى هذا المنبع العظيم، وهناك من سفح جبل مشمخر تفور هذه المياه، ولها هدير، وكأنها تطلب الفرار من ضغط هذا الصفوان الذي يغمرها في أحشائه، ثم يمتد من هذه المياه المتدفقة شريان دمشق الرئيسي، بواسطة قناة محكمة، وتذهب بقية المياه لتعانق نهر بردى قريباً من نبع العين)[٢].

نتأمل الألفاظ: تفور، المياه، هدير، الفرار، مشمخر، صفوان، أحشائه، شريان، قناة، تعانق، نبع.

ومن المعجم اللفظي عند عبد الله ابن خميس شيوع اللفظ القرآني، وألفاظ الحديث الشريف بين عباراته وسياقاته النثرية، وقد فصلتُ في ذلك عند الحديث عن الخصائص الفنية [توظيف النصوص الدينية]، وهو ما أطلق عليه البلاغيون الاقتباس.

ولأن الشيخ ابن خميس من أصحاب الصناعتين، فإنه قد استفاد من اللفظ الشعري في سياقات النصوص النثرية، وبالموازنة بينهما نرى أن أشعاره تحفل بالغريب، كما حفل نثره، وكذا لا تخلو من الألفاظ المعاصرة التي اكتسبها من قراءاته المتواصلة، ومن ثقافته العامة، ومن وسائل الإعلام، وهو كما نعلم من رجال الإعلام.

---

(١) انظر: شهر في دمشق، ص١٣٤.

(٢) المرجع السابق، ص١٤٦.

ومن توظيف الألفاظ المعاصرة ما ورد في [المجاز بين اليمامة والحجاز] عندما بين ما كانت عليه قريش في الجاهلية من عزة ومنعة، وأن قصياً بن كلاب هو من بنى دار الندوة، وهي بمثابة (البرلمان)[١].كلمة البرلمان من الألفاظ المعاصرة.

وفي موقع آخر عندما اجتاز جبل (كرا) ، نراه يقول: (وإذا كان الوقت ليلاً فانظر إلى أنوار السيارات في عرض هذا الطود، تمرق كالسهام وكأنك لا تشاهد منظراً طبيعياً، وإنما هو أشبه بالشريط السينمائي)[٢].

ننظر إلى استخدام لفظة الشريط، ولفظة السينمائي.

وفي جولة الشيخ في الغرب الأمريكي، تتابعت الألفاظ من اللغة المعاصرة من مثل العنصرية[٣]، الضرائب[٤]، عمارات شاهقة[٥]، الشمعدان[٦]، السائحون[٧]، المتاحف[٨]، (المسلة، الملاهي)[٩]، شلالات[١٠]، فندق[١١]، هيئة الأمم[١٢]، المافيا[١٣]، البطالة[١٤]، الاستيراد، التصدير[١٥].

---

(١) انظر: المجاز بين اليمامة والجحاز، ص٣١٨.
(٢) المرجع السابق، ص٢٧٨.
(٣) جولة في غرب أمريكا، ص١٦.
(٤) المرجع السابق، ص٣٢.
(٥) المرجع السابق، ص٣٧.
(٦) المرجع السابق، ص٤٠.
(٧) المرجع السابق، ص٤٦.
(٨) المرجع السابق، ص٥٧.
(٩) المرجع السابق، ص٥٨.
(١٠) المرجع السابق، ص٦٧.
(١١) المرجع السابق، ص٨٩.
(١٢) المرجع السابق، ص٨٩.
(١٣) المرجع السابق، ص٩٢.
(١٤) المرجع السابق، ص٩٤.
(١٥) المرجع السابق، ص٧٣.

ومن الألفاظ العربية المعاصرة التي لمسناها عند الشيخ في كتابه الرحلي [شهر في دمشق] جواز السفر (المفوضيات) معاهد الصداقة، تبادل المصالح، عالم الاعتدال، نظام الجنسيات[1]، سلاح الطيران، ضابط طيار[2]، موظفو الحدود، تأشيرة الدخول[3]، حركة المرور، حركة النقل، السفارات ، المواصلات، الفنادق، الاستعمار[4]، السكة الحديدية[5]، المتحف الوطني[6]، هذا على سبيل المثال لا الحصر.

ومن رحلة الشيخ إلى بلاد اليمن، نرصد بعض الألفاظ من اللغة المعاصرة، منها: المشروعات في بلاد اليمن[7]، إحصاءات رسمية[8]، ناطحة سحاب، أجراس البرنز، العاج، الأبنوس[9]، أسلحة، أسطوانات[10]، بلاج من بلاجات اليمن[11]، سلاح الحدود، مذكرات، رؤوس أقلام، الشرطة، تفتيش[12]، مستوصف، بئر ارتوازية، حظيرة أبقار، حظائر حيوانات.

وفي [معجم اليمامة] كثيراً ما يورد، وهو يتحدث عن مدينة أو قرية اجتازها ووقف عليها أثناء رحلته في بلاد اليمامة، يورد بعض الألفاظ من اللغة العربية المعاصرة التي تتناسب مع الموقف الرحلي، ومن أمثلة ذلك وهو يتحدث عن

---

(1) انظر: شهر في دمشق، ص15.

(2) المرجع السابق، ص22.

(3) المرجع السابق، ص29.

(4) المرجع السابق، ص31.

(5) المرجع السابق، ص35.

(6) المرجع السابق، ص64.

(7) من جهاد قلم، محاضرات وبحوث، ص285.

(8) المرجع السابق، ص287.

(9) المرجع السابق، ص289.

(10) المرجع السابق، ص291.

(11) المرجع السابق، ص298.

(12) المرجع السابق، ص301.

جلاجل في إقليم من أقاليم اليمامة، حيث رصد الشيخ ألفاظاً توحي بالتقصير في المسئولية والأمانة، عندما ذكر سقوط مدرسة البنات في جلاجل عام ١٣٩٧هـ والتي راح ضحيتها سبع عشرة طالبة، يقول: (وفي عام ١٣٩٧هـ كانت مدرسة البنات في هذه البلدة جلاجل؛ تحتل داراً قديمة تنذر بالسقوط، فصبرتْ على التسويف والمماطلة، من قبل من يهمهم الأمر في تعليم البنات، ووزارة المال؛ إلا أنه أدركها السقوط، قبل أن يُدْرِك هؤلاء الشعور بالمسئولية فكان ضحيتها سبع عشرة بنتاً، كارثة هزت المجتمع وأبكته..)[١].

نتأمل الألفاظ: قديمة، السقوط، التسويف، المماطلة، أدركها، الشعور بالمسئولية، ضحيتها، كارثة، هزت، أبكته.

ومن معجم عبد الله ابن خميس اللفظي، إيراده للكثير من الألفاظ العلمية، وفق السياق الرحلي، وذلك ناجم عن سعة ثقافته، وقدرته على توظيف اللفظ العلمي في موقعه ومن ذلك:

وما ورد في كتابه [المجاز بين اليمامة والحجاز] عندما تحدث عن جبل كرا، فقال: (إن الصخور التي يتكون منها هذا الجبل من الصخور الصلبة الجرانيتية التي يتطاير الفولاذ قبل أن يفلقها).

وقوله: (إنك حينما تنحدر مع هذا الطريق، أو تصعد لا تحس أنك تسلك طريقاً هذا شأنه، حيث إن الارتفاع النسبي لــه ستة في المائة، وربما بلغ ثمانية في بعض المنعطفات)[٢].

نتأمل الألفاظ: الجرانيتية، الفولاذ، الارتفاع النسبي.

وفي رحلة الشيخ إلى بلاد اليمن نرصد بعض الألفاظ العلمية مثل قوله: (مشاريع اللاسلكي، الأقمار الصناعية، المستشفيات، البترول[٣].

---

(١) معجم اليمامة، ج١، ص٢٧٦.

(٢) المجاز بين اليمامة والحجاز، ص٢٧٩.

(٣) انظر: من جهاد قلم، محاضرات وبحوث، ص٣٠٢.

وفي دمشق من خلال كتاب الشيخ الرحلي يستطيع القارئ أن يرصد الكثير من الألفاظ ذات الإيحاءات العلمية والتي برع أديبنا في توظيفها ومنها:

التابلاين[١]، كلية الطب، الصيدلة[٢]، الهاتف، البرق[٣]، الجيولوجيون[٤]، الأقلام[٥]، السُعْفة، الزهري[٦]، القوى الكهربائية[٧].

وفي جولة الشيخ في الغرب الأمريكي تناثرت الألفاظ المرتبطة بما شاهده من منجزات ذلك الشعب، ومن ذلك:

الجسر المعلق، الغابات المحمية[٨]، تل فريك[٩]، هنقار، أوناش، أوتوماتيكية، إشارات ضوئية، الجامبو، طائرة نفاثة، صناعة الصواريخ، المعادن[١٠]، إنتاج الأغذية[١١]، أسلاك كهربائية[١٢]، أعلى معدل تصله درجة الحرارة في الصيف، والصغرى ١٦ درجة مئوية[١٣].

ويتضمن معجم الشيخ ابن خميس اللفظي في أدب الرحلات ألفاظاً من اللهجة المحكية، ويوردها كما هي؛ توثيقاً للموقف الرحلي، ومن أمثلة ذلك:

---

(١) شهر في دمشق، ص٢٣.
(٢) المرجع السابق، ص٩٢.
(٣) المرجع السابق، ص٩٤.
(٤) المرجع السابق، ص٩٣.
(٥) المرجع السابق، ص١١٦.
(٦) المرجع السابق، ص١٣٣.
(٧) المرجع السابق، ص١٤٦.
(٨) جولة في غرب أمريكا، ص٧١.
(٩) المرجع السابق، ص٦٦.
(١٠) المرجع السابق، ص٦٢.
(١١) المرجع السابق، ص٥٠.
(١٢) المرجع السابق، ص٦٣.
(١٣) المرجع السابق، ص١٨.

ما دار بين الشيخ وبين الندل في الفندق الذي سكنه، عندما طلب منه طعاماً للإفطار في رمضان، فاستغرب الندل من الشيخ وقال: (شو بتريد عيوني فاكهة)[١]. وفي مقام آخر يورد الشيخ ألفاظاً عامية، من اللهجة المحلية لموظف الجوازات الذي قال للشيخ في لهجة مائعة (ما بعرف)[٢].

وآخر عندما كان يستقل سيارة أجرة وما تعرض لــه سائقها السوري من الاعتداء من شباب آخرين، نراه يورد ما قال بلهجته المحلية: أجاب: (يخرب بيتهن عندهن إضراب وأنا ما بعرف)[٣].

وعندما تحدث الشيخ عن الصحف السورية، ودورها في مخاطبة الحكومة أورد نصاً بدايته لهجة محكية (صح النوم يا حكومة ...)[٤].

وفي حديث الشيخ عن رجال المرور، وتواجدهم في المحطات الفرعية في دمشق، يذكر أن قاطع التذاكر يسمى باللهجة المحكية (الكمساري)[٥]. ومما أورده الشيخ من ألفاظ رجال المرور (تكرم خيي)[٦]. وقد وردت بعض الألفاظ الأجنبية كتبها الشيخ بحروف عربية، في ثنايا بعض كتب الرحلات، وأحياناً يوردها مع مرادفها بالعربية مما يثري معجمه اللفظي ومن ذلك:

يعدد أسماء الفنادق في بلاد اليمن فيورد: الشيرتون، رمادا[٧].

وفي جولته في غرب أمريكا عندما كان يصف مصنع طائرات البوينج في (سياتل)، يقول: ولا يوجد في نظام عمل المصنع عمل إضافي (أوفر تايم)[٨].

---

(١) شهر في دمشق، ص٢٦.

(٢) المرجع السابق، ص٢٩.

(٣) المرجع السابق، ص٣٠.

(٤) المرجع السابق، ص١١٦.

(٥) المرجع السابق، ص١٤٩.

(٦) المرجع السابق، ص٢٥.

(٧) محاضرات وبحوث (كنت في اليمن)، ص٢٩٦.

(٨) جولة في غرب أمريكا، ص٦٣.

وفي مدينة (فانكوفر) يصف الشيخ ما حول هذه المدينة من جبل شاهق جداً، يشرف على المدينة مكسو بالأشجار إلى جانبه مصعد كهربائي (تل فريك)[١].

وفي موقع آخر يتحدث عن (المافيا) فيقول: (المافيا وما أدراك ما المافيا إنها الوحشية والجريمة)[٢].

ومن اللفظ الأجنبي، ما ورد في ثنايا رحلته إلى دمشق يقول: (لا تعجب من هذه الأسماء "ريجنت" و"ناشيونال")[٣].

وفي معرض آخر يورد لفظاً أجنبياً (جرسون)، ومعناه في السياق نفسه من العربية الفصحى، فيقول (فطلبتُ من الندل "الجرسون" طعام الإفطار) ويواصل قائلاً: (ولكن الجرسون) أدرك المشكلة، فخرج بي إلى طنف (بلكون)[٤].

وختاماً لا يتردد ابن خميس في إبداء رأيه وإعجابه بالمرأة ويمنحها ألفاظاً جميلة تضاف لمعجمه اللفظي في أدب الرحلات.

ننظر إليه وهو يتحدث عن قصة الفتاة في معجم اليمامة، والتي وجدها هو ورفاقه متعلقة في جبل بوادي الثمامة في نجد، وقد سبقت الإشارة للقصة كاملة في الخصائص الفنية من هذا الباب[٥]. (عرامة أنوثتها، عنفوان شبابها، الجمال البدوي، الجذاب).

وفي موقع آخر في جَبَلَة في رحلة الشيخ ابن خميس بين اليمامة والحجاز، عندما التقى بسنفا الألمانية، أو ليلى المستعربة كما أحب هو أن يطلق عليها[٦].

---

(١) جولة في غرب أمريكا، ص٦٦.

(٢) المرجع السابق، ص٩٢.

(٣) شهر في دمشق، ص٢٥، وهي أسماء للفنادق في دمشق.

(٤) شهر في دمشق، ص٢٦.

(٥) معجم اليمامة، ج١، ص٢٤١.

(٦) في مقابلة مع الشيخ وأوضح أنه من أطلق عليها اسم ليلى، ١٤٢٤/١١/٣هـ.

وقصتها أوردناها في الخصائص الفنية من هذا الباب[1]. ننظر الألفاظ الجميلة التي أوردها الشيخ حول سنفا (فتاة في ربيع عمرها، شقراء، ذهبية الشعر، ساحرة العينين، مكتملة الأنوثة، معتدلة القوام، خفيفة الظل، تنطق العربية، في عربيتها جمال، وفي نطقها جاذبية وغنة مثل غنة الظبي، ومناغاة الطفل، ورقة جسمها، ويديها الناعمتين، وقد لوحت الشمس جسمها، وأعطت وجهها سفعة، وشفتيها ذبولاً، شاهدت ذلك بنفسي في زيارتي لتلك المنطقة)[2].

وموقف آخر في دمشق عندما التقى بموظفة البريد، وكانت امرأة وقوراً، أرهقها تكاثر العمل[3].

ومع ما ذكرناه في هذا الفصل من دراسة لأدب الرحلات عند الشيخ ابن خميس، فإننا نستطيع أن نقول: إنه قد وفق في تقديم رحلاته تقديماً متميزاً، تقصر الدراسة والبحث عن بلوغ غاياته، ومراميه؛ لأنه قد وفق في إفادة المتلقي وإمتاعه، وهما ركنان مهمان من أركان العمل الرحلي، وبالتالي، فإن رحلاته كشفت لنا ثقافة أصيلة، وموسوعية وثراء وروحاً أدبية عالية، وقدرة على الإفادة من كل تلك القنوات.

---

(١) انظر: المجاز بين اليمامة والحجاز، ص١٠٢.

(٢) المرجع السابق، ص١٠٣.

(٣) شهر في دمشق، ص٣٠.

الفصل الثالث:

الفنون النثرية الأخرى وخصائصها الفنية

- فن القصة.
- فن السيرة الأدبية.
- فن الرسالة.
- الدراسات الأدبية الموجزة وخصائصها الفنية.

أولاً : فن القصة:

القصة قديمة قدم المجتمع الإنساني لا يختص بها عصر دون عصر، وهي في الأصل حكاية اجتماعية، عرفها الإنسان البدائي منذ فجر التعبير بالكلمة، منطوقة أو مكتوبة، حيث كانت وسيلة لقطع وقت الفراغ وللتسلية؛ فهي ليست من ابتكار العصر الحديث، والآثار الباقية التي خلفها العرب تدل على أن الأدب القديم حافل بالقصص الخرافي، والحكايات التي تدور في عالم الجن، والعفاريت والأشباح والغيلان، والأساطير، وقصص الأمثال ومغامرات الشطار، ونوادر الظرفاء والبخلاء وقصة "حي بن يقظان"، وما ورد في "كتاب الأغاني" لأبي الفرج الأصفهاني و"العقد الفريد" لابن عبد ربه، وقد اهتم القرآن الكريم بأدب القصة قال تعالى: ﴿**نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ**﴾"سورة يوسف، الآية: ٣". ولقد سرد القرآن الكريم القصص بأسلوب بلاغي رفيع؛ لأخذ العبرة والعظة والحكمة والتأسي، وبث معاني الدعوة الإسلامية في صدور العرب؛ كقصة يوسف، وسليمان، وملكة سبأ، والخضر، وأهل الكهف؛ فضلاً عن قصص الأنبياء، والأمم السابقة[١].

ومن ثم أساطير الأولين التي كان العرب يتناقلونها، وذكرها القرآن الكريم على أنها قصة وحكاية بقوله تعالى: ﴿**إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ**﴾ "سورة المطففين، الآية: ١٣". وكان للقرآن الكريم احتفاء بالقصة وسميت سورة من سوره بالقصص، وإلى جانب القرآن الكريم وجدوا القصص النبوي الذي كان يهدف إلى الوعظ والوصايا والإرشاد والتربية الخلقية[٢].

---

(١) دراسات في القصة العربية الحديثة. د. محمد زغلول سلام، ط.ـ دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، الإسكندرية، د.ت، ص٦٥.

(٢) انظر: القصص في الحديث النبوي: دراسة فنية موضوعية. د. محمد حسن الزير.ـ ط١.ـ القاهرة: المطبعة السلفية، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م.

وإلى جانب القصص الديني نجد السير، بكافة أنواعها الدينية والتاريخية والأدبية والشعبية والذاتية. وظلت القصة تتداول في العصور المختلفة إلى أن وصلت إلى العصر الحديث فبدأت تستلهم من فن المقامات التي ابتدعها بديع الزمان الهمذاني[١].

ومن ثم قام منهج القصص الحديث على ضوء التراث العربي إلا أن التيار الغربي تغلب وبدأ ذلك بقصة زينب لمحمد حسين هيكل.

أما في المملكة العربية السعودية فقد مر عهد خمدت فيه القصة، إلا من حكايات (أبو زيد الهلالي) و(الزير سالم) والتي كانت تُقرأ في المقاهي ويستمع إليها طبقة العامة، ثم ازدهرت القصة السعودية بازدهار التعليم، واهتمام الصحافة بهذا النوع من الأدب، فكتب الأدباء قصص أشبه بالمقامات، أو المقالات الصحفية مثل قصة [على ملعب الحوادث] لعبد الوهاب آشي[٢]. ثم بدأ الأدباء السعوديون في كتابة القصة، مثل محاولات الأنصاري، وحسين سرحان، ومحمد سعيد العامودي[٣]. ومن ثمّ كتابة القصة المستقلة من أمثال مجموعة أحمد عبد الغفور عطار [أريد أن أرى الله] و[شيخ من فلسطين] لسعد البواردي[٤].

---

(١) الهمذانـــي. أحمد بن الحسين. ولد في همدان عام ٩٦٨م. قوي الحافظة. له ديوان شعر ورسائل. توفي في هراة مسموماً عام ١٠٠٧م، انظر: الأعلام خير الدين الزركلي، ج١، ص١١٥.

(٢) عبد الوهاب آشي. ولد بمكة المكرمة عام ١٣٢٣هـ وتخرج من مدرسة دار الفلاح بمكة ورأس جـــريدة صوت الحجاز. له عدة مقالات متفرقة في الصحف. توفي في القاهرة عام ١٤٠٥هـ. انظر: الموجز في تاريخ الأدب السعودي الحديث. عمر الطيب الساسي، ص٦٤.

(٣) في الأدب العربي السعودي. د. محمد الشنطي، ص٣٠٠.

(٤) ســعد البواردي. ولد في مدينة شقراء بمنطقة الوشم عام ١٣٤٩هـ/١٩٣٠م وتخرج من مدرســة دار التوحيد بالطائف، ثم واصل تعليمه بالقراءة والاطلاع. مارس الكتابة شعراً ونــثراً. أســس مجلة الإشعاع. انظر: الموجز في تاريخ الأدب السعودي. عمر الطيب الساسي، ص٢٤١.

ومما سبق نرى شيوع فن القصة في الأدب السعودي، والتي أصبحت باباً واسعاً يدخل منه هواة المطالعة من مختلف الطبقات، مما يجدونه من قول مثير وموضوعات شيقة.

ولقد عرّف الباحثون القصة في العصر الحديث بأنها: (عرض لفكرة مرت بخاطر الكاتب أو تسجيل لصورة تأثرت بها مخيلته، أو بسط لعاطفة اختلجت في صدره، فأراد أن يعبر عنها بالكلام ليصل بها إلى أذهان القراء، محاولاً أن يكون أثرها في نفوسهم مثل أثرها في نفسه)[١].

وتتعدد القصة من حيث المضمون إلى: القصة التاريخية والدينية والعاطفية والأسطورية والعلمية والاجتماعية[٢].

وحيث إن القصة فن نثري، فلابد لنا في هذا البحث من دراسة ما قطفه الأديب الشيخ عبد الله ابن خميس في مجال القصة من خلال كتابه [من أحاديث السمر] وهو قصص واقعية من قلب الجزيرة العربية، صدر عام ١٣٩٧هـ عن مطابع حنيفة بالرياض[٣].

وفي الكتاب يرصد لنا الشيخ ابن خميس ستاً وثمانين قصة؛ بعضها يرقى إلى مستوى القصة من حيث الخصائص، أي أن لها مدخلاً وحبكة ونهاية، وتتخللها فضاءات خصبة، وبعضها لا يمثل إلا رواية إخبارية عن حدث ما، وبعضها يحكي واقعاً إقليمياً، وكما هي موسوعية الشيخ الأديب ابن خميس في المقالة، وأدب الرحلة، فإنها كذلك في فن القصة، فلا تخلو جميع قصص الكتاب من شاهد شعري، أو مثل بليغ أو هما معاً.

---

(١) دراسات في القصة والمسرح. محمود تيمور.ـ ط، مطابع الشعب، الجمهورية العربية المتحدة، (بدون تاريخ)، ص٩١.

(٢) القصة والرواية. د. عزيزة مريدن.ـ دمشق: دار الفكر، ١٤٠٠هـ، ص٣.

(٣) أدباء سعوديون. مصطفى إبراهيم حسين، ص٣١٤.

ومن هنا نتبين أن جميع قصص الكتاب هي فعلاً من أحاديث السمر، التي كان يتداولها عرب الجزيرة في مجالسهم، ويتذوقون الاستماع إليها في أوقات فراغهم، ولربما كانت براعة القصاص، وما يضفونه على بعض القصص من خيالهم، وطرافة أساليبهم هو ما جعلها مستمدة من أحداث اجتماعية وقعت فعلاً.

منهجية الشيخ ابن خميس في عرض القصص:

هي نقل القصص بلغة عربية واضحة وأسلوب بيّن سلس، فيما عدا الشواهد فإنه ينقلها بنصوصها كما وردت. وتبرز شخصية الكاتب من خلال إيراد عبارات ومفردات مشوقة تجلو المعاني، وتبرز شخوص القصة، مما يبعدها عن التلقين المباشر.. ومن خلال تلك المعاني يستلهم الشيخ ما يدل على الفضل والأخلاق والمثل العليا، وما يومىء إلى عكس ذلك، ولابد أن نقول إن صياغة القصص بأسلوب عربي فصيح بعد سماعها تُحكى بكلام عامي، يتطلب رسوخ قدم في اللغة، وغزارة في المادة العلمية والأدبية، وبراعة في بناء الجمل، وفي تحويل العبارات العامية إلى فصيحة، أو استبدالها بجمل يستسيغها القارئ المثقف الحديث، وتلك قد حازها ابن خميس، وحلبها بالساعد الأشد[١](٢).

وفي مقدمة الكتاب يبين الشيخ أنه أراد من إيراد القصص في كتابه (أن ينفي عن الأمة العربية، والشعب العربي، تهمة وظناً آثماً يظنه البعض حول ما يقرأونه عن العرب في جزيرتهم، في الجاهلية، وصدر الإسلام، من قصص تتحدث عن الكرم والشجاعة والمروءة والنخوة وحسن الجوار ومكارم الأخلاق، إن هي إلا انتفاضات ذهنية ووعي وقتي صاحب القول الذي خُصّت به هذه الأمة في دور

(١) انظر: مجلة الدارة، ع الأول، السنة ٦ شوال ١٤٠٠هـ. مقال بعنوان: (من أحاديث السمر). د. محمد السديس، ص٤٩.

(٢) انظر: مجمع الأمثال. الميداني، ج١، ١٩٢.

الازدهار والمجد التاريخي العظيم، على ما صحب تدوين تلك القصص فيما بعد من مبالغات من قبل المدونين العرب أنفسهم، وتلك في نظرهم فترة يقظة وازدهار حظ وتاريخ. أما ما بعدها من الزمن وذويه، فهي أدوار تفتقد تلك الجوانب، وتنأى عنها نأياً بعيداً، ولا يمكن أن نعطي تلك الصفات لأمة العرب التي واتتها هزة وعي في فترة من الفترات، ثم فارقتها[١]. فأراد بنشر هذه القصص أن يثبت أن أصالة الأمة ومكارم أخلاقها موصولة بين السلف والخلف.

وإنها أمة ذات أصالة وعراقة؛ لأنها تلتزم بصفاتها الكريمة النبيلة، لا تؤثر فيها الأحداث ولا تذهب أصالتها الهزات، ولا تكتسحها الرياح الهوجاء العاصفة؛ لأنها راسخة كالطود الشامخ.

ولابد لابن خميس إلا أن يذكر في كل معارض حديثه النثري، والشعري، وفي كل مؤلف، مصدر قوة الأمة معتزاً ومفتخراً: (فلم تكن الأمة العربية إلا نموذجاً في الجنس البشري أصيلاً، اختارها الله عنصراً لخاتم رسله، واختار لغتها لساناً لكتابه، واختار أرضها مقراً لشعائره ومشاعره، ففيها البيان المبين، وفيها الحماية والنصرة، والزكاء والذكاء)[٢].

المصدر الذي استقى منه الشيخ ابن خميس القصص التي حواها كتابه من أحاديث السمر:

يذكر الشيخ أنه تلقَّف تلك القصص من نوادي السمر، وضمن متابعاته للتراث العربي، وأنه كان وما زال كلفاً بهذا اللون في آثارنا منذ الصغر، فكانت الذاكرة تختزن منه، وأنه أخذ عن بعض الرواة الثقات، ولكنه اصطفى من

---

(١) من أحاديث السمر. عبد الله ابن خميس.ــ ط٢.ــ الرياض: مطابع الفرزدق، ١٤٠٥هـ، ص٥.

(٢) مقدمة من أحاديث السمر، ص٧.

القصص ما يمكن أن يكون فيه أسوة وقدوة[١]، ويذكر الشيخ في المقدمة أنه أسمى تلك القصص (أحاديث السمر)؛ ليكون اسماً على مسماه، ومبنى وافق معناه وأَخْذاً من قول العربي حينما سئل: أي شيء يطيب لك؟ قال أحاديث السمر، تحت ضوء القمر، على الكثبان العُفر[٢][٣].

ويوجز الشيخ الأديب في مقدمته مضامين تلك القصص، فيذكر أنها اشتملت على قصص أقوام من العرب يتسابقون في مجال الشرف، ويتنافسون في مجال المجد، ويتبارون في مراقي السؤدد، ويأتون بالعجائب والغرائب، ويدفعون النفوس لها ثمناً، والأموال لها قرابين، ويتلقون المصاعب والأهوال، لا يثنيهم مرقى صعب، ولا يقعد بهم خطب مهول. يحبون فيشفهم الوجد، ويطويهم الوله، ويبرح بهم الشوق، ويتنفسونه حنيناً وأنيناً وغزلاً دافقاً، وشعراً متوجعاً، وربما أودى بهم الحب، وقتلهم الغرام. نفوس صافية ومشاعر رقيقة، وخواطر سريعة إلى بساطة ومواتاة، وخفة أرواح. يعادون فيبلغ العداء أشده، وتراق الدماء، وتزار المقابر، وبكلمة لطيفة، أو مدحة مسموعة، أو وجاهة أو وساطة، يتناسون كل شيء، ويهبونه للشرف والمجد، وحسن الأحدوثة، وينخون فتدفعهم النخوة إلى الجاه حيناً وإلى المال حيناً، وإلى الروح وحشاشة النفس حيناً[٤].

وقبل أن نستعرض جوانب الفن القصصي عند ابن خميس لابد أن نذكر حقيقة فطن إليها جميع الدارسين لذلك الفن عنده، وهي أن تلك القصص مستمدة من الواقع، ولها شخوص ربما لا تخفى أسماؤهم على الضالعين في التراث العربي. ولأن الشيخ حرص كما قال في مقدمته: (أن تكون القصة وسطاً بين

---

(١) مقدمة من أحاديث السمر، ص٨.

(٢) العفر: البياض تعلوه حمرة، انظر: لسان العرب، باب الراء فصل العين ٤/٥٨٤.

(٣) من أحاديث السمر، ص٩.

(٤) المرجع السابق، ص٨.

الإسهاب والإيجاز؛ ليسهل استيعابها، وتشد القارئ إليها من غير سأم، ولا كد ذهن)[١].

فإنها جاءت في مجموعها قصاراً، لا يكاد بعضها يتجاوز الصفحتين أو الثلاث. وللدكتور عبد الستار الحلوجي[٢] رأي عندما نقد كتاب: [من أحاديث السمر] قال فيه: (لعل الأصح أن نقول إنها ليست مجموعة قصصية بقدر ما هي مجموعة مواقف عربية تضم ستاً وثمانين موقفاً وزعها المؤلف على عشرة موضوعات)[٣].

ولكن القصة في النقد الأدبي ما هي إلا مواقف تبنى عليها الأحداث وتتفاعل معها الشخوص[٤]. ولقد حظيت تلك المجموعة القصصية بالقبول كما أورد الشيخ في مقدمة الطبعة الثانية، ويرى (أن لذلك مدلولاً أعمق وأعرق وهو ما يشد الأمة العربية إلى ماضيها المجيد وينزع بها إلى أصلها وسمو قدرها وعلو مكانتها، وربط حلقات ماضيها بحاضرها ومستقبلها، فهي ظاهرة فأل وبادرة طموح وتطلع ومؤشر وعي ونضج)[٥].

ونستطيع أن نقول: إن الشيخ يركز على مفتاح الشخصية، والغالب في شخصياته أن مفتاحها الشجاعة والنخوة والإيثار، وإنه لقدير على تصوير ذلك

---

(١) مقدمة من أحاديث السمر، ص٨.

(٢) عبد الستار الحلوجي. من مواليد محافظة الدقهلية بمصر، عام ١٩٣٨م. حصل على الدكتوراه في علم المكتبات. عمل في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ويعمل الآن في كلية الآداب جامعة القاهرة. فاز بجائزة الملك فيصل للدراسات الإسلامية عام ١٤١٨هـ، انظر مجلة الفيصل، ع٢٥٦، شوال ١٤١٨هـ، ص٢٣.

(٣) مجلة الدارة، ع٣، شوال، السنة ٤، ١٣٩٨هـ، مقال [قرأت لك]؛ عرض د. عبد الستار الحلوجي، ص٢١٦.

(٤) انظر: القصة والرواية. عزيزة مريدن، ص٢٣.

(٥) مقدمة الطبعة الثانية من أحاديث السمر، ص١١.

كله تصويراً يصل إلى حد كبير من المصداقية والواقعية، وكل قصصه في الكتاب تنحو نحو ذلك المنحى الواقعي الاجتماعي، المتعلق بتلك القضايا، وما أحاط بها من عادات وأعراف في البيئة العربية الصحراوية فهي عبارة عن قوالب قصصية متنوعة الأحداث، تتراوح بين الطويلة والقصيرة والمتوسطة وتتراءى فيها مقومات القصة من نمو الأحداث وبلوغها ذروة التعقيد، والتحول والحبكة والأسلوب والبيئة التي تضم ذلك كله.

وقد حوت بعض القصص عند الأديب ابن خميس تسجيلاً لذكرياته وافتتاناً بما كان عليه الأجداد من صفات، ومثل عليا، ولربما استوقفنا ليعقد مقارنة بين الماضي والحاضر وهكذا؛ كما وترى في القصص التي أوردها معالجة لبعض العادات الاجتماعية، والتقاليد التي يرى وجوب التخلص منها، حيث لقيت اهتماماً منه أكثر مما لقيه الأسلوب والبناء الفني القصصي، وذاك ما كان شائعاً بين كثير من كتاب القصة السعودية المعاصرين للشيخ ابن خميس(١).

مضامين القصة عند عبد الله ابن خميس:

قسم الشيخ الأديب القصص إلى عشرة مضامين، ومنها القصة المبنية على المَثَل، والمضامين القائمة على الوفاء والإخلاص، والنخوة والشمم والمروءة والشجاعة، ويوجد حيز في قصص الشيخ لحسن الجوار، والكرم وكذا الشرف ومراقبة الله، وغيرها من العادات العربية الكريمة، ولا يُخفي الشيخ ما أفرده في كتابه من قصص العشق، وأخبار العاشقين.

ولقد لقي عنصر المضمون عند عبد الله بن خميس اهتماماً كبيراً، مما لقيه البناء الفني للقصة، حيث هي عنده عرض للشيم والأعراف والتقاليد العربية الأصيلة، ولنعرج على بعض قصص عبد الله بن خميس لنرى حقيقة ما أشرنا

---

(١) انظـر: النثر الأدبي في المملكة العربية السعودية. محمد عبد الرحمن الشامخ.ـ ط٢.ـ دار العلوم للطباعة والنشر، ١٤٠٨هـ، ص١٧٣.

إليه؛ ننظر إلى قصة [أمانة في هتيم][١] تدور أحداث القصة حول ضعف جمل من جمال قافلة تجارية مما أقعده عن السير فتركه صاحبه عند أول مضرب من مضارب البدو التي مروا بها، وعندما أعيا البدوي علاج الجمل ذبحه وباع جلده بريال، واشترى به (عبوراً) أي نعجة صغيرة، أصبحت مع مرور الزمن قطيعاً من الأغنام، وبعد فترة يتفاجأ صاحب الجمل الذي نسي قصة الجمل المريض، أن هناك شخصاً يدعوه ليأخذ قطيع غنمه؛ لأن الله أربى الجمل فأصبح قطيعاً وهكذا.

وقصة [خلف ابن دعيجا][٢]. تدور الأحداث حول هذا الشخص الذي كان قمة في الكرم والوفاء والنخوة، وله قصص نادرة ومواقف متأبية على غيره، ولأنه عرف بالنخوة، فقد قصده المحبون الذين حالت الظروف دون زواجهم ممن أحبوا، وكانوا يجدون فيه متنفساً، ووسيلة تبلغهم مأربهم بمال ابن دعيجا أو جاهه أو شعره ولقد بلغ به التسامي ليبلغ بأحد قاصديه مأربه، أن عمل أجيراً عند أهل محبوبة قاصده لمدة سنة كاملة، حتى حانت الفرصة وأبلى (ابن دعيجا) بلاء حسناً في رد غزو اجتاح مضارب قوم محبوبة قاصده، وعرفوا حقيقته، واستجابوا لرجائه، وزوجوا من قصده محبوبته، إكراماً لابن دعيجا وهكذا.

ومن مضامين الكرم والكرماء قصة [الشريف جبارة][٣]. وهذه الشخصية عرفها البدو، وتحدث عنها الأمراء، كان يكرم ويطعم من قلة، ويملأ الحقائب لضيوفه بجهد المقل، وهو في نظر قاصديه أكرم من ابن عريعر حاكم الأحساء؛ يقول عبد الله ابن خميس أثناء سرد أحداث القصة: (مرّ به يوماً ضيف من أواسط نجد فأكرمه، وبالغ في إكرامه بدون سابق معرفة، ولمّا همّ بالروح ملأ

---

(١) من أحاديث السمر، ص٥٥.

(٢) المرجع السابق، ص٨١.

(٣) المرجع السابق، ص١٤١.

حقائبه، مما تحت يده من الطعام. وكان هذا الضيف متجهاً إلى الإحساء، فقدِمَها وصادف قدومه مأدبة دعا إليها حاكم الإحساء آنذاك (ابن عريعر) وأخذ رجاله يتوسمون الوجوه، وكل غريب يدعى إلى تلك المأدبة، فدُعي هذا الضيف النجدي فيمن دُعي، ولما أكل وشرب وطيب نفسه من هذه المأدبة المترعة بصنوف الطعام، وكان ابن عريعر جالساً بالباب يتوسم الوجوه، ويستعرض الضيوف، فلما خرج الضيف النجدي استوقفه (ابن عريعر)، ليتعرف عليه ويستظهر ما لديه فقال له: ماذا يقول في هذه المأدبة، وفي هذا القصر الجديد؟ فقال الضيف: إنه قصر جميل، ومأدبة فاخرة، وأمير كريم، ولكن الشريف جبارة أكرم منه، فقال ابن عريعر: لماذا؟ فقال: إنه يطعم عن قلة، ويملأ الحقائب بجهد المقل، أما أنت فتنفق من غمر، وتغرف من بحر. فقال (ابن عريعر): إنك محبوس هنا في هذا القصر حتى ننظر أصدقت أم كنت من الكاذبين، وكان الوقت وقت قنص، فخرج الأمير في جمع من حاشيته للقنص، ولما كان على مقربة من محل إقامة الشريف جبارة حول وادي حنيفة، أخذ نفسه سراً وأناخ بمن معه أمام قصر جبارة، وكانت سنة شهباء وزمناً مدقعاً ولما طلع جبارة وإذا أمام الباب جمع كبير على إبل نجائب، ومظهر أمراء ضيافتهم تتطلب استعداداً، واستقبالهم يقتضي ما لا يوجد في بيت الشريف جبارة، فانصرف مسرعاً إلى امرأته ليسألها ما لديها فأفادت أن البيت خالٍ، والأوعية مقوية، فأصابه ذهول أفقده وعيه فشج المرأة بحديدة كانت في يده حتى كشط جفنها، وفر متجهاً إلى الخلاء، لا يدري أين يذهب، فهام على وجهه، ورمى نفسه في أحد الكهوف، أما المرأة فقد خرجت إلى الركب بعد أن عصبت جفنها، واستقبلتهم ورحبت بهم ثم بسطت أمامهم سماط الطعام، وقدمت عليه التمر والسمن، وقالت: هذا الفال ويتلوه العقال، ثم انطلقت إلى أهلها في قلب الدرعية، وأخبرتهم أن زوجها غير موجود، وهؤلاء ضيوف أمام بابه من مستوى كبير، وخيار قوم فالله الله في

إكرامهم فإنهم ضيوف كرم من كرام، فبادروا إلى استياق ناقة كوماء أمامهم وإلى تحميل الدواب بالبر والسمن والدقيق ومستلزمات الضيافة، وبعد قليل كانوا جميعهم أبوها وإخوانها أمام الضيوف، فنحرت الجزور، وأقيمت القدور، وأوقدت النيران للقهوة والطبخ وبسطت الفرش، وجعل المكان يضج بالحركة، والترحيب والتأهيل، فكانت صحوة من الشريف جبارة في كهفه، وعاوده شعوره فأسرع وإذا بالقدور تغلي، والطعام يُعمل، والقهوة تقدم، فذهل وجاء إلى البيت من الباب الخلفي ليستطلع من زوجته الحقيقة. فقالت ألم تكن غائباً منذ أسبوع، والآن قدمت، هذا هو الأمر فاذهب إلى ضيوفك). ويمضي الشيخ في سرد قصته، وما فيها من مظاهر الكرم، وحسن الوفادة وجميل الاستقبال(١).

وقصة أخرى عن قاتل من قبيلة شمر ظل يهرب من بيته كل ليلة فراراً من صاحب الدم، حتى كانت ليلة مطيرة، وأراد أن يخرج من بيته كعادته لينام في كهف، أو جرف أو جذع شجرة، فقالت له امرأته: أفي مثل هذه الليلة تفارق بيتك، قال لها: لو تعرفين عن نيف (ولي القتيل) مثل ما أعرف لعذرتني، ويل لمن يطلبه مثل نيف، وأخذ ينشد عن غريمه وبطولاته، وما كاد يتم قصيدته، حتى انطلق صوت نيف من جانب البيت يقول له: أتعاهدني بالله أنك لم تشعر أنني هنا، ففوجئ صاحب البيت، وحلف له بالله أنه لم يشعر به، ولم يدر بخلده أنه سوف يتسلل إليه هذه الليلة الشاتية المطيرة، فخرج وصافحه وعفا عنه(٢).

ومضمون آخر للعظة والاعتبار وهي قصة بعنوان [السعيد من وعظ بغيره] التي تتحدث عن ثري بخيل هبط المدينة التي تليه وهو صائم في رمضان فلقيه شخص يعرفه معرفة غير مكينة، ودعاه للإفطار، وقدّم له ولعدد

---

(١) مقدمة من أحاديث السمر، ص١٤٧.

(٢) المرجع السابق، ص١٢٧، قصة [نيف وزبار].

من المدعوين اعتادوا تناول الإفطار في هذا البيت ألواناً متعددة من الطعام، وتكرر ذلك في كل يوم من أيام إقامته، فأدرك أن ذلك حال مضيفه هذا، وكيف يتأتى له ذلك وهو متوسط الحال حسب ما يعلم، فقيل له إن فلاناً الثري الكبير قد توفي ولم يرثه سوى ابن صغير وامرأته، فتزوج المضيف هذه المرأة، وولدت له ابناً، ومات ابن الثري فانحصر الإرث في ابن المضيف وامرأته، فهو يعطي المال حقوقه، وينفقه في طرقه؛ فلما عاد البخيل إلى بلاده، فتح بابه للأضياف والمحتاجين، وجعل ينفق مما أعطاه الله بطيب نفس وطواعية خاطر)[1]. ومن ذلك المضمون قصة بعنوان [لعل بالأمر خيراً] التي يدور محورها حول أن التسليم لأمر الله في السراء والضراء بعيداً عن الاتكال، والتواكل مبدأ من مبادئ المؤمن الحق الذي يفوض أمره إلى الله تعالى، وهذا ما كان من أمر بطل القصة الذي كان موقفه من كل ما يقع توقع الخير قائلاً: (لعل بالأمر خيراً).

وعندما أراد رفاقه أن يختبروه، فأخفوا جماله وراء الجبل في غفلة منه، وأعلموه أن جماله مفقودة، ولا يدرون من أمرها شيئاً، فقال كلمته المعهودة (لعل في الأمر خيراً).

وفي الليل جاء اللصوص، وسرقوا جمال رفاقه وأحمالها، وتركوا ميرته وأحمال جماله؛ لأنها غير موجودة، وهكذا حمى رفاقه جماله من اللصوص، عندما أخفوها ليختبروا حقيقة أمره[2].

وإن تحدثنا عن عناصر بناء القصة عند الأديب الشيخ عبد الله ابن خميس فهو دائماً ما يصدّرها بمقدمة يمهد فيها للقصة معرفاً لشخصياتها وطبائعهم،

---

(١) مقدمة من أحاديث السمر، ص٢٢٠.

(٢) المرجع السابق، ص٢١٣.

وأوصافهم وبيئاتهم وهي عند الشيخ كما أوجب النقاد أن تكون قوية آخاذة تجتذب القارئ من السطور الأولى، ليتابع بشغف حتى يصل إلى النهاية[١].

يقول في مقدمة قصته [يا جريس][٢] (عدوان الهربيد من السويد من شمر، شاعر مجيد، وبر بأخيه وعشيرته محافظ على الرحم وموال لها).

وفي قصة [مروءة ووطنية][٣] يقول (في سنين قريبة كنا نعرفها، وفي وضع كان يقاسيه سكان قلب الجزيرة، من شظف العيش وخشونته ومرارة الحياة ونصبها، كان رجالها يذهبون لطلب رزقهم في مناكب الأرض، حيث الأنهار الجارية وضفافها في العراق والشام، وحيث مصائد اللؤلؤ في الخليج العربي يطلبون رزقهم هنالك، فيصيب من يصيب، ويخطئ، من يخطئ والذي يخطئ لا يسوغ له وضعه، ولا تساعفه مروءته أن يعود خالي الجراب.. بينما صحبه قد أدركوا ما أدركوا، كان الإخفاق من نصيب محمد البحيري، من أهل المذنب).

وفي قصة [كرم ورجولة][٤] يقول الشيخ عبد الله بن خميس: (الكثير منا يعرف الشاعر الموهوب نمر بن عدوان الصخري من قصائده الرائعة).

وفي قصة [فعل الجميل][٥] أورد الشيخ ابن خميس المقدمة التالية: (على المنهل المسمى "شرمة" من مياه الروسان من عتيبة جماعة ابن جامع في شرق نجد، كان أمير الروسان حسين بن جامع وجماعته، يقطنون هذا الماء، وعليه جاورهم الشيخ قاسي بن عضيب القحطاني، ومعه محسن بن فتنان من جماعته).

---

(١) انظر: القصة والرواية. عزيزة المريدن، ص٤١.

(٢) من أحاديث السمر، ص١٥.

(٣) المرجع السابق، ص٦٣.

(٤) المرجع السابق، ص٧٤.

(٥) المرجع السابق، ص٧٦.

وفي مقدمة قصة [الولد سر أبيه][١] يقول الشيخ ابن خميس: (عرفت البادية منذ فجر التاريخ بفصاحة اللغة، وسلامة الفطرة، وامتاز رجالها بالشجاعة والفروسية والكرم، واتصفت نساؤها بالإباء والأمانة والحياء، ومردّ ذلك كله بلا شك إلى نقاء مجتمع البادية، وتنـزهه عما يشينه من مثالب الحضارة، فهو يكسب نقاءه وشموله لتلك الحسنات من صفاء السماء التي يستظلها، وطهارة الأرض التي يفترشها، وجمال الطبيعة المحيطة به). إلى أن يقول: (نشأ طلال في كنف أبيه "فهد القحطاني" في بحبوحة من الرزق وبلهنية من العيش، فقد كان والده صاحب ثراء طائل، ولا يكاد يحصي ما يمتلكه من أذواد الإبل، وقد عمد الأب كغيره من حكماء البادية، إلى أن يربي ولده على التقشف ومجالدة الحياة، والاعتماد على النفس، فما أن اشتد عوده، وظهرت بواكير الرجولة عليه، حتى استدعاه إليه، وأقطعه شيئاً من الماشية، وزوده بالنصائح السديدة ... الخ).

ومن عناصر بناء القصة الحبكة:

ويقصد بها السياق أو المجرى الذي تجري فيه القصة، وتتسلسل بأحداثها، وتندفع بشخصياتها، وتتصارع وفق روابط محكمة، حتى تبلغ النهاية، وتكون الأحداث عادة مرتبطة برباط السببية، ولتتحقق الحبكة الجيدة يجب أن يكون تسلسل الفكرة مستمداً من الواقع، وأن يكون الحديث منطقياً، والهدف معروفاً، وعنصر التشويق متوفراً، وأن تكون الحبكة ذاتها متماسكة مترابطة حول شخصية رئيسة، أو مفككة تدور حول أبطال متفرقين[٢].

---

(١) مقدمة من أحاديث السمر، ص٢٦٦.

(٢) انظر: القصة والرواية. عزيزة المريدن، ص٤١-٤٢.

كما أن الحبكة تثير اهتمام القارئ، فكلما تعقّد بناء القصة زاد الاهتمام لمعرفة كيفية وصولها إلى ذلك الاتجاه، إضافة إلى أنها تعمل على التصعيد الدرامي عن طريق ترتيب الأحداث(١).

وإذا نظرنا إلى القصة عند عبد الله ابن خميس في منظومة كتابه [من أحاديث السمر] وجدنا أن الحبكة الفنية تتمثل في كثير من القصص، على الرغم من قصرها، فالشيخ متمكن من شخصيات قصصه، يعرفهم حق المعرفة لعلاقته الوثيقة بتراث الجزيرة العربية، ومعطياتها القومية، وهو خبير بمناهج أولئك في الحياة، وأساليبهم في التفكير، وأحداث القصص عند الشيخ مرتبطة ببعضها البعض، ومن ذلك قصة [باع نفسه](٢).

يسرد الشيخ أحداثاً مترابطة متوالية، تتعانق وشخوص القصة، وفيها أن قافلة ضربت البيداء، وحملت معها حصيلة ما لديها من المال نقداً، لتمتار ببعضها ولتبتاع مقتضيات الحي ولوازمه بالبعض الآخر، كانت البصرة قصدهم، والطريق ما بين حدود المملكة العربية السعودية والعراق محفوفة يضطرب اللصوص في أرجائها، ويتخطفون المارة والسفر ما أوسعهم الأمر، فلابد أن يُجمع مال القافلة عند قوي أمين، يحوطه برعايته ويرعاه بحذره، ويفرِّغ نفسه لحفظه والسهر عليه، إلا أن سلطان النوم يجور على اليقظ الحذر، ومن طلبه خصمه أدركه، وفي تلك الأثناء كانت عين ليلية، وأذن واعية تراقب حركات القوم وسكناتهم، وتعدُّ عليهم أنفاسهم، ولما أخذ النوم بمعاقد الأجفان، بعد سير وسرى، ومقاساة لوعثاء السفر وعقابيله، كانت عين اللصوص ترقبهم، وكان فن

---

(١) انظر: موسوعة المصطلح النقدي؛ ترجمة د. عبد الواحد لؤلؤة.ـ ط١ـ بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٨٣م، ج٣، ص٥٢٩.

(٢) من أحاديث السمر، ص٣٠١.

القرصنة والخطف يتابع الأنفاس، لينسل مذرباً[١] مدرباً[٢] كأنه الذئب الساغب، ويسل مزود النقود من تحت رأس (القوي الأمين)، الذي لم يصح إلا على نبت التراب والحصا، كأنه شؤبوب رائحة ليقفز هذا فزعاً مرعوباً، تحس يده أول ما تحس مكان النقود، ليجده حفرة لا شيء فيها، فيصبح فزعاً لكن الصياح لا يرد فائتاً، نقودهم جميعاً مضى بها اللص تحت جنح الظلام...)[٣].

ويواصل الشيخ سرد أحداث القصة، وحبكها فنياً ويبين أن (غازي الطوير) مولى ينتمي إلى قبيلة مطير، هو من حل العقدة في القصة، وأوصلها بخطته الذكية إلى نهاية آمنة أعاد بها أموال القافلة.

وفي قصته [ما أشبه هذه بتلك][٤]، جاءت الحبكة مترابطة متماسكة، حيث ضمت حدثاً واحداً دارت حوله مجموعة الأحداث الفرعية، وتبدأ العقدة في تلك القصة عندما فُجعت الفتاة في والدها حينما ركزت في جوفه قمتو [تريحيت بن شري] فارس قبيلة مطير على الإطلاق، وأحد شجعان العرب المشهورين، فظلت الفتاة تقاسي آلامها، وتناجي همومها، وتباريح جواها؛ وبعد انتظار ثأر لها فارس اسمه (فاجر) ، والذي قطع لها عهداً على نفسه أن شمس الغد لا تغرب إلا وقد فارق هو أو قرنه الحياة، وكان لها ما أرادت، وتتنامى العقدة بمجموعة الأحداث والقرارات التي اتخذتها هذه الفتاة للأخذ بثأر أبيها وتنتهي العقدة بانتصار فاجر على خصمه، وأخذ ثأر والد الفتاة...).

---

(١) مذرباً: أي مشحوذاً كالسيف إذا نقع في السم ثم شحذ، انظر: لسان العرب ١/٢٨٦.

(٢) مدرباً: أي ألف الركوب والسير، انظر: لسان العرب ١/٣٧٤.

(٣) من أحاديث السمر، ص٣٠١.

(٤) المرجع السابق، ص٨٨.

وفي قصة [لا يذهب العُرف][١] يعتمد الأديب ابن خميس على مجموعة المؤثرات التي تزيد في ترابط الحبكة، ورسم شخصية البطل بطريقة متنامية تركز على الجانب النفسي، والصراع الداخلي، وربط التطور النفسي للبطل نوعاً ما بوحدة الزمن، وإن كان الشيخ لم يوظف بيئة الحدث في معالجته القصصية توظيفاً كافياً، حيث البيئة عنده دائماً، وفي جميع قصصه هي البيئة البدوية الصحراوية، ونادراً ما ينقل الحدث إلى الحاضرة إلا في مراحل قليلة من القصة؛ بطل القصة فالح هو ابن لبدوي ثري يصفه ابن خميس قائلاً: (وكان صاحبنا يجلس في صدر البيت، وقد اتخذ من الرحل له تكأة، وامتد أمامه رواق البيت المسبطر، وكأنما هو في إيوان كسرى، يلقي نظره فيرى قطعان الإبل والغنم، قد انقادت في سلسلتها المتلاحقة، وقطارها الطويل، فيزيد فخراً واعتزازاً يشتد منه الضغط على محزمه المليء بالرصاص....).

ثم مؤثر آخر هواية القنص لدى الأب، والذي عمد ولده إلى حمل الصقر، وملاحقة الكلب، والأب دائماً ما يقص على ولده (فالح) شيئاً من مغامراته في جمع هذه الثروة الواسعة تارة، وتارة يروي لولده طرق ختل الصيد، وانتهاز غرته، وتتوالى المؤثرات في حبكة القصة، حيث حي من الأعراب يريد المنهل الذي يقيم عليه فالح، وسيكون هو وراحلته طعمة سائغة لمن سبق إليه من هؤلاء، ومن ثم لقاء فالح وهو مختبئ في كهف عن أولئك القوم بالفتاة صيتة ابنة شيخ الأعراب الذين قطنوا حول ذلك الماء، ومن ثم سقوطهما في البئر معاً مما حدا بوالدها أن يطمر البئر، بالتراب والشجر ويرحل؛ وأنهما يلجأن إلى ذكائهما ليخرجا من البئر ويدور الزمن وينزل والد الفتاة وإخوتها الذكور ضيوفاً على فالح (بطل القصة) فقص عليهم قصته. وانتهت بالوفاق والتراضي بين الفتاة وأهلها.

(١) من أحاديث السمر، ص٢٠.

أما في قصة [بطولة نادرة][١] فقد تشعبت الأحداث، وأسهب الشيخ عبد الله ابن خميس في ذكر تفاصيل كثيرة أثرت على وحدة القصة، فالقصة من حيث البناء مفككة، فقد كانت الأحداث تتوالى في شكل مجموعة من الأخبار المتلاحقة، وتدور أحداث القصة حول شخصية (العارضي) وإخوانه الأربعة عشر، الذين اتخذوا من السلب والنهب شريعة وبطولة، وجعلوا ذلك مدرجة للمدح، وسلماً للفخار، ولو قتلوا رجالاً ويتموا أطفالاً وأيموا نساء. يذكر ابن خميس في القصة أخباراً عن خروجهم كل إلى منحى من مناحي الجزيرة، ويورد أخبار من كان هدفاً لأولئك، ويصف بطولة البعض وإخفاق الآخر.. الخ القصة.

أما في قصة [نتيجة الإكراه][٢] جاء البناء فيها مفككاً، حيث لا يوجد فيها خط درامي واضح، وتكتفي القصة بتقديم جوانب من بعض العادات المعروفة عند أهل البادية قديماً، ومنها عادة [التحجير] وهي في لغتهم المنع لأي شخص ليس من عمود نسب الفتاة، أن يتزوجها، والشخصية المحورية، هي وضحى التي نشأت بين أسرتها الموفورة العدد، الكثيرة الرزق، تحتل من أرض نجد سنامها، ومن جبالها أمنعها وأغناها، فهي إذا أسهلت ففي رياض القصيم، ومنبسط الرمة، وسهول السر، وإذا تحصنت ففي أبانين وجبلة، تروح وتغدو على مضاربها أزواد الإبل، وقطعان الماشية، ويروح كل يوم قناصو العشيرة مثقلين بطرائد الضباء، وعديد الأرانب وجون القطا، ويبدأ السمر على غليان القدور بلحوم الصيد، وإفعام الأواني بالألبان، ومطارحة الأحاديث، على كئوس القهوة واحتساء العبيل[٣]. كذلك

---

(١) من أحاديث السمر، ص١٧٣.

(٢) المرجع السابق، ص١٢٧.

(٣) العبيل: الضخم من كل شيء، انظر: القاموس المحيط. مجد الدين بن يعقوب الفيروزبادي، مادة عبل، ص١٠٢٨.

قل أن يحتاجوا إلى شرب الماء وإذا احتاجوا إليه كان في الربيع مما تجلبه المزن على محاني الأباطح[١]، وفي الصيف مما تنضحه الجبال في منيعات القلات"[٢].

هكذا وصف الأديب عبد الله ابن خميس بيئة وضحى، واسترسل في الوصف مما أفقد القصة خطها الدرامي الذي ينشده القارئ.

ومن أبرز عناصر بناء القصة عند عبد الله ابن خميس: اللغة والحوار ويقصد بلغة القصة الألفاظ والعبارات التي تكتب بها[٣]، وتمثل المطابقة بين القيم الشعورية التي يحسها الكاتب تجاه أمر ما، والقيم التعبيرية التي يرسمها في الكتابة اللغوية، ويمثل الحوار (اللون الحركي للقصص)[٤].

والحوار أهم وسيلة لطرح آراء الشخصية وتحديد ملامحها، ووصف تصرفاتها، ولأن الشيخ ابن خميس في قصصه دائماً ما يتحدث بأسلوب الغائب عن شخصياته، فإننا نجده اتكأ على اللغة الفصحى الرصينة المصبوغة بالتراث القديم، والاقتباسات المشرقة والأمثال العربية، والشواهد المبدعة اتكاءً واضحاً، حيث نجد له في ثنايا القصة آراء ومفاخر أبت نفسه إلا أن يعبر عنها، ولعل ذلك ما رآه نقاد تلك القصص مأخذاً على الأديب ابن خميس كتبوه وتحدثوا عنه[٥].

---

(١) الأباطح: المسيل الواسع به دقاق من الحصى، انظر: لسان العرب، مادة بطح ٤١٣/٢.

(٢) القلات: نقرة في أعلى الجبل يستنقع فيها ماء السيل، انظر: لسان العرب باب التاء، فصل القاف ٧٢/٢.

(٣) القصة والرواية. عزيزة المريدن، ص٥١.

(٤) دراسات في الأدب السعودي. د. محمد الصادق عفيفي.ـ ط١.ـ القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م، ص٦٦.

(٥) انظر: مجلة الدارة، ع٣، السنة ٤ شوال ١٣٩٨هـ، [مقال قرأت لك]، د. عبد الستار الحلوجي، ص٢١٦.

وغالــباً مــا نرى عباراته تتناسب مع الأحداث التي تتطلب إفاضة وإبانة، وتعطي دلالات على الأشخاص، وما يحيط بنفوسهم من اضطراب، أو توجع أو فخر أو نحوه أو حماسة.

ننظر إليه مثلاً في قصة [هل مات][(١)]. يقول: (عرف شجاعاً فاتكاً، لا تلين له قناة، ولا يفل له حد، تخشاه الفرسان، ويفر من طريقه الأقران، ومات الفارس، و جاء رجل من قومه، حل ضيفاً على ابن عم لهذا الفارس، فسأله بسبب معرفته لهذا الشجاع هل له أبناء؟ قال نعم له أبناء؛ فقال السائل لا ليس له أبناء فقال للضيف: إنني أعرفه تمام المعرفة وأعرف أولاده وأسماءهم، ومع ذلك تغالطني، وتقول ليس له أبناء، إن أمرك لعجب، قال: يا بني ليس المراد بالأبناء هذه الهياكل الجوفاء التي يخلفها؛ لتعيش نكرات في الحياة، وإمعات في المجتمع ...) ثم يكمل الشيخ القصة بإيراد ما أثبت به الضيف أن أولاد ذلك الفارس ليسوا قرناء له في شجاعته وكرمه.

وأحياناً نرى الأديب عبد الله ابن خميس يبرز من خلال القصة ميله إلى تتابع الصور الجمالية، ويحرص على الإغراق في الوصف، وإن كان هذا الوصف أحياناً بعيد عن الموقف القصصي، ونحو ذلك.

نستمع إلى ذلك في قصة [الجواب ما ترى وتسمع][(٢)]. يقول واصفاً حال القبائل العربية ممهداً لقصة الشاعر عبد العزيز العصيمي: (لم تزل لغة الحديد والنار بين القبائل العربية، وتبادل الثارات هي المادة الدسمة التي يستقي منها الشعراء فنهم، ويتخذون منها أنجع الوسائل لحبك قصائدهم وتجويدها. أما إذا قام مع كل قبيلة من المتحاربين شاعر، يتغنى بمفاخرهم، ويشيد بمآثرهم، ويلهب أحاسيسهم، ويحرك فيهم حب الثأر، وحماية الذمار، ويسلق بشعره من أرادهم بأذى في القول، أو الفعل.

---

(١) من أحاديث السمر، ص٢٧٦.

(٢) المرجع السابق، ص١٧٩.

أما إذا ظفرت القبيلة بشاعر نابه يكفيها هذه الجوانب، فقد ظفرت بنصيب أوفى، ضمنت بنباهة قدرها وإشادة مجدها وإلا لما قدمت البشائر بنبوغه، وجاءت به يقدمها، ويتكلم بلسانها في أسواق العرب، ومجامعهم ... الخ القصة).

ونلاحظ تتابع الصور في قصة أخرى هي [اللصوصية لا تمنعهم من فعل الخير](١). يقول ابن خميس: (حيافة(٢) الخيل، وسرقتها عند العرب فن لا يحذقه إلا من تمرس به، وراض نفسه عليه، إلى جانب ما يحمله من قلب ذكي، وشجاعة نادرة، فالخيل عند العرب غالية وعزيزة جداً).

ويواصل (تسلل لص إلى مضرب أحد شيوخ البادية، لديه فرس أصيل مفوهة مشهورة بعلو رتبتها، وأصالتها وفراهتها(٣)، وقوة عدوها، فهي تَلْحق ولا تُلْحق، ولما جُنّ الليل انسحب مع منخفضات الأرض، ومنابت الشجر، حتى ولج جناء الشعر على غرة من أهله، ودفن نفسه تحت المتاع، إلا من ثقب يسير يبصر منه ...) إلى آخر ما ورد في القصة، وبعض قصص الشيخ ذات لغة حالمة، تسبح في فضاء الأساليب البديعة، وروح الشعر، مما أكسبها دلالات وظيفية على الأحداث، مدلة على شخوص القصة، ومن ذلك ما نراه في قصة [يد تقطع في الحق ليست عضباء](٤).

يقول الشيخ ابن خميس: (نشأ عمرو في حجر والده الثري، وأمه الحنون، نشأ مدللاً غضاً بضاً يكاد فضيض(٥) الماء يخدش جلده وخطرات النسيم تجرح

---

(١) من أحاديث السمر، ص٢١٧.

(٢) حيافة الخيل: أخذها من جوانبها ونواحي مالكها، انظر: لسان العرب، باب الفاء، فصل الحاء ٩/٦٠.

(٣) فراهتها: فاره أي نادر، ودابة فارهة أي نشيطة حادة قوية، انظر: لسان العرب، باب الهاء، فصل الفاء ٥٢١/١٣.

(٤) من أحاديث السمر، ص٤٥.

(٥) فضيض: المتفرق من ماء المطر والبَرَد، انظر: لسان العرب، باب الضاد، فصل الفاء ٢٠٨/٧.

خده ..) وفي القصة نفسها يورد الشيخ موقفاً لذلك الوالد الثري، بينه وبين زوجته التي أوصاها بذلك الولد المدلل فقال: (إن ابنه لا يزال غرا لم تحكمه التجارب وعشبة غار لم تلوحها السمائم) ويواصل الشيخ ابن خميس سرد القصة قائلاً: (ومضت الأيام فنفد ما في يد الغلام، فشكا لأمه الحال، ولكن شكوى الجريح إلى العقبان والرخم)(١).

أما الحوار في قصص الشيخ الأديب عبد الله ابن خميس، فإنه ربما يندر، حيث يتحدث هو نيابة عن شخصيات قصصه، ويلجأ إلى ضمير الغائب إلا من مواطن قليلة لجأ فيها إلى الحوارات الجانبية القليلة، ولعل مقتضى الحدث الذي لابد من أن يتبين من خلال كلام صاحبه، هو ما دفع الشيخ لأسلوب الحوار في بعض قصصه، ومما لا شك فيه أن للحوار دوراً في تطوير الحدث، إضافة إلى وظيفته الأساسية التي تتيح للشخصيات أن تقدم أفكارها، وعواطفها ودوافعها بنفسها، دون تدخل من الكاتب(٢).

ونرى الحوار بارزاً في قصة من قصص الشيخ ابن خميس هي [أمانة في هتيم](٣).

ولعل إعجاب الشيخ بهذه الشخصية، وما أحاط بها من مآثر عجيبة، وتفان عجيب وسعي للأمانة، ومكارم الأخلاق، وهو ما دفع أديبنا الشيخ لإجراء حوار بين بطل القصة [علي الهتيمي] ، وبين الحضري علي بن حمدان ومنه:

علي الحمدان : أشكرك وليبارك الله لك فيها.

الهتيمي: أقول لك: غنمك بحق لا أنها غنمي سوف أهبها لك.

الحمدان : لم أعلم لي غنماً قط لدى أحد.

---

(١) من أحاديث السمر، ص٤٨.

(٢) القصة القصيرة في المملكة العربية السعودية. سحمي الهاجري.ــ ط١.ــ الرياض: النادي الأدبي، ١٤٠٨هـ، ص١٩٩.

(٣) انظر: من أحاديث السمر، ص٥٥.

الهتيمي : هذه غنمك التي لا تعلمها.

الحمدان : كيف؟

الهتيمي : ألم تكن في سنة كذا قد تركت راحلة من رواحلك مريضة عند حي من هتيم كبيرهم علي الهتيمي على أن يعيدوها إذا سلمت، أو يأكلوا لحمها إذا هلكت.

الحمدان : بلى، فماذا فعل الله بها؟

الهتيمي : إنها هلكت.

الحمدان : وماذا بعد الهلاك؟

الهتيمي : ألم يكن جلد الناقة سلعة تحرص النساء البدويات على الحصول عليها ليجزأ، أو يدبغ فتكون منه العياب[١]، والغبط[٢]، والمزادات[٣]، والدلاء[٤]...الخ.

وللشيخ الأديب ابن خميس في قصصه بعض الفقرات الوصفية التي يتخللها بعض الحوارات القصيرة، تضافرت مع الأحداث لتصوير الجو العام ومن ذلك قصة [سباق في مكارم الأخلاق][٥]. نورد منها (ولما استقر به القرار في البقعة التي يلائم كلؤها ماشيته، جعل يتقفز الأرض، ويصطاد بطيره من صيدها، ويروح إلى أهله حاملاً ما معه من صيد، عارفاً ما يمكن أن يكون أطيب مرعى لماشيته، يوجهها له غداً، ولقد التقى بشاب من أهل هذه البقعة بدو الشمال كل منهما يحمل طيره، ويصطاد به، فتحادثا وتذاكرا في المراعي والصيد، وما إليهما، فرأى الشاب الشمالي أن الطير الذي يحمله الجنوبي صغير، ولم يتوسم

---

(١) العياب: وعاء من أدم يكون فيه المتاع، انظر: لسان العرب ٦٣٤/١.

(٢) الغبط: الرحل وهو للنساء يشد عليه الهودج وجمعه غبط، انظر: لسان العرب، باب الطاء، فصل العين ٣٦٠/٧.

(٣) المزادات: وعاء يجعل فيه الزاد، انظر: لسان العرب ١٩٨/٣.

(٤) الدلاء: ما يحمل فيه الماء ومفردها دلو، انظر: لسان العرب ١٢٤/٢.

(٥) من أحاديث السمر، ص١٤٨.

فيه الشجاعة والفراهة في الصيد فقال: ألا ترى أن نكون اليوم في صيدنا شركاء، أصحاباً في قنصنا، نكتفي بما يصيده طيري؟! فوافق الجنوبي على اقتراح أخيه، فقنصنا معاً..).

نلمس فيما اقتطفناه من القصة السابقة، وجود حوار قصير لا يتعدى موقفاً واحداً، يتخلل السرد الوصفي الذي انتهجه الشيخ في إيراد القصة، ويتمثل الحوار عندما عرض الشاب الشمالي على صاحبه الجنوبي، أن يقتنصا بطيره هو، وأن يريحا طير الجنوبي في ذلك اليوم.

والكثير من القصص عند الشيخ كتبها بطريقة السرد، ولم يورد فيها حواراً وقد طغت فيها العبارات المباشرة ومنها [بر ووفاء](١)، وقصة [لا يذهب العرف](٢).

ونلاحظ في بعض القصص عند الشيخ ابن خميس، كثرة التشبيهات الشعرية التي تشير إلى شيء من مضمون القصة، ومن ذلك [الفرخ لا يغويك](٣) فيعلق على الشباب، ورونقه، ونضارته، وجاذبيته في نهاية القصة بقول الشاعر(٤):

آلــة العيش صحة وشباب فــإذا ولــيا عن المرء ولى

وقصة [اذبحوا ذباح الكلب](٥) وفيها يورد الشيخ قول الشاعر(٦):

إذا لم تكن ذئباً على الأرض أطلساً كثــير الأذى بالتْ عليك الثعالب

(١) من أحاديث السمر، ص٦٦.
(٢) المرجع السابق، ص٢٠.
(٣) المرجع السابق، ص٣٦.
(٤) البيــت للشاعر المتنبي، في رثاء أخت سيف الدولة، انظر: شرح ديوان المتنبي؛ مراجعة نخبة من الأدباء، ص٤٠٥.
(٥) انظر: من أحاديث السمر، ص٣٩.
(٦) البيت ذكره ابن خميس في الشوارد ولم ينسبه ١/١٤٦.

وبه يدلل الشيخ على شيء من مضمون قصته، التي تنطوي على ما كان سائداً في قلب جزيرة العرب منذ أكثر من تسعة قرون، وهو حال الفوضى واضطراب الجزيرة.

وفي قصة [ما أشبه هذه بتلك][١]. دلل الشيخ الأديب على ضياع حقوق الأمة العربية اليوم، وافتقارها إلى شاب شجاع مثل [فاجر] الشاب الشجاع الذي استجارت به (رثعاء) لأخذ ثأر أبيها، واستجاب لطلبها نخوة وشهامة.. بينما الحرائر اليوم في فلسطين يستنجدن بشباب المسلمين، ولكن لا مجيب فيؤكد الأديب مضمونه القصصي ورؤيته بقول الشاعر[٢].

عجباً لقومي والعدو بدارهم   كيف استطابوا اللهو والألعابا

وفي قصة [البذر في السباخ[٣]][٤]. تدور القصة حول من يصنع المعروف في غير أهله ومن يضعه في لئيم لا يقدره، كما حدث مع بطل القصة عبد الله القحطاني، ومن يدعى عبد الله بن فايز، ولم يوضح الشيخ اسم قبيلته؛ لأنه يرى في انتماء ذلك الشخص الجاحد لها مغمزاً عليها.

هذا الشخص بذل المعروف تجاهه بكافة طرقه وصنوفه؛ إلا أنه جحد وتنكر لمن أسدى إليه، فيرى الشيخ أن أمثال ذلك الجاحد كثيرون، فهم جلود مملوءة غثاثة ورثاثة وهياكل ملأها بارؤها بالخبث والعفن، ثم يستشهد الشيخ ببيت من إنشائه:

إذا لبس البياض فَعِدْلُ جص   وإذْ لبس السواد فَعِدْلُ فحم

---

(١) من أحاديث السمر، ص٨٨.

(٢) البيت ذكره ابن خميس في الشوارد، ولم ينسبه، انظر: الشوارد ١/٣٦.

(٣) السبخة: أرض ذات ملوحة ولا تكاد تنبت وجمعها سباخ، انظر: لسان العرب، باب الخاء، فصل السين ٣/٢٤.

(٤) من أحاديث السمر، ص١٠٧.

والأديب في قصصه متأثر بأسلوب القصص الشعبي من حيث الاعتماد على الأحداث في الدرجة الأولى، وحكاية الأحداث حسب تسلسلها الزمني، كما أن الشيخ ابن خميس غير محايد، فغالباً ما يتدخل شارحاً أو منبهاً أو معلقاً أو مخاطباً شخصياته، وتمثل على ذلك بمواضع منها قصة [يا جريس](١). يخاطب الشيخ بطل قصته صاحب بقعاء في نهايتها بأبيات من الشعر، معارضاً قصيدة البطل التي أوردها الشيخ في القصة نفسها.

وفي قصة [إذا لم يكن إلا الأسنة مركبا](٢). يخاطب الشيخ الملك عبدالعزيز قائلاً: (رحمك الله يا عبد العزيز، فكم لك أيادٍ لا تنسى ولا تحصى).

ومن قصص الشيخ ما لم يبين أسماء شخوصها ولعله قصد من ذلك التركيز على الحدث، وعدم جرح الأشخاص وقبائلهم، لأنه رأى بعض العيوب الاجتماعية التي لا يليق التصريح بأسماء من ارتكبوها، وخاصة أنه يكتب عن قصص واقعية جمعها من موروثه ومن ذلك [بر ووفاء](٣). ولم يكن الشيخ يترك القصص الهادفة دون أن يعلق عليها ويطل علينا من وراء سطورها وأحداثها محذراً من الوقوع في مثل تلك الأخطاء المتوارثة فمثلاً يختم قصته [نتيجة الإكراه](٤) بقوله: (وهكذا تكون نتيجة إكراه الفتيات على من لا يردنه، واستبداد الأهل بشئون أعطاها الله لأربابها خاصة، وكم من مآسٍ وسيئات جلبها استبداد الأهل بغير ما هو لهم، ونتج عنها فساد وإفساد، فهل من مدكر؟) وينهي الشيخ قصة [هكذا يتم الزواج](٥) بقوله: (وهكذا تكون عادات الكرام في الزواج، هدفهم الكفء قبل كل شيء، بخلاف الذين يبيعون بناتهم بيعاً، ويرهقون الزوج

---

(١) من أحاديث السمر، ص١٥.
(٢) المرجع السابق، ص٢٨٣.
(٣) المرجع السابق، ص١٥.
(٤) المرجع السابق، ص١١٧.
(٥) المرجع السابق، ص٢٤٥.

بضخامة المهر، وكثرة التكاليف والجعجعة الفارغة، إن أبرك النساء أيسرهن مهراً، وصدق المصطفى صلى الله عليه وسلم حيث يقول: (إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد كبير)(1).

وفي قصة [النصيحة مرآة](2) يقول: (إن البقاء دائماً في عيش رتيب، ومجتمع واحد لا يمكن أن يعطي للشاب التجربة الحقيقية للحياة، ولا أن يثقفه التثقيف الاجتماعي المطلوب، فالحياة كلها دروس، ودروسها في التقلب في مناكب الأرض ودراسة واقع المجتمعات، والأخذ من كل تجربة درساً، ومن كل واقعة عظة).

ونراه في قصة[إذا لم يكن إلا الأسنة مركباً](3). يختمها بقوله (وعبرة القصة معالجة الحاكم لأحوال رعيته، ومعاملة كل بما يليق به وله).

ونرى أنه كان يمكن الاستغناء عن تلك التعليقات بأحداث القصص نفسها، وأحسب أن القارئ قادر على فهم مغزى القصة، فالشيخ يأخذ بتلك التعليقات يد القارئ ليدله على موطن العظة والعبرة فيها.

وللناقد عبد الستار الحلْوجي رأي حول تلك التعليقات يقول فيه: (ما ينبغي لقاص أن يوقف الأحداث ليخطب فينا بما يراه، بل عليه أن يحرك الأحداث في الاتجاه الذي يوصلنا إلى ما يريد أن يقوله، دون أن يسمعنا صوته)(4).

ويقـارن الشـيخ في كثير من قصصه بين أحوالنا في جزيرة العرب في الماضـي، وأحوالـنا في الحاضر في محاولة منه لاستنهاض الهمم، واسترجاع الأمجاد الماضية، ومثال ذلك قصة [ما أشبه هذه بتلك](5) التي تتحدث عن رثعاء

(1) أخرجه الترمذي، أبواب النكاح ـ ط1 ـ تحقيق الشيخ الألباني؛ إشراف زهير الشاويش، مكتب التربية لدول الخليج العربية، 1408هـ، الجزء الأول، ص314.

(2) من أحاديث السمر، ص256.

(3) من أحاديث السمر، ص283.

(4) انظر: مجلة الدارة، ع3، شوال 1398هـ، [مقال قرأت لك]، ص219.

(5) انظر: من أحاديث السمر، ص88.

العتيبية، واستنجادها بفاجر، أحد فرسان قبيلتها المغاوير، ليثأر لها من قاتل أبيها، يقف الأديب الشيخ عند ذلك الموقف، ليحدثنا عن المرأة المسلمة التي استنجدت بالمعتصم، وهي في أرض الروم فاستجاب المعتصم لندائها وانطلق إلى عمورية ففتحها بعد معركة سجلها أبو تمام في إحدى روائعه، ويعلق شيخنا على ذلك قائلاً: (ما أشبه تلك بهذه، وما أحوج بنات العرب في إسرائيل إلى معتصم ثان يهريق كأس الكرى، ورضاب الخرد العُرُب، ويستجيب لأنات النساء اللواتي جعلهن اليهود دمى بعدما قتلوا رجالهن، واستباحوا أرضهن)[١].

ومن قصة [بطولة نادرة][٢] التي تدور أحداثها حول خمسة عشر رجلاً من العوارض حاول الحاكم أن يخضعهم، فصمدوا لجيشه وقتلوا منه الكثير، ثم أفلتوا منه وعاد الجيش الكبير يجر أذيال الخيبة، يتحسس جراحه، ويتفقد قتلاه، وفي ختام القصة يظهر المؤلف الشيخ ابن خميس فيقول: (تلكم هي قصة العوارض، وكلها صبر وجلد، واستبسال ويوم يهيء الله لفلسطين، وأخواتها من أمثال العوارض، وهو اليوم الذي يستقل فيه وطننا العربي استقلالاً تاماً كاملاً، وأنه ليوم قريب لا بعيد إن شاء الله).

والقصص كما أبان عنها الشيخ الأديب عبد الله بن خميس واقعية من قلب الجزيرة العربية؛ إلا أن بعضها فيه خيط من الخيال، مما يبعدها عن سمة المجموعة ومنها [النصيحة مرآة][٣]، وقصة [لئلا تجرح أمانته][٤]. فالأولى تدور أحداثها حول شاب هجر وطنه، وعاش فترة من الزمن في إبل رجل أصيل شريف، ولما أراد العودة إلى دياره، وجه إليه صاحب الإبل ثلاث نصائح، هي: ألا يبيت في بطن واد، وأن يحذر مصاحبة الأحول، وإذا هم بأمر اليوم فلا ينفذه

(١) انظر: من أحاديث السمر ، ص٨٩.

(٢) المرجع السابق ، ص١٧٣.

(٣) المرجع السابق، ص٢٥٦.

(٤) المرجع السابق، ص٢٩٨.

إلا بـــالغد، وعــاد الشـــاب والتحق في طريق عودته بقافلة باتت في بطن واد فـــتركها، وأوى إلى ربوة بعيداً عن مجرى الوادي، آخذاً بنصيحة صاحبه فداهم السيل القافلة، وأفناها ومن فيها ونجاه هو، ثم لقيه أحول فصاحبه على حذر منه، وذات لـــيلة تسلل الأحول ليقتله، ويأخذ ما معه، إلا أن حذره أنجاه منه، وحينما قدم أهله ليلاً وجد رجلاً أجنبياً آوى إلى البيت فظنه أجنبياً فهم بقتله، ولكنه تذكر وصـــية صـــاحبه فأرجأ تنفيذ ذلك إلى الغد، وفي الصباح أدرك أن الرجل الذي دخل البيت البارحة، هو ابنه الذي ولد في غيبته.

والقصة الثانية [لئلا تجرح أمانته] تتحدث عن تاجرين تصاحبا، وأودع كل مـــنهما ماله في مِنْطَقة[1]. تمنطق بها، وكانت المنطقتان متشابهتين، وذات يوم أدركـــتهما القـــيلولة، فقـــالا تحت شجرة وتخليا عن منطقتيهما اللتين تثقلانهما، وذهـــب أحدهما يحتطب، فجاءت حدأة واختطفت منطقته، وخشي زميله إن هو أنبأه الحقيقة أن يشك فيه، فأخذ منطقته ووضعها في موضع المنطقة المخطوفة، وافـــترق الصاحبان، فعاد من ضاعت منطقته ومضى صاحبه لحال سبيله، وفي طـــريق عودتـــه أدركـــته القيلولة تحت شجرة أخرى، فلاحظ عش طائر على الشجرة تتدلى منه منطقة تناولها، فإذا هي منطقته وإذا هو يبين أن التي تمنطق بها هي منطقة صاحبه، فأدرك ما حدث، وابتاع بذهب صاحبه إبلاً عاد بها إليه، وقص عليه قصة الطائر والشجرة والمفاجأة.

والشـــيخ ابن خميس يكرر بعض المضامين في كثير من القصص مثل ما دار مـــن قصصـــه حـــول عادة التحجير[2]. وهي تقليد سائد من أسوأ التقاليد، وأضـــرها وأكثرها تعارضاً مع التعاليم الإسلامية، وحقوق الإنسان لما فيها من

---

(١) منطقة: هو كل ما شدّ به الوسط، انظر: لسان العرب، باب القاف، فصل النون ٣٥٤/١٠.

(٢) هي أن يكون لابن عم الفتاة في البادية الحق في أن يتزوج بها راضية أو ساخطة ويمنع غيره من خطبتها وإذا لم تقبله زوجا لها حال بينها وبين إتمام دينها قسرا أي حجر عليها فلم يقبل أن تتزوج. انظر: من أحاديث السمر، ص٨٢.

تسلط وإجحاف، وسلب لحرية الإنسان في أن يسلك السبيل الذي يختاره في أهم شأن من شئون حياته وهو الزواج.

والمضمون الذي أورده الشيخ في قصة [خلف بن دعيجا][١]، وقصة [نتيجة الإكــراه][٢]، وقصة [هكذا يمتحنون الشباب][٣]، وقصة [ما كنت أول عاشق][٤] مضمون واحد.

ونلاحــظ أن بيــن هذه القصص من حيث المضمون ثلاث سمات هي: أن أبطالهــا يحسنون السير مع الأحداث والمواقف دون كسر للعادات النبيلة، ودون أن يبــتعدوا عن مكارم الأخلاق والشيم، وأن الوفاء، ليس له عندهم بديل، وأن الحياة عندهم تغدو عاراً إذا لم يستطع أحدهم الوفاء والتزام العادات الكريمة.

وتتطور أحداث القصص تطوراً سريعاً حتى أن القارئ يبدو مشدوهاً أمام أحداثهــا، مــبهوراً أمــام العواطف، وأحاسيس الرحمة والمعاني الرفيعة والقيم والشيم التي تزخر بها القصص، والمواقف النبيلة التي تتدفق بغزارة في بوادي الصحراء العربية.

وشخوص القصص لم يتركوا همسة تسللت إلى وجدانهم، أو لحظة عاشوها أو حلماً طاف بأذهانهم، أو نصراً حققوه، أو مرارة هزيمة أو ظلماً وقع عليهم، أو هــوى هــز كيانهم، أو كرماً أو مروءة وأريحية أثارت عجبهم ودهشتهم إلا وحولوهــا وترجموها إلى صور تضارع في روعتها، وجدتها، وبراعتها شعر المبدعيــن الملهمين في كل عصر في بلاغة عالية، وهكذا هو السر في احتواء القصص، وانتهائها بقصائد تعتبر بمقياس متذوقي الشعر البدوي من غرره.

---

(١) من أحاديث السمر، ص٨٢.

(٢) المرجع السابق، ص١١٧.

(٣) المرجع السابق، ص١٩٤.

(٤) المرجع السابق، ص١٨٧.

وإذا تطرقنا إلى الخصائص الأسلوبية التي انتهجها الشيخ الأديب في قصصه؛ فإنه يستوقفنا بأسلوبه الأدبي بما فيه من عبارات قوية وجميلة.

فإن طَرق باب الاقتباس، فهو لطيف ومناسب من التنزيل المطهر، ومن الحديث الشريف، وتضمين من الأبيات الشعرية، وأشطار بعض الأبيات والأمثال والحكم ومن ذلك ما ورد في قصة [باع نفسه][١] من اقتباس رائع (وقال الذي اشتراه من البصرة لأهله أحسنوا مثواه فهو خليق أن ينفعنا).

وهنا اقتباس من قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَداً ﴾ يوسف، من الآية٢١.

وفي قصة [بذرة في سباخ][٢] اقتباس آخر عندما قال (سواء بذله في سباخ أو ربوة ذات قرار معين) وهو اقتباس من قوله تعالى وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ) المؤمنون، الآية: ٥٠ .

وفي قصة [الشريف جبارة][٣] اقتباس رائع (إنك محبوس هنا في هذا القصر حتى ننظر أصدقت أم كنت من الكاذبين) والعبارة اقتباس من قوله تعالى ﴿قَالَ سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنْ الْكَاذِبِينَ﴾ سورة النمل، الآية: ٢٧.

ومن قصة [جدد جروح العود][٤] (عزم على الحج فقضى تفثه، وأوفى نذره، وطوف بالبيت العتيق) وفيها اقتباس من قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ سورة الحج، الآية: ٢٨.

واقتباس آخر في قصة [وإنما نأخذ ما أعطينا][٥] ورد في سياق القصة (هدّه الكبر وبلغ منه عتياً) وهو اقتباس من قوله تعالى ﴿**قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتْ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنْ الْكِبَرِ عِتِيًّا**﴾ سورة مريم، الآية: ٨.

---

(١) من أحاديث السمر، ص٣٠١.
(٢) المرجع السابق ، ص١٠٧.
(٣) المرجع السابق، ص١٤١.
(٤) المرجع السابق، ص١٩١.
(٥) المرجع السابق، ص٢٦٨.

ويبلغ الاقتباس روعة أخرى في قصة [حوادث الدهر][١] (ولما توارت الشمس بالحجاب) وفيه اقتباس من قوله تعالى ﴿**فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ**﴾ سورة ص، الآية: ٣٢.

وموطن آخر للاقتباس في قصة [الجوار والألعار][٢] عندما قال (ولو كان يأوي إلى ركن شديد) وفيه اقتباس من قوله تعالى ﴿**قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ**﴾ سورة هود، الآية: ٨٠.

ومن الحديث الشريف قوله في قصة [ما أشبه هذه بتلك][٣] (هذا ما حاك في نفس رثعاء)؛ وهو اقتباس من قوله صلى الله عليه وسلم (البر حسن الخلق، والإثم ما حاك في النفس وكرهت أن يطلع عليه الناس)[٤]. ومواضع الاقتباس كثيرة وثرية فوق ما أوردناه.

وقد وظف التضمين في قصصه، نذكر من ذلك ما ورد في قصة [هكذا يمتحنون الشباب][٥] قوله (فلم تصلح إلا له ولم يك يصلح إلا لها) وفيها تضمين من قول أبي العتاهية في مدح الخليفة[٦].

أتته الخلافة منقادة إليه تجر أذيالها فلم تكن تصلح إلا لـه ولم يكن يصلح إلا لها

---

(١) من أحاديث السمر، ص ٢٦١.
(٢) المرجع السابق، ص٢٠٦.
(٣) المرجع السابق، ص٨٨.
(٤) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة، باب تفسير البر والإثم، حديث رقم ٢٥٥٣، ترقيم وترتيب محمد فؤاد عبد الباقي ٤/١٩٨٠.
(٥) من أحاديث السمر، ص١٩٤.
(٦) انظر: ديوان أبي العتاهية، شرح مجيد طراد.ــ ط١ــ بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م، ص٣٣١.

وفـــي قصـــة [الفرخ لا يغويك][١]. أورد الشيخ مضمناً شطر بيت الشاعر الجاهلي علقمة الفحل[٢]: (فليس له من ودهن نصيب).

وذلك في قول علقمة:

إذا شاب رأس المرء أو قل ماله ‏ ‏ ‏ فلـــيس لـــه من ودهن نصيب

وفـــي قصة [شارع بن قويد يبكي شبابه][٣]. يقول الشيخ (امتدت به الحياة وسئم تكاليفها) وذلك تضمين من قول الشاعر زهير بن أبي سلمى:

سئمت تكاليف الحياة ومن يعش ‏ ‏ ‏ ثمانين حولاً لا أبالك يسأم[٤]

ومـــن خصائص أسلوب الشيخ الأديب دقة الصورة الفنية وتكامل علاقاتها، وهـــي عنده مواضع كثيرة زخرت بها القصص، دونما استثناء، فنراه وهو يصف قـــاطع الطـــريق يقول: (هذا أحد لصوص الخيل يقطع الديار ماشياً على قدميه، ويجعل ماءه في سقاء لا يتجاوز حجم كف اليد، وإذا ورد الماء أخرج خيطاً دقيقاً مبرماً، واستقى به وملأ السقاء، أما قوته فيكون في جراب صغير جداً، وأما لباسه فيكون قاتماً أغبر كطبيعة الأرض التي يتلصص بها، فهو ذئب بشري أطلس)[٥].

ولنتأمل وصف الشيخ لثعبان هرم أعمى بأنه (عظيم الخلقة متغضن اللحم، متشـــقق الشـــدقين، وقد ترك منه طول الدهر ثاوياً، شئن الجلد، مقوس الظهر، أعمى العينين تتردد منه الروح، في جثة هامدة)[٦].

---

(١) انظر: من أحاديث السمر، ص٣٦.

(٢) انظـــر: من القائل.عبد الله ابن خميس.ـــ ط١.ـــ الرياض: مطابع الفرزدق التجارية، ١٤٠٤هـــ/ ١٩٨٤م، ص٢٣٥.

(٣) انظر: من أحاديث السمر، ص٢٧٨.

(٤) انظـــر: ديوان زهير بن أبي سلمى، شرح ديوان زهير بن أبي سلمى؛ قدم له وعلق على حواشيه سيف الدين الكاتب.ـــ ط١.ـــ بيروت: دار مكتبة الحياة، ١٩٨٦م، ص١٠٩.

(٥) انظر: من أحاديث السمر، قصة [اللصوصية لا تمنعهم من فعل الخير]، ص٢١٧.

(٦) انظر: المرجع السابق، قصة [يتوب بسبب ثعبان]، ص٢٢١.

وقوله (وانعقدت النوادي، وأُديرت كئوس القهوة، وقد بدأ الليل يرخي جلابيبه، وانتثرت نيران الحي الحلول كأنها الأنجم في صفحة السماء)(١).

وفـــي موضع آخر يقول: (يد رخصة بضة كأن أصابعها أساريع ظبي أو مساويك أسحل تنحدر عليه من النافذة)(٢).

وقوله: (ألبسه الجوخ ليكون وجه النادي، وتلبية المنادي)(٣).

وتقفز الصورة الفنية من ذهن شيخنا إلى يراعه؛ ليسجل في قصة من باع نفسه مـــن أجـــل عشيرته (ولما أخذ النوم بمعاقد الأجفان بعد سير وسرى، ومقاساة لوعثاء الســـفر وعقابيله، كانت عين اللصوصية ترقبهم، وكان من القراصنة والخطف يتابع الأنفـــاس؛ لينســـل مذرباً، ومدرباً كأنه الذئب الساغب، ويسل مزود النقود من تحت رأس (القوي الأمين)(٤).

والشـــيخ ابـــن خمـــيس من الذين يتقنون أسرار وسيلتي الإبداع الرسمية والشـــعبية، ونقصد بذلك العربية، واللهجات المحلية الشعبية واستطاع من خلال قصصه أن ينقل التراث الشعبي من أدب شعبي، وثقافة شعبية، إلى اللغة العربية الفصـــحى، وهـــذا النقل يستلزم عبقرية لحسن أدائها، ولم يكتف أديبنا باستذكار المعلـــوم مـــن القصص في الجزيرة العربية، واستدراجه إلى عقل الأديب ليعبر عـــنه، إنمـــا اســـتطاع الشيخ أن يضع يده على القيم الرفيعة التي تجعل هؤلاء العـــرب يتسابقون في مجال الشرف، ويتنافسون في ميدان المجد، ويتبارون في مراقي السؤدد، ويأتون بالعجائب والغرائب؛ التي تؤكد أخلاقهم الكريمة، وتغني الخصال والسجايا الشريفة في المجتمع العربي عامة والبدوي خاصة.

---

(١) انظر: من أحاديث السمر، قصة [لا يذهب العرف]، ص٢٣.
(٢) انظر: المرجع السابق، قصة [يد تقطع في الحق ليست عضباء]، ص٥٢.
(٣) انظر: المرجع السابق، قصة [باع نفسه]، ص٣٠١.
(٤) انظر: المرجع السابق، قصة [باع نفسه]، ص٣٠١.

ولعل من نافلة القول ونحن نختم الحديث عن فن القصة عند الشيخ عبد الله ابن خميس، أن نذكر بعض الآراء النقدية في الفن القصصي عنده، والمتمثل في مجموعـته من أحاديث السمر؛ ومن ذلك ما قاله الكاتب عيسى الجراجرة[1] في رسالة بعث بها للشيخ ابن خميس، وفيها تقريظ للمجموعة القصصية من أحاديث السمر، ولقد قام الشيخ بنشر الرأي في مجلة الفيصل، وفيه يقول: (إن ابن خميس رائد في بابه عندما صاغ قصصه صياغة فنية بالغة الرقي، في نثر بديع يشرق إشراقاً إلى حد يكاد يصل في جماله إلى نجوم الشعر، واستطاع أن يخرج بالرواة عن حذرهم، وتمنعهم وضنهم بما يحفظون وتلك مهمة لا ينجح فيها إلا من حباهم الله براعة ودبلوماسية، في حسن الاتصال والتواصل مع بني البشر، فحمى هـذه الدرر من القصص من الضياع، والتبدد عندما نقلها من محدودية اللهجة البدوية، إلى انفتاح اللغة الفصحى اللامتناهي)[2].

وللأديب محمد بهجة الأثري[3] رأي في قصص الكتاب، وجدته في رسالة بخط يده، بعثها للشيخ عبد الله ابن خميس، عبر فيها عن رؤيته الخاصة تجاه المجموعة القصصية، فقال إنها أتاحت لـه متعة بالغة، حيث تضمنت غرائب الحوادث الواقعية في قلب جزيرة العرب، المفعمة بالمثل السامية من الشمائل العربية الموروثة، التي ما تزال تعتمل في ضمير الأمة، وتبدو في سلوكها

---

(١) عيسى الجراجرة. من مواليد الكرك، عام ١٩٣٧م، عضو رابطة الكُتاب الأردنيين. عمل مستشاراً لوزير الثقافة الأردني من مؤلفاته (النصائح الثلاث)، (المتحف الأردني)، (الحلم). انظر: الأدب والأدباء والكُتاب المعاصرون في الأردن. محمد حسن الشايخ.ـ ط١.ـ عمّان؛ الأردن: مطابع الدستور، ١٩٨٩م، ص٢١٥.

(٢) مجلة الفيصل، ع٢٥، رجب ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م، ص٧١.

(٣) محمد بهجة الأثري. ولد في بغداد سنة ١٣٢٠هـ/١٩٠٢م. تعلم القراءة والكتابة في الكتاتيب، والقرآن ومبادئ الدين والحساب. لقب بالأثري لاقتدائه بأثر الرسول صلى الله عليه وسلم. عضو المجمع العلمي العراقي. لـه عدة مؤلفات منها (الأساس في تاريخ الأدب العربي)، و(الاتجاهات الحديثة في الإسلام)، انظر: مجلة عالم الكتب، مج١٩، ع٤، المحرم ١٤١٩هـ، ص٣١٥.

وأفعالها الخيرة في أروع الصور، ويوضح الأديب الأثري أنه طرب لذلك البيان العربي الأصيل، الذي صيغت به القصص في إشراق تام كالذي نجده عند كتاب العرب الأبيناء، في عصور ازدهار العربية.

وفيما يلي نص الرسالة كاملاً:

بسم الله الرحمن الرحيم

الأستاذ الكريم / عبدالله بن محمد بن خميس، حفظه الله ورعاه.

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته،

سعدت بكتابكم الطريف «من أحاديث السمر»، وقد وصل وأنا طريح الفراش من مرض مضنٍ طال لبثه. ومازلت من عقابيله في عذاب ونصب، فلم يكن في استطاعتي أن أكتب إليك شكري على ما أفضلت به، فإن تُرني قد أبطأت به فهذا هو عذري، ولعلك - إذا شهدت مؤتمر مجمع اللغة العربية السنوي بالقاهرة - قد أحطت بنبأ مرضي علماً من تخلفي عن حضوره.

لقد أتاحت لي القصص القصار التي دونت ونضت غرائب الحوادث الواقعة في قلب جزيرة العرب متعة بالغة بالمثل السامية من الشمائل العربية الموروثة التي ما تزال تعتمل في ضمير الأمة وتبدو في سلوكها وأفعالها الخيرة في أروع الصور، وطربت لهذا البيان العربي الأصيل الذي صيغت به في إشراق تام كالذي نجده عند كتاب العرب الأبيناء في عصور ازدهار العربية..

أبقاك الله ذخراً للعروبة والعربية والأدب الأصيل الحي، وشكرك عني، وأدام عليك نعمه؟

محمد بهجة الأثري

بغداد ([illegible])

[illegible]

وللناقد السعودي الدكتور محمد السليمان السديس[١]، رأي في قصص الشيخ ابـــن خميس، أورده في مقالة له في مجلة الدارة، يقول فيه: (لقد أحسن المؤلف بتدوين تلك القصص، قبل أن يأتي الوقت الذي تخفق فيه الذاكرة في الإلمام بها، وبأحداثهـــا وبأسماء شخصياتها، ومسارح وقائعها فتندثر، كما اندثر سواها من تراث هذه الأمة النفيس، فاستحق الشيخ بما عمل الثناء العاطر والشكر الجم)[٢].

ولابد قبل أن أختم الحديث عن فن القصة عند الشيخ ابن خميس، أن أشير إلـــى أن مع ما في قصص الشيخ من الواقعية؛ إلا أن المبالغة القوية في طرح الأحـــداث، قـــد لا تجعـــل القارئ يحسن تقدير النتائج، لافتقار بعض الأحداث للتسلســـل المنطقـــي، وكذا فالشيخ ركز على الشخصيات الرئيسة في قصصه، فغالباً ما تبرز في القصة شخصية أو اثنتان فقط، والباقي شخوص ثانوية، ربما لا يورد الشيخ أسماءها.

ونظـــراً لمـــا لقيـــته هذه المجموعة القصصية من قبول عند المثقفين، فقد أُخرجـــت بعـــض المواقـــف القصصـــية منها في مسلسل تلفزيوني، مما يسمى بالمسلســـلات الـــبدوية تحت عنوان [الرمضاء] نفذ على شاشة القناة الأولى عام ١٤١٦هـــ، وكان يحوي حواراً متصلاً قام بكتابته أحد أبطال المسلسل ومُثِّلت المشاهد في صحراء الجزيرة العربية وصحراء الأردن[٣].

---

(١) د. محمد بن سليمان السديس. من مواليد البكيرية عام ١٣٦٣هـــ. حصل على الدكتوراه في اللغـــة العربـــية من بريطانيا. أستاذ في جامعة الملك سعود. شارك في عدد من المؤتمرات والـــندوات. له الكثير من الأعمال، ترجمة وتحقيقاً. انظر: مجلة الفيصل، ع١١٩، جمادى الأولى ١٤٠٧هـــ، ص١٤٣ .

(٢) انظـــر: مجلة الدارة ع الأول، لسنة ٦ شوال ١٤٠٠، مقال بعنوان (أحاديث عن أحاديث السمر)، ص٥٠.

(٣) المعلومات مستقاة من مدير عام التلفزيون + شريط للمسلسل.

ثانياً: فن السيرة الأدبية:

لابـــد لـــنا من وقفة في مفهوم السيرة في اللغة والأدب، قبل أن نشرع في دراسة فن السيرة عند الشيخ عبد الله ابن خميس.

فالسيرة كلمة وردت في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿**قَـــالَ خُذْهَا وَلا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الأُولَى**﴾"سورة طه، الآية: ٢١". وفيها قال ابن كثير: (أي إلـــى حالهـــا التـــي تعرف قبل ذلك، ومعنى هذا أن السيرة هي حكاية الماضـــي، أو سرد حال من الأحوال التي مرت بها العصا، فهي في الأصل عصا يهش بها على الغنم إلى جانب ما تؤديه من وظائف أخرى، ثم صارت حـــية تســـعى تلـــتهم الحجارة وكل شيء يعترضها وكأنها جان في تقلبها، وتحركها وسرعتها)[١].

وفـــي لســـان العرب: السيرة: السنة والطريقة، يقال: سار بهم سيرة حسنة وسَيَّر سَيرة حدّث أحاديث الأوائل[٢].

السيرة في الأدب:

هـــي تـــرجمة الحـــياة وهي: (الكتابة عن أحد الأشخاص البارزين لجلاء شخصيته والكشف عن عناصر العظمة فيها)[٣].

ويذكـــر أنيس المقدسي أن السيرة (نوع من الأدب يجمع بين التحري التاريخي، والإمتاع القصصي؛ لدراسة حياة فرد من الأفراد، ورسم صورة دقيقة لشخصيته)[٤].

---

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ط(بدون)، المكتبة الكبرى، مصر، ج٣، ص١٤٤.

(٢) لسان العرب. ابن منظور، مادة سير ٤/٣٨٩.

(٣) الأدب وفنونه. عز الدين إسماعيل.ــ ط٧ــ القاهرة: دار الفكر العربي، ١٩٧٨م، ص٢٧٥.

(٤) الفنون الأدبية وأعلامها في النهضة العربية الحديثة. أنيس المقدسي، ص٥٤٧.

بينما هي عند د. عزيزة المريدن (نوع من القصة تجمع القص إلى التاريخ يتحدث فيها المؤلف عن أهم أحداث حياة شخصية إنسانية، ويعنى بها منذ الطفولة، ويتتبع أهم المؤثرات التي تركت أثرها فيها، ويتوخى في هذا الصدق في الرواية والتاريخ، والدقة في التحليل والتفسير)(١).

أما في المعجم الأدبي، فإن السيرة (بحث يعرض فيه الكاتب حياة أحد المشاهير، فيسرد في صفحاته مراحل حياة صاحب السيرة، أو الترجمة ويفصّل المنجزات التي حققها، وأدت إلى نيوع شهرته، وأهلته لأن يكون موضوع دراسة)(٢).

وقد عُرِفتْ السيرة في الأدب العربي القديم، ومنها ما كتب عن سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم، ومغازيه وسير الصحابة والتابعين، ومن ذلك سيرة ابن إسحاق، وطبقات ابن سعد، وسيرة ابن هشام.

وإلى جانب ذلك، فقد حاول بعض القدماء كتابة السيرة الذاتية التي تعنى بالحديث عن حياة الشخص بقلمه، ومن ذلك كتاب [طوق الحمامة] لابن حزم و[الاعتبار] لأسامة بن منقذ(٣).

كما حظيت السيرة الأدبية في الأدب الحديث باهتمام من الكتاب، إنما تطورت وتغيرت قواعدها وطرائقها؛ تأثراً بالثقافة الغربية، فاتجهوا إلى السيرة الأدبية التي تعنى بالفرد وإنسانيته على أساس من الجو التاريخي، في تطور حياته وشخصيته وتكاملها(٤).

---

(١) القصة والرواية. عزيزة مريدن، ص١٠.

(٢) المعجم الأدبي. جبور عبد النور، ص١٤٣.

(٣) انظر: السيرة الذاتية في الأدب السعودي. عبد الله الحيدري.ـ ط١.ـ الرياض: دار المعراج الدولية، ١٤١٨هـ، ص٣٧.

(٤) فن السيرة. د. إحسان عباس.ـ ط١.ـ عمان: دار الشروق، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م، ص٥٥.

ومن المؤلفات في فن السيرة في الأدب الحديث على سبيل المثال [العبقريات] للعقاد، [بطلة كربلاء] للدكتورة بنت الشاطيء، و[حياة محمد] لمحمد حسين هيكل، و[سيرة بطل] لمحمد حسين زيدان و[صقر الجزيرة] لأحمد عبدالغفور عطار.

وكتــب أدبـــاء العصر الحديث سيرهم بأنفسهم مثل [أنا] و[حياة قلم] لعباس محمود العقاد، و[الأيام] لطه حسين، و[أيامي] لأحمد السباعي(١) و[بين السجن و المنفى] لأحمد عبد الغفور عطار، و[تباريح التباريح] لأبي عبد الرحمن بن عقيل الظاهــري(٢). و[مذكــرات وذكريات من حياتي] لعبد الكريم الجهيمان(٣). وتلك الســير الذاتية تتباين من فرد إلى آخر، بما تنطوي عليه من تجارب وذكريات عذبة وأيام قاسية وأخلاق ومثل وعادات.

ونخلص مما تم تدوينه آنفاً من نبذة موجزة عن هذا الفن الأدبي النثري أن الســيرة الأدبــية نوعــان: الســيرة الذاتــية وهـــي تدور حول حياة كاتبها، والموضوعية وتدور على حياة شخص آخر ولهذا النوع اسم آخر وهو [السيرة الغــيرية]، ويرى بعض النقاد أنه لا فرق في الغاية والشكل والمضمون، لكن

---

(١) أحمــد السباعي. ولد بمكة عام ١٣٢٣هــ. رأس تحرير صحيفة صوت الحجاز، وأصدر جــريدة الــندوة. نــال جائزة الدولة التقديرية للأدب عام ١٤٠٣هــ من مؤلفاته (خالتي كدرجــان) و(تــاريخ مكــة). توفـــي عام ١٤٠٤هــ، انظر: الموجز في تاريخ الأدب السعودي، ص٩٩.

(٢) محمــد بــن عمر بن عقيل، والظاهري لقبه. من مواليد شقراء عام ١٣٥٧هــ ثم التحق بكلية الشريعة بالرياض والماجستير من المعهد العالي للقضاء. له عدة مؤلفات وإسهامات ثقافية، انظر: معجم الأدباء والكتاب، ص٩٤.

(٣) عــبد الكريم الجهيمان. ولد في بلدة غسلة بمنطقة الوشم بنجد، سنة ١٣٣٠هــ. حفظ القرآن بكتاب البلدة. التحق بالمعهد العلمي السعودي. تولى تحرير (أخبار الظهران). له عدة مؤلفات منها: (دخان ولهب) و(ذكريات باريس) انظر: معجم الأدباء والكتاب، ص٣٢.

الذاتـية تكتب بضمير المتكلم، والغيرية تكتب بضمير الغائب، (وبعضهم يرى أنـه يوجـد فرق؛ وهو أن التدوين في الذاتية يتم بالنقل المباشر، أما الغيرية فالتدوين يتم بالنقل من الشهادات، والوثائق التاريخية، إلى جانب أن الصدق في الموضوعية سهل التحقق، بينما الصدق في الذاتية لا يتأتى إلا بالمجاهدة ضد ذات الكاتب)(١).

ولقـد كتب الأديب عبد الله ابن خميس في كلا النوعين من السيرة الأدبية متمثلة فيما يلي:

١- كـتاب: شـئون وشـجون من واقع حياتي، مذكرات سيرة ذاتية غير منشورة أتم الشيخ تأليفه عام ١٤١٣هـ(٢).

٢- راشد الخلاوي، حياته، شعره، حِكَمه، فلسفته، نوادره، حسابه الفلكي (٣).

وسيكون تناولي لنوعي السيرة الأدبية عند الشيخ ابن خميس وصفياً لمحتوى ذلـك الفن النثري، وفق الموضوعات التي حفلت بها السيرة بنوعيها، ولعلنا نجد هذا الفن النثري عند الشيخ من أكثر الأنواع احتفالاً بالعناصر الفنية؛ لأن كاتبها قد مارس إبداعاً فنياً، وهو الشعر ومن ثم (فإن لها قيمة أدبية بالغة الأهمية)(٤).

---

(١) فن السيرة. د. إحسان عباس، ص١١٠.

(٢) توجد نسخة [وغير منشورة] من السيرة الذاتية للشيخ في مكتبة الملك فهد الوطنية ضمن محتويات مكتبته الخاصة التي أهداها للمكتبة عام ١٤١٨هـ وتم اطلاعي عليها شخصياً في زيارات متوالية آخرها السبت ١٤٢٥/٣/٥هـ. انظر: مجلة الأدب الإسلامي، المجلد الثانـي، ع٣١، ١٤٢٢هـ، حوار مع الشيخ ابن خميس، ص٤٢. وانظر: مجلة مكتبة الملـك فهـد الوطنية، المجلد السابع، ع الأول، ١٤٢٢هـ، ص٢٠٢، وجريدة الرياض، العدد ١٢٢٦٧، السنة ٣٨، الخميس ١٠ ذو القعدة ١٤٢٢هـ، ص٣٩.

(٣) راشد الخلاوي: عبد الله ابن خميس، ط، دار اليمامة للبحث والنشر، ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م.

(٤) الـترجمة الذاتية في الأدب العربي الحديث. د. يحيى عبد الدايم.ـ ط١.ـ بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م، ص١٣٣.

وحديـــث الشـــيخ في سيرته الذاتية والتي تحت عنوان [شئون وشجون من واقع حياتـــي] حديث ممزوج بالحماسة الشديدة للسير إلى مدارج العلم والثقافة، وخاصة أن نشأة الشيخ كانت في الفترة التأسيسية لمجالات العلم والمعرفة؛ والهموم التي عُني بها الشـــيخ في سيرته الذاتية، هي نفسها التي عني بها أقرانه في ذلك العصر من الأدباء، فقـــد تحدث عن الدراسة في الكتاتيب عند المطوع، كما تحدث غيره من أدباء المملكة العربـــية السعودية، وعن محدودية التعليم، وصعوبة الحصول عليه، كما كان هاجس غـــيره، في تلك الفترة، وكان للبدايات الصحفية، وتأسيس الصحف جانب من حديث الشيخ في سيرته الذاتية، وكان ذلك هماً قائماً في حينه.

كما خص الشيخ ابن خميس أساتذته في مذكراته بالذكر والثناء، حيث رأى أنـــه كـــان لهـــم دور بارز في إمداده بالثقافة والمعرفة وصقل موهبته الأدبية، وتحدث الشيخ عن منتديات أدبية مبكرة عندما أنشأ مع زملائه نادياً أدبياً في دار التوحـــيد بالطـــائف، وعندما كانوا يجتمعون في الحرم المكي الشريف من أجل الفكـــر والـــثقافة، وغيرها من الموضوعات التي طرقها الشيخ في سيرته غير المنشورة، والتي سأقوم بإذن الله باستعراضها بالتفصيل.

أ- دوافع الشيخ ابن خميس في كتابة سيرته الذاتية:

بمـــا أن العمل الأدبي عمل إنساني محسوس، ولابد لـــه من توافر الدوافع المثـــيرة، وحريٌّ بنا أن نقرر أن أول دافع يستثير الملكة الأدبية، ويحرك الطاقة الإبداعية، هو التعبير الصادق عن المجتمع، وعن الوجود، وعن الذات التي هي رمـــز من رموز المجتمع، الذي يشكل العمل الفني، ويحدد قيمته والأديب يرى المجتمع من خلال ذاته، فيحاول التعبير عنه(١).

---

(١) قضـــايا النقد الأدبي بين القديم والحديث. د. محمد زكي العشماوي، ط(بدون).ـــ بيروت: دار النهضة العربية للطباعة والنشر، ١٩٨٤م، ص٢٣.

يقول الشيخ في مقدمة الكتاب مبيناً دوافعه في كتابة مذكراته وسيرته الذاتية: (لقد سجلت في هذه المذكرات قطراً من بحر، ومجة من لجة بعضها ماواتاني به الاستذكار، وبعضها ما سمحت الظروف بتسجيله، وبعضها ما أراه يتفق وطبيعة هذه المذكرات)(١).

ثم يقول: (جئت لأقول لمن بعدي هذا ما قدمته لأمتي، وهذا ما أفنيت فيه عمري، وهذا ضرب من جهادي، ورمز من حصادي، أقدمه لا مدلاً ولا متبجحاً، ولكن عسى أن يكون فيه أسوة وقدوة، وأقول إنّ عسى ما أحرزته من شهرة، وذكر حسن هو ما أقدمه لكم في هذه الرموز، لتكون لمن يستعرضها دليل جهد وعمل؛ يضعني حسبما يضعني في ميدان الجهاد والعمل والبروز، وما هذا أردت وحده ولكني أبغي به ذكراً في الصالحين، وأجراً في المحسنين، ولسان صدق في الآخرين)(٢).

والشيخ عبد الله ابن خميس في مذكراته، لا نراه يحرص على التسلسل الزمني الدقيق؛ لأنه أراد أن يتحدث عن بعض الأحداث والمواقف، التي أثرت في حياته، لا أن يستعرض تفاصيل حياته كلها.

ولعل المطلع على مذكرات الأديب ابن خميس يتساءل عن سبب التسمية، وهل ثمة دافع وراء حرف الجر مِنْ (شئون وشجون من واقع حياتي)، مما قد يوحي للقارئ أن هناك فترات من حياة الأديب قد أُغفلتْ في المذكرات، ونستطيع أن نجد الإجابة في مقدمة الكتاب عندما قال:(٣) (سجلّ لسبعين عاماً فيها مرارة الحياة وحلاوتها، وفيها شظف العيش وليونته، ومنها تقلب الدهر

---

(١) من مذكرات الشيخ [شئون وشجون من واقع حياتي] غير منشور، ص٧.

(٢) من مذكرات الشيخ غير المنشورة، شئون وشجون من واقع حياتي، ص٧/٨.

(٣) مقدمة كتاب شئون وشجون من واقع حياتي، كتاب غير منشور، أتم تأليفه الشيخ عام ١٤١٣هـ، ص٥.

خشـــونة ولـــيونة، حاولـــت فـــي هذه المذكرات أن ألتقط ما أسعفتني الذاكرة باســـتذكاره، ومـــا واتانـــي حفظـــه وساعدني تذكره، فما كنا لنعنى بتسجيل اليوميات، ونحافظ على الذكريات، وإلا لكنا قد اخترنا أسفاراً تستحق التسجيل، ودونا معلومات فيها من العظات والعبر الشيء الكثير، ولكننا نغفل هذا الجانب المهـــم، حـــتى إذا بَرَدَت الحافظة، وشوشت الذاكرة، جئنا لنستذكر ونستدر ما عساها تسعفنا به الذاكرة، وتواتينا به الحافظة).

ومن تلك المقدمة يجد المتسائل إجابة لسؤاله، لماذا جعل الشيخ العنوان (من واقـــع حياتي) ومن تدل على التبعيض وهو أن الشيخ حاول أن يلتقط ما أسعفته بـــه الذاكـــرة؛ لأنـــه لم يكن يسجل يومياته أو مذكراته في حينها، وإلا لصارت أسفاراً تستحق التسجيل.

كما أن الشيخ يقرر في بداية المقدمة أن هذه المذكرات سجل السبعين عاماً من حياته ولكنها مذكرات ليست متصلة وشاملة، لتفاصيل حياة أديبنا.

ومـــن الطريف أن نذكر أن الشيخ استخدم في مقدمته مصطلحي اليوميات والذكريات، والتي رأى أنها تكوّن المذكرات، وفي هذا تأكيد على ما أجمع عليه دارسو فن السيرة الذاتية، من أن موقع تلك المصطلحات (الذكريات والمذكرات واليوميات) من السيرة الذاتية، هو موقع عناصر المادة الخام من المنتج النهائي، وأن هناك تلازماً بين الشجرة الأم (السيرة الذاتية) وأغصانها)[١].

ب- موضوعات السيرة الذاتية عند ابن خميس من خلال كتابه:

مـــن خـــلال قراءتـــي لمذكرات عبد الله ابن خميس، وجدت خلوها من العناويـــن الجانبية، التي يمكن أن ندرس الموضوعات التي طرحها في سيرته مـــن خلالها بيد أن المطلع يستطيع أن يضع في ذهنه جملة من الموضوعات، التي تحدث عنها في مذكراته.

---

(١) انظر: السيرة الذاتية في الأدب السعودي. عبد الله الحيدري، ص٥٥.

فتراه في بداية المذكرات تحدث عن نسبه وحياته، ومنشأ أسرته وتنقلهم بين بلــدان نجــد، إلى أن وصلوا إلى مسقط رأسه الدرعية؛ كما تحدث عن ضلوع أفــراد مــن أســرته في العلم الشرعي، وإمامة المساجد والتدريس في الحلقات والكتاتيــب، ثــم يورد بعض ما أُنيط بوالده وأعمامه من قيادة بعض المصالح الحكومية آنذاك(١).

ومن تلك الشئون والشجون التي برزت في السيرة الموضوعات التالية:

- صورة المرأة في شجون ابن خميس.
- نماذج من التعاون القروي.
- بواكير تعليمية في حائل.
- شئون وذكريات في جهاز الزكاة.
- ابن خميس وشجون الصداقة والأصدقاء.
- ابن خميس يجني ثمار نبوغه وتميزه.
- منتديات أدبية مبكرة.
- شجون الصحافة وطموحات الأديب ابن خميس.
- ابن خميس وشئون العمل وشجونه.

١- وفي الموضوع الأول يتحدث ابن خميس عن المرأة الأم والدته عندما مــرت الظروف الصعبة بأسرة الشيخ، حيث صحبهم الجوع والعُرى، وقســاوة الزمن، فيذكر أنه لم يمر عليهم يوم من الأيام شبعوا فيه من خشن العيش، ودقل التمر.

---

(١) انظر: مذكرات الشيخ ابن خميس غير المنشورة، شئون وشجون من واقع حياتي، ص١٠-١١. وقد ورد الحديث عن ذلك تفصيليا في التمهيد من هذا البحث.

- ويعبر عن والدته تلك المرأة الصابرة التي لا يفوتها وهي تمر بظروف الحياة الخشـــنة أن تحسن التصرف في تدبير أمور المعيشة، يقول: (أتذكر أنه مرة من المرات بعثت لنا جارة تدعى الغيهبية امرأة للفلاح إبراهيم الحيد رحمهما الله جمـــيعاً بعثت لنا إناءً صغيراً فيه قليل من التمر لتأخذه والدتنا رحمها الله وتعطـــي كل واحد من أهل البيت تمرة واحدة، وتصك المخزن على البقية، لتعطي كل واحد في اليوم التالي تمرة أخرى وهكذا)(١).
- وفي مشهد آخر يبرح الشيخ الأديب عبد الله ابن خميس عن شجونه تجاه والدته فهي لديه (الأم ذات العاطفة والشفقة والمحبة والحنان، والتي أجدها تملأ نفسي، وتخفف من آلامي وتشاطرني قسوة العيش، وآلام الحياة)(٢).
- يصور لنا مشهد وفاتها وكيف استقبل ذلك النبأ الحزين، فقد كان في مهمة فرضـــتها علـــيه ظـــروف الحـــياة القاســـية، فلقد جاء أضياف من بلدة (ضـــرما)(٣)؛ ولابـــد مـــن جلب اللحم للقيام بواجب إكرامهم، فلا بد من الذهاب إلى الرياض، والمسافة بين الدرعية والرياض ليست بالقريبة، مع ما يكتنف الطريق من وعورة المواصلات.
- وكانـــت والـــدة الشـــيخ كما ذكر في مذكراته مريضة آنذاك، قد لازمها المـــرض مـــدة طويلـــة، ولا يزال بها ينقصها من صحتها، يقول الشيخ: (وذات يـــوم نزل ضيوف من ضرما ولابد من جلب لحم لضيافتهم، ولم يكن إلا من الرياض لآخذ الحمار وأنطلق عليه بعد منتصف الليل؛ لأعود مبكراً لترتيب غداء الضيوف، وفي أثناء ذهابي توفيت والدتي رحمها الله، وعـــند عودتي قابلتني طفلة في جانب المزرعة، لتبادرني بأن أمك ماتت

---

(١) شئون وشجون من واقع حياتي، كتاب غير منشور، ص١١.

(٢) المرجع السابق، ص١٥.

(٣) هي البلدة التي منها والدة الشيخ، انظر: التمهيد من هذا البحث.

وغسلوها ونقلوها إلى المقبرة، فنزل علي الخبر نزول الصاعقة، وأخذت أطلق الأصوات، تلو الأصوات ليجتمع علي أهل البيت ويواسونني، ويخففون من لوعتي التي لازمتني أياماً، فهي الأم ذات العاطفة والشفقة والمحبة والحنان التي أجدها تملأ نفسي، وتخفف من آلامي، وتشاطرني قسوة العيش، وآلام الحياة، ولكن لا مانع لما أراد الله)[1].

وللمرأة في بيئة الدرعية حضور وذكريات لدى الشيخ، فهذه جارة لهم تبعث لأسرة الشيخ بإناء فيه تمر كرماً منها، ومشاطرة لهم فيما يمرون به من قسوة العيش[2].

ويحن الشيخ لداره الأولى في الملقى حيث مسقط رأسه، والتي ألف فيها الانطلاق والبرية في نخيل مجاورة لمنزلهم يسمى [المنْصفَةَ] ولم يعتد الشيخ أن يُغْلَق عليه باب، كما في دارهم الجديدة في الدرعية، وكان يناجي بالرغم من صغر سنه المنصفة، ويناديها معتلياً سطح الدار الجديدة، ويذكر الشيخ أن ما يذكِّره بمرارة الحياة، ويزيد ألمه امرأة تدعى (طرفة) يسمع صوتها تقول: [فارقتك المَنْصفَةَ] ، وظل الشيخ يتذكر صوت المرأة الموجع[3].

وربما كان للمرأة وما تصنعه من طعام وسقاء غير مناسبين شجون وذكريات حرجة عند ابن خميس، فلقد كان لامرأة الفلاح الذي عمل عنده الشيخ في الدرعية فيما اختارته من سقاء أُخرج تواً من المدبغة، وملئ بنبات الحرمل المر العفن، كان لذلك حديث أورده يقول: (وفي مرة أعدت امرأة هذا الفلاح شيئاً من التمر، وأخذت سقاء تظنه السقاء المستعمل، وإذا به سقاء أُخرج من المدبغة، وقد غمره شجر الحرمل بمرارته وعفونته، أخذته وعبأته بالماء وجعلته

---

(١) من مذكرات الشيخ غير المنشورة، شئون وشجون من واقع حياتي، ص١٥.

(٢) المرجع السابق، ص١١.

(٣) من مذكرات الشيخ غير المنشورة، شئون وشجون من واقع حياتي، ص١٢.

إلى جانب التمر) إلى أن نصل مع الشيخ إلى عتبه على تلك المرأة، وما صنعته يقـول: (وجعلنا نأكل التمر مما زاد في ظمئنا، ولما أحضرنا السقيا، وإذا بالماء مر لا يمكن أن نشرب منه مطلقاً، ونحن في أشد الظمأ فقلنا إننا في حالة خطر محـدق، فلنسأل الله أن ينقذنا بالمطر، وكان الجو قائظاً والحر على أشده، وما كانت في السماء قزعة سحاب، فأخذنا ندعو الله، ونلح في الدعاء، وإذا السحابة تـبرز في السماء، وتأخذ في الانتشار، ولم تلبث أن جلجل فيها الرعد، حتى إذا توسـطت فـوق رؤوسـنا انطلق مطرها منهمراً، حتى سالت المجاري فشربنا وارتويـنا) ويخـتم الشيخ بقوله تعالى: **﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ﴾**"سورة النمل، الآية: ٦٢". ويذكر الشيخ في مذكراته أنه لا ينسى سوء مـا صـنعته تلك المرأة في تلك المحنة[١] ولا يزال يذكر هذه النعمة؛ فيشكرها دائماً، وهي نعمة المطر.

وكـان لاهـتمام النسـاء بمـا يقوم به الرجال الأبطال من قتل الضباع والذئاب؛ شأن عند الشيخ عبد الله ابن خميس؛ لأن من يقوم بذلك العمل يحظى بالإعجـاب، ويصبح حديث مجالسهن، يقول: (وعلى ذكر الضباع، فلقد كنت يوماً بصحبة الأمير فهد بن سعد بن عبد الرحمن الذي كان بصحبة الملك عبد العزيـز، في روضة خريم مربعاً هنالك بنسائه وحاشيته، وكانت هناك سيارة شـحن كبيرة تذهب بمن سوف ينزلون إلى الرياض، وتعود بآخرين كل يوم، وكانـت تغادر الرياض بعد العشاء، وتعود إليها في الصباح، وكنت يوماً في الركـب الذين غادروا الرياض إلى روضة خريم، ولما جاوزنا حدود الرياض وكانـت آنـذاك فـي أطـراف نخل خزام والشمسية، وأقبلنا على هضبة أبي مخروق بينها وبين جبلي الظيرين، وإذا بالضبع تعترض أمام السيارة، فجعل السـائق يـراوغها، وفـي مـرة حينما زان لي مرماها، سددت الرمية إليها،

---

(١) شئون وشجون من واقع حياتي، ص٢٠.

فأرديـــتها قتيلة ليأخذها السائق، ويطرحها في جوف السيارة، ولم أعلم ما هو سبب حملها، ولكنه ذهب وطرحها بين مخيم النساء فكانت حديث اليوم، وجعلن يـــترددن عليها أفواجاً، وحينما جاء الأمير فهد بن سعد إلى مخيم الرجال، أخذ يتحدث عن الضبع، واهتمام النساء بها)[١].

٢ــ ولا تخلو مذكرات الشيخ من نماذج من التعاون القروي وإبراز الروابط الاجتماعــية بيــن مجتمع القرية، ومن ذلك ما كان من إمام مسجد حي (المــريح) ، والـــذي كـــان عنده بئر يمنحُ منها الماء ليتوضأ المصلون والمارة[٢].

ــ وما كان الشيخ الأديب يلجأ إليه من الذهاب إلى مزرعة فهد بن محمد بن راشـــد والتـــي تسمى الخازمي، تلمساً لسد رمقه وجوعه، وكان يشاركهم الطعام على خجل واستحياء، ويشاركهم العمل في سَوْق السواني[٣].

ــ ويتحدث الشيخ عن مظهر من مظاهر ذلك التعاون القروي، والمتمثل في صد الأذى، وحماية الجار وأنعامه ومواشيه من كل خطر، فيذكر أن هناك نفراً من البادية سكنوا بجانب مزرعة والده محمد ابن خميس في الدرعية، ليـــتزودوا بالمـــاء مـــن ناحية، وليجدوا في جواره ما يرغبهم وفي نخل المـــزرعة وما يسهمون به معهم في المقيظ، وليكونوا على طرق البرية حيث يسرحون أغنامهم.

ــ ثم يتحدث الشيخ عن خطر أصاب أولئك الجيران، وأنهم لجأوا إليه ليدرأه عـــنهم حيـــث يقـــول: (وكان لديهم مجموعة من الحمر إذا بزغ الصباح سرحت تلتمس رزقها؛ إلا أنها في يوم من الأيام كانت الضبع تعترضها،

---

(١) انظر: شئون وشجون من واقع حياتي ، ص١٩.
(٢) المرجع السابق، ص١١.
(٣) المرجع السابق، ص١٢.

وتفتك بها ليجدوها في الضحى جرزاً مهشمة الرؤوس [ومن أولى بالانتصاف منها، وأخذ بالثأر لحمير الجيران من ابن جارنا الذي جعل من القنص ديدنه، وهو الرامي اللَّحِمْ الذي ينصفنا من الضبع الجائر)؛ ويواصل الشيخ إبراز ذلك التعاون، وأنه استجاب لجيرانه، فاتخذ من خربة في شعب مكمناً في الليل حينما تأتي الضباع لينال من صيدها، وبعد مدة إذا بها تقبل وكأنها شمت الرائحة، فوقفت إحداها وقد أعطت الشيخ نحرها فبادرها بطلقة نفذت من نحرها لتخر صريعة وتذهب الأخرى معولة تتابع أصواتها المنكرة، فصحا الجيران على أصوات طلقات البنادق، والضبع أمامهم جثة هامدة[1]].

- ومثل ذلك التعاون ما استجاب له الشيخ من رغبة جيرانه في مزرعة والده بالدرعية، في تخليصهم من ذئبة خبيثة آذتهم، وافترست مواشيهم، حتى لم يعودوا يخرجونها للرعي في المزارع، وللطريقة التي سلكها الأديب ابن خميس في التخلص من الذئبة تأثير وصفي جميل ملئ بالإشراقات البيانية، والتأكيدات المعنوية[2].

٣- وتحدث عبد الله ابن خميس عن البواكير التعليمية التي استفادها أثناء وجوده لمدة عام كامل في حائل وأبان عن ذلك بعنوان جانبي في مذكراته، ولعله العنوان الوحيد هو [الذهاب إلى حائل][3].

ومن العجيب أن تلك الفترة من حياة الشيخ، لم تتطرق لها التراجم أو المعاجم على اختلاف مؤلفيها عندما تحدثتْ عن الشيخ وحياته، كما أن الصحف والمجلات التي تحدثت عن سيرة الشيخ من خلال الاحتفاء به أثناء نيله جائزة

---

(١) انظر: شئون وشجون من واقع حياتي ، ص١٦.

(٢) المرجع السابق، ص١٧، سبق إيراد النص في التمهيد من البحث.

(٣) المرجع السابق، ص٢١.

الدولة التقديرية في الأدب عام ١٤٠٣هـ، وخلال تكريمه في مهرجان الجنادرية للتراث والثقافة عام ١٤٢٢هـ لم تذكر مطلقاً هذه الفترة من حياته، وقد توجهتُ بسؤال للشيخ حول تلك الفترة ولماذا لم يُلْمحَ لها فيما صدر سالفاً عنه فأجاب: (لعل ذلك مرده إلى أن المترجمين يتناقلون فيما بينهم المعلومات، ولم يأخذوها من مصدرها، ولقصر هذه الفترة من حياتي فإنها لم تبرز فيما أبنته عن نفسي في اللقاءات المتوالية التي تجريها معي وسائل الإعلام)[١].

فيذكر الشيخ أن ذهابه إلى حائل مدة سنة كانت سبباً في حصوله على تطور في معلوماته الحسابية والكتابية، التي كان قد تلقى بداياتها في كتاتيب الدرعية.

ويلتحق الشيخ في حائل بمدرسة الشيخ سليمان السكيت[٢] ليتزود من التعليم في مجال القراءة والكتابة، وأكسبته تلك الأيام دروساً وتجارب مع رفاقه آنذاك.

يقول الشيخ: (وذهبت مع المجموعة إلى حائل، وكان ذلك سبباً في تزويدي من التعليم في القراءة والكتابة والحساب، حيث التحقت بمدرسة سليمان السكيت طيلة مقامي بحائل، ولعل صاحب المدرسة وفقه الله رأى مني شيئاً من النجابة، فعطف علي ولاحظني وكانت هذه الخطوة في التعليم سبباً في طمعي، بما هو أعلى وأغلى)[٣].

---

(١) مقابلة مع الشيخ ٢٠/٣/١٤٢٤هـ، في منزله.

(٢) سليمان السكيت: ولد بحائل عام ١٣٢٧هـ. رحل لطلب العلم في القصيم والكويت، وفي العراق، ومكة المكرمة، ثم عاد إلى حائل وافتتح مدرسة خاصة به أسماها (سبيل الرشاد) عام ١٣٥٣هـ. عمل في كثير من المعاهد العلمية وعمل في القضاء، ثم استقال، انظر: من روادنا التربويين المعاصرين. د. عبد الله الزيد.ـ ط١.ـ (بدون ناشر) ١٤٠٤هـ، ص١١٨.

(٣) شئون وشجون من واقع حياتي،ص٢٢.

وقــد ذكرتُ في التمهيد من هذا البحث، سبب ذهاب الشيخ ابن خميس إلى حــائل وأنه ذهب مع حملة السلاح الذين يذهبون سنوياً مرابطين في حائل باسم (الرتب)[1].

٤ـ وقضى الشيخ ابن خميس أربع سنوات في جهاز الزكاة[2]، وكان له في ذلــك شــئون وشــجون وذكريات وانطباعات، ساعدته تلك الفترة التي قضــاها متــنقلاً ضــمن فرق ذلك الجهاز على ضلوعه فيما كتبه عن جغرافية الجزيرة العربية، وما دونه في (معجم جبال الجزيرة)[3].

تحــدث الأديــب بإسهاب عن التنظيمات الإدارية لذلك الجهاز، وطريقة الســير فيه وتنفيذه، وذكر سبب اختياره ضمن ذلك الجهاز قائلاً: (كان ذهابي إلـــى حــائل مدة سنة ودراستي فيها سبباً في حصولي على تطور معلوماتي الكتابــية والحسابية، وكان الذي يحصل على هذه المعلومات آنذاك بارزاً في مجتمعه، مما جعل المسئولين عن جهاز زكوات المواشي يختارونني لأكون في كتبة هذا الجهاز)[4].

ويتطرق الشيخ للتنظيمات الإدارية المتبعة في ذلك العهد [عهد الملك عبد العزيــز] فــي جهــاز الزكاة حيث يقول: (تقوم فرقتان كبيرتان مشكّلتان من الــرياض إحداهما تسمى فرقة زكاة الروقة، والأخرى تسمى فرقة زكاة برقا، باعتبار أن الأولى تزكي قبيلة الروقة من عتيبة، والأخرى تزكي قبيلة برقا من عتيــبة، أيضــاً؛ لأن هذيــن البطنين من عتيبة هما أكثر القبائل التي يمر بها

(١) انظر: شئون وشجون من واقع حياتي ، ص٢١.

(٢) جهــاز الزكاة: تقوم على تنظيمه الآن مصلحة الزكاة والدخل، ولا يزال قائماً مع تطوير في تنظيماته الإدارية [المعلومات من سعادة وكيل وزارة المالية لشئون الإيرادات الأستاذ سعد الحمدان في اتصال هاتفي في ١٠/٦/١٤٢٥هـ].

(٣) انظر: شئون وشجون من واقع حياتي، ص٢٤

(٤) المرجع السابق، ص٢٣.

المزكـــي، ويـــرأس فـــرقة زكـــاة الروقة البواردي، ويرأس فرقة زكاة برقا الصـــحابي محمد بن الشيخ.. والحد ما بين الفرقتين هو سكة الحجاز، فما كان شـــمال الســـكة فهـــو فـــي حـــدود البواردي، وما كان جنوبها فهو في حدود الصـــحابي، ويتفرع من كل فرقة فروع تتماشى من منطلقها من الرياض إلى ماء عشيرة، حيث تتجمع الفرق كلها وتسلم حصيلتها لمالية مكة، وكانت الفرق كلها تستعمل الإبل في طرقها من الرياض إلى الحجاز)[1]. وللشيخ شجون في ذلك المجال منها: (فساعدتني على ما كتبته عن جغرافية الجزيرة العربية في كتبـــي، وما دونته في معجم جبال الجزيرة وما لاقيته من تعب ونصب ومشقة علـــى ظهور الإبل؛ أمضي الليالي تلو الليالي بالسهر في الانتقال من ماء إلى آخر، يذهب أمامنا حواشة البادية ليجمعوهم على الماء الذي أمامنا بمواشيهم، لـــنجدهم قد تجمعوا على الماء ولمواشيهم رغاء وثغاء، وكانوا قبل يوم الزكاة يتـــبادلون الوِرْد[2] مدة أربعة أيام، أما يوم الزكاة فيجتمعون في صعيد واحد، ولابد من السير والسرى، بين كل مائتين لننهي مهمة زكاتهم، التي قد تمتد إلى غـــروب الشـــمس، ونستقبل الليلة الأخرى بمثل ما استقبلنا به ليلتنا الماضية وهكـــذا. أما في النهار فنستقبل أرتالاً عظيمة من الإبل والغنم، نعدها ونجبي زكاتهـــا، ولا نفرغ حتى لنتناول طعامنا، وكانت ثروة الماشية آنذاك على قدر كبير من الوفرة والكثرة)[3].

ومـــن شئون جباية الزكاة يذكر الأديب ابن خميس نموذجاً لتنقلاته عام ١٣٦٢هـــ وكان عمره آنذاك ثلاثة وعشرين عاماً وأنّه بدأ عملهم من حفر العتش ليزكي ما عليه، وما أكثره، ثم انطلقوا إلى رماح، ليجدوا البادية عليه بمواشـــيهم، كـــأنهم قطع الليل، ثم انطلقوا إلى ماء (رملان) ثم إلى ماء أبي

---

(١) انظر: شئون وشجون من واقع حياتي ، ص٢٤.

(٢) الورْد، بكسر الواو وسكون الراء : المجيء للماء للشرب.

(٣) المرجع السابق، ص٢٥.

جفان ثم إلى ماء (وسيع) ثم إلى ماء (ثليماء الخرج) ثم إلى ماء (البكرة) في أعلى وادي (البرك)(١).

ومع الأمطار وأنبائها كان للشيخ ابن خميس شجون أثناء رحلته لجباية الزكاة يقول: (إلى أن وصلنا إلى "ماء البكرة" في أعلى "وادي برك" وكان الوقت طلوع المرزم، وإذا بالسماء تتلبد بالغيوم، وإذا بالمطر ينهمر؛ فتأخذ الهضاب تقذف بالسيول، ويأخذ وادي برك يهدر بالآتي المتكاثف، مما جعل أمير الفرقة يظنه سيلاً محدوداً على المنطقة، ليركب بشيراً بالسيل إلى الملك عبد العزيز في الرياض، ولما ذهب البشير وجد السيل عاتياً في كل منطقة يمر بها ويقابله من جاء من الرياض، يذكر السيل، فعاد ولماّ يتجاوز الحوطة، حتى وصلنا إلى خبرى في نفوذ سبيع، لنجدها قد انكفأ فيها سيل [وادي رنية] و[وادي الخرمة] ، وجعلها تحز إلى أعلى الكثبان، ووجدنا بادية تلك المنطقة من سبيع والدواسر وقحطان وعتيبة، متكاثرين عليها، ترعى مواشيهم من العشب وتشرب من الغدير لنبقى فيها أياماً نزكي(٢)].

وفي شئون جباية الزكاة مواقف زهو وأخرى مؤلمة مرت بأديبنا الشيخ، فقد مر بهم طائفة من شباب البدو ويطلبون منهم أن يسابقوهم، وألحوا على سباق شباب الحضر، يقول الشيخ: (فطلبتُ من الأمير عبد الله بن ثنيان أن يسمح لي بسباقهم على مئتي ريال، يتكفل بها الأمير لهم إذا سبقوا، وعلى بندقية من بنادقهم يسلمونها قبل السباق للأمير لأخذها إذا سبقتهم، وهكذا تم الأمر، وانطلقنا من مسافة معينة وسبقتهم، وأخذت البندقية، وإذا بهم يتكتلون ويدبِّرون ما يدبرونه من أمر، ويقبلون ويدبرون، وبعد مدة إذا بأناس من كبارهم، وشيوخهم

---

(١) انظر: شئون وشجون من واقع حياتي، ص٢٥. وجميع ما ذكره الشيخ من مواضع تضمنها كتابه معجم اليمامة وفيها شيء من التفصيل.

(٢) المرجع السابق، ص٢٦.

يـأتون إلـى الأمـير ويقولون لـه: إن هؤلاء شباب سفهاء قد أخذهم الغرور، فـنرجوك لا تؤاخذهـم، وترد عليهم بندقيتهم، فقال الأمير: إنهم الذين أتونا في مخيمـنا، وألزمونا بما الزمونا به، فكرروا رجاءهم فطلب مني الأمير أن أرجع إليهم بندقيتهم، ففعلت وهكذا يقع صاحب الغرور في مغبة غروره)(١).

وللألـم شجن من شجون الشيخ أثناء مهمة جباية الزكاة، فيذكر أنه في ليلة مـن الليالـي (كنا قد انطلقنا من ماء أنهينا زكاة أهله بعد العصر إلى ماء آخر سـوف لا نصل إليه إلا ضحى اليوم التالي، فواصلنا سيرنا طوال الليل إلى أن انـبلج الفجر، فأنخنا لنصلي ولنستريح قليلاً وقبيل طلوع الشمس، قمنا لمعاودة السـير، وبينما كنت أحمل عفشي على ناقتي، وإذا بعقرب سوداء كبيرة شريرة تلدغنـي فـي يدي، وتؤلمني أشد الألم، وتعطل يدي من الحركة؛ ليقوم بعض صـحبي بمسـاعدتي ومعالجتي البدائية، وليبقى ألمها ملازماً لي طوال اليوم، وتتعطل يدي عن الكتابة، ويتعطل العمل ذلك اليوم بسبب العقرب)(٢).

ومـن هنا نرى أن مهمة جباية الزكاة تعتمد على مهارة الكتابة والحساب فحسب ولا مجال لغير ذلك.

٥ـ وللصـداقة والأصدقاء شئون وشجون في مذكرات الأديب الشيخ عبد الله ابن خميس.

ـ تحـدث أولاً عن زملائه في مهمة جباية الزكاة الذين انتخبوا للذهاب إلى المـنطقة الشـرقية لإنجاز تلك المهمة، وصور جزءاً بسيطاً من عملهم، وكـيف كانوا يتقاضون مكافآتهم، وأورد أسماءهم معتزاً بمعرفتهم، وأثنى على جهودهم يقول: (وهكذا انقضى العمل، وجئنا بحصيلة الزكاة لنسلمها إلـى وكـيل الأمير، وكانت أحمالاً من الفضة ليس في الإمكان أن نعدها

(١) انظر: شئون وشجون من واقع حياتي ، ص٢٨.
(٢) المرجع السابق، ص٢٩.

عداً، وإنما نعد ملء كفة الميزان، ثم نقابلها بالأكياس حتى تنتهي، ثم نأخذ مكافآتنا من يد الوكيل وأذكر من الزملاء المنتخبين لتلك المهمة، إبراهيم ابن سالم، وعبد العزيز الشقري أبو عباة، وعبد الله بن سرحان، وعبد العزيز بن مبارك، وسعود السياري[١].

وصداقة الأديب الشيخ للأستاذ فهد المارك والذي جمعته به صحبته عند الأمير فهد بن سعد، وبرز من خلالها تحول في حياة شيخنا، حيث درس فهد المارك لدى الشيخ محمد بن إبراهيم، وكان ابن خميس يقابل معه دروسه وحفظه.

أشار عليه الصديق الصدوق فهد المارك بأن يلتحق بالمدرسة العلمية التي فتحت في الطائف واسمها دار التوحيد؛ حيث إنه ضمن طلابها، فقبل ابن خميس مشورته، وأقنع والده وذهب إلى الطائف، والتحق بالدار، وكان لقبول ابن خميس في دار التوحيد شئون وشجون أخرى، ذكرتُها في التمهيد من هذا البحث[٢].

وفي الأحساء عندما كان مديراً لمعهد الأحساء العلمي، يذكر أصدقاءه من أهلها، ويبدي محبته بتلك المدينة وأهلها، ويصور ما كان له فيها من مواقف مفرحة يقول: (كان لي في الأحساء مع أهلها الطيبين صداقات ولقاءات ومطارحات ورحلات ومساجلات، لا تنسى فكانت مجالسهم العامرة كل وقت حافلة بالعلم والأدب، مما حببني في تلك البلاد وأهلها، ولم أذكر أنه مر بي فيها ما يزعج)[٣]. ويذكر الشيخ منهم [محمد بن إبراهيم بن داعج].

ولأصدقاء الموهبة من الأدباء الشعراء شجون عند ابن خميس أوردَ ما ذكروه عنه في مذكراته، فهاهو يقول عنهم: (رجال عرفوا بجودة الشعر،

---

(١) انظر: شئون وشجون من واقع حياتي ، ص٢٨.
(٢) المرجع السابق، ص٣٠.
(٣) المرجع السابق، ص٥٦.

وتحلـــوا بنفيســـه، صحبتهم زمناً طويلاً أنست بصداقتهم، وجميل عشرتهم، وجبت مع أكثرهم أنحاء الجزيرة العربية ننتقل في مرابعها ومراتعها، ونأنس بخلواتها وفلواتها، فما من عطلة عيد من الأعياد ولا إجازة من الإجازات إلا وترانا نذرع الفيافي من غرب الجزيرة وشمالها وجنوبها وشرقها، وننتقل في رياضها وشعابها، ونحيي الليل بالسمر، ونقطع النهار بالنقلة، ونشبع الحديث بأحلاه وأغلاه، فما أحلى تلك الليالي والأيام؛ نقضيها في حديث الأدب، وحلو الشعر، ونفيس المناجاة، ذلك ما حرّك شاعرية هذه الصفوة، وجعلهم يتذكرون تلك الأويقات الجميلة)[1]. ويذكر ابن خميس من رفقاء الأدب شاعر هوازن [عبدالرحمن العطاوي] وشاعر البطين، وراوية الأدب، ومؤنس السمار [محمد بـــن ناصـــر الســـياري] يقول الشيخ عن السياري: [وقضيتُ معه ردحاً من الزمـــن، وأنســـتُ بصـــداقته، واستفدت من روايته ونادمته منادمة الرجال للرجال، وأخيراً حينما لاقى ربه وضعته بيدي في قبره في بلدة ضرما، غفر الله له وأسكنه فسيح جناته][2].

وذكـــر ابـــن خمـــيس في مذكراته أيضاً صديق العمر كما أسماه، وهو الشاعر الراوية [عبد العزيز بن فايز] والذي يذكر الشيخ ابن خميس أنه ما علم أحداً يماثله في كثرة محفوظه، وذكر الشيخ أن لقب ذلك الشاعر [رضا][3]. ولا أعلم سبب ذلك اللقب.

ومن أصدقاء العمر عند ابن خميس ناصر بن عبد الله بن فايز شقيق [رضا] الذي ذكر الشيخ أنه راوية أديب فطن، وممن أنس بصداقته وحلو حديثه][4].

---

(١) انظر: شئون وشجون من واقع حياتي ، ص١١٩.

(٢) المرجع السابق، ص١٢٢.

(٣) المرجع السابق، ص١٣١.

(٤) المرجع السابق، ص١٣٥.

وتحدث الشيخ ابن خميس عن زميل من زملائه الكرام الدكتور [عبد الله بن ناصر الوهيبي] والذي كتب ترجمة وافية عن الشيخ عبد الله ابن خميس ضمنها الأستاذ حسن الشنقيطي كتابه [النهضة الأدبية في نجد] يقول عنه ابن خميس: (كان من زملائي الكرام عبد الله بن ناصر الوهيبي الذي أبى إلا أن يساير طموحه، وعلو همته حتى أصبح دكتوراً في التاريخ، وعلماً من أعلام جامعة الملك سعود)[١].

وضمن ابن خميس مذكراته جملة من القصائد التي وجهها إليه بعض الأصدقاء من الشعراء، تقريظاً لمؤلفاته وثناء عليه[٢].

٦ـ ولأن التعبير بكلمة النبوغ والنجابة ورد في ثنايا سيرة الشيخ الأديب عبد الله ابن خميس، فلابد لنا من وقفة لاستظهار جوانب ذلك النبوغ في سيرته وكيف حصل الشيخ على مكاسب معنوية عديدة نتيجة لنبوغه.

ومنها أن والده كان يأخذه وهو في سن مبكرة إلى مجالس الجيران في مزارعهم في الدرعية؛ من آل عواد وآل ناصر؛ ليقرأ عليهم في كتب ابن تيمية، وابن القيم وصحيح البخاري، ومجموعة الحديث، ولم يكن الشيخ آنذاك قد التحق بدراسة نظامية سوى ما أدركه في كتّاب الدرعية عند عبد الرحمن الحصان؛ ويذكر الشيخ أن تلك العادة التعليمية التي يؤديها أمام جيران والده من أهل الدرعية بعد صلاة المغرب من كل يوم؛ لاقت إعجاباً، ورأى الكثير منهم نجابة

(١) انظر: شئون وشجون من واقع حياتي ، ص١٤٣.

(٢) انظر المرجع السابق، من الصفحات ٨٧ قصيدة للدكتور غازي القصيبي، وص١١٢ قصيدة موجهة من الشاعر أحمد بن إبراهيم الغزاوي، وص١٣٨ للشاعر عائض بن شجاع بن سالم الشلوي، وص١٤٠ قصيدة للشاعرزيد بن نجا الحارثي، وقصيدة لعبد الله ابن صقيه ص١٦٥، وقصيدة للشاعر محمد بن عبد الله آل مبارك من الأحساء ص١٩٠.

الشـــيخ، وبراعته في القراءة والإتقان، وهذا مما زاد والده فخراً به، واستشراف مستقبل مشرق له(١).

ونبوغ آخر لمسه الشيخ سليمان السكيت في مدرسته الخاصة بحائل عندما الـــتحق بها ابن خميس لمدة عام، وجنى الشيخ من نبوغه مزيداً من الاهتمام من الشيخ سليمان السكيت، يقول: (وذهبت في المجموعة إلى حائل وكان ذلك سبباً فـــي تـــزويدي من التعليم في القراءة والكتابة والحساب، حيث التحقت بمدرسة الأستاذ سليمان السكيت طيلة مقامي بحائل، ولعل صاحب المدرسة وفقه الله رأى مني شيئاً من النجابة، فعطف علي ولاحظني وكانت هذه الخطوة في التعليم سبباً في طمعي بما هو أعلى وأغلى](٢).

وكانت نجابة ابن خميس ونبوغه سبباً قوياً في استثنائه من شرط القبول في دار التوحـــيد بالطـــائف والتي لم تكن تقبل إلا حملة الشهادة الابتدائية، وقد تقدم الشـــيخ لهـــا وهو لا يحمل إلا نبوغه وثقافته وضلوعه في القراءة والكتابة التي اكتسبها من مشايخه، ووالده، ودراسته في الكتاتيب.

ويذكـــر أنـــه عندما وجد رفضاً، ولم يفلح في إقناع رئيس المدرسة بهجت البـــيطار فكـــر في شفاعة الشيخ عبد الله الخليفي الذي طلب من البيطار أن لا يرده؛ لأنه سيجد منه ما تقر عينه، وسيكون واجهة طيبة لطلاب هذه الدار.

ويذكـــر ابـــن خميس أن موافقتهم على التحاقه بالدار كانت على مضض، وأنهـــم اضـــطروا لافتـــتاح قســـم أسموه [القسم التمهيدي] يهيئ لأخذ الشهادة الابتدائـــية، فالتحق به وكان لنجابته ونبوغه دور بارز في تحديد مستواه بالسنة السادســـة الابتدائية، فألحقوه بها في نفس العام ١٣٦٤هـــ فأدى الاختبار النهائي

---

(١) شنون وشجون من واقع حياتي، مذكرات غير منشورة، ص٣٠.

(٢) المرجع السابق، ص٢٢.

أمـــام لجـــنة الشـــهادة الابتدائية، فكان الأول على المملكة العربية السعودية في الشهادة الابتدائية[١].

وفي مقام آخر كان لنبوغ ابن خميس مكاسب معنوية أخرى استفادها وهو طالب في دار التوحيد بالطائف فعندما قدم الملك عبد العزيز إلى الطائف، ونزل الحويـــة تهـــيأ رئيس دار التوحيد بهجت البيطار، وأساتذتها للذهاب للسلام على الملك، وعندها لابد من خطيب أو شاعر يقف بين يدي جلالته، يرحب به ويهنئه بســـلامة الوصول، فوقع الاختيار على عبد الله ابن خميس؛ لأن يكون المتحدث باســـم الوفد، فكان أن أعد الشيخ قصيدة لاقت استحسان الملك عبد العزيز ومن معه][٢]. وإعجاب آخر بنبوغ ابن خميس حصده عندما زار سمو الأمير عبد الله الفيصل دار التوحيد فمثل أمامه ابن خميس يغرد شعراً ويرتل نثراً فأعجب سمو الأمير به وانتزع إعجاب الحاضرين)[٣].

وشـــهادة معلـــنة تلقاهـــا الشيخ ابن خميس تدلل على نبوغه ونجابته كتبها بلفظها الشيخ الأستاذ محمد متولي الشعراوي رحمه الله الذي كان أستاذاً في كلية الشريعة واللغة العربية بمكة المكرمة، وحيث الشيخ ابن خميس أحد تلاميذه، فقد طلـــب الشـــعراوي موضوعاً إنشائياً يدور حول بيت من الشعر لأمير الشعراء أحمـــد شـــوقي [طلـــب ذلك من جميع الطلبة] فكان أن قام الطالب النجيب ابن خمـــيس، بكـــتابة الموضـــوع شـــعراً قوياً جلياً رائعاً، يقول الشيخ (إن الشيخ الشـــعراوي بعد أن قرأ الأبيات في جملة أوراق الإنشاء، نفحها بعبارات إطراء

---

(١) انظر: شئون وشجون من واقع حياتي، ص٣١.

(٢) المرجع السابق، ص٣٢. تم إيراد جزء من القصيدة في التمهيد من هذا البحث.

(٣) المرجع السابق، ص١٥٠.

وتقديـــر وذيلها بقصيدة)[١]. وقد صرح الشيخ الشعراوي بنبوغ الشيخ في بيت من أبيات القصيدة قال فيه[٢][٣]:

أرجيك عبد الله يا ذر غيرة — لهـــا من قوافيك الحسان بنات
ومثلك يرجى أن ذلك أول — وفـــيه لمـــرجو النـــبوغ نـــواة

وكان نبوغ الشيخ سبباً مباشراً في اختياره من قبل الشيخ محمد بن إبراهيم ضمن عشرة من خريجي كلية الشريعة بمكة ليعينوا في المعاهد العلمية[٤].

وقد استفاد الشيخ من ذلك النبوغ بأن تكون له المبادرات الأولى في كثير من المناسبات والأحداث في بلاده سواء المؤلمة أو المفرحة فنراه في مذكراته يـــتحدث عـــن الحدث الذي هز المملكة العربية السعودية، وروع المواطنين، وأدخـــل البكاء إلى كل بيت وهو وفاة الملك عبد العزيز عام ١٣٧٣هـــ. وهذا الحـــدث انطلق من الطائف، وطبق في يومه أرجاء المملكة فبادر الشيخ بأول قصـــيدة عـــزاء تـــنطلق مـــن الإذاعـــة السعودية بمكة المكرمة، ويصيخ لها المســـتمعون في حزن وبكاء يقول الشيخ: (كنت ألقيها على الهواء من الإذاعة في جبل هندي) [٥][٦].

ولـــم يكـــن ليخفى على جماعة الشيخ في الدرعية ذلك النبوغ والتميز فلما وجهـــوا دعوة للملك سعود بمناسبة توليه الحكم، كان لابد من وجود ابن خميس لتنظـــيم الحفـــل الخطابي والإشراف على مواده، وإعداد قصيدة بهذه المناسبة،

(١) انظر: شئون وشجون من واقع حياتي ، ص٤١.
(٢) المرجع السابق، ص٤٣.
(٣) تم إيراد القصيدة كاملة في التمهيد من هذا البحث.
(٤) المرجع السابق، ص٥٤.
(٥) المرجع السابق، ص٤٢.
(٦) ورد ذكر جبل هندي في كتاب المجاز بين اليمامة والحجاز، ص٢٧٣.

فـيذكر الشيخ أنه جاءته دعوة مستعجلة من جماعته أهل الدرعية، وجهز نفسه وامتطى أول طائرة يقول: (كنت أبني القصيدة، وأنا على متن الطائرة)(١).

٧ـ وفـي سيرة الشيخ عبد الله بن خميس منتديات أدبية مبكرة تناولها في ثـنايا مذكراته أولها عندما أنشأ طلاب دار التوحيد بالطائف نادياً أدبيا يقـام مسـاء كـل يوم خميس، ويحضره جملة من الأدباء والشعراء، وخصوصـاً أعـيان أهل نجد المقيمين في الطائف. ويذكر الشيخ في مذكراته أن إدارة ذلك النادي أُسندتْ له، وأنه ظل يرأسه إلى أن تخرج من الدار، ويتحدث عن المناشط الأدبية التي كانت تقام آنذاك، فيقول: (كانت تلقى القصائد والمحاضرات والندوات، والتي كانت على مستوى مـن الجودة والإتقان، ولقد أخذتُ أزاول قرض الشعر، وألقي ما ألقي منه في هذا النادي)(٢).

وعن دور الحرم المكي الشريف في مكة بوصفه منتدى معرفيّاً أدبيّاً تحدث فـي مذكـراته أنـه عندما انتقل إلى كلية الشريعة واللغة العربية بمكة، كانوا يقضـون شـطراً مـن أوقاتهم بالحرم الشريف، في المذاكرة والحفظ ومسامرة المحابر والدفاتر)(٣).

ويذهب بنا الأديب ابن خميس مع باكورة نادٍ آخر أسسه الشيخ مع طلاب معهد الأحساء العلمي عندما كان مديراً له يقول: (ولم نلبث أن أسسنا به نادياً أدبياً، يقوم مساء كل يوم خميس، كان فيه لقاءات ومطارحات ومساجلات لا تنسى حافلة بالعلم والأدب والشعر)(٤).

---

(١) شئون وشجون من واقع حياتي [غير منشور]، ص٤٩.
(٢) المرجع السابق، ص٣٠٦.
(٣) المرجع السابق، ص٣٧.
(٤) المرجع السابق، ص٥٦.

وخـــلال حديـــثه عن تلك المنتديات الأدبية المبكرة، فإنه يصف لنا حرص الناس إذ ذاك على السمر وتناشد الأشعار واللقاءات الأدبية، وهذا في ظل غياب الأندية الأدبية الرسمية بشكلها الحالي.

ولقـــد كانت هذه الرغبات الملحة من قبل الشيخ وأقرانه في تنشيط الحركة الأدبـــية والثقافية ودفعها إلى الأمام، نواة أولى لإنشاء الأندية الأدبية التي نراها الآن منتشرة في معظم مناطق المملكة(١).

٨ـ لقد أخذ الحديث عن [شئون وشجون الصحافة] حيزاً كبيراً من مذكرات رجـــل الإعلام والصحافة عبد الله ابن خميس، فكان له وقفة مع ما كلفه بـــه الأستاذ حمد الجاسر، من الإشراف على طباعة مجلة اليمامة بمكة المكرمة، عندما كان طالباً في كلية الشريعة واللغة العربية، وكانت قبل تطـــبع في بيروت، وكان الإشراف على طبعها ونقلها إلى الرياض بعد الطـــبع شاقاً، فوجد الشيخ حمد الجاسر أن طباعتها بمكة المكرمة أيسر، ولاســـيما أن ابـــن خميس سيكون مشرفاً على الطبع، وكانت تطبع لدى مطـــبعة الدار السعودية، وبعد مدة اقتضى نظام الطباعة أن يكون حجم المجلـــة أصغر من حجمها المعتاد، فيذكر الشيخ أن الأستاذ حمد الجاسر لم يشعر إلا والمجلة تصله في حجم دون حجمها المعتاد](٢).

هـــذا شأن من شئون المجلة، ولكن الشجن الذي أصاب الشيخ هو كما قال (ولـــم يشـــعر الشيخ حمد إلا والمجلة تصله في حجم دون حجمها، مما أغضب الأستاذ ونالني منه ما نالني، ولكن هنيئاً مريئاً فهو أستاذنا، ومن حقنا أن نتلقى عتبهُ بالرضا، ولم يلبث الشيخ حمد إلا أن سعى في تأسيس مطبعة في الرياض،

---

(١) صدرت لائحة الأندية الأدبية عام ١٣٩٥هـ، انظر: الأندية الأدبية في سطور.ـ ط١.ـ نادي الطائف الأدبي، ١٤٠٧هـ، ص٨-٢٤.

(٢) انظر: شئون وشجون من واقع حياتي ، ص٣٧.

يطبع بها المجلة فاستراح وأراح، وما كنت إلا متطوعاً مع الأستاذ في الإشراف على طباعة المجلة)[١].

ووقفة أخرى مع مجلة [هجر] التي كانت دورية وصدرت منبثقة عن النادي الأدبي الذي أسسه الشيخ في معهد الأحساء العلمي[٢]، ولم يسهب الشيخ في تفاصيل إصدارها في مذكراته، وقد صدرت مجلة هجر في شهر المحرم ١٣٧٦هـ وتولى عبد الله شباط سكرتارية تحريرها وشارك في الكتابة فيها مجموعة من أساتذة المعهد مثل مناع القطان، وعثمان بن سيار ومحمد زايد وعطية محمد سالم، ومجموعة من طلبة المعهد منهم عبد الله بن عبد الرحمن النعيم وعبدالرحمن بن عثمان الملا، ومحمد أحمد الإسماعيل، وإبراهيم المبارك، وسعود النعيم، كما كتب فيها عدد من مشايخ الأحساء، مثل محمد بن عبد القادر، وعبداللطيف أبو بشيت[٣].

والوقفة التي أخذتْ من مذكرات الشيخ ما أخذتْ تفصيلاً واسترسالاً عندما ذكر النضال الذي صاحب إنشاء صحيفة الجزيرة، وقبلها مجلة الجزيرة وحرص الشيخ على تحديد الزمان والوقت الذي أنشأ فيه [مجلة الجزيرة] فيذكر أنه حينذاك كان مديراً عاماً لرئاسة القضاة وأنها صدرت في شهر ذي القعدة من عام ١٣٧٩هـ وعنها يقول: (وظلت المجلة تصدر قرابة أربع سنوات، وكانت كتاباتي بها مقروءة وناجحة؛ بها شيء من الحرارة والجهاد الصحفي)[٤].

---

(١) انظر: شئون وشجون من واقع حياتي ، ص٣٧.

(٢) المرجع السابق، ص٥٦.

(٣) المعلومات مستقاة من كتاب صفحات وثائقية من تاريخ الإعلام. د. عبد الرحمن الشبيلي.ـ ط١ ـ الرياض: مطبعة السفير، ١٤٢٣هـ، ص٣٣٦.

(٤) شئون وشجون من واقع حياتي، ص٦٠.

ويواصل الأديب ابن خميس حديثه عن مجلة الجزيرة، وأنها أُوقفت من قبل وزارة الإعلام نتيجة لمقال كتبه الشيخ بها، ويذكر أنه استوحش منه[١][٢].

ويواصـــل الشيخ ابن خميس بث شجونه عن الصحافة قائلاً: (إنه بعد مدة صدر نظام المؤسسات الصحفية عام ١٣٨٣/٨/٢٤هـــ وجاءته برقية من وزير الإعـــلام جميل الحجيلان مفادها أن اتخذوا الإجراء اللازم نحو تأسيس صحيفة باسم مؤسسة الجزيرة الصحفية، حسبما جاء في نظام المؤسسات، ويتحدث عن شـــئون ذلك النظام، وأنه يقضي بأن يكون المؤسسون خليطاً من طبقات الشعب الأدبـــاء، والتجار، والوجهاء والصحفيين، والمعلمين، ويظهر الشيخ جهوده في مجال تأسيس صحيفة الجزيرة، وأنه اتصل بمجموعة من هذه الطبقات[٣].

حرص الشيخ على ذكرهم فرداً فرداً (هم الإخوة عثمان الصالح، وسعد بن ســـعيد، وعـــبد العزيـــز الخويطر، وعبد العزيز التويجري، ومحمد بن حمدان، ومحمـــد بـــن عـــبد الكـــريم، ومحمد بن سالم، وفيصل الشهيل، وعبد الرحمن السديري، وعبد الله السديري، ومحمد بن عباس، وحمد بن فريان، وعبد الله بن رويشـــد، وعـــبد العزيز بن سليم، ومحمد الجميح، وسليمان بن مقيرن، ومحمد الصـــانع، وحمد الشاوي، ومحمد الشاوي، ومحمد بن عيسى، وعبد الرحمن بن معمر، وعبد العزيز بن سويلم، وعبد العزيز بن مسند، وحمد القرعاوي، وصالح العجروش)[٤].

---

(١) شئون وشجون من واقع حياتي، ص٦١.

(٢) ذكر سبب إيقاف مجلة الجزيرة في حوار معه أجرته جريدة الجزيرة في الملحق الخاص بتكريمه في الجنادرية، الخميس ١٠ ذو القعدة ١٤٢٢هـــ، ص٥.

(٣) المرجع السابق، ص٦١.

(٤) المرجع السابق، ص٦١.

اجتماعات وانتخابات في شئون الصحافة:

اجتمع الشيخ ابن خميس بمن ذكرهم لتأسيس صحيفة الجزيرة، وذلك في بيته في الملز من مدينة الرياض، وألقى فيهم كلمة ضافية بين فيها الواجب الوطني الذي يحتم على المواطن أن يقوم به، ولاسيما في المجال الصحفي، وخاطبهم قائلاً (أنتم مدعوون إلى الإسهام في هذا المشروع، وإلى أن يقوم كل منا بواجبه في هذا المجال، فإذا لم نحتضنه ونباركه، ونسهم فيه بأموالنا وبأقلامنا وبأفكارنا فمن يا ترى سوف يقوم به، إنها خطوة مباركة وجهد سوف تشكرون عليه وموقف وطني سوف يسجله لكم التاريخ، وربما إلى جانب الجوانب المضيئة التي أسهمتم فيها ربما تجدونه في نهاية الأمر مربحاً تحمدون عقباه... الخ)[١].

وفي شئون انتخابات الصحافة يذكر الشيخ أنه طرح انتخاب من يقوم بإدارة المؤسسة، وأنه اعتذر مقدماً وبكل صراحة، وأنه طلب من المؤسسين أن يعذروه ولكنهم أصروا وبالإجماع على أن يتولى إدارتها، وجمع ما تبرعوا به في التأسيس، وأنهى إجراءاتها الحكومية، وتكوين المؤسسة وأستأجر مقرا لها في عمارة البلديات بالصفاة[٢][٣].

ويضيف الشيخ من شئون وشجون الصحافة أن جريدة الجزيرة انطلقت أول الأمر أسبوعية وحصل لها تلكؤ، مما حدا به أن يطلب من المساهمين رفع مساهمتهم، فكان له ذلك.

ويفخر شيخنا أن تلك الصحيفة تطورت، وتضاعف دخلها حيث يقول (فلقد استمرت في التطور في الدخل، بالرغم من أننا جعلنا تطويرها الثقافي، وركزنا

---

(١) انظر: شئون وشجون من واقع حياتي ، ص٦٢.

(٢) المرجع السابق، ص٦٣.

(٣) ورد ذكر موقع الصفاة في المجاز بين اليمامة والحجاز، ص٢٣.

على بنائها بناء فكرياً جيداً واتخذنا لها داراً كبيرة في أبرز مكان، وأنشأنا لها مطبعة متطورة، وأخذ دخلها يتطور عاماً فعاماً، حتى لقد غطت مساهماتها في أربع سنين، وأصبحت من أبرز صحف المملكة، وكان لها مكاتب كثيرة في الداخل والخارج، وبها كتاب بارزون، وهكذا أصبحت مؤسسة ناجحة جداً قامت على حسن النية والأمانة والإخلاص والوطنية الصادقة وسلامة قلوب مؤسسيها)[١].

ويختم الشيخ ذكريات إنشاء صحيفة الجزيرة بقوله: (أنشأنا لها داراً كبيرة في أبرز مكان في الرياض، تمت المقاولة على بنائه بستين مليوناً)[٢].

وبوح جميل ختم به الشيخ حديثه عن شجونه في الصحافة عندما قال: (وإذا كان لي من عمل أفخر به في حياتي فهو هذه المؤسسة)[٣].

٩ـ ولعل شئون وشجون العمل التي مرت بأديبنا ابن خميس التي وردت في سياقات كثيرة في مذكراته هي ناجمة عن كثرة المناصب القيادية التي أولاه إياها حكام هذه البلاد لما عرف به من حسن الإدارة، والذكاء وحسن التصرف، والإلمام المعرفي الذي كان مقصوراً على فئة معينة في ذلك الوقت، ممن شربوا بواكير التعليم في بلادنا. وعندما اطلعت على مذكرات الشيخ غير المنشورة، وجدتُ فيها تفاصيل، ومناحي عديدة لعل المقام هنا لا يسمح بالوقوف على شجونها كلها.

ولعلنا نستعرض بعضها مرتبة حسب التدرج الزمني الذي أورده ابن خميس في المذكرات ومنها:

أ- الشيخ محمد بن إبراهيم الرئيس العام للمعاهد العلمية والكليات يوجه ابن خميس لإدارة معهد الإحساء العلمي، ولابد لذلك التكليف من شئون قبل

---

(١) شئون وشجون من واقع حياتي، ص ٦٣.

(٢) المرجع السابق، ص٦٣.

(٣) المرجع السابق، ص٦٤.

التنفيذ وبعده، سردها ابن خميس؛ فمن شئون ما قبل التنفيذ المرور على الشـيخ عبد اللطيف بن إبراهيم في الرياض لأخذ التعليمات، ثم الذهاب إلـى الأحسـاء، والسـعي فـي استئجار دار للمعهد، وتأثيثه، وشراء السـيارات اللازمة، ومن ثم البدء في تسجيل الطلاب، وقد كان الإقبال علـيه فـي أول الأمر محدوداً، ولكن ما لبث العدد أن تضاعف، حيث كانـت المكافـأة المالية التي تصرف لطلاب المعهد سبباً في ذلك. أما شـجون ما بعد التنفيذ، أي بعد أن جاء الأساتذة وتم افتتاح المعهد فهي كثيرة نذكر منها: صعوبة التواصل مع الإدارة العليا في الرياض، فليس هناك وسيلة اتصال سوى السفر، وشد الرحال، فيذكر الشيخ ابن خميس أنـه توجـه للرياض لاستشارة الشيخ محمد بن إبراهيم في أمر يخص التسجيل في المعهد وهكذا][1].

ب- وبعـده جـاء خطاب للشيخ ابن خميس وهو آنذاك في الأحساء مديراً لمعهدهـا العلمي، مصدره الشيخ محمد بن إبراهيم يفيد بتعيينه مديراً لكلية الشريعة واللغة العربية بالرياض[2].

وكان لذلك الخطاب وما فيه شجون في نفس الأديب ابن خميس، باح بها للقـارئ مـن خلال مذكراته قائلاً: (وهو على كل حال تقدير من الشيخ، ورفع لمسـتواي الوظيفي غير أني أدرك ما في الموضوع من حساسية، فأولاً سوف أحـل محـل الصديق الشيخ حمد الجاسر، ولا أحب أن أجئ ما يكره، وثانياً أن طلبة الكلية في جانب الشيخ حمد، وسوف أُقدِم على أمر نجاحي فيه مشكوك، بل يكون طعناً في كفاءتي ومقدرتي)[3].

---

(١) انظر: شنون وشجون من واقع حياتي ، ص٥٥.

(٢) المرجع السابق، ص٥٩.

(٣) المرجع السابق، ص٦٠.

ويواصل الشيخ ابن خميس سرد شجونه، عندما تولى إدارة كلية الشريعة، واللغة العربية بالرياض، ويذكر أن هناك من تولى كبر الأمر.

ثم يختم الشيخ ذلك الشجن بقوله: (إن الاحتجاج على إبعاد الشيخ حمد الجاسر وتعييني مديراً للكلية هيأ لشبه اعتصام جاءت بخبره إذاعة لندن)(١).

ج- وكأني بالشيخ في مذكراته أراد أن يقول إن تعيينه مديراً عاماً لرئاسة القضاء التي قضى بها مدة خمس سنوات؛ تعتبر من أزهى فترات إنتاجه الثقافي، ونشاطه الأدبي؛ لأنه خلالها أنشأ مجلة الجزيرة عام ١٣٧٩هـ، وألف بعض مؤلفاته، وقام بنشاط وطني مميز عبر مجلة الجزيرة حيث عالج موقفنا من الزيت واستكتب قرابة عشرين أديباً حول الموضوع، ثم أصدره في كتاب [بلادنا والزيت](٢).

د- ونقلة أخرى وشأن آخر في وكالة وزارة المواصلات حيث يذكر لنا الشيخ ابن خميس في مذكراته أن وزير المواصلات آنذاك عبد الله السعد القبلان كتب إلى سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ يطلب انتقالي وكيلاً لوزارة المواصلات، ولكن الشيخ محمد بن إبراهيم تردد وتردد، وبعد إلحاح الوزير، ووساطات كثيرة سمح بانتقال ابن خميس وكيلاً للوزارة، ومكث الشيخ بها حتى بعد أن تعين الوزير الزغيبي، ثم بعد تعيين الوزير محمد عمر توفيق، يذكر الشيخ أنه اختلفت بينهما وجهات النظر، إلى أن تم نقل الأديب ابن خميس إلى رئاسة ديوان المظالم، ولكنه اعتذر عن قبول ذلك العمل(٣).

---

(١) انظر: شئون وشجون من واقع حياتي ، ص٦٠.

(٢) المرجع السابق، ص٦١.

(٣) انظر: شئون وشجون من واقع حياتي، مذكرات غير منشورة، ويوجد تفصيل أكثر لشجون الشيخ عندما كان وكيلا في وزارة المواصلات، ص٦٤.

هـ - التحق الشيخ عضواً بمجلس إدارة شركة الكهرباء، وذلك بطلب من إدارة الشركة[1].

و- وفي سيرة الشيخ العملية فترة قصيرة من الزمن قضاها في إمارة منطقة الرياض، نائباً عن صاحب السمو الملكي الأمير سلمان بن عبدالعزيز، عندما كان خارج البلاد وذلك بطلب من الأمير نفسه وكان للشيخ في ذلك العمل شئون وشجون تماثل ما ذكره في الأعمال الأخرى التي تولاها[2].

ز- وآخر شجون العمل عند أديبنا عبد الله ابن خميس عندما عين رئيساً لمصلحة مياه الرياض، فكان له بها شجون قال عنها: (لاقيت بها أول الأمر العنت، فالرياض تتطور باليوم والمياه شحيحة، والشبكة الموجودة منها تالفة مهترئة، وسيارات نقل المياه [الوايتات] قليلة، والمصلحة مع ذلك مطالبة باستحصال قيمة الماء من المواطنين، وكثير منهم يتأبى عن الدفع بموجب سلطته، ومكانته والتغاضي عن هؤلاء وأَخْذه من الفقراء أمر غير طيب، وهكذا عانيتُ وقاسيتُ، حتى لقد تمنيت أنني قبلت مشورة الأمير سلمان في تولي وكالته)[3].

ونلاحظ فيما عرضنا من السيرة الذاتية عند الشيخ عبد الله بن خميس، أنه كان معتدلاً في حديثه عن نفسه، فلم يرفعها فوق منزلتها، ولم يخفضها دون ما تستحق وقد كان منصفاً متصفاً بالموضوعية في حديثه عن الآخرين؛ الذين اختلط بهم، وتعامل معهم في حلو الحياة ومرها.

---

(١) انظر: شئون وشجون من واقع حياتي ، ص٦٥.

(٢) المرجع السابق، ص٦٦.

(٣) المرجع السابق، ص٦٧، (ذكر الشيخ في مذكراته أن الأمير سلمان عرض عليه وكالة الإمارة ولكنه اعتذر بلباقة).

ومــن السيرة الغيرية كتاب راشد الخلاوي (حياته، شعره، حكمه، فلسفته، نوادره، حسابه الفلكي):

بمــا أن وظيفة الأديب في العصر الحديث أن يعيد رسم النموذج الإنساني، وأن يبث في تلك الرسمة المقاييس الحقيقية التي تعين الناس على تمييز الحق من الزيف(١).

ومــن الواضــح أن الشيخ عبد الله ابن خميس كتب سيرة راشد الخلاوي، وكــان يدفعــه ويحــثه حب تقديم الصورة الإنسانية، وإثارة الاهتمام بمثل تلك الــنماذج الإنســانية المبدعة، وكان يحمل على عاتقه هم الإثارة، ولفت الأنظار عــبر الإبانة والتوضيح، طالباً في ثنايا ما كتبه أن يكون ذلك النموذج الإنساني محــط الاهــتمام، والكتاب دراسة وافية عن الشاعر راشد الخلاوي الذي ظلت سيرته غامضة، مع تدوين شعره(٢).

وللشــيخ ابــن خميس من تدوين سيرة الخلاوي هدفان أوردهما في مقدمة السيرة:

الأول: تغيــير الصــورة عند من يرى الأدب الشعبي واغلاً وطفيلياً على مائدة الفكر؛ فإنه سيجد في سيرة راشد الخلاوي ما يفتح له فتحاً جديداً على آفاق المعــرفة وجوانب من الثقافة يضيفها إلى رصيده ويزيد منها محصوله، ويجيب إليه أثراً من آثار قومه وجزءاً من حياة أمته(٣).

---

(١) على مائدة الأدب. عبد الله بن حمد الحقيل.ـــ ط٢.ـــ الرياض: مطابع الفرزدق التجارية، ١٤١٢هـــ، ص٦٠.

(٢) انظر: مصادر التراجم السعودية: دراسة وثائقية. علي بن سليمان الصوينع .ـــ الرياض: مطبوعات مكتبة الملك فهد الوطنية، ١٤١٧هـــ، ص ١٢٦.

(٣) راشــد الخــلاوي، عبد الله بن خميس.ـــ ط١.ـــ الرياض: دار اليمامة للنشر والترجمة، ١٣٩٢هـــ، ص٨.

والثانـــي: هـــو أن راشـــد الخلاوي رائد من رواد الفكر وسِفْر من أسفار التاريخ، وشخصية شغلت الذهن العربي داخل جزيرة العرب عبر ما يزيد على ثلاثـــة قرون وأنّ شخصية راشد الخلاوي، كل أخذ من مدها بطرف، ومتح من معيـــنها بســـجل، وأصـــدر عنها، ولكن عن رواية مشوشة، ودراية مهزوزة، وعـــلالات ناقصـــة مبســـترة، مما فتح المجال لحوك الخرافة، وحبك القصص الباردة، وإلصاق ما لا يمكن أن يتواءم وشخصية نابهة كشخصية الخلاوي.

فجـــاء تدوين الأديب ابن خميس لشخصية الخلاوي تدويناً مغربلاً، وناقداً محكه الذوق ومقياسه المقارنة، وهدفه الوصول إلى الحقيقة[١].

ومـــنهج الشيخ في كتابة سيرة راشد الخلاوي يقوم على الاهتداء بالقرينة، والاقتباس من تضاعيف الأثر، والأخذ من الأقوال أقومها وأحكمها[٢].

ويبيـــن الشـــيخ جهوده في كتابة تلك السيرة قائلاً: (فلقد أفرغت الوسع في التحقيق، وبذلت الجهد في التدقيق، وعرضتُ قضايا هذه السيرة على محك النقد، وأداة التمحيص)[٣].

وقبل أن يلج بنا الشيخ الأديب عبد الله ابن خميس إلى سيرة راشد الخلاوي تـــراه يوجز بعضاً من صفاته، ولعل ذلك من قبيل تشويق القارئ إلى ما خلف بـــاب تلـــك السيرة من ثمار، والمطلع عليها يجدها صفات عليا، وأخلاقاً مثلى، ومواهب بارزة، يقول عنه الشيخ في مقدمة السيرة: (وبالجملة فسوف تسير عبر هـــذه الســـيرة مع رجل ذي شخصية متعددة الجوانب، متلاقية أطراف النبوغ، مســـتَجمعة للفضل والتقدير، فهو حكيم ذهبت أقواله حكماً سائرة، وأمثالاً نادرة، وشـــواهد مـــأثورة، وهـــو ناسك جعلت منه تعاليم الدين ومبادؤه نموذجاً لرجل

---

(١) راشـــد الخـــلاوي، عبد الله بن خميس.ـــ ط١.ـــ الرياض: دار اليمامة للنشر والترجمة، ١٣٩٢هـــ، ص٨.

(٢) المرجع السابق، ص١٠.

(٣) المرجع السابق، ص١١.

الإســـلام؛ فـــي متانة الخلق، وصفاء النفس، وكرم الطباع، وانجلت على لسانه نفحات هي لقارئه إشعاع يعيد الطريق، ويأخذ بيده سبل الخير، بجاذبية وإقناع، وهـــو عزيـــز النفس، رفيع القدر، بعيد الهمة؛ يغالي بشخصيته عن أن تدنسها الأطمـــاع، أو يرخصـــها المَلَق، أو يقودها الإغراء، وهو شاعر مطبوع طويل الـــنفس، متين السبك، حلو الديباجة، متعدد الأغراض، ذو مدرسة خاصة، ونهج شعري بديع، وهو فلكي عالم بسير الكواكب، ومواقع النجوم، ومساقط الغيث، و تصريف الرياح، وأوقات الزرع والغرس، وهو دليل خرِّيت[1]، وقانص ماهر، وعـــالم بطباع حيوانات الجزيرة أنيسها ومتوحشها. يعيش في مضارب البادية، وفي اقتناص الأوابد، ومحالفة الأسفار)[2].

بعـــد ذلـــك تناول "راشد الخلاوي" في سجل التاريخ، وحلل شخصيته بعدة عناوين هي:

- عصر راشد الخلاوي.
- وطن الخلاوي.
- نسب الخلاوي.
- الخلاوي الفلكي.
- مصادر إلهام الخلاوي.
- شعر الخلاوي.
- الحكمة عند راشد الخلاوي.
- الإيمان والاستقامة.
- عزة النفس.
- من أخبار الخلاوي.

---

(١) خريـــت: الدلـــيل الحاذق بالدلالة كأنه ينظر في خرت الإبرة، انظر: لسان العرب، مادة خرت ٢٠/٢٩.

(٢) راشد الخلاوي، ص٤١.

ففي عصر الخلاوي؛ يذكر "أن عصره كان حالك الظلمة، معتم الصوى والمعالم، مجهول الحقيقة، بل إنه عصر أشبه ما يكون بالجاهلية في أميته، وشريعته المتوحشة، وبعده عن متناول الرواة، ونقلة الأخبار"(١).

ويواصل الحديث عن عصر الخلاوي، بأنه يتحراه بالقرن الذي عاش فيه على وجه التقريب، لا التحديد.

ومن موضوعية الشيخ، ما وجدناه من اعتراف أنه لم يصل إلى علمه أن الخلاوي ولد سنة كذا، وتوفي سنة كذا، وله من العمر كذا(٢).

ومن سيرة الخلاوي، يرى الشيخ أنه عاش على وجه التقريب في القرن الحادي عشر الهجري، أو أوائل القرن الثاني عشر.

ويستدل على ما ذكره، بأن ممدوح (الخلاوي منيع من سالم بن عريعر أحد أمراء الأحساء في عهد الإمارة الحميدية وهذه الإمارة أشار إليها الشاعر بقوله:

رأيت البدو آل حميد لما ... تولوا أحدثوا في الخط ظلماً

أتى تاريخهم لما تولوا ... كفانا الله شرهم (طغى الما)

ومن هنا نرى أنهم عاصروا الدور الأول لدولة آل سعود، وظهور الشيخ محمد بن عبد الوهاب(٣). ويعلل الشيخ وصول أخبار هذه الشخصية إلينا على ما بها من تأويل وتحويل وتبديل، بأن ذلك يعود إلى أنها شخصية ملهمة، تحمل إلى جانب ثقافتها الاجتماعية، وتجاربها الكثيرة شعراً حكيما رصيناً في القمة من أشعار الملأ في ذلك الزمن.

(١) راشد الخلاوي، ص١٧.
(٢) المرجع السابق، ص١٨.
(٣) المرجع السابق، ص١٩.

واعتبر الشيخ ظهور شخصية الخلاوي في ذلك العصر حدثاً مهماً، وانتباهة زمنية نادرة، فيقول: (ولولا وضوح شخصية الخلاوي، ونباهة ذكره، وبعد صيته للفتهُ هذه الدياميم الجاهلية في تضاعيفها، ومضى فيمن مضى ولا أثر)[١].

ويجــزم ابن خميس أن وطن الخلاوي هو نجد، وأنه عاش متنقلاً فيها هنا وهــناك، متتبعاً مساقط الغيث، ومراعي السائمة، وهذا التأكيد تلمسه شيخنا من أشــعار الخلاوي، حيث فصل الخلاوي في أماكن تنقلاته داخل ديار نجد، ومن شعره ما أشار إلى أنه يرتاد شمال الجزيرة وشرقها.

وممــا أكــد ما رآه حول موطن الخلاوي هو نجد، ما ورد في أخباره من إيــداع بندقيــته دحلاً من دحول الصمان في نجد، عندما كتب وصيته لابنه أن يستخرجها عندما يبلغ مبلغ الرجال[٢].

وأفرد ابن خميس عنواناً من الكتاب تحدث فيه عن نسب الخلاوي بدأ بإشارة إلى أنه لا يعرف عن اسمه وأسرته سوى راشد الخلاوي، نسبة إلى الخلاء، وهو البارز من الأرض، على غير قياس من حيث بناء كلمته، وتفخيم لامه[٣].

وتحــت ذلــك العنوان استدل ابن خميس على نسب الخلاوي بعدة أدلة من خلال أسفار صاحب السيرة، وَخَلَّص من تلك الأدلة، والقصص إلى أن الخلاوي يلــتحق في نسبه (بصليب) ومن الأدلة التي أوردها الشيخ (أن الخلاوي نهج في حــياته متنقلاً في الفيافي والقفار، متخذاً القنص حرفة، عالماً بالمسالك والطرق والمياه والمضارب، متبعاً ظعون صليب، ومضاربهم، كل ذلك معروف أنه نهج الصلبي، وأسلوب حياته)[٤].

---

(١) راشد الخلاوي ، ص١٩.

(٢) المرجع السابق، ص٢٧.

(٣) المرجع السابق، ص٢٨.

(٤) المرجع السابق ، ص ٢٩.

وفـــي عنوان آخر يتحدث ابن خميس عن شعر الخلاوي، وبدأ مقرباً شعره مـــن الفصـــيح، وأنه أخذ طابعاً خاصاً في معانيه ومبانيه، وكان الشعر الهلالي أبـــرز صورة يوصف بها هذا الشعر، وأنه كان يأخذ بوشيجة من الشعر العربي الفصـــيح في لغته ووزنه وغرضه، إلى جانب ما يتحلى به من جزالة وفحولة، وسمو غرض، ولعل ابن خميس وجد فرصة سانحة لدفاعه المتواصل عن الشعر الشـــعبي، وأنــــه امـــتداد للفصيح وأن فيه أواصر وثيقة تربطه باللغة الفصحى، والأدب الخالد وأن احتضانه لذلك الشعر هو بمقدار ما يحفظ من تاريخ أو يُذّكر بأمجاد الأجداد، وإلهاب عاطفة الحب والخير والجمال، أو ينزع إلى أصل أصيل وبناء وغرض][(١)].

ثـــم يـــورد الشيخ تمثيلاً بنماذج من شعر الخلاوي، مستقيمة اللغة والوزن والقافية، وتحمل الجودة والأصالة والجرس.

ويفصِّـــل ابـــن خميس في أغراض شعر صاحب السيرة، فيذكر أن مروره لم يكن بأغراض الشعر عابراً، لكي لا تعوق انسياب قريحته وتؤثر على بناء قصيدته، ثـــم يبيـــن الشـــيخ النهج الذي يطرقه الخلاوي في بناء قصائده قائلاً: (بل يطرقها طـــروق المـــتقفر ويقـــف معها موقف الباحث المتأني. لـــه شعر فلكي ذلّله لقواعد الشعر ودقائقه ووصف الناقة والمرأة والفلاة، وغير ذلك مما يقع تحت حسه)[(٢)].

ثم يستكمل الأديب ابن خميس ما يخص شعر الخلاوي بإيراد خصائصه الفنية، فهـــو قد أعطى أوصافاً نادرة، وأخيلة مبدعة، وطرق فكان شعره عظات ودعوات صادقة مؤثرة.. وفي كل ذلك لا يلمس في شعره ارتخاء، أو تدنٍ في السبك، ويختم بأن للشاعر نفساً طويلاً عجيباً، في إطالة القصيد، وملاحقة القافية[(٣)].

---

(١) راشد الخلاوي ، ص٤٢.

(٢) المرجع السابق، ص٤٥.

(٣) المرجع السابق ، ص٤٥.

واعتـــبر دارســـو السيرة ما يضيفه مؤلف السيرة الغيرية من تعليق أثناء السرد خطأ فنياً؛ لأن ذاك يجعله يقطع حديثه عن الشخصية، بإضافة تعليق، أو ربط الماضي بالحاضر، أو إثبات قضية[١]، مما يؤثر على السياق العام للنص، وهـــذا مـــا رأيناه في التعليق الذي أدخله ابن خميس في سياق حديثه عن شعر الخـــلاوي، بإثبات علاقة الشعر الشعبي بالفصيح وإثارة قضية دائماً ما يتبناها. ومن مضامين السيرة الشخصية لراشد الخلاوي، ما أبرزه ابن خميس مما تميز بـــه الخلاوي من الحكمة وفصل الخطاب، فله حكم سائرة، وأمثال خالدة تتردد علـــى ألســـنة الناس، وينقلها خَلَفهم عن سلفهم وتقع من نفوسهم موقع الإعجاب والتأثير، ويستشهد على ذلك بجملة من الأبيات الشعرية[٢].

ومضمون آخر وجده أديبنا في سيرة الخلاوي؛ وهو أن شعره مليء "بالإيمان والاســـتقامة ومعـــرفة الله وشئونه في خلقه"، مما يدل على أنه متشبع بروح الدين الإسلامي، وأنه ممن يجالس العلماء، ويعي لما يسمع منهم، ويعلق ابن خميس على ذلك التميز بقوله (وبالرغم من أن الخلاوي إلفُ براري وطليحُ أسفار)[٣].

ويلح الخلاوي على عزة النفس والمغالاة بها، عن أن تدنسها الأطماع، أو يغمزها الملق[٤]، أو تقف مواقف ذلة وخنوع، ويتدخل ابن خميس خطيباً، ويقطع سرده قائلاً: (وما أطيب ما يدعو إليه وأجمله وأكمله!! فنفس المرء هـــي رأس مالـــه فـــي الحياة، فإذا رخصت وتدنت، فماذا يبقى في حياته بعدهـــا؟! إن الـــرجال الكمـــل ليشدون أحزمتهم على الحجارة من الطوى،

(١) انظر: السيرة الذاتية في الأدب السعودي. عبد الله الحيدري، ص٣٧٩.

(٢) راشد الخلاوي، ص٥٥.

(٣) المرجع السابق، ص٥٠.

(٤) الملق: الود واللطف الشديد، وقيل الترفق والمداراة. انظر: لسان العرب، مادة ملق ٣٤٧/١٠.

ويضـــربون في الأرض، ويفارقون الأهل والولد والوطن خشية أن يدنسوا نفوسهم، أو يحنوا رؤوسهم)[١][٢].

فلعلـــه الدافع التربوي الأخلاقي الذي حدا بشيخنا إلى ذلك التعليق. ومن المناسب أن ننـــتقل إلى رصد شيء من ملامح النزعة القصصية عند عبد الله بن خميس خلال تناولـــه لسيرة راشد الخلاوي، وإن كان يختم أحياناً السرد القصصي بكلمات وعظية؛ تشكل تراخياً لمستوى القوة في السرد القصصي، وتمثلت النزعة القصصية في سرده للصداقة بين الخلاوي، ومنيع بن سالم بن عريعر ومهّد لإيراد القصص بقوله (صداقة الخـــلاوي تمـــثل أنبل ما يكون من صلة شخص بشخص، أفرده الخلاوي بمدائحه، وخصـــه بـــوده، وخلع عليه حللاً من الثناء، وجلابيب من المدح، ما عرفتُ شاعراً خلعهـــا علـــى ممدوحه، وإن كان الناس يقولون لولا مدائح زهير بن أبي سلمى، لما عـــرف هرم بن سنان، ولولا مدائح المتنبي، لما شهر سيف الدولة بن حمدان، فكذلك نقول بحق لولا مدائح الخلاوي لما عُرف منيع بن سالم)[٣].

وممـــا أورده مـــن القص أثناء سرده لسيرة الخلاوي وما حكاه أن [منيع بن سالم] أراد أن يمتحن وفاء الخلاوي، وقد جاءه من بلاد بعيدة أنهكته وعثاء السفر، وهـــدّه السير والسرى، وخلا وفاضه من كل شيء ما عدا أمله في منيع بن سالم، وعادته أن يرجع حقائبه بجراً، وينيله ما يغنيه ويقنيه ... الخ القصة[٤].

وقصة أخرى للخلاوي أوردها ابن خميس مع [محمد الربيعي] الذي أرسله منيع بن سالم، حيث كان ولوعاً بالصيد والقنص[٥].

---

(١) راشد الخلاوي، ص٦٠.

(٢) مجلـــة الحرس الوطني، العدد ١٩٦، رجب ١٤١٩هـــ، ورد مقال حول ما يحفل به شعر الخلاوي من الاستقامة والإيمان، بقلم د. فضل بن عمار العماري، ص١١٢.

(٣) راشد الخلاوي، ص٦٧.

(٤) المرجع السابق، ص٧٢.

(٥) المرجع السابق، ص٧٥.

وأخرى عندما أراد منيع بن سالم اختبار كرم الخلاوي في الليالي الشهباء، حيث قال منيع لرفقته: (إنه سوف يصطنع وجع عينيه، ويغطي وجهه ويلتحف، يــنظر ماذا يصنع الخلاوي بضيوفه في هذه السنة الشهباء، والمسغبة المتمكنة، وهل ما يدعيه الخلاوي من إكرام الضيف صحيح... الخ القصة)[١].

ويفرد ابن خميس في سيرة الخلاوي فصلاً لجملة [من أخبار الخلاوي] رأى أهمية إدراجها وربطها بسيرته، حيث إن فيها ما يكشف عن جوانب في شخصيته، ومــن ذلــك أن الخــلاوي ممن مدح رسول الله صلى الله عليه وسلم ناهجاً نهج البوصــيري وغيره.. في ذلك المدح وجد ابن خميس أن الخلاوي أفاض وأطنب واســتطرد وغلا، وذلك مما جاء به المبتدعون وأفرد فيه المفرطون مما لا يستند إلــى دليل، ولا يقوم على حجة، ولا يرضاه صلى الله عليه وسلم من أمته. ويختم الشــيخ نقده لذلك المدح بقوله (نحن منه براء؛ لأن الخلاوي تبع المفرطين، وغلا غلــواً تجاوز فيه الحدود الشرعية، وفي بعض مدحه مبالغات ومغالاة يدركها كل من له إلمام بأصول الدين)[٢].

والحكــم الوارد حول ذلك المدح؛ ورد من ابن خميس وهو العالم الفقيه الذي أخــذ ذلــك عــن دراسة وممارسة وقراءة؛ ومما يدلنا قوله (ومقام النبوة قطعاً لا يــنازع فــي عظمــته، ولا يمارى في مكانته، ونبينا في القمة ــ بأبي هو وأمي ونفســي ــ فمحبته مِنّا في سويداء القلب، ومكانته عندنا في الشغاف ونؤمن إيماناً جازمــاً بما أخبر به من أنه لا يؤمن أحدنا حتى يكون أحب إليه من نفسه، وماله وولده، والناس أجمعين[٣]، ندين لله بذلك ونلقاه به، ونقف في الثناء عليه بما أمرنا الله به أو بما جاء على لسانه من سنته، أو بما كان عليه سلفنا الصالح) [٤].

---

(١) راشد الخلاوي، ص٧٩.

(٢) المرجع السابق، ص٩١.

(٣) اقتــباس من نص حديث الرسول صلى الله عليه وسلم (لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين) أخرجه: مسلم، كتاب الإيمان، باب وجوب محبة رسول الله ٦٧/١.

(٤) انظر: الشوارد، ص٩٠.

ولكن شيخنا يختم حديثه عن هذا الجانب، بأنه لا يلوم الخلاوي على ابتداعه في مدح رسول الله صلى الله عليه وسلم، حيث يعيش في عصر حالك الظلمة، مستوحش الجوانب، أقفر من الدعاة، وخلا من الهداة، واستبد بالكلمة سدنة القبور، ودعاة الشر، فليس في [مكنة] من هذا عصره، أن يخرج على منحاه، أو يسير على غير هديه وأنى وكيف؟![١].

ومن أخبار الخلاوي التي أبرزها الشيخ عبد الله ابن خميس أنه يحمل [عقيدة دموية] ، ويؤمن بحكم السيف، وإخضاع الأعداء لقضائه، وأنه لم تتعقد الآمال لشخص، ولم يترك جانبه حراً سليماً، إلا إذا أذل عدوه قهراً، وأخضعه خوفاً، ويستدل على ما طرحه من رؤى حول عقيدة الخلاوي الدموية، بما وجده من أشعاره من التركيز على مبادأة الأعداء، وإخضاعهم وخضد[٢] شوكتهم][٣].

وبما أن جل أخبار الخلاوي تحوم حول الصفة البارزة والمميزة لشخصيته؛ وهو أنه لا يكذب أبداً وما حُفظت عنه كذبة واحدة، لما عُرف عنه من علو الهمة، وكمال المروءة ومكارم الأخلاق، فإن ابن خميس تلمس أخبار الخلاوي، فيما يخص هذه الصفة البارزة، ومنها أن هناك من ترقب مخمصة، ودفعوا إحدى العجائز أن تعمل له طعاماً قليلاً، وتدفعه إليه وتسأله بعد فراغه هل شبع؟ وكان من عادته أن لا يرد الإناء خالياً مهما كان ما فيه قليلاً، ثم أن مروءته تأبى أن يقول لمضيفته لم أشبع، ولو قال شبعت لكانت كذبة منه، فسألته العجوز: هل شبعت فقال: "ما أكلت خيراً، ولا أبقيت خيراً " وبهذا تخلص من موقفه الحرج[٤].

وأخرى عندما سافر عن قومه، وهم يتهيأون للرحيل في رغاء وثغاء وضوضاء، فسأله من قابله في الطريق: هل رحل قومك؟ فأجاب شدوا ولا

---

(١) انظر: الشوارد ، ص٩٤.

(٢) خضيد: قَطع ونزع شوك الشجر: انظر: لسان العرب، مادة خضد ١٦٢/٣.

(٣) انظر: المرجع السابق، ص١٠٦.

(٤) انظر: راشد الخلاوي، ص١٢٧.

مـــدوا، ورأي البدو بدوات، يعني أنني تركتهم يرحلون إبلهم أما أنهم ساروا فلا أستطيع الجزم بذلك، فكثيراً ما تعن للبدو خواطر تصرفهم عن عزمهم[١].

وأخرى عندما بعثه قومه رائداً يرتاد لهم الكلأ، فوجد أرضاً مخصبة تأزرت بعمـــيم الغيث، واتشحت، قد اختلفت أزهارها، وصدحت أطيارها، وخشية من أن يخالفه عليها الجراد، فيلتهمها ويكذبه قومه؛ عمد إلى قطعة جاعد من أدم، وغطى بهـــا جـــزءاً مـــن العشب، وأثقل أطرافه بالحجارة، وعاد إلى قومه يدعوهم إلى المـــرعى الخصيب، غير أن الجراد كان أسرع من القوم، فالتهم المرعى، فوجدوا ذلـــك مغمـــزاً لـــيكذبوه، ولكن دعاهم إلى ما تحت الأديم ليبيِّن صدقه[٢]؛ وأخبار أخرى يطول سردها، أوردها ابن خميس في سيرة الخلاوي[٣].

وفـــي خبر آخر يذكر ابن خميس شيئاً عن شجاعة الخلاوي، وذلك عندما أراد بعضـــهم الفـــتك بـــالخلاوي، فهجمـــوا على بيته فوجدوا فيه أخاه فقتلوه، واستفسروا من أمه وأخته عن الخلاوي فقالتا لهم: إنه قانص؛ فاتبعوا أثره ولكن أخته خالفتهم وذهبت تبحث عن أخيها راشد لتخبره الخبر ليحترس لنفسه ويأخذ بثأر أخيه إن أمكن، وعند ذلك اقتعد قمة رابية حوله وأمر أخته بأن تختبئ، أما الركب الذين يبحثون عنه ويتبعون أثره فلم يلبثوا حتى أقبلوا عليه ولم يدروا أن خـــبرهم قد وصل إليه فأناخوا حول الرابية التي يحتل أعلاها وأقبل عليه أحدهم مظهراً عدم الاكتراث، ولكن الخلاوي عزم على إبادتهم، فأطلق سهمه الأول في كـــبد هذا الذي قصده ولم يزل يقتلهم واحداً واحداً حتى أبادهم، ثم عاد إلى بيته وترك ماله ومضربه ونجا بنفسه وأمه وأخته[٤].

---

(١) انظر: راشد الخلاوي، ص١٢٧.

(٢) المرجع السابق، ص١٢٨.

(٣) انظر المرجع السابق، ص١٢٩، ١٣٠، ١٣١، ١٣٢.

(٤) المرجع السابق، ص١٣٣.

وفـــي سيرة راشد الخلاوي يبرز ابن خميس شخصيته الفلكية وبروزه في معـــرفة حساب الزمن، ومواقع النجوم، ومطالعها ومغاربها، وصلة ذلك بالثمار والنـــباتات، ومواسم البرد والحر والأمطار، وما إلى ذلك.. وإذا ذكر الخلاوي ذكـــرت معـــه هذه المعارف عند عامة سكان الجزيرة، خصوصاً أهل نجد على مـــدى مـــا يقرب من ثلاثة قرون من الزمان وقد أودع هذا العلم شعره وأمثاله وتجاربه، فحفظ وخلد.

ويشير ابن خميس إلى أن للخلاوي نظرة إلى مواقع النجوم في كبد السماء فيصف الجوزاء حينما تميل إلى الغروب وأن أنجمها تتحدر متصاقبة[١] في شكل بديع.

ويحذق الخلاوي وصف حركة السحاب وتصريف الرياح له وما هو مظنة الغيـــث والمـــدة التي تعقبها حتى تربع الأرض وتزهو بنباتاتها وتغني أطيارها وتختلف نوارها.

كما ويحدد الخلاوي أوقات البرد في نجد ووقت نضوج ثمر النخيل بظهور الكانون وهو النسر الأخير ويصف الخلاوي الرياح والسنين الممحلة[٢].

ويفـــرد ابن خميس عنواناً لمصادر إلهام الخلاوي؛ لأنه رجل غير عادي، ويتســـاءل الشيخ هل مصدر ذلك التفرد مجرد التجربة والاختلاط بشتى طبقات الناس وجوب أقطار الأرض والاختلاط بالأمم والامتزاج بالطوائف؟ فهو رجل لماح عبقري أخذ نصيباً من العلم كان سبباً في نضج شخصيته وإن لم يكن درساً منظماً فمجالسة مدمنة ووعي وطول مدى.

ويذكـــر الشيخ أنه وجد في شعر الخلاوي شواهد كثيرة شرعية وتاريخية واجتماعية وأدبية كلها تنبئ عن ملكة متمكنة من التحصيل في اللغة والثقافة[٣].

---

(١) متصاقبة: أي متواجهة والصقب: الجمع. انظر: لسان العرب، مادة صقب ٥٢٦/١.

(٢) انظر: راشد الخلاوي ، ص١١٥-١١٨.

(٣) المرجع السابق، ص١٢٤.

ومن خلال حديث الأديب عن مصادر الإلهام عند الخلاوي لاحظنا أن الحديث أشبه بالإنشاء الذي لا يخلو من الإسهاب والاستطراد والعبارات المترادفة وربما كان السبب أن إعجاب ابن خميس بتلك الشخصية وتتبع كافة أخبارها وما رافق ذلك الحديث من النزعة إلى ميول أديبنا واتجاهاته الشخصية التي تهتم بأدبنا الشعبي وإثبات قوته وأصالته ومحاولة من الشيخ للفت الانتباه إلى هذه الشخصية وإبرازها وبيان فضلها وأحقيتها بالاهتمام.

ويحرص أديبنا إلى نوع من الحس الفني في اختياره وصياغته وتنسيقه حينما يورد مواقف من سيرة الخلاوي.. ومع أن ابن خميس لا يولي توثيق المعلومات التي يسجلها أي اهتمام، مما يجعل مهمة دارس هذه السيرة شاقة؛ إذ أن عليه أن يتأكد من صحة ما يورده المؤلف.

ومن خصائص هذه السيرة عند ابن خميس أنه ليس لها بناء منتظم وأن الشيخ لم يأخذ في اعتباره التدرج الزمني للأخبار التي أوردها عن الخلاوي.

ويستجيب الشيخ ابن خميس لداعي الاستطراد وأن يجر بعض حديثه بعضاً وهذا ما لمسناه في سيرة الخلاوي، فتارة يقف على وصف شعر الخلاوي، ومن ثم ينتقل إلى وصف شجاعته ويعود للحديث عن شعره، وبراعته في الوصف وهكذا.

أما شخصية صاحب السيرة فتبدو وكأنما ولدت وهي بهذه القمة والسمو والتميز، ولم تمر بمراحل الإنسان الذي لابد أن يدرج على هذه الأرض، ويتطور وينمو.

ولكن شيخنا أراد أن يثير فضول القارئ وأن يشركه معه في الإعجاب، ويدله على مواطن التميز والتفرد.

ويدخلنا الشيخ في دوائر النقد الأدبي عندما استعرض إحدى قصائد الخلاوي بالتحليل والنقد، يدلّ على حذق وعمق فقال: (ما زال الخلاوي يجتنب ما تواطأ الشعراء على منعه، وهو إعادة القافية بعد مرور سبعة أبيات، ثم إننا لا

نحس بتكرار مملول يصدع السمع في كل آونة، بل إن الإعادة تأتي متسعة لائقة، كأنما هي أولى بمكانها من أية لفظة سواها، تذهب معه المعاني فينساق معها ويشبعها فلسفة وتلويناً، ثم يعود إلى مركز انطلاقه، ويجول هنالك ريثما ينبلج أمامه مجال القول في معانٍ أخرى فينطلق إلى حيث يجد مجال القول، ذا سعة وتسبح معه في تحليقاته الشعرية وجولاته المتدافعة تأتي المعاني رهواً وتلتحم بما قبلها عفواً، لا نحس بتكليف التخلص، ولا نشعر بغرابة بين معنيين وهذا هو سر القدرة الشعرية ومعيار العبقرية وفي كل تجدك في روض أُنُف وخميلة فاغية وحديقة دانية القطوف)[١].

وفي النهاية نرى أن ما ذكره ابن خميس عن الخلاوي دراسة فنية وليست سيرة تميزية.

ثالثاً: فن الرسالة:

توطئة:

حفلت الآداب العالمية على مدار عصور التاريخ بأنماط شتى من أدب الرسائل التي تندرج تحت أنواع عدة باستثناء الرسالة السماوية التي يختص بها الرسل من الأنبياء عليهم السلام. ويمكن أن نقول إن أدب الرسائل بأنواعه المتعددة يشغل جانباً كبيراً من جوانب التراث الإنساني من قديم الزمان إلى عصرنا الحاضر وهو كذلك يمثل عنصراً رئيساً من عناصر كتابة التاريخ في جوانبه المجهولة وأسراره الخفية التي قد لا يحيط بها التاريخ المدون المكتوب. وقد أفرد صاحب كتاب النثر الأدبي في المملكة العربية السعودية جزءاً للحديث عن الرسائل في الربع الأول من القرن العشرين[٢].

---

(١) انظر: راشد الخلاوي ، ص١٣٥.

(٢) انظر: النثر الأدبي في المملكة العربية السعودية. محمد عبد الرحمن الشامخ.ــ ط٣.ــ دار العلوم، ١٤٠٣هــ، ص١٤.

ولا يتسع المجال للإلمام بشتى أنماط الرسائل المشهورة في التراث الإنساني والتي منها رسائل النبي صلى الله عليه وسلم إلى ملوك النواحي يدعوهم إلى الله تعالى، تلك الرسائل التي تتفرد بموضعها وموضوعها من أدب الدعوة الإسلامية، وترقى إلى الذروة العليا من عبقرية البلاغة وعبقرية التبليغ، ويصح على هذا أن تعدّ نسيج وحدها في أدب الرسائل في القديم والحديث. وقد أوردت كتب السيرة نصوص تلك الرسائل ومنها رسالته صلى الله عليه وسلم إلى المقوقس عظيم القبط في مصر ورسالته إلى هرقل قيصر الروم وإلى النجاشي ملك الحبشة(١).

وتشغل الرسائل الأدبية الشطر الأكبر من جملة الرسائل وقد حفل الأدب العربي بنتاج ضخم من الرسائل الأدبية في أنماطها المتعددة وعصورها المختلفة، ومن أشهر كتابها في العصور السالفة عبد الله بن المقفع، وعبد الحميد الكاتب، وأبو بكر الخوارزمي، وابن العميد، والصاحب بن عباد، وأبو إسحاق الصابي، والقاضي الفاضل(٢).

وفي العصر الحديث نجد رسائل إبراهيم اليازجي، وعباس محمود العقاد(٣). وقد حوى نثر الشيخ عبد الله ابن خميس تراثاً أدبياً غزيراً من الرسائل، بها من ألوان النثر الفني ما يجعلها في القمة من أدبه النثري.

والحقيقة أنني ما وجدت ذلك التراث من الرسائل في ثنايا مؤلفاته، أو على صفحات الجرائد، أو المجلات سوى رسالة وجهها إلى المرأة السعودية عامة

---

(١) انظر: زاد المعاد في هدي خير العباد، للإمام ابن قيم الجوزيه؛ تحقيق عبد القادر وشعيب الأرنؤوط، ج٣ـ ط٣.ـ مؤسسة الرسالة ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م، ص٦٨٨.

(٢) انظر: كتاب رسائل الصاحب بن عباد؛ تحقيق: د. شوقي ضيف ود. عبد الوهاب عزام .ـ القاهرة: دار الفكر العربي، ١٣٦٦هـ.

(٣) انظر: من رسائل العقاد. محمد محمود حمدان.ـ ط١.ـ القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، ١٤١٨هـ.

على صفحات جريدة عكاظ، وسأستعرض مضمونها في موقع آخر من الحديث عن هذا الفن، ورسالة بعثها الشيخ إلى عبد السلام طاهر الساسي حول نشأة الأدب في الرياض، ضمنها المؤلف الساسي كتابه الموسوعة الأدبية[١].

إنما جمعت تلك الرسائل بنفسي من أرشيفه الخاص المتناثر بمعاونة محمودة مشكورة من الشيخ شخصياً ومن أفراد عائلته، وفي المقابل وجدت رسائل عدة وجهت للشيخ ردوداً على رسائله أو تقريظاً لكتاب ألفه، أو لقصيدة بناها على صفحات الجرائد، أو أمسية أقامها، أو محاضرة أخذ زمامها.

وتلك الرسائل الموجهة للشيخ لم أستعرضها؛ لأن هذا البحث خاص بما إنهالت به قريحة الشيخ نفسه من النثر الفني في تلك الرسائل، ومنها ما وجدته بخط يده، أو مطبوعاً بالآلة الكاتبة، وهي رسائل موثقة بتواريخها ومناسباتها، وكان لابن خميس صلات وعلاقات في الدول المجاورة، وفي بلاده مع كثير من أدباء عصره، فقد اطلعتُ على مجموعة من الرسائل بينه وبين الشيخ حسن بن عبد الله آل الشيخ، وحسن بن عبد الله القرشي، والشيخ حمد الجاسر، ومحمد حسين زيدان، وعبد الله بن حمد الحقيل، والدكتور جابر الطيب بن علي، وحمد القاضي، وأحمد بن إبراهيم الغزاوي.

والأستاذ سعد علي الراشد من مجلة الخفجي، و أحمد بن إبراهيم الحقيل، وعبد القدوس الأنصاري، والأستاذ عبد الرحيم الأحمدي صاحب دار المفردات للطباعة والنشر، والأديب عبد العزيز الرفاعي، وحسين عرب[٢].

---

(١) انظر: الموسوعة الأدبية. دائرة معارف لأدباء المملكة العربية السعودية، الجزء الثالث، ص١٥١.

(٢) لم أطلع على رسالة بين الشيخ ابن خميس والأديب حسين عرب رحمه الله إنما وجدت مقالا في جريدة الجزيرة ذكر فيه كاتب المقال أنه وجد عند الأديب رسائل من أحبابه الأدباء ومنهم عبد الله ابن خميس، انظر: الجزيرة، العدد ١٠٨٤٩، تاريخ ١/٤/١٤٢٣هـ، ص٣١.

والأستاذ عيسى حسن الجراجرة، والأديب الأستاذ الدكتور يوسف عزالدين، والكاتب العراقي محمد رضا الصادق، والأستاذ الأديب محمد بهجة الأثري، وغيرهم كثير. إلى جانب طبيعة الأعمال التي أنيطت به في الدولة، مما أثرى جانباً آخر من الرسائل؛ ولمكانته الأدبية وضلوعه، فقد كان موضع ثقة المسئولين من الأمراء والوزراء، في مجال إبداء الرأي في بعض المقترحات وإجازة بعض المؤلفات وتقييمها.

وبحكم علاقاته الاجتماعية الواسعة، ومحبة الناس له، وأحاسيسه المتدفقة فقد تبودلت بينه وبين محبيه والمعجبين بأدبه رسائل عدة.

أنواعها:

ومن هنا نستطيع أن نقسم ما كتبه الشيخ عبد الله ابن خميس من رسائل إلى:

١- الرسائل الديوانية:

وهي الرسائل التي (كانت تكتب في شئون الدولة)[١]. أو هي الرسائل التي تعالج شئون الإدارة والتنظيم الداخلي الذي يتعلق بالحياة العامة وشئون الرعية[٢].

ولهذه الرسائل أهمية كبيرة للباحث في أي عصر، حيث تعطي انعكاساً واضحاً لحياة الشعوب وتنظيمات حياتهم وطبيعة العلاقات بين الرؤساء ومرؤوسيهم، فمن الحق إن يقال أن الرسائل الديوانية بجانب قيمتها الأدبية تعتبر وثائق مهمة تكشف عن بعض مظاهر التنظيم.

---

(١) بديع الزمان الهمذاني بين المقالة والرسالة. مأمون بن محيى الدين الجنان.ـــ ط١.ـــ بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٣هـــ، ص٣٣.

(٢) أدب الرسائل في الأندلس في القرن الخامس الهجري. فايز عبد النبي فلاح القيسي.ـــ ط١.ـــ عمّان؛ الأردن: دار البشير للنشر والتوزيع، ١٤٠٩هـــ، ص١١١.

٢- الرسائل الإخوانية:

هي التي يكتبها الأديب إلى صديق أو نحوه[١]. وبذلك تكون بعيدة كل البعد عن الأطر الرسمية وما يتبعها.. والشيخ ابن خميس كان يراسل أصحابه، وزملاءه من الأدباء والأصدقاء وكل من تربطه بهم علاقة، ومن خلالها برزت لنا عواطف الشيخ ومشاعره وانفعالاته، حيث يلازمه التقدير الجم، والامتنان والإخلاص والوفاء.

وبذلك فإن تلك الرسائل تفيدنا في دراسة آراء ابن خميس ورؤاه الشخصية، ومن خلال اطلاعي على جملة من رسائل الشيخ وجدت إجادة لا تقل عما أجاد فيه من الفنون النثرية الأخرى، وأرجع أسباب ذلك إلى ما يلي:

- أسلوب المكاشفة الذي يتميز به الشيخ ورغبته في الإبانة للآخرين عن رأيه ومشاعره وعواطفه.
- المسئوليات التي أُنيطت بالشيخ تلزمه باستخدام الرسائل، ردوداً مختصرة على بعض المقترحات، أو الاستشارات.
- ذكاء الشيخ، وعمق تفكيره، ونفاذ بصيرته، مما يدفع الآخرين للإفادة منه، ومن علمه وأدبه.
- علاقاته الواسعة، فهو أديب اجتماعي يحرص على أن تكون له علاقات، وأواصر مع أناس يأنس لهم، ويعجب بهم، وبنتاجهم الأدبي والاجتماعي.
- تواضعه، وبعده عن التكلف، وميله إلى البساطة في التعامل، جعل الكثير يلجأ له بعد الله طالباً شفاعته لدى المسئولين أو رأيه في مشروع مستقبلي تأليفي.

---

(١) الإنشاء في المراسلات والوثائق. محمد سعيد بن حسن بن عبد الحي كمال.ـ ط١١.ـ الطائف: مكتبة دار المعارف، الطائف، د.ت، ص٤.

- كتب الشيخ رسائله في زمن خلا من وسائل الاتصال الحديثة السريعة وكان للبعد المكاني الذي قد يحول بينه وبين بعض أصدقائه من الأدباء أثر فيما نحا إليه من كتابة الرسائل وتدوينها.

وأستطيع أن أقول لو أن الشيخ عبد الله ابن خميس جمع رسائله وما فيها من أدب وفكر في كتاب، أو نشرها على صفحات الجرائد والمجلات، لكانت مجالاً مستقلاً للإفادة والدراسة؛ لأنها تشكل رصيداً قيماً في أدب الرسائل.

ومنبع قولي هذا أنني ما وجدت على الإطلاق أي إشارة إلى نتاج الشيخ من الرسائل، عند الحديث عنه سواء في مؤلف مستقل، أو صحيفة أو مجلة أو ترجمة.

ويذكر الدكتور محمد بن سعد بن حسين: إن الرسائل الإخوانية فن غفل عنه المتأخرون وأهملوه[1].

أ- أنواع الرسائل عند الشيخ عبد الله ابن خميس:

اجتهدتُ في تصنيف الرسائل الديوانية عند الشيخ عبد الله ابن خميس إلى الموضوعات التالية:

١- رسائل المقترحات والمرئيات.

٢- رسائل الشفاعات.

٣- رسائل الشكر والتقدير الرسمية.

٤- رسائل القيادات العليا.

ومن رسائل المقترحات والمرئيات ما كتبه إلى العقيد عبد الله بن محمد الطاسان مدير مكتب سمو وزير الدفاع والطيران حول رأيه في كتاب الفتح

(١) مجلة الحرس الوطني، العدد ٢٦٠، السنة الخامسة والعشرون، ذو الحجة ١٤٢٤هـ، مقال (الحياة بين الكلمات)، ص٨٨.

المبين في سيرة آلبوسعيديين من تأليف حميد بن محمد بن رزيق والذي أرفقه العقيد الطاسان إلى الشيخ ابن خميس فرد عليه الشيخ قائلاً:

سعادة العقيد عبد الله بن محمد الطاسان، مدير مكتب سمو وزير الدفاع والطيران الموقر. السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد. وأرجو لكم التوفيق والسداد فيسعدنا أن نعيد لسعادتكم مع خطابنا هذا كتاب (الفتح المبين في سيرة السادة آلبوسعيديين) مشفوعاً بالرأي فيه(١).

ثم يستعرض الشيخ مرئياته قائلاً: "لم نجد في الكتاب ما يلفت النظر اللهم إلا ما جاء في بعض صفحات الباب الثالث؛ كما أن معظم صفحات الكتاب من ص (٤٦٥-٤٩٦) مكررة".

ويختم الشيخ الرسالة بقوله (ومع خالص التقدير لشخصكم العزيز أرجو أن تقبلوا وافر التحية).

وفي رسالة أخرى وجهها عبد الله ابن خميس إلى مدير عام العلاقات العامة بوزارة الداخلية والذي طلب من شيخنا إنتاجه الأدبي لنشره في المجلة التي تصدر عن وزارة الداخلية.

فنجد يبعث برسالة إلى مدير العلاقات مبدياً موافقته، ومرئياته تجاه التوجيه الذي تسعى له المجلة قائلاً:

سعادة الأستاذ الفاضل حسن بن سعد بن سعيد الموقر

مدير عام العلاقات العامة، وزارة الداخلية

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته،، وبعد

فلقد تلقينا كتابكم الكريم بشأن موافاتكم، ببعض إنتاجنا حول مجالات العلوم الإنسانية ومصادر المعرفة الأخرى، لنشرها في مجلة (الأمن) التي تصدر عن المديرية العامة للعلاقات العامة بالوزارة(٢).

---

(١) رسالة زودني بها الشيخ ضمن محفوظاته مؤرخة ١٣٩٩/٤/٢٩هـ.

(٢) رسالة من محفوظات الشيخ عبد الله ابن خميس مؤرخة في ١٣٩٨/٧/٢٠هـ.

ثم يبدي الشيخ مرئياته حول أهداف المجلة: (ونظراً للأهداف النبيلة التي تسعون إليها بغية التطوير الشامل للمجلة في كافة آفاقها الموضوعية، والمنهجية والفنية حتى تؤدي دورها بفاعلية لخدمة العمل الأمني، لا يسعنا إزاء هذا إلا أن نبارك خطواتكم ونثني على مجهوداتكم) ، ويظهر الشيخ استعداده للإسهام في تحرير بعض مواد المجلة. ويختم قائلاً: (وفقكم الله وسدد خطاكم، راجين لكم وكل معاونيكم التوفيق والسداد، ونتمنى للمجلة الفتية كل الازدهار في أعدادها القادمة. مع خالص الود وعظيم التقدير أرجو أن تقبلوا وافر تحياتنا).

ومن الرسائل التي حوت مقترحات سامية تخدم جوانب ثقافية في المجتمع وتظهر لنا اهتمام ابن خميس بإسداء المقترح المفيد إلى القائمين على المؤسسات الثقافية والأدبية؛ ما وجدته في رسالة وجهها إلى الأستاذ محمد الشدي رئيس مجلس الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون، تتضمن مقترحات رأى الشيخ أنه إذا تبنتها الجمعية أصبحت روافد مهمة من روافدها الثمينة.

وبدأ رسالته قائلاً: حضرة المكرم الأستاذ محمد الشدي رئيس مجلس الجمعية السعودية للثقافة والفنون الموقر.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته: أرجو لكم دوام السعادة والتوفيق وبعد:

فلا شك أن جمعيتكم الموقرة في فكرتها، منطلق من المنطلقات الهادفة التي نؤمل منها خيراً كثيراً ودفعاً بثقافتنا وفننا إلى مجالات أرحب وإلى أنشطة تبرز فكرنا إلى حيث يريد له كل مخلص(١).

ثم يطرح الشيخ مقترحاته قائلاً:

أولاً: نحن نعتز أن بلغ مستوى الثقافة لدينا حداً نجد فيه عدداً من شبابنا لا يستهان به حمل شهادة الدكتوراه والماجستير، وكل واحد منهم حمل هذا المؤهل قد ألف رسالة بذل فيها جهداً كبيراً، وزمناً طويلاً، وفي الغالب أن لها مساساً

---

(١) رسالة من محفوظات الأديب ابن خميس مؤرخة في ١٠/٨/١٣٩٨هـ.

بفكرنا، وتاريخنا وعقيدتنا ومجتمعنا ، وفيها ما يجعل قارئنا يطلع على فكر ثمين، ونتاج سمين، يرفع رأسه، ويعتز به فبدلاً من أن نلجأ إلى نشر إنتاج ليس على المستوى المراد، فلنركز على نشر هذه الرسائل وأمثالها، من الإنتاج الذي يستحق التصدير، ويعطي صورة مشرقة عن فكر هذه البلاد من ناحية، ويعطي الجمعية صفة هي أهل لها.

وثانياً: لا تعدم ثقافتنا أن يتخولها بين حين وآخر نفر من أدبائنا المتقدمين بإنتاج ثمين في مجال التراث والثقافة العامة، يبرز عن بلادنا وجهاً فكرياً مشرقاً، ويجعلها تساير فكر الأمم المتقدمة جنباً إلى جنب، ولكن لعدم دور النشر، وهزال التوزيع لدينا، فإن هذا الإنتاج يبقى مطموراً مما يجعل أربابه يحجمون عن مواصلة نشره ليبقى فكرنا جامداً، وإنتاجنا مشلولاً؛ ألا ترون أن مهمة توزيع هذا النوع واجب من واجبات الجمعية؛ داخل البلاد وخارجها ... الخ).

ويختم رسالته قائلاً: (إنني أرجو أن تكون جمعيتكم الكريمة قد فكرت في تحمل مسئولياتها تجاه ما ذكرتُ، وفقكم الله لكل خير، وسدد خطاكم).

ومن آراء الشيخ التي ضمنها رسائله ما أشار إليه من مباركته للخطوة التي عزم عليها المكتب التعليمي في الولايات المتحدة الأمريكية وهي إصدار نشرة شهرية تحمل اسم (أخبار المبتعث).

وذلك في رسالة وجهها إلى معالي الشيخ حسن بن عبد الله آل الشيخ وزير التعليم العالي والرئيس الأعلى للجامعات[١]. (تسلمت مذكرة معاليكم رقم ٣٧/خ في ١٣٩٩/١/١٢هـ حول ما عزم عليه المكتب التعليمي في الولايات المتحدة الأمريكية من إصدار نشرة شهرية تحمل اسم أخبار المبتعث ... الخ، ويرغب معاليكم الإسهام في هذه النشرة ببعض الكتابات المفيدة.

---

(١) من أرشيف الشيخ، رسالة مؤرخة في ١٣٩٩/١/١٨هـ.

وإنني إذا أقدر ثقة معاليكم، لأعدكم بأنني سوف أسهم في هذه النشرة بما آمل أن يكون مفيداً إن شاء الله مباركاً هذه الخطوة، مقدراً في المكتب التعليمي هناك همته ونشاطه، راجياً أن تكون هذه النشرة منبراً من منابر الخير والدعوة إليه، وأن تكون مرآة صادقة لبلادنا العزيزة في تلك البلاد معبرة عن عقيدتها وأصالتها ولغتها وفكرها والله يرعاكم).

ثم يذيل ذلك:- صورة لسعادة الملحق التعليمي السعودي بأمريكا مع التحية والتقدير.

وتطل في الرسالة التالية أضواء كاشفة يلقيها أديبنا الشيخ عبد الله بن خميس على بوادر إنشاء مجمع اللغة العربية بالمملكة العربية السعودية.

وهي موجهة منه إلى معالي/رئيس مجلس الشورى الشيخ محمد بن إبراهيم ابن جبير[١] رحمه الله رداً على رسالة تلقاها من معاليه للمساهمة باقتراحاته في النظام الذي ينبغي أن يبنى عليه تأسيس المجمع اللغوي السعودي[٢].

وقد بدأ ابن خميس الرسالة بتوجيه الخطاب لمعالي رئيس مجلس الشورى شاكراً المبادرة الطيبة بالتخطيط لإنشاء المجمع اللغوي ومقدراً جهود مجلس الشورى في هذا المشروع الحيوي الهام؛ وتمنى في الرسالة أن يرى المشروع النور قريباً ليساهم في العودة باللغة العربية إلى جذورها الأصلية والنأي بها عن

---

(١) الشيخ محمد بن إبراهيم بن جبير: ولد عام ١٣٤٨هـ، في مدينة المجمعة، من أسرة ميسورة. التحق بمدرسة الشيخ عثمان الصالح بالمجمعة. أكمل دراسته بمكة المكرمة في المدرسة العزيزية، والتحق بعدها بمدرسة تحضير البعثات، ولكنه انتقل منها إلى دار التوحيد بالطائف ثم التحق بعدها بكلية الشريعة واللغة بمكة. عمل في القضاء وتولى رئاسة ديوان المظالم، وعين وزيراً للعدل وهو أول رئيس لمجلس الشورى توفي عام ١٤٢١هـ، رحمه الله. انظر: الشيخ محمد بن جبير، جوانب من سيرته الذاتية والشخصية، تأليف: د. عبد الرحمن الشبيلي ـ ط١ ـ الإدارة العامة للعلاقات والإعلام بمجلس الشورى، ١٤٢٢هـ.

(٢) من محفوظات الشيخ، رسالة بدون تاريخ مطبوعة طباعة فاخرة.

غريب اللفظ ومستهجنه. ثم يسرد ابن خميس في رسالته مقترحاته قائلاً: [ونأمل أن تلقى مقترحاتنا المرفقة قبولاً لديكم، وهي تتلخص في الاستفادة من تجارب مجامع اللغة العربية الأخرى في كل من القاهرة وبغداد ودمشق، لحيازتها قصب السبق في هذا المجال، والإسراع بإصدار قرار الإنشاء، إذ أنه قد تأخر في تقديرنا طويلاً، وقد كان الأحرى والأولى ببلادنا وهي مهبط الوحي الذي تحدث بلسان عربي مبين؛ أن تكون سباقة بإنشاء مثل هذا المشروع الهام. ونرى كذلك أن يتم اختيار أعضائه من المتخصصين في هذا المجال ممن لهم باع طويل في اللغة من الأدباء والعلماء والمفكرين وأساتذة الجامعات، لما من شأنه أن يثري الحوار فيه ويعمم فائدته على قطاع كبير من شرائح المجتمع، وأن يعقد اجتماع دوري له ويفضل أن يكون سنوياً، وذلك للتفاكر حول ما يستجد من أوضاع اللغة وما يطرأ عليها ويعلق بها من مفردات اللغة المستحدثة.

وأن يُرْبَط المجمع بكل وسائل الإعلام، ومؤسسات التعليم في بلادنا، وتفادي قصور مجامع اللغة الأخرى في التأثير الفعلي على وسائل الإعلام ومؤسسات التعليم، وضرورة استحداث وسيلة مناسبة لجعل هذا التواصل ممكناً ومتصلاً، وهذا الأمر هو الأهم في تقديرنا لجعل هذا المجمع أكثر فعالية وتأثيراً، وليقوم بأداء دوره على الوجه المطلوب].

ويختم رسالته بالتالي [تعميم مقررات وقرارات المجمع على سائر البلاد والبلدان العربية والإسلامية الأخرى لتعميم الفائدة].

هذا ونأمل أن تكلل مساعيكم بالنجاح وأن نرى هذا المشروع العملاق ماثلاً للعيان قريباً.

وبالله التوفيق،،،

أخوكم

عبد الله بن محمد بن خميس

وننتقل إلى رسالة أخرى فنرى الشيخ ابن خميس كما لم نره في الرسائل السابقة ناقداً الأسلوب والنهج الذي كانت عليه خدمة الكهرباء في ذلك الوقت مشيراً إلى جوانب قصور خدمية ونظامية أحاطت بهذا الشريان الحضاري المهم، والرسالة وجهها إلى معالي وزير الصناعة والكهرباء آنذاك [غازي القصيبي] ومضمونها ما واجهه الشيخ ابن خميس في موضوع الكهرباء وعمارة له في حي العليا[١]. ومن الرسالة يقول: (بعد تنفيذ المخطط ظل زمناً ينتظر وصول الخزانات من الخارج، ولما وصلت وجاء مندوبو الشركة للمعاينة قرروا أن هذا البناء لا يصلح وأنه يحتاج إلى قاعدة ففعلنا وبعد هذا جاءوا وقالوا أن المسألة تحتاج إلى إجراءات في هذه الغرفة تكلف ثلاثة آلاف ريال، فدفعنا المبلغ على دفعتين ألفاً ثم ألفين، ولا نعلم هل صندوق الشركة قد استقبل هذا المبلغ أم أنه ذهب في علم الله؟!! وبعد هذا جاءوا وقالوا إن هذه الغرفة لا تتسع للوحة العدادات فلابد من توسيع الغرفة من أجل اللوحة ولابد من دفع مبلغ مماثل للسابق)[٢].

ويختم رسالته قائلاً: (بعد هذا ذهب المداوي وذهبنا خلفه نطلب الدواء).

ويملي الشيخ رجاءه لمعالي وزير الكهرباء ويرجوه رجاء حاراً أن يتفضل بحل المشكلة قائلاً: (وأرجو على حد فلسفة [الأعرابي والحجاج][٣] أن لا يطلعوا على تفصيل هذه الشكوى، فإنهم إن اطلعوا امتدت المشكلة سنة أخرى).

وكعادة ابن خميس في ختام رسائله يدعو للوزير بالتوفيق وأن يعينه الله على ما تحمل من عبء ثقيل].

---

(١) من أرشيف الأديب عبد الله بن خميس مؤرخة في ١٣٩٨/٧/٣٠هـ، مطبوعة بالآلة الكاتبة.

(٢) المرجع السابق.

(٣) انظر: قصص العرب. محمد أبو الفضل إبراهيم، ومحمد أحمد جاد المولى، وعلي محمد البجاوي.ـ ط٤.ـ دمشق: دار إحياء الكتب العربية، ١٣٨٢هـ، ص٣٨٢.

ومن حسن التوافق أن وجدت رسالة عند ابن خميس وجهت له من وزارة الإعلام لكي نرى ما عنده تجاه أولئك من الرأي الجيد الجميل وهو من له قصب السبق في المجال الإعلامي.

فهذه رسالة وجهها الشيخ إلى معالي وزير الإعلام آنذاك [محمد عبده يماني] رداً على مذكرة بعثها الوزير لابن خميس بخصوص ما كتبه الدكتور [فكتور الكك](١) أستاذ الدراسات العربية والفارسية في الجامعة اللبنانية وجامعة طهران يقترح إنشاء مجلة و دار للترجمة يعنيان برصد ما يصدر في العالم عن لغة العرب وحضارتهم وتراثهم الإسلامي والعربي وينقل إلى العربية ويجعل في متناول الباحثين والدارسين...الخ(٢).

وما تضمنه رد ابن خميس في الرسالة من تأييد الفكرة قائلاً (والواقع أن الفكرة جميلة جداً وأنها من البوادر البناءة التي أرجو أن يحققها الله على أيديكم فمثل هذه الأعمال هي التي تخلد العاملين المخلصين وتبقى لهم ذكراً في الآخرين، لا الأعمال الروتينية الرتيبة التي لا تنقضي وثمرتها محدودة، إنني أضم فكرتي إلى فكرة هذا الرجل وأبارك هذه الخطوة، وأزيد أن تكون هذه الدار مركزاً في أمة العرب رئيساً لإحياء تراثهم ونشر كل مفيد في عالمهم، فهذه تجمع بين الحسنيين مأثرة إعلامية لهذه البلاد، ورسالة من رسالاتها التي يجب أن تضطلع بها).

---

(١) فكتور الكك: ولد في لبنان عام ١٩٣٦م يحمل شهادة الدكتوراه في الأدب المقارن، ويجيد عدة لغات إضافة إلى العربية هي: الفارسية والإنجليزية والألمانية والفرنسية. عمل في عدة جامعات منها جامعة طهران ورأس قسم اللغة العربية في الجامعة اللبنانية، وله من المؤلفات (بديعات الزمان)، (صناعة الكتابة)، (جذور العربية). انظر: مجلة المنهل، السنة ٤٤، المجلد ٣٩، شوال ١٣٩٨هـ، ص٦٢٠.

(٢) رسالة زودني بها الشيخ ابن خميس مؤرخة في ١٣٩٨/٥/١٥هـ، مطبوعة على الآلة الكتابة.

ويختم الأديب رسالته بإبداء الرأي الصريح، والذي ينم عن الحس الديني أولاً، والحس الوطني ثانياً وما عرفناه دائماً من توجهات الشيخ العميقة في هذين الجانبين، حيث يرد على ما اقترحه معالي وزير الإعلام من أن يكون الدكتور [فكتور الكك] مديراً لدار الترجمة والمجلة المقترح إنشاؤها وأن يكون مقرها مدينة بيروت يرد ابن خميس قائلاً: (أما اقتراح هذا الرجل أن يكون مديرها وأن تكون في بيروت فعن الأولى أرى أن يستفاد من الرجل في مجال استشاري، أو عملي ريثما نتحقق من واقعه من جميع الوجوه، ومن ثم يستفاد منه في عمل ثانوي في هذه المؤسسة.

وأما عن الثانية فلا أرى أن تكون في غير بلادنا، مهما كانت المبررات والدواعي].

ويذيل الشيخ رسالته بقوله: (ولمعاليكم خالص شكري وتقديري) أخوكم/ عبدالله ابن خميس.

ولعلنا ونحن في دائرة المرئيات والمقترحات نتوقف عند رسالة أخرى وجهها الشيخ إلى الأستاذ محمد النويصر، رئيس المكتب الخاص لجلالة الملك خالد رحمه الله رداً على ما ورده حول ما أشار إليه جلالته من طلب رأي الشيخ ابن خميس فيما نشره الأستاذ "قدري قلعجي" في سلسلة مقالاته عن سيرة الراحل الملك فيصل، وفيما إذا كان عليها ملاحظات حيث إن الناشر لتلك المقالات ينوي إصدارها في كتاب[1].

وقد أورد الشيخ مرئياته ومقترحاته حول تلك المقالات، ضمن تلك الرسالة.

ونختم بأنه غني عن القول أن هذه المجموعة من رسائل الشيخ ابن خميس والتي استعرضتها في مجال المرئيات والمقترحات ليست إلا نزراً

---

(١) رسالة زودني بها الشيخ من محفوظه الخاص مؤرخة في ١٣٩٨/٥/١٥هـ، ومطبوعة على الآلة الكاتبة.

يسيراً من جملة رسائله التي كتبها في هذا المجال ولكن المقام يضيق عن استعراضها جميعاً.

ومن الرسائل الديوانية رسائل التوصية والشفاعات:

عرف الشيخ الأديب عبد الله ابن خميس بحبه للخير، ومساعدة أبناء وطنه في تحقيق بعض مطالبهم، وأمانيهم لذلك وجدتُ عدداً كبيراً من هذه الرسائل موجهة إلى المسئولين في الدولة، وكبار رجالها للتوصية، أو طلب الشفاعة فيما لا يتعارض مع اللوائح والأنظمة المنصوص عليها، حيث كان من أشد الناس حرصاً على تحقيق العدالة الاجتماعية وإتاحة الفرص للجميع وكانت معظم الرسائل عبارة عن طلبات لتحقيق توصيات تقدم بها أصحابها لظروف رأى الشيخ المصلحة في تحقيقها ومن ذلك الرسالة التي وجهها لرئيس الشئون الخاصة الملكية الشيخ عبد الله بن عمار[١]. يطلب فيها متابعة ما أمر به جلالة الملك المعظم تجاه شفاعة الشيخ ابن خميس للشاعر ناصر بن فايز، ومنها يقول: (وقد تكلمت مع جلالة الملك حول ذلك فتلطف جلالته وقال: راجع الأخ ابن عمار بخصوص ذلك) ويختم بقوله: ولكم خالص تحياتي وتقديري. أخوكم عبدالله ابن خميس.

ومن الرسائل الديوانية التي تتضمن شكراً وتقديراً لممثلي قطاعات الدولة المختلفة ما وجدت منه مخزوناً ضخماً يصعب حصره، حيث كان الشيخ حريصاً كل الحرص على إسداء الشكر والعرفان لأهله، وهذا سبيل المؤمنين الذين يشكرون للآخرين صنيعهم، ولقد سالت يراعه بأروع عبارات الشكر والثناء لمن هم أهل له.

---

(١) رسالة زودني بها الشيخ مؤرخة في ١٣٩٩/٨/٢٣هـ.

نستعرض منها ما يلي: رسالة وجهها إلى الأستاذ محمد عبد الرزاق القشعمي، مدير مكتب الرئاسة العامة لرعاية الشباب بالأحساء[١] عندما تلقى منه مذكرات مشفوعة بتقارير سنوية عام ١٣٩٧/١٣٩٦هـ، ومعها كتاب [ألوان من النشاط الثقافي] المنفذ في الموسم نفسه الصادرة عن مكتب الرئاسة العامة لرعاية الشباب بالأحساء وفي الرسالة يوجه الأديب الشيخ تقديره وإعزازه لذلك الشخص ومن ثم يورد انطباعاته عما وصله من مكتب رعاية الشباب في الأحساء قائلاً: (وبالاطلاع على هذه التقارير الوافية والكتب وجدت فيها ما يشرح النفس ويثلج الصدر لتنوع الخدمات الثقافية والاجتماعية والدينية والرياضية التي قمتم بتنفيذها لشبابنا في الأحساء بغية إعدادهم بما يتلاءم وتقاليدنا وعقائدنا، ولا شك أن هذا كله مرجعه إلى الإيمان الصادق والجهود الطيبة المخلصة ... الخ الرسالة) ويختم الشيخ رسالته بتوجيه الشكر والدعاء بالتوفيق لكل المخلصين في هذا الوطن (حتى أصبح الشكر لكم واجباً وفقكم الله مع كل المخلصين الذين يبغون رفعة وطننا الحبيب متمنين لكم حظاً ثابتاً إلى الأمام).

ومع خالص الود والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته،،

عبد الله بن محمد بن خميس

ورسالة أخرى وجهها إلى الأستاذ عمر سليمان الحصين مدير عام مكتب وزير التعليم العالي والمشرف على مكاتب المجلة العربية في المملكة[٢].

---

(١) رسالة زودني بها الشيخ مؤرخة في ١٣٩٧/٧/٢٩هـ وفي رأسها دون الشيخ عنوانه وصندوق بريده آنذاك (٣٩ شارع جرير، الملز، ص.ب ١٧٩٨، الرياض) ويوجد عدة رسائل وجهها الشيخ للشخص نفسه تتضمن شكراً على موضوعات عدة.

(٢) رسالة زودني بها الشيخ، مؤرخة في ١٣٩٨/١٠/٢٥هـ.

وفي مضمونها توجيه الشكر على رسالة وردت للشيخ، مرفق بها مكافأة مالية عن البحث الذي تم نشره في المجلة العربية بعددها الممتاز، في السنة الثانية تحت عنوان (التضمين والاقتباس في الشعر).

ويذيل رسالته بتوجيه الشكر حول ما وصله قائلاً: (نرجو التفضل برفع شكرنا وتقديرنا لمعالي وزير التعليم العالي، كما نرجو لكم ولكل معاونيكم التوفيق والسداد، متمنين للمجلة كل الازدهار في أعدادها القادمة ومع خالص الود وعظيم التقدير).

أخوكم عبد الله بن محمد بن خميس.

وأخرى وجهها إلى د. محمود سفر رداً على رسالة وجهها الدكتور له ومعها كتابه [التنمية قضية][١]. وقد ضمن الشيخ الرسالة شكره قائلاً (تلقيت رسالتكم الكريمة، ومعها هديتكم الثمينة مؤلفكم [التنمية قضية]، وقد أعجبت بالمؤلف، وشكرت الهدية وفقك الله، وسدد خطاك، ونفع بفكرك أمتك المحتاجة إلى مثلك من أبنائها النابهين المخلصين وأسلم لمحبك).

أخوك/عبد الله بن محمد بن خميس

ونلاحظ في الرسالة السابقة دلائل كثيرة على شخصية الشيخ المقدِّرة للذكاء والرأي الجيد، والشخصية الموسوعية، حيث إن للتنمية وقضاياها في فكره حيزاً، وأنه لا يتحرج في إطلاق أحكامه على المؤلفات بعد الاطلاع عليها، والإشادة بها وأصحابها، وأنه لديه نظرة ثاقبة تشير إلى النباهة والذكاء والإخلاص في بعض الأشخاص دونما تردد أو مواربة.

---

(١) رسالة زودني بها الشيخ، مؤرخة في ١٤٠٠/٣/٢٨هـ.

وأخرى وجهها الشيخ عبد الله بن خميس إلى الشيخ محمد السنوسي، رئيس النادي الأدبي المساعد بجازان عندما وجه للشيخ دعوة لحضور الأمسية الشعرية التي ستقام في جازان[١].

وفيها يوجه الشيخ شكره على الدعوة ويعتبرها فرصة مناسبة قائلاً: (فلقد تلقينا بالتقدير والإعزاز برقيتكم بشأن دعوتنا لحضور الأمسية الشعرية التي ستقام في جيزان وإننا إذ نشكرك على هذه الدعوة الكريمة لسوف ننتهز الفرصة المناسبة ونتشرف بإحاطتكم مقدرين لكم تجاوبكم مع خالص الود)

أخوكم عبد الله بن محمد بن خميس

ويأخذ الشكر في الرسالة السابقة صورة مثلى حيث إن الشيخ هو من سيحضر ويقيم الأمسية، ولكنه يشكر النادي على دعوتهم له، وهو الشخصية الأدبية المعروفة التي تتسابق النوادي الأدبية لدعوتها والاستفادة من نتاجها الشعري في إقامة الأمسيات.

ورسالة أخرى وجهها أديبنا إلى الشيخ سلطان بن عبد الرحمن السديري وكيل إمارة الجوف[٢]. شاكراً له ما تلقاه والوفد المرافق له أثناء رحلة عمل قام بها إلى منطقة الجوف من حفاوة وتكريم وضمّن الشيخ رسالته إشادة بإمارة الجوف، والقيام على مصالح المنطقة. وتعتبر هذه الرسالة شهادة قيمة من رجل دولة تقلد الكثير من المناصب الإدارية، ولديه إلمام بأمور القيادة والرئاسة.

يقول في رسالته (نشكركم أنا وزملائي أعضاء الرحلة شكراً جزيلاً، على ما لقيناه من حفاوة وإكرام أنتم أهل لها، والذهب من معدنه لا يستغرب، لقد كانت الأيام التي قضيناها بين ظهرانيكم حافلة بسرورنا وابتهاجنا بما شاهدناه من تقدم وتحفز لمستقبل باسم كريم، لمنطقة الجوف العامرة، وكل ذلك راجع

(١) رسالة زودني بها الشيخ، مؤرخة في ١٤٠٠/٢/١٥هـ.
(٢) رسالة زودني بها الشيخ، مؤرخة في ١٣٩٩/٧/١٤هـ.

لأياديكم، وسهركم وحدبكم على رعاية مصالحها، مع الرأس المفكر والدكم الكريم، وفقكم الله للسعادة والخير)

أخوكم

عبد الله بن محمد بن خميس

ورسالة أخرى بعث بها الشيخ إلى صاحب المعالي حسن بن عبد الله آل الشيخ/ وزير التعليم العالي شاكراً له الإطراء حول البرنامج الذي قدمه ابن خميس في اليوم الوطني(١).

والشيخ في تلك الرسالة يبدي اعتزازه وفخره بأن ذلك البرنامج قد نال رضا معاليه، والصفوة المختارة من العلماء والمفكرين في هذه البلاد.

ويجد الشيخ في ذلك بواعث ودافعية لأن يقدم الأغلى والأسمى، ويشجع على المضي في ذلك السبيل ومنها (أنني لأشكر لمعاليكم ما تفضلتم به في هذا الخطاب الرقيق وأسأل الله أن يأخذ بيد الجميع لما فيه الخير والتوفيق).

ومن رسائل الشكر ما وجهه الشيخ ابن خميس إلى الأستاذ الشيخ أبي عبد الرحمن بن عقيل مدير النادي الأدبي بالرياض، شاكراً له دعوته للاشتراك في ندوة لغوية مع الأساتذة حمد الجاسر، وأحمد عبد الغفور عطار(٢)، ورمضان عبد التواب.

---

(١) رسالة زودني بها الشيخ، مؤرخة في ١٨/١/١٣٩٩هـ.

(٢) ولد أحمد عبد الغفور عطار في مكة المكرمة عام ١٣٣٤هـ، حصل على الشهادة الثانوية من المعهد السعودي بمكة ودرس في كلية دار العلوم بالقاهرة ولكن ظروفه أجبرته على ترك الدراسة والعودة إلى المملكة. نال جائزة الدولة التقديرية للأدب عام ١٤٠٥هـ، من مؤلفاته [الهوى والشباب]، [تحقيق كتاب الصحاح للجوهري]. توفي عام ١٤١١هـ، رحمه الله. انظر، أدباء سعوديون، ترجمات شاملة، مصطفى حسين، ص٢٩.

وقد وجد الشيخ في هذه الدعوة خدمة للغتنا العربية الأصيلة الحية، والأدب العربي الخالد[١].

ومنها: (فقد استلمنا ببالغ التقدير رسالتكم رقم ٨٣/١/ن وتاريخ ١٠/٩/١٣٩٨هـ بشأن موافاتكم برأينا حول الدعوة الموجهة لنا من مجلس إدارة النادي للاشتراك مع الأساتذة الأجلاء حمد الجاسر، وأحمد عبد الغفور عطار، ورمضان عبد التواب، في إقامة ندوة لغوية؛ نفيد أخي الكريم بأننا قد قبلنا هذه الدعوة الكريمة، راجين أن يوفقنا الله مع كل المخلصين لخدمة لغتنا الأصيلة الحية، وأدبنا العربي الخالد مع خالص شكري وتقديري).

أخوكم

عبد الله بن محمد بن خميس

ونختم رسائل الشكر بما رفعه ابن خميس إلى الشيخ عبد الله السابح الطيار مدير المعهد العلمي بمحافظة الزلفي، والذي أهدى لشيخنا مجلة [المعهد العلمي] [٢].

واعتبر الشيخ أن تلك المجلة نتيجة لعمل صادق أمين، وأنه بعد اطلاعه عليها وجد أنها تمتلئ بالمعاني السامية التي يغرسها القائمون على المعهد في نفوس الشباب.

ويذيل الشيخ الرسالة بتوجيه الشكر قائلاً: (وإنني إذ أشكر أخي على هذه الهدية، لأنوه بأن هذه المجلة قد تنوعت أبوابها بفضل علمكم الغزير، وتوجيهاتكم السديدة).

ومن الرسائل الديوانية ما كتبه الشيخ إلى القيادات العليا من حكام البلاد:

---

(١) رسالة زودني بها الشيخ، مؤرخة في ١٣٩٨/٩/١٧هـ ويوجد كم من الرسائل المماثلة من النادي الأدبي تتضمن موافقة الشيخ على دعوات للاشتراك مع بعض الأدباء والمفكرين في إقامة ندوات أدبية وأمسيات شعرية.

(٢) رسالة زودني بها الشيخ، مؤرخة في ١٣٩٧/٥/٢٩هـ.

لقد وجدت في أرشيف الشيخ عبد الله ابن خميس مخزوناً كبيراً من هذا النوع من الرسائل، ولا غرو فهو الشخصية الاجتماعية الأدبية المعروفة في المجتمع، والتي لابد أن تدلي بدلوها في مناسبات هذه البلاد، وأن تشارك حكامها الرأي بمبادرات حية واعية، وخاصة أن الشيخ ابن خميس قد تولى بعض المناصب القيادية في الدولة؛ هذا وإن لم يُطلْب منه الرأي، وإن كان الرأي والمشورة مطلوبين منه، فإن الأمر يصبح أجدر برسائل محكمة ناصعة تليق ردودها بحكام بلادنا من آل سعود، ومن هذه الرسائل ما لم أجده مطبوعاً إنما بخط الشيخ، ومنها ما هو مطبوع على الآلة الكاتبة طباعة جيدة.

ويطيب أن أستعرض بعض الرسائل على سبيل المثال لا الحصر، وأولها رسالة وجهها عبد الله ابن خميس إلى صاحب الجلالة الملك المعظم مشفوعة بقصيدة مشاركة منه في إبداء شعوره تجاه الفتنة المؤلمة التي قامت بها الفئة الباغية في المسجد الحرام وتضمنت الرسالة ما يلي:

بسم الله الرحمن الرحيم

مولاي صاحب الجلالة الملك المعظم حفظه الله

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته،، وبعد

فإبداءً لشعوري وتأثري حيال الفتنة المؤلمة التي قامت بها الفئة الباغية ببيت الله الحرام، فإني أسجل مشاعري وأحاسيسي في هذه القصيدة التي أهديها لجلالتكم راجياً أن تنال رضاكم رعاكم الله.

المخلص عبد الله بن محمد بن خميس

٢٧/١/١٤٠٠هـ[١].

---

(١) رسالة من أرشيف الشيخ، مؤرخة في ٢٧/١/١٤٠٠هـ، مكتوبة بخط يده.

ويبادر الشيخ وهو الرجل المسئول عن قطاع خدمي مهم هو المياه في الرياض لرفع اقتراح لجلالة الملك المعظم حول وضع المياه في الرياض ضمن رسالة موضوعية محكمة الصياغة، واضحة الطرح لكون الموضوع يتطلب ذلك، ولكونها مرفوعة من مسئول إلى صاحب القرار الأعلى في الدولة، وهو ملك البلاد[١].

ويبدأ رسالته بعد توجيه الخطاب لجلالة الملك المعظم بالدعاء له قائلاً (أدام الله توفيقكم وعزكم، وهنا موضوع أختصره لجلالتكم في أسطر هو بمثابة اقتراح يعود نفعه على البلاد والعباد).

وبعد المقدمة يبدأ في سرد مقترحه قائلاً: (مدينة الرياض الآن تطفح بالمياه السطحية نتيجة لما يردها يومياً من ملايين الجوالين من المياه من مسافات بعيدة والمستنبطة من أعماق الأرض، حتى أن الآبار التي يبلغ عمقها ما يزيد على (٣٠) باعاً قد أوشكت على الفيضان في منطقة معكال والبطحاء والوسيطا[٢]، وما حولها وكذلك الحال بالنسبة لجوف الرياض الأحياء القديمة، مما سوف يهدد المدينة بخطر كبير من جراء فيضان الماء غير الصالح للشرب ..).

ثم يشرح الشيخ في الرسالة الحالة الأخرى وهي (أن بلدة الدرعية أوشكت نخيلها على الهلاك من جراء نضوب الماء عنها وهي نخيل تقدر أثمانها بعشرات الملايين من الريالات ولها مكانتها في الإنتاج الزراعي، وتضم المئات من الملاك والعاملين والمستفيدين، وسوف يشكل هلاكها نكبة لهؤلاء .. هذه ثانية يا طويل العمر).

---

(١) رسالة زودني بها الشيخ مصدرها مصلحة مياه الرياض ورقمها ٩/١٣٨ في ١٩/٦/١٣٩٠هـ.
(٢) أحياء ضمن مدينة الرياض.

ومن ثم يورد الشيخ اقتراحه قائلاً: (بين المشكلة الأولى والثانية يوجد خط أنابيب بين الرياض والدرعية بنته وزارة الزراعة منذ سنتين، وتبين أنه لا يصلح لضخ مياه الشرب عبره، وظل مجمداً حتى الآن، ويمكن أن يستفاد من هذا الخط في نقل المياه التي أوشك ضررها على الوقوع من الرياض إلى الدرعية التي أوشك هلاكها على الوقوع).

ثم يواصل الشيخ طرح مقترحاته حول المياه لجلالة الملك [موضحاً أن هناك آباراً ارتوازية معطلة في حي الكلية الحربية وما حوله، وأنه يوجد في مستودعات مصلحة المياه مضخات تدفع الماء يمكن الاستفادة منها ووجود أنابيب مجمدة في الأرض تابعة لمصلحة المياه في بعض الأماكن للاستفادة منها في التوصيلات المقترحة].

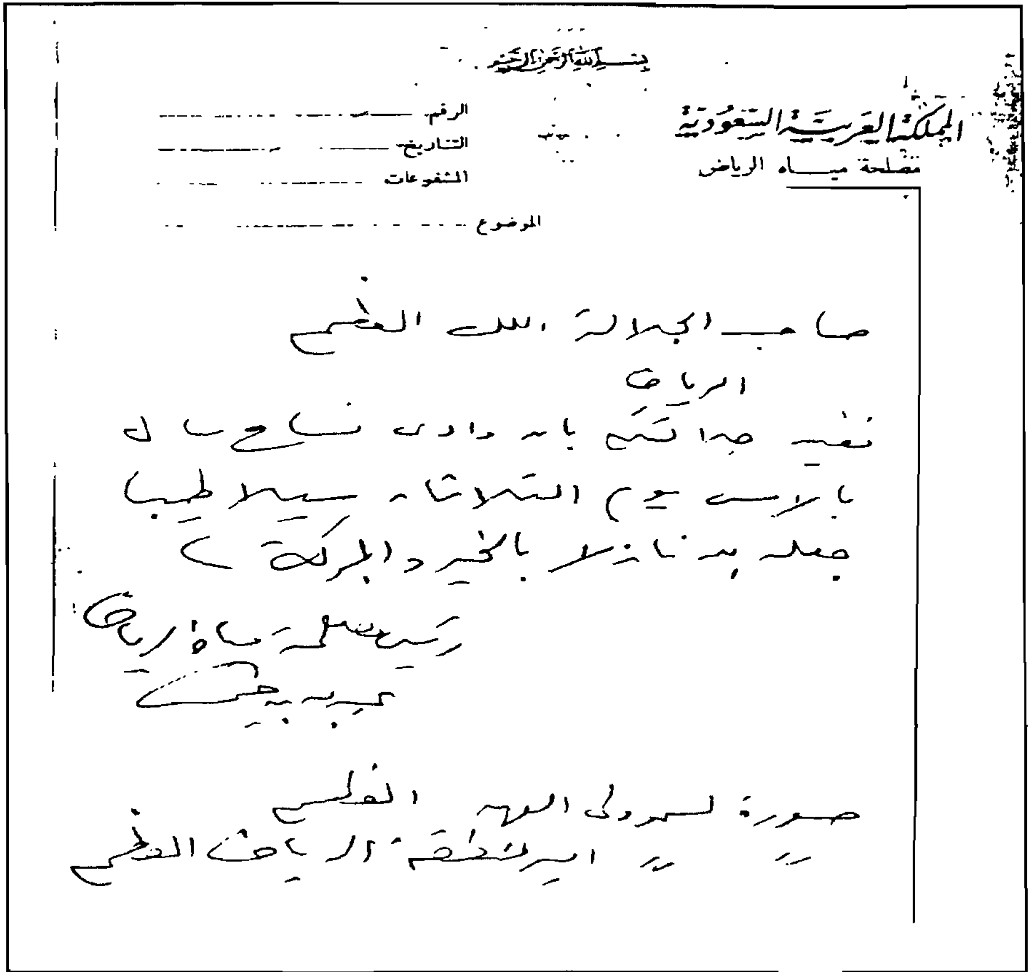
ويختم رسالته كما بدأها بالدعاء إلى الله لجلالة الملك بالصحة والعافية ويذيل الخطاب بالإشارة إلى موقعه الوظيفي.

المخلص رئيس مصلحة مياه الرياض

عبد الله بن محمد بن خميس

كما وجدت في آخر الرسالة تذييلاً هو: صورة لسمو ولي العهد المعظم. صورة لسمو أمير منطقة الرياض.

وقد تتضمن الرسالة خبراً قصيراً ولكنه شأن إداري أو واجب وظيفي يجب أن يرفعه الشيخ لحاكم البلاد وولي عهده وأمير المنطقة وهذا ما وجدته في رسالة صادرة من مصلحة مياه الرياض، متضمنة إخبار جلالة الملك بأن وادي نساح قد جرى من هطول الأمطار الغزيرة على المنطقة؛ ويدعو الشيخ في نهاية الرسالة أن يجعل ذلك المطر نازلاً بالخير والبركة.



بسم الله الرحمن الرحيم

المملكة العربية السعودية
مصلحة مياه الرياض

الرقم
التاريخ
المشفوعات
الموضوع

وتهنئة من الشيخ ابن خميس إلى صاحب السمو الملكي رئيس نادي الفروسية الأمير عبد الله بن عبد العزيز بمناسبة شهر رمضان المبارك، وقد أثراها أديبنا بعبارات أدبية راقية الأسلوب، مهذبة في طرحها، وقد وجدتها بخط يده وقد كتبها عندما كان رئيساً لمصلحة مياه الرياض، ولم أتبين تاريخاً لها، ولكون هذه الرسالة قصيرة رأيت إمكانية عرضها فيما يلي[١].

---

(١) التعليق على الرسالة: تضمنت الرسالة تهنئة بسلامة الوصول وتهنئة بشهر رمضان المبارك، وإعادة دعوة لحفل عشاء في نادي الفروسية وردت بالخطأ للشيخ ومن ثم ختم الشيخ الرسالة بأمنية أن تصله دعوات أخرى من سموه.

المملكة العربية السعودية ـ مصلحة مياه الرياض

الخطاب الصادر		مسودات	الخطاب الوارد	
عدده			عدده	
تاريخه			تاريخه	
مشفوعاته			قيده	

حضرة صاحب السمو الملكي رئيس نادي الفروسية الأمير
عبدالله بن عبدالعزيز رعاه الله

أهنئ سموكم بسلامة الوصول ثم أهنئكم بشهر رمضان
المبارك .. ثم أبلغ سموكم أن الدعوة التي وجهت إلي
لحضور الأمسية المقامة لأعضاء نادي الفروسية
أتت باسم الدكتور الطبيشاني وها هي مرفقة لسموكم
وأرجو أن أتلقى دعوة أخرى من سموكم مستقبلاً ما سمح
وما تزودوا ثم وابتهجوا وتقبلوا فائق تحياتي

المخلص
عبدالله بن خميس

ورسالة من الشيخ إلى صاحب السمو الملكي أمير منطقة الرياض الذي أوكل للشيخ رئاسة لجنة جمع التبرعات للشعب الفلسطيني، وكان آنذاك رئيساً لمصلحة مياه الرياض.

والرسالة تتضمن منجزات اللجنة في المناطق، وإفادة سموه عن مدى التجاوب مع حملة التبرعات من جميع فئات المجتمع في المناطق، ومن ثم توجيه شكر اللجنة إلى سمو أمير منطقة الرياض على وعيه المتدفق بمحنة ذلك الشعب، ومن ثم الدعاء إلى الله أن يطيل عمر صاحب الجلالة، وأن يمده بالعون والتأييد على مؤازرته للقضية الفلسطينية مرفق صورة من الرسالة(١). وهي لا تقل إحكاماً عما كتبه الشيخ من الفنون النثرية، فأسلوبها سلس واضح مليئة بالعبارات الرقيقة الجيدة في سبكها، والتي جاءت في أماكنها دونما تنافر أو خلل، كما أن مضمون الرسالة يوحي أيضاً باهتمام الشيخ بالقضية الفلسطينية ودعمها.

(١) رسالة زودني بها الشيخ بدون تاريخ وقد ذيلت بصورة للإذاعة، وصورة للتلفزيون، وهي بخط يده.

المملكة العربية السعودية - مصلحة مياه الرياض

الخطاب الصادر	مسودات	الخطاب الوارد
عدده		عدده
تاريخه		تاريخه
مشفوعاته		قيده

الى ط

حضرة صاحب السمو الملكي أمير منطقة الرياض

بعد التحية والاجلال ..

حيث توجهت [illegible] ثابتة كبيرة

بجولة في منطقة الحيسية ومنطقة [illegible]

ومنطقة العاطر ~~[illegible]~~

مدة اسبوع متواصلة

من [illegible] الراحلية [illegible] [illegible]

ومنازل الأفراد بكل ترحاب واستبشار

وكثرت اجتماعات خيرة في ساحات [illegible]

والزيارة ومشاركة أجهزة التعليم [illegible]

وظهر بالغ جدا النشاط وتمام [illegible]

للتوجه بادوار التوعية والترحيب

المملكة العربية السعودية - مصلحة مياه الرياض

الخطاب الصادر	مسودات	الخطاب الوارد
عدده		عدده
تاريخه		تاريخه
مشفوعاته		قيده

[illegible] وحصل تنافس [illegible]

[illegible] الأخوة الفلسطينيين

[illegible] في هذه الناحية [illegible]

[illegible] اللجنة [illegible]

[illegible] الوعي المتدفق [illegible]

النفوس الأصيلة [illegible]

[illegible] بالعروبة والتأييد

[illegible]

رئيس اللجنة الشعبية

صورة مع التحية [illegible]

للتلفزيون

ورسالة أخرى رفعها الشيخ إلى صاحب السمو الملكي الأمير سلمان بن عبد العزيز أمير منطقة الرياض.

وتحمل في طياتها إجابة لما وصل إلى الشيخ مع مندوب سمو الأمير، وهو كتاب [تاريخ الملك عبد العزيز العسكري] حيث أشار صاحب السمو الملكي الأمير سلمان، بأن يقوم الشيخ ابن خميس بدراسة الكتاب، وإبداء ما عليه من ملاحظات(١).

وهذه الرسالة نرى من خلالها جوانب مضيئة من حياة ابن خميس، فهو من رموز هذه البلاد، والذي يثق برأيه حكامها في كل ما يتطرق إلى تاريخها حتى التاريخ العسكري، كما ونخرج من مضمون ما رفعه الشيخ في رسالته إلى صاحب السمو الملكي الأمير سلمان، الشجاعة في طرح الرأي، وسوق الدلائل على الجودة أو عدمها ومن ثم، فإنه يقترح ما يراه مناسباً من بدائل ووسائل، ولأهمية هذه الرسالة رأيت تدوينها كاملة (حضرة صاحب السمو الملكي الأمير/

سلمان بن عبد العزيز

أمير منطقة الرياض المعظم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته،، وأرجو لسموكم كل توفيق وسعادة وبعد

فلقد وصلني مندوب سموكم يحمل كتاب: [تاريخ الملك عبد العزيز العسكري] ، ومعه إشارة من سموكم تقضي بأن أدرس الكتاب، وأفيدكم بما عسى أن يكون عليه من تعليق، أو ملاحظات. لقد شرعت في قراءة الكتاب، وقرأت جزءاً منه فوجدته رغم اجتهاد لجنة تاريخ الملك عبد العزيز العسكري وحرصها على أن تقدم شيئاً نافعاً، وجدت أن الكتاب ليس على المستوى

---

(١) رسالة زودني بها الشيخ، مؤرخة في ١٥/٣/١٤٠٠هـ، ومطبوعة بالآلة الكاتبة.

المطلوب، لا من حيث الشكل فقط، بل من حيث الشكل والمضمون، ورأيي أن الكتاب لا يخرج بهذه الصفة التي تحمل أغلاطاً تاريخية ولغوية وتصويرية، وأنا أعرف أن دارة الملك عبدالعزيز قد وضعت مسابقة عن تاريخ الملك عبدالعزيز الحربي، وتقدم لها عدة مؤلفين. أذكر أن أربعة منهم كانت مؤلفاتهم جيدة، فإذا يرى سموكم إحالة هذا الكتاب إلى دارة الملك عبد العزيز لتشكل لجنة للجمع بين هذا الكتاب وبين الكتب التي أشرت إليها آنفاً وتدرس الجميع، وتستخلص منها مؤلفاً متكاملاً من جميع الوجوه ليكون هذا المؤلف على المستوى الذي يتفق وهذه المهمة ويتواءم وشخصية عبد العزيز الحربية من جميع الوجوه.

وتظل هذه اللجنة مستمرة لتدرس كل ما يتعلق بتاريخ هذه البلاد عموماً وبما يختص بجلالة الملك عبد العزيز خصوصاً ويكون تشكيلها على درجة من النضج، والإدراك والتخصص في تاريخ هذه البلاد. إنني أطرح هذا الاقتراح بين يدي سموكم، ولكم الأمر من قبل ومن بعد.

والله يرعاكم،،،

المخلص عبد الله بن خميس

ورسالة وثائقية أخرى رفعها الأديب الشيخ عبد الله ابن خميس إلى صاحب السمو الملكي الأمير سلمان بن عبد العزيز أمير منطقة الرياض وفيها يشير إلى لقاء بينه وبين سموه في مزرعة سموه في الخرج وما دار من حديث حول عدة قضايا شرعية، وثقافية وأن الحديث تركز على قضيتين هما:

أولاً: طرق التخفيف من سفك دماء المناسك بمنى.

ثانياً: أحكام قصر الصلاة في السفر(١).

---

(١) رسالة زودني بها الشيخ مؤرخة في ١٣٩٩/٩/١٦هـ وفي الجانب الأيمن من الرسالة دون عنوان الشيخ في داره بالملز.

ويشير الشيخ إلى ما زوده به سموه من رسالتين لسماحة العلامة الشيخ عبد الله بن زيد بن محمود رئيس محاكم قطر(١)؛ حول هاتين القضيتين للاطلاع عليهما وإبداء وجهة نظره حولهما.

ويضمن الشيخ الرسالة التي رفعها إلى سموه رده حول القضيتين قائلاً: (وقد قرأت الرسالتين بإمعان وتدبر، ووجدتهما يقعان من القضيتين في الصميم، وقد عالج فيهما هاتين القضيتين علاجاً شرعياً مؤيداً بالنصوص بما لا يترك مقالاً لقائل، وبما تطمئن إليه النفس ويسيل إليه المجتهد، وتبرأ به الذمة إن شاء الله).

ومن ثم يبدأ الشيخ الأديب في استعراض الموضوعات التي طرحتها الرسالتان قائلاً حول سفك دماء المناسك في منى: [الواقع يا طويل العمر أن هذه مشكلة كبيرة تواجهنا وتقتضي مواجهة جادة، وعملاً مثمراً وجداً وحزماً لا يقبلان التسويف، ولا التأخير. ونحن أمة مسلمة بين أيدينا دستورنا الشريف، كتاب الله وسنة رسوله، اشتملا على سعادة الإنسانية ولم يتركا ثغرة للملحدين والمفسدين من أعداء الإسلام ومحاربيه الذين يتربصون به الدوائر ويكيدون له سراً وعلناً، ويبحثون عن المغامز والمثالب التي تحط من شأنه وتنقصه أمام هذا العالم المضطرب، وتياراته المختلفة وهو بلا شك براء من ذلك وإذا كان ثمة قصور فمن المسلمين؛ لا من الإسلام].

---

(١) عبد الله بن زيد بن محمود: ولد سنة ١٣٢٩هـ في حوطة بني تميم جنوب الرياض، درس على أئمة الدعوة السلفية في زمانه ومنهم الشيخ محمد بن إبراهيم، والشيخ محمد المانع والشيخ عبد العزيز الشثري وغيرهم رحمهم الله جميعاً. توجه إلى قطر عام ١٣٥٩هـ، قاضياً فقيهاً وعالماً، ثم رئيساً للمحاكم الشرعية في قطر، ولم يزل بها إلى أن توفاه الله في رمضان ١٤١٧هـ، من مؤلفاته رسائل في العلوم الشرعية والرد على المنحرفين جمعت في ثلاث مجلدات. انظر: مجلة البيان، العدد ١١٢، السنة ١١، ذو الحجة ١٤١٧هـ، ص١٠٨ .

ويمضي ابن خميس في طرح القضية في هذه الرسالة التي أرى أنها تشتمل على محاضرة قيمة في موضوعها فيقول: (يا طويل العمر إن قضية سفك دماء المناسك بمنى على هذا الحال، وبالشكل الذي نشاهده، ويشاهده الغيور من المسلمين، ليأسفون كل الأسف أن توجد ظاهرة في الإسلام والمسلمين بهذه الشناعة، وهذا الوضع المؤسف جداً. إن القضية يا سمو الأمير لم تعد في حدود ما أمر به الإسلام، وإن تكون نسكاً تقدم لساكني الحرم ينتفعون بها وترفع من مستواهم المادي كما أراد الإسلام ولكنها وللأسف تجاوزت ذلك إلى مئات الألوف من الأنعام تحشد في صعيد واحد وتباد إبادة كبيرة في وقت واحد مما يترتب عليه وجود تلال من الأنعام المذبوحة مركومة بعضها فوق بعض وبحار من الدماء يخوضها الناس خوضاً ثم تشق لها أخاديد في الأرض وتلقى فيها، وتطمر في الأرض، وهكذا كل يوم دواليك ونحن ندرك أنه منظر من البشاعة بحيث لا تطيقه أغلظ النفوس، وأجفاها وإنه لمنظر لا شك أن الإسلام يقف منه موقف الاستنكار، فالمعروف عن الإسلام بالضرورة أن العقل الصحيح لا يخالف الفعل الصحيح).

ويمضي الشيخ في رسالته شارحاً جملة من السلبيات التي تترتب على سفك دماء المناسك بمنى ويوجه خطابه في الرسالة إلى صاحب السمو الملكي أمير منطقة الرياض قائلاً: (إنني حينما أستثير همة سموكم لهذا الأمر، فإنني أصدره عن غيرة دينية وحمية إسلامية، وإشفاقاً على واقعنا كأمة مسلمة تواجه مثل هذه القضايا، ثم تبقى أمامها مكتوفة اليد.

وفقكم الله، وأخذ بأيديكم إلى ما فيه السعادة لهذه الأمة والتوفيق).

ثم يعرض الشيخ ابن خميس رأيه في الرسالة الثانية وهي [قضية قصر الصلاة في السفر] ويدلي فيها بدلوه وهو العالم بأحكام الشرع، ومنابع الفتوى. ثم يختم رسالته بالدعاء لسمو الأمير بالتوفيق والسلام.

وحيث يضيق المقام عن استعراض رسائل الشيخ إلى حكام هذه البلاد، والقيادات العليا؛ إلا أنني أردت مما عرضته إثبات ما يتمتع به الشيخ من حضور متميز، عند ولاة الأمر، ويمكن اعتبار رسائله وثائق تاريخية، يستند

عليها الدارسون لتاريخ هذه البلاد وسيرة حكامها الفضلاء؛ إضافة لما تحويه من أسلوب أدبي، وإبداع في الطرح والصياغة واللفظ الواضح المشرق.

ب- موضوعات الرسائل الإخوانية عند الشيخ ابن خميس:

نستطيع تصنيفها حسب موضوعاتها إلى:

١- رسائل الاعتذار.

٢- رسائل المودة والصداقة.

٣- رسائل التعزية.

٤- رسائل التهنئة.

٥- رسائل الشكر.

١- ورسائل الاعتذار هي من أبواب الرسائل الإخوانية:

التي عبر فيها الشيخ الأديب عن صادق شعوره تجاه من عتبوا عليه، لبعد التواصل بينه وبينهم، وممن وجهوا له دعوات فلم يستطع تلبيتها، أو عن أي تقصير حدث منه ومن خلالها نتبين دماثة خلق الشيخ وتقديره الجم للآخرين ومنها أيضاً نستوضح أن لديه تواصلاً بمجتمعه، وإجابة لما يرده من دعوات للمشاركة برأيه وإنتاجه، وأنه لابد أن يرسل اعتذاره في رسائل حظيت بما حظي بها نثره الأدبي من أسلوب رفيع وطرح بليغ، ومن نماذج تلك الرسائل الاعتذارية ما رفعه ابن خميس إلى صاحب السمو الملكي الأمير متعب بن عبدالعزيز عندما بلغه أن سموه يسأل عنه ويبدي أسفه لمضي مدة طويلة لم يتشرف بزيارته، وفيها يربط الشيخ ذلك الشعور من سموه بصفاته الكريمة، التي عددها الشيخ في رسالته، ومن ثم يوجه شكره ودعاءه على ذلك الشعور.

ويختم رسالته بأنه يعاتب نفسه على تقصيره ويعلل ذلك بعزلته في مزرعته، وأنه لا يهبط العاصمة إلا لحاجة ملحة ومن ثم يعود أدراجه.

ويضمن الشيخ رسالته شطر بيت [والعذر عند كرام الناس مقبول] وفيها اعتذار من صاحب السمو الملكي الأمير متعب بن عبد العزيز على التقصير(١).

---

(١) رسالة زودني بها الشيخ، مؤرخة في ١٣٩٧/٦/١٦هـ.

مرفق صورة من نص الرسالة.

: ٣٩ شارع جرير — الملز

١٣٩٧/٦/١٦ هـ

حضرة صاحب السمو الملكي الأمير الجليل متعب بن عبدالعزيز المعظم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وأرجو لسموكم دوام السعادة والتوفيق ..

بلغني من الأخ صالح أن سموكم يلحف بالسؤال عني ويبدي أسفه لمضي مدة طويلة لم أتشرف بزيارة سموكم ، والواقع أن هذا برهان جديد على ما عرفته وأعرفه عن سموكم من مكارم الأخلاق وطيب المعشر وسمو النفس والوطنية الأصيلة المتمكنة لذلك مني عاطر الشكر وجزيل الثناء وموفور الدعاء ..

ويعلم الله أنني أشعر بالحرج ومعاتبة النفس تجاه هذا التأخر ولكنني في السنوات الأخيرة كنت شبه عزلة بمزرعتي وتمضي الأيام تلو الأيام لم أهبط العاصمة إلا لحاجة ملحة وأعود أدراجي وهذا وإن كان ليس شافعا لي تجاه الحقوق الواجبة لكم إلا أن هذا هو الواقع (والعذر عند كرام الناس مقبول) ..

فهمت أن سموكم يبحث عن كتاب (المجاز بين اليمامة والحجاز) أحد مؤلفاتي أرفقه لسموكم مع الأخ صالح مكررا شكري وتقديري وثنائي .. رعاك الله

المخلص

(عبدالله بن محمد بن خميس)

ورسالة أخرى ضمنها الشيخ اعتذاره وجهها إلى الشيخ محمد بن عثمان بن صالح بن عثمان القاضي[١].

وفيها يبين الشيخ أنه يسعد بمعرفة الشيخ محمد بن عثمان القاضي عن (طريق الكتابة) وأنه يشرّفه أن يقتبس من علمه وأن يستفيد من إدراكه.

ويرحب الشيخ برسالة الشيخ القاضي التي كتب رسالته رداً عليها، ويصف ابن خميس رسالة القاضي بأنها تحمل لطفه و فضله ومكارم أخلاقه، ومن ثم بعد تلك المقدمة يرحب ابن خميس في رسالته بالشيخ القاضي قائلاً: (ومرحباً به تحمل مكتبته العطرة كنوزاً ثمينة من تراثنا ومدخراتنا الشيقة، ومرحباً به يضع مؤلفاً شاملاً كاملاً يحوي تراجم ثلاثمائة علم من أعلام بلادنا، نحن في أشد الشوق إليه، وفي أشد التطلع إلى أن نراه)[٢].

ومن ثم يتطرق ابن خميس إلى بعض ما أورده الشيخ محمد القاضي، مما كان بين أديبنا وبين الجوهرة المزيد والمساجلة بينه وبين الشاعر القصيبي، فنراه يعتز بثناء القاضي على بعض الشذرات والنفحات العطرة قائلاً: (وجئتم ببعض الشذرات الذهبية، والنفحات العطرة، وأثنيتم على محبكم، إنني أعتز بثنائكم وأتشرف بتقديركم، وما وقع من الجوهرة أو من الشاعر من هفوات فتلك سنة البشر يتأتى عليه النقص، ويخضع لمجالات التقصير).

وفي الرسالة أيضاً رأي لابن خميس في الشعر الحر، يظهر لي أن الشيخ القاضي، قد استوضح عن ذلك في رسالته للشيخ، وهذا الرأي هو ما ثبت عن الشيخ الأديب في هذه الرسالة، وغيرها من المواقف الأدبية حول عدم اعتراف الشيخ المطلق بما يسمى الشعر الحر، وقد تطرقنا في الفصل الأول عندما تحدثنا

---

(١) محمد بن عثمان بن صالح القاضي: ولد في عنيزة عام ١٣٤٦هـ. دخل مدارس الحكومة وهو في سن السادسة وحفظ القرآن كاملاً، ألم بعلوم الشرع. من شيوخه محمد الصالح العثيمين رحمه الله. أسس المكتبة العلمية الصالحية. عمل مدرساً في المسجد الجامع، من مؤلفاته [الحديقة اليانعة]. انظر: روضة الناظرين عن مآثر علماء نجد.ـ ط٣.ـ، مطبعة الجلبي، ١٤١٠هـ، ص٤ .

(٢) رسالة زودني بها الشيخ، مؤرخة في ١٤٠٠/٣/٢٨هـ.

عن المقالة النقدية لرأي ابن خميس في الشعر الحر، يقول في رسالته للشيخ القاضي: (والشعر الحر يا أخي ليس شعراً وليس حراً، وإنما هو هذيان محموم، وعفويات ثمل ودسيسة أقحمها علينا الغرب فآمن بها السذج وركبها المهوسون).

ثم يختم الشيخ رسالته معتذراً عن تحقيق طلب للشيخ القاضي، مصدره عند دارة الملك عبد العزيز فيعتذر الشيخ قائلاً: (أخي إن صلتي بالدارة صلة خفيفة إلا أنني عضو في هيئة تحرير مجلتها ليس إلا. أما أعمالها وخباياها وخفاياها فلا أعرف عنها شيئاً).

ويدعو الشيخ لصديقه بالتوفيق، وأن يبارك الله في جهده، وأن ينفع الأمة بعلمه. ثم بتوصيته أن يبلغ تحياته للأنجال، والإخوة ومن يعز عليه، ويذيل الرسالة بقوله: (رعاكم الله ووقاكم) أخوكم/عبد الله بن محمد بن خميس.

٢- ومن الرسائل الإخوانية رسائل المودة والصداقة:

وفيها تخرج مشاعر ملتهبة مشتعلة من قلب محب نابض بالوفاء والمودة، تزخر بها رسائله إلى أولئك الأصدقاء، يحدوه دائماً صدى المشاعر الطيبة التي يبثه أولئك إياها. ومن خلال اطلاعي على كم غزير من هذه الرسائل، تبين لي شغف الشيخ باسترجاع ذكرياته الماضية مع أصدقائه، ممن يتواصلون معه في رسائلهم له ورسائله لهم.

ومن ذلك وما وجدته في رسالة كتبها إلى الشيخ الدكتور جابر الطيب بن علي[1]. عضو هيئة التمييز للمنطقة الغربية رداً على رسالة وجهها الشيخ جابر له[2].

---

(١) جابر الطيب بن علي: من مواليد بيشة عام ١٣٤٧هـ. تلقى العلم على يد الشيخ عبد الله بن حسن بن إبراهيم آل الشيخ. توجه إلى مكة المكرمة عام ١٣٦٤هـ، ودرس في الحرم المكي، وبدار الحديث، ومن ثم التحق بدار التوحيد بالطائف ثم كلية الشريعة بمكة المكرمة. أتم دراسته العليا بالأزهر ونال الدكتوراه في الفقه المقارن. عمل في القضاء بمكة وبيشة ومن ثم عضو تمييز في المنطقة الغربية منذ عام ١٣٩٩هـ، انظر: تاريخ القضاء والقضاة في العهد السعودي من عام ١٣٤٤هـ-١٤١٦هـ، تأليف عبد الله بن محمد الزهراني.ـ ط١.ـ مكة المكرمة: مطبعة بهادر، ١٤١٨هـ. ج١، ص ٤١٠ .

(٢) رسالة زودني بها الشيخ، مؤرخة في ١٣/١١/١٣٩٩هـ.

ويتذكر ابن خميس من خلال الرسالة ذكريات جميلة، أَنِس بها زمناً هو لديه أحلى الأزمنة التي مرت بعمره، وهو زمن التلمذة، وصحبة الإخوة الكرام، ومن هنا نعرف أن عضو هيئة التمييز الشيخ جابر، هو رفيق دراسة للشيخ ابن خميس.

ولابد للشيخ أن يذكر صفات ومناقب صاحبه في الرسالة قائلاً: (زمن التلمذة وصحبة الإخوة الكرام الذين يمثلون الصفاء وحسن الخلق والرجولة بمعناها الحقيقي).

ويتدخل ذوق الأديب، وحسه النقدي في إيراد انطباعه حول الرسالة وعباراتها قائلاً: (إن عباراتكم التي تضمنتها هذه الرسالة لتدل على ما يتمتع به أخي من وفاء وحب لإخوته وزملائه، وإنك قد غمرتني بهذه العبارات الجميلة، فأنا بها معتز وبصاحبها معجب).

ويختم الشيخ رسالته كعادته داعياً فيقول: (زادك الله من فضله وتابع عليك نعمه الظاهرة والباطنة، وأدامك رمزاً لرجل العلم والفضل) المخلص عبد الله ابن خميس.

ويتبادل الشيخ عبارات الود والوفاء الجياشة مع أصدقائه إذا ما لمس منهم انطباعاً حول مؤلف من مؤلفاته، ويضفي على ود الصداقة عنصر العناية والرعاية، لما يبدونه من ملاحظات، وخاصة إذا ما كان ذلك الصديق أديباً حذقاً، أو عالماً فاضلاً من المخلصين لبلادهم.

فننظر إلى رسالة الشيخ التي وجهها إلى الأستاذ عبد الله المحمد الخنيني[١] رداً على رسالة تلقاها منه تتضمن تقريظاً لكتابه [معجم اليمامة] وكعادة الشيخ بدأ رسالته بالسلام ورحمة الله وبركاته، وسأل الله لصديقه دوام السعادة والتوفيق، ومن ثم سرد الشيخ مشاعره قائلاً: (تلقيت رسالتكم الكريمة الجياشة بكل معاني الأخوة والصداقة والوفاء، وما تضمنته من معلومات جمة، حول انطباعكم بعد ما قرأتم [معجم اليمامة] وسوف تكون هذه الملاحظات، موضع عنايتي ورعايتي)[٢].

---

(١) عبدالله بن محمد الخنيني، من أصدقاء الشيخ لم أعثر له على ترجمة.

(٢) رسالة زودني بها الشيخ، مؤرخة في ١٤٠٠/١/١٩هـ.

ويقدر الأديب ابن خميس لصديقه علمه الجم واستقطابه بكل ما يتعلق بشئون بلاده ومن ثم يدعو له بالتوفيق.

ويذيل الشيخ رسالته بتوجيه تنظيمي إلى صديقه عبد الله الخنيني وهو أن لا يرسل له على بريد مزرعته عمورية حتى لا يتأخر ورود الرسائل وإنما على عنوانه الثابت بالرياض.

وفي ختام رسالته يوجه تحياته إلى أسرة صديقه وإخوته الكرام ويدعو لهم بالتوفيق. ولا يخفي إعجابه الشديد ببعض أصدقائه الأوفياء المبدعين ذوي العلم والفضل ومن ذلك ما رأيته في رسالة بعثها الشيخ إلى الأستاذ خليل إبراهيم الفزيع[١]. والتي انبسطت فيها أساريره، فظهرت كلمات كلها سرور وسعادة، وبذلك الوفاء الذي يتمتع به صاحبه الأستاذ الفزيع، والرسالة على قصرها حرية بالوقوف عندها، واستقصاء معانيها[٢] يقول ابن خميس (فلقد تلقيت باعتزاز كبير رسالتك العاطرة المؤرخة في ١٤٠٠/١/٣هـ الحافلة بكل ما هو مسر ومبهج، وشممت منها رائحة الفضل والعلم تنفح في أردان رجل عرفته بالصفاء والوفاء، يقدر العلم وأهله، لأنه قد أخذ منه بالنصيب الأوفى، وأنه بقدر إعجابي برسالتك، فإن إعجابي بشخصك الكريم أعظم، شاكراً لك وفاءك ومتابعتك).

ويختم الشيخ بعد تلك المعاني الزاخرة بالود رسالته بقوله: (وختاماً لك مني صادق محبتي وكثير اعتزازي ودمتم) أخوكم عبد الله بن محمد بن خميس.

وفي موقع آخر من رسائل الشيخ المعبرة عن المودة والصداقة نجد الشيخ يمزج المشاعر والعواطف الإنسانية العالية تجاه أولئك الأصدقاء، بإسداء كلمة

---

(١) خليل إبراهيم الفزيع: من مواليد الأحساء عام ١٣٦٠هـ. واصل تعليمه في المعهد العلمي بالأحساء. عمل في جريدة اليوم. أكثر إسهاماته في مجال القصة. من مؤلفاته [الساعة والنخلة]، [سوق الخميس]، [إطلالة على مشارف الزمن]. عضو النادي الأدبي بالمنطقة الشرقية. انظر: دليل الكتاب والكاتبات. خالد أحمد اليوسف، وخزيمة العطاس، ص٢١٥.

(٢) رسالة زودني بها الشيخ، مؤرخة في ١٤٠٠/٢/١٣هـ.

إعجاب بأسلوب الرسالة المرفوعة له سلفاً من قبلهم. فتشير إلى أصالة الكلمة، وإشراقة اللفظ، وسمو المعاني، ومنها ما ظهر لي من خلال رسالة بعثها الشيخ إلى من أسماه الولد الفاضل البار، الأستاذ الشريف محمد سليمان الجودي[١]. حيث قال: (تلقيت بمزيد من التقدير رسالتك الطيبة، وقد سررت بها كثيراً لما حوته من أصالة الكلمة، وإشراقة العبارة.. الأمر الذي ترك في نفسي أثراً طيباً).

وبعد هذه المقدمة يصف مشاعر ابنه البار، وأنها لديه مثلما هي عند الأستاذ الجودي ومن ثم يدعو له بالصحة والعافية والسعادة والتوفيق يقول: (ولا يسعني إلا أن أحيي نفسك الطاهرة وشعورك النبيل نحوي الذي أبادلك إياه، راجياً من الله أن يريدك من نعمائه بموفور الصحة والسعادة والتوفيق).

ومن ثم فإن الأديب عبد الله ابن خميس يرى أنه لابد أن يتطرق لموضوع الرسالة الذي بعث اغتباطه، وهو أن الجودي أشار في رسالته إلى مجال الأدب والشعر وهذا ما كرّس له ابن خميس حياته مثلما أورد في رسالته (ولقد كان من بواعث اغتباطي أن تطرقت في خطابك الشيق إلى المجال الذي كرست له حياتي، مجال الأدب عامة والشعر، خاصة؛ لأنهما من الفنون الجميلة تقربنا من المثل العليا التي نرنو إليها كلما عز علينا بلوغها في عالم الحقيقة، وأن تخاطب العاطفة فيما تريد أن تبثه من مبادئ أو تصوره من إحساس صادق).

ومن ثم يختم ابن خميس رسالته بالإشارة إلى هدية بعثها الجودي للشيخ يقول: (فقيمتها أنها منك وإني، لمتقبلها لما تعنيه من صداقة حقة، ووفاء نادر، وليس عندي من قول خير من قول الشاعر القائل[٢]:

سـلام علـى الدنيا إذا لم يكن بها   صديق صدوق صادق الوعد منصفاً

---

(١) رسالة زودني بها الشيخ، مؤرخة في ١٩/٥/١٣٩٧هـ.

(٢) البيت للإمام الشافعي من قصيدة مطلعها:

إذا المرء لا يرعاك إلا تكلفاً   فدعه ولا تكثر عليه التأسفا

وقد أورد ابن خميس البيت في الشوارد الجزء الثاني الطبعة الأولى، مطابع الفرزدق، ١٤٠٥هـ، ص٤٧١.

ويؤكد الشيخ شكره العميق لابنه البار محمد الجودي ويتمنى له كل رفعة وسؤدد.

٣- ومن أبواب الرسائل الإخوانية عند عبد الله بن خميس رسائل التعزية:

وهي كثيرة تدور جميعها حول مضمون واحد هو مواساة أصدقائه ممن فقدوا غالياً عزيزاً عليهم، وهذا الفعل من السنن الإسلامية التي تدل على إنسانية الدين الإسلامي وأنه دين التعاطف والتواصل، وتعزية المصاب سنة وفيها أجر وثواب.

ومن عزّى مصاباً كان له مثل أجره، وقد جاء في السنة قوله صلى الله عليه وسلم: (اصبر واحتسب فإن لله ما أخذ وله ما أبقى، وكل شيء بأجل مسمى)[١].

وقد يلجأ الشيخ إلى ذكر مآثر الفقيد، قاصداً من ذلك التخفيف من أثر الفقد، ولكني أجد في كلماته بعداً عن المغالاة، وسأقف عند رسالة تعزية أرسلها إلى الأستاذ محمد بن عبد الله الحميد في وفاة والده[٢].

ومقدمة هذه الرسالة تختلف عن السابق مما تم بحثه من الرسائل، ففيها مشاعر الألم ومن ثم الدعاء للفقيد دعاءً حاراً مخلصاً يقول (ساءني جداً النبأ الأليم عن وفاة والدكم المرحوم غفر الله له ورحمه وقدس روحه وجعله من الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً).

ومن ثم يعدد الأديب ابن خميس في رسالته مناقب ومواهب الفقيد، ويرى أن ذلك من الوفاء له فهو الصديق الوفي والأديب الألمعي اللماح، الذي اهتم بالثقافة الإسلامية، وهو الرجل الذي أعطى الوطنية حقها، ومن ثم فهو صاحب الخلق الرضي والطبع الأبي والقلب الذكي.

---

(١) رواه البخاري ومسلم وأبو داود وغيرهم، انظر: فتاوى التعزية، الشيخ محمد بن صالح العثيمين.ــ ط١.ــ دار المجد، ١٤١٣هــ، ص٥.

(٢) رسالة زودني بها الشيخ، مؤرخة في ١٣٩٩/٨/٢١هــ .

ويدعو الشيخ للفقيد في ختام الرسالة ويعزي أبناءه قائلاً: (فأحسن الله عزاءكم وجبر مصيبتكم وأبقاكم مثالاً تتبعون أثره وتقتفون طريقه المثلى وما مات من خلف مثلكم). مرفق صورة من الرسالة.

٢١ ٨ ٩٩

١٥ ٧ ٢٩

أخي الكريم الأستاذ محمد بن عبدالله الحميد الموقر

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .. وأرجو لكم دوام السعادة والتوفيق .

ساءني جداً النبأ الأليم الذى بلغني متأخراً من وفاة والدكم المرحوم غفر الله له ورحمه وقدّس روحه وجعله من الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً .

وانه لنعم الرجل صديقاً وفياً تتمثل فيه الصداقة بكل معانيها .

وانه لنعم الرجل أديباً ألمعياً لمّاحاً ، أعطى فأجاد ، ومثّل الثقافة الاسلامية العربية أصدق تمثيل .

وانه لنعم الرجل وطنياً أعطى الوطنية حقها وأسهم بقلمه وفكره في شتى المجالات الوطنية بما خلّد ذكره ورفع قدره ، وجعل البلاد والأمة تحتفظ له بمآثره ومفاخره .

وانه لنعم الرجل يحمل خلقاً رضياً وطبعاً أبياً وقلباً ذكياً ..

طاب ذكره وعطر نشره وجعل فيكم البقية الصالحة والأسوة والمثل والقدوة والنموذج المعطر .. فأحسن الله عزاءكم وجبر مصيبتكم وأبقاكم مثالاً تتبعون أثره وتقتفون طريقه المثلى .. وما مات من خلّف مثلكم .

وتقبلوا خالص تحياتي وتقديري وعزائي !

أخوكم

(عبدالله بن محمد بن خميس)

٤- التهنئة باب من أبواب الرسائل الإخوانية :

وفيها يعبر الشيخ عن مشاعره تجاه ما حصل لصديق من أصدقائه من توفيق في منصب أو حلول مناسبة دينية كالتهنئة بشهر رمضان والعيدين أو مناسبة وطنية مثل اليوم الوطني أو مناسبة شخصية كالزواج مثلاً أو ما يهبه الله لخلقه من الذرية.

وابن خميس مثلما هو واضح في مودته وصداقته، فهو كذلك في تهنئته. ولا نستغرب وجود هذا الباب من الرسائل ضمن نتاج الشيخ لما عُرف عنه من لين الطبع وحسن الخلق والتواضع ورغبته الدائمة في بناء جسور الود مع كل فئات المجتمع وحرصه على التواصل الدائم معهم.

وهذا الباب من الرسائل من أوسع الأبواب التي وجدتها عنده وقد خانني الاختيار حول ما يجب استعراضه منها فجميعها تبرز فيها مشاعره تجاه أصدقائه بأسلوب عربي مبين فيه نصاعة العبارة وإشراقة اللفظ وسلاسة الأسلوب وحسن الإبانة، ومن تلك الرسائل ما رفعه الشيخ من تهنئة إلى صديقه فهد بن خالد السديري أمير منطقة نجران عندما تولى الإمارة[١].

قال فيها: (سعادة أخي الكريم الشيخ فهد بن خالد السديري، أمير منطقة نجران الموقر..

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وأرجو لكم دوام السعادة والتوفيق.

أنتهز فرصة توليكم العمل الجديد، إمارة منطقة نجران لأقدم لكم تهاني القلبية وأبثكم صادق مودتي متمنياً لكم التوفيق والنجاح الدائم).

ولابد للشيخ أن يقرن تهنئته برؤيته حول هذه الإمارة وذلك الاختيار مباركاً ما لهذه الأسرة من جذور قيادية معروفة يقول: (وإنني على ثقة أنه عمل صادف

(١) رسالة زودني بها الشيخ، مؤرخة في ١٣٩٩/٧/٤هـ.

أهله، وقوس أعطيت باريها وما أن ودع المغفور له والدكم العظيم هذا العمل بكل أمانة وثقة وإخلاص، وسوف يشرف به المنصب، إلا وقد حل محله ابنه الذي يحمل المؤهل ويملأ المركز).

ويختم الشيخ رسالة التهنئة بالدعاء للأمير السديري بالتوفيق (زادكم الله توفيقاً، وجعل البر والخير والنجاح حليفكم، واسلموا لمحبكم) عبد الله بن محمد ابن خميس.

٥- ونختتم باب الرسائل الإخوانية بالحديث عن رسائل الشكر والعرفان: التي بثها الشيخ لأصدقائه من الأدباء والمفكرين، وأفراد المجتمع السعودي ممن تربطهم به صلة ومعرفة.

ويُعرِّف صاحب كتاب الإنشاء في المراسلات رسائل الشكر بأنها (ما تضمنت من معرفة الجميل والثناء على المنعم، وذكر الفضل لأهله، بتدبيج عبارات الحمد والعرفان، لهذا يراعي فيها ما يدل على تواضع المرسل، وعرفانه بالجميل، كما تتضمن تعظيم شأن المرسل إليه، وتمجيد عمله وتفخيم أياديه)[١]. وأحسب أن ما ورد في التعريف السابق، ما هو إلا ما وجدناه في رسائل الشيخ ابن خميس إلى أصدقائه.

ولكن رسائل ابن خميس معارض لغوية وساحات للآراء الجيدة التي تهم المجتمع أدبياً واجتماعياً.

ولعلنا حينما نستعرض بعض الرسائل من هذا الباب نلمس احتفاءً باللغة وارتقاء بالأساليب، ومنها ما وجدته في رسالة بعثها إلى أخيه الشيخ عبد العزيز ابن عبد المحسن التويجري، شاكراً له إهداءه كتاباً عن الملك عبد العزيز طيب

---

(١) الإنشاء في المراسلات والمواثيق، ص٥٢.

الله ثراه[١]. وفي الرسالة يوضح ابن خميس مشاعره في تلك الفترة وأنّه كاد أن يعتزل القلم، أو كاد وأنه أصبح يقتات على موائد الأدباء العامرة بطيب الكلمة، وفي الرسالة يبين الشيخ حال العصر وأن ما يسك سمعه ما هو إلا غث القول.

وحيث شكا صديقه عبد العزيز التويجري في رسالته السابقة من بقائه خارج قاعات الدرس في أودية الجهالة، فإن للشيخ رداً ورأياً في ذلك، وأنه تمنى أن يبقى خارج قاعات الدرس ويتعلم من معين الحياة الرحب، حيث إن تجاربها خير برهان ومعين.

ومن ثم يعرض الشيخ رؤيته حول الملك عبد العزيز الذي شهد له الأعداء قبل الأصدقاء جمع الوحدة من كهوف العزلة، وحطنا بها على شريعة عادلة وعقيدة موحدة. ويبرز الشعور الوطني من أعماق الشيخ ابن خميس في صدر رسالته إلى أخيه وصديقه عبد العزيز التويجري، فنراه يتمنى أن يقتفي أثر الملك عبد العزيز، ويتلمس خطاه، وتذكير أجيال اليوم بسيرة الرجل الطيبة، ومناقبه المتعددة، ومساعيه الدؤوبة، التي لا تعرف اليأس.

ويختم رسالته بشكره، وسعادته بذلك الإهداء والعمل الرائع الذي وصله من التويجري ولجدارة هذه الرسالة محتوى وأسلوباً رأيت عرضها كاملة.

---

(١) رسالة زودني بها الشيخ، مؤرخة في ١٤١٨/٦/٦هـ، في ورقة صقيلة مذيلة بعنوان الشيخ وأرقام هواتفه وصندوق بريده.

بسم الله الرحمن الرحيم

Abdullah Bin Mohammed Bin Khamis  عبدالله بن محمد بن خميس

الرقم :
التاريخ : ١٤١٨/٦/٦هـ
المشفوعات :

No.
Our Ref. :
Date : ١٩٩٧/١٠/٧م

سعادة الأخ الأستاذ/ عبدالعزيز بن عبدالمحسن التويجري سلمه الله

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.. وبعد ،،

فقد أخرجني كتابك أو لنقل سفرك القيم ومن ثم إهداؤك الأنيق من (ضجرٍ) كنت أعانيه ولعلي هنا أنوه قليلا بإحتفالك بهذه المفردة المعاصرة في (حاطب ليل ضجر، وضجر الركب من عناء الطريق، ثم ضجر العدالة في قلب عبدالعزيز) .. وأحسبه ضجر الأديب في فؤاد التويجري ، ذلك الذي أبقى جذوة القلم متقدةً بيمينك، إذ مازال في مدادك مايروي غلة صادٍ ظمىءٍ مثلي ، أعتزل القلم أو كاد وأضحى يقتات على موائد أمثالكم العامرة من طيب الكلم وسط مايسك مما معنا من غث القول، أعانك وأعاننا الله.

حديثك عن بقاعك (خارج قاعات الدرس في أودية الجهالة) لايتفق وما أعرفه ويعرفه قراؤك عنك من سديد الرأي وصائبه وليتنا بقينا خارج قاعات الدرس في هذا الفضاء الرحب حيث التجربة هي خير مُعين ومَعين مازلت تنهل منه وينهل معك الآخرون، ومادام الحديث عن الملك عبدالعزيز فأحسبه معيناً لاينضب أبداً.

ولِمَ الحياد أخي عبدالعزيز في الحديث عن رجل شهد له الأعداء قبل الأصدقاء جمع هذه الوحدة من كهوف العزلة .. كما تقول وحطنا بها على شريعة عادلة وعقيدة موحدة . وليتنا لانتحاز للملك عبدالعزيز فقط بل ونقتفي أثره ونتلمس خطاه إن إستطعنا الى ذلك سبيلا وأحسبنا نفعل إن نحن داومنا على تذكير أجيال اليوم بسيرة الرجل الطيبة ومناقبه المتعددة ومساعيه الدؤوبة التي ما كانت تعرف اليأس في توحيد هذه البلاد وخلق هذا الكيان المتماسك.

ص ب ١٧٩٨ – الرياض ١١٤٤١ – هاتف (مباشر ٤٨٢٤٤٥٥) ٤٨٢٤٩٩٣ – ٤٨٢٤٩٨٣ – ٤٨٢٤٨٦٥ – مقابل حي السفارات من الشرق – المملكة العربية السعودية
P O Box 1798 - Riyadh 11441 Tel (Direct 4824455) 4824993 - 4824983 - 4824865 - Opposite Diplom Quarter - Saudi Arabia

بسم الله الرحمن الرحيم

Abdullah Bin Mohammed Bin Khamis



عبدالله بن محمد بن خميس

الرقم

التاريخ ٦٠/٦/١٨ ٤١هـ

المشفوعات

No ---

Our Ref. :

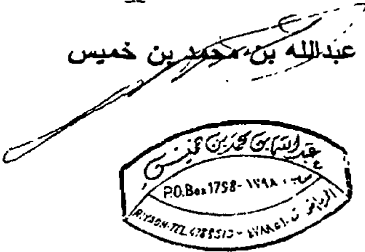
Date ٧/١٠/١٩٩٧م

حتماً أخي عبدالعزيز سعدت أيما سعادة بإهدائك لي هذا العمل الرائع، وسوف لن أدخر وقتاً ولاجهداً .. إن شاء الله في التجوال بين ربوعه والإستمتاع بما يحويه وقد يكون لنا فيه وقفات وتأملات .

والله يحفظكم ويسدد على طريق الخير خطاكم ،،،

المخلص

عبدالله بن محمد بن خميس



ص ب ١٧٩٨ - الرياض ١١٤٤١ - هاتف (مباشر ٤٨٢٤٤٥٥) ٤٨٢٤٩٩٣ - ٤٨٢٤٩٨٣ - ٤٨٢٤٨٦٥ - مقابل حي السفارات من الشرق - المملكة العربية السعودية
P.O. Box 1798 - Riyadh 11441 - Tel (Direct 4824455) 4824993 - 4824983 - 4824865 Opposite Diplom. Quarter Saudi Arabia

ورسالة رفعها الشيخ إلى الأستاذ محمد أحمد الخماش أحد أصدقائه والذي كان يعمل مدرساً في المدرسة الفيصلية في الحوية بالطائف[١]، شاكراً على معلومات قيمة أرسلها للشيخ ولكون هذه المعلومات تهم الشيخ في تأليفه عن القبائل وأخبارها، فقد كان لها صدى عنده، فبعث إلى صاحبها رسالة عرفاناً بفضله، والرسالة قصيرة موجزة تحوي مضمون الشكر بأسلوب رفيع واضح. يقول بعد مقدمة الرسالة والدعاء لصاحبه بالتوفيق الدائم (فلقد تلقيت ببالغ التقدير رسالة أخي المؤرخة في ١٣٩٩/٧/٢هـ، وقد أعجبت بمعلوماتك القيمة عن قبيلة الخماميش من قبائل (عتيبة) سنهتدي بها بإذن الله عند البدء في إعداد كتابنا عن هذه القبائل، ولا يسعني إزاء هذا إلا أن أبعث لكم شكري العميق، راجياً لكم مزيداً من التوفيق والسداد).

ويختم رسالته بخالص الود وصادق التقدير، ويرجو من أخيه قبول وافر تحياته.

ورسالة رقيقة أخرى وجهها إلى صديقه الأستاذ سليمان الحمد السكيت، شاكراً له على ما بعثه له من رسالة رقيقة، مرفق بها بعض القصائد[٢].

وضمن رسالته شكراً على محتوى رسالة صديقه، وما رافقها من قصائد قائلاً بعد المقدمة والسلام والدعاء لصديقه بالصحة والعافية: (فلقد وصلتني رسالتكم الرقيقة المؤرخة في ١٤٠٠/٢/١٢هـ مرفقاً بها بعض القصائد، وكم كانت ولا تزال سعادتي بها؛ لأنها من أخ عزيز له في النفس محبة ومعزة، ولا أملك إزاء هذا إلا أن أبادلكم نفس مشاعركم الطيبة، مع شكري العميق على عنايتكم ورعايتكم ووفائكم). ويختم رسالته بتكرار الشكر والتقدير.

ويتلقى الشيخ تهانيَ بمناسبة الأعياد الإسلامية من أصدقائه، فيبادلهم شكراً على ذلك في رسائل رقيقة.

---

(١) رسالة زودني بها الشيخ، مؤرخة في ١٣٩٩/٨/٣هـ.

(٢) رسالة زودني بها الشيخ، مؤرخة في ١٤٠٠/٢/١٣هـ.

ومنها ما بعثه إلى المكرم الشيخ دغيثر العبد الله الدغيثر، عندما تلقى منه تهنئة بمناسبة عيد الفطر المبارك، وتتميز رسائل الشيخ في ذلك المنحى بإيجازها واقتصارها على مضمونها الواحد، وهو الرد على التهنئة، وشكر صاحبها وإن كانت سلاسة الأسلوب، وصفاء العبارة ورقتها، هي سمة بارزة في تلك الرسائل، ولربما كان في عرض الرسالة بنصها كاملة، مساعدة لقارئ هذا البحث على استخلاص مميزات ومضامين رسائل الشكر والتقدير عند الشيخ عبدالله ابن خميس.

١١ ١٠ ٩٨

١٣ ٩ ٧٨

أخي الفاضل المكرم الشيخ دغيثر العبدالله الدغيثر المحترم

خالص تحياتي وكثير أشواقي لشخصكم العزيز - متمنيا لكم موفور الصحة والسعادة والتوفيـــق .. وبعد :

فلقد تلقيت بالاعزاز والتقدير تهنئتكم برسالتك المؤرخة ٣/١٠/١٣٩٨ بمناسبة عيد الفطر المبارك - أعاده الله عليكم وعلى الأمة الاسلامية باليمن والبركات .

ولا يسعني ازاء هذا الآن أن أتقدم لكم بشكري على هذه اللفتة الرقيقة ولمـــا حوت هذه الرسالة من معاني عميقة الجذور .. وانها ان دلت على شيء فانما تدل على مقدار ما تكنه لي من أخوة وصداقة عميقة أبادتكم اياها - الأمر الذي دائمـــا يترك في نفسي أثرا طيبا .

وانني اذ اكرر شكري لكم ، لأرجو الله أن يوفقنا جميعا لتوطيـــــــد دعائم لغة القرآن وآدابهـــا .

ومع أسمى اعتباري ، أرجو أن تقبلوا وافر تحياتي .

أخوكـــم

(عبدالله بن محمد بن خميس)

وقبل أن نسدل الستار على حديثنا حول الرسائل عند الشيخ الأديب عبد الله ابن خميس من حيث تصنيفها الموضوعي، أرى أنه لابد من الإشارة إلى بعض الرسائل العامة التي وجدتها على صفحات بعض الصحف والمجلات والتي كتبها موجهاً خطابه فيها إلى فئة اجتماعية، أو إلى مؤتمر دولي منعقد؛ طارحاً فيها رؤاه ومرئياته، حول بعض الشئون التي تعنى بتلك الفئة، وتلك الرسائل التي ما تشبه الخطب المكتوبة الموجهة إلى أناس يستمعون ويصغون. بها ثراء فكري ممتاز، ومضامين عليا، كما وأنها كتبت بلسان عربي مبين يتجاذبه اللفظ الواضح الجزيل، والعبارات القوية الجلية.

ويمكن أن تكون تلك الكتابات رسائل مقالية لها مقومات المقالة، وخصائصها ولعلني باستعراضها أترك فضاءات، ومساحات للنقاد لتصنيفها مع المقالات، أم في نطاق فن الرسالة.

الرسالة الأولى تحت عنوان حروف مضيئة وهي رسالة مفتوحة للمرأة من أصحاب الفكر والأدب، ولقد تبنت تلك الرسائل للمرأة السعودية جريدة عكاظ[١].

ولعل في إيرادي لنص الرسالة ما يعين على تصنيفها يقول: (أختي الكريمة أقدم لك تحيتي وتقديري وإجلالي، وأسمو بك وبما أنت بصدده من الطموح والمثابرة والسعي في طلب العلم، أنا بك لمعجب وقد تنتظرين مني في هذه العجالة أن أقدم لك النصيحة، وأزيدك من النصح والتوجيه، فما قصدت من رسالتي هذه أن أتوجه إليك بما تظنين إنما جئت لأبدي إعجابي، ولأبثك ما لدي من تقدير وإجلال).

ويواصل ابن خميس توجيه خطابه في الرسالة إلى المرأة، مبدياً أسباب ذلك التقدير الذي يمنحه لها قائلاً: (فلقد رأيت الشباب هداهم الله متجهين اتجاهات لا

---

(١) جريدة عكاظ، ع٦٧٨٩، الأحد ٢٢ ربيع الآخر، ١٤٠٥هـ، ص١٧١.

أقول إنها خاطئة، ولكني أقول إنها من غير المؤمل منهم، ورأيتكِ أنت تتجهين غير هذا الاتجاه وتسمين بنفسك إلى مدارج العلا والكمال، رأيت الشباب يتجهون إلى الرياضة وأشكالها وإلى الفن ويتجهون إلى القراءة الرخيصة بكل ما تحمله هذه القراءة من معانٍ واتجاهات، ورأيتهم يتجهون إلى الفيديو، وإلى الأشرطة وإلى ما أعرف وما لا أعرف، ورأيتهم يتجهون إلى الشعر الحر، والمنثور والأدب الرخيص، لا أقول كلهم ولكن ربما أقول جلهم ورأيتك أنت تتجهين إلى العلم بكل معانيه وأحواله وإلى جوانب الفكر الحي والسمو الديني والخلقي، فحياك الله وبياك، وبلغ بك الذروة و الكمال والجمال وأسرنا بما تنتهجين وبما تتوالين من اهتمام، وإني أخيراً بك لمن المعجبين، وباتجاهك لمن الفخورين).

والرسالة الأخرى وجهها إلى السادة رؤساء العرب؛ عندما انعقد مؤتمر القمة العربي الطارئ في عمّان[1] بدأها بتحية رفيعة المستوى تناسب قدر أولئك الرؤساء فقال: (أهدي تحياتي وإجلالي للسادة الملوك والرؤساء والأمراء العرب، وأحييهم تحية الإسلام، وأرفع أسمى تقديري لمقامهم الأسمى، وأبارك خطواتهم، وأدعو لهم بالتوفيق والتسديد في مؤتمرهم الذي سيلتقون على مائدته في عمان عاصمة الأردن).

وبعد هذه التحية الرفيعة يطلب منهم الأذن والسماح له بمخاطبتهم، برسالة مفتوحة؛ لكونه غيوراً على هذه الأمانة التي يحملونها، من أن تخدش أو تنال بسوء، ويبدأ طرح رؤاه وأفكاره عبر الرسالة متحدثاً عن أمور عدة، على رأسها القضية الفلسطينية، ومقدرات الأمة العربية وغيرها يقول: (إن مقدرات أمة العرب

---

(١) نشرت الرسالة في مجلة الحرس الوطني، السنة الثامنة، العدد الحادي والعشرين، ربيع الأول، ١٤٠٨هـ، ص١٨.

وضعت بين أيديكم، ومستقبلهم رهن لديكم، وبقدر ما هي شرف وعلو قدر، فهي ابتلاء وامتحان، وهذه الظروف التي تمر بها الأمة العربية هي لهم محك واختبار، أنكم تحملون أمانة ثقيلة وعبئاً تنوء به العصبة أولو القوة، وتتصدرونه لحمل أمانة تاريخ ثقيل وتراث بنته الأجيال أولو العزم بالدم والعرق والجهاد والنضال، وحافظوا عليه من أن ينقب أو ينقر حتى سلموه لكم وأنتم أمامه بين أن تضطلعوا به وتحملوه وتحافظوا عليه حتى تسلموه لمن بعدكم أو لا سمح الله تفرطون فيه، وتلك باقعة البواقع، وسبة التاريخ، وهنا يقال فيكم وعنكم:

أعطيت ملكاً فلم تحسن سياسته كذاك من لا يسوس الملك يخلعه

إننا نريد منكم منهجاً سليماً قوياً شأنكم فيه أن تقولوا:

كونوا جميعاً يا بني إذا اعترى خطب ولا تتفرقوا أفراداً
تأبى الرماح إذا اجتمعن تكسراً وإذا افترقن تكسرت آحاداً[١]

ويواصل الشيخ رسالته إلى قادة المؤتمر، ويتحدث بلسان الغيور على الأمة العربية، حديثاً قوياً جلياً تغلب عليه العبارات الانفعالية الحماسية، والصراحة الملتهبة والألفاظ ذات الجرس القوي، ومنها قوله (وهذه أول امتحاناتكم في هذا المؤتمر، ولابد أن تقفوا مواقف الرجال وتقولوا كلمة الأمانة والحق والصدق، ولا تقبلوا أنصاف الحلول ولا تأخذوا بأسلوب المواربة والمداجاة والمحاباة، وليكن نهجكم:

فإما أن تكون أخي بحق فأعرف منك غثي من سميني
وإلا فاطرحني واتخذني عدواً أتقيك وتتقيني

(١) البيتان للمهلب بن أبي صفرة، ذكره ابن خميس في كتاب [من القائل]، ٣/٦٠٤.

ورسالة الشيخ طويلة ذات شجون، يصعب التوقف عند جميع مواقفها، ويختم رسالته خاتمة يستشعر في الرؤساء والقادة الحماس والمسئولية قائلاً: [هذه نفثات مصدور، وخواطر محرور، يشعر بها جل شعوبكم، ويودون من صميم قلوبهم لو خرجت قرارات مؤتمركم تحملها إذاً لشفيتم غيظ النفوس ولداويتم جروحاً غائرة، وأمراضاً متكاثرة، ولشعرت الأمة بنجاح هذا المؤتمر، وإننا سلكنا في معالجة قضايانا الطريق السليم، والصراط المستقيم).

ج- الخصائص الفنية لفن الرسالة عند الأديب عبد الله ابن خميس:

عند استعراضنا لنوعي الرسائل التي كتبها الشيخ عبد الله ابن خميس: نجد أن لها سمات فنية أهمها:

١- ما يتعلق ببناء الرسالة:

وفي البناء نرى أن الشيخ لم يأت بطريقة غير معهودة في بنائه رسائله وإنما سار على ما كان معهوداً في الابتداء ثم المقدمة ثم عرض المضمون فالخاتمة ثم تذييل الرسالة.

والابتداء: وهو عبارة عن البدء بالبسملة ثم كتابة اسم المرسل إليه يليها عبارة السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ومثال ذلك:

بسم الله الرحمن الرحيم

(أخي الكريم الأستاذ حمد القاضي

مدير تحرير المجلة العربية   الموقر

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وأرجو لأخي دوام التوفيق والسعادة) (١).

وقد لا يأتي الشيخ بمسمى وظيفة المرسل إليه، إذا لم يكن له عمل رسمي معروف.

---

(١) رسالة زودني بها الشيخ عبد الله ابن خميس، مؤرخة في ١٣٩٩/٦/٢٣هـ.

ثم المقدمة: والمقدمات في الرسائل (تشبه أن تكون لبنة الأساس في شكل الرسالة الفني، فهي تأخذ بيد القارئ ليعبر إلى صلب الرسالة)[١].

ومقدمات ابن خميس دائماً ما تحوي الإشارة إلى أن رسائله تأتي ردوداً على ما يتلقاه من الآخرين من رسائل، ويتبعها غالباً بعبارات دعائية تمتزج بصادق مشاعره، وأحاسيسه تجاه من يراسلهم، ونلمس منها عادةً تواضعه الجم، ولين جانبه.

ننظر إليه مثلاً في مقدمة رسالة بعثها إلى الشيخ دغيثر العبدالله الدغيثر: (فلقد سعدت باستلام رسالتك المؤرخة في ١٣٩٨/٧/٢٢هـ، وأنست بها ورأيت بين سطورها أخاً عزيزاً له في نفسي منزلة خاصة، تحوطها كل المحبة والتقدير)[٢].

ثم يدخل الشيخ إلى مضمون رسالته وهو ما يمثل جوهر الرسالة، ولبها (ويعتبر أهم أجزاء الرسالة بلا منازع)[٣].

ومضامين الشيخ عبد الله ابن خميس جلية واضحة، بعيدة عن الغموض، وهي ذات أهداف ومقاصد سامية ومقنعة لمن طلب رأيه أو إفادته حول موضوع ما، وكذلك في حال أن تكون رسالته تتضمن طرحاً شخصياً، يريد عرضه على الآخرين.

ننظر إليه في رسالة رفعها إلى مقام صاحب السمو الملكي رئيس الحرس الوطني.. ومضمونها يتحدث عن صدور كتاب الشيخ ابن خميس [المجاز بين

---

(١) الرسالة الفنية في العصر العباسي حتى نهاية القرن الثالث الهجري. د. محمد محمود الدوري ـ ط١ـ عمان؛ الأردن، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م، ص٤٥.

(٢) رسالة زودني بها الشيخ، مؤرخة في ١٣٩٨/٨/٩هـ وبها عنوان المرسل إليه عنيزة، الشارع العام.

(٣) الرسالة الفنية في العصر العباسي حتى نهاية القرن الثالث الهجري، ص٤٩٢.

اليمامة والحجاز] وإهدائه لصاحب السمو الملكي نسخاً منه يقول: (حيث قد صدر كتاب [المجاز بين اليمامة والحجاز] أول كتاب من نوعه يتحدث عن جزء مهم من بلادنا، تاريخه وجغرافيته وصفته ومن يسكنه من القبائل قديماً وحديثاً، وما قيل فيه من الشعر، وما وقع فيه من الأحداث ... الخ)[١].

وللنظر إلى موضوع آخر طرقه الشيخ عبد الله ابن خميس في رسالة بعثها إلى الأستاذ عبد الكريم الجهيمان، وقت أن كانت "مجلة الجزيرة" تصدر، ضمّن الرسالة مواضيع الشهر التي سيرد نشرها في المجلة، كما وتضمنت الرسالة توجيهات أخرى من الشيخ ابن خميس بصفته رئيس مجلس إدارة المجلة إلى أحد أعضاء التحرير بها، وهو الأستاذ الأديب عبد الكريم الجهيمان.

والرسالة كتبت بخط يد الشيخ ابن خميس ومؤرخة في ١٣٨٠/٣/٢١هـ. وفيها توجيه من الشيخ لتشذيب وتهذيب الموضوعات التي وردت للمجلة، ووصلت إلى الشيخ شخصياً، وتوجيه آخر إلى الأستاذ الجهيمان لإحاطة المشاركين في إرسال موضوعات للمجلة، أنه ليس كل ما يكتب ينشر والتوجيه الأخير من الشيخ ابن خميس للأستاذ الجهيمان، بأن لا يفسح المجال لإطرائه فهو يرى أن الأعمال هي التي يجب أن تتحدث عن أصحابها، ولأن مضامين هذه الرسالة مركزة ومحددة وجلية؛ ولقصر هذه الرسالة ولكونها وثيقة مهمة ربما تعيننا على معرفة نهج الأديب في مجال نشر المشاركات الصحفية، ولأن بها دليلاً بارزاً على تواضعه، فقد رأيت تضمين صورة من الرسالة في هذا المبحث من مضامين الرسائل.

---

(١) رسالة زودني بها الشيخ، مؤرخة في ١٣٩١/٣/١٤هـ ورفعت من مكتبه في مصلحة مياه الرياض برقم ٩/٤٧ وأرفقت بها نسخ من الكتاب.

الجزيرة

مجلة شهرية ادبية اجتماعية
المملكة العربية السعودية
الرياض – ص ب ٣٥٤
هاتف الموزلة ١٦٢
شارع ... [illegible]

مرفقات

(٢) أخي الشيخ الأستاذ عبدالكريم الجهيمان المحترم

[illegible]

أخوك
عبدالله بن خميس

٢١/٢/١٣٨٠ هـ

وقبل أن نختم حديثنا عن موضوعات الرسائل، وخصائصها الفنية عند الأديب عبد الله ابن خميس لابد أن نشير إلى الأهداف من الرسائل الزاخرة بالمضامين السامية الرفيعة عند ابن خميس، وصلت إلى المتلقي بوضوح تام لبعدها عن الغموض والتعتيم والرمز، وقد أيقن الشيخ أنه يلزمه الوضوح؛ لأن الرسالة هي الوسيلة التي تربط بينه وبين من يرسل إليهم فجاءت مضامينه جلية تفصح عن الموضوع الذي كتبت من أجله.

وبعد طرح موضوع الرسالة تأتي [الخاتمة] وهي (وسيلة فنية يجلبها الكاتب للتخلص من موضوعه تخلصاً يذر المخاطب متعاطفاً مع ما يبثه في صلب رسالته من قضايا وآراء)(١).

والشيخ عبد الله بن خميس في خواتيم رسائله لا يلتزم صيغة واحدة، بل يأتي بعبارات عدة لا تخرج عن كونها دعوات مخلصة، وتكرار للشكر، وبث التحايا للمرسل إليه وأهله وذويه، أو يختم بعبارات إنسانية رفيعة أو رجاء قلبياً حاراً إلى الله.. ومن مثل ذلك قوله: (والحقيقة أن اهتمامكم هذا يستحق كل تقدير وإعجاب وفقكم الله لما فيه الخير ودمتم لأخيكم)(٢).

وقوله: (هذا وأرجو أن تبلغوا تحياتي للأسرة الكريمة كما هي لكم ممن لدينا رعاكم الله)(٣).

وقوله: (أشكركم وأثني على نشاطكم، وما تقدمونه لهذه الأمة من نتاج فكري والله يرعاكم)(٤).

وقوله: (وفقكم الله لكل خير وأسلموا للفضل والنبل)(٥).

وقوله: (ولكم خالص ودي وكبير احترامي رعاكم الله)(٦).

---

(١) الرسالة الفنية، في العصر العباسي حتى نهاية القرن الثالث، ص٥٠١.

(٢) رسالة من الشيخ إلى الجليل عبد العزيز الشعلان، مؤرخة في ١٣٩٩/٧/٢٢هـ.

(٣) رسالة من الشيخ إلى الشيخ سليمان السكيت، مؤرخة في ١٤٠٠/١/١٩هـ.

(٤) رسالة من الشيخ إلى الأستاذ محمد أحمد الشدي رئيس جمعية الثقافة والفنون، مؤرخة في ١٣٩٨/٥/١٥هـ.

(٥) رسالة من الشيخ ابن خميس إلى الأستاذ تركي السعد السديري أمير دومة الجندل، مؤرخة في ١٣٩٩/٧/١٤هـ.

(٦) رسالة من الشيخ ابن خميس إلى الأستاذ سليمان البهلال أمير منطقة رماح، مؤرخة في ١٣٩٩/١٢/١٧هـ.

وقوله: (وفقكم الله وسدد خطاكم؛ لتحقيق هذه الأهداف العظام ومع خالص تقديري لشخصكم الكريم أرجو أن تتقبلوا وافر تحياتي)[١].

وقد تختلف الخاتمة في صياغة عبارتها عندما يرفع الشيخ رسائله إلى القيادات العليا في الدولة؛ لأنها عادة ما تتضمن مقترحات ومرئيات، أو ردوداً على توجيهات من القيادة. ومن ذلك قوله: (راجياً أن ينال رضاكم وتقديركم حفظكم الله)[٢]. وقوله: (إنني أطرح هذا الاقتراح بين يدي سموكم، والله يحفظكم)[٣].

وقوله (أرى أن تسحب الفتوى، ويشدد على إنكارها، وينص على بطلانها سداً للذريعة، وحماية لحمى الإسلام، والله الهادي إلى سواء السبيل والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته)[٤].

ومن الأسس الفنية لبناء الرسالة التذييل:

وذيل الرسالة يأتي للإفصاح عن اسم المرسل، وتاريخ تحرير الرسالة (وغاية الذيل توثيقية محضة تدل على ما له علاقة بإنشاء الرسالة، كاسم المنُشِئ وتاريخ الإنشاء)[٥].

---

(١) رسالة من الشيخ ابن خميس إلى الأستاذ محمد عبد الرزاق القشعمي مدير مكتب الرئاسة العامة لرعاية الشباب بالأحساء، مؤرخة في ١٣٩٨/٥/٢٢هـ.

(٢) رسالة رفعها الشيخ ابن خميس إلى صاحب السمو الملكي الأمير فهد بن عبد العزيز ولي العهد، مؤرخة في ١٣٩٨/١/٣٠هـ.

(٣) رسالة رفعها الشيخ إلى صاحب السمو الملكي أمير منطقة الرياض، مؤرخة في ١٤٠٠/٣/١٥هـ.

(٤) رسالة رفعها الشيخ لصاحب السمو الملكي الأمير سلمان بن عبد العزيز أمير منطقة الرياض، مؤرخة في ١٣٩٩/٩/١٦هـ.

(٥) الرسالة الفنية في العصر العباسي حتى نهاية القرن الثالث، ص٥٦٣.

ومن هنا كان لابد للمرسل من كتابة الجهة التي تم على يديها إرسال الرسالة، بل يجب تأريخها؛ ليعلم في أي وقت حُرِّرت. عبد الله ابن خميس نجده في تذييله يحرص كل الحرص على تحرير التاريخ الذي أنشئت فيه الرسالة، وفي جميع رسائله نراه يضع التاريخ في أعلى الصفحة على يسار القارئ.

وعادة ما تصدر رسائله من مقر عمله في رئاسة القضاء، أو مصلحة مياه الرياض أو وكالة وزارة المواصلات، فيبقى رأس الورقة كما هو، وإن كان مضمون الرسالة لا يتعلق بالمنشأة التي يعمل فيها.. وإذا كانت الرسالة صادرة من مقر عمله، فإننا نجد مع التاريخ المكتوب على اليسار، رقماً للصادر وخانة للمرفقات والمشفوعات.

أما بالنسبة لاسمه فنراه في رسائله جميعاً يضع اسمه تحت كلمة [أخوكم] ويدون اسمه ثلاثياً مثل قوله:

أخوكم

عبد الله بن محمد بن خميس

وفي رسائل الشيخ للقيادات العليا:

نجد أنه يضع اسمه تحت كلمة المخلص هكذا:

المخلص عبد الله بن محمد بن خميس

وفي بعض الرسائل التي يرفعها الشيخ للقيادات العليا، وتتضمن خبراً أو إفادة لابد من إحاطة وسائل الإعلام بها، وكذلك إحاطة بعض دواوين الدولة بها، فإنه يذيل الرسالة مثلاً بقوله:

"صورة لسمو ولي العهد"

"صورة لسمو أمير منطقة الرياض"[1].

---

(١) رسالة رفعها الشيخ إلى جلالة الملك المعظم يخبره فيها بهطول الأمطار وامتلاء وادي نساح (بدون تاريخ).

"صورة مع التحية والتقدير لحضرة صاحب السمو الملكي الرئيس العام لرعاية الشباب"

"صورة للتلفزيون"

"صورة للإذاعة"[١]. وهكذا.

٢- أسلوب الرسالة من حيث:

١- المعاني الإسلامية الرفيعة.

٢- الجمل الدعائية والمعترضة.

٣- الاستطراد.

١- فمن المعاني الإسلامية التي زخرت بها رسائل الشيخ ابن خميس، وهو ذو الفكر الإسلامي والشعور الديني العميق، أن لا تخلو رسالة من رسائله سواء الديوانية أو الإخوانية من خالص الدعاء إلى الله لصاحب الرسالة، وعادة ما يزاوج بين الجانب الديني والإنساني.

وهذه المزاوجة جعلت رسائل الشيخ أثيرة في قوة بنائها، قوية في صياغتها، ومن ذلك قوله: (زادك الله من فضله، وتابع عليك نعمه الظاهرة والباطنة، وأدامك رمزاً لرجل العلم والفضل)[٢].

وقوله في رسالة أخرى: (وإنني إذ أشكر لسعادتكم هذا العمل الجليل، لأرجو من الله عز وجل أن يوفقكم، ويسدد خطاكم مع المخلصين؛ لتوطيد أركان

---

(١) رسالة رفعها الشيخ إلى جلالة الملك مرفقاً بها مشاركة منه في استنكار الاعتداء على الحرم المكي، مؤرخة في ١٤٠٠/١/٢٧هـ.

(٢) رسالة وجهها الشيخ إلى الدكتور الشيخ جابر الطيب بن علي عضو هيئة التمييز للمنطقة الغربية، مؤرخه في ١٣٩٩/١١/١٣هـ.

ودعائم ديننا الحنيف، وغرسها في نفوس شبابنا الناهض؛ لينطلقوا إلى الغد القريب من منطلق ديني أسسه ثابتة الأركان)[١].

وفي معرض آخر يقول: (ولا شك أن ذلك كله مرجعه إلى الإيمان الصادق، والجهود الطيبة المخلصة من رجال قد آمنوا بربهم ووطنهم، وحملوا الأمانة على عاتقهم، فكانوا أهلاً لها حتى أصبح الشكر لهم من نافلة القول)[٢].

٢- أما الجمل الدعائية والمعترضة التي وردت في رسائل الشيخ عبد الله ابن خميس، فنراه يبثها في ثنايا رسائله جميعها، ومن خلالها يدعو لصاحبه، ويحرص على ذلك، بل هذا هو منحاه في أدبه النثري، ولكنه ينوع في دعائه وتضرعه إلى الله بين الرسالة والأخرى لا لشيء من التمايز بين المرسل إليهم؛ لأن من يتوجه إليه بالدعاء هو الله الواحد الأحد إنما لأن مخزون الشيخ اللغوي كثير دائماً ما يسعفه لكل أمر.

ومن الجمل الدعائية قوله: (حفظكم الله بعنايته ورعايته)[٣]. وقوله: (وفقك الله وسدد خطاك ونفع بفكرك أمتك)[٤]. وقوله: (زادك الله من فضله، وتابع عليك نعمه الظاهرة والباطنة)[٥]. وقوله: (بيد السرور آخذ تهنئتكم بعيد الأضحى المبارك أعاده الله على الجميع باليمن والسعادة والتوفيق)[٦].

---

(١) رسالة وجهها الشيخ ابن خميس إلى مدير مكتب الرئاسة العامة لرعاية الشباب بالأحساء الأستاذ محمد عبد الرزاق القشعمي حول [الحج أشهر معلومات]، مؤرخة في ١٣٩٨/١/٣هـ.

(٢) رسالة إلى د. محمود سفر مؤرخة في ١٤٠٠/٣/٢٨هـ.

(٣) رسالة زودني بها الشيخ بعثها للشيخ سلطان السديري وكيل إمارة الجوف، مؤرخة في ١٣٩٩/٧/١٤هـ.

(٤) رسالة بعثها الشيخ لمعالي وزير الحج، مؤرخة في ١٤٠٠/٣/٢٨هـ.

(٥) رسالة بعثها الشيخ إلى الشيخ جابر الطيب بن علي، مؤرخة في ١٣٩٩/١١/١٣هـ.

(٦) رسالة بعثها الشيخ ابن خميس إلى أمير منطقة رماح بتاريخ ١٣٩٩/٢/١٧هـ.

أما الجمل الاعتراضية فترد في رسائل الأديب الشيخ ابن خميس في مواضع قليلة بغية الإيضاح، وإزالة اللبس كما في قوله: (وإذا كان ثمة قصور ــ وهو موجود بالفعل ــ فمن المسلمين لا من الإسلام)[١].

وقوله: (وقد أعجبنا بمعلوماتكم القيمة عن قبيلة الخماميش من قبائل (عتيبة) سنهتدي بها ــ بإذن الله ــ)[٢].

وقوله: (نشكركم أنا وزملائي أعضاء الرحلة شكراً جزيلاً على ما لقيناه من حفاوة وعناية وإكرام ــ أنتم أهل لها ــ)[٣].

٣- والاستطراد عند الأديب عبد الله ابن خميس ظاهرة بارزة حتى في رسائله وخاصة الرسائل الديوانية التي يرفعها إلى القيادة العليا في الدولة، فهي تتطلب منه تفصيلاً وإعادة تأكيد بعض الرؤى والمضامين.

ولقد برز لي ذلك الأسلوب في مكاتبات الشيخ التي يقترح فيها أموراً تنظيمية من موقع عمله في الدولة أو إفاضة منه في رأي طُلب منه حول كتاب أو قضية. ومن ذلك قوله (الواقع يا طويل العمر أن سفك دماء المناسك بمنى مشكلة كبيرة تواجهنا وتقتضي مواجهة جادة وعملاً مثمراً وجداً وحزماً لا يقبلان التسويف ولا التأخير)[٤].

ومن ثم نرى الشيخ بعد أن أبان أن قضية سفك دماء المناسك بمنى تعد مشكلة يجب مواجهتها، يتحدث عن الأمة الإسلامية، ودستورها الشريف قائلاً:

---

(١) رسالة رفعها الشيخ إلى صاحب السمو الملكي الأمير سلمان بن عبد العزيز، مؤرخة في ١٣٩٩/٩/١٦هـ.

(٢) رسالة بعثها الشيخ ابن خميس إلى الأستاذ محمد أحمد الخماش، مؤرخة في ١٣٩٩/٨/٣٠هـ.

(٣) رسالة بعثها الشيخ إلى عبد الرحمن السديري، مؤرخة في ١٣٩٩/٧/١٤هـ.

(٤) رسالة رفعها الشيخ إلى صاحب السمو الملكي الأمير سلمان أمير منطقة الرياض، مؤرخة في ١٣٩٩/٩/١٦هـ.

(كتاب الله وسنة رسوله اشتملا على سعادة الإنسانية ولم يتركا ثغرة للملحدين والمفسدين من أعداء الإسلام ومحاربيه الذين يتربصون به الدوائر، ويكيدون له سراً وعلناً، ويبحثون عن المغامز والمثالب التي تحط من شأنه، وتنقصه أمام هذا العالم المضطرب، وتياراته المختلفة وهو ولا شك براء من ذلك، وإذا كان ثمة قصور ــ وهو موجود بالفعل ــ فمن المسلمين لا من الإسلام)[١].

ويعود الشيخ إلى القضية التي يتحدث فيها مستطرداً الحديث مرة أخرى، فيقول: (إن قضية سفك دماء المناسك بمنى على هذا الحال، وبالشكل الذي نشاهده ويشاهده الغيور من المسلمين؛ ليأسفون كل الأسف أن توجد ظاهرة في الإسلام والمسلمين بهذه الشناعة، وهذا الوضع المؤسف جداً، إن القضية يا سمو الأمير لم تعد في حدود ما أمر به الإسلام وأن تكون نسكاً تقدم لمساكين الحرم ينتفعون بها وترفع من مستواهم المادي كما أراد الإسلام، ولكنها ويا للأسف تجاوزت ذلك إلى مئات الألوف من الأنعام تحشد في صعيد واحد، وتباد إبادة كبيرة في وقت واحد، مما يترتب عليه وجود تلال من الأنعام المذبوحة مركومة بعضها فوق بعض، وبحار من الدماء يخوضها الناس خوضاً ثم تشق لها أخاديد في الأرض، ويلقى بها فيها وتطمر في الأرض، وهكذا كل يوم دواليك)[٢]. إلى آخر ما جاء في الرسالة التي هي أطول رسالة وقعت بين يدي من رسائل الشيخ، فقد شغلت ما يقارب الأربع صفحات وشملت الحديث عن قضية فقهية أخرى إضافة للقضية التي أوردنا رأي الشيخ، فيها وهي قضية [قصر الصلاة في السفر].

---

(١) المرجع السابق.

(٢) المرجع السابق. وتجدر الإشارة إلى أن هذه الظاهرة تلاشت اليوم، حيث استحدث مشروع الإفادة من الهدي والأضاحي، فأصبحت توزع على فقراء العالم الإسلامي منذ عام ١٤٠٣هـ.

وهناك رسائل أخرى يتمثل فيها الأسلوب الاستطرادي، يضيق المقام عن ذكرها.

ولابد أن نقول إن استطرادات الشيخ ليست استطرادات مملة منفرة، بل أنها محببة للنفس تفتح مساحات واسعة للتأمل.

٣- الألفاظ والصور والمحسنات البديعية:

ألفاظ الشيخ عبد الله بن خميس في رسائله جزلة فصيحة قوية الجرس وهذه هي طبيعة ألفاظه في مقالاته وأدبه النثري عامة، ولعل الرسائل أشد ما تكون إلى الإبانة والإفصاح؛ لأن الأديب يحدث غيره عما يريده كتابة لا مشافهة في رسائله الديوانية والإخوانية.

ننظر إلى الشيخ ابن خميس في رسالة إلى الأستاذ حمد القاضي مدير تحرير المجلة العربية، وفيها إبانة ووضوح ولا مجال للحدس والتخمين في فهم مضمونها: (تلقيت رسالتكم ومعها بحث "أبي عبد الرحمن" وقد ألقيت عليه نظرة، وأعتقد أنه ليس هناك ما يمنع من نشره وإن كان في الحقيقة بحثاً علمياً لغوياً سوف لا يستفيد منه إلا القلة النادرة ومع ذلك، فلا أرى مانعاً من نشره)[١].

كما يلحظ القارئ أن ألفاظ الشيخ موحية بالمعنى الذي يقصده، فها هو يصور مدى الاغتباط لصديقه الابن البار الشريف محمد سليمان الجودي، عندما تحدث عن مجال الأدب عامة والشعر خاصة: (لقد كان من بواعث اغتباطي أن تطرقت في خطابك الشيق إلى المجال الذي كرست له حياتي، مجال الأدب عامة والشعر خاصة؛ لأنهما من الفنون الجميلة التي نرنو إليها كلما عز علينا بلوغها في عالم الحقيقة، وأن تخاطب العاطفة فيما تريد أن تبثه من مبادئ أو تصوره من إحساس صادق)[٢].

---

(١) رسالة زودني بها الشيخ، مؤرخة في ١٣٩٨/٦/٢٣هـ.

(٢) رسالة زودني بها الشيخ، مؤرخة في ١٣٩٧/٥/١٩هـ.

والشيخ يجيد نسج ألفاظه فيظهر أمامنا جودة السبك وجمال العبارة ومن ذلك قوله: (سبق أن كتبت لفضيلتكم منكرة غبّ عودتي من حائل، حيث لقيتكم ولقيت منكم كل إكرام وحفاوة وعناية، وشكرتُ لكم أخوتكم الكريمة وصداقتكم العميقة، وإنني أعزز لكم بهذا الخطاب مجدداً الصلة ذاكراً لكم بكل خير، وشاكراً ومقدراً)(١).

أما ما نثره الأديب عبد الله بن خميس في رسائله من صور فهي كثيرة تدل على خياله الخصب، وسعة أفقه، ولا غرو فهو الشاعر الناثر الذي تحدثت ببلاغته الركبان.

ومن ذلك قوله: (وبذا نحمي هذه الدرر من الضياع والتبدد عندما ننقلها من محدودية اللهجة البدوية إلى انفتاح اللغة الفصحى)(٢).

وهنا نراه شبه القصص التراثية بالدرر الثمينة التي يجب الحفاظ عليها، وقوله: (لقد تلقيت باعتزاز كبير رسالتك العاطرة المؤرخة في ١٤٠٠/١/٣هـ الحافلة بكل ما هو مسر ومبهج، وشممت منها رائحة الفضل والعلم تنفح من أردان رجل عرفته بالصفاء والوفاء، يقدر العلم و أهله)(٣).

وهنا نرى الشيخ وصف رسالة صديقه بالشيء الطيب الرائحة، وجعل للفضل والعلم وهما أمران معنويان جعل لهما رائحة زكية تبهج النفس.

وقوله: (والشعر الحر يا أخي ليس شعراً وليس حراً وإنما هو هذيان محموم وعفويات ثمل، ودسيسة أقحمها علينا الغرب، فآمن بها السذج وركبها المهوسون)(٤).

وهنا نرى الشيخ ابن خميس شبه الشعر الحر بالمركب الذي امتطاه السذج، والمهوسون تنفيراً منه على سبيل الاستعارة المكنية.

---

(١) رسالة زودني بها الشيخ ابن خميس، مؤرخة في ١٤٠٠/١/١٩هـ.

(٢) رسالة زودني بها الشيخ، موجهة إلى الشيخ دغيثر الدغيثر، مؤرخة في ١٣٩٨/٨/١٩هـ.

(٣) رسالة زودني بها الشيخ، موجهة إلى الأستاذ الشاعر خليل الفزيع، مؤرخة في ١٤٠٠/٢/١٣هـ.

(٤) رسالة موجهة إلى الشيخ محمد بن عثمان بن صالح القاضي، مؤرخة في ١٤٠٠/٣/٢٨هـ.

ومن خلال ما سبق نلحظ سمة بارزة في صور الشيخ ابن خميس الفنية التي يرسمها في رسائله، حيث تأتي أصوات الحروف موحية، ومعبرة عن الصورة الفنية فتزيدها قوة وجلاءً.

ومن مظاهر المحسنات البديعية: الاقتباس من القرآن، والاستشهاد من الشعر، والتضمين منه. وقد تناثرت تلك الاقتباسات والتضامين بين سطور الرسائل، عند الشيخ عبد الله ابن خميس فمن الاقتباس قوله: (زادك الله من فضله، وتابع عليك نعمه الظاهرة والباطنة)[١].

اقتباس من قوله تعالى **﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنْ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلا هُدًى وَلا كِتَابٍ مُنِيرٍ﴾** "سورة لقمان، الآية: ٢٠".

ومن التضمين قوله: (وإنني لعلى ثقة أنه عمل صادف أهله وقوس أعطيت باريها)[٢]. وهو تضمين من المثل العربي الوارد في البيت[٣]:

يا باري القوس برياً لست تحسنها لا تفسدنها واعط القوس باريها

أما الاستشهاد فورد في قوله: (ولا يفوتني بعد هذا إلا أن أشكرك من كل قلبي على هديتك القيمة، فقيمتها أنها منك وإني لمتقبلها؛ لما تعنيه من صداقة حقة ووفاء نادر.. وليس عندي من قول خير من قول الشاعر[٤]،[٥]:

سلام على الدنيا إذا لم يكن بها صديق صدوق صادق الوعد منصفا

---

(١) رسالة موجهة من الشيخ إلى الشيخ الدكتور جابر الطيب بن علي.

(٢) رسالة موجهة من الشيخ إلى الشيخ فهد بن خالد السديري.

(٣) انظر: مجمع الأمثال. الميداني، ج٢، ٢٤٤٥/١٩.

(٤) رسالة موجهة من الشيخ إلى الشريف الجودي.

(٥) البيت للإمام الشافعي، سبقت الإشارة إليه في هذا البحث.

وقوله: (وإذا كان ثمة قصور، وهو موجود بالفعل، فمن المسلمين لا من الإسلام).

لأن كان ذنب المسلم اليوم جهله فماذا على الإسلام من جهل مسلم[١][٢]

أما المحسّن البديعي اللفظي، فيأتي عند الشيخ ابن خميس دون تكلف (وإنني لأشكر لمعاليكم ما تفضلتم به في هذا الخطاب الرقيق، وأسأل الله أن يأخذ بيد الجميع لما فيه الخير والتوفيق)[٣].

وقوله: (تلقيت رسالتكم الكريمة ومعها هديتكم الثمينة (التنمية قضية) وقد أعجبت بالمؤلف وشكرت الهدية)[٤].

ومن السجع أيضاً قول الشيخ: (وأشعر أخي أن أثاث النادي السابق موجود لدي حينما أحرجني صاحب الدار التي استأجرناها له، بأن أسلم الإيجار، أو أخلي الدار)[٥].

ومنه قوله: (أخي إن صلتي بالدارة صلة خفيفة إلا أنني عضو في هيئة تحرير مجلتها ليس إلا. أما أعمالها وخباياها وخفاياها، فلا أعرف عنها شيئاً) [٦].

ومن المحسنات البديعية نرى الشيخ يلجأ إلى التورية للإبانة عن إعجابه بمجلة المنهل وما تحويه من جهد فكري، يقول: (وصلتني رسالة المنهل العذب المستفتية عن واقع أدبنا وما هو رأيي حول هذا الواقع)[٧].

---

(١) رسالة رفعها الشيخ لصاحب السمو الملكي الأمير سلمان بن عبد العزيز أمير منطقة الرياض.

(٢) البيت من شعر الرصافي، ذكره ابن خميس شاهداً في مقال: [أزهد الناس في الإسلام أهله] في كتاب من جهاد قلم، فواتح الجزيرة، ص٥٠٤.

(٣) رسالة موجهة من الشيخ ابن خميس لمعالي وزير التعليم العالي الشيخ حسن بن عبد الله آل الشيخ ١٨/١/١٣٩٩هـ.

(٤) رسالة وجهها الشيخ لمعالي وزير الحج.

(٥) رسالة وجهها الشيخ إلى أبي عبد الرحمن بن عقيل رئيس النادي الأدبي بالرياض آنذاك، مؤرخة في ١٦/٦/١٣٩٨.

(٦) رسالة موجهة إلى الشيخ عثمان القاضي ٢٨/٣/١٤٠٠هـ.

(٧) رسالة وجهها الشيخ للأستاذ عبد القدوس الأنصاري، مؤرخة في ١٦/٥/١٣٩٨هـ.

رابعاً: الدراسات الأدبية الموجزة وخصائصها الفنية:

يرى الأديب عبد الله ابن خميس أن الأدب حاوٍ لكل المعارف الإنسانية النظرية.. والمطلع على نتاج الشيخ يدرك مدى دأبه البحثي في كل ما يظنه يخدم المجتمع، ولأنه تميز بثقافة عالية، وملكة أدبية، وجلد وصبر، فقد أصبح كاتباً متنوع الأغراض، متعدد الاتجاهات.

ولقد ظهرت في الساحة الأدبية عدة دراسات أدبية بحثية للشيخ ابن خميس ألقاها في ندوات أو مؤتمرات أو على شكل محاضرات في لقاءات أدبية مختلفة، ونلمس في كتابه من جهاد قلم، محاضرات وبحوثاً كماً ثرياً غنياً من تلك الدراسات؛ جمعها كما جمع مقالاته النقدية وفواتح جريدة الجزيرة.

وتجدر الإشارة إلى أن دراسة الشيخ ابن خميس للأدب الشعبي في كتابه [الأدب الشعبي في جزيرة العرب] تعتبر رائدة في مضمونها(١).

وبما أنها دراسة مفصلة مستفيضة، فلا يمكن استعراضها في هذا الجزء من البحث.

ونستعرض بعض تلك الدراسات الأدبية الموجزة إشارة إلى اهتمام الشيخ بجوانب البحث الأدبي، ورمزاً لنظرته الشمولية للإبداع وجوانبه المختلفة، ومن تلك الدراسات الأدبية التي نجد الشيخ فيها يلتصق بأصالته الأدبية ويتحمس لها بفطرته، وموهبته في منهج نقي يظهر مدى براعة الشيخ في هذا المجال من الدراسة الأدبية، فهي مستفيضة في العرض والتدليل، وبها جهد فكري، وآراء أدبية ونقدية ولغوية قيمة جديرة بالبحث، وكانت لها مناسبات مرموقة كالمؤتمرات الأدبية ومنها:

---

(١) الحركة الأدبية في المملكة العربية السعودية. بكري شيخ أمين، ص٥٥٥.

١- التضمين والاقتباس لدى شعراء الغزل[1].

بدأ الشيخ هذه الدراسة ببيان دور المحسنات البديعية في الشعر العربي قائلاً: (لعبت المحسنات البديعية دوراً كبيراً في الشعر العربي، وركبها الشعراء مطايا يتنافسونها، ويتبارون في تطعيم أشعارهم بها، وتفويف[2] أساليبهم بمستجادها ومبتكرها)[3]. ومن خلال الدراسة يُظْهِر لنا رأيه كأديب وناقد حول دخول الصنعة في الشعر، وأنّ المحسنات البديعية هي الباب الذي ولجتْ منه الصنعة إلى الشعر، ويؤكد ابن خميس في مقدمة دراسته غزارة الأنواع البديعية فيقول: (لقد بلغت فنون البديع ما يزيد على مئة فن في مقدمتها الجناس، والتورية، والاقتباس، والتضمين، والطباق، والمقابلة، ومراعاة النظير والتجريد ... الخ).

وللشيخ رأي نقدي في تلك المحسنات ضمنه تلك الدراسة وهو أن تلك المحسنات تفقد الشعر العربي أسلوبه الطبيعي، وملكته الأصيلة، فإنه ليس التكحل في العينين كالكحل[4].

ويؤكد ابن خميس رؤيته النقدية بطرح بعض الأبيات، والمقارنة بينها من حيث الانسجام والأصالة وينتقد رأي بعض النقاد الذين يرون أن الشعر ما هو إلا موسيقى مشحونة بالضجيج الصاخب، وأنه بناء مزخرف، ورسم مزوق، وموسيقى هادرة، وتشبيهات متتابعة، ومحسنات منتظمة، ويخالفهم الشيخ في ذلك الرأي؛ بأن الشعر عاطفة مشبوبة وإيحاء نفسي متأنٍ لأهله ممتنع على غيرهم، ويرى أن الشعر ما جاء عفو الطبيعة وهو الملكة يسمح به الخاطر، وتفيض به النفس، وتروضه الشاعرية، ويبقى خالداً متجدداً.

---

(١) من جهاد قلم، محاضرات وبحوث.ـ ط١.ـ الرياض: مطابع الفرزدق التجارية، ١٤٠٢هـ، ص٢٥٥-٢٦٤. وانظر: البحث منشورا في المجلة العربية عدد ممتاز، ١٠-١١ شعبان/ رمضان ١٣٩٨هـ، ص١٣-٢٠.

(٢) تفويف: وهو البرد الرقيق ويقصد به التجميل، انظر: لسان العرب، مادة فوف، ٩/٢٧٤.

(٣) من جهاد قلم، محاضرات وبحوث، ص٢٥٥.

(٤) المرجع السابق، ص٢٥٦.

وبعد هذه المقدمة المسهبة في هذه الدراسة، يدلف إلى موضوع دراسته؛ فيعرف كلاً من الاقتباس والتضمين، ويضرب بأطنابه في التدليل على هذين الفنين البلاغيين، وبعد تعريفهما يذكر أن التضمين والاقتباس قد يأخذان مكانهما في أساليب الشعراء، متفقين مع الذوق السليم، والأسلوب القويم، لا يظهر فيهما قصد الصنعة ولا ارتياد الطريق الوعرة، وأحياناً يكونان نشازاً متكلفاً مقسوراً.

ويرد الشيخ ذلك إلى إجادة الشاعر، وحذقه وإخضاعه الأساليب القرآنية الحكيمة أو الأحاديث النبوية الشريفة؛ لغرضه الشعري، ويجعلهما منسجمين مع معاني قصيدته.

ويذكر في دراسته أن بعض الشعراء لا يقصدون من المحسنات، إلا التفاصح، وإبراز القدرة في الصنعة، ومن ثم يطرح الشيخ ابن خميس، نماذج من الاقتباس الذي جاء على ألسنة بعض الشعراء في غرض الغزل، ومنهم الشاعر صفي الدين الحلي[١] حين قال، واصفاً محبوبته:

جلّ الذي أطلع شمس الضحى ... مشرقة في جنح ليل بهيم
وقدَّر الخال على خده ... (ذلك تقدير العزيز العليم)

وينثر ابن خميس الأبيات نثراً أدبياً موضحاً الاقتباس الذي يرى الشيخ أن الشاعر أراد إخفاءه ما أمكنه ذلك، ويسهم الشيخ بإيراد أبيات أخرى لشاعر آخر يصف العيون السوداء القاتلة قائلاً:

يا رب إن العيون قاتلتي ... وإن عاشقها لا زال مقتولاً
إني تعشقتها عمداً على خطأ ... (ليقضي الله أمراً كان مفعولا)[٢]

---

(١) صفي الدين الحلي: هو عبدالعزيز بن برايا بن علي بن أبي القاسم. ولد في الحلة بالعراق سنة ٦٧٧هـ. مدح الملك الناصر بالقاهرة. له ديوان شعر مطبوع، انظر الأعلام، الزركلي، ١٧/٤.

(٢) من جهاد قلم، محاضرات وبحوث، ص٢٥٨.

وابن حجر العسقلاني[١]. أصبح خبر مدامعه الجارية حديث الناس وهو يحب أن يصون هذا الدمع ويخفيه فيقول:

خاض العواذل في حديث مدامعي لمـــا جرى كالبحر سرعة سيره
فحبســـته لأصـــون ســـر هواكم (حتى يخوضوا في حديث غيره)

ومن التضمين يبث الشيخ عبد الله ابن خميس بعض الأبيات مؤكداً على استخدام الشعراء لهذا الفن البلاغي، وأنهم جعلوه باباً من أبواب الصنعة الأسلوبية. يقول إن شاعراً ضمن شعره معنى لطيفاً لغيره، فجاء ذلك التضمين حلواً طريفاً.

ويعلق الشيخ ابن خميس على بيت ينسب للشاعر امرئ القيس

يطعمـــون الـــناس غـــباً فـــي الســـنين الممحـــلات
(فـــي جفـــان كالجوابـــي وقـــــدور راســـــيات)

يقول الشيخ: إن ما ورد في شعر امرئ القيس مما جاء في القرآن أنه إذا لم يكن الانتحال، وعبث الرواة، فإن القرآن جاء موافقاً لكلام العرب نصاً مثلما جاء موافقاً له معنى ولغة.

ويدلل الشيخ في دراسته بأبيات كثيرة اقتبس فيها الشعراء من القرآن وضمنوا من أقوال غيرهم وينثر معاني تلك الأبيات بلسان عربي مبين.

ويختم الشيخ دراسته بما توصل إليه، وجمعه خلال الدراسة من حقائق حيث يقول:

---

(١) ابن حجر العسقلاني: أحمد بن علي بن محمد الكناني العسقلاني. ولد سنة ٧٧٣هـ، أصله من عسقلان بفلسطين. ولد وتوفي بالقاهرة من مؤلفاته [الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة]، و[لسان الميزان]، وغيرهما، انظر: الأعلام. الزركلي، ١/١٧٨ .

(وهكذا نرى الشعراء قد ولجوا بالشعر كل مولج، وتفننوا في أساليبه، وتأنقوا في صنعته، ولكنهم لا يتجاسرون على حماه، ولا يعتدون على حرمته، كما يفعل صبيان شعر هذا الزمان في الإطاحة بمبناه والتلاعب بمعناه وتغيير سحنته)[١].

٢- ومن الدراسات الأدبية الموجزة محاضرة بعنوان [الأدب العربي بعد الخامس من حزيران][٢]:

وقد ألقاها الشيخ عبد الله ابن خميس في مؤتمر الأدباء العرب السابع المقام في بغداد عام ١٣٨٩هـ، وفيها استعرض واقع الأدب العربي بعد نكبة حزيران، ووزنه ميزاناً منصفاً، وبين أن الأدب جزء من الواقع، وكان موضوعياً في طرحه حيث ألبس الأدب صفة الأصالة والجزالة والقوة، ولكن الشيخ لم يبرئه من اهتزاز الشخصية وغموض الملامح، وعدم توحيد الاتجاه، وأن العوامل والمؤثرات في ذلك الأدب تنبع من ذاته. وتطرق ابن خميس إلى أربعة محاور لمعالجة واقع الأدب بعد الخامس من حزيران:

أولها: محور الصراع بين القديم والجديد، وبين التراث والموروث وبين الجديد والمستورد، وفيه أورد الأديب عبد الله بن خميس الحيرة بين الأسماء والمسميات (الكلاسيكية والرومانسية والرمزية، والمعارك الأدبية بين الشعر العمودي والحر والمنثور والرمزي). ويختم المحور بعد معالجة مستفيضة بسؤال عن نصيب القضايا العربية الراهنة من ذلك المحصول[٣].

وثانيها: أن الأدب العربي اتخذ سلوكاً بعيداً عن مفهوم الأدب، ونهجه في معالجة القضايا العربية، فبدلاً من أن يلامس العاطفة، ويخاطب الضمير، ويحرك الوجدان ويستثير الهمة وجده الشيخ ابن خميس أدباً يلجأ إلى التحليل

---

(١) من جهاد قلم، محاضرات وبحوث، ص٢٦٠ .

(٢) المرجع السابق، ص١٦١.

(٣) المرجع السابق، ص١٦٣.

الاجتماعي، والتقييم الاقتصادي، والبحث السياسي، ويسلك الطرق العلمية التي تحتاج إلى كد الذهن في فهمها.

وثالثها: ضعف الرابطة التي تجعل القارئ العربي على صلة تامة بالحركات الأدبية في العالم العربي أولاً بأول وتقصير وسائل الإعلام والصحافة الأدبية ودور النشر في أداء رسالتها مما يوهن جانب الأدب(١).

ورابعها: أن الأدب العربي تابع المفاهيم والاتجاهات السياسية والعقائدية والحزبية القديمة و الحديثة وتأثر بما هنا وهنالك من حركات تطرأ بين الحين والحين فلا ظهراً أبقى ولا طريقاً قطع(٢).

ويختم الشيخ ابن خميس طرحه مبيناً ما كان يجب على الأدب العربي في مؤازرة المعركة قائلاً: (كان على الأدب أن يغذي المعركة بأمثال شعر البارودي، والرصافي، وأبي ريشة، وبدوي الجبل، والأخطل الصغير، وفؤاد الخطيب، وأمثالهم، ويمثل نثر الأفغاني، ومحمد عبده، والكواكبي، والزيات والرافعي، وأضرابهم. كان على الأدب أن تتحرك روابطه وجمعياته وأنديته، لعقد الندوات، وإجراء المسابقات، وأن يوقظ في أمة العرب الثأر لدمها المطلول، وعزتها المهانة، وحقها المغتصب)(٣).

وفي صورة بيانية رائعة يصور الشيخ المشاركات التي أسهم بها الأدب في المعركة، بأنها كالشظايا التي تبرد قبل أن تقع على الأرض، وأنها كالنغمات المتقطعة التي لا تلبث أن يبتلعها الصدى، وتذهب أدراج الرياح(٤).

٣- ومن الدراسات الأدبية للشيخ عبد الله بن خميس ما ألقاها في نادي مكة الأدبي مساء الأربعاء الموافق ٢٤/٤/١٤١٠هـ بعنوان شعراء من

---

(١) من جهاد قلم، محاضرات وبحوث، ص١٦٤.

(٢) المرجع السابق، ص١٦٥.

(٣) المرجع السابق، ص١٦٧.

(٤) المرجع السابق، ص١٦٩.

قلب الجزيرة [الأعشى][١]. وفيها بدأ بالتعريف بالشاعر الأعشى: وأنه ميمون بن قيس بن ثعلبة بن بكر بن وائل أبو القبائل الكثيرة، وهو بقبيلة حنيفة ألصق؛ لأن شهرتها وكثرتها وسمو مكانتها أكبر من غيرها، ويلقبونه بالأعشى لضعف بصره، ويكنونه بأبي بصير.

ويذكر الشيخ في دراسته أن الملقب بالأعشى من الشعراء سبعة عشر شاعراً، ويشير الشيخ إلى أن مصدر معلوماته تلك عن وجود ذلك اللقب عند آخرين هو الآمدي[في كتابه المؤتلف والمختلف].

ويدخل الشيخ في مضمون موضوعه مبيناً أن الأعشى كان شاعراً مفلقاً امتاز بجودة الشعر وكثرته، حتى أن بعضهم فضله على شعراء الجاهلية، وكانوا يسمونه [صناجة العرب] ولهذا قالت قريش حينما اعترضته في طريقه وهو وافد إلى النبي صلى الله عليه وسلم: (إن هذا صناجة العرب والله لأن مدح محمداً ليضرمن عليكم نيران العرب بشعره، وقد عرضت عليه قريش أموالاً فأبى حتى عرضوا عليه مئة من الإبل فقبلها ليعود إلى بلاده قبل أن يلقى محمداً صلى الله عليه وسلم).

ووضح ابن خميس أن بلد الشاعر هي [منفوحة] وهي جزء من منطقة اليمامة وقد ذكرها الأعشى في شعره[٢].

ومن منهجية الشيخ في تلك الدراسة أنه تطرق إلى أغراض شعر الأعشى ومنها المدح الذي نال به أعطيات سادة القبائل نظراً لتجواله في الآفاق وعدَّ بعضاً ممن مدحهم وذكر أسماءهم وأورد مطلع قصيدة الأعشى في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم:

ألم تغتمضْ عيناَك ليلةَ أَرْمَدا   وبتَ كما باتَ السليم مسهدا

---

(١) جريدة عكاظ، ع/الجمعة ٢٦ ربيع الآخر ١٤١٠هـ، ص٦-٧.

(٢) ذكره ابن خميس في تاريخ اليمامة حي من أحياء الرياض، انظر: تاريخ اليمامة، ج٣، ص٢٩٢.

والقصيدة شاعت وذاعت والأعشى لم يقابل الرسول صلى الله عليه وسلم لما فعلته قريش.

ومن ثم تطرق إلى الغزل الذي وصفه بالرقة، ويطغى عليه الجانب الحسي إضافة إلى الاحتفاء بالذات ويذكر الشيخ أن هذه الصفة موجودة في كثير من شعراء الجاهلية، ويورد نماذج من غزل الأعشى ومنها مطلع معلقته:

ودع هريرة إنّ الركب مرتحل وهل تطيق وداعاً أيها الرجل؟!

وفي ختام الدراسة أوجز الشيخ الخصائص الفنية والمعنوية لشعر الأعشى. وأكد على فصاحة لفظه، وقوة معانيه، وسليقته العربية:

٤- والدراسة الرابعة التي سأعرضها في هذا الجزء من البحث هي التي ألقاها الشيخ عبد الله بن خميس في مؤتمر الأدباء السعوديين، الذي أقيم في جامعة الملك عبد العزيز في غرة ربيع الأول من عام ١٣٩٤هـ تحت عنوان (الشعر النبطي امتداد للشعر الفصيح)(١).

في هذه الدراسة يطرح ابن خميس رأياً دائماً ما كان يظهره في كثير من كتاباته ولقاءاته الحوارية الأدبية على صفحات الجرائد والمجلات وهو تأكيد أن الشعر النبطي امتداد للفصيح ولكون هذا الرأي الأدبي النقدي لدى الشيخ وجد معارضة وضجة من أرباب الفصحى وظهرت تلك المعارضات لآراء الشيخ علناً على صفحات الجرائد والمجلات؛ إلا أن الشيخ ما زال يؤكد هذا الرأي ويطرحه ويدلل عليه فكانت الدراسة حوله مبحثاً ألقاه في مؤتمر الأدباء السعوديين في جامعة الملك عبد العزيز في جدة غرة ربيع الأول عام ١٣٩٤هـ.

ويبدأ الشيخ دراسته بمقدمة شيقة أبان فيها أن الشعر تفتقت عليه قرائح العرب الجاهليين، وتفجرت ملكاتهم، وزخرت مواهبهم، وتركوا عطاء هو أسمى ما وصل إليه الشعر وأغلى ما يدخره الأدب.

---

(١) من جهاد قلم، محاضرات وبحوث، ص١٩٥.

ويضيف الشيخ إن الروافد التي أمدت ملكات الشعراء آنذاك ليست وليدة الدرس والتلقي، ولا استقراء الأسفار وتقفر المدونات، ولكنه الاستعداد الطبعي، وعلو منزلة بضاعة الشعر.

وبعد هذه المقدمة المجملة يفصل الشيخ، أن الجزيرة العربية عندما خرجت من عزلتها وإنداح ظل الإسلام في أقطار الأرض وأصبحت الموجات تنثال عبر الفتوحات الإسلامية، وبالمقابل جاءت موجات من شتى الأجناس تحمل مزيجاً من اللغات التي استقرت في جزيرة العرب. ويدون الشيخ في دراسته تلك الأسباب التي جعلت تلك اللغات تستقر في جزيرة العرب قائلاً: (استقرت اللغات في جزيرة العرب، حيث مهابط الوحي، ومنطلقات الإسلام ومجاورة الرعيل الأول، ممن يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة، فكان الجوار وكانت المصاهرة، وكانت التجارة وكان الاختلاط، وكانت المحاكاة)[١].

وفي تسلسل جيد مزج فيه الشيخ بين الوثائق التاريخية الأدبية، وبين ما توصل إليه خلال استقرائه وتحليله لكثير من الظواهر الأدبية واللغوية، ومنها دخول العجمة على اللسان العربي، فيذكر من أسباب ذلك أن الرعيل الأول ممن رسخت ملكة الفصحى على ألسنتهم، قد انقرضوا وأعقبهم الجيل الثاني الذي نشأ متأثراً بما حوله، وبمن حوله.

ثم يوضح مظاهر تلك العجمة التي استهدفت اللسان العربي القويم، وهي أنها وقذته[٢] باللحن وخبلته[٣] بسوء التصريف، ووصمته بالليونة، وغثاثة النطق.

---

(١) من جهاد قلم، محاضرات وبحوث، ص١٩٥.

(٢) وقذته: أي ضعف وصار مريضاً، انظر المعنى في لسان العرب مادة وقذ ٣/٥١٩.

(٣) خبلته: الخبل في عروض البسيط ذهاب السين والفاء من مستفعلن، مشتق من الخبل الذي هو قطع اليد أي بقي التصريف مضطرباً، انظر: لسان العرب، ابن منظور، مادة خبل ١١/١٩٦.

وحيث عرفنا الشيخ ابن خميس معتزاً بأصالة الأوائل من رعيل هذه الأمة في غيرتهم على لغتهم، فقد بين خلال الدراسة جهود الغيارى من حفظة لسان هذه الأمة، وما صنفوه من أسفار تعنى بحفظ مصطلحات اللغة الأصيلة، وجعلوا لها تعاريف جامعة مانعة، يقول الشيخ مشيداً بتلك الجهود (فأصبحت علوماً لها أسفار، ولها مريدون متخصصون ولها دور ومعاهد وأروقة لحفظ اللغة، وضمان بقائها مدونة خوفاً عليها من الضياع والبوار)[١].

ويقر ابن خميس أن تلك الجهود وإن علت، لا تستطيع أن تعصم الملكة من العجمة أو تحول بين اللسان وبين اللحن والتحريف في التصريف.

ويدلل على أن السليقة والملكة العربية تصدران عن طبع بأن أربعة ممن ذكروا في التاريخ، وعاشوا في صدر الإسلام، وعرف عنهم أنه لم تحفظ عليهم لحنة واحدة وهم (عبد الملك بن مروان)، و(الحجاج بن يوسف)، و(الشعبي)، و(أيوب بن القرِّيَّة) هؤلاء لم يتلقوا العلوم من المدونات، ولكنهم أدركوا البقية من عرب السليقة والملكة والفطرة.

ومن ثم يبين الشيخ جهود الرواة في جمع اللغة، حيث كانوا يقصدون الأعراب ويأخذون عنهم، وكانوا إذا لقوا الأعرابي وشكوا في سلامة لغته امتحنوه، وربما وضعوا له قياساً غير صحيح، فإن نطق به أو أقره طرحوا لغته، وإن أبت سليقته، ذلك أخذوا عنه.

ويورد الشيخ مثالاً على حرص الرواة في جمع اللغة بقوله: قال ابن جني[٢]: سألت مرة الشجري (وهو أعرابي من عقيل كانوا يرجعون إليه في

---

(١) من جهاد قلم، محاضرات وبحوث، ص١٩٦.

(٢) ابن جني: أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي. ولد قبل الثلاثين وثلاثمائة، وتوفي في نصف سنة اثنتين وتسعين وثلاثمائة للهجرة، له من المصنفات [الخصائص] [وإعراب الحماسة] وغيرها، انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي، ١٧/١٧.

اللغة، ومعه ابن عم له كان دونه في الفصاحة، وكان اسمه غصناً، فقلت لهما، كيف تحقران حمراء، فقالا حميراء، وواليت من ذلك أحرفاً وهما يجيئان بالصواب ثم دسست في ذلك (علباء) فقال غصن: عليباء وتبعه الشجري، فلما هم بفتح الباء تراجع كالمذعور ثم قال آه (عُلَيبى)][(١)].

وفي الدراسة يذكر الشيخ أسماء القبائل العربية البعيدة عن جو العجمة وعن مجاورة مدخولي اللغة، والتي يأخذ عنها علماء اللغة، وهي قبائل (قيس، وقريش، وتميم، وأسد، وهذيل، وكنانة، وبعض طيئ).

وفي المقابل يذكر الشيخ القبائل التي يتحاشى العلماء أخذ اللغة منهم لمجاورة بعضهم للفرس، ومجاورة الآخرين للأحباش؛ ولأن بعضهم أهل تجارة، ونقلة واختلاط بمشبوهي اللغة.

فمن تلك القبائل يذكرهم الشيخ فيقول: (ويتحاشون الأخذ من لخم وجذام، وقضاعة، وغسان، وإياد، وتغلب، ويمن الجزيرة، وبكر، وعبد القيس، وأزد عمان، وبني حنيفة، وثقيف)[(٢)].

وفي ثنايا الدراسة يذكر الشيخ أن علماء اللغة خلصوها من اللهجات الشائعة في بعض القبائل مثل: طمطمانية حمير، وكشكشة ربيعة، وكسكسة هوازن، وفحفحة هذيل، وعجعجة قضاعة، وشنشنة اليمن، وعجرفة ضبة[(٣)].

وبعد ذلك التفصيل يدلف الشيخ إلى بيان حال اللغة مع تقلب أوضاع القبائل، امتداداً وانكماشاً ونزوحاً وهجرة، وأثر ذلك فيما فَقَدَ اللسان العربي من الخطباء المقاويل، والشعراء الذين يُصْدِرون عن طبع. ويضفي الشيخ من بليغ

---

(١) من جهاد قلم، محاضرات وبحوث، ص١٩٦.

(٢) المرجع السابق، ص١٩٨.

(٣) انظر: تفسير هذه اللهجات وأمثلة منها في [اللهجات العربية] للدكتور إبراهيم أنيس، الصفحات: ١٥٣-١٥٧.

بيانه وصفاً بديعاً لشعراء الرعيل الأول فيقول: (وفقد اللسان العربي شعراء يُصْدرون عن طبع، ويتنفسون عن سليقة، ويمتحون من معين ثر، يحبِّرون القصائد على ظهور النياق، وفي رحاب الفلوات ويستلهمونها من انثيال النعم، ومنادمة الأطلال، ومطاردة الأوابد، ومن مناجاة القمر، ومسامرة الدراري وسكون الليل، فتأتي عقوداً مصنفة ولمماً مفوفة، وروائع تملأ مسامع الزمن، وترددها القرون وتتناقلها الأجيال)(١).

ويصل الشيخ إلى العمق من الدراسة، ويطرح رأيه الذي تبناه وأكده، ودلل عليه وهو أن ما ظهر على الساحة الأدبية مما يسمى الشعر النبطي ما هو إلا شعر فصيح داخلته العجمة، وأصابته الليونة وغزاه الدخيل من اللفظ، حتى توارد على ألسنة الشعراء وسلك جميع الأغراض، وولج شتى المذاهب، ولم يزل مع تعاقب السنين(٢) إلى أن ظهر في صورة الشعر النبطي، وبعضهم يسميه الشعر الشعبي والبعض الآخر يسميه الشعر الملحون، ويذكر الشيخ أن ذلك الشعر ربما سمي نبطياً؛ لأنه متأثر بلغة الأنباط المدخولة وهي مزيج من اللغة العربية وغيرها؛ لأن الأنباط ليسوا عرباً، ولهم ألوان شعبية وألحان، وأصوات موسيقية يُطْرِبون بها الناس، ويستجلبون نوالهم.

كما يورد الشيخ رأياً آخر حول تسمية ذلك الشعر نبطياً وهو أنه مستنبط أي مخترع على غير مثال سبق، وقول آخر مفاده أنه من النبطة وهي الشبه والعلامة، فكانت صورته التي جاء عليها بمنزلة السمة التي تميزه عن غيره.

---

(١) المرجع السابق، ص١٩٨.

(٢) يذكر الشيخ في مقاله النقدي [حكمك جائر يا هذه] أن الشعر الشعبي عاش في جزيرة العرب أكثر من سبعة قرون وأنه خلال ذلك احتفظ بتاريخ ما أهمله التاريخ، انظر: من جهاد قلم، في النقد، ص١٠١.

ومن الطريف الذي ذكره ابن خميس في هذه الدراسة أن الشعر الشعبي سمي بذلك؛ لأن أكثر من يعنى به سواد الشعب وعامتهم، وأن الناس ينسبون إلى الشعب كل ما كان ذلك مثل قولهم حي شعبي، ومقهى شعبي.

أما تسمية ذلك الشعر بالملحون فيرجعها ابن خميس لما فيه من اللحن ومجافاة قواعد الفصحى.

وفي مضمون الدراسة يطرح ابن خميس رؤيته حول أوجه التشابه بين الشعر النبطي، والشعر العربي الفصيح ويسردها مؤكداً ما يقول: (وأيما كانت التسمية وتعليلها فهو امتداد للشعر العربي الفصيح، يحمل خصائصه وأغراضه، ويعوِّل عليه في أوزانه وقوافيه، ويلتقي معه في أخيلته وصوره، ويجاريه في موسيقاه وجرسه)[١].

ومن ثم يطرح رؤيته حول ما وجده من اختلاف بين هذين النوعين من الشعر فيقول: (لا أجد قط ما ينأى به عنه، إلا ما داخل الشعر النبطي من بعض اللحن، أو ترك الهمز، أو مجافاة الفصيح في بعض استعمالاته)[٢].

ويورد في دراسته جملة من الأبيات من الشعر النبطي التي تتوافق معانيها وألفاظها مع الفصحى، وينثرها الشيخ نثراً أدبياً مبيناً ما تحويه تلك الأبيات من تاريخ وأخبار ومآثر وأخلاق.

ويشير في دراسته إلى ما وقع فيه شعراء النبط من توافق المعاني والألفاظ فيما بينهم، كما يحدث عند شعراء الفصحى مما لم يُسلكه النقاد في السرقات، بل قالوا إنه من توارد الخواطر، ووقع الحافر على الحافر.

ويدلل ابن خميس على المضمون الذي تبناه في دراسته وهو أن الشعر النبطي امتداد للشعر العربي الفصيح بعدما داخله ما داخله من العجمة، واللفظ

---

(١) جهاد قلم، في النقد، ص٢٠٠.

(٢) المرجع السابق، ص٢٠١.

الغريب، يدلل على ذلك بأن الشعراء النبطيين أكثرهم لا يقرأ، ولا يكتب موغلون في أميتهم، ولكنهم حملوا شعرهم عبر القرون وهذا أصدق دليل على أن ملكة العربي ممتزجة منه في شغافه، وأن سليقته باقية متمكنة لا عن دراسة واستقراء ولكن عن ذوق وغوص في أبكار الأفكار، وشوارد المعاني.. وتوافق الأساليب، وتشابه اللفظ بين الشعر الفصيح، وشعر النبط يتوارد على ألسنة الشعراء مثله مثل توارد المعاني.

ويذيل الأديب عبد الله ابن خميس هذه الدراسة بإيراد نماذج من الشعر الفصيح والنبطي ويشير إلى مواضع التوافق اللفظي، والاتفاق في الأساليب فيها.

ثم يختم دراسته بدعوة مخلصة للعودة للسليقة والفطرة والملكة العربية الأصيلة، كما يدعو إلى الاستفادة من هذا اللون من الشعر الشعبي، والذي ظل هو لسان الجزيرة العربية ما يقرب من سبعمائة سنة في معرفة أدبها وتاريخها وعاداتها وتقاليدها وأيامها وحروبها، ويعتبر الشيخ أن ذلك الشعر وإن خالف النهج الفصيح؛ فإنه رافد ثر من روافد التراث العربي، والذي ما زال مطموراً ومهجوراً في نظر الأديب الشيخ عبد الله ابن خميس(١).

ويوجه حديثاً خاصاً في نهاية الدراسة إلى من استمع إليه؛ خوفاً من التباس الفهم أحياناً وإلى من رأى أن الشيخ بهذه الدراسة يدعو إلى العامية ويناصرها، فيقول: (ولست حينما أنتصر للشعر الشعبي من دعاة العامية ومروجيها معاذ الله، فتلك ردة أبرأ إلى الله منها، ولعل من تتبع آثاري وسبر ثقافتي يدرك هذا عني ولكنني أؤمن بتراث أمتي وبأصالتها ومجدها ومكانتها السامية في الوجود، وقد حمل الشعر الشعبي من ذلك الكثير).

---

(١) جهاد قلم، في النقد، ص٢٠٨.

الخصائص الفنية العامة للدراسات الأدبية:

وإذا ولجنا إلى الخصائص الفنية لتلك الدراسات لم نجدها تختلف عما وجدناه في نثر الشيخ المقالي أو أدب الرحلة أو فن السيرة والقصة والرسالة من حيث وضوح الأفكار والمعاني وكثرة الأشعار في هذه الدراسات، وهي مظهر من مظاهر الأدب.

كما ظهرت المداخلات الذاتية وحماس الشيخ لآرائه في ثنايا تلك الدراسات ونظرته الخاصة لبعض قضايا الأدب العربي، وارتباطه بالأمة، وبالرغم من أن هذه الدراسات تعتمد على الروح البحثية إلا أنها لم تنعتق من المظاهر الأدبية في الأسلوب الأنيق واللفظ البديع، وغلبت على دراسات الشيخ الروح المقالية وتتباين موضوعات تلك الدراسات بين الطول والقصر حسب ما تقتضيه الدراسة أو البحث.

أما أسلوبه فهو الناصع المبين الذي تتعلق به إشراقة اللفظ العربي الرصين مع قرب الفهم وجزالة المعاني وغزارتها، فهو من السهل الممتنع نقرؤه فنحيط بمفهومه فيخيل إلينا أننا نستطيع تقليده، فإذا ما حاولنا أبى علينا واستغلق. فإذا ما تعمقنا في الصورة الفنية، فإنها تتخلل فضاء تلك الدراسات الأدبية فيشرق التشبيه من مثل قوله: [تأتي أشعارهم عقوداً مصنفة ولمماً مفوفة](١)، وتتألق الاستعارة مثل قوله: [وركبها الشعراء مطايا](٢)، وقوله: [تتعرض الأمم عبر تاريخها إلى هزات وانتكاسات تَخْضدُ من شوكتها وتفلُّ من حدِّها](٣)، وتستقيم

---

(١) انظر: [الشعر النبطي امتداد للشعر الفصيح] محاضرات وبحوث. عبد الله ابن خميس، ص١٩٨.

(٢) انظر: [التضمين والاقتباس لدى شعراء الغزل]، المرجع السابق، ص٢٥٥.

(٣) انظر: [الأدب العربي بعد الخامس من حزيران]، المرجع السابق، ص١٦١.

الحكمة مضمنة السياق فلا تزيده إلا تأكيداً ورواءً مثل قوله: [فإنه ليس التكحل في العينين كالكحل](١)(٢).

كما كان للاقتباس من البيان القرآني نصيب وافر في دراسات الشيخ ابن خميس فنراه يقول: (حيث مجاورة الرعيل الأول ممن يحبون من هاجر إليهم، ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة)(٣).

وهو اقتباس من قوله تعالى ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُوا ٱلدَّارَ وَٱلإِيمَـٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلاَ يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُواْ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَـٰئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ "سورة الحشر، الآية: ٩". ويأخذ البيان النبوي من أسلوب الشيخ فنراه يتحدث عن الشعر قائلاً (حينما تعود بهذا البيت إلى أصله تجده بيتاً موزوناً مقفى، سليم اللغة بكر السبك يرمز إلى حكمة نبوية كريمة: [الناس معادن كمعادن الذهب والفضة](٤)(٥).

ومن محسنات اللفظ ولج الشيخ أبواب الطباق والجناس والسجع في دراساته الأدبية ومن ذلك قوله: [في رأيي أن الأعشى فحل من فحول الشعراء لا يبارى ولا يجارى](٦).

وجاء ذلك دونما تكلف أو اصطناع إنما أكسبت المعنى جلاءً ووضوحاً وأعطت السياق البحثي تناسقاً وانسياباً.

---

(١) انظر: [التضمين والاقتباس لدى شعراء الغزل]، المرجع السابق، ص٢٥٥.

(٢) الحكمة من بيت للمتنبي، ذكره ابن خميس في الشوارد، ج٢، ص٤١٤.

(٣) انظر: [الشعر النبطي امتداد للشعر الفصيح]، المرجع السابق، ص١٩٥.

(٤) المرجع السابق، ص٢٠١.

(٥) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة، باب الأرواح جنود مجندة، ٢٠٣١/٤.

(٦) انظر: [الأعشى صناجة العرب]، جريدة عكاظ، ع الجمعة ٢٦ ربيع الآخر ١٤١٠هـ، ص٦-٧.

الخاتمة

أحمد الله عز وجل أن أعانني على إتمام هذه الدراسة، التي آمل أن تكون قد أحاطت ببعض جوانب نثر الشيخ الأديب عبد الله ابن خميس. ولقد سرتُ في الرحلة القلمية مع أديب سعودي ارتاد المسيرة من أدب القرآن الكريم، والسنة المحمدية، فطابت نفسه وغمرت جوانحه وقفزت على فنون البيان؛ فغدا علماً من أعلام هذه الجزيرة.

وإنّ نفسي لتنازعني بالمزيد من الاسترسال، فما زالت هناك جوانب في أدب الشيخ النثري، تحتاج إلى البحث والدراسة، ولكنّ للبحث منهجاً وللوقت أحكاماً.

قدمتْ هذه الدراسة ابن خميس كاتباً نثرياً؛ فكشفت عن بدايات ذلك التكوين الفكري الثري الذي انبثق في مناح شتى من الدرعية: تلك القرية التي اختزنتْ تاريخه فوق جدرانها، وسجلت ماضي الشيخ وأمجاد وطنه، وكان العمق الذي تنغرس فيه هذه البلدة داخل وجدان ابن خميس، قد اختزنت له الكثير، وحملت له ينابيع قيمِهِ وأفكاره ومبادئه، تلك البلدة التي ضرب حبُّها أطنابه في قلبه، وأبى أن يزول.. ومن هذا الحب الإقليمي الصغير، امتدت مساحات؛ لتشمل ربوع الوطن، وتغطي وجه هذه الأرض ووهادها وصحاريها وجبالها ووديانها وفيافيها، جميع مكوناتها تتكثف في شخصيته وفكره.

وفي الدرعية كانت البدايات الأولى، حيث محمد بن خميس أحد المشاعل الصغيرة التي تضيء ذلك الحندس، الذي يغطي وجه الأرض، وفي ذلك البيت وجدتْ بذور الموهبة تربتها الخصبة؛ لتنمو وتتأنق، وكانت أولى الخطوات لتحسس هذا الكون في الدرعية تحت النخيل وبين السواقي، فوق التراب، حيث تجاوبت تلك الأصداء في النفس المرهفة، وضاقت وهي الطموحة بحدود تلك البلدة، وكان السفر في ذلك الوقت والغربة شيئاً لا يوائم السير الرتيب الهادئ لعجلة الحياة في الدرعية، ورفض الأب وطلب منه مهلة للتفكير والتروي، ولكن

خطاه واسعة أوسع من أن يحتويها التيار، وشد ركابه إلى دار التوحيد بالطائف وفي النفس آمال عظام تتحدى الصعوبات، أو ما يعتري الغريب من ألم، وهذا هو شأن الخطى الرائدة مسيرتها وجلة كأنها فوق بحر من الرمال، ولكن المصاعب تتحجم أمام الهدف الكبير.

وحين تنظر إلى تلك الخطوات، وتنظر إلى التجمع الزراعي البسيط الذي كانوا يعيشون فيه، تعرف كم هي رائدة، وكم عانت لكي توصل الشعلة إلى مشعل المعرفة في هذا الوطن.. وامتدت المسافات، وطالت الخطى، ورسخت الأهداف، وومضت الآمال، وانهمرت العطاءات، فولدتْ (الجزيرة) والمؤلفات.

ومن خلال الدراسة أدركنا المؤثرات في ثقافة الشيخ عبد الله ابن خميس ومصادرها، ووصلنا إلى رسم الخطوط العامة لشخصيته الفكرية، هو عربي مسلم واسع الثقافة، معتز بأصالته إلى حد كبير ومنفتح على ثقافة عصره، تقض مضجعه هموم أمته، ودائم الانشغال بقضايا وطنه، مستقل برأيه معتد به.

كما بينت هذه الدراسة أن الشيخ ليس مجرد رمز من رموز الأدب اللامعين؛ وليس مجرد أحد المؤسسين للحركة الصحفية في المملكة العربية السعودية، وليس كاتب رحلات، ولا أحد أشهر المهتمين بالأدب الشعبي، وليس مجرد كونه جغرافياً أو بلدانياً مهماً، ولا مؤرخاً، ولا لغوياً، بل هو جميع أولئك، فنحن إزاء شخصية تتسم بالموسوعية وتعدد الاهتمامات الفكرية، تتداخل لديه المعارف والخبرات، حيث يصعب أن يُدرس جانب من فكره بعيداً عن الجوانب الأخرى.

كما لمسنا من هذه الدراسة درجات عليا من الحفظ، أعطت كتابات الشيخ النثرية ميزة تفوق غيره؛ ومن خلال ذلك قدم أعمالاً نثرية، هي في كمال النضج. وأرسى بها أسساً معرفية، فاضت بما اختزنته ذاكرة الشيخ من الثقافة الواسعة في علم اللغة، ومحفوظه المذهل من الشعر العربي، قديمه وحديثه، وتلمع السياقات القرآنية، والأحاديث الشريفة والآراء فتغدو أعماله النثرية لوحات مشرقة، وحدائق يانعة.

وكشفت هذه الدراسة أن الشيخ انطلق في دراساته للأدب الشعبي من أرضية فكرية، ولديه في ذلك رؤية وفلسفة، وهي: إن الأمم العظيمة تعتز بتراثها، وخصوصاً ما يتصل بجوهر وجدانها، وإنه سجل حافل ووثائق جليلة الأهمية في الكشف عن أسرار التكوين النفسي والثقافي والإنساني للأمة، ولم يكن اهتمامه نكوصاً عن الفصحى أو تراجعاً عنها أو خذلاناً.. والدليل على ذلك التصاقه في شعره ونثره بعريق اللغة وأصيلها.

وقدمت هذه الدراسة الشيخ عبد الله ابن خميس كاتب المقالة، الذي كان همه الأول خدمة الكلمة والرقي بها إلى سقف المسئولية، وأن أبرز ما يحدد جهود ابن خميس المقالية واجتهاداته؛ هو الاستمرار على الموقف الإصلاحي في المضامين الاجتماعية والأدبية.. وأن هذا الاتجاه كان من الضروري على الباحث في أدب ابن خميس المقالي أن يتفهم إنجازاته المهمة، دون مقارنتها بغيره؛ فالإصلاح الاجتماعي، والأصالة الأدبية: هما قطبا الدائرة التفسيرية لمقالاته، حيث كان التواصل والتكامل بين الأديب وأرضه وهمومها، هو الذي يسوق الأدب إلى قمة الحضارة والخلود.

كما كشفت هذه الدراسة عن كتابات الشيخ ابن خميس المتميزة في الرحلات التي يمكن جمعها؛ لتصبح منظومة متكاملة مدعومة مؤازرة بالتقاطات معرفية، وإطارات مكانية وزمانية موثقة تنم عن مرجعية موسوعية، وحاسة بصرية تسجيلية دقيقة، والتي يمكن لمختلف الدراسات الاجتماعية والأدبية واللغوية والجغرافية والتاريخية والعلمية الطبيعية الاستفادة منها.

وكشفت الدراسة عما يتسم به الشيخ في عرضه لبعض قضايا الأدب والنقد؛ بالجرأة المصحوبة بشيء من القوة في طرح الرأي.. ويتجلى ذلك في موقفه المتفرد من الشعر الحر، ومن موقفه من قضية الفن للفن، وكأن صوته حين يرتفع يُسقِط جميع الأصوات، ودائماً ما يعلن نهاية الشعر الحر، محكِّماً ذوقه الشخصي دون الاهتمام بذوق العصر.

كما بينت الدراسة المضامين المتعلقة بسيرة الشيخ الذاتية، والتي استوضحنا من خلالها بعض المؤثرات في تكوينه الثقافي والمعرفي، والتي لم تكن شائعة عند من ترجم له.

ومما ميز سيرة الشيخ حرصه على ذكر التفاصيل، ورواية أحداث الطفولة والصبا وإيراد أسماء الأشخاص وأدوارهم في حياته.

وكشفت الدراسة أن الشيخ أجرى السياقات القصصية في بيئات بدوية اجتماعية متعددة الشرائح والطباع، ورسم ذلك من خلال الشخصيات والحوارات؛ ومنها توصل إلى مضامين عليا أراد من القارئ استشرافها والتمثل بها.

وابن خميس في رسائله، لا يستغني عن اعتداده بنفسه وشخصيته، فهو يتفاعل وبقوة مع قيادته وأصدقائه وزملائه، ويدعم أفكارهم بما يجول في فكره، دون غلق أو حرج.

كما أفادت هذه الدراسة أن الأجناس الأدبية النثرية تتداخل عند الشيخ، فنراه يطرق موضوعاً بأسلوب مقالي، ثم يضمنه دراسة بحثية، ويشيد في مقالة بمضمون فكري، أعجبه تجاه شخصية ما، ثم نرى المشهد كاملاً ضمن رحلة من رحلاته وهكذا.

ونراه يعرض مقترحاً ويرفعه في رسالة ديوانية إلى ولاة الأمر؛ وتمتد مساحة ذلك المقترح، فيظهر في مقالة اجتماعية مثيرة تشد الانتباه.

ولعلّ المضامين في نثر الشيخ عبد الله ابن خميس تدفعنا إلى طرح بعض توصيات البحث؛ والتي تتمثل في الدعوة إلى زيادة الاهتمام بالدراسات الأدبية الخاصة بالأدب النثري السعودي، حيث إن مضامينها مشاعل خير لهذه الأمة (اجتهاداً وإخلاصاً وانتماءً وطنياً خالداً).

ثم أتوجه إلى الشيخ الأديب عبد الله ابن خميس برجاء حار؛ أن يحظى ما خطته يده، وما أشرق به فكره في مجال الرسائل بكتاب جهادي آخر؛ أسوة بما حظيت به مقالاته ومحاضراته وبحوثه، فإنها عالية المحتوى وتاريخ عريق لمسيرة الأدب والفكر في هذه البلاد.

ونداء آخر إلى وزارة التربية والتعليم، للاستفادة من المقترحات التربوية المتميزة التي أشعل بها الشيخ مقالاته، والتي كان فيها رائداً من رواد التربية والتعليم في هذه البلاد، واستمدها من عقل مبدع، وفكر ناضج، وتجارب تربوية، وتعليمية رائدة. وأوجه توصية خاصة إلى العاملين في صنع المناهج التعليمية للغة العربية، ومن يعوّل عليهم في اختيار محتواها ونصوصها، أن يضمنوا تلك المناهج من إبداعات الشيخ ابن خميس النثرية المتنوعة والشاملة التي تفيض بلغة مشرقة ناصعة وأساليب بيانية رائعة، وتحتوي من الأفكار التربوية الهادفة؛ المستمدة من قيم الدين الإسلامي، ولغته وقيمه وإشراقاته.

وتوصية أخرى رأيت أن هذا البحث لابد أن يبثها إلى دارة الملك عبدالعزيز، للاستفادة مما حوته مؤلفات الشيخ عبد الله بن خميس عن حياة المؤسس، وتفاصيل ثرية منها أوردها الشيخ في فضاءات جميلة من أدبه النثري، مقالة، ورحلة، ورسالة.

وأختم بعد هذه السياحة الفكرية في أدب الشيخ النثري، بتوصية إلى الهيئة العليا للسياحة في بلادنا الغالية أن تعود إلى نتاج الشيخ النثري، في رحلاته الداخلية، التي وقف فيها مدبجاً الأوصاف الرائعة لطبيعة بعض المواقع في بلادنا، والتي حظيت بنصيب وافر من جمال صنع الخالق عز وجل، وكانت وما زالت مراتع جميلة للطيور والحيوانات البرية النادرة.

ونقرن هذه بالتوصية إلى هيئة الآثار في بلادنا، أن تستفيد من إنتاج الشيخ النثري في تحديد مواقع تلك الآثار النادرة والمهمة؛ والتي بيّن الشيخ أهميتها التاريخية والتراثية وأحاط بما ورد عنها من معلومات، تجعلها من أهم ما يعول عليه الباحثون في علم الآثار.

وأختم بالدعاء إلى الله أن يمن بالصحة والعافية على الشيخ الأديب عبدالله ابن خميس، وأن يجعل ما بذله من فكر نير في سبيل مجتمعه وأمته في موازين أعماله، إنه سميع مجيب.

الملحقات

Muslim World League
Secretariat General
Makkah al-Mukarramah
The Office of Deputy Secretary General



رابطة العالم الإسلامي
الأمانة العامة - مكة المكرمة
مكتب الأمين العام المساعد

بسم الله الرحمن الرحيم

الأستاذة الباحثة هيا بنت عبد الرحمن السمهري

سلامٌ عليكم ورحمة الله وبركاته ، أما بعد :

فإنني أشير إلى كتابك الكريم الذي يتضمن رغبتك في أن أكتب شيئاً عن (ريادة ابن خميس الأدبية) .

وأرسل إليك مع هذا كلمة بهذا الخصوص أرجو أن تكون كافية للغرض المذكور ،

مع الدعاء لك بالتوفيق ، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته .

أخوك

محمد بن ناصر العبودي

الرقم ٢٠١ / ٤١٣ / ١ / م ج	التاريخ ١٨ / ١٢ / ١٤٢٧هـ Date	المرفقات ٢ Encl.

صندوق بريد ٥٣٨ - برقيا : الرابطة - مكة - تلكس ٥٤٠٣٩٠ IWOSJ - فاكس ٥٦ ١٣٥٢ - هاتف ٥٦٠١٠١٤

رابطة العالم الإسلامي
الأمانة العامة - مكة المكرمة
مكتب الأمين العام المساعد



Muslim World League
Secretariat General
Makkah al-Mukarramah
The Office of Deputy Secrtary General

بسم الله الرحمن الرحيم

الشيخ عبد الله بن محمد بن خميس رائد من رواد الأدب في بلادنا وكفى بهذه اللفظة شمولاً للأدب الفصيح بنثره وشعره فهو شاعر وهو ناثر عميق الأسلوب ، مشرق الديباجة ، له في الصحف جولات وله في النقد جولات ، مما أحله منزلة رفيعة بين الأدباء السعوديين ،وهو رائد الدراسة الأدبية الشعبية .

وهو أيضاً رائد من رواد البحث والتنقيب يشهد له بذلك إذا احتاج الأمر إلى شهادة كتابه الجغرافي التاريخي (معجم اليمامة) ، وهذا أصبح أمراً معروفاً لدى أكثر الباحثين .

ولكن الشيء الذي لا يذكره بعض الناس هو ريادته لتفصيح الأدب العامي الذي يسمى بالأدب الشعبي وذلك بتفسيره بالفصحى وتقريبه للباحثين فيها ، فهو الذي ألف أول كتاب يبحث في هذا الموضوع بحثاً علمياً مبوباً وهو كتاب (الأدب الشعبي في جزيرة العرب) .

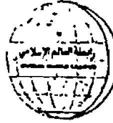
وقد فتح باباً واسعاً لدراسة ذلك الأدب الذي هو الأدب الشعبي في بلادنا ولم يكن في ذلك جامعاً فقط كما كان قد فعل بعض الباحثين الذين جمعوا بعض الأشعار لشعراء العامية جمعاً عشوائياً دون ترتيب أو شرح علمي والأفظع من ذلك أن بعض أولئك طبع أشعاراً من أشعار فطاحل شعراء العامية دون تحقيق ، بل دون تصحيح فزادوها تشويهاً ومسخاً .

ونظرة واحدة لكتاب (الأدب الشعبي في جزيرة العرب) للأستاذ عبد الله بن خميس وإلى بعض الكتب التي ألفت بعده في موضوعه نجد أن بعضها استهدى به ،

يتبع

الرقم : No. التاريخ Date. المرفقات Encl.
صندوق بريد : ٥٣٨ - برقياً : درابطة - مكة - تلكس : ٥٤٠٣٩٠ IWOSJ - فاكس : ٥٤٠١٣٤٢ - هاتف : ٥٤٠١٠١٤٠

Muslim World League
Secretariat General
Makkah al-Mukarramah
The Office of Deputy Secrtary General



رابطة العالم الإسلامي
الأمانة العامة - مكة المكرمة
مكتب الأمين العام المساعد

وبعضها اتبع منهجه اتباعاً تقليدياً مما أكد ريادة الشيخ عبد الله بن خميس في هذا الميدان .

ولم تقتصر ريادته في هذا الميدان على تأليف ذلك الكتاب ، بل تعدته إلى اختيارات شعرية ممتازة تحت مسمى (الشوارد) التي جمع فيها الأبيات الشاردة العميقة من الشعر الفصيح في قسم ، والأبيات الشاردة من الشعر العامي في قسم آخر .

واصطلاح الشوارد ، أوالأبيات الشاردة يراد به الأبيات النادرة في معاها البلاغي أو الفني .

وهناك ريادة أخرى للشيخ عبد الله بن خميس وهي عمله في البرنامج الإذاعي (من القائل) الذي استمر مدة طويلة ، وتضمن مواد نادرة لم يتطرق إليها أحد قبله .

وعلى أية حال فإن الشيخ عبد الله هو رائد من رواد الثقافة في بلادنا ، سواء فيما يتعلق بثقافة الأدب الفصيح أو الأدب العامي ، ويمكن الاستشهاد على ذلك بشواهد عديدة من كتبه التي ذكرتها .

حفظه الله وقواه ليواصل عمله الثقافي الجليل .

مكة المكرمة

محمد بن ناصر العبودي

الأمين العام المساعد لرابطة العالم الإسلامي

صندوق بريد ٥٣٨ - برقياً رابطة - مكة - تلكس ٥٤٠٣٩٠ MWOSJ - فاكس ٥٦٠١٢٥٢ - هاتف ٥٦٠١٠١٤

بسم الله الرحمن الرحيم

المملكة العربية السعودية
الرئاسة العامة لرعاية الشباب

العلاقات العامة

الرقم ١/١/١/٥
التاريخ ٢٨/٥/١٤٠٥
المشفوعات

الموضوع

برقية خطية ــ الرياض

المكرم رئيس النادي الادبي بالرياض

الاستاذ عبد الله بن خميس المحترم

بعد التحية ..

نهنئكم ونهنئ زملائكم منسوبي النادي الادبي بالرياض على تكوينكم لمجلس ادارة النادي .. ونبارك لكم هذه الخطوات الطيبة . شاكرين مجهوداتكم .. ومتمنين لكم دوام التوفيق والنجاح .

ولكم تحياتنا ..

الرئيس العام لرعاية الشباب

فيصل بن فهد بن عبد العزيز

المملكة العربية السعودية
الرئاسة العامة لرعاية الشباب

ثبت المصادر والمراجع

أ- مؤلفات الشيخ الأديب عبد الله ابن خميس:

١- أهازيج الحرب وشعر العرضة. عبد الله بن محمد بن خميس.ـ ط١.ـ الرياض: مطابع الفرزدق التجارية، ١٤٠٢هـ.

٢- بلادنا والزيت. عبد الله ابن خميس.ـ ط٢.ـ الرياض: مطابع الفرزدق التجارية، ١٤١٠هـ.

٣- تاريخ اليمامة. عبد الله بن محمد بن خميس.ـ ط١.ـ الرياض: مطابع الفرزدق التجارية، ١٤٠٧هـ.

٤- جولة في غرب أمريكا. عبد الله ابن خميس.ـ ط١.ـ الرياض: مطابع الفرزدق التجارية، ١٤١٤هـ.

٥- الدرعية. عبد الله بن محمد بن خميس.ـ ط١.ـ الرياض: مطابع الفرزدق التجارية، ١٤٠٢هـ.

٦- ديوان [على ربى اليمامة]. عبد الله ابن خميس.ـ ط٢.ـ الرياض: مطابع الفرزدق التجارية، ١٤٠٢هـ.

٧- الديوان الثاني. عبد الله بن محمد بن خميس.ـ الرياض: مطابع الفرزدق التجارية، ١٤١٣هـ.

٨- راشد الخلاوي. عبد الله ابن خميس.ـ ط١.ـ الرياض: دار اليمامة، ١٣٩٢هـ.

٩- رموز من الشعر الشعبي تنبع من أصلها الفصيح. عبد الله بن محمد بن خميس.ـ ط١.ـ الرياض: مطابع الفرزدق التجارية، ١٤١٢هـ.

١٠- شئون وشجون من واقع حياتي. عبد الله ابن خميس، ١٤١٣هـ [غير منشور].

١١- شهر في دمشق. عبد الله ابن خميس.ـ ط٢.ـ الرياض: مطابع الفرزدق التجارية، ١٤١٠هـ.

١٢- الشوارد. عبد الله بن محمد بن خميس.ـ ط١.ـ الرياض: دار اليمامة، ١٣٩٤هـ.

١٣- لمحات من تاريخ الملك عبد العزيز تم تأليفه عام ١٤١٩هـ [غير منشور].

١٤- المجاز بين اليمامة والحجاز. عبد الله ابن خميس.ـ ط٤.ـ الرياض: مطابع الفرزدق التجارية، ١٤١٠هـ.

١٥- معجم اليمامة. عبد الله بن محمد بن خميس.ـ ط١.ـ الرياض: مطابع الفرزدق التجارية، ١٣٩٨هـ.

١٦- معجم جبال الجزيرة. عبد الله ابن خميس.ـ ط١.ـ الرياض: مطابع الفرزدق التجارية، ١٤١٠هـ.

١٧- من أحاديث السمر. عبد الله ابن خميس.ـ ط٢.ـ الرياض: مطابع الفرزدق التجارية، ١٤٠٥هـ.

١٨- من القائل. عبد الله ابن خميس.ـ ط١.ـ الرياض: مطابع الفرزدق التجارية، ١٤٠٤هـ.

١٩- من جهاد قلم محاضرات وبحوث. عبد الله ابن خميس.ـ ط١.ـ الرياض: مطابع الفرزدق التجارية، ١٤٠٥هـ.

٢٠- من جهاد قلم: في النقد.ـ ط١.ـ الرياض: مطابع الفرزدق التجارية، ١٤٠٢هـ.

٢١- من جهاد قلم، فواتح الجزيرة.ـ ط١.ـ الرياض: مطابع الفرزدق التجارية، ١٤٠٤هـ.

ب- مراجع البحث الأخرى[١]:

أولاً: القرآن الكريم.

ثانياً: الكتب:

١- ابن خميس وآثاره الأدبية. محمود رداوي.ــ ط١.ــ الرياض: مطابع الفرزدق التجارية، ١٤١٩هــ.
٢- إجابة السائل على أهم المسائل. الشيخ عيسى العكاس، مطابع الرياض، ١٣٧٤هــ.
٣- أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم. محمد أبو بكر المقدسي؛ تحقيق محمد مخزوم.ــ بيروت: ط دار إحياء التراث العربي، ١٤٠٨هــ/١٩٨٧م.
٤- الأدب الحديث: تاريخ ودراسات. أ.د. محمد بن سعد بن حسين.ــ ط٦.ــ الرياض: دار عبد العزيز آل حسين للنشر والتوزيع، ١٤١٨هــ/١٩٩٨م.
٥- الأدب الحديث. عمر الدسوقي.ــ ط٨.ــ القاهرة: دار الفكر العربي، ١٣٩٣هــ/١٩٧٣م.
٦- أدب الرحلة في المملكة العربية السعودية. عبد الله الحامد.ــ ط١.ــ مطابع الجنوب، ١٤٢١هــ.
٧- أدب الرحلة. د. حسين نصار.ــ ط١.ــ مصر: الشركة المصرية العالمية للنشر، ١٩٩١م.
٨- أدب الرسائل في الأندلس في القرن الخامس الهجري. فايز عبد النبي فلاح القيسي.ــ ط١.ــ عمّان؛ الأردن: دار البشير للنشر والتوزيع، ١٤٠٩هــ.
٩- الأدب العربي المعاصر في مصر. شوقي ضيف.ــ ط٣.ــ القاهرة: دار المعارف، د.ت.

---

(١) رتبت هذا الثبت حسب الطريقة الهجائية وبدأت باسم الكتاب ثم أتبعت البيانات الأخرى.

١٠- الأدب العربي. فواز الشعار.ـ ط١.ـ بيروت: دار الجيل، ١٤٢٠هـ.
١١- أدب المقالة. عبد العزيز شرف.ـ ط١.ـ لبنان: دار الشروق، ١٩٩٧م.
١٢- أدب عبد العزيز الرفاعي: دراسة موضوعية وفنية. إبراهيم الشتوي.ـ ط١.ـ الرياض: دار الرفاعي، ١٤١٩هـ.
١٣- الأدب في خدمة الحياة والعقيدة. عبد الله العويشق.ـ ط١.ـ بيروت: دار العربية، ١٣٩٠هـ.
١٤- الأدب والأدباء والكتاب المعاصرون في الأردن. محمد حسن الشايخ.ـ ط١.ـ عمّان؛ الأردن: مطابع الدستور، ١٩٨٩م.
١٥- الأدب والأندية الأدبية في المملكة العربية السعودية. جهاد الفاضل.ـ ط١.ـ بيروت: دار الجديد، ١٩٩٨م.
١٦- الأدب وفنونه. عز الدين إسماعيل.ـ ط١.ـ القاهرة: دار الفكر العربي، ١٩٧٨م.
١٧- أدباء سعوديون: ترجمات شاملة لسبعة وعشرين أديباً. د. مصطفى إبراهيم حسين.ـ ط١.ـ الرياض: دار الرفاعي، ١٤١٤هـ.
١٨- أدباؤنا الرواد. سعد بن خلف العفنان.ـ ط١.ـ الرياض: مطابع الفرزدق التجارية، ١٤٢٥هـ.
١٩- استدعاء الشخصيات التراثية. د. علي عشري زايد.ـ ط١.ـ القاهرة: دار الفكر العربي، ١٩٩٧م.
٢٠- الأسلوب: دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية. أحمد الشايب.ـ ط٩.ـ القاهرة: مكتبة النهضة الحديثة، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م.
٢١- أعلام وإعلام: أبحاث ودراسات في الإعلام السعودي. د. عبد الرحمن الشبيلي.ـ ط١.ـ الرياض: دار السفير، ١٤٢٠هـ.

٢٢- الأعلام: قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء. خير الدين الزركلي.ـ ط١٤.ـ بيروت: دار العلم للملايين، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م.
٢٣- الإكسير في فكاك الأسير. محمد عثمان المكناسي؛ تحقيق محمد الفاسي.ـ الرباط: منشورات المركز الجامعي للبحث العلمي، ١٩٦٥م.
٢٤- إملاء ما منّ به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات في جميع القرآن للإمام محب الدين أبي البقاء بن عبد الله العكبري.ـ ط١.ـ الرياض: مطابع الفرزدق التجارية، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م.
٢٥- الإنشاء في المراسلات والوثائق. محمد سعيد بن حسن بن عبد الحي كمال.ـ ط١١.ـ الطائف: مكتبة دار المعارف، د.ت.
٢٦- إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون. إسماعيل باشا البغدادي؛ صححه محمد شرف الدين.ـ ط١.ـ بيروت؛ لبنان: دار العلوم الحديثة، د.ت.
٢٧- الإيضاح في علوم البلاغة. الخطيب القزويني.ـ ط٤.ـ بيروت: دار الكتاب اللبناني، ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م.
٢٨- البدايات الصحفية في المنطقة الشرقية. محمد عبد الرزاق القشعمي.ـ ط١.ـ الرياض: مطابع التقنية، ١٤٢٣هـ.
٢٩- البداية والنهاية. للإمام الحافظ بن كثير؛ مراجعة وتصحيح محمد عبدالعزيز النجار.ـ القاهرة: مطبعة الفجالة، د.ت.
٣٠- بديع الزمان الهمذاني بين المقالة والرسالة. مأمون بن محيى الدين الجنان.ـ ط١.ـ بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٣هـ.
٣١- البلاغة والتحليل الأدبي. أحمد أبو حاقة.ـ ط١.ـ بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٨٨م.
٣٢- تاريخ الإعلام في الجزيرة العربية. د. عبد الرحمن الشبيلي.ـ ط١.ـ الرياض: دار السفير، ١٤٢٣هـ.

٣٣- تاريخ الشعر العربي الحديث. أحمد قبش.ـ ط١.ـ بيروت: دار الجيل، د.ت.

٣٤- تاريخ القضاء والقضاة في العهد السعودي؛ تصنيف عبد الله بن محمد الزهراني.ـ ط١.ـ مكة المكرمة: مطابع بهادر، ١٤١٨هـ.

٣٥- تتمة الأعلام. محمد خير رمضان يوسف.ـ ط٢.ـ بيروت: دار ابن حزم، ١٤٢٢هـ.

٣٦- التحرير الأدبي. حسين علي محمد.ـ ط١.ـ الرياض: مكتبة العبيكان، ١٤١٧هـ.

٣٧- الترجمة الذاتية في الأدب العربي الحديث. د. يحيى عبد الدايم.ـ ط١.ـ بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م.

٣٨- التعليم في المملكة العربية السعودية: حاضره واستشراف مستقبله. عبدالوهاب أحمد عبد الواسع.ـ ط٢.ـ جدة: دار تهامة، ١٤٠٣هـ.

٣٩- تفسير القرآن العظيم للإمام ابن كثير.ـ مصر: المكتبة الكبرى، د.ت.

٤٠- الثمر الداني في ترجمة محمد ناصر الدين الألباني. حسين جمعه حسن، دار الدليقان، ١٤٢٢هـ.

٤١- جنة العبيط. د. زكي نجيب محمود.ـ ط٣.ـ القاهرة: دار الشروق، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.

٤٢- حركات التجديد في الشعر السعودي المعاصر. عثمان الصوينع.ـ ط١.ـ الناشر المؤلف، ١٤٠٨هـ.

٤٣- الحركة الأدبية في المملكة العربية السعودية. بكري شيخ أمين.ـ ط٢.ـ بيروت: دار صادر، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م.

٤٤- دراسات في الأدب السعودي. د. محمد الصادق عفيفي.ـ ط١.ـ القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م.

٤٥- دراسات في القصة العربية. د. محمد زغلول سلام.ـ الإسكندرية: طبعة دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، د.ت.
٤٦- دراسات في القصة والمسرح. محمود تيمور، الجمهورية العربية المتحدة: طبعة مطابع الشعب، د.ت.
٤٧- دراسات في النقد الأدبي المعاصر. د. محمد زكي العشماوي.ـ ط١.ـ بيروت: دار النهضة العربية، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.
٤٨- دراسات في كتب التراجم والسيرة. هاني العُمَد.ـ ط١.ـ عمان، ١٩٨١م.
٤٩- دراسة حديث "نضّر الله امرأً سمع مقالتي": رواية ودراية. عبد المحسن العباد.ـ ط١.ـ المدينة المنورة: مطابع الرشيد، ١٤١٠هـ.
٥٠- دليل الكتاب والكاتبات؛ إعداد خالد أحمد اليوسف، مشاركة خزيمة العطاس.ـ ط٣.ـ الرياض: الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م.
٥١- ديوان أبي العتاهية؛ شرح مجيد الطراد.ـ ط١.ـ بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م.
٥٢- ديوان أبي فراس الحمداني؛ رواية أبي عبد الله الحسين ابن خالويه.ـ بيروت: طبعة دار صادر، د.ت.
٥٣- ديوان الفرزدق؛ تقديم وشرح مجيد طراد.ـ بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤١٢هـ.
٥٤- ديوان امرئ القيس؛ شرح محمد الحضرمي.ـ ط١.ـ عمّان: دار عمار، ١٤١٢هـ.
٥٥- ديوان بشار بن برد؛ شرح وتقديم محمد الطاهر بن عاشور؛ تعليق محمد رفعت فتح الله ومحمد شوقي أمين.ـ القاهرة: طبعة لجنة التأليف والتوجيه والنشر، ١٣٦٩هـ/١٩٥٠م.
٥٦- ديوان حافظ إبراهيم؛ ضبطه وصححه وشرحه أحمد أمين وأحمد الزين الأبياري.ـ بيروت: طبعة دار إحياء التراث العربي، ١٩٦٩م.

٥٧- ديوان أبي العلاء المعري: [سقط الزند]؛ شرح وتعليق د.ن رضا.ــ بيروت: منشورات مكتبة الحياة، د.ت.

٥٨- ديوان زهير بن أبي سلمى؛ قدم له وعلق على حواشيه سيف الدين الكاتب.ــ ط١.ــ بيروت: دار مكتبة الحياة، ١٩٨٦م.

٥٩- ديوان طرفة بن العبد؛ تحقيق عمر الطباع.ــ بيروت: طبعة دار القلم، د.ت.

٦٠- ديوان عمرو بن كلثوم؛ تحقيق أميل بديع يعقوب.ــ ط١.ــ بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤١١هـ.

٦١- الرحلات العربية وأعلامها في الأدب العربي القديم والمعاصر. محمود رداوي.ــ ط١.ــ الرياض: مطابع الفرزدق التجارية، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م.

٦٢- رحلات أمين الريحاني نموذجاً. د. حسني محمود، الوكالة العربية للنشر والتوزيع، ١٩٩٥م.

٦٣- الرحلات وأعلامها في الأدب السعودي المعاصر. محمود رداوي.ــ ط١.ــ الرياض: مطابع الفرزدق التجارية، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م.

٦٤- الرحلات. د. شوقي ضيف.ــ القاهرة: طبعة دار المعارف المصرية، ١٩٩١م.

٦٥- رسائل الصاحب بن عباد؛ تحقيق د. شوقي ضيف، ود. عبدالوهاب عزام.ــ القاهرة: دار الفكر العربي، ١٣٦٦هـ.

٦٦- الرسالة الفنية في العصر العباسي حتى نهاية القرن الثالث الهجري. د. محمد محمود الدوري.ــ ط١.ــ عمّان؛ الأردن: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

٦٧- رياض الصالحين. الإمام أبي زكريا الدمشقي.ــ ط.ــ دمشق: دار المأمون للتراث، ١٣٩٦هـ.

٦٨- الرياض عبر أطوار التاريخ. حمد الجاسر.ـ الرياض: طبعة دار اليمامة، ١٣٨٦هـ.

٦٩- زاد المعاد في هدي خير العباد، للإمام ابن قيم الجوزيه؛ تحقيق عبدالقادر وشعيب الأرنؤوط.ـ ط٣.ـ بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.

٧٠- الزبيري: ضمير اليمن الثقافي والوطني. د. عبد العزيز المقالح.ـ ط٢.ـ بيروت: دار العودة، ١٩٨٣م.

٧١- سماحة الداعية الشيخ أبي الحسن الندوي. إعداد محمد طارق الندوي.ـ ط١.ـ لكهنؤ: مكتبة حراء، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.

٧٢- سنن الإمام الترمذي؛ تحقيق الشيخ ناصر الدين الألباني؛ إشراف زهير الشاويش، مكتب التربية لدول الخليج العربية، ١٤٠٨هـ.

٧٣- السنن والمبتدعات المتعلقة بالأذكار والصلوات. محمد عبد السلام الشقيري.ـ بيروت: طبعة دار الكتب العلمية، بيروت، ١٣٩٥هـ.

٧٤- سير أعلام النبلاء. الإمام الذهبي.ـ ط١.ـ بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٥هـ/١٩٨٤م.

٧٥- السيرة الذاتية في الأدب السعودي. عبد الله الحيدري.ـ ط١.ـ الرياض: دار المعراج الدولية، ١٤١٨هـ.

٧٦- الشاعر الكبير محمد عبد الله بن عثيمين: شعره ونثره. أ.د محمد بن سعد ابن حسين.ـ ط١.ـ الرياض: دار عبد العزيز آل حسين للنشر والتوزيع، ١٤١٢هـ.

٧٧- شرح ديوان أبي تمام. الخطيب التبريزي؛ تقديم داجي الأسمر.ـ بيروت: طبعة دار الكتاب العربي، ١٤١٣هـ.

٧٨- شرح ديوان المتنبي؛ مراجعة نخبة من الأدباء.ـ بيروت: دار مكتبة الحياة للطباعة والنشر، ١٩٩٢م.

٧٩- الشعر السعودي في البلاد السعودية في الغابر والحاضر. أبو عبد الرحمن ابن عقيل الظاهري .ـ ط١.ـ الرياض: دار الأصالة وا لمعاصرة، ١٤٠٠هـ.
٨٠- شعراء سورية. أحمد الجندي.ـ ط١.ـ بيروت: دار الكتاب الجديد، ١٩٦٥م.
٨١- الشيخ محمد بن جبير: جوانب من سيرته الذاتية والشخصية، تأليف د. عبدالرحمن الشبيلي.ـ ط١.ـ الرياض: الإدارة العامة للعلاقات والإعلام بمجلس الشورى، ١٤٢٢هـ.
٨٢- الشيخ محمد بن عبد الله بن بليهد وآثاره الأدبية. أ.د. محمد بن سعد بن حسين.ـ ط١.ـ الرياض: مطابع اليمامة، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.
٨٣- الشيخ محمد متولي الشعراوي: إمام العصر. أحمد مرسي حسين.ـ ط١.ـ القاهرة: نهضة مصر للطباعة والنشر، د.ت.
٨٤- صحيح الإمام البخاري مع شرحه فتح الباري للإمام الحافظ ابن حجر العسقلاني؛ تحقيق محمد محيى الدين الخطيب.ـ ط٤.ـ القاهرة: المطبعة السلفية، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.
٨٥- صحيح الإمام مسلم؛ تصحيح وترقيم الشيخ محمد فؤاد عبد الباقي؛ نشر وتوزيع إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد بالمملكة العربية السعودية. د.ت.
٨٦- الصورة الأدبية. د. مصطفى ناصف.ـ ط٢.ـ لبنان: دار الأندلس، ١٩٨٣م.
٨٧- الصورة الشعرية في الكتابة الفنية. د. صبحي البستاني.ـ ط١.ـ لبنان: دار الفكر اللبناني، ١٩٨٦م.
٨٨- الطباعة في المملكة العربية السعودية. أ.د. عباس صالح طاشكندي.ـ الرياض: من مطبوعات مكتبة الملك فهد الوطنية، ١٤١٩هـ.

٨٩- طبقات فحول الشعراء. محمد بن سلام الجمحي؛ تحقيق محمود شاكر.ــ ط١.ــ جدة: دار المدني، د.ت.

٩٠- عبقريات شامية. عبد الغني العطري.ــ ط١.ــ دمشق: الناشر المؤلف، ١٩٨٦م.

٩١- عفو الخاطر. د. محمد العوين.ــ ط١.ــ الرياض: الشركة الوطنية للتوزيع، ١٩٩٤م.

٩٢- علماء نجد خلال ثمانية قرون. عبد الله بن عبد الرحمن البسام.ــ ط١.ــ مكة المكرمة: مطابع النهضة الحديثة، ١٣٩٨هـ.

٩٣- علماؤنا؛ إعداد فهد البدراني، وفهد البراك.ــ ط١.ــ الرياض: (د.ن)، ١٤١٠هـ.

٩٤- على مائدة الأدب. عبد الله بن محمد الحقيل.ــ ط٢.ــ الرياض: مطابع الفرزدق التجارية، ١٤١٢هـ.

٩٥- عمر أبو ريشة: شاعر الحب والوطن. عبد العزيز النعماني.ــ ط١.ــ القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.

٩٦- عنوان المجد في تاريخ نجد. عثمان بن عبد الله بن بشر.ــ ط١.ــ مكتبة الرياض الحديثة، د.ت.

٩٧- العنوان في الأدب العربي: النشأة والتطور. د. محمد عويس.ــ ط١.ــ القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ١٤٠٨هـ.

٩٨- فتاوى التعزية. الشيخ محمد بن صالح العثيمين.ــ ط١.ــ الرياض: دار المجد، ١٤١٣هـ.

٩٩- فقه السيرة للإمام محمد الغزالي.ــ ط١.ــ الدوحة: مطابع علي بن علي، (د.ت).

١٠٠- فن السيرة. د. إحسان عباس.ــ ط١.ــ عمّان: دار الشروق، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م.

١٠١- فن المقال الصحفي. إسماعيل إبراهيم .ــ ط١.ــ القاهرة: دار الفجر، ٢٠٠١م.
١٠٢- فن المقال في الأدب المصري الحديث. أحمد محمد علي حنطور.ــ ط١.ــ القاهرة: (د.ن)، ١٤١٦هـ.
١٠٣- فن المقال في ضوء النقد الأدبي. عبد اللطيف محمد السيد الحديدي.ــ ط١.ــ الرياض: دار السعادة، ١٤١٧هـ.
١٠٤- فن المقالة الأدبية والموضوعية والصحفية. د. محمود شريف.ــ ط١.ــ الكويت: مكتبة دار العروبة، ١٩٨٥م.
١٠٥- فن المقالة. محمد يوسف نجم.ــ ط٤.ــ بيروت: دار الثقافة، ١٩٩٦م.
١٠٦- الفنون الأدبية وأعلامها في النهضة العربية الحديثة. أنيس المقدسي.ــ ط٨.ــ بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٧٨م.
١٠٧- في الأدب العربي السعودي: فنونه واتجاهاته ونماذج منه. محمد صالح الشنطي.ــ ط١.ــ حائل: دار الأندلس للنشر والتوزيع، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م.
١٠٨- القاموس المحيط. مجد الدين الفيروزبادي؛ تحقيق محمد نعيم العرقسوسي.ــ ط٦.ــ بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.
١٠٩- قصة الجزيرة: كتاب وثائقي يروي تاريخ قيام صحيفة الجزيرة، صدر عن مؤسسة الجزيرة للصحافة عام ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.
١١٠- القصة القصيرة في المملكة العربية السعودية، سحمي الهاجري.ــ ط١.ــ الرياض: النادي الأدبي ١٤٠٨هـ.
١١١- القصة والرواية. د. عزيزة مريدن.ــ دمشق: دار الفكر، ١٤٠٠هـ.
١١٢- قصص العرب. محمد أبو الفضل إبراهيم، ومحمد أحمد جاد المولى، وعلي محمد البجاوي.ــ ط٤.ــ دمشق: دار إحياء الكتب العربية، ١٣٨٢هـ.

١١٣- القصص في العصر النبوي: دراسة فنية وموضوعية. د. محمد حسن الزير.ـ ط١.ـ القاهرة: المطبعة السلفية، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م.
١١٤- قضايا النقد الأدبي بين القديم والحديث. د. محمد زكي العشماوي.ـ ط١.ـ بيروت: دار النهضة العربية للطباعة والنشر، ١٩٨٤م.
١١٥- كتاب الصناعتين الكتابة والشعر لأبي هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري؛ تحقيق علي محمد البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم.ـ صيدا؛ لبنان: المكتبة العصرية، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.
١١٦- كتب وآراء. أ.د. محمد بن سعد بن حسين.ـ ط١.ـ الرياض: شركة مطابع اليمامة، ١٤٠١هـ.
١١٧- لسان العرب. ابن منظور؛ تحقيق عبد الله علي الكبير، ومحمد أحمد حسب الله، وهاشم الشاذلي.ـ ط٢.ـ القاهرة: دار المعارف، د.ت.
١١٨- اللهجات العربية. د. إبراهيم أنيس.ـ ط٥.ـ القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٦٥م.
١١٩- مجمع الأمثال لأبي الفضل أحمد بن محمد بن إبراهيم النيسابوري الميداني؛ قدم له وعلق عليه نعيم حسين زرزور.ـ ط١.ـ بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.
١٢٠- محاضرات عن فن المقالة الأدبية. محمد عوض محمد.ـ القاهرة: طبعة معهد الدراسات العربية العالمية، ١٩٥٩م.
١٢١- مختصر المقاصد الحسنة للإمام الزرقاوي؛ تحقيق محمد الصباغ، من منشورات مكتب التربية لدول الخليج العربية، ١٤٠١هـ.
١٢٢- المدخل لدراسة الفنون الأدبية. قسم اللغة العربية، كلية الإنسانيات والعلوم الاجتماعية.ـ الدوحة: دار قطري ابن الفجاءة للنشر، (د.ت).
١٢٣- المدينة المنورة في التاريخ. عبد السلام هاشم حافظ.ـ ط٣.ـ المدينة المنورة: منشورات نادي المدينة الأدبي، ١٤٠٢هـ.

١٢٤- مشاهير علماء نجد. عبد الرحمن بن عبد اللطيف آل الشيخ.ـ ط٢.ـ الرياض: دار اليمامة، ١٣٩٤هـ.
١٢٥- مصادر التراجم السعودية: دراسة وثائقية. علي بن سليمان الصوينع .ـ الرياض: مطبوعات مكتبة الملك فهد الوطنية، ١٤١٧هـ.
١٢٦- مع ابن جبير في رحلته. عبد القدوس الأنصاري.ـ ط١.ـ (د.ن)، ١٣٩٦هـ.
١٢٧- معجم الأدباء والكتاب. الدائرة للإعلام.ـ ط١.ـ الرياض، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.
١٢٨- المعجم الأدبي. جبور عبد النور.ـ ط٢.ـ بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٨٤م.
١٢٩- معجم البابطين للشعراء العرب المعاصرين؛ جمع وترتيب وتنفيذ هيئة المعجم.ـ ط١، ١٩٩٥م.
١٣٠- معجم البلاغة العربية. د. بدوي طبانة.ـ ط٣.ـ جدة: دار المنامة، ١٤٠٨هـ.
١٣١- معجم البلدان. ياقوت الحموي.ـ ط .ـ بيروت: دار صادر، ١٣٧٦هـ.
١٣٢- معجم المصطلحات العربية. مجدي وهبة وكامل المهندس.ـ ط٢.ـ بيروت: مكتبة لبنان، ١٩٨٤م.
١٣٣- معجم المطبوعات العربية. علي جواد الطاهر.ـ ط١.ـ بغداد: المكتبة العالمية، ١٩٨٣م.
١٣٤- المعجم المفصل في علوم البلاغة. د. إنعام عكاوي.ـ بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.
١٣٥- المقال؛ تطوره في الأدب المعاصر. د. سيد مرسي أبو ذكري.ـ ط١.ـ مصر: دار المعارف، ١٩٨٢م.

١٣٦- المقالة الأدبية ووظيفتها في العصر الحديث. عطاء كفافي.ـ ط١.ـ هجر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٠٥هـ.
١٣٧- المقالة في أدب العقاد. عبد القادر الطويل.ـ ط١.ـ القاهرة: د.ن، ١٤٠٧هـ.
١٣٨- المقالة في الأدب السعودي الحديث. د. محمد العوين.ـ ط١.ـ الرياض: مطابع الشرق، ١٤١٢هـ.
١٣٩- من العلماء الرواد في رحاب الأزهر. محمد عزت الطهطاوي.ـ القاهرة: طبعة مكتبة وهبة، ١٩٩٠م.
١٤٠- من رسائل العقاد. محمد محمود حمدان.ـ ط١.ـ القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، ١٤١٨هـ.
١٤١- من روادنا التربويين المعاصرين. د. عبد الله الزيد.ـ ط١.ـ د.ن، ١٤٠٤هـ.
١٤٢- مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب. ابن الجوزي؛ تحقيق د. زينب القاروط.ـ ط١.ـ بيروت: دار الهلال، ١٤٠٠هـ.
١٤٣- مناهج النقد المعاصر. صلاح فضل.ـ القاهرة: طبعة دار الآفاق العربية، ١٤١٧هـ.
١٤٤- الموجز في تاريخ الأدب السعودي. عمر الطيب الساسي.ـ ط١.ـ جدة: دار تهامة للنشر والتوزيع، ١٤٠٦هـ.
١٤٥- موسوعة الأدب العربي السعودي الحديث؛ نصوص مختارة ودراسات؛ إعداد مجموعة من أساتذة اللغة العربية في جامعة الملك سعود.ـ ط١.ـ الرياض: دار المفردات، ١٤٢٢هـ.
١٤٦- موسوعة الأدباء والكتاب السعوديين خلال ستين عاماً ١٣٥٠-١٤١٠هـ، أحمد سعيد بن سلم.ـ ط١، دار المنامة للطبع و النشر والتوزيع، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.

١٤٧- الموسوعة الأدبية: دائرة معارف لأبرز أدباء المملكة العربية السعودية. عبد السلام الساسي، نادي الطائف الأدبي، ١٤٠٠هـ.

١٤٨- الموسوعة الحركية؛ إعداد وجمع وتحقيق مؤسسة البحوث والمشاريع الإسلامية.ـ ط٢.ـ عمّان: دار البشير، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

١٤٩- الموسوعة العلمية الفلكية. عبد الوهاب سليمان الشراد.ـ الكويت:(د.ن)، ١٩٨٩م.

١٥٠- موسوعة المصطلح النقدي؛ ترجمة د. عبد الواحد لؤلؤة.ـ ط١.ـ بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٨٣م.

١٥١- الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة. صدرت عن قسم الدراسات والبحوث في الندوة العالمية للشباب الإسلامي.ـ ط٢.ـ الرياض: مطابع السفير، ١٤٠٩هـ.

١٥٢- النثر الأدبي في المملكة العربية السعودية. محمد عبد الرحمن الشامخ.ـ ط٣.ـ الرياض: دار العلوم للطباعة والنشر، ١٤١٨هـ.

١٥٣- النثر الفني المصري في العصر الحديث. د. عبد الباسط أحمد حموده.ـ ط١.ـ القاهرة: دار الرسالة، ١٤٠١هـ.

١٥٤- نشأة الصحافة في المملكة العربية السعودية. محمد عبد الرحمن الشامخ.ـ ط١.ـ الرياض: دار العلوم، ١٤٠٣هـ.

١٥٥- نشأة وتطور الإذاعة في المجتمع السعودي. بدر أحمد كريم.ـ ط١.ـ جدة: دار تهامة، ١٤٠٦هـ.

١٥٦- النقد الأدبي أصوله ومناهجه. سيد قطب.ـ ط٣.ـ القاهرة: دار الشروق، ١٤٠٠هـ.

١٥٧- النقد الأدبي الحديث. د. محمد غنيمي هلال.ـ ط١.ـ القاهرة: دار نهضة مصر للطباعة والنشر، ١٩٩٧م.

١٥٨- النهضة الأدبية في نجد؛ جمع وترتيب حسن بن محمد بن محمود الشنقيطي.ـــ ط١.ـــ مصر: شركة ومكتبة مصطفى الحلبي وأولاده، ١٣٧٠هـ/١٩٥١م.
١٥٩- الوظيفة الإعلامية لفن المقالة في الأدب العربي الحديث. محمد علي الأصفر.ـــ ط١.ـــ جامعة الفاتح؛ ليبيا: إدارة المطبوعات والنشر، ١٩٩٨م.
١٦٠- وقفات نقدية مع من القائل لابن خميس. إبراهيم الحقيل.ـــ ط١، د.ن، ١٤١٧هـ.

ج- الصحف والدوريات:

١- صحيفة البلاد.
٢- صحيفة الجزيرة.
٣- صحيفة الرياض.
٤- صحيفة عكاظ.
٥- مجلة الأدب الإسلامي.
٦- مجلة البيان.
٧- مجلة الثقافة.
٨- مجلة الجزيرة.
٩- مجلة الحرس الوطني.
١٠- مجلة الدارة.
١١- مجلة الرسالة.
١٢- مجلة العرب.
١٣- المجلة العربية.

١٤- مجلة الفيصل.
١٥- مجلة القافلة.
١٦- مجلة المنهل.
١٧- مجلة اليمامة.
١٨- مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية.
١٩- مجلة عالم الكتب.
٢٠- مجلة مجمع اللغة العربية في القاهرة.
٢١- مجلة مكتبة الملك فهد الوطنية.

د- المقابلات الشخصية:

١- مقابلة بتاريخ ١٤٢٢/١١/١٢هـ
٢- مقابلة بتاريخ ١٤٢٣/١/١٦هـ .
٣- مقابلة بتاريخ ١٤٢٣/٢/٣هـ
٤- مقابلة بتاريخ ١٤٢٣/٢/١٦هـ
٥- مقابلة بتاريخ ١٤٢٣/٣/١٠هـ
٦- مقابلة بتاريخ ١٤٢٣/٤/٢٦هـ
٧- مقابلة بتاريخ ١٤٢٣/٥/٦هـ
٨- مقابلة بتاريخ ١٤٢٣/٥/١٦هـ
٩- مقابلة تلفزيونية بتاريخ ١٤٢٣/٥/٢٧هـ
١٠- مقابلة بتاريخ ١٤٢٤/٣/٢٠هـ.
١١- مقابلة بتاريخ ١٤٢٤/٤/١١هـ.
١٢- مقابلة بتاريخ ١٤٢٤/٨/١٩هـ.
١٣- مقابلة بتاريخ ١٤٢٤/١١/٣هـ.
١٤- مقابلة بتاريخ ١٤٢٥/٧/١٦هـ.

هـ- الندوات التكريمية:

١- الندوة التكريمية التي أقيمت في قاعة الملك فيصل للمؤتمرات بتاريخ ١٤٢٢/١١/١١هـ بمناسبة اختيار الشيخ ابن خميس الشخصية الثقافية في مهرجان الجنادرية السابع عشر.

٢- الندوة التكريمية التي أقامها الشيخ عثمان الصالح احتفاء بتكريم الشيخ عبد الله ابن خميس في مهرجان الجنادرية للثقافة السابع عشر، ١٤٢٢/١١/١٥هـ.

و- النشرات:

١- نشرة أخبار مكتبة الملك فهد الوطنية، ع٤، ١، جمادى الآخرة، ١٤١٨هـ.

نشرة الإثنينية. محمد عبد المقصود محمد سعيد خوجة.ـ جدة، ١٤١٠هـ [الجزء الثامن، تكريم الأديب عبد الله ابن خميس].

الكتاب :

- هذا الكتاب مادة بحثية أعدت لنيل درجة الماجستير في الأدب الحديث ... وهو يمثل دراسة موضوعية وفنية للأدب النثري للشيخ عبدالله ابن خميس وشذرات من حياته.
- تناول الكتاب الأدب النثري للأديب السعودي الكبير عبدالله ابن خميس من خلال كتبه الثلاثة: (فواتح الجزيرة، في النقد، محاضرات وبحوث)، وهو أديب له جهوده البارزة في المشهد الثقافي السعودي؛ فهو شاعر، وباحث، وأديب، ومحقق، وصحفي، ورحالة. كانت إسهاماته الثقافية ذات تأثير قوي في مسارات الأدب المعاصر في المملكة العربية السعودية.
- إن هذه الفنون النثرية لابن خميس كانت دافعاً قوياً للدارسة لإبراز ريادة هذه الشخصية الأدبية ومكانتها الاجتماعية ولما تحفل به هذه الفنون من عطاء متنوع قادر على كشف قضايا الحياة وسبر أغوارها.

المؤلفة : د. هيا بنت عبدالرحمن بن محمد السمهري.

- دكتوراة الفلسفة في الآداب تخصص الأدب العربي الحديث عام ١٤٣٣هـ جامعة الأميرة نورة بنت عبدالرحمن.
- تعمل مدير عام التدريب والابتعاث في وزارة التربية والتعليم.
- شاركت في عدة ملتقيات وأمسيات شعرية محلية وخارجية، وفي المشروع العربي (٢١) مع مؤسسة الفكر العربي في بيروت، ومع الندوة العالمية للشباب الإسلامي في ندوة بعنوان: (الأدب في خدمة العقيدة).
- عضو لجنة الرصد العلمي في مركز الملك عبدالعزيز للحوار الوطني.
- لها مؤلفات مطبوعة منها: شعر عبدالله ابن خميس دراسة موضوعية فنية من منشورات كرسي الأدب السعودي، جامعة الملك سعود.
- الديوان الثالث لعبدالله ابن خميس من منشورات النادي الأدبي بالرياض ودارة الملك عبدالعزيز.
- ديوان شعر تحت الطبع عنوانه: (يا شامخا).

ردمك : ١ - ١٣ - ٨١٢٧ - ٦٠٣ - ٩٧٨
ISBN : 978 - 603 - 8127 - 13 - 1